

عدد اوراق تفسر
الو السعود
ستمائة وثمان وستين
اوراقا

تفسير أبي السعود

٢٩

عدد اوراق تفسیر
ابو السعود
ستمائة وثمان وستين
اوراقا

كتبت هذا التفسير البهي بالتمام بعون الله الملك العزيز العلام
في شهر ربيع الثاني الحرام حامداً لله تعالى ومصلياً على خير الأنام
محمد عليه الصلاة والسلام

٦٩

سورة النصر مدنية

من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا **لا أعبد ما تعبدون** أي فيما
يستقبل لأن لا لا تدخل غالبا إلا على مضارع في معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل
إلا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة
آلهتكم **ولا أنتم عابدون ما أعبد** أي ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة
إلهي **ولا أنا عابد ما عبدتم** أي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه أي لم تعهد
مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الإسلام **ولا أنتم عابدون ما أعبد**
أي وما عبدتم في وقت من الأوقات ما أنا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة
حالا كما أن الأوليين لنفيها استقبالا وإنما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لأنهم
كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الأصنام وهو عليه الصلوة والسلام
لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وإيثار ما في ما أعبد على من لأن المراد هو الوصف
كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل إن ما مصدرية
أي لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الأوليان بمعنى الآتي والأخريان
مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون و
قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد ثانيا تأكيد لمثله المذكور أولا وقوله تعالى **لكم دينكم**
تقرير لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم كما أن قوله تعالى
ولي دين تقرير لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمعنى أن دينكم الذي هو الإشراك
مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه إلى الحصول لي أيضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به
أمانيكم الفارغة فإن ذلك من المحالات وإن ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي
لا يتجاوزه إلى الحصول لكم أيضا لأنكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لآلهتكم أو استلامي إياها
ولأن ما وعدتموه عين الإشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد
إلهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم
المسند قصر إفراد حتما ويجوز أن يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم أي
ولي ديني لا دينكم كما في قوله تعالى لكم ما كسبتم وقيل المعنى إني نبي مبعوث إليكم
لأدعوكم إلى الحق والنجاة فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني إلى الشرك وقيل
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وعوفي

هذا
تفسير القرآن
الشريف من تأليف
[illegible]

و
المرحوم مولانا
ابى السعود قدس
روحه

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من شعائر الشرائع كل ما جل ودق
ونزل عليه اظهر بينات وابهر حجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من الكتاب ليدبروا آياته
وليتذكر اولوا الالباب ناطقا بكل امر رشيد هاديا الى صراط العزيز الحميد امرا بعبادة الصمد المعبود
كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود تكاد الرواسي لهيبته تمور ويذوب منه الحديد ويميع الصخور
منيفا بان يسير به الجبال وييسر به كل صعب محال مفحما لكل مصقع من مهرة قحطان وكل
مفلق من سحرة البيان بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا عن
الاتيان بمثل آية من آياته نزل على فترة من الرسل ليرشد الامة الى اقوم السبل فهداهم الى الحق
وهم في ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه فقد فاز بمناه
واما من عانده وعصاه واتخذ الهه هواه فقد هام في مهامي الردى ومهاوي الزور ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور والصلاة على من انزل عليه وعلى آله الاخيار وصحبه الابرار ما تناوبت الانواء وتعاقبت الظلم والاضواء
وعلى من تبعهم مدى الدهور والازمان وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي ابو السعود بن محمد العمادي
ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان حرف منها مسطورا والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم ولم يكن شيئا مذكورا
ليست الا معرفة الصانع المجيد وعبادة الباري المبدئ المعيد ولا سبيل الى ذاك المطلب الجليل سوى الوقوف
على مواقف التنزيل فانه عز سلطانه وبهر برهانه وان سطر آيات قدرته في صحايف الاكوان ونصب رايات وحدته في
صنايع الاعراض والاعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العيلم وكل نقطة جرى عليها قلم
الابداع وكل حرف رقم في لوح الاختراع مرآة لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة
المكنون وآية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لا ريب فيه ومنهاجا جليا لا يضل من ينتحيه بل ناطقا يتلو
آيات ربه فهل من سامع واع ومجيبا صادقا فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد
جوابهم بحسب مقولهم يحاور تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة لكن الاستدلال بتلك الآيات
والدلائل والاستشهاد بتلك الامارات والمخايل والتنبه لتلك الاشارات السرية والتفطن لمعاني

لمعاني تلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز اسرار القضاء والقدر وكنوز آثار
التعاجيب والعبر مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق خلاق القوى والقدر فاذن المدار
ليس الا كلام رب العباد اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية
والكاشف عن خفايا خطاير القدس والمطلع على خبايا سرائر الانس وبه تكتسب الملكات الفاخرة
وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والآخرة خلا انه ايضا من علو الشان وسمو المكان ونهاية الغموض الاعضال
وصعوبة المأخذ وعزة المنال في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية اعز من بيض
الانوق وابعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج الى معارجه الرفيعة ولا يتأتى الرقي الى مدارجه
المنيعة كيف لا وانه مع كونه متضمنا لدقايق العلوم النظرية والعملية ومنطويا على دقايق الفنون
الخفية والجلية حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعية ومحيطا بمناط الدلائل الاصلية والفرعية
منبئا عن اسرار الحقايق والنعوت مخبرا باطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك الاوامر
والنواهي واليه يستند معرفة الاشياء كما هي قد نسج على اغرب منوال وابدع طراز واحتجبت
طلعته بسبحات الاعجاز طويت حقايقه الابية عن العقول وزويت دقايقه الخفية عن اذهان
الفحول يرتد عيون العقول سجانه وتخطف ابصار البصائر بريقه ولمعانه ولقد تصدى
لتفسير غوامض مشكلاته اساطين ائمة التفسير في كل عصر من الاعصار وتولى لتبيين معضلاته
سلاطين اسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الاقطار فغاصوا في لجج بحاره وخاضوا
في ثبج تياره فنظموا فرائده في سلك التحرير وابرزوا فوائده في معرض التقرير وصنفوا كتبا جليلة
الاقدار والفوا زبرا جميلة الآثار اما المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني
وتبيين المرام وترتيب الاحكام حسبما بلغهم من سيد الانام عليه شرائف التحية والسلام
واما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائقة وابداء خباياه الفائقة
ليعاين الناس دلائل اعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية
والزبر العظيمة السبحانية فدونوا اسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائقة يتضمن
كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الاعيان وعوائد لطيفة يتشنف بها آذان الاذهان
لا سيما الكشاف وانوار التنزيل المتفردان باتقان التنزيل الجليل فان كلا منهما قد احرز قصب السبق

اي احراز كانه مرآة لاجلاء وجه الاعجاز صحائفها مرايا المزايا الحسان وسطورها
عقود للجنان وقلائد العقبان ولقد كان في سوابق الايام وسوالف الدهور والاعوام اوان
اشتغالي بمطالعتها وممارستها وزمان انتصابي لمفاوضتها ومدارستها يدور في خلدي على استمرار
آناء الليل واطراف النهار ان انظم درر فوائدها في سمط دقيق وارتب غرر زوائدها على ترتيب
انيق واصف اليها ما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في
اصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق واسلك خلالها طريق الترصيع على نسق انيق واسلوب
بديع حسبما تقتضيه جلالة شان التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ما سنح للفكر العليل بالعناية
الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف تمتد اليها اعناق الهمم
من كل ماهر لبيب وعوائب رغائب ترنو اليها احداق الامم من كل نحرير اريب وتحقيقات
رصينة تقيل عثرات الافهام في مداحض الاقدام وتدقيقات متينة تزيل خطرات الاوهام من
خواطر الانام في معارك افكار يشتبه فيها الشئون ومدارك انظار يختلط فيها الظنون
وابرز من وراء استار الكمون من دقائق السر المخزون في خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن اليه
النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز واهديها الى الخزانة العامرة العامرة
للبحار الزاخرة لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض
الا وهو السلطان الاسعد الاعظم والخاقان الامجد الافخم مالك الامامة العظمى والسلطنة الباهرة
وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الازهر موضح آيات الشرع الانور مرغم انوف
الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز
وجنده الغالب الهمام الذي شرق عزمه المنير فانتهى الى مشرق الاقصى وغرب حتى
بلغ مغرب الشمس او دنا بخميس عرمرم متراحم الافواج وعسكر كخضم متلاطم الامواج فاصبح ما
بين افقي الطلوع والغروب وما بين نقطتي الشمال والجنوب منتظما في سلك ولايته الواسعة
ومندرجا تحت ظلال راياته الرائعة فاصبحت منابر المعمور مشرفة بتذكار اسمه الميمون
فيا له من ملك استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه البحر المحيط فكانه فضاء ضربت فيه خيامه
او نصبت عليه الويته واعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الامم قاصم

قاصم القياصرة وقاهر الروم سلطان العرب والعجم والروم سلطان المشرقين وخاقان
الخافقين الامام المقتدر بالقدرة الربانية والخليفة المعتز بالعزة السبحانية المتوج بتاج الحرمين المعظمين
وحامي المقامين الجليلين المحترمين ناشر القوانين السلطانية عاشر الخواقين العثمانية السلطان ابن السلطان
السلطان سليمان خان ابن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور صاحب المغازي المشهورة
في اقطار الامصار والفتوحات المذكورة في صحائف الاسفار السلطان السعيد سليم خان ابن السلطان
والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان لازالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان
وارواح اسلافه العظام متنزهة في روضة الرضوان وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام
لقصور شاني وعزة المرام اين الحضيض من الذري شتان بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد
العنقاء بالشباك واقتباس الجوزاء من بروج الافلاك فمضت على ذلك الدهور والسنون
وتغيرت الاطوار وتبدلت الشئون فابتليت بتدبير مصالح العباد بربة في قضاء البلاد
واخرى في قضاء العساكر والاجناد فحال بيني وبينما كنت اخال تراكم المهمات وتراحم الاشغال
وهجوم العوارض والعلائق وهجوم الصوارف والعوائق والتردد الى المغارب والاسفار و
التنقل من دار الى دار وكنت في تضاعيف ما تيك الامور اقدر في نفسي ان انتهز نهزة
من الدهور ويتيسر لي القرار وتطمئن بي الدار واطرح عني بعض الاشغال واتبتل فيه الى جناب
ذي العظمة والجلال واوجه اليه وجهي واسلم له سري وعلانيتي وانظر الى كل شيء
بعين الشهود واتعرف سر كل موجود تلافيا لما قد فات واستعدادا لما هو آت
واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه واتولى لتكميل ما توجهت اليه برفاهية واطمئنان وحضور
قلب وفراغ جنان فبينما انا في هذا الخيال اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدول
فوقعت في امر اشق من الاول امرت بحل مشكلات الانام فيما شجر بينهم
من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول وصرت كالهارب من المطر الى السيول
فبلغ السيل الزبى وتمزقت اي تمزق عوارب ما جرى بين زيد وعمرو فانحبست في ضيق المجال
وسعة الاشغال اشهر من يضرب بها الامثال فجعلت اتمثل بقول من قال
لقد كنت اشكو للحوادث برهة والا ستقرض الايام وهي صحائح الى ان تغشتني وقيت حوادث

فاتحة الكتاب سبع آيات

الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في
فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق
التدريجية ذاتا وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه
تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي
بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يتسنى في الخاتمة لما ان ختم
الشيء عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه الاول بل على
معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطة كونه
جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته
على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة
على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك
بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة
بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله
عز اسمه او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور
والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف
جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونها مبدأ للكتاب على الترتيب المعهود
لا في القراءة في الصلوة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس المراد
بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلوة حتى يعتبر في التسمية مبدئيتها له
واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة
الترتيب في بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب في ان الترتيب التعليمي و
الترتيب النزولي ليس على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له
اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه

همزة لان من دأبهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء واسمي و
سميت وسمي كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا اثرك الله به ايثاركا و
القلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة
واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلالها ورد عليه بان الهمزة
لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال باسم الذي في
كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة
ههنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة
المقدرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه المتعينة الى الممكنة والميسرة و
هي المطلوبة بإياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل
معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين
واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولك بالله عند الاطلاق لا سيما
عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل فليحمل الباء على التبرك وليستغن
عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل
الا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية
او التبرك وانما لم تكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها والله اصله
الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها
حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي
في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس
تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه
امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس
يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار
احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم
مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالهة والالوهة والالوهية

بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى
المكتوب لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال كتاب
مرقوم ولا يقال شئ كتاب والرزق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها
بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن
معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة
عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات
المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في
الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه يحار في شأنه العقول
والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا
تأله واستأله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان
اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل من اله اذا
فزع من امر نزل به واله غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة
او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على
الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد
في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن
اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة
بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقيل هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه
بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم
ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك
المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال
الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف
الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله
الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال والرحمن والرحيم صفتان

جعل الحمد رأس الشكر وملاك الامر في قوله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر
ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو
شأن المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها كشكرا وعجبا
كأنه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين
لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه
مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه
الاذهان والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك
الكيفية اللائقة لا يخطر بباله احد ان يسأل عن كيفيته على ان ما قدر من السؤال غير مطابق
للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لحمدهم و
الاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل لتوفيق
المنزل متررا بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من جهته عز وجل
فاتت نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير تخلل النظام
لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل انه استيناف جوابا لسؤال
يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكأنه قيل ما شأنكم معه وكيف
توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان تناسي جانب السائل بالكلية
وبناء الجواب على خطابه عز وعلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي
لا محيد عنه انه استيناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت
الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شئ آخر كما سيحيط به خبرا
واثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات
مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في
كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما
قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع
والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق

البرهاني لكن لا نباء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الافراد الواقعة بمقابلة ما
صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها
في المقام الخطابي منزلة العدم كيفا وكما وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة
من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال
اتباعا لها باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين
منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل بالجر على انه صفة لله فان
اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا على
المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد
لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر
بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة
مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور وسمي به
المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة
ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم
قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي
فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يكن اطلاقه على الله تعالى جاز فيه الاطلاق
والتقييد كما في قوله تعالى أأرباب متفرقون خير الآية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم
والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين
مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات
وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو
اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به
الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر
والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك امر بالنظر في الانفس
كالنظر في الآفاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر

من الافعال التي تقوم اسبابها بمفعولاتها كعاقبت اللص ونظائره فان قيام السرقة التي
هي سبب للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب به وهي العقوبة فصار كانها قامت بالجانبين
وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة
كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر
ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها
من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع
المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور
العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا
اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في
كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين
وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر
ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف
مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا يرى انك تقول في مالك
عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة
اما للتعظيم والتهويل او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك
حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى
المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه
فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه
اما الاولى والرابعة فظاهر لانهما متوضحتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى
واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك
يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت
الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعني بالاختصاص
اياك نعبد واياك نستعين التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب

جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسالك البراعة حسبما يقتضيه المقام لان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الاخيرين كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الآية وفي قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعد ما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضرا في محاضر الانس كأنه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومظنة للتبتل اليه بالكلية واياضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي الضماير وايا دعامة لها وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل

بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون في قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها ينحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسبت بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني

وبالمغضوب عليهم والا الضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي [illegible]
غير على انها نكرة مثل موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة
مخل ببدلية ما اضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء
على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم
وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من شان البدل ان يفيد
متبوعه مزيد تاكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب
مما اضيف اليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر
من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او الاستثناء ان فسر النعمة بما يعم
القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله تعالى يراد به غايته بطريق اطلاق
اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام
ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان شبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع
من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام
فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج الاداب التنزيلية في نسبة النعم
والخير اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين
وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضالين بالهمزة كمن جد في الهرب عن التقاء الساكنين آمين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس
رضه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وبني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها
ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا عن النبي عليه السلام لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة
الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة به والمشهور عن ابي حنيفة
ان المصلي يأتي بها مخافتة وعنه انه لا يأتي بها الامام لانه الداعي وعن الحسن رحمه الله مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل
وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين
قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل

سورة البقرة [illegible]

الالفاظ التي يتهجى بها اسماء حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة

الكاسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه لمخالفته القياس واما كونها مسرودة على نمط
التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على
انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى
والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار وامراء الكلام في
نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة
والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة او ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة
انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف
الثمام يتناوله الخواص والعوام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتأتى ممن درس
وخط واما ممن لم يحم حول ذلك قط فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق
لا سيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب منبئ عن سر سري مبني على نهج
عبقري بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح
في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف
اصنافها تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند الفحص والتنقير حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير
فسبحان من دقت حكمته عن ان يطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان ينالها ايدي الافكار واما ورود
بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جريا على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتنويعها
على السور دون ايراد كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها
بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم
فآية حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست باية والمص آية والمر لم تعد آية والر ليست باية
في شيء من سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست باية
وحم آية في سورها كلها وكهيعص آية وحمعسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية
هذا على رأي الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها واما من
عداهم فلم يعدوا شيئا منها آية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة
الاعراب او يوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقرآن كما ينبغي ان يلاحظ

اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب بتقدير فعل مضمر كاذكروا وبتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما تقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيها عدي الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتاتى فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئت بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرأ صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم وطس ويس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فكانه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي ايضا عن بعضهم قراءة ياسين وجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكره الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طاسين ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر احكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه اما ههنا في الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ المحذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به وانما صحت الاشارة الى القرآن بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وادعاء شهرتها يأباه التردد في ان المسمى هي السورة او كل القرآن ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه

ان يرتاب في حقيته وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لا انه يرتاب فيه احد اصلا الا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الخ فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا او ان ارتبتم فيما نزلنا الخ الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد ههنا ذلك الاشعار كما لا يقصد الاشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول مصدر من هداه كالسري والبكي وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر ومحصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين النوعين ومحققة للتقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصل مفهوم الهدى او لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة

التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك هو انما توجه الى الثبات عليه واما توجه
الى زيادته ولان التوجه الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة
واما عدم الوصول بحيث كان امرا مستمرا مثل ما تقتضيه من الضلال وجب مقارنته له
في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لمقارنته في ذلك الآن لا مقابله الذي
هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واثر
مترتب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما من شانه الوصول عند
تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير تقصير ولا فتور من قبل المتوجه ولا خلل من
جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فبطل اعتبار وجوب
الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما اعتبار وجود
اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة
هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له تحقق في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر في ذلك
مدلول اسمه قطعا ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله او
غير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسماء
خاصة وعرض له بالقياس الى كل اثر من تلك الآثار اضافة خاصة متمايزة عما عداها
من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة
عنه اصلا اذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبر الاضافة العارضة له بحسبها
داخلة في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له
من اثر ذلك الجسم الذي هو اثر خاص لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة
العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر آخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات
العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا امر مطرد في آثاره الطبيعية واما الآثار التي
له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها تترتب عليه تارة وتفارقه اخرى بحسب وجود
الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعيا اليها
بحيث كانت تلك الآثار مستقلة في انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له للزوم الآثار

من انواره المنتفعون بآثاره وان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك
الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي
فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة
قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تع ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وعن عمر
بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب والحسن
المتقي من يترك ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما فيه باس وعن ابي يزيد ان التقوى
هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى
وعن سهل المتقي من تبرأ عن حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا
يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة
لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات
لا يناله من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة وايثار الذل
على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحياة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل
سنام التقوى الا ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي
ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى
ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبرؤ عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى
والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف
بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تع ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان
يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المامور به
في قوله تع يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه
طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية الالهية
المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوات والسلام حيث جمعوا
بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى
معالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال

نحو سهم الزكية المؤيدة بقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب
هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة
الاولى ونيلها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره
على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم
شانهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عنى بالمتقين
اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عنى بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين
تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهذه المرتبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية
والثالثة فانه ان اريد بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عنى بالمتقين اصحاب
المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عنى بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في
جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على
ان يكون مفهوما داخلا في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على
كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع
على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او
مبتدأ خبره الظرف المقدم كما اليه اشير او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل
معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كانه قيل
لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب
حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او
لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن ترتيب
هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها
عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدأ مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة
بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك
الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق
ثم تسجيل على غاية فضله بنفي الريب فيه او لا افضل اعلى مما للحق واليقين وهدى

الاقرار ركن يحتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به و
العمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن
اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة
وقرئ يومنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى
عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم
يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظايره واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث
لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما
يتعلق بها من الشرايع والاحكام واليوم الاخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو
المراد ههنا فالباء صلة للايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا عن الوثوق وهو واقع موقع المفعول به
وان جعلته مصدرا على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كقوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب
وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يؤمنون متلبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي غائبين عن النبي
صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رضي
ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن راه
والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من الايمان بغيب ثم تلا هذه الاية واما عن الناس اي
غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء حينئذ للالة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلثة اما
للقصد الى احداث الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجيء
فان الكتب الالهية ناطقة بتفصيل ما يجب الايمان به **ويقيمون الصلوة** اقامتها عبارة
عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شيء من فرائضها وسننها وآدابها زيغ من اقام العود
اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها
اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر

لا دائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد
وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو
القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب
والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبت بالواو مراعاة للفظ المفخم
وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما
العظمان الناتئان في اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ
في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع
والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى
نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعى وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به
الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا
الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصرف
فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل
ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور
للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة
وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روي عنه عليه السلام في حديث عمرو بن قرة حين اتاه
فقال يا رسول الله ان الله كتب على الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغناء
من غير فاحشة من انه قال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله
والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله
لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى
الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان
او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه
بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة

كما قوله حب الموقدان الى موسى وجعدة اذ اضاءها الوقود وقوله تعالى
أولئك اشارة الى الذين عددت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة
على انهم متميزون بذلك الكل تميزا منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى
البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وعلا **على هدى**
خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه
ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي
الشيء ويستوي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية
متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين
الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى **من ربهم** متعلق
بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى
كائن من عند الله تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة و
تقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير
كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله هدى للمتقين
مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا
عليه من الهدى حسبما تحققته لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل
واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كانه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النعوت
اختصوا بهدايته ذلك الكتاب العظيم الشأن او هل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم
بذلك ما لكون الزمام اصل الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم
ما هو نوع من فروعه ولقد جار عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب ان اولئك الموصوفين
غير مستبعدان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير كونهما
منفصلين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه
وهذه الجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين

قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كأنه قيل ما بال المتقين مخصوصين بذلك فأجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم إجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة أي الذين هذا شأنهم أحقاء بما هو أعظم من ذلك كقولك أحب الأنصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجتهم في سبيل الله أولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم أن هذا المسلك يسلك تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وأخرى بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك وريب في أن هذا أبلغ من الأول لما فيه من بيان الموجب للحكم وإيراد اسم الإشارة بمنزلة إعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الإشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة والإيماء إلى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز أن يكون الموصول الأول مجرى على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ وأولئك الخ خبره وتجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من أهل الكتاب حيث كانوا يزعمون أنهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح

﴿وأولئك هم المفلحون﴾ تكرير اسم الإشارة لإظهار مزيد العناية بشأن المشار إليهم وللتنبيه على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الأثرتين وأن كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فإن التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فيكون الجملة الثانية مقررة للأولى وأما الإفلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه أعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة حسبما أشير إليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء أثرهم والإرشاد إلى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق

﴿إن الذين كفروا﴾ كلام مستأنف مسوق لشرح

مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح وبقلب الثانية ألفا وقد نسب ذلك إلى اللحن

﴿لا يؤمنون﴾ جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الإعراب أو حال مؤكدة له أو بدل منه أو خبر لإن وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم أو خبر ثان على رأي من جوزه عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بالمحال فإنه تعالى قد أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون فظهر استحالة إيمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة إخباره تعالى للواقع مع كونهم مأمورين بالإيمان باقين على التكليف ولأن من جملة ما كلفوه الإيمان بعدم إيمانهم المستمر والحق أن التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلا من حيث إن الأحكام لا تستدعي أغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والإخبار بوقوع الشيء أو بعدمه لا ينفي القدرة عليه كإخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره وليس ما كلفوه الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلفوا الإيمان بعدم إيمانهم المستمر بل هو الإيمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم إجمالا على أن كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا يفيد إلزام الحجة وإحراز الرسول عليه السلام فضل الإبلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الأصنام سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون وفي الآية الكريمة إخبار بالغيب على ما هو به إن أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهي من المعجزات الباهرة

﴿ختم الله على قلوبهم﴾ استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه أو بيان وتأكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له أو لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملوء والأول هو الأنسب بالمقام إذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل إحداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الإنذار ولا ينفذ فيها الحق أصلا إما على طريق الاستعارة التبعية بأن يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو أبواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول

المحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له
الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم
وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور
الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا
لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم
يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة قد انتزع
من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي
منوي مراد قصدا بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان لها مدخل في
تحقيق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع
قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من
كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان مبنى المجموع مجموع معاني
تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة منها مدلولا وضعيا لها ليكون
ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت
الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له
ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما برأسه ومن رام تقليل
الاقسام عد تلك الهيئة المشبه بها من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند
استعماله فيما شبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة وسماها استعارة
تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث
الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم
من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما
اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة
فقد سلكوا مسلك التأويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا
عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها

بهمزة تخفيفا كما قيل لوقة في الالوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك
لا يكاد يجمع بينهما واما في قوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فشاذ
سموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب
بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
وبعضهم الى انه ماخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت
الفا سموا بذلك لنسيانهم ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال سمي الانسان
انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للعهد او للجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر
في الموصول كانه قيل ومنهم او من اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم
كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدا باعتبار مضمونه او نعت لمقدر
هو المبتدا كما في قوله عز وجل وما منا دون ذلك اي وجمع منا الا ومن في قوله تعالى موصولة
او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول
كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي لا او فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الآية على ان
يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة وما يتعلق به
من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشائع
في موارد الاستعمال فيأباه جزالة المعنى لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به عار
عن الفائدة كما قيل بان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا مدار الجواب
بان الفائدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحق من يتصف
بها ان لا يعلم كونه من الناس فيخبر به ويتعجب منه وانت خبير بان الناس عبارة
عن المعهودين او عن الجنس المقصور على المصرين واياما كان فالفائدة ظاهرة بل لان خبرية
الظرف تستدعي ان يكون اتصاف هؤلاء بتلك الصفات القبيحة المفصلة في
ثلث عشرة آية عنوانا للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة
كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب لاحد في انه يجب حمل النظم الجليل على
اجل المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظ من وجمعه في قوله تعالى
آمنا بالله وباليوم الآخر وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت
الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه

وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه
واحاطوا به من طرفيه وانهم قد امنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا
تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا في الحقيقة اذ
كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوه لو صدر
عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه
تمويها على المسلمين واستهزاء بهم **وما هم بمؤمنين** رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه
وما حجازية فان جواز دخول الباء في خبرها لتأكيد النفي انما هو لخلاف التميمية واثبات الجملة
الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء
الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية ولا يتوهم ان الجملة
الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها تفيد الدلالة على
نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف
الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار
الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل
واطلاق الايمان على ما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا عن الايمان
بما ذكر وقد جوزوا ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور ومدلول الآية الكريمة
ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تكلم
بالشهادة فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه مؤمن **يخادعون الله والذين آمنوا**
بيان لتقولهم وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه
الذهن كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون اي يخدعون
وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ
فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان
يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة
على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي

بما يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب كذبهم او
بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين
فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم
وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا وتجويز ان يكون
محمولا على الظاهر بناء على رأي من جوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قوله
ببذل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير اي لهم عذاب اليم بسبب
كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجبات العقوبة لما ان المراد
بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم
بسبب اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان
بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف وانما للرمز الى كمال سماجة الكذب
نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفرادها بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب
من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رض
وروي مرفوعا الى النبي صلعم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روي ان ابرهيم عم
كذب ثلث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعائد
محذوف اي بالذي يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبي صلعم او القرآن
وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه عم او القرآن او موصولة والعائد محذوف اي
بالذي يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في
بين في بان وقلص في قلص او للتكثير كما في موتت البهائم وبركت الابل وان
يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق
متوقف متحير متردد في رأيه ولذلك قيل له مذبذب
شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق
واذا ظرف زمان مستقبل يلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او
المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل معناها الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة
لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء
عن الحالة اللائقة به والصلاح مقابله والفساد في الارض تهييج الحروب والفتن المستتبعة لزوال

الاستقامة على احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما
يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون
الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم
على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الاعراب
ولا بأس بتخلل البيان او الاستئناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس بتوسط
بالاجنبي وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من
جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض ارادوا للناهين ان ذلك غير صادر
عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا كما سياتي
توضيحه اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد
والفساد وتصدير الكلام بكلمة انما ايذان بان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه
واما كلام مستانف مسوق لتعديد شنائعهم واما عطف على يكذبون بمعنى ولهم عذاب
اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا
النوع من التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف
غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى
بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكى عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر او
لذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما في قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتما نسيان
جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما في
ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الآية وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية
الى غير ذلك ولا ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها
ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب اليهم عند السامع بشيء من الوجوه المذكورة حتى
يستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذا حقها ان تكون مسوقة على سنن التعديد
تباحيهم على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا او استقلالا
كيف لا وقوله عز وجل الا انهم هم المفسدون ينادي بذلك نداء جليا
فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادل على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك

في انهم فيما يذرون لا يباشرون الا مضارة للدين وخيانة للمؤمنين فاذن طريق حل
الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون يحتمل الحمل على الكذب وانكار صدور الافساد
المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه من الافساد وقد
خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم وارادة لارادة هذا المعنى وهم مروجون على المعنى الاول
فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم المفسدون الآية والله سبحانه اعلم بما اودعه في تضاعيف كتابه
المكنون من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق وتفصيل
الآية الكريمة بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولان الوقوف
على ان المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى
الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه من الفتنة والافساد وما يترتب عليه من
كون من يتصف به مفسدا فامر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة
الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لتباين احوالهم
وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين وما صدرت به قصتهم تحرير
مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض ههنا لمتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرير
روي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين فقال ابن ابي انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد
ابي بكر رض فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله
في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رض فقال مرحبا
بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله عليه السلام
ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه
وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي رض يا عبد الله
اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله فقال له مهلا يا ابا الحسن اني تقول هذا
والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني
فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما
عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت واللقاء
المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته واستقبلته وقرئ اذا لاقوا

من خلوت الى فلان اى انفردت معه وقد يستعمل بالباء او من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى في قوله الى شياطينهم لتضمنه معنى الانهاء اي واذا انهوا اليهم السخرية الى وانت خبير بان تقييد قولهم المحكي بذلك الانهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون لهم للشياطين في التمرد والفساد المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية فوزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة فوزنه فعلان على انه من شاط اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق قالوا انا معكم اى في الدين والاعتقاد لانفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه او الثبات عليه انما نحن مستهزئون اي في اظهار الايمان عند المؤمنين بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة وهو استيناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزئون بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تأكيد لما قبله فان المستهزئ بالشئ مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشئ السخرية منه يقال هزئت واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته اي تسرع به وتخف الله يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة في اللفظ او للمقارنة في الوجود او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء او الغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبما روي انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون

الحاصلة لكل احد بانه ان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء وليس حمله على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من شناعة في اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى هنا ضائعا وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل بروعة الترشيح الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه في التورية من نعوته عليه السلام وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فان اضاعته مضاعفة فما ربحت تجارتهم عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استشف فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته لما يلابسهم وايرادها اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسارة التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد للاشباع في التخسير والتحسير ولا يقدح في ذلك ان التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلال على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة اذ ليس من ضرورة الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما في قولك رايت اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا

لا اصل الاستعارة كما في قوله فلما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ للرأس واللحية او للفودين اعني جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمر ترشيح لتينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم **وما كانوا مهتدين** اي الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان رأس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتيب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا **مثلهم** الا زيادة كشف لحالهم وتصوير لها غب تصويرها بصورة ما يؤدي الى الخسار بحسب المآل بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابراز لها في معرض المحسوسات الجلية وابداء للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي في هيئة المألوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مِثل ومَثل ومثيل كشِبه وشَبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك القول الا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا اي التسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة او قصة لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينهما وبين شيء آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة **كمثل الذي** اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى **استوقد نارا** نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة لوصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم

لو لم يكن هناك قرينة تحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم **فهم لا يرجعون** الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لتشريح السمع والنطق ولا لاختلال مشاعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر كما هي بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكانهم لا يرجعون ولا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدؤا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم فالضمير للمستوقدين **او كصيب** تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شأنه الامثال ويرخى في حلبته اعنة المقال ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد ان يوفى فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعى عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما ستعرفه من الضمائر المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب وكلمة او للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتأثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ عفا آية نسج الجنوب مع الصبا واسحم دان صادق الرعد صيب ولعل الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره

لا انه اريد به نوع منه شديد هائل كان في التمثيل الاول وامده بما فيه
من المبالغات من جهة مادته الاولى التي هي الصاد والمستعلية والياء المشددة و
الثانية اعني الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال
على الثبات وزي او كصائب **من السماء** متعلق بصيب او بمحذوف
وقع له صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من
سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان
وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها
اي كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد ارض بيننا وسماء كما
ان كل طبقة من طبقاتها سماء قال الله تعالى واوحى في كل سماء امرها والمعنى انه صيب
عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف
الماهية **فيه ظلمات** اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر و
ظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع
ان بعضها لغيره لظلمتي الغمام والليل لانهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته
وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام
وهو السر في عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل
او كظلمات فيها صيب الخ لما افاد ان الصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها
ورعد وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك
اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح
اياه سوقا عنيفا **وبرق** وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اي لمع
وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في
اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين
في الكل للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق
خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل اتفاقا وقيل
بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده
من الجار ومن المستكن في الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر في

ويتخطف الناس من حولهم **كلما اضاء لهم** كلما ظرف وما مصدرية والزمان
محذوف اي كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف
اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل فيه جوابها وهو استئناف ثالث كانه قيل
ما يفعلون في اثناء ذلك الهول أيفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا فقيل كلما
نور البرق لهم ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما لمع لهم على
انه لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء **مشوا فيه** اي في ذلك المسلك او في مطرح نوره
خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي
والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما **واذا اظلم عليهم** اي خفي البرق واستتر
والمظلم وان كان غيره لكن لما كان الاظلام دائرا على استتاره اسند اليه مجازا تحقيقا
لما اريد من المبالغة في موجبات تخبطهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل و
ما جاء في قول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب
ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول **قاموا** اي وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه
من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء
الى ملجأ يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي
مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة
على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم** كلمة لو لتعليق
حصول امر ماض هو الجزاء لحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة
او ادعاء ومن قضيته مفروضية الشرط دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر واما
دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذي لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران
كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لاستحالة
ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في مادة الدوران الكلي كما في قوله عز وجل
ولو شاء لهداكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشيئة علة
لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية
فانتفى معلولاهما حتما ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في
المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني

لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على
انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فساد السماء لازم لتعدد الالهة حقيقة وعدم
سبق المؤمنين اياهم الى الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازمين المتعلقين
انتفاء الملزومين حقيقة في الاول وادعاء باطلا في الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم
لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة
الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم
انه لانتفاء الاول لانتفاء الثاني واما ما ذكره الدوراني كما في قولك لو طلعت الشمس
لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود اي ضوء كان
كضوء القمر المجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشي من الطلوع
ولا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا
بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار آخر له اولا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال
ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا
قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه
في الحقيقة معلق بسبب آخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو هو ليس مدارا للوجود
الضوء في الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقق مدار آخر له فكانه قيل
لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب آخر كالقمر مثلا ولا ريب في ان هذا الجزاء منتف عند
انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء الذي عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة
تعين عدم الدلالة كما في قوله عليه السلام في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي
انها لابنة اخي من الرضاعة فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه من
الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبة عليه السلام بل مجامع له ومن ضرورته
مجامعة اثريهما اعني الحرمة الناشية من كونها ربيبة عليه السلام والحرمة الناشية من كونها
ابنة اخيه من الرضاعة وان لم يعتبر هناك تحقق مدار آخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه
فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا والمساق الكلام الى بيان ثبوت الجزاء على
كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله

واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة تحاكي هيئة كل واحد من الاولين
بما يضاهيها من الاخرين هو الذي تقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة
شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زائد عليه هو تشبيه الهيئة بالهيئة
وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان تكون مثلا في
الغرابة

يا ايها الناس اعبدوا ربكم

اثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم
وتحزب الناس في شانه الى ثلث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع و
الاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة
والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم من المصير
والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها للقلوب نحو التلقي
وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به
ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا
كما في قول الداعي يا الله يا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه
واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد
يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى بشانه واي اسم مبهم جعل وصلة
الى نداء المعرف باللام لا على انه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة له مزيلة
لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت
بينهما كلمة التنبيه تاكيدا لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه و
لما في هذه الطريقة من استقلال بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كثر سلوكها
في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرائع
وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الآبية
ويتلقوها باذان واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد في
الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما ان الجموع
واسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كما في
قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بعمومها شائعا ذائعا
واما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه

لما تواتر من دينه عليه السلام ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من ضرورة اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الامر لما ان المامور به القدر المشترك بين انشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها ولا في انتفاء شرطها في الاخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا تتم الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلوة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لانها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروي عن ابن عباس رضه ان كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا ينافي كون بعض من النوعين الاخيرين ممن لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم بسوء اختيارهم كذلك لا ان كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر اصلا ثم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة **الذي خلقكم** صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف **والذين من قبلكم** عطف على الضمير المنصوب ومنتظم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل

مع كونها عبارة ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الايات التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الايات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل **الذي جعل لكم الارض فراشا** وهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح او في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدا قال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشاء كما في المنادى وحذف المبتدا في المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدا خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم شانا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول لو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحيا حقيقيا فان كريتها لشكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا **والسماء بناء** عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماءة او سماوة والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امراته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امراة ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء ماء** عطف على جعل اي انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روي ذلك عنه عليه الصلوة والسلام

او المراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار وهو على
الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع
حالا من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف على
الوجه الاول مع ان حقه التاخير عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله ومبداه
واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى
اي بسبب الماء وذلك بان اودع في الماء
قوة فاعلية وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان
اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المتخالفة على المادة الممتزجة منهما وان
كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء
بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل في انشائها
متقلبة في الاحوال ومتبدلة في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار
عبرا ومزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن
للتبعيض لقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني ماء ورزقا
كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم
وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا
جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له
او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات
مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وانما شاع ورود الثمرات
دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك
ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يتعاقب بعضها موقع
بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلثة قروء او لانها محلاة باللام
خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى
المرزوق اي رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه
قيل رزقا اياكم اما متعلق بالامر الذي مر ترتب عليه
كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال

الاحتمال كان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا
مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل
الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الا تشير اليه فيما سلف من المبالغة
في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه
والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه
واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به
لا قوته وكثرته ومن في محل ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على
السببية ربما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت
او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا على القدر المشترك بينه وبين ابعاضه و
ليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه
وحيا منزلا من عند الله عز وعلا وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال
لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم
كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف به كانه
قيل ان ارتبتم في شان ما نزلنا على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه
ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى
غاية ما يكون في التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع
الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده
لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء
عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له و
مهيمنا عليه والامر في قوله تعالى من باب التعجيز والقام الحجر كما في قوله تعالى
فات بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر او الاتيان بالسورة لما
من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كانه
قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه
سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن المعظم المترجمة واقلها ثلث آيات وواوها اصلية
منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون

رائه من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط
حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار فان سور القرآن كونها في انفسها
رتبها من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع
اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القاري شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة
فمعناها البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى **من مثله** بيانية متعلقة بمحذوف
هو صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة
والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية
يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فأتوا ببعض ما
هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدار العجز مع
انه المراد وبناء الامر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء
لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم بابائه ما سبق من تنزيله لا ريب فان مبنى التهكم على تسليم
ذلك منهم وتسويغه ولو بغير جد وقيل هي زائدة على ما هو رأي الاخفش
بدليل قوله تعالى فأتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير
للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان
بشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية
والعربية والامية يهون الخطب في الجملة على ان تخصيص التحدي بمن شاركه عليه السلام
فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمأمور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما
يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين مع انه يستدعي عراء المنزل عما فصل من
النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدي امة جمة وامرهم بان يحتشدوا
في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى **وادعوا شهداءكم**
[illegible] ويتعاونوا على الاتيان بما يدانيه في صفات الكمال لما اتى بجملة
واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر
ومعنى دون ادنى مكان من الشيء يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا
ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل
والرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط

وعدم تناوله لاولئك الشهداء وايهام انهم توصلوا للمعارضة واتوا بشيء احتاجوا
في اثبات مثليته للمتحدى به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك **ان كنتم صادقين**
اي في زعمكم انه من كلامه عليه السلام وشرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه
اي ان كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله واستلزام المقدم للتالي من حيث ان
صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام
في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة
المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام لا سيما
عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان
به ودواعي الامر به **فان لم تفعلوا** اي ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما
بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول
راكبين متن كل صعب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء
على كمال ظهوره كأنهم على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل
المأمور به مفعولا له للايجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر سري استدعاه
المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المأمور به لاظهار عجزهم
عنه لا لتحصيل المفعول اي المأتي به ضرورة استحالته وان مناط الجواب في الشرطية
اعني الامر باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ
الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية من غير اعتبار تعلقاتها بمفعولاتها
الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه
من القوة الى الفعل واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق
وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد
الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا
معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع ويرشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تأتوني
به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتوني باخ لكم من ابيكم فانه لما كان
مقصود يوسف عليه السلام بالامر والمرمى غرضه بالتكليف استحضار بنيامين لم
يكتف في الشرطية الداعية لهم الى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المأمور به بالاشارة

الاجابة اي الفعل الذي ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا بل اعادة بعينه متعلق
بمفعوله تخفيفا للطلبة واعرابا عن مقصده هذا وقد قيل اطلق الفعل واريد به
الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها
حذرا من التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح
للانتقال بمعونة قراين الحال فتدبر وايثار كلمة ان المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم
بعدم فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكم بهم **ولن تفعلوا**
كلمة لن لنفي المستقبل كلا الا ان في لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان
وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب لتاكيد المذكور وهي احدى
الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لايجاب
العمل بتاليها وهي معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك
كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف **فاتقوا النار**
جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه
عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار
كونه منزلا من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية
المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة
بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار لكمال العناية بتحذير المخاطبين منه
وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكني عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى
حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزومكم
العناد وترككم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار **التي وقودها الناس والحجارة**
صفة للنار مورثة لها زيادة هول وفظاعة
اعاذنا الله من ذلك والوقود ما يوقد به النار وترفع من الحطب وقرئ بضم الواو
وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى
انها من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب او يابس الا احرقته لا كنيران الدنيا
تتقوى في الالتهاب وتتقد من حطب وحشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول
مقتضية لكون انتسابها الى ما نسبت اليه معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوه من اهل

انفسها وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة اخرى
لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا
وصف لها باعتبار اهلها المتنعمين بها او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة
كانه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها كثمار
جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن
الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا
مبتدئا من الجنات مبتدئا من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدا من الجنات
وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدئا من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية
ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم على المبين كما في قولك رايت منك اسدا
وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء
لا ينقطع فانك وان اشرت الى ما يعاينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم
المستمر فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم
الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمرة الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه
فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غير معروف وليتبين لها مزيته وكنه النعمة
فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من
قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن رض ان احدهم يؤتى بالصحفة
فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد
والطعم مختلف او كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ان الرجل من
اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول
انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترددهم هذه المقالة كل مرة رزقوا لا فيما عدا
المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من
حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا من
اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رض من انه ليس
في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة

والحسن والمزية لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء
منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الآية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة
بمقابلة رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة لحال فيجوز ان يريدوا هذا
ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات
فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب واتوا به متشابها
اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا
في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير
وعلى الثاني الى الرزق ولهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال
المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهر يستعمل في الاجسام
والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة
وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على
اللفظ والافراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة
ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى
واما التطهر فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر
والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد
الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم
عن الاولاد كما ان المدارية لبقاء الوجود ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى
يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة وهم فيها خالدون اي دائمون والخلود
في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء
الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد في
قوله عز وعلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد ههنا
الدوام قطعا لما يقتضيه من الآيات والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة
من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مداره
قياس ذلك العالم الكامل بما نشاهده في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها
الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متقاومة

تعالى كذلك استعمال الامثال في مضاربها تطبيقها لما كان المضارب قوالب
لضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى انها بنيت لتحبيها بعد ان لم تكن كذلك
بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء كان انشاؤها كعامة الامثال النثرية
فان مضاربها قوالبها او قبل ذلك كسائر الامثال السائرة فانها وان كانت
مصنوعة من قبل الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند
الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به لجامع الالصاق لكن من يستعملها
يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب
على تقدير تعديه بنفسه النصب على المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند
الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها و
مثلا مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا و
كما في قولك اعطني كتابا ما كانه قيل مثلا ما من الامثال اي مثل كان فهي صفة
لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة
بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب
ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما
موصولة صلة لها محذوفة الصدر كما في قوله تماما على الذي احسن على قراءة
الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحلها على الوجهين النصب
على انه بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا
كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل
قيل ما بعوضة واي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها
واحقر كجناحها على ما وقع في قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله
جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو
القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش
وهو الخدش فما فوقها عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة
وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى

على تقدير كونها موصولة او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف
على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيئ
فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زايدة وبعوضة
خبر لمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين و
التخصيص فلا يخل بالشيوع بل تقرره ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما
الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة
لكن لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما ثانية
خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي
شيء فوقها في الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال
الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها حين
ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في القلة كنخبة
النملة بقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة
وما تجاوزها في الالم كالخرور كما يحكى من الخرور فاما الذين آمنوا شروع في تفصيل
ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيته صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب
ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضرب فاما الذين الخ وتقديم بيان حال المؤمنين
على ما حكي من الكفرة مما لا يفتقر الى بيان السبب وفي تصدير الجملتين باما من احماد امر المؤمنين
وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء
ولذلك تجاب بالفاء وفايدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد
تذكر جميعا وقد تقتصر على واحد منها كما في قوله عز من قائل فاما الذين في قلوبهم زيغ الخ قال
سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فهو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة و
كان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر
وعوض المبتدا عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما ان المراد بالموصول
الآتي فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلاف المعنى اي فاما المؤمنون
فيعلمون انه الحق من ربهم كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته

الآخر من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان
قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه
مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كانت افعال العباد من حيث الكسب
مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه التصريح بالسبب
وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا على البناء للمفعول وتكريره مع جواز الاكتفاء بالاول
لزيادة تقرير السببية وتأكيدها وما يضل به الا الفاسقين اي بالمثل وضربه
عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم
القبيحة المستتبعة له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت
على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون
على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها
والفارة من جحرها اي خرجت قال رؤبة يذهبن في نجد وغورا غائرا فواسقا
عن قصدها جوائرا وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي
من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلث الاولى التغابي وهو ارتكابها احيانا
مستقبحا اياها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها
وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه
بالتصديق الذي عليه يدور الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن
تكذيب الحق وجحوده لم يتسن لهم ادخال الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي
المؤمن والكافر لمشاركته لكل واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين ههنا
العاتون الماردون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي عنهم ما حكي من انكار كلام الله
والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبائح
للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم
عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة
الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا
الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير لما هم عليه من الفسق

والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله
في ابطال العهد من حيث استعارة الحبل لما فيه من ارتباط احد كلامي المتعاهدين
بالآخر فان شفع بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد
كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال
شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر
في افاضته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد
هنا اما العهد المأخوذ بالعقل والحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده تعالى
ووحدته وصدق رسوله عليه السلام وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى او المعنى الظاهر منه او المأخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم
اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره
في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظائره وقيل عهود الله تعالى
ثلثة الاول ما اخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا على ربوبيته والثاني
ما اخذه على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث
ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه** الميثاق اسم لما
يقع به الوثاقة والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان
رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ
الجلالة يراد به آياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين
اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني
للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام او من بعد ان وثقه الله
بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه
موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع
الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك
الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى

وتأكيد له من الحيثيتين المذكورتين من غير سبكه عن سبك ما قبله مع اتحادهما
في المقصود وابانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق من بدء ذاتهم من الاحياء
والاماتة والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعاشهم
وما يجري مجراه وفي جعل الضمير مسندا او الموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى
وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه
كما سلف اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم
بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال بها على شؤونه الصانع تعالى شانه و
الاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة وآلامها وما يعم جميع ما في
الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو ثم يعم كل جزء
من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول
الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم
له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس
اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس في العالم شيء مما يتعلق به
النظر وما لا يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى
رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل

ثم استوى الى السماء اي
قصد اليها بارادته ومشيته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه
من ارادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك مأخوذ من قولهم استوى
اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا لما ان العدم تحققه في خلق السفليات لما روي
من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضي الله عنه خلق الله تعالى
الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان
وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى
كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى
استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما فيه من المزية والفضل
على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض المتأخر عن دحوها
مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن رضي الله عنه

[illegible]

والمراد بالسماء إما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي
سابقة الوجود واما جهات العلو **فسواهن** اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء
مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى
ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن
بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس
وقيل هي جمع سماءة او سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى جل وعلا
سبع سموات كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتاخير
ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على
كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح
الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية
ما لا يحصى هذا ما قالوا وسيأتي في تمام السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى
وهو بكل شيء عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض
وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء
ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه
على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد **واذ قال ربك** بيان
لامر آخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام
وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر
والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في
الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي عليه السلام
خاصة للايذان بان فحوى الكلام ليس مما يهتدى اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي
نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من الانباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع
فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى مثلها
ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم

[illegible]

واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك
عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المحاربون مع ابليس حين بعثه الله عز وعلا لمحاربة الجن
حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا قد
اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف
الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزائن الجنة فكان
يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان
من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم انهم كل الملائكة
لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى **اني جاعل في الارض خليفة** في حيز
النصب على انه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها
ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى
التصيير المتعدي الى المفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على
ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول
وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض
خليفة ثم مصير في الارض خليفة فمعناه بعد التنبيه والتيه اني جاعل خليفة من الخلائف
وخليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف
ولا ريب في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار
بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فاذن قوله تعالى خليفة
مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما
اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على
القرينة الدالة عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله
لكم قياما حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله
ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول
الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا تحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب في
تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه
في اثناء ذكره عليه السلام على ما سنفصله كانه قيل اني خالق بشرا من طين

[illegible]

وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا
جاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب
الملائكة عم قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة
اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر
ولا عهدوا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت
وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية
عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة يدل عليه فما ظنك بما نحن فيه وثمة
قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة
وحال الظرف في التعلق والتقديم كما مر فحينئذ لا يكون ما سيأتي من كلام الملائكة
مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض
خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض
ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم
والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به
اما آدم عم وبنوه وانما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر
القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما من يخلف او يخلف
فيعمه عم وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه في اجراء
احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك
بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم بقبول الفيض بالذات فتختص بالخواص
من بنيه واما الخلافة ممن كان في الارض قبل ذلك فتعم في الجميع **قالوا** استئناف
وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة فقيل قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها وهو اما من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيها
ما قيل في الاول والظاهر ان الاول كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق
كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكرنا قال قائلهم لا تحسبنا على غرابك انا طالما قد
وشى بنا الاعداء بحذف المفعول الثاني اي لا تحسبنا جازعين على غرابك والمعنى اتجعل
فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مرارا والثاني

مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل ويكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال
هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشأنهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما
ولكنهم مترددون في انها ماذا اهي امر راجع الى محض حكم الله عز وجل او الى فضيلة من
جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم
ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته ويتزاح
شبهتهم بالكلية **وعلم آدم الاسماء كلها** شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب
الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لابهامه وهو عطف على قال في الابتداء لحكاية التعليم
بظاهره على ان ما مر من المقاولة والمحاكاة انما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه و
هو الانسب بوقوف الملائكة على احواله عليهم السلام بان قيل اثر نفخ الروح فيه
اني جاعل اياه خليفة فقيل ما قيل كما اشير اليه وايراده عم باسمه العلمي لزيادة
تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو اسم
اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعاذر وعابر وفالغ لا افعل والتصدي
لاشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما
روي عنه عم من انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم
ولذلك اختلفت الوان ذريته او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق
ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم
باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات
والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه
او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان
والمراد هنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة
على المعنى مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه
ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة العلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه
من جهته كما مر في تفسير الهدى وهو السر في ايثاره على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان
على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر احقيته بالخلافة منهم عليهم السلام
لا ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا بمعنى تعليمه تعالى اياه

ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات
واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشأنه
كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات
فيتلقاها حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتنوعة على فطرته
المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس رضه
وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير رضه علمه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة
وحتى الجفنة والمحلب وانحى منفعة كل شيء الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما يكون
الى يوم القيامة وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى
متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات
والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين
الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه
عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملا مطوية عطف عليها المذكور اي
فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه الخ **ثم عرضهم على الملائكة** الضمير للمسميات
المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء
على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن او مسمياتها وفي الحديث انه تعالى
عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا
يتعرف منه احوال البقية واحكامها **فقال انبئوني باسماء هؤلاء** تبكيت
لهم واظهار لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير
واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء
اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما والمراد ههنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار
للايذان برفعة شأن الاسماء وعظم خطرها فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم
ان كنتم صادقين اي في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم
والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار
فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل من ان المعنى
في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان

قولهم اتجعل الخ وبما يكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا
افضل منهم روي انه تعالى لما خلق آدم عم رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن
ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسره ابليس في
نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وفي الآية الكريمة دلالة على شرف الانسان
ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم
يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به
وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها
ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو
الا من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة
عليهم السلام لانه اعلم منهم وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملائكة**
عطف على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف
على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه
الكلام اي اطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما في امثاله وتخصيص هذا القول بالذكر
مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المتصلة به للايذان
بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات
الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال وكذا اظهار
الملائكة في موقع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر
وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعا للضم للجيم في قوله تعالى **اسجدوا لآدم** كما قرئ بكسر الدال في
قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن
وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليه السلام
على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع
منهم في شأنه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشأنه او سببا
لوجوبه فكأنه تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني
بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام

كما في قول حسان رض أليس أول من صلى لقبلتكم وأعرف الناس بالقرآن والسنن
أو في قوله تعالى أقم الصلوة لدلوك الشمس والأول هو الأظهر وقوله عز وجل **فسجدوا**
عطف على قلنا والفاء لإفادة مسارعتهم إلى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي
عن وهب أن أول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة
عليهم السلام وقوله تعالى **إلا إبليس** استثناء متصل لأنه كان جنيا مفردا مغمورا
بألوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء
واحد منهم أو لأن من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي
وهو منهم أو لأن الجن أيضا كانوا مأمورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم
أو منقطع وهو اسم أعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الإبلاس وهو
اليأس قال إنه شبه بالعجمة حيث لم يسم به أحد فكان كالاسم الأعجمي واعلم أن الذي
يقتضيه الآية الكريمة والتي في سورة الأعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية
والتي في سورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الآية أن سجود الملائكة إنما ترتب على الأمر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته و
نفخ الروح فيه البتة وكما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد
الأمر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وعلا وإذ قال ربك للملائكة إني خالق
بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم أجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا
من طين إلى آخر الآية يستدعي بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الأمر التعليقي من غير أن يتوسط
بينهما شيء غير ما ينبئ عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح عم وقد روي
عن وهب أنه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تأخير وتأويل الأوليين بأن تحمل ما فيهما من
الأمر على حكاية الأمر التعليقي بعد تحقق المعلق به إجمالا فإنه حينئذ يكون في حكم التنجيز يأباه
ما في سورة الأعراف من كلمة ثم المنادية بتأخر ورود الأمر عن التصوير المتأخر عن الخلق
المتأخر عن الأمر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي على الرتبي أو التراخي في الإخبار أو بأن الأمر التعليقي
قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم إيجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه إنما حدث
بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد التيا والتي إلى أن ما جرى بينه وبينهم عليه السلام

أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين لا بترك الواجب وحده
فالجملة معطوفة على ما قبلها وإيثار الواو على الفاء للدلالة على أن محض الإباء والاستكبار
كفر لا أنهما سبب له كما يفيده الفاء **وقلنا** شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى
وبين آدم عم بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وإبليس من الأقوال
والأفعال وقد تركت حكاية توبيخ إبليس وجوابه ولعنه واستنظاره اجتزاء
بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف
وقتيهما فإن المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة إذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل
هو عطف على إذ قلنا بإضمار إذ وهذا تذكير لنعمة أخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر
وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى **يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**
للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص أصل الخطاب به عم للإيذان بأصالته
في مباشرة المأمور به واسكن من السكنى وهو اللبث والإقامة والاستقرار
دون السكون الذي هو ضد الحركة وأنت ضمير أكد به المستكن ليصح العطف عليه
واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود رضي وابن عباس رض
وناس من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أن الله تعالى لما أخرج إبليس من الجنة وأسكن
آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فألقى الله تعالى عليه النوم ثم أخذ ضلعا
من جانبه الأيسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند رأسه
قاعدة فسألها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن إلي فقال الملائكة
تجربة لعلمه من هي قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لأنها من المرء أخذت
فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لأنها خلقت من شيء حي وروي
عن ابن عباس رض قال بعث الله تعالى جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من
ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى أدخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على
خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لأنها المعهودة وقيل هي جنة بأرض
فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عم وحمل الإهباط على
الانتقال منها إلى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما أن خلقه عم كان في الأرض
بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه إلى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى

والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها
كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء
الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة
فوجب التوقف وترك القطع **وكلا منها** اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما
تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في
مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عم في الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه
رغدا صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها **حيث شئتما** اي اي
مكان اردتما منها وهذا اكثر اي اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه
التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة
للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى **ولا تقربا** بفتح الراء
من قرب الشيء بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري
قرب بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه **هذه الشجرة** نصب على انه
بدل من اسم الاشارة او نعت له بتأويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجرة
اي لا تأكلا منها وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب
عنه والمراد بها الحنطة او العنبة او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها احدث
والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر الشين الشجرة وتاء
تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح اليا **فتكونا من الظالمين** مجزوم على انه معطوف
على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي واياما كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما
من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة
ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله تعالى **فازلهما الشيطان عنها**
اي اصدر زلتهما اي زلتهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى
وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني
كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الازلال
اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكم على
شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا

ان يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك ان جئتني
فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان
بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل
ونصب الادلة الآفاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال او للجري على
سنن العظماء في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداي
منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب
اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه
لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا و
استشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد
والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما
لا بيان انتفاء دوامهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر
في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام
واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتأكيد وجوب اتباعه او لان المراد
بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية
والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا و
كذبوا بآياتنا** عطف على من تبع الى قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما
اوثر عليه ما ذكر تنصيصا على حال الضلالة واظهار الكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار
بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين
وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الآيات اليها لاظهار كمال
قبح التكذيب بها اي والذين كفروا بالرسل المرسلة اليهم وكذبوا بآياتنا المنزلة عليهم
وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا بآياته التي انزلها على الانبياء او اظهرها بايديهم من المعجزات
وقيل كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار
والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة توهمت آيات لها فعرفتها
لستة اعوام وذا العام سابع وتقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع

وَاَقِيمُوا الصَّلوٰةَ وَاٰتُوا الزَّكوٰةَ اى صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهم بمعزل من
كونه صلوة وزكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله وَارْكَعُوا مَعَ الرّٰكِعِينَ
اى في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها
من تظاهر النفوس في مناجاة وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود
وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع
السعدي لا تحقرن الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اَتَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبِرِّ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة
فيها للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول
جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة
الاقارب وبر في معاملة الاجانب وَتَنْسَوْنَ اَنْفُسَكُمْ اى تتركونها من البر كالمنسيات
عن ابن عباس رضه انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه
باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلات التي كانت تصل اليهم
من اتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم
كانوا يأمرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون
على المعصية وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونهما و
مدار الانكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه وَاَنْتُمْ تَتْلُونَ
الْكِتٰبَ تبكيت لهم وتقريع كقوله تعالى وانتم تعلمون اى والحال انكم تتلون التورية
الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم الآمرة بالايمان به او بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد
وترك البر ومخالفة القول العمل اَفَلَا تَعْقِلُونَ اى اتتلونه فلا تعقلون ما فيه
او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه
فالمبالغة من حيث الكيف او الا تتأملون فلا تعقلون فالانكار متوجه الى كلا الامرين
والمبالغة من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذي يشد به
وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الحراك سمي به النور الروحاني الذي به يدرك
النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية
كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل

الضر وكأنه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما
ان يكون قهرا اولا والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا اولا والاول الشفاعة
والثاني اما ان يكون باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو
ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر و
الجواب انها خاصة بالكفار للآيات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها
ويؤيده ان الخطاب معهم ولرد ما كانوا عليه من اعتقاد ان آباءهم الانبياء
يشفعون لهم وَاِذْ نَجَّيْنٰكُمْ مِنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ تذكير لتفاصيل ما اجمل في
قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الآلاء اى واذكروا وقت
تنجيتنا اياكم اي آبائكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان
تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك
وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم
وخاقان لملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد و
كان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا
عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج
فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر فرأى في ظاهره حملا من البطيخ بدرهم
وفي نفسه بطيخا بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى
السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذ منه
بطيخا فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم ومضى لوجهه ورأى اهل
البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع به وباء عظيم
فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم
تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع في
مقدار ثلثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت
فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب
فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد
وانما فعلت ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك

وتوجهت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره فدفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترنی امینا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وتراضى امرهم في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموا مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عم ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** اى يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء **سوء العذاب** اى افظعه واقبحه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لان فرعون رأى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعين الف مولود او تسعين الفا وقد اعطى الله عز وعلا نفس موسى عم من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة **وفي ذلكم** اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين على الاول معنى قوله تعالى **بلاء** محنة وبلية وكون استحيائهم اي استبقائهن على الحيوة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه تعالى محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما **من ربكم** من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عم وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا **عظيم** صفة لبلاء وتنكيرهم للتفخيم وفي الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر على المضار **واذ فرقنا بكم البحر** بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي واذكروا

بعدما اخذوا ايتسلون من الفداء الى العشي حتى دعا موسى وهرون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب **ذلكم** اشارة الى ما ذكر من التوب والقتل **خير لكم عند بارئكم** لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية **فتاب عليكم** عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عم لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شأن التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعد موسى عم قومه بقبول التوبة منه تعالى وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة **انه هو التواب الرحيم** تعليل لما قبله اى الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك** تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اى لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه التورية او تكليمه اياه او انه نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم **حتى نرى الله جهرة** اى عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل والمفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روي انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى عم ان يجمع سبعين رجلا ويخرج بهم الى الطور

يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشى كله فكلم الله موسى عم يأمره وينهاه وكلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سياتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة الاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى يشبه الاجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز ولا ريب في استحالته انما الممكن في شانه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كانهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عم ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك ورجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم يكن صعقة موسى عم موتا بل غشية لقوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم لعلكم تشكرون اي نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم من بأس الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليكم ظلها وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول اي قائلين لهم او قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح اي

ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما تعلق الفاء بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار وياباه ان المامور به اكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا لايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عم ولا تعثوا في الارض العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا في الفساد حال كونكم مفسدين وقيل انما قيد به لان العثي في الاصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العبث خلا انه غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول وحصول ما طلبوه مكانها اذ ياباه التوحش للوحدة بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روي انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها ونازعت انفسهم الى الشقاء فادع لنا ربك اي سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة يخرج لنا اي يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الامر مما تنبت الارض اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي في قوله تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال اي كائنا من بقلها الخ وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتت الارض من الخضر والمراد به اطائبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها والفوم الحنطة

وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال اي الله تعالى او موسى انكاراً عليهم وهو استيناف وقع جواباً عن سؤال مقدر كانه قيل فاذا قال لهم فقيل قال أتستبدلون اى تأخذون لانفسكم وتختارون الذي هو أدنى اي اقرب منزلة وادون قدراً سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوباً فيه وكونه تافهاً ذولا قليل القيمة واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعيد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة على ان الفها مبدلة من الهمزة بالذي هو خير اى بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل كما في التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله فبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعاً على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما قرر من صورة المناوبة اهبطوا مصراً امر وارد بيانا للدناءة مطلبهم او اسعافا لمرامهم اى انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او لتأويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضي غير منون وقيل اصله مصرائيم فعرب فإن لكم ما سألتم تعليل للامر بالهبوط اى فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشياء المسؤلة بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل ينالها كل احد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة والمسكنة اى جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان يضاعف جزيتهم وباءوا اى رجعوا بغضب متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى بغضب كائن من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اى صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة

من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب رجاعه الى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا الى كل واحدة منها مقصداً الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملاً بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم في حيز اسم ان ليس لهم في حيز خبرها عين ولا اثر فتأمل وكن على الحق المبين وإذ أخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اى واذكروا وقت اخذنا الميثاق منكم بالمحافظة على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال اي وقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة روى ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فأبوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اى احفظوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او لتنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طلباً لذلك وقدم تحقيقه ثم توليتم اى اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتأخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لما لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اى لولا ثبت

فضل الله تعالى عليكم ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اي عرفتم
وروى انهم امروا بان يتمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى
فيه اناس منهم في زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية
بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج
خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها
يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل
جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين اي جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على ان
خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجيز عمل كان في الظرف
والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لانه في معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت
صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا
والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد عز وجل وقرئ قردة
بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة والعقوبة
نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد
لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين
واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما
تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها
وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها
واذ قال موسى لقومه توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جناياتهم صدرت عن اسلافهم اي واذكروا
وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه
كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه فطرحوه على باب مدينة
ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم
بقاتله قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا
هل سارعوا الى الامتثال او لا فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم الزاي وقلب الهمزة واوا
وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اي اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوءا بنا او الهزؤ

لونها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيه اذا خلط بلونه لونا آخر
قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة عند ما سمعوا هذه النعوت
بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين
فان ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قدروها
ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة في المرات الثلث من غير مشارك
لها فيما عد في المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون
غيرها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
فذبحوها الفاء فصيحة كما في فانفجرت اي فحصلوا البقرة فذبحوها
وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا
اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه او اعتراض تذييلي ومآله استثقال
استقصائهم واستبطائهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط
اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل ما كادوا يفعلون
ذلك لغلاء ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال
اللهم استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ وشبت العجلة وكانت
من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا
لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير واعلم
انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال في آخر الامر
انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد
المأمور به آخر ذي اثير بل هو المعينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب والمبهمة ثم طرأ التغيير
الى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم
الى الاول تمسكا بان الضمائر في الاجوبة اعني انها بقرة الى آخره للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون
في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال انما هو عن البقرة المأمور بذبحها فيكون هي
المعينة وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوا انها معينة
خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها فرجعت الضمائر الى المعينة في
زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من اول الامر هي المعينة والحق

انها كانت في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل الامتثال اي لانه ظاهر النظم الكريم وتكرير الامر قبيل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة او وقد قال عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروى مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنه ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا من باب الاهتمام بالامتثال **وإذ قتلتم نفسا** منصوب بمضمر كما مرت نظايره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد القتل والتدارؤ اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصها بالاسناد دون ما مر من جناياتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اي اذكروا وقت قتلكم نفسا محترمة **فادارأتم فيها** اي تخاصمتم في شانها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر او تدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى الآخر واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل **والله مخرج ما كنتم تكتمون** اي مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع بين صيغة الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار واعمال مخرج لانه حكاية حال ماضية **فقلنا اضربوه** عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او بتأويل الشخص والقتيل **ببعضها** اي ببعض البقرة اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل باذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كأنه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان تنعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخصها من التوبيخ وانما حكى الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من الله عز وجل كالامر بالضرب لما ان جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عليه السلام والافتيات على رأيه **كذلك يحيي الله الموتى** على ارادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فضربوه فحيي

فالمنكر ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شئونهم المؤيسة عنهم تطمعون **ان يؤمنوا** فانهم متماثلون في شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتأتى من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا وهي مع ما في حيزها في محل النصب او الجر على الخلاف المعروف واللام في **لكم** لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية باذن الله تعالى **وقد كان فريق منهم** الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله تعالى **يسمعون كلام الله** خبر كان والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهى عنه **ثم يحرفونه** عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام الكبرياء بل **من بعد ما عقلوه** اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تأويلا فاسدا وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التوراة بعد ما احاطوا بها علما وقيل هم الذين غيروا نعت النبي عليه السلام في عصره وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على بعثه صلى الله عليه وسلم هذا

والأول هو الأنسب بالسماع والكلام اذ التورية وان كانت كلام الله تعالى لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لا سيما رؤساؤهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب حينئذ ان يقال يتلون الكتاب الله تعالى فالمعنى افتطمعون ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن ههنا ظهر ما في ايثاركم على الله من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل **وهم يعلمون** جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه او على الخطاء في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون **وإذا لقوا** جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنائع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما ستقف على سره لا لمنافقيهم خاصة كما قيل لتحد بالاتحاد الفاعل في فعلي الشرط والجزاء حقيقة **الذين آمنوا** من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **قالوا** اي اللاقون لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح الساكتين اولا العاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم **آمنا** لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت النبي عليه السلام في التورية وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتي **وإذا خلا بعضهم** اي بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين **إلى بعض** آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه آنفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولأن عتابهم متعلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولأن فيه زيادة تشنيع لهم

وعن علي رضي الله عنه هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستأنفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنائع الطوائف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما هو مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين او النفاق والنهي عن اظهار ما في التورية كما وقع من الفريقين الاخيرين اي ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة **لا يعلمون الكتاب** اي لا يعرفون التورية ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سباق النظم وسياقه **إلا أماني** بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كما في قوله تمنى كتاب الله اول ليله فاعلت اعلال سيد وميت ومعناها على الاول ما يقدره الانسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو عنهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الاماني على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم **وإن هم إلا يظنون** ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فاني يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن عقب ببيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة وبكشف كيفية اضلالهم لهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم **فويل** هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف

من الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى او بينه
وبينها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال
ابن عباس رض الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم و
روى ابو سعيد الخدري رحمه الله ورض عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في
جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب
انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت من شدة حره وقال ابن
بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من
ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدا خبره قوله عز وعلا الذين يكتبون الكتاب
اي المحرف او ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد لدفع توهم المجاز كقولك
كتبته بيميني ثم يقولون هذا اي جميعا على الاول وبخصوصه على الثاني
من عند الله روي ان احبار اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان
فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل
العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سالهم سفلتهم
عن ذلك قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عم فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي
فان نسبة المحرف والتاويل الزائغ الى الله سبحانه صريحا اشد شناعة من نفس التحريف و
التاويل ليشتروا به اي يأخذوا لانفسهم بمقابلته ثمنا هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة
ما فعلوا من التحريف والتاويل وانما عبر عن المشتري الذي هو المقصود بالذات
في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات
وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات قليلا لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل
قليل عند ما يستوجبونه من العذاب الخالد فويل لهم تكرير لما سبق للتاكيد وتصريح
بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراد بعضه في حيز الصلة
وبعضه في معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل مما كتبت ايديهم
تعليلية متعلقة بويل او بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف
اي كتبته او مصدرية والاول ادخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف

لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الاشعار
بالتعليل هم فيها خالدون دائما ابدا فاني لهم التفصي عنها بعد سبعة ايام
او اربعين كما زعموا ولا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها
بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام
التهويل
والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة
في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل شروع في تعداد بعض آخر من قبائح اسلاف
اليهود تماديا بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبي عم و
المؤمنون ليؤديهم التأمل في احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم او اليهود الموجودون
في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اي اذكر واذا اخذنا ميثاقهم لا تعبدون
الا الله على ارادة القول اي وقلنا او قائلين لا تعبدون الا وهو لخبار في معنى
النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول له كيت
وكيت وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء
عما نهي عنه فكانه انتهى فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه
وقيل تقديره ان لا تعبدوا الا فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا
الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويعضده قراءة ان لا تعبدوا
فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى
كانه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا
متعلق بمضمر اي وتحسنون او احسنوا وذي القربى واليتامى
والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين
مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب وقولوا
للناس حسنا اي قولا حسنا سماه حسنا مبالغة وقرئ كذلك وحسنا
بضمتين وهي لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد ما فيه تخلق وارشاد
واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ان جعل صيغة الطلب
بما فرض عليهم في شريعتهم

خطابا للنبي عليه السلام والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم ح على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة لاسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كانهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا التعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولي بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اى اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه **الا قليلا منكم** وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه **وانتم معرضون** جملة تذييلية اى وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض **واذ اخذنا ميثاقكم** منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعى عليهم اخلالهم بمواجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على نهج النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراه على سبيل الامر فان المقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التورية وقوله تعالى

لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم

كما قبله اخبار في معنى النهي غير السبك اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسبا ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سياتي من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتاكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم

مناط التوبيخ كونهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعي في المقام الخطابي اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما واو ليس في ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا ايمانهم بالبعض مع كونهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ولا مجرد كونهم بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال افتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس **فما جزاء من يفعل ذلك** ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى **منكم** حال من فاعل يفعل **الا خزي** استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية **في الحيوة الدنيا** في حيز الرفع على انه صفة خزي اي خزي كائن في الحيوة الدنيا او في حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض **ويوم القيمة يردون** وقرئ بالتاء او ثم صيغة الجمع نظرا الى معنى من بعدما اوثر الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع **الى اشد العذاب** لما ان معصيتهم اشد المعاصي وقيل اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيامة للايذان بكمال التنافي بين جزائي النشأتين وتقديم يوم القيامة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر **وما الله بغافل عما تعملون** من القبائح التي من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تأكيد للوعيد **اولئك** الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **الذين اشتروا** اى اثروا **الحيوة الدنيا** واستبدلوها **بالاخرة** واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعودون اليهم منهم من بعض المنافع

الابنية الدنيوية ... فبوابا كان او اخرويا ولا هم
ينصرون بدفعه عنهم شفاعة او جبرا والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على
الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها
شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية للاظهار
كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية عن ابن عباس رضه ان التورية لما نزلت جملة واحدة
امر الله عز وجل موسى عم بحملها فلم يطق بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها
فخففها الله تعالى لموسى عم فحملها وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه به اذا اتبعه
اياه اي ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل
وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع و
يونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام
المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل
وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء
كالزير من الرجال وبه فسر قول روبة قلت لزير لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبا تندمه
ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اي قويناه وقرئ ايدناه بروح القدس
بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عم كقولك حاتم الجود
ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عم لم تضمه الاصلاب والارحام الطامث
وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قيل في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله
الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عم بالذكر ووصفه بما ذكر
من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التورية وتقريرها
واما عيسى عم فقد نسخ بشرعه كثيرا من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه
عليه السلام ببيان حقيته واظهار كمال قبح ما فعلوه عليه السلام
من اولئك الرسل بما لا تهوى انفسكم من الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه من هوي
كرضي اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء
النفس والموافقة لها لا شيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة
لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا وللتعجيب من شأنهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب

وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو معلل بما سيأتي
من ان ينزل الله تعالى من فضله على من يشاء انما الذي بينه وبين علاقة هو كفرهم بما
انزل الله تعالى والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل
الذي هو الوحي ... اي يشاء ويصطفيه
المتأهلين لتحمل اعباء الرسالة وما له تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه واثبات صيغة
التفعيل ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثره حسب تكثره
اي رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسب ما اقترفوا
من الكفر على كفر انهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عليه السلام بعد عيسى عم
وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين
اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين
يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على
طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصلوة والسلام
واذا قيل من جانب المؤمنين لهم اي لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه
لا سيما في لام التبليغ آمنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا والمراد به
الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث
مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان
بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اي نستمر على الايمان
بما انزل علينا يعنون به التورية وما انزل على انبياء بني اسرائيل عليهم السلام
لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما
انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل عم
وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما انه من بغيهم وحسدهم
على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التورية وما في حكمها
خاصة لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه
التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن
لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه عدم كونهم

مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نزل على واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وحذف الموصول عند الاخفش جائز وصوابه تعقيف الحي والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدا اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد به مجرد بيان ان افراد ايمانهم بما انزل عليهم لا ذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه وهو الحق اي الكتاب المسمى بالحقية الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة عاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اي احقه مصدقا والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حق مصدق لما معهم وماله انهم ادعوا الايمان بالتورية والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل لهم من جهة الله عز من قائل بيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اي قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتورية كما تزعمون فلاي شيء كنتم تقتلون الانبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبئاء الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اي ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتاتى الا على رأي الكوفيين وابي زيد وقيل ان نافية اي ما كنتم مؤمنين والا لما تقتلونهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اي والله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي

بان مرادهم نوع خاص منها وهي الحيوة المتطاولة ولذا قرئ بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف عليه عنه اي واحرص من الذين اشركوا من حرص المشركين فقوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستيناف ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتدا محذوف خبره الظرف المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اي ومنهم طائفة يود احدهم لو يعمر الف سنة وهو حكاية لودادتهم كانه قيل ليتني اعمر وانما اجرى على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد الى احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم ممن يزحزحه اي يبعده وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وان يعمر مفسره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضميره لفساد المعنى او اعتراض واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اي عليم بخفيات اعمالهم فهو مجازيهم لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا من احبار اليهود حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن ينزل عليه بالوحي فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه

والآيات حتى تعقلونه وقيل أمر الله تعالى أن نجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي
أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدراس اليهود وكان يجلس إليهم
ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ما آتيكم
لحبكم ولا أسألكم لشك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم
وأرى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا
وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما
منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل أقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره
وهما متعاديان فقال عمر رضي الله عنه إن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولأنتم أكفر
من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله سبحانه
ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك
ربك يا عمر قال عمر رضي الله عنه لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وفي جبرئيل
لغات جبرئيل وجبريل وجبرئل وجبرال وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل كجبراعل
ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فإنه نزله تعليل لجواب
الشرط قائم مقامه والبارز الأول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن أضمر من غير ذكر إيذانا
بفخامة شأنه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شيء
من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فإنه القابل الأول له ومدار
الفهم والحفظ وإيثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى
قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة
بإذن الله بأمره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام
إلى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقا لما بين
يديه أي من الكتب الإلهية التي معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله تعالى
وهدى وبشرى للمؤمنين والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من أهل الكتاب
فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فإنه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم أو فالسبب في
عداوته تنزيله الكتاب مصدقا لكتابهم موافقا له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم
وجحدوا موافقته له لأن الاعتراف بها يوجب الإيمان به وذلك يستدعي انتكاس أحوالهم

كانوا يستفتحون به من قبل فإن ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به
عند مجيئه نبذا له كأنه قيل كتاب الله الذي جاء به فإن مجيء الرسول مجيء
عن مجيء الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه بالكلية مثل
بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه كأنهم لا يعلمون
جملة حالية أي نبذوه وراء ظهورهم متشبهين بمن لا يعلمه فإن أريد بهم أحبارهم
فالمعنى كأنهم لا يعلمونه على وجه الإتقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته عليه السلام
ففيه إيذان بأن علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون أو كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله
أو لا يعلمونه أصلا كما إذا أريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة
في إعراضهم عما في التوراة من دلائل النبوة هذا وإن أريد بما نبذوه من كتاب الله
القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كأنهم لا يعلمون هو العلم بأنه كتاب الله
ففيه ما في الوجه الأول من الإشعار بأنهم متيقنون في ذلك وإنما يكفرون به مكابرة
وعنادا قيل إن جميع اليهود أربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها
كمؤمني أهل الكتاب وهم الأقلون المشار إليهم بقوله عز وجل بل أكثرهم لا يؤمنون
وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى
نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الأكثرون
وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا
الشياطين عطف على جواب لما أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة
التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلوا حكاية حال ماضية
والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والإقبال عليه بالكلية وإلا فأصل الاتباع
كان حاصلا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على
جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على أشربوا على ملك سليمان
أي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا
الأكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا
ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان
وما تم له ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الإنس والجن والطير والريح التي تجري بأمره

وقيل ان سليمان عم كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عليه السلام وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء **وما كفر سليمان** تنزيه لساحته عم عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به و التعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عم وكذب باهتيه بذلك **ولكن الشياطين** قرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا **كفروا** باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستانفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما استينافية فحسب واعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلث فرق فرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئية وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان تبلغ روحه بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات

وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شان سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان **فلا تكفر** باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النفي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشان النصح والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى وما انزل الخ نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيكون مثلا فيابأه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس مما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه **فيتعلمون منهما** عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى وما منكم من احد عنه حاجزين **ما يفرقون به** اي بسببه وباستعماله **بين المرء** وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الراء بلا همزة **وزوجه** بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عندما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعلمون به فيراه الناس ويعتقدون انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم **وما هم بضارين به من احد** اي بما تعلموه واستعملوه من السحر من احد اي احدا ومن مزيدة لما ذكر في قوله تعالى

وما يعلّمان من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حملت
الاسمية في ذلك على الفعلية كأنه قيل وما يضرون به من احد الا باذن الله
لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التأثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث
عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء
متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها
على النفي او الضمير المجرور في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ
بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور وفصل ما بين المضافين بالظرف
ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل
غالبا ولا ينفعهم صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع و
الضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب
من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة
وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية
وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
ولقد علموا اي اليهود الذين حكيت جناياتهم لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا
الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتدائية
علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى
ما له في الآخرة من خلاق اي من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة
في المبتدأ وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة
والتقدير ما له خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول
والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين
او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد وجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة
لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان
اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في
الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه
اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان مقسما عليهما و

والخير الوحي وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما سيأتي
بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال العناية به لانه
المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية
للاشعار بعليته لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم
تنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتوسلهم بذلك لسعادة الدارين
كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل
على النبي صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي عليه السلام
بل وصف مشترك بين الكل هو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند
المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان
ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء
الناشؤون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه
والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة
ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود ابدا
اشهر لاستهما في ذكرا ابتلائهم به لم يلزم من نفي وداد المشركين له
وزيدت كلمة لا لتأكيد النفي والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق
من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه
اهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى
بالرحمة قال علي كرم الله وجهه بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة
الافتعال للانباء عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى
ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به
اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصور اي يؤتي رحمته من يشاء من عباده ويجعلها
مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته عز وعلا تفضلا لا تتعداه
الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقدير
وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان
بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان

وما يتعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حملت
الاسمية في ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد الا باذن الله
لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التأثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث
عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء
متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها
على النفي او الضمير المجرور في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ
بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور وفصل ما بين المضافين بالظرف
ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل
غالبا ولا ينفعهم صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع و
الضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب
من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة
وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية
وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
ولقد علموا اي اليهود الذين حكيت جناياتهم لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا
الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتدائية
علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى
ما له في الآخرة من خلاق اي من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة
في المبتدأ وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة
والتقدير ما له خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول
والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين
او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد فجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة
لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان
اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في
الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه
اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان مقسما عليهما و

والخير الوحي وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما بعد
بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال العناية به لانه
المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية
للاشعار بعليته لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم
لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتوبيخهم بذلك لسعادة الدارين
كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل
على النبي صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي عليه السلام
بل وصف مشترك بين الكل هو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند
المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان
ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء
الناشؤون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه
والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة
ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود ابدا
اشهر لاستمالهم في ابناء ذكر ابتلائهم به لم يلزم من نفي ودادتهم ما ذكر نفي ودادة المشركين له
وزيدت كلمة لا لتأكيد النفي والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق
من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمة الوحي كما في قوله سبحانه
اهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته الى تعالى
بالرحمة قال علي كرم الله وجهه بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة
الافتعال للانباء عن الاصطفاء واياره على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى
ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا
اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصور اي يؤتي رحمته من يشاء من عباده و
مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته عز وعلا تفضلا الى تعدية
الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقدير
وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان
بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان

من نحو ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة وابانته و
تصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونيهما وكل منهما مستقلة بشأنها
فان الاضمار في الثانية ينبئ عن توقفها على الاولى ما ننسخ من آية او ننسها
كلام مستأنف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال
مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له رأسا قيل نزلت
حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد عليه السلام يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه
ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر اي ازالته و
نسخت الكتاب اي نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد
منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به
على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة
وننسأها من النسء اي نؤخرها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب
الرسول عم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها وقرئ ما ننسك
من آية او ننسخها والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها
او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل نأت بخير منها اي نوح اليك ما هو خير للعباد
بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها
اي فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار
في ما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز
النسخ كيف لا وتنزيل الآيات التي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب
ما تقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل حسب
تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في
حال اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام
الم تعلم الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه اليس الله بكاف عبده وقوله تعالى الم نشرح لك
صدرك والخطاب للنبي عليه السلام وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير ساد مسد
مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد
بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على ذلك النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من

على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك
امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيقة بان تقيد من المستلزمات
ويجعل مقدما للشرطية رد حالمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من
باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء
على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل
الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الاية فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم على القولين باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى
تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم
للكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص بن
عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر
بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فهو خير لكم
وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال
فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا
وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما
وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا
وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة كما في
قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها وما
بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف
تقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم وقوله تعالى
كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله
رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا • فرد شعورهن السود بيضا
ورد وجوههن البيض سودا • وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل في
الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه وعدم
كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسطه بين
المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف

للعاقل عن مباشرته وأما المماثلة الآن له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه
من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدًا علة لود او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين لكم
والحسد الاسف على من له خير بخيره من عند انفسهم متعلق بود اي ودوا ذلك
من عند تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او على زعمهم او بحسدا
اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق
من بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التورية من الدلائل وعلموا انكم متمكنون به وهم
منهمكون في الباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة والعقوبة والصفح ترك
التثريب والتأنيب حتى يأتي الله بأمره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير
واذلالهم بضرب الجزية عليهم والاذن في القتال وعن ابن عباس رضه انه منسوخ بآية السيف
ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا
كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ ان الله على كل شيء قدير فينتقم منهم
اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
عطف على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية
وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة او غير ذلك اي اي شيء من الخيرات
تقدموا لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم
ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد
للكافرين وقالوا عطف على ودوا والضمير لاهل الكتابين جميعا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا والنصارى لن يدخل
الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كل منهما الى قائله ونحوه
وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم باولئك من اقام اليهودية
والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجهها بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه
لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعوذ جمع عائذ وبزل جمع بازل و
الافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهوديا
او نصرانيا تلك امانيهم الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة
مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف

لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار
المساوات ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان
او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا
الحكم عام لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة
معينة في مسجد مخصوص روي ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى
ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية
وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى
بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس
لان فعلهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله
وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول
الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام
الحديبية فتعلقها بما تقدمها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة القائلين لكل من عداهم
ليسوا على شيء ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما منع الناس
ان يؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون
ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون مفعولا له اي كراهة ان يذكر فيها اسمه
وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل بانقطاع الذكر اولئك المانعون الظالمون
الساعون في خرابها ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما كان
ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها
او ما كان الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان
يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله تعالى
وقضائه فالآخرة الا كذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصر واستخلاص ما استولوا
عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى
الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف
الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة رحمه الله مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي اي لاولئك المذكورين

اي جزي فظيع لا يوصف بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم
ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو
ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزي
والعذاب لما مر من ان تاخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند
وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي
المشرق والمغرب لا يختص به مكان منها من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان
دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد الاقصى او المسجد الحرام فاينما تولوا
اي ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان
البعيد خاصة مبني على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ
والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي هناك جهته التي امر بها فان امكان التولية غير مختص
بمسجد دون مسجد او مكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي اي فهو عالم بما فعل فيه
ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا القبلة ان الله واسع
باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها
والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رض نزلت في صلوة المسافر على الراحلة
اينما توجهوا وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا
خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة
لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في جهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف آخر
من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت [illegible]
صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا
من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله
والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع
والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير بعض
مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا وسبح علم للتسبيح كعثمان للرجل
وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه تنزيها لائقا وفيه

اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين
ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الآية وفي تعريف
الآيات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي طلبوه ما لا
يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا آية فذة ونحن قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون
الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان
بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اي ملتبسا بالقرآن
كما في قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما في قوله تعالى احق هو وقوله تعالى
بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اي ارسلناك ملتبسا بالقرآن
حال كونك بشيرا لمن آمن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك
صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختاروا
لانفسهم ما احبوا لا قاسرا لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل
عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل
وقرئ لا تسأل على صيغة النهي ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلها كانها لغاية
فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحمله على
نهي النبي ع م عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتأجج من
النار وفي التعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم
وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة
هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى
الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتاكيد النفي لما مر من ان تصلب اليهود في
امثال هذه العظائم اشد من النصارى وللاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى
اي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم
ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه صلى الله
عليه وسلم من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم يفعلون

ما يفعلون بل اعلموا انه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام ملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عم وهذه حالتهم في انفسهم ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروا للنبي عم وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وان بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى صريح في ان ما وقع بعده جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلزمه من الدعوة الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اي آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من جهته العزيزة من ولي يلي امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط بينهما حرف النفي للتاكيد لا بين المعطوفين لتاكيد النفي وهذا من باب التهييج والالهاب والا فاني يتوهم امكان اتباعه عم لملتهم وهو جواب للقسم الذي وطأه اللام واكتفى به عن جواب الشرط الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له اولئك اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل يؤمنون به اي بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان

...

اي قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى الرواة الاخيرة فاعطاه الله تعالى ما ساله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الآيات وقوله عز وجل قال اني على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلاء التمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان اليه فبعد حكايتهما تترقب النفس لما وقع بعدهما كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال اني جاعلك للناس اماما او بيان لقوله تعالى ابتلى على راي من جعل الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب اذ بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اي وقال اذ ابتلي الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع واو كد منه لدلالته على انه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تاخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته وامامته عم عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباع ملته استيناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عم عنده فقيل قال ومن ذريتي عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا لمن يقول سأكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذروت او ذريت والاصل ذرووة او ذروية فاجتمع في الاولى واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت ياء فادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعيلة من ذرأ بمعنى الخلق منهما والاصل في الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احديهما بالسكون فصارت ذريية كالثانية فادغمت الياء في مثلها فصارت ذرية او فعيلة من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعيلة

من الذر بمعنى التفريق والاصل ذررية قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما
في تسرّي وتقضّي وتظنّي فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة
فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ ابو جعفر
المدني بالفتح وهي لغة فيها **قال** استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه
لا ينال عهدي الظالمين ليس هذا ردا لدعوته عليه السلام بل اجابة خفية لها وعدة
اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عم بنيل عهد الامامة حسبما وقع في استدعائه
من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه
بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير
اليه ولعل اثار هذه الطريقة على تعيين الجامعين لمبادي الامامة من ذريته اجمالا
او تفصيلا وارسال الباقين لئلا ينتظم المعتقدون بالائمة من الامة في سلك الجرح ومع ما في
تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا
يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة
الانبياء من ذريته عم كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون
وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن امامة ابراهيم عم تنال كلا منهم
وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما
ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم
صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى **واذ جعلنا البيت** اي الكعبة المعظمة غلب عليها
غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل
معطوف على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل **مثابة** اي مرجعا يثوب اليه
الزوار بعد ما تفرقوا عنه او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني
واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى **للناس** متعلقة بمحذوف وقع صفة
لمثابة اي مثابة كائنة للناس او بجعلنا اي جعلنا لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار
تعدد التائبين **وامنا** اي آمنا كما في قوله تعالى حرما آمنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل
للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن او على الاسناد المجازي اي آمنا من حجه عذاب الاخرة

الاصلي اولان المقصود في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على
واحد السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي
ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية
بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سياتي تفصيله هناك باذن الله تعالى
وارزق اهله من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها
ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه
الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عم بهذه الدعوة رفعها الله تعالى
فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها
بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام **من آمن منهم بالله واليوم الآخر** بدل من اهله بدل
البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشأن اهله ومراعاة
لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في حكايته ترغيبا وترهيبا
لقريش وغيرهم من اهل الكتاب **قال** استيناف مبني على السؤال كما مر مرارا
وقوله تعالى **ومن كفر** عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر
وقوله تعالى **فامتعه** معطوف على ذلك الفعل او في محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فامتعه خبره
اي فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق
لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن
عطف تلقين كانه قيل قل وارزق من كفر فانه ايضا مجاب كانه عم قاس الرزق
على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص
وقرئ فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه **قليلا** تمتيعا قليلا او زمانا قليلا
ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به
من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره
بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابراهيم عم وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء
على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق من آمن
فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة

واطّره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس **وبئس المصير** المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار وعذابها

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وجل وإذ قال إبراهيم على احد الطرفين المذكورين في وإذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنهما لما التأما صارا شيئا واحدا فكأنها نمت وارتفعت وقيل المراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة لما يبنى عليه وبرفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شأنها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطأ يعني جعل هيئة المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء روي ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وحج آدم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام فأمره سبحانه ببنائه وعرّفه جبريل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدل عليه فتبعها ابراهيم عليه السلام حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سبحانه سحابة على قدر البيت وسار ابراهيم في ظلها الى ان وافق مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في

او بمعنى التعريف اي بصّرنا او عرّفنا **مناسكنا** اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ أرْنا قياسا على فخْذ في فخِذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس **وتب علينا** استتابة لذريتهما او حكاية عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما **إنك أنت التواب الرحيم** وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته **ربنا وابعث فيهم** اي في الامة المسلمة **رسولا منهم** اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابراهيم بالاستجابة له لما انه الاصل في الدعاء واسمعيل تبع له عليهما السلام **يتلو عليهم آياتك** يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من البينات **ويعلمهم الكتاب** اي القرآن **والحكمة** وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة بحسب قوتهم النظرية **ويزكيهم** بحسب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي **إنك أنت العزيز** الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد **الحكيم** الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة المسؤول فان وصف العزة مقتض لافاضة ما تقتضيه الحكمة ووصف الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول **ومن يرغب عن ملة إبراهيم** انكار واستبعاد مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء **إلا من سفه نفسه** اي اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق او اهلك او جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه

بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ونحو قوله ونأخذ بعده بذناب
عيش اجب الظهر ليس له سنام وقوله وما قومي بثعلبة ابن سعد ولا بفزارة
الشعر الرقابا وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ
في اذلال نفسه واذلالها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان عبد الله
بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله
قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى
ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت **ولقد
اصطفيناه في الدنيا** اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ
صفوة الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم محذوف والواو
اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى
وانه في الآخرة لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير
والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره ولا حاجة الى
جعله اعتراضا او حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له
بالصلاح في الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه
اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل وايثار الاستمية لما ان انتظامه في
زمرة صالحي اهل الآخرة امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الآخرة والتأكيد بان
واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التأكيد اشد من
الامور التي تشاهد آثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست
بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره
كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا او بمحذوف
من لفظه اي وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين او من غير لفظه اي اعني في الآخرة
نحو لك بعد رغبا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتأخيرا
تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين **اذ قال له** ظرف لاصطفيناه
لما ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما
يتعلق بصلاح الآخرة او تعليل له او منصوب بما ذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف

بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك
الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته
التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور
او نصب على الاختصاص **ونحن له مسلمون** حال من فاعل نعبد او من مفعوله
او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق **تلك امة** مبتدأ وخبر
والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة التي تأمها فرق
الناس اي يقصدونها ويقتدون بها **قد خلت** صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت
عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها **لها ما كسبت**
جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير في خلت
وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة
المحكية لا تتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور
ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتدأة على الوجهين الاخيرين
اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم
ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل
في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولي ديني لا دينكم وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى
ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم
بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه
بان اعمالهم الصالحة مختصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم
انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا يأتيني الناس
باعمالهم وتأتوني بانسابكم **ولا تسألون عما كانوا يعملون** ان اجري السؤال
على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقريرا ظاهرا وان اريد به سببه اعني الجزاء فهو
تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له والمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن
الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية
هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل اي لا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشأن التنزيل كيف لا وهم

مستهزئون من كسب السيئات فمن أين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفاعه
شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو إضلالهم لغيرهم إثر بيان ضلالهم
في أنفسهم والضمير لأهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن باستيجاب حالهم لإبعادهم
من مقام المخاطبة والإعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم أي قالوا للمؤمنين
كونوا هودا أو نصارى ليس هذا القول مقول الكل ولا أي طائفة
كانت من الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء
مغنيا عن التصريح به أي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى ولم يفصل
بالنظم الكريم ما فصل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى
اعتمادا على ظهور المرام تهتدوا جواب للأمر أي إن تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وإرشادهم إليه
بل ملة إبراهيم أي لا نكون كما تقولون بل نكون أهل ملته عليه السلام وقيل بل نتبع
ملة إبراهيم وقد جوز أن يكون المعنى بل اتبعوا أنتم ملته عليه السلام أو كونوا أهل ملته وقرئ بالرفع
أي بل ملتنا أو أمرنا ملته أو نحن ملته أي أهل ملته حنيفا أي مائلا عن الباطل إلى الحق
وهو حال من المضاف إليه كما في رأيت وجه هند قائمة وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم
من غل إخوانا وما كان من المشركين تعريض بهم وإيذان ببطلان دعواهم
اتباعه عليه السلام مع إشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين
بعد خطابه عليه السلام برد مقالتهم الشنعاء على الإجمال وإرشاد لهم إلى طريق التوحيد والإيمان
على ضرب من التفصيل أي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا وإرشادا ضمنيا لهم إليه
آمنا بالله وما أنزل إلينا يعني القرآن قدم على سائر الكتب الإلهية مع تأخره
عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للإيمان بها وما أنزل إلى إبراهيم
وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط الصحف وإن كانت نازلة
إلى إبراهيم عليه السلام لكن من بعده عليهم السلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين
تحت أحكامها جعلت منزلة إليهم كما جعل القرآن منزلا إلينا والأسباط جمع سبط وهو
الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام أو أبناؤه الاثنا عشر وذراريهم فإنهم حفدة إبراهيم و
إسحاق وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة

والمعنى أنه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من إظهار الدين فيستجيب لك
ويوصلك إلى مرادك أو وعيد للكفرة أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون
في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق
فإن وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة
من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الإيمان بما ذكر على الوجه
الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من أوضار الكفر وحلية تزينهم بآثارها الجميلة
ومتداخلا في قلوبهم كما أن شأن الصبغ بالنسبة إلى الثوب كذلك وقيل
للمشاكلة التقديرية فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه
المعمودية ويزعمون أنه تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم وإضافتها إلى الله عز وجل مع
إسناده فيما سلف إلى ضمير المتكلمين للتشريف والإيذان بأنها عطية منه سبحانه
لا يستقل العبد بتحصيلها فهي إذن مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز
قولوا وانتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كأنه قيل صبغنا الله
صبغة وقيل هي منصوبة بفعل الإغراء أي الزموا صبغة الله ويأباه توسط بينهما
الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان أنه الإيمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة إلى
تسليته عليه السلام ومن أحسن من الله مبتدأ وخبر والاستفهام للإنكار والنفي و
قوله تعالى صبغة نصب على التمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن
صبغته أحسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما أي
لا صبغة أحسن من صبغته على معنى أنها أحسن من كل صبغة على ما أشير إليه
في قوله تعالى ومن أظلم ممن منع إلخ وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن للحقيقي
والوضعي المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه أن يكون في صبغة غيره تعالى حسن في الجملة
والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج ونحن له أي لله
الذي أولانا تلك النعمة الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف
للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل معه تحت الأمر وإيثار الاسمية
للإشعار بدوام العبادة أو على فعل الإغراء بتقدير القول أي الزموا صبغة الله
وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن أحسن من الله صبغة جار مجرى التعليل للإغراء

قل اتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي عليه السلام عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المأمور به من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله اي في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليها وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له مخلصون في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فانى لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام في قوله تعالى ام تقولون اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اي الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم السلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شأن الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كأنه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم فمع عدم ملاءمته لسباق النظم الكريم وسياقه لاسيما على تقدير

فان اريد بالقائلين اليهود فمدار الانكار كراهتهم التحول عنها وزعمهم انه خطأ وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين والقدح في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لا لكراهتهم الانصراف عنها او التوجه الى مكة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك الدين القديم ابعد عند العقول واذكاره بسببه ادخل في الايذاء ان اريد بهم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحويل من خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه الى خصوصية قبلة اخرى او هم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانه بمعزل من ذلك كيف لا والمنافقون من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يبكتهم فان مفاجأة المكروه على النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد اردّ وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل لله اي لله تعالى ناحيتا الارض اي الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيئته يهدي من يشاء ان يهديه مشيئة تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة للحكم الابية ومصالح خفية وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب الى المؤمنين بين المخاطبين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتأييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت

الكاف منصوبة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك
الجعل البديع جعلناكم **امة وسطا** لا جعلا آخر ادنى منه والوسط في الاصل
اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة
البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعواز والاوساط
محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائي كانت
هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة
بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التي
جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة
بها من طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي
طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي
كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على
المتصف بها مبالغة كأنه نفسها وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية
لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت هيهنا نكتة رائقة
هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذي عبر عنه
بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد
الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط
المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا
بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك
الطرق الزائغة اي متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل
لتكونوا شهداء على الناس بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل
الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فهل من متذكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه
فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة المتألفة من العفة
التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية
السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رتبتها بقوله عز وعلا
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب

رؤوف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ منه لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم
وقيل الرحمة اكثر من الرأفة في الكمية والرأفة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة
عن ايصال النعم الصافية عن الآلام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الألم
كقطع العضو المتآكل وقرئ رؤف بغير مد كندس **قد نرى تقلب وجهك
في السماء** اي تردده وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي وذلك ان رسول الله
كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم وادعى للعرب
الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام
بالوحي بالتحويل **فلنولينك قبلة** الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهي في
الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اي فوالله لنولينك اي لنعطينكها ولنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اي صيرته واليا له او لنجعلنك تلي جهتها او نحو
على ان نصب قبلة بحذف الجار اي الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين **ترضاها**
تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته **فول وجهك**
الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره
وقيل المراد به كل البدن اي فاصرفه **شطر المسجد الحرام** اي نحوه وهو نصب
على الظرفية من ول او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان له وقيل الشطر في الاصل
اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه
وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا
له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من
البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم
قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك
في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول
الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين **وحيثما كنتم
فولوا وجوهكم شطره** خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه
وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف اماكنهم

تأكيد الحكم وتقرير لعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثاً للأمة على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه اي التحويل او التوجه المفهوم من التولية الحق لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ومعاينتهم لما هو مسطور في كتبهم من انه عليه السلام يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائن من ربهم وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للمؤمنين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يزعهم منه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قبوله بكل آية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي عليه السلام بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والاتيان بالآية من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تعزيرا له عليه السلام وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم الزائغة المتخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية

قول وجهك الى جهة وانه اي هذا للحق من ربك اي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما يعملون فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اي من اي مكان خرجت اليه في اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر آنفا وحيثما كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه ايثار كنتم على خرجتم فان الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الآفاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الاماكن المختلفة من حيث اقامتهم فيها فولوا وجوهكم شطره والتكرير لما ان القبلة لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري ان يؤكد امرها مرة بعد اخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة من اوصافه انه يتحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم الذين يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها افحش الاباطيل من قبيل ما في قوله حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين بالتخفيف على انه استئناف فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اي وامرتكم بذلك لاتمامي النعمة عليكم ولارادتي اهتداءكم لانه صراط مستقيم مؤد الى سعادة الدارين كما اشير اليه في قوله تعالى

يهتدي من ربه الى صراط مستقيم في التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم الخ او على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الخ بينهما للمسارعة الى التسلية والتثبيت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم** متصل بما قبله والظرف الاول متعلق بارسلنا وقدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة اتماما كاينا كاتمامي لها بارسال رسول كاين منكم فان ارسال الرسول لاسيما المجانس لهم نعمة لا يكافؤها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني الخ وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريا على سنن الكبرياء **يتلو عليكم اياتنا** صفة ثانية لرسول كاشفة لكمال النعمة **ويزكيكم** عطف على يتلو اي يحملكم على ما تصيرون ازكيا [illegible] صفة اخرى مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الشريفة من الشرايع و قوله عز وجل **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** صريح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمها وما ذلك الا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم

المغفرة والرافة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رافة ورحمة رؤوف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرافة الفايضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللايقة بهم وعن النبي عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه [illegible] اشارة اليهم اما بالاعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وعلا **هم المهتدون** الاهتداء للحق والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لانه متقدم عليهما فلا بد لتاخيره عما هو نتيجة لهما من داع يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من نال رافة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب **ان الصفا والمروة** علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصفا والمروة **من شعائر الله** من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة **فمن حج البيت او اعتمر** الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريد الفعلين عن التعلق **فلا جناح عليه ان يطوف بهما** اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء فادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف بالطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي رحمهما الله انه ركن وايراده بعنوان نفي الجناح المشعر بالتخيير لانه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما **ومن تطوع** اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف

وخيرا حينئذ نصب على انه صفة لمصدر محذوف اى تطوعا خيرا او على حذف الجار
وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ تطوع واصله يتطوع مثل يطوف
وقرئ ومن يطوع بخير فان الله شاكر اى مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة
في الاحسان الى العباد عليم مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها
فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع خيرا
جازاه الله او اثابه فان الله شاكر عليم [illegible] قيل نزلت في احبار
اليهود الذين كتموا ما في التورية من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن
ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم انها نزلت في اهل الكتاب
من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم
الحكم للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان
ترك اظهار الشئ قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون
بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شئ آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء
من الايات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى
اى والآيات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة
للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس
وبينات او وقيل المراد بالهدى الادلة وبابهاما الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس الظرف
متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا
في قوله تعالى في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب
في جوازه او الاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اى كائنا في الكتاب وتبيينه لهم
تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان
مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام
والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم
محوا نعته عليه الصلوة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وعلا فويل
للذين يكتبون الكتاب الى اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته
لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي امرهم وبعد منزلتهم في الفساد يلعنهم الله

من الشئون والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو
بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها
حسبما تقتضيه طبيعتها كما يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء
ونضرتها وبث فيها من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة
وقوله تعالى فاحيى الا متصلا بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شئ واحد كانه قيل
وما انزل في الارض من ماء وبث فيها او على احيى بحذف الجار والمجرور العائد
الى الموصول وان لم يتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله وان لساني شهدة يشتفى بها
ولكن على من صبه الله علقم وقوله تعال الذى اصعرتني ان برده الى الارض
ان لم يبدد الخير قادر اى اصعرتني به على معنى فاحيى بالماء الارض وبث فيها من كل دابة
فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف على ما انزل اى تقليبها من
مهب الى آخر او من حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف
او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء والارض
صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى
سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشية الله تعالى
ولعل تأخير الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع
انعكاس الترتيب الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من
الامور المعدودة في كونها آية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المرتب
بعضه على بعض آية واحدة لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير
للتفخيم كما وكيفا اى آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة
الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اى يتفكرون
فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا
على النبي صلى الله عليه وسلم آية تصدقه في قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة
العقول والا فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته
وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن سائرها
فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه

مستتبعا لآثار معينة وأحكام مخصوصة من غير أن يقتضي ذاته وجوده فضلا عن وقوعه
على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فإذا لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما
تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيئته متعال عن معارضة الغير إذ لو كان معه آخر يقدر على
ما يقدر عليه لزم إما اجتماع المؤثرين على أثر واحد أو التمانع المؤدي إلى فساد العالم
ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لكمال ركاكة آراء المشركين إثر تقرير وحدانيته
سبحانه وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء إلى الاعتراف بها الناطقة باستحالة أن يشاركه
شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الألوهية
والكلام في إعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر
ومن دون الله متعلق بيتخذ أي من الناس من يتخذ من دون ذلك الإله الواحد
الذي ذكرت شؤونه الجليلة وإيثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غب تعيينه
بالصفات أندادا أي أمثالا وهي رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون
لا سيما في الأوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سيأتي من وصفهم بالتبري من المتبعين
وقيل هي الأصنام وإرجاع ضمير العقلاء إليها في قوله عز وجل يحبونهم مبني على آرائهم
الباطلة في شأنها من وصفهم بما لا يوصف به إلا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب
استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لأنه أصابها ورسخ فيها والفعل منها حب
على حد مد لكن الاستعمال المستفيض على أحب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب
ومحب قليل وحاب أقل منه ومحبة العبد لله سبحانه إرادة طاعته في أوامره
ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز
النصب إما صفة لأندادا أو حالا من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن
إفراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي أي نعت لمصدر مؤكد للفعل أي حبا
ومن قضية كونه مبنيا للفاعل كونه أيضا كذلك والظاهر اتحاد فاعلهما فإنهم كانوا يقرون
به تعالى أيضا ويتقربون إليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم الله تعالى أي يسوون بينه تعالى
وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا
كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في أصل الحب لا في وصفه كما
أو كيفا لما سيأتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول أي كما يحب

قال ابن عباس رضه نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني
مدلج حرموا على أنفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى
حلالا حال من الموصول أي كلوه حال كونه حلالا أو مفعول لكلوا على أن من ابتدائية
وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد أي أكلا حلالا ويؤيد الأولين قوله تعالى طيبا فإنه صفة
له ووصف الأكل به من غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على أنفسهم رفيع
الأطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي لا
تقتدوا بها في اتباع الهوى فإنه صريح في أن الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم الحلال على نفسه
تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى
وإنما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات
ما أحل الله لكم الآية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي
الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها على الواو وبفتحتين على أنها جمع خطوة
والمرة من الخطو إنه لكم عدو مبين تعليل للنهي أي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة
وإن كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى أولياؤهم الطاغوت
إنما يأمركم بالسوء والفحشاء استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون
شره وإفساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الأصل مصدر ساءه
يسوءه سوءا ومساءة إذا أحزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من أعمال الجوارح
أو أفعال القلوب لاشتراكها في أنها تسوء صاحبها والفحشاء أقبح أنواعها وأعظمها مساءة
وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء أي وأن تفتروا على الله تعالى
بأنه حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون أن الله تعالى أمر به وتعليق أمره بتقولهم
على الله تعالى مع أن حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فإن التحذير من الأول مع كونه في القبح
والشناعة دون الثاني على أبلغ وجه وآكده وللإيذان بأن العاقل يجب عليه أن لا يقول
على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن أن يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه
قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا وأما اتباع المجتهد لما أدى إليه ظنه فمستند
إلى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله
التفات إلى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وإيذانا بإيجاب تعداد ما ذكر لهم على المباينة

اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا الكتاب الله الذي انزله **قالوا** لا نتبعه **بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا** اي وجدناهم عليه اما على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من اباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التورية لانها ايضا تدعوا الى الاسلام وقوله عز وجل **أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** استيناف مسوق من جهته تعالى ردا لمقالتهم الحمقاء واظهارا لبطلان آرائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجيب منه لا لانكار الوقوع كما في قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وانها

سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره **فمن اضطر غير باغ** بالاستئثار على مضطر آخر **ولا عاد** سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد يقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد رحمهما الله **فلا اثم عليه** في تناوله **ان الله غفور** لما فعل **رحيم** بالرخصة ان قيل كلمة انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب** المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر آنفا وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم **ويشترون به** اي يأخذون بدله **ثمنا قليلا** عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة وقوله تعالى **أولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **ما يأكلون في بطونهم إلا النار** والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدأ ثان او بدل من الاول والخبر ما يأكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم ما يأكلون في الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار واكله اكلها كقوله

اكلت دما ان لم ارعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

او ما يأكلون في المآل يوم القيامة عين النار عقوبة على اكلهم الرشى في الدنيا وفي بطونهم متعلق بيأكلون وفائدته تأكيد الاكل وتقريره ببيان مقر الماكول وقيل معناه ملء بطونهم كما في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على حرف الاستثناء والا فتعليقه بيأكلون يؤدي الى قصر ما يأكلونه الى الشيء على النار والمقصود قصره ما يأكلونه مطلقا عليها **ولا يكلمهم الله يوم القيامة** عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى **ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** مؤلم **أولئك** اشارة الى ما اشير اليه بنظيره باعتبار المذكور خاصة لا مع ما يتلوه من احوالهم الفظيعة

اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته فان المقصود تصوير ما باشروه من
المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا اسقاطها عن الحل اصلا ببيان حقيقة
ما نبذوه واظهار ركة ما اخذوه وابداء فظاعة تبعاته وهو مبتدأ خبره الموصول
اي اولئك المشترون بكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن واقل
بل هم الذين اشتروا بالبتة اي الدنيا الضلالة التي ليست مما يمكن
ان يشترى قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وان جل
العذاب اي اشتروا بالنظر الى الآخرة العذاب الذي لا شيء كونه
مما يشترى بالمغفرة التي يتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم على النار تعجب
من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه
نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصصها كتخصص شر في شر اهر ذا ناب
خبرها ما بعدها اي شيء ما عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها
خبرها اي شيء اصبرهم على النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر
محذوف اي الذي اصبرهم على النار او شيء اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك العذاب
بان الله نزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون
من يرفضه بالتكذيب والكتمان وركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين
العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي في جنس الكتاب الالهي
بان آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او في التورية بان آمنوا ببعض آياتها
وكفروا ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة
فمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق او الاختلاف في تأويلها او في القرآن بان قال
بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير كما حكي عن المغيرين لفي شقاق
بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب

ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

البر اسم جامع لمراضي الخصال والمطالب
لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان
كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب
مع تأخر زمان الملة النصرانية لما رعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتب المشرق

ذا زمانه وحين البأس اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وتأييد الجمع
للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بالنعوت الجليلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من التنبيه على علو طبقتهم و
سمو رتبتهم الذين صدقوا اي في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم
الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل
وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية
الكريمة لا ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا وتلويحا لما انها مع تكثر فنونها وتشعب شجونها
منحصرة في خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى
الاولى بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الخ ولذلك وصف
الحائزون لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا لمعاشرتهم مع الخلق و
معاملتهم مع الحق واليه يشير قوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان
يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من
المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده التي عليها بني اساس المعاش والمعاد كتب عليكم
اي فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب
انما اعتبر بالنسبة الى الحكم او القاتلين القصاص في القتلى اي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله
عليه وسلم ان امراة دخلت النار في هرة ربطتها اي بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول
على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباوؤا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي
ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد
رايت الوجه ههنا وانما يتمسك في ذلك هو ومالك رحمهما الله بما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا
قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده وبما روي عنه رضي الله عنه انه قال من
السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد
بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى
ان النفس بالنفس فان شرع من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب

على انها شرعت لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص **فمن عفي له من اخيه شيء** اي شيء من العفو لان عفي لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا في العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل بمعنى عن ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال دبار عفاها جور كل معاند وقوله عفاه كل حنان كثير الوبل هطال ليكون المعنى فمن محي له من اخيه شيء تحرف للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما وفي استعمال الناس فانهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا فيما ذكرناه من قبل وعفا يعدى بعن الى الجاني والذنب قال تعالى عفا الله عنك و قال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم واراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما لكونهما من بني آدم لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه **فاتباع بالمعروف** فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل **واداء اليه باحسان** حث للمعفو عنه على ان يؤديها باحسان من غير مماطلة ولا بخس **ذلك** اي ما ذكر من الحكم **تخفيف من ربكم ورحمة** لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل **فمن اعتدى بعد ذلك** بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو واخذ الدية **فله** باعتدائه **عذاب اليم** اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما في الاخرة فبالنار **ولكم في القصاص حيوة** بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته حيث جعل الشيء محل الضد وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يواخذ به في الاخرة

ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدل **فمن خاف من موص** اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرئ من موص **جنفا** اي ميلا بالخطاء في الوصية **او اثما** اي تعمد الحيف **فاصلح بينهم** اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة **فلا اثم عليه** اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول **ان الله غفور رحيم** وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام** لبيان حكم آخر من الاحكام الشرعية وتكرار النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم الآية وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب والفرس اي امسكت عن العدو وقال خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس **كما كتب** في محل النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اي كتبا كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلا لما كتب **على الذين من قبلكم** من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما روي ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى فتركته اليهود وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا حرا شديدا فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين **لعلكم تتقون** اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون

الاخلال بادائه لاصالة او بفصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات موقوتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا و المراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء و ثلثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل باضمار دل هو عليه اعني صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا له بل للمكتوب فلا تتحقق الظرفية ولا المفعولية المتوقعة عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا اي مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مستمر عليه وفيه تلويح بان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر فعدة اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وعلى الذين يطيقونه اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية اي اعطاء فدية وهي طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق و مد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لانه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يتقلدونه و يتطوقونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي التطوع او الخير الذي تطوعه خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من تطوع الخير او منها او من التاخير الى يوم آخر والالتفات الى الخطاب للهز والتنشيط ان كنتم تعلمون اي في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره اي اخترتموه او سارعتم اليه

لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من التشويق فان حقه التقديم اذا احرى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة و كثرة الملابسة لهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للآخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الآخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استئناف آخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم اي محا اثره عنكم فالآن لما نسخ التحريم باشروهن المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني بها عن الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب بالسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اي واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ولعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لآخر وقته ولا تباشروهن وانتم عاكفون

اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج
الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون
في المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطي فيه حرام ومفسد له لان النهي في
العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود
وضعها الله تعالى لعباده فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد
الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل
ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد
بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه كذلك اي مثل ذلك التبيين البليغ
يبين الله آياته الدالة على احكامه التي شرعها للناس لعلهم يتقون
مخالفة اوامره ونواهيه ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهي
عن اكل بعضهم لاموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي عن اكل
اموال انفسهم في نهار رمضان اي لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى
وبين نصب على الظرفية او الحالية من اموالكم وتدلوا بها الى الحكام
عطف على المنهي عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها
الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم اليهم فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما
كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم
مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي عن عبدان الحضرمي ادعى
على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم تكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبدان فنزلت
وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون
الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له
بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقي
لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه
يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال

[illegible] بنية الجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية
في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة ايضا وكراهتهم
القتال فيه هذا الشهر الحرام بذاك الشهر الحرام وهتكه فلا تبالوا به والحرمات
قصاص اي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة
شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وهو فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله في شان الاقتصاد واحذروا ان تعتدوا
الى ما لا رخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم بالنصر
والتمكين وانفقوا في سبيل الله امر بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اي
لا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف و
تضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو
ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله
الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك
وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل
انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء
والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة
وهي والهلك والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها
آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم اي لا تومئوا انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا
اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين اي يريد بهم
الخير وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله بيان لوجوب اتمام افعالهما عند
التصدي لادائهما وارشاد للناس الى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة
بذلك الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه
كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض
لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما ان وجوب الحج
بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا

باصله ولا التزامه اصلا فليس دليل على وجوب العمرة قطعا وادعا ان الامر
باتمامهما امر باتيانهما تامين كاملين بحسبما يتضمنه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان
الامر للوجوب مالم يدل على خلافه دليل فمما لا سداد له ضرورة ان ليس الحكم
مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا
محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما
في انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وسائر افعالهما المعروفة شرعا
لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشيء منها هذا وقد قيل اتمامهما ان تحرم
بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم
وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل
وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما
بشيء من الاغراض الدنيوية وايا ما كان فلا تعرض في الآية الكريمة لوجوب
العمرة اصلا واما ما روي من ان ابن عباس رض قال ان العمرة لقرينة الحج
وقول عمر رض هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة
مكتوبين علي اهللت بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا فبمعزل عن افادة الوجوب
مع كونه معارضا بما روي عن جابر انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج
قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر
فان احصرتم اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا
منعه من المضي لوجهه مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك
والشافعي رضي الله عنهما لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رض
لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله
لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل **فما
استيسر من الهدي** اي فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما
استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة
او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل
للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى

وما تفعلوا من خير يعلمه الله يجز به خيرا او هو حث على فعل الخير اثر النهي عن الشر
وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل
نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس
فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس **واتقون يا اولي
الالباب** فان قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى
ثم امرهم بان يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبرؤوا من كل شيء سواه وهو مقتضى
العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولو الالباب
ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا **فضلا من ربكم**
عطاء ورزقا منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم
في الجاهلية يقيمونها ايام موسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه
فنزلت **فاذا افضتم من عرفات** اي دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا
صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة
وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين
الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب
التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء
المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث
او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تابى تقديرها لانها كالبدل منها
لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام
فلما ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت
او لان آدم عليه السلام وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه
وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف
بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله تعالى ثم افيضوا وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر المأمور به وفيه
نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق **فاذكروا الله** بالتلبية والتهليل والدعاء
وقيل بصلوة العشائين **عند المشعر الحرام** هو جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح

وقيل بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روي جابر انه عليه السلام لما صلى
الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم
يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته
ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقربه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف
الا وادي محسر واذكروه كما هداكم اي كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما
هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم
من قبله من قبل ما ذكر من هدايته اياكم لمن الضالين غير العالمين بالايمان
والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل هي نافية واللام بمعنى الا كقوله عز وعلا
وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس
اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس
بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين
كما في قولك احسن الى الناس ثم الى الكريم وقيل من مزدلفة الى منى
بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي
على ان يراد به آدم عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم
فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ان الله غفور
رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم
عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها
فاذكروا الله كذكركم آباءكم اي فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا فيه كما تفعلون في ذلك
بذكر ابائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى
بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا
مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم
اباءكم وكذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم
ذكرا او منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد
مذكورية من ابائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم
تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين

الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين كلهم والجملة حال من الضمير المجرور في قوله
او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على التوابع المتوسطتين واذا تولى
اي من مجلسك وقيل اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم
او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشؤمه القطر
فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا
على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب
الفساد اي لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض
واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك ما تباشره من الفساد او النفاق
واحذر سوء مغبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على
الاثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه
فحسبه جهنم مبتداء وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره
وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب
اسم فعل ماض اي كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف
لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطا للجنب والجملة اعتراض
مبتداء وخبر كما مر اي يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات
وتعريضها للمهالك في الحروب او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل
ابتغاء مرضاة الله اي طلبا لرضاه وهذا كالتقوي واراد قسيما للاول حيث
ان ذلك يانف من الامر بالتقوى وهذا يامر بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت
في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير
ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا
منه ماله فاتى المدينة فيشري بمعنى يشتري لجريان الحال على صورة الشرى والله
رؤوف بالعباد ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلي
اي الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام

وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير
في ادخلوا او من السلم او منهما معا كما في قوله خرجت بها نمشي تجر وراءنا على
اثرينا ذيل مرط مرجل وهي في الاصل اسم للجماعة تكف مخالفها ثم استعملت في معنى
جميعا وتاؤها ليست للتانيث حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا كالحرب كما في قوله عز وجل
وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع
والناهي للنفس كافة عامة وخاصة وباطنة والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا
وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني
اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او في شرائع الله تعالى
كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان على
طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها
والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الان
ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق
او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهي او الانتهاء
فان زللتم اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما
جاءتكم البينات والحجج القطعية الدالة على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله
عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما يقتضيه الحكمة من مؤاخذة
المجرمين المستعصين على اوامره هل ينظرون استفهام انكاري في معنى النفي
اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما
نهوا الا ان ياتيهم الله اي امره وباسه او ياتيهم الله بامره وباسه
فحذف الماتي به للدلالة عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب
للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريق المباثة وايراد الانتظار
للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها
في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال في جمع قلة
من الغمام اي السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا اتى منه
العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب فكيف

من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف
يدل عليه الكلام اي فاختلفوا او ما اختلف فيه الا وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الا
عنه كما في قولك ما قام زيد الا يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلقت به من اي اختلفوا
بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه
اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما في ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى
من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم
خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات
على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء
عليهم السلام وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقي الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة
الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة فيها للانكار
والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
من الانبياء ومن معهم من المؤمنين اي والحال انه لم ياتكم مثلهم ولم تبتلوا بمثل احوالهم
الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم استئناف وقع
جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم الباساء اي الشدة
من الخوف والفاقة والضراء اي الالام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا
بما دهمهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي
انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس
بشؤون الله تعالى واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون باثاره المستضيئون بانواره
متى اي متى ياتي نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناد وقرئ
حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية
النهايات النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم
وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله
قريب على تقدير القول فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب
الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه

وانه كبد من الدلالة على تحقق مضمونها وتوزه ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لا انها في
حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر
مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته
تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب
القدس لا يتيسر الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات **يسألونك ماذا ينفقون** اي من اصناف
اموالهم **قل ما انفقتم من خير** ما اما شرطية واما موصولة حذف العائد اليها اي ما
انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما في السؤال
الا انه جعل من جملة ما في حيز الشرط او الصلة وابرز في معرض بيان المصرف حيث قيل
فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق
بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ
هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت **واليتامى**
اي المحتاجين منهم **والمساكين وابن السبيل** ولم يتعرض للسائلين والرقاب
اما اكتفاء بما ذكر في المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى **وما تفعلوا
من خير** فانه شامل لكل خير واقع في اي مصرف كان **فان الله به عليم**
فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كما نقل عن السدي **كتب عليكم
القتال** بناء الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ بناء للفاعل وهو الله عز وجل
ونصب القتال وقرئ عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى **وهو كره لكم** حالية
اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى
المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف
او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم
وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي
من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية والمراد على ان في القتال
خيرا لهم **وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم** وهو جميع ما نهوا عنه
من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل له من الاعراب **والله يعلم** ما هو

رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية
فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا
فام احدهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
فقل من شربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة
فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر
والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه
لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم اوذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف
ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنه لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا
هو الايمان والتقى حقا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اي ستره سمي بها عصير
العنب اذا غلا واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا
لانها تسكرها اي تحجزها والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته
واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه
سلب له وصفته انه كانت لهم عشرة اقدح هي الازلام والاقلام الفذ والتوأم و
الرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب
معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا ثلثة هي المنيح والسفيح والوغد
للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة
وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده
فيخرج اسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به
ومن خرج له من تلك الثلثة غرم الجزور وحرمانه وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء
ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه
جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين الكعبتين
المشومتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر
وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عن حكمهما وعن
تعاطيهما **قل فيهما اثم كبير** اي في تعاطيهما ذلك لان الاول مسلبة للعقل

التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال **ومنافع للناس** من
كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ
اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان اسمه ووصفه بالكبير وتاخير ذكر منافعه مع تخصيصها
بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى
واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة
عليه وقرئ اقرب من نفعهما **ويسئلونك ماذا ينفقون** عطف على
يسئلونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اي اي شيء ينفقون قيل هو
عمرو بن الجموح ايضا سال اولا من اي جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين
جواز الانفاق من جميع الاجناس سال ثانيا من اي اصنافها ينفق امن خيارها ام
من غيرها او سال عن مقدار ما ينفقه فقيل **قل العفو** بالنصب اي ينفقون العفو
او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون
اي الذي ينفقونه العفو قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال
العفو ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكانت
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون
بالفضل وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض الغنائم
فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا
هاتها فاخذها فحذفها عليه حذفا لو اصابته لشجته ثم قال ياتي احدكم بماله كله
يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى **كذلك** اشارة الى
مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه في الفضل
مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما
افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين
باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب
على انه نعت لمصدر محذوف اي مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما
مضى في اجوبة الاسولة المارة **يبين الله لكم الآيات** الدالة على الاحكام الشرعية
المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر تمام التحقيق في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين

وهذا مبني على قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل لو لم تعجبكم ولو
اعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة اذ الحال ولامة مؤمنة خير من امراة
مشركة حال عدم اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادي
الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة
للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت معه فلأن تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس
بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار
اللطيف نعم يجوز ان تكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها **ولا تنكحوا**
المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم
المؤمنات سواء كن حرائر او اماء **حتى يؤمنوا** ويتركوا ما هم عليه من الكفر **ولعبد مؤمن**
مع ما به من ذل المملوكية **خير من مشرك** مع ما له من عز المالكية **ولو اعجبكم** بما فيه من دواعي
الرغبة فيه الراجعة الى ذاته وصفاته **اولئك** استئناف مقرر لمضمون التعليلين الجارين
اي اولئك المذكورون من المشركات والمشركين **يدعون** من يقارنهم ويعاشرهم **الى النار**
اي الى ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم
والله يدعو بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم **الى الجنة والمغفرة** اي الى الاعتقاد
الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية التقديم لرعاية مقابلة
النار ابتداء **باذنه** متعلق بيدعو اي يدعو ملتبسا بتوفيقه الذي من جملته ارشاد
المؤمنين لمقارنتهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة **ويبين آياته** المشتملة على
الاحكام الفائقة والحكم الرائقة **للناس لعلهم يتذكرون** والعفو ان هذا وقيل معنى والله يدعو واولياء الله
يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم
وانت خبير بان ان التضرع في المعطوف على الخبر اعني قوله تعالى ويبين الله تعالى فيلزم التفكيك
وقيل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما
هذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضمير الكائنين في الجملتين المتعاطفتين الواقعتين
خبرا للمبتدأ لكن يفوت حينئذ حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار
ولعل الطريق الاسلم ما اوضحناه اولا وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج
الى التفكر كما في الاحكام السابقة **ويسئلونك عن المحيض** عطف على ما تقدم من مثله

ولعل حكاية هذه الاسولة الثلثة بالعطف لوقوع الكل عند السوال عن الخمر وحكاية
ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت على حدة . والمحيض مصدر من حاضت المرأة
كالمجيء والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يواكلونهن كدأب
اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سال عن ذلك ابو الدحداح في
نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فنزلت **قل هو اذى** اي شيء يستقذر
ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له **فاعتزلوا النساء في المحيض** اي فاجتنبوا
مجامعتهن في حالة الحيض فحمل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال
ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك اهل البيت
وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن
ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون
بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين **ولا تقربوهن
حتى يطهرن** تأكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن
وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رحمه الله فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان
كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال او من مضي وقت صلوة وعند الشافعي ان تغتسل
بعد الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد ويفصح عنه قوله عز وجل **فاذا تطهرن**
فان التطهر هو الاغتسال **فاتوهن من حيث امركم الله** من المأتى الذي حلله لكم وهو القبل
ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب
ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار
بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر
نساؤكم حرث لكم اي مواضع حرث لكم شبههن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن وبين البذور
من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه **فاتوا حرثكم** لما عبر عنهن بالحرث عبر
عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فاتوهن من حيث امركم الله **انى شئتم** من اي جهة
شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امرأته في قبلها من دبرها يأتي ولده احول
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **وقدموا لانفسكم** اي ما يدخر لكم الثواب
وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة **واتقوا الله** بالاجتناب عن معاصيه

والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير
المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة
الامة قرءان او شهران **يتربصن** خبر في معنى الامر مفيد للتأكيد باشعاره بان المأمور
مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر به
موجودا ومحققا وبناؤه على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيد **بانفسهن** الباء للتعدية
يقمعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل يشق عليها من التربص وفيه مزيد بعث لهن على
ذلك لما فيه من الانباء عن الاتصاف بما يستنكفن منه من كون نفوسهن طوامح
الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به **ثلثة قروء** نصب على
الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف اي يتربصن مدة ثلثة قروء او يتربصن مضي
ثلثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله عليه الصلوة والسلام دعي الصلوة ايام
اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة
استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة
بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الآخر شائع ذائع وقرئ ثلثة قرو بغير همز
ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد
استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا
واثباتا **ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر** جواب الشرط محذوف يدل عليه
ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الآخر
الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا **وبعولتهن** البعولة جمع بعل وهو في
الاصل السيد المالك والتاء لتأنيث الجمع كما في الخؤولة والسهولة او مصدر بتقدير
مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه
التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات **احق بردهن** الى نكاحهم بالرجعة
اليهن **في ذلك** اي في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة
والمرأة تأباها وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا في الرجعة

اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا
مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح بصحة الرجعة بل هو الحث عليه و
الزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف
من الحقوق التي تجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة
اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك
الضرار ونحوها او شرف في الفضل لانهم قوامون عليهن حراس لهن وكما يدين
يشاركوهن فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق و
الله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف احكامه حكيم ينطوي شرائعه على
الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي
لان السابق الاقرب حكمه ولما روي انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام
او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد الطلاق الذي
يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين انفا مرتان اي اثنان وايثار ما ورد به
النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان تقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد
ثابتا ايضا فامساك اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اي بحسن عشرة
ولطف معاملة او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم
او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي وبالمرتين
مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى
ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين او الثلث
فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدا وتخيير مستانف والفاء فيه
للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين ولا يحل لكم
ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا منهن بمقابلة الطلاق اي من الصدقات
وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه
على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا مما اتوهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان
لا يحل ان ياخذوا مما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اي نزرا يسيرا
فضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام و...

بضرارا اي لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك
المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد
فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله
المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا هزوا او مهزوا بها
بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود
من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده
اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اخذتموها هزوا ولعبا
ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب آيات الله
بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق
ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد
وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمت الله عليكم حيث هداكم
الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف
متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها على راي من
يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها
ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في عملها التاء
لانه مبني عليها كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد
وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن في
قوله عز وجل من الكتاب والحكمة بيانية اي من القرآن والسنة او القرآن الجامع
للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام
وفي ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل في
النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام
يعظكم به اي بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله
في شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شيء عليم
فلا يخفى عليه شيء مما تاتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العقاب واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل

وزي ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اى من جهة الله عز وجل
كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم الى التسليم
بالمعروف متعلق بسلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط
محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط الصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق
والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل في
استصلاح شؤون الاطفال في شأن مراعاة الاحكام المذكورة
فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل في
موقع الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف
المضاف اى وازواج الذين يتوفون منكم اى يقبض ارواحهم بالموت فان التوفي
هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه اى اخذته وقبضته والخطاب
لكافة الناس بطريق التلوين
او على حذف العائد الى المبتدأ في الخبر اى يتربصن بعدهم كما في قولهم
السمن منوان بدرهم اى منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتانيث
العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير
في مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا
ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلثة
اشهر وان كانت انثى تتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا
اذ ربما يضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة
والامة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله عز وجل واولات
الاحمال خص الحامل منه وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا
فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الحكام والمسلمون جميعا
من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة
بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح
فلا تعملوا خلاف ما امرتم به خطاب
للكل فيما عرضتم به من التربص والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا

حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس و
التضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب
اما للاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى
زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له و
اسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض
لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل المذكور
وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهي الاولياء
عن العضل لان النهي لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن
لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون
مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية واما للناس كافة فان
ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما
بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل
لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون بمنزلة صدوره
من الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة
محله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو بدل
اشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن
ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون
والا فبالاعتبار الاخير ظرف للاتعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب
الخطاب على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف
لان ينكحن وقوله تعالى ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه
الجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من
فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا
اى تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفؤ
او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه
من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما في ما بعده والتوحيد اما باعتبار

كقول السائل جئتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه اي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هي مأخوذة من الخطب اي الشان الذي له خطر لما انها شان من الشئون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض بخطبتهن ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان سببه الذي هو الوطء مما يسر به وايثاره على اسمه للايذان بانه مما ينبغي ان يسر به ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف او لا تواعدوهن بشيء من الاشياء الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي العدة المكتوبة المفروضة اخرها وقيل

وفي ان نسبة لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان تاثيره فيما عطف على محله من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد وتكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على عدمه فرجع الاستثناء ح الى منع الزيادة في المستثنى منه كما انه في الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر بلا نقصان ولا زيادة في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه ح لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتفي ذلك او ينحط او حال عفو الزوج فانه ح يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول واما على التفسير الثاني فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفي القول القديم للشافعي رح ان المراد عفو الولي الذي بيده عقد نكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ خلا ان الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى لما ان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جابر بن عبد الله رض انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشانهم بل شان انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الاخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى اي المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار ح وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار

وكانت اشق الصلوات عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل هي صلوة الفجر لانها بين صلوتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلوتي النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل هي صلوة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي الليل وعن عايشة وابن عباس رضي الله عنهم انه عليه السلام قرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون ح احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى **وقوموا لله** اى في الصلوة **قانتين** ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب رحمه الله المراد به القنوت في الصبح **فان خفتم** اي من عدو او غيره **فرجالا** جمع راجل كقيام وقايم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اي راجلا **او ركبانا** جمع راكب اي فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعي رحمه الله اداءها حال المسايفة ايضا **فاذا امنتم** بزوال الخوف **فاذكروا الله** اي فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها **كما علمكم** متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اي ذكرا كاينا كما علمكم اي كتعليمه اياكم **ما لم تكونوا تعلمون** من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلوة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى واراد بذلك العنوان تذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرايع والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان المنبية عن مشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبية عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع المأمور به فيهما منزلة مقام وقوع الامر تنزيلا مستدعيا لاجراء مقتضى المقام الاول في كل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي الابصار **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا**

كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار ان الناس في مقام الاعتبار لا بد التشنيع **وقاتلوا في سبيل الله** عطف على مقدر ينبيء عنه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز وثواب **واعلموا ان الله سميع** يسمع مقالة السابقين والمتخلفين **عليم** بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا او شرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة **من ذا الذي يقرض الله** من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد ههنا اما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء مرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا **قرضا حسنا** اي اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا **فيضاعفه له** بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في معنى ايقرضه وقرئ بالرفع اي يضاعف اجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المبالغة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب **اضعافا** جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول بان يضمن المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع **كثيرة** لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة **والله يقبض ويبسط** اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تاخير البسط عن القبض في الذكر للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء **واليه ترجعون** فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا او شرا **الم تر** تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للايذان باستقلاله في التعجب مع ان له مزيد ارتباط بما وسط بينهما من الامر بالقتال **الى الملا من بني اسرائيل** الملأ من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملؤن العيون مهابة والمجالس بهاء ولانهم مليؤن بما يبتغى منهم ومن تبعيضية وما في قوله تعالى

من بعد موسى من ابتدائية وعاملها مقدر، وقع حالا من الملاء اي كائنين بعض بني
اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام والاظهر في اتحاد الحكم لفظا عند اعتلاله
اذ قالوا لنبي لهم منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصة الملأ او حديثهم حين قالوا
هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة
من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية
اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام وقال مجاهد اشمويل بن هلفايا
ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال معنا اميرا نصدر
في تدبير امر الحرب عن رأيه وقرئ يقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرا
القتال او استينافا مبنيا على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب
والوصف للملكا. قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه
قيل فماذا قال لهم النبي حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم ان لا تقاتلوا
كما توقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط ما التمسوه بان
قيل هل عسيتم ان يبعث لكم ملكا الخ مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم
للمبالغة في بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى
فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى ولان ايراد ما ذكروه ربما يوهم ان سبب
تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة
قالوا وما لنا الا نقاتل استيناف كما سبق اي اي سبب لنا في ان لا نقاتل
في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب
القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب عن الاهل والاولاد
وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت رأس العمالقة
وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل
بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم
واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم
فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي عليه السلام ذلك وبعث الملك

وطمأنينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التوراة المودعة فيه
بناء على ما قرر من ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل
وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهر
وذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا
وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه
وشيء من التوراة وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عم والآل ابناؤهما او انفسهما
والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل تحمله الملائكة حال من التابوت اي ان يأتيه
حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة
عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شأن التابوت
فهو من تمام كلام النبي عليه السلام لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى
جيء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على
التقدير من تأويل الفريق او غيره كما سلف لآية عظيمة لكم دالة على ملك طالوت او على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر
ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية والجواب
محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم
عن بيت المقدس والاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف
المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا
برأسه ممتازا من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا وصده صدودا
ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت اي ملتبسا بهم
ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل
بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه
ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله تعالى
لهم نهرا فبعد ما ظهر له ما تعلقت به مشيئته تعالى من جهة النبي عم او بطريق الوحي عند من يقول
بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي ابتدأ شربه

من النهر بأن كرع لأنه الشرب منه حقيقة فليس مني أي من جملتي وأشياعي المؤمنين
وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لكمال اختلاطهما ومن
لم يطعمه أي لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه مأكولا كان أو مشروبا أو غيرهما قال وإن
شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا أي نوما فإنه مني
إلا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني و
إنما أخر من الجملة الثانية لإبراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة
باليد دون الكروع والغرفة ما يغترف وقرئ بفتح الغين على أنها مصدر والباء متعلقة
بالغرف أو بالمحذوف وقع صفة لغرفة أي غرفة كائنة بيده ويروى أن الغرفة كانت
تكفي الرجل لشربه وإداوته ودوابه وأما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم و
غلبهم العطش فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام أي فابتلوا به فشربوا منه إلا قليلا
منهم وهم المشار إليهم فيما سلف بالاستثناء من المتولي وقرئ إلا قليل منهم ميلا إلى جانب المعنى
وإضرابا عن عدوة اللفظ جانبا فإن قوله تعالى فشربوا منه في قوة أن يقال فلم يطيعوه فحق أن يرد
المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو
مجلف فإن قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه أي النهر هو أي طالوت والذين آمنوا معه
عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية
والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول كأنه قيل فلما جاوزه والحال أن الذين آمنوا
كائنون معه وهم أولئك القليل وفيه إشارة إلى أن من عداهم بمعزل من الإيمان
قالوا أي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
أي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن أن يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة
قيل كانوا ثمانية ألف مقاتل شاكي السلاح قال استئناف مبني على السؤال كأنه
قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله قيل أي الخلص منهم الذين
يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وإفرادهم بذلك الوصف لا ينافي إيمان
الباقين فإن درجات المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة والذين يعلمون أنهم يستشهدون
عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا
للمتخلفين عنهم كأنهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما كم من فئة أي فرقة وجماعة من الناس

الناس بعضهم الذين يباشرون الشر والفساد ببعض آخر منهم بردهم عما هم عليه
بما قدر الله تعالى من القتل كما في قصة الكلمة أو غيره وقرئ دفاع الله على أن صيغة
المبالغة للمبالغة لفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث
والنسل وسائر ما يعمر الأرض ويصلحها وقيل لولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار
لفسدت الأرض بعبثهم وقتلهم المسلمين أو لو لم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت
السخطة فاستؤصل أهل الأرض قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقدر قدره
على العالمين كافة وهذا إشارة إلى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض
المقدم منتج لنقيض التالي خلا أنه قد وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه أعني كونه
تعالى ذا فضل على العالمين إيذانا بأنه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير أن
يجب عليه ذلك وأن فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من أفراد فضله الكريم كأنه
قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا يفسد الأرض وينتظم به مصالح العالم
وينصلح أحوال الأمم تلك إشارة إلى ما سلف من حديث الألوف وخبر طالوت
على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو شأن المشار إليه
آيات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى نتلوها عليك
أي بواسطة جبريل عليه السلام إما حال من الآيات والعامل معنى الإشارة وإما جملة مستقلة لا
محل لها من الإعراب بالحق في حيز النصب على أنه حال من مفعول نتلوها أي ملتبسة
باليقين الذي لا يرتاب فيه أحد من أهل الكتاب وأرباب التواريخ لما يجدونها موافقة
لما في كتبهم أو من فاعله أي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب أو من الضمير المجرور
أي ملتبسا بالحق والصدق وإنك لمن المرسلين أي من جملة الذين أرسلوا إلى الأمم
لتبليغ رسالاتنا وإجراء أوامرنا وأحكامنا عليهم فإن من المعاملة لا تجري بيننا و
غيرهم تعني شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم إثر بيان ما يستوجبها والتوكيد من
مقتضيات مقام المجاهدين بها تلك الرسل استئناف فيه رمز إلى أنه صلى الله عليه وسلم
من أفاضل الرسل العظام عليهم الصلاة والسلام إثر بيان كونه من جملتهم والإشارة إلى
الجماعة الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم فاللام في الرسل للاستغراق وما فيه من
معنى البعد للإيذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل إلى الذين ذكرت قصصهم في السورة

وقيل الى الذين ثبت علمه عم بهم فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ في مراتب الكمال بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا اى فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه السلام حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كالم الله من المكالمة فانه كلم الله تعالى كما انه تعالى كلمه ويؤيده كليم الله بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما يجيء من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ اى ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درج الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عم منهم فان ذلك في قوة بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه والاشعار بانه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل انه ابراهيم عم حيث خصه تعالى بكرامة الخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل عليهم السلام وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ الايات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وَأَيَّدْنَاهُ اى قويناه بِرُوحِ الْقُدُسِ بضم الدال وقرئ بسكونها اى بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبرئيل عم وقيل بالانجيل كما مر وافراده عم بما ذكر لرد ما بين اهل الكتابين في شأنه عم من التفريط والافراط والاية ناطقة بان الانبياء عليهم الصلوة والسلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ اى جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة اى لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الخ وليس بذاك مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ من جهة اولئك الرسل الْبَيِّنَاتُ المعجزا

فضلا من ان يدافعه عنادا او مناصبة يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ اى ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والانبياء عليهم السلام وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ اى من معلوماته إِلَّا بِمَا شَاءَ ان يعلموه وعطفه على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب الى الكرسي الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من كرسي العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسي الملك فان الكرسي كلما كان اعظم يكون عظمة القاعد اكثر واوفر فعبر عن شمول علمه او عن بسط ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله عم ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصري انه العرش وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا اى حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه وَهُوَ الْعَلِيُّ المتعالي بذاته عن الاشباه والانداد الْعَظِيمُ الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه ولما كان من انطواء هذه الاية الكريمة على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجليلة فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها

واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه
شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما يناله الاوهام عظيم لا يحيط به الافهام
تردت بفضائل رائقة وخواص فائقة خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم
ان اعظم اية في القرآن اية الكرسي من قراها بعث الله تعالى ملكا يكتب من
حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام ما قرئت
هذه الاية في دار الا اهجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة
اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها
وقال صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه
من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا الصديق او عابد ومن قراها
اذا اخذ مضجعه آمنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال
عليه السلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد
الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال طور وسيد الايام يوم الجمعة
وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة اية الكرسي
وتخصيص سيادته عليه السلام للعرب بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة لا يدل
على نفي ما دلت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته على جميع افراد
البشر **لا اكراه في الدين** جملة مستانفة جيء بها اثر بيان توحده سبحانه وتعالى
بالشؤن الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف
والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي
اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري
من بني سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه عم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال
والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما
قد تبين الرشد من الغي استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه
كما في قوله تعالى قد بلغت من لدني عذرا اي قد تبين بما ذكر من نعوته التي يمتنع توهم
اشتراك الغير في شيء منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر

نظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عم تشريف له وايذان بتاييده في المحاجة **ان آتاه الله الملك** اي لان آتاه
حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجه لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح اللجاج موضع
ما يجب عليه من الشكر على الوجه الاخير **رب الذي يحيي ويميت** بفتح ربي وقرئ بحذف الياء روي
انه عم لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت
اي يخلق الموت والحيوة في الاجساد **قال** استيناف مبني على السؤال كانه قيل
كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال **انا احيي واميت** روي انه دعا
برجلين فقتل احدهما واطلق الآخر فقال ذلك **قال ابراهيم** استيناف كما سلف
كانه قيل فماذا قال ابراهيم لمن في هذه المرتبة من الحماقة وبماذا افحمه فقيل قال **فان الله**
ياتي بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيته **فات بها من المغرب** ان كنت
قادرا على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عم الى مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء
والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل
الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس **فبهت الذي كفر** اي صار
مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله اي فغلب ابراهيم الكافر والسكتة
وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا
والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال او الى
سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة **او كالذي مر على قرية** استشهاد على ذكر
من ولاية تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق واثار او الفارقة على
الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف اما اسمية
كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي
مثل نصر واما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى او لم تر الى مثل الذي او الى الذي مر على قرية
كيف هداه الله تعالى واخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود اي قد رايت ذلك
وشاهدته فاذن لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا الى هذا واما جعله معطوفا على الكلام التعجيب
على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج لا اي انظر اليه وتعجب من امره وفي الثاني

ادارات مثل الذي الى ايذانا بان حاله وما جرى عليه من الغرابة بحيث لا يرى له مثيل
كما استقر عليه رأي الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شان الجليل فتدبر والمار
هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة و
الضحاك والسدي وقيل هو ارميا ابن حلقيا من سبط هرون عم قاله وهب
وعبيد الله بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان رجلا كافرا بالبعث
وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هو دير هرقل
على شط دجلة وقال الكلبي هو دير سابر اباد وقال السدي هي دير سلما باد والاول هو الاظهر
والاشهر روي ان بنو اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في الطغيان
كل حد معتاد سلط الله عليهم بخت نصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى
وطئ الشام وضرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم
اقرهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك
الذين كانوا معه فاصاب كل ملك اربعة اغلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى
منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه والخرب منظر وذلك قوله عز وجل
وهي خاوية على عروشها
اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم
الحيطان من خوى البيت اذا سقط او من خوت الارض اي تهدمت والجملة حال من
ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا قال اي تلهفا عليه وتشوقا الى
عمارتها مع استشعار اليأس عنها انى يحيي هذه الله وهي على ما ارى من الحالة العجيبة
المباينة للحيوة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناشئ من جهتها
لا من جهة الفاعل وانى نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى
كيف والعامل يحيي واياما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا اهلها
الذين تفرقوا ايدي سبا ومن غيرهم وانما عبر عنها بالاحياء الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة
تهويلا للخطب وتأكيدا للاستبعاد وكما انه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل بعد موتها
وحيث كان هذا التعبير منبئا عن استبعاد الاحياء اهلها فيما يأتي المتوقف لحال القرية دون حالهم
والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه ادخل في الاستبعاد لشدة مباينته
للحيوة وغاية بعده عن قبولها على انه لم يتعلق ارادته تعالى باحياتهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار

بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله تعالى
رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كما قيل
فاماته الله مائة عام ...
... فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اي اتضح
اتضاحا تاما قال اعلم ان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما شاهده
في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه امر من الامور وايثار صيغة
المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما
تبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي
واستعظاما للامر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اي فلما تبين له ان الله
على كل شيء قدير فتدبر وقرئ تبين على صيغة المجهول وقرئ تبين على صيغة المجهول و
قرئ قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر روي انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس
وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة
قد ادركت زمن عزير فقال لها يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير قد
فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فاني عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك
قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي
يرد علي بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله
فقامت صحيحة كانما نشطت عن عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت
الى محلة بني اسرائيل وهم في انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانية عشر سنة
وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا اني بدعائه رجعت
الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه
مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قراء التورية
اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التورية ولا احد يعرف التورية
فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين
ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني ابي عن جدي انه دفن التوراة
يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده
ففتشوها فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك

قالوا هذا ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً **اذ قال ابراهيم** دليل آخر على
ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما سلك مسلك الاستشهاد
كما قبله بان يقال او كالذي قال رب لان الجاري ذكره عليه السلام في اثناء المحاجة ولانه
لا دخل لنفسه عم في اصل الدليل كذاب نمرود عم فان ما جرى عليه من احيائه بعد اماتته عام
من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى
واذكروا اذ جعلكم خلفاء اي واذكر وقت قوله عم وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله تعالى
لتقف على ما قرر من ولايته تعالى وهدايته او توجيه الامر بالذكر في امثال هذه المواقع الى الوقت
دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها المقصودة بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في
ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت
مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما
ذكر عند الحكاية او لم يذكر كانها مشاهدة عياناً **رب** كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء
مبالغة في استدعاء الاجابة **ارني** من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة
النقل طلبت مفعولاً آخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تتعلق كما يتعلق النظر البصري اي اجعلني
مبصراً **كيف تحيي الموتى** بان تحييها وانا انظر اليه وكيف في محل النصب على التشبيه بالظرف
عند سيبويه وبالحال عند الاخفش والعامل فيه تحيي اي في اي حال او على اي حال تحيي قال القرطبي
الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤول فالاستفهام
ههنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند السائل اي بصرني كيفية احيائك للموتى وانما سأله
ليتأيد ايقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئناناً على اطمئنان واما ما قيل من ان نمرود لما قال انا
احيي واميت قال ابراهيم عليه السلام ان احياء الله برد الارواح الى الاجساد فقال نمرود
هل عاينته فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ذلك فيأباه
تعليل السؤال بالاطمئنان **قال** استيناف كما مر غير مرة **اولم تؤمن** عطف على مقدر اي ألم تعلم
ولم تؤمن باني قادر على الاحياء كيف اشاء حتى تسألني اراءته **قال** استيناف اعلم
بانه عم اثبت الناس ايماناً واقواهم يقيناً ليجيب بما اجاب به فيكون ذلك لطفاً للسامعين **قال**
بلى علمت وآمنت بانك قادر على الاحياء على كيفية اشاءت **ولكن** سألت ما سألت
ليطمئن قلبي بمضامة العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة بمشاهدة على كيفية معينة قال

لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلاً
بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاماً
لجلال الله تعالى وهيبته واستقصاراً للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص
الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر
في الجملة الثانية مضارعاً لما ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام **قول معروف** اي كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل
من غير اعطاء شيء **ومغفرة** اي ستر لما وقع من السائل من الالحاف في المسألة
وغيره مما يثقل على المسؤول وصفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف
وفي الثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسؤول **خير** اي للسائل
من صدقة يتبعها اذى لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين من الضرر والجملة
مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى
بسبب الرد الجميل او بعفو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسؤول يؤدي
الى ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير في الجملة مع بطلانها بالمرة **والله غني**
لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى **حليم** لا يعاجل اصحاب
المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد
والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعاً **يا ايها الذين آمنوا**
اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اي لا تحبطوا اجرها بواحد منهما **كالذي** في
محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوها ابطالاً كابطال الذي
واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا تبطلوها مشابهين الذي **ينفق ماله رئاء الناس**
اي الذي يبطل انفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو رأي سيبويه
وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق اي لاجل رئائهم او على انه حال من فاعل
اي ينفق ماله مرائياً والمراد به المنافق لقوله تعالى **ولا يؤمن بالله واليوم الآخر**
حتى يرجو ثواباً او يخشى عقاباً **فمثله** الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اي فمثل المرائي
في الانفاق وحالته العجيبة **كمثل صفوان** اي حجر املس **عليه تراب** اي شيء يسير منه

فأصابه وابل أي مطر عظيم القطر فتركه صلدا أملس ليس عليه شيء من الغبار أصلا لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رياء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من شبههم وهم أصحاب المن والأذى كذلك والضميران الأخيران للموصول باعتبار المعنى كما في قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا لأن المراد به الجنس أو الجمع أو الفريق كما أن الضمائر الأربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدي القوم الكافرين إلى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بأن كلا من الرياء والمن والأذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله أي لطلب رضاه وتثبيتا من أنفسهم أي وتثبيت بعض أنفسهم على الإيمان فمن تبعيضية كما في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فإن المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها أو وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالى حسدا من عند أنفسهم ويحتمل أن يكون المعنى وتثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من أنفسهم وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو رأس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلاث وقد قرئ بها المكان المرتفع أي مثل نفقتهم في الزكاء كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من أن يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فإن أشجار الربى تكون أحسن منظرا وأزكى ثمرا وأما الأراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة أصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت أكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين أي مثلي ما كانت تثمر في سائر الأوقات بسبب ما أصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل أربعة أمثال ونصبه على الحال من أكلها أي مضاعفا فإن لم يصبها وابل فطل أي فطل يكفيها لجودتها وكرمها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها

الاستفهام الإنكاري فكأنه قيل أمنه تنفقون إلا واعلموا أن الله غني عن إنفاقكم وإنما يأمركم به لمنفعتكم وفي الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من إعطاء الخبيث وإيذان بأن ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فإن إعطاء مثله إنما يكون عادة عند اعتقاد المعطي أن الآخذ محتاج إلى ما يعطيه بل مضطر إليه حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والإثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الإخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شيء من زمان أو غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا أي يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا وإنما عبر عن ذلك بالوعد مع أن الشيطان لم يضف مجيء الفقر إلى جهته للإيذان بالمبالغة في الإخبار بتحقق مجيئه كأنه نزله في تقرر الوقوع منزلة أفعاله الواقعة بحسب إرادته أو لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحتين ويأمركم بالفحشاء أي بالخصلة الفحشاء أي ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور على فعل المأمور به والعرب تسمي البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصي والسيئات والله يعدكم أي في الإنفاق مغفرة لذنوبكم والجار في قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التي أفادها تنكيرها أي مغفرة أي مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره أي وفضلا كائنا منه تعالى أي خلفا مما أنفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيتحقق ما وعدكم به من المغفرة وإخلاف ما تنفقونه عليم مبالغ في العلم فيعلم إنفاقكم فلا يكاد يضيع أجركم أو يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتي الحكمة قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروي عن ابن أبي نجيح أنها الإصابة في القول والعمل وعن إبراهيم النخعي أنها معرفة معاني الأشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الأشياء وقيل هي الإقدام على الفعل الحسنة الصائبة وعن مقاتل أنها [illegible] الآيات الكريمة من أحد الوجهين الأولين ومعنى إيتائها تبيينها والتوفيق للعمل والعلم أي يبينها ويوفق للعلم والعمل بها من يشاء من عباده أن يؤتيها إياه بموجب سعة فضله وإحاطة علمه

كالاتكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي يدور عليها فلك منافعكم ما غنموها
وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به والجملة
مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على
البناء للفاعل اي من يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشأنها
وللاشعار بعلة الحكم فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين
وما يذكر اي وما يتعظ بما اوتي من الحكمة او وما يتفكر فيها الا اولوا الالباب اي العقول الخالصة
عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه مع الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة
في شأن الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال واما اعتراض تذييلي وما انفقتم من نفقة بيان لحكم
كلي شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية
او موصولة حذف عائدها من الصلة اي وما انفقتموه من نفقة اي نفقة كانت في حق او
باطل في سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم من نذر النذر عقد الضمير على شيء والتزامه وفعله
كضرب ونصر اي نذر كان في طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال
او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما فان الله يعلمه التفريع على الاول واعتبار الجواب
وعلى الثاني زيدت في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف
بكلمة او كما في قوله زيدا او عمرا اكرمته ولا تبال اكرمتهما ولنظيره الى الثاني في قوله تعالى
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم واخرى رعاية للاول كما في قوله عز وجل
واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الآية وفي قوله تعالى
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تأويلهما بالمذكور ونظائره او على حذف
الاول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو الجامعة
تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتأكيد
مضمونها افادة لتحقيق الجزاء اي فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب
وترهيب ووعد ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر في المعاصي او بمنع الصدقات
وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظم في
معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع فيه من انصار

والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة
وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين
يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية
بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من
اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم مما تعاين منهم
من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من
الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا من قولهم لحفني من
فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئا وان سألوا الحاجة اضطرتهم
اليه لم يلحوا وقيل هو نفي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي
لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء
فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في شأن الصديق
رضي الله عنه حيث تصدق باربعين الف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار
وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم يكن عنده
الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على
النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل في رباط الخيل و
الانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها
لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على
علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين يأكلون الربوا
اي يأخذونه والتعبير عنه بالاكل لانه معظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه
من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما
كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا
يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما
كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب
بغير استواء كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه

فيختلط عقله فلذلك تقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون
من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربوا او بيقوم او بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم
فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف
ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بفظاعة المشار اليه
بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع
في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا لما يجوز بيع درهم بدرهمين
كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح
الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضايع حتما وفي الثاني منجبر بمس الحاجة الى السلعة
او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال
للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية
لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربوا وقرئ جاءته
من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار
بكون مجيء الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف
اي ما تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء
ان جعلت شرطية على راي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه
على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه
ومن عاد اي الى تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في
عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد
اصحاب النار هم فيها خالدون اي ملازموها ما كثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله
الربوا اي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها
ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت الصدقة منه روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل
الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله
لا يحب اي لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في
ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة

ونح صفة لدين مسمى بالايام او الشهور ونظايرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا
بالحصاد وقدوم الحاج ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اي الدين باجله لانه اوثق وادفع
للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رض ان المراد به السلم وقال لما حرم الله
الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة المامور بها
وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما للتعيين او للقصد الى
ايقاع نفس الفعل اي ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغي
ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلاميهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى
بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اي كاتب كائن بالعدل اي
وليكن المتصدي للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى احد الجانبين
لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه
موثوقا به معدلا بالشرع وتجوز ان يكون حالا منه اي ملتبسا بالعدل وقيل متعلق
بالفعل اي وليكتب بالحق ولا يأب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان
يكتب كتاب الدين كما علمه الله على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه
بقوله تعالى بالعدل او ولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم
الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة
امر بها بعد النهي عن ابائها تاكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون
النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق
الاملال هو الاملاء اي وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون
هو المقر وليتق الله ربه جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في
التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اي من الحق
الذي عليه على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب
فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه لنهي عن كليهما وقد فعل ذلك
حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء
والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر
عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي عليه الحق صرح بذلك في موضع الاضمار

لزيادة الكشف والبيان لان الامر والنهي لغيره **سفيها** ناقص العقل مبذرا مجازفا
او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا **او لا يستطيع ان يمل هو** او غير مستطيع للاملاء
بنفسه لخرس او عي او جهل او غير ذلك من العوارض **فليملل وليه** اي الذي يلي امره
ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم **بالعدل** او من غير نقص ولا زيادة لم يكلف
بتعيين ما كلف به من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس **واستشهدوا**
شهيدين اي اطلبوا ما يتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين
لتنزيل المشارف منزلة الكائن **من رجالكم** متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او
بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين
الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين
في موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد
الكافر عندنا **فان لم يكونا** اي الشهيدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي
رجلين اما لاعوازهما او لسبب آخر من الاسباب **فرجل وامرأتان** اي فليشهد
رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة
عند الشافعي رحمه الله **ممن ترضون** متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اي كائنون مرضيين
عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل
متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا فيلزم الفصل بين اشتراط المرأتين وبين تعليله وقوله عز وجل
من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم
كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب
ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد
في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك
اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كأنه قيل لاجل تذكير احديهما الاخرى ان ضلت
الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احديهما فتذكرها الاخرى
لتأكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحديهما بعينها والتذكير بالاخرى
وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر

والله بما تعملون عليم فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر **لله ما في السموات**
وما في الارض من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولي
العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه
وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول او
بالفعل **او تخفوه** بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه
البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف
بحسب الوسع **يحاسبكم به الله** يوم القيمة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة
والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفعل للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء
على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعلق
بما في انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها
كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال من ان يكون بطريق حصول
الصور بل وجود كل شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا لا يختلف
الحال بين الاشياء البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة
الابداء اذ ما من شيء يبدى الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق
علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى اولا يعلمون
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون **فيغفر** بالرفع على الاستيناف اي فهو يغفر بفضله
لمن يشاء ان يغفر له **ويعذب** بعدله **من يشاء** ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم
الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انهما بدل من الجواب
بدل البعض او الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط في قوله متى تأتنا
تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن **والله على كل**
شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته
على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب **آمن الرسول** لما ذكر
في فاتحة السورة الكريمة ان ما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشان
هدى للمتقين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله

من الكتب الإلهية وأنهم حائزون لأثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم
ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها إذ ليس فيما ذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب
ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها
من فنون الشرائع والأحكام والمواعظ والحكم وأخبار سوالف الأمم
وغير ذلك مما تقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم
بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الإيمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم
بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما أن حق الشهادة الباقية
على مر الدهور أن لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم
التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الآتية إيذانا بأنه أمر محقق غني عن التصريح به
لا سيما بعدما نص عليه فيما سلف وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه
عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى
بما أنزل إليه ومزيد توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد
بما أنزل إليه ما يعم كله وكل جزء من أجزائه ففيه تحقيق لكيفية إيمانه صلى الله عليه وسلم
وتعيين لعنوانه أي وآمن عليه السلام بكل ما أنزل إليه من ربه إيمانا تفصيليا
متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والأحكام والقصص والمواعظ وأحوال الرسل
والكتب وغير ذلك من حيث إنه منزل منه تعالى وأما الإيمان بحقية أحكامه وصدق
أخباره ونحو ذلك فمن فروع الإيمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الإجمال إجلال
لمحله عليه السلام وإشعار بأن تعلق إيمانه بتفاصيل ما أنزل إليه وإحاطته بجميع
ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة إلى ذكره أصلا وكذا في التعرض لعنوان
الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تشريف له وتنبيه على أن إنزاله إليه
تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أي الفريق المعروف بهذا الاسم
فاللام عهدية لا موصولة لإفضائها إلى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ
وقوله عز وجل كل مبتدأ ثان وقوله تعالى آمن خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول
والرابط بينهما الضمير الذي ناب مناب التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه إلى كل
المؤمنين لما أن المراد بيان إيمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله

واستنقذت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام أيضا على أن مقصودهم الأصلي
إبراز إيمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لا إظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به
وهذا كما ترى صريح في أن القائلين آحاد المؤمنين خاصة إذ لا يمكن أن يسند إليه
عليه السلام أن يقول لا نفرق بين أحد من رسله وهو يريد به إظهار إيمانه برسالة
نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام
المذكور إياه وإنما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما أن الأصل في تفريق
المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على إسناد
الفعل إلى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل أتوه داخرين
فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر
فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس إذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول
والكلام في همزة أحد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى
لا نفرق بين أحد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين
كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في أن يقال لا نفرق بين رسله
وإيثار إظهار الرسل على الإضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما أوتي النبيون
من ربهم لا نفرق بين أحد منهم إما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم
أو للإشعار بعلة عدم التفريق أو للإيماء إلى عنوانه لأن المعتبر عدم التفريق من حيث
الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع
باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالأوامر إثر حكاية إيمانهم سمعنا
أي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته وأطعنا ما فيه من الأوامر والنواهي
وقيل سمعنا أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك غفرانك ربنا أي اغفر
لنا غفرانك أو نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة أو ما لا يخلو عنه البشر
من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران
لما أن تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول والتعرض لعنوان
الربوبية مع الإضافة إليهم للمبالغة في التضرع والجؤار وإليك المصير
أي الرجوع بالموت والبعث لا إلى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة

الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي انه لما نزل في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية الكريمة ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فسؤالهم الغفران المتعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها تابع الآيتين تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاة منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله وقصر مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب ما كسبت

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي لبقاء حركتها في حكم الثابت المبتدأ به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها لا كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها وضعا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل ويحرك اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر او اقرأ او نحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة اي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل **الحي القيوم** خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدأ

او بدل منه او من الخبر الاول او هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتداء والخبر مقرر
لما يفيده الاسم الجليل او حال منه وايا ما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق
المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت
والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص
ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما
وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلث سور في سورة البقرة
الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه
وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله
الاعظم قال الحي القيوم وروي ان عيسى عم كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم
ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وفي الحي القيوم رد وانكار
على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم
احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب اسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم
السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدراسهم ابو حارثة
بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما شاع
من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة
بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت
فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل تعست
امك فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك
عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به
لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك
فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم
ثياب الحبرات جبب واردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا يصلون في المسجد فقال عليه السلام
دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

حال منهما اي انزلهما حال كونهما هدى لهم والافراد لما انه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة
او حذف منه المضاف اي ذوي هدى ثم ان اريد بهدايتهما لجميع ما فيهما من حيث
هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حيث نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد
هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا
الشرائع المنسوخة من الامور التي يصدقها القرآن فيها ومن جملتها البشارة
بنزوله وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة

وانزل الفرقان

الفرقان في الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا
اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم
بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا
الى قوله تعالى وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر
فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير
الذاتي كما في قوله سبحانه ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم
من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية
الى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تأخره عنه
نزولا لقوة مناسبته للتورية في الاشتمال على الاحكام والشرائع وشيوع
اقترانهما في الذكر واما القرآن نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما
لشانه ورفعا لمكانه وقد بين اولا تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله
الدفعي الى السماء الدنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج
وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق والمبطل

ان الذين كفروا بآيات الله وضع موضع الضمير العائد الى ما فصل من الكتب
المنزلة او منها ومن المعجزات الآيات واضيف الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم
وتأكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه
الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب
بمقام المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا
بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل

كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقران اصالة و
بسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما او اصالة
ايضا بان كذبوا باياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه واياتها المبشرة بنزول القران
ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيروها **لهم** بسبب كفرهم بها **عذاب** مرتفع اما على
الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبر ان والتنوين للتفخيم اي اي عذاب
شديد لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة
الى ما ينطق بذلك من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان
والله عزيز لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **ذو انتقام** عظيم خارج عن افراد جنسه
وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة
اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له **ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء**
استئناف كلام سابق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم
من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان كمال
قدرته تعالى وعزته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات
كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية وانما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر
بعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء
ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شانه ان يكون على
وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح
والجلاء والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة
لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الارض
ولا في السماء اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل
متعلقة بيخفى وانما عبر بهما عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاظهار
الاعتناء بشان احوال اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى
الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا
وقوله عز وجل **هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء** جملة مستانفة ناطقة
ببعض احكام قيوميته تعالى وجريان احوال الخلق في اطوار الوجود حسب مشيئته المبنية على الحكم

قسماه انها حفظت من اعتراء الخلل ومن النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على
حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا
متشابها مثاني معناه متشابه الاجزاء اي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم
وحقية المدلول **فاما الذين في قلوبهم زيغ** اي ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة
قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ
مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد **فيتبعون**
ما تشابه منه معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتاويل
باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل **ابتغاء الفتنة** اي طلب ان يفتنوا
الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد
وابتغاء تاويله اي وطلب ان ياولوه حسبما يشتهونه من التاويلات الزائغة
والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل **وما يعلم تاويله الا الله**
والراسخون في العلم فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه
لابتغاء تاويله والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي الذين
ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تاويله دون
نفس تاويله وتجريد التاويل عن الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم ليسوا من التاويل في شيء
وان ما يبتغونه ليس بتاويل اصلا لا انه تاويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف
على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله عز وجل بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة
وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به
يقولون آمنا به اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول
استئناف موضح لحال الراسخين او حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى
كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد
من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او آمنا به وبحقيته على مراده تعالى
وما يذكر الا اولوا الالباب اي العقول الخالصة عن الركون الى
الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر
واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تاويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة

بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها
الى مريم وروح منه على وجه الاجمال وسيجيء الجواب المفصل بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون **ربنا لا تزغ قلوبنا** من تمام مقالة
الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم
قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه
وقيل معناه لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا **بعد اذ هديتنا** الى الحق والتأويل
الصحيح او الى الايمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرف واذ في محل الجر باضافته اليه
خارج من الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان **وهب لنا من لدنك**
كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال
من المفعول اي كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف
بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند
اذ قد يكون فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف لصريح الزمان كما في قوله
تنتهض الرعدة في ظهيري من لدن الظهر الى العصير ولا تنقطع عن الاضافة بحال واكثر ما
تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله وليت فلم تقطع اصلا من لدن ان
قرابة ذي رحم ولا حق مسلم اي من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية
كما في قوله تذكر نعماه لدن انت يافع والى الجملة الفعلية ايضا كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم
فلا يك منكم للخلاف جنوح وقلما تخلو عن من كما في البيتين الاخيرين **رحمة** واسعة
تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس
مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع باللام فاذا ورد لها تمكن عندها
فضل تمكن **انك انت الوهاب** تعليل للسؤال او للاعطاء المسؤول وانت اما مبتدأ
او فصل او تأكيد لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان
الهدى والضلال من قبله تعالى وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شيء
ربنا انك جامع الناس ليوم اي لحساب يوم او لجزاء يوم حذف المضاف
واقيم مقامه المضاف اليه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه **لا ريب فيه** اي في وقوعه ووقوع ما فيه

اي ومن سيئة ما قبلها او ما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة
جيء بها للدلالة على ان لهم ذنوبا اخر اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها
كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو والتابع
وسميت الجريمة ذنبا لانها تتلو اي تتبع عقابها فاعلها **والله شديد العقاب**
تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له **قل للذين كفروا** المراد بهم اليهود
لما روي عن ابن عباس رضه ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى وفي التورية
نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد
شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق
كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضه ان النبي عم لما اصاب
قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم
ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم
فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم **ستغلبون** اي عن قريب
في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر
وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل
من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكة ولذلك قال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيؤدي الى
انقطاع الاية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر **وتحشرون** اي في الاخرة **الى**
جهنم وفي الفعلين بالياء على انه عليه السلام امر بان يحكي لهم ما اخبره الله تعالى به من وعيدهم
بعبارته كأنه قيل اد اليهم هذا القول **وبئس المهاد** اما من تمام ما يقال لهم
او استئناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المهاد
جهنم او ما مهدوه لانفسهم **قد كان لكم** جواب قسم محذوف وهو من تمام القول
المأمور به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف
خبر كان على انها ناقصة ولتوسطه بينها وبين اسمها ترك التأنيث كما في قوله

ان امرأ عزة نسكن واحدة بعدي وبعدك في الدنيا المعزور على ان التأنيث ههنا غير حقيقي او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها للاقتراز من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اي والله قد كان لكم ايها المغترون بعددهم وعددهم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين او جماعتين كان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بتعززها وقد بالتها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لآية وقيل النصب على خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا في حيز الجر على انه صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر بالرفع خبر مبتدأ محذوف اي احديهما فئة كما في قوله اذا مت كان الناس صنفين شامت واخر مثن بالذي كنت اصنع اي احدهما شامت واخر مثن وقوله حتى اذا ما استقل النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود والجملة مع ما عطف عليها مستأنفة لتقرير ما في الفئتين من الآية وقوله تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الآية وهي رؤية القليل كثيرا وقرئ تقاتل على تأويل الفئة بالقول او القوم واخرى نعت لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح ان التنوين لنفس الشيء المقدم ذكره وعدم الحاجة الى التنوين وقوله تعالى كافرة خبر المبتدأ المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة ويجوز ان يكون كل منهما مبتدأ وما بعدهما خبرا اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر اي منهما فئة تقاتل الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل بعض من كل وقد عرفت انه لا بد من ضمير عائد الى المبدل منه ويسمى بدلا تفصيليا كما

في الفصل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اي لعبرة عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستأنف مسوق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات او ايذانا بانهما كهم في حبها بحيث احبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير او استرذالا لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري سبحانه وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الآية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباحات واسند تزيينها اليه تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين في محل النصب على انه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال وقيل الف دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس والنون في ان وزنه فعلال او فنعال ولفظ المقنطرة ماخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطر المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض او المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير او حال عطف على القناطير وقيل والخيل

جمع لواحد له من لفظه كالقوم والرهط فالواحد فرس وقيل واحده خائل
وهو مشتق من الخيلاء المسومة اي المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية
من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعي او المطهمة التامة الخلق
والانعام اي الابل والبقر والغنم والحرث اي الزرع مصدر بمعنى المفعول
ذلك اي ما ذكر من الاشياء المعهودة متاع الحيوة الدنيا اي ما يتمتع به في
الحيوة الدنيا اياما قلائل فتفنى سريعا والله عنده حسن المآب
حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفي تكرير الاسناد
الجلالة مبتدا واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تاكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب
فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية
قل اؤنبئكم بخير من ذلكم اثر ما بين شان مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى
من حسن المآب اجمالا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة
في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اي اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات
المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شانه والتشويق اليه وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم
جنات استيناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدا والجار والمجرور
خبر او على ان جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار
على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على
ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات به
للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات او متعلق بما
تعلق به الخبر وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدا محذوف والجملة مبينة للخير و
يؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار
والبيان بما هو خير لطائفة ربما يوهم ان هناك خيرا آخر لآخرين تجري في محل الرفع
او الجر صفة لجنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار متعلق بتجري ان اريد
بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض
والاشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة
من المستكن في للذين والعامل فيه ما فيه من معنى الاستقرار وازواج مطهرة
عطف على جنات اي مبرأة مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية

وذي القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة او على انه
خبر لمبتدا محذوف وذي قيما بالقسط لا اله الا هو تكرير للتاكيد ومزيد الاعتناء
بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى العزيز الحكيم
فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعهما
على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبرية لمبتدا مضمر وقد روي
في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي
هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل
علم اصول الدين وشرف اهله وروي ان سعيد بن جبير انه كان حول البيت
ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى
نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة
قال احدهما ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه
عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد قال نعم قالا وانت احمد
قال عليه السلام انا محمد واحمد قالا فانا نسالك عن شيء فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك
قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله تعالى عز وجل فانزل الله تعالى
هذه الآية فاسلم الرجلان ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى
اي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة
وعن قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ ان الدين
عند الله الاسلام وقرئ ان الدين على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان
او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة
انه بالكسر كما اشير اليه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى
حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول
وجعل ايتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف ممن اوتي ما يزيله ويقطع شافته
في غاية القبح والسماجة وقوله تعالى الا من بعد ما جاءهم العلم استثناء مفرغ
من اعم الاحوال او اعم الاوقات اي وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت
من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم

بالحجج النيرة والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة
ما لا مزيد عليه فإن الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى
بغيا بينهم أي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الأمر تشنيع إثر
تشنيع ومن يكفر بآيات الله أي بآياته الناطقة بما ذكر من أن الدين عند الله
هو الإسلام ولم يعمل بمقتضاها أو بأية آية كانت من آياته تعالى على أن يدخل فيها ما نحن فيه
دخولا أوليا فإن الله سريع الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له أي ومن
يكفر بآياته تعالى فإنه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فإنه سريع الحساب أي يأتي حسابه
عن قريب أو يتم ذلك بسرعة وإظهار الجلالة لتربية المهابة وإدخال الروعة وفي ترتيب
العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد
إيتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة
عقابهم فإن حاجوك أي في كون الدين عند الله الإسلام أو جادلوك فيه بعد ما أقمت
عليهم الحجج فقل أسلمت وجهي لله أي أخلصت نفسي وقلبي وجملتي وإنما عبر عنها بالوجه
لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما تقع به العبادة من
السجود والقراءة وبه يحصل التوجه إلى كل شيء لله لا أشرك به فيها غيره وهو الدين القويم
الذي قامت عليه الحجج ودعت إليه الآيات والرسل عليهم السلام ومن اتبعن عطف على
المتصل في أسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التأكيد بالمنفصل أي وأسلم
من اتبعني أو مفعول معه وقل للذين أوتوا الكتاب أي من اليهود والنصارى
وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين والأميين أي الذين
لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم متبعين لي كما فعل المؤمنون فإنه قد أتاكم
من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل أسلمتم وعملتم بقضيتها أو أنتم على كفركم بعد كما يقول
لمن لخصت له صاحبة المسئلة ولم تدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا إلا سلكته فهل فهمتها على
منهاج قوله تعالى فهل أنتم منتهون إثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه
من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الإنصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى
فإن أسلموا أي كما أسلمتم وإنما لم يصرح به كما في قوله تعالى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به حسما
لباب إطلاق اسم الإسلام على شيء آخر بالكلية فقد اهتدوا أي فازوا بالحظ الأوفر

الإعراض عن الحق والإصرار على الباطل ذلك إشارة إلى ما مر من التولي والإعراض
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بأنهم أي حاصل بسبب أنهم قالوا لن تمسنا النار
باقتراف الذنوب وركوب المعاصي إلا أياما معدودات وهي مقدار عبادتهم
العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا
يفترون من قولهم ذلك وما أشبهه من قولهم إن آباءنا الأنبياء يشفعون لنا
أو أن الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم ولذلك
ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وإبطال لما غرهم باستعظام
ما سيدهمهم وتهويل ما يحيق بهم من الأهوال أي فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم
ليوم أي لجزاء يوم لا ريب فيه أي في وقوعه ووقوع ما فيه روي أن أول راية
ترفع يوم القيامة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم
إلى النار ووفيت كل نفس ما كسبت أي جزاء ما كسبت من غير نقص أصلا كما
يزعمون وإنما وضع المكسوب موضع جزائه للإيذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما
كأنهما شيء واحد وفيه دلالة على أن العبادة لا تحبط وأن المؤمن لا يخلد في النار لأن
توفية جزاء إيمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فإذن هي بعد الخلاص منها وهم
أي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عذاب أو بنقص ثواب
بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء
ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخوله عليه مع حرف التعريف
وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل أصله يا الله أمنا بخير أي اقصدنا به
فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك أي مالك
جنس الملك على الإطلاق ملكا حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء إيجادا
وإعداما وإحياء وإماتة وتعذيبا وإثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان
عند سيبويه فإن الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف
الذي تستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره
بطريق المجاز كما ينبئ عنه إيثار الإيتاء الذي هو مجرد الإعطاء على التمليك المؤذن
بثبوت المالكية حقيقة من تشاء أي تؤتيه في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما بالنصر والتوفيق

وتذل من تشاء ان تذله في احديهما او فيهما من غير ما نوه من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا بقدرة احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه المقضي بالذات واما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شر جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزية الاعمال واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب لان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر في ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شيء قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار اي تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة الثاني وتولج النهار في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب قال ابو العباس المقري ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلثة اوجه بمعنى التعب قال الله تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والبا متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هذه الافعال العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب

لا ارتفاع لتود وقرئ ودت فحينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتأكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤف بالعباد من ان تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة او ان رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرض عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا الاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله والرسول اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام دخولا اوليا وايثار الاظهار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة ودواعيها فان تولوا اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التائين

أي تتولوا وأما الكلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى في صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر
احتمال الإطاعة كما في قوله تعالى فإن أسلموا تلويح إلى أنه غير محتمل منهم **فإن الله لا يحب الكافرين**
نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم أي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وإيثار الإظهار على الإضمار
لتعميم الحكم لكل الكفرة والإشعار بعلته فإن سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والإيذان بأن التولي عن الطاعة
كفر وبأن محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين **إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم
وآل عمران على العالمين** لما بين الله عز وجل أن الدين المرضي عنده هو الإسلام والتوحيد
وأن اختلاف أهل الكتابين فيه إنما هو للبغي والحسد وأن الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته
منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من أهل بيت النبوة
القديمة فبدأ ببيان جلالة أقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام كافة وأتبعه ذكر مبدأ أمر عيسى ع‌م
وأمه وكيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام تحقيقا للحق وإبطالا لما عليه أهل الكتابين في
شأنهما من الإفراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في إبراهيم ع‌م وادعائهم الانتماء إلى ملته
ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على أن جميع الرسل عليهم السلام
دعاة إلى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة إلى عبادة أنفسهم أو غيرهم
من الملائكة والنبيين وأن أممهم قاطبة مأمورون بالإيمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم
تحقيقا لوجوب الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل
وتحتم الطاعة له حسبما يأتي تفصيله وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر لأنه أبو البشر ومنشأ النبوة
وكذا حال نوح عليه السلام فإنه آدم الثاني وأما ذكر آل إبراهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم في الإيمان
بنبوة النبي عليه السلام واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما
من التنبيه على كونه ع‌م عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الأخيار وأما ذكر آل عمران مع
اندراجهم في آل إبراهيم فلإظهار مزيد الاعتناء بتحقيق أمر عيسى ع‌م لكمال رسوخ الخلاف
في شأنه فإن نسبة الاصطفاء إلى الأب الأقرب أدل على تحققه في الآل وهو الداعي إلى
إضافة الآل الأول إلى إبراهيم دون نوح وآدم عليهم السلام والاصطفاء أخذ ما صفا من الشيء
كالاستصفاء مثل به اختياره تعالى إياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية
والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم السلام
أو فيمن يلابسه وينشأ منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه السلام بأن خلقه بيده في أحسن تقويم

من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار
فإنها في قوة ما استقر في بطني ولا يخفى أن المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب إليه تعالى
لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها **فتقبل مني** أي ما نذرته والتقبل أخذ
الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء للولد إذ لا يتصور القبول بدون تحقق
المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الأنثى **إنك أنت السميع** لجميع المسموعات التي من جملتها
تضرعي ودعائي **العليم** بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء
القبول لا من حيث أن كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث
أن علمه تعالى بصحة نيتها وإخلاصها مستدع لذلك تفضلا وإحسانا وتأكيد الجملة لعرض قوة يقينها
بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل
رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال **فلما وضعتها** أي ما في بطنها وتأنيث
الضمير العائد إليه لما أن المقام يستدعي ظهور أنوثته واعتباره في حيز الشرط إذ عليه يترتب
جواب لما أعني قوله تعالى **قالت رب إني وضعتها أنثى** لا على وضع ولد ما كأنه
قيل فلما وضعت بنتا قالت إلخ وقيل تأنيثه لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله تعالى أو لأنه
مؤول بالحبلة أو النفس أو النسمة وأنت خبير بأن اعتبار شيء مما ذكر في حيز الشرط لا يكون
مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تعالى أنثى حال مؤكدة من الضمير أو بدل منه وتأنيثه للمسارعة
إلى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء أو لما مر من التأويل بالحبلة أو النسمة فالحال حينئذ مبينة وإنما
قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو أن تلد ذكرا ولذلك
نذرته محررا للسدانة والتأكيد للرد على اعتقادها الباطل **والله أعلم بما وضعت**
تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره أي والله أعلم بالشيء الذي وضعته
وما علق به من عظائم الأمور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية
وقرئ وضعتِ على خطاب الله تعالى لها أي إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما أودع الله
فيه من علو الشأن وسمو المقدار وقرئ وضعتُ على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب
إلى الغيبة إظهارا لغاية الإجلال فيكون ذلك منها اعتذارا إلى الله تعالى حيث أتت بمولود لا يصلح
لما نذرته من السدانة أو تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه
الأنثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر وقوله تعالى **وليس الذكر كالأنثى** اعتراض آخر

مبيّن لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر والانثى للعهد
اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتخيل فيه كمالاً قصاراه ان يكون كواحد من السدنة
كالانثى التي وهبت لها فان دارة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور
هذا على التوجيهين الاولين واما على التفسير الاخير لقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه
الانثى في الفضيلة بل ادنى منها واما على التفسير الاول لها فمعناه تاكيد الاعتذار ببيان
ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من ذلك
فاللام للجنس وقوله تعالى وانّي سمّيتها مريم عطف على انّي وضعتها انثى وغرضها من عرضها
على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة
قال القرطبي معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى
وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه وانّي أعيذها بك
عطف على انّي سمّيتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اي اجيرها بحفظك وقرئ
بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بعهدي اوف وآتوني افرغ
وذرّيتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية به
من الشيطان الرجيم اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها
ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى
عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبّلها اي اخذ مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر
ربّها مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى بقبولٍ حسنٍ قيل
الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اي تقبلها قبولا
حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية
فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل
وان كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول
ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها
مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ
وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند

سواليه حسبما فصل في سورة مريم قال تفسير للدعاء وبيان لكيفية لا محل له
من الاعراب ربّ هب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف
معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اي اعطني من محض قدرتك
من غير وسط معتاد ذرّيّة طيّبة كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف
وقع حالا من ذرية اي كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد
والجمع والذكر والانثى والمراد هٰهنا ولد واحد فالتانيث في الصفة لتانيث
لفظ الموصوف كما في قول من قال ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة
ذاك الكمال وهذا اذا لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار
اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة انّك سميع الدعاء
اي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملائكة كان المنادي
جبريل عليه السلام كما ينبئ عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل عليه السلام رئيسهم عبّر عنه
باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فاسند النداء الى الكل مع
صدوره عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء
مقررة لما افادته الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلّي اما صفة
لقائم او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية
تسعى او حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف ولا بدلية او حال من المستكن
في قائم وقوله تعالى في المحراب اي في المسجد او في غرفة مريم متعلق بيصلي او
بقائم على تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي الحال شيء واحد
فلا يلزم الفصل بالاجنبي كما يلزم على التقادير الباقية انّ الله يبشّرك بيحيى اي بان الله
وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ
يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثي وايا ما كان فينبغي ان يكون هذا الكلام
محكيا بعبارته من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما يلوح به مراجعته عليه السلام في الجواب اليه تعالى بالذات
لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في سورة
مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان

بان ما حكي هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط
الملك بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا اتضح اتحاد المعنى
في السورتين الكريمتين فتأمل ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل
روي عن ابن عباس رضه انما سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة
لانه تعالى احيا قلبه بالايمان قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولابويه عوير
مضاف يعود اليه الحال اي بولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال
مقدرة من يحيى بكلمة من الله اي بعيسى عليه السلام وانما سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن من
غير اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف
وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله
وروح منه وقال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلي فقالت
مريم وانا ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى
مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رضه ان يحيى كان اكبر من عيسى عم بستة اشهر وقيل بثلث
سنين وقيل قبل رفع عيسى عليهما السلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون ولادة يحيى وبين
البشارة بها زمان مديد لان مريم ولدت وهي بنت ثلث عشرة سنة او بنت
عشر سنين وقيل بكلمة من الله اي بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته
وسيدا عطف على مصدقا اي رئيسا يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان
فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيالها من سيادة ما اسناها
وحصورا عطف على ما قبله اي مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات
مع القدرة روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت
ونبيا عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة من الصالحين اي ناشئا
منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة المشهورين بالصلاح
كما في قوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه
في منصب النبوة البتة من اقاصي مراتبه وعليه مبني دعاء سليمان عليه السلام وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فاذا
قال زكريا عليه السلام ح فقيل قال ... لم خاطب الملك المنادي بلا واسطة انه المباشر

اذ زمانا كثيرا وسبح اي سبحه تعالى او افعل التسبيح بالعشي اي من الزوال الى الغروب
وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقيل المراد
بالتسبيح الصلوة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وقيل الذكر اللساني كما ان المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ الابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر
واذ قالت الملئكة شروع في شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة
الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعني زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعاء المقام اياها
عما اشير اليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملئكة جبريل عم وقد مر ما فيه من الكلام واذ
منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف
على الظرف السابق اعني قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران منصوب بناصبه فتدبر اي واذكر ايضا
من شواهد اصطفائهم وقت قول الملئكة عليهم السلام يا مريم وتكرير التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء
بما يحكى من احكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة
فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم عم وهذه من باب التربية
الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا
لنبوة عيسى عم لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل الهموها
اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى ورباك في حجر زكريا عم
ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية وطهرك اي مما يستقذر من
الاحوال والافعال ومما قرفك به اليهود بانطاق الطفل واصطفاك آخرا على نساء
العالمين بان وهب لك عيسى عم من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية
للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام
لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر
كون الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفائين واحد والتكرير للتأكيد وتبيين من
اصطفاها عليهن فلا اشكال في ترتيب النظم الكريم اذ يحمل ح الاصطفاء على ما ذكر اولا
ويجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عم ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات
والعبادات حسبما امرت بها مجتهدة فيها متبتلة الى الله تعالى منسلخة عن
الاحكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب

بما يريد بعده وان ما قبله من تذكير النعم كالتمهيد له وترغيبا في العمل بموجبه اقنتي لربك
اي دومي على الصلوة او اطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى للاشعار
بعلة وجوب الامتثال بالامر واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة
بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود
على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلوة واقصى
مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللائق به الترقي من الادنى
الى الاعلى واما ليقترن اركعي بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع في صلوتهم ليسوا مصلين وما
قيل من ان الواو لا يوجب الترتيب ففايدته التصحيح لا الترجيح وتجريد الامر بالركنين الاخيرين
عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلوة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول منها
وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كما في قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما
وبالسجود الصلوة لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك
قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا ذلك اشارة الى ما سلف من الامور
البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شانه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا
خبره قوله تعالى من انباء الغيب اي من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستانفة لا محل لها
من الاعراب وقوله تعالى نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية
ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اي نوحي من انباء الغيب او نوحيه
حال كونه من جملة انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد
وما كنت لديهم اي عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه
وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الاية وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية
فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والوقائع اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق
عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تهكما بهم اذ يلقون اقلامهم ظرف
للاستقرار العامل في لديهم واقلامهم اقداحهم التي اقترعوا بها وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها
التورية تبركا ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ينظرون
او ليعلموا ايهم يكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون اي في شانها تنافسا في
كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون

او ادمجا بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما
على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا سيق
تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زواج وقرئ
ونعلمه بالنون ورسولا الى بني اسرائيل منصوب بمضمر يعود اليه المعنى معطوف على يعلمه
اي ونجعله رسولا الى بني اسرائيل اي كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين
ثم قيل كان رسولا حال الصبي وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف
واخرهم عيسى عليهما السلام وقيل اولهم موسى واخرهم عيسى عليهما السلام وقوله تعالى
اني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اي رسولا ناطقا باني الخ وقيل
بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه اي ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ وقيل
معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم
لما عرفت من ان فيه معنى النطق كانه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا باني الخ وقرئ
ورسول بالجر عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى باية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل
الفعل على انها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقرئ
بايات او بجئتكم على انها للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف
وقع صفة لاية اي قد جئتكم ملتبسا باية عظيمة كائنة من ربكم او اتيتكم اية عظيمة كائنة
منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال
بما سياتي من الاوامر وقوله تعالى اني اخلق لكم من الطين بدل من قوله
اني قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على راي الخليل والكسائي
او بدل من اية وقيل منصوب بفعل مقدر اي اعني اني الخ وقيل مرفوع على انه خبر مبتدا
محذوف اي هي اني اخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف اي اقدر لكم اي لاجل
تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف
اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير وقرئ فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اي
اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فانفخ فيها فيكون طيرا اي حيا طيارا كسائر الطيور
باذن الله بامره تعالى اشار بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير
الخفاش روي انه عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا

وصوّره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير
ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله
قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا
واسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان وتطير
بغير ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما ترى في ساعتين ساعة بعد
الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه اي الذي
ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء
نفرتها منه وقيل الى الوضح ايضا وتخصيص هذين الدائين لانهما مما اعيا الاطباء وكانوا
في غاية الحذاقة في زمنه عم فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روي انه ربما كان يجتمع عليه
عليه السلام الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عم وما يداويه
الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية
قال الكلبي كان عليه السلام يحيي الموتى بياحي يا قيوم احيى عازر وكان صديقا له فعاش وولد له
ومر على ابن العجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له وبنت
العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم
لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فقصدوا فقام على قبره
فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب راسه فقال عم كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب
قال يا روح الله لما دعوتني سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت
فمن هول ذلك شبت فسأله عن النزع قال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتي وكان
بينه وبين موته اكثر من اربعة الاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي فآمن به بعضهم وكذبه
آخرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبي لك كذا وذلك
قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها
وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام
لاية عظيمة وقرئ لايات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة ان كنتم مؤمنين
جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه او دلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها او ان كنتم
ممن يتاتى منهم الايمان دلتكم على صحة رسالتي دلالة بها ومصدقا لما بين يدي من التورية

دائرة آثارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع
طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عم على قصعة لا تزال يأكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك
للملك فاستدعاه عم فقال له من انت قال عيسى بن مريم عليه السلام فترك ملكه فتبعه مع اقاربه فاولئك
هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البياض فيهم
شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عم فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتموني
صيرتكم بحيث تصيدون الناس بالحيوة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله
ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا
فامر عيسى عم بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت
تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملؤا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عم
وقيل كانوا اثني عشر رجلا آمنوا به عم واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا اجعنا يا روح الله
فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب
بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منا قال عليه السلام افضل منكم من
يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل
ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له عم ههنا ثياب
مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب وجعل عليه السلام
كلها في حب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله فاخبره بما صنع فقال
افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى ان
اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عم
وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك
وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا
بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته نحن
انصار الله اي انصار دينه ورسوله آمنا بالله استيناف جار مجرى العلة لما قبله
فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد
بانا مسلمون مخلصون في الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام
الشهادة بذلك يوم القيمة يوم يشهد الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان غرضهم

السعادة الاخروية ربنا آمنا بما انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى
بعد عرضها على الرسول مبالغة في اظهار امرهم واتبعنا الرسول اي في كل ما يأتي
ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا اوليا فاكتبنا مع الشاهدين
اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة
محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا ومكروا
اي الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله بان رفع عيسى عليه السلام
والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره
الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ملك
بني اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امره جبريل عليه السلام ان يدخل بيتا فيه روزنة ورفعه جبريل عليه السلام من تلك
الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى
الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام
جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم
يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم
على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلام
ورفعه الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا
وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان
صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام
ومعها امرأة ابرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عليه السلام وجعلتا تبكيان على المصلوب
فانزل الله عيسى عليه السلام فجاءهما فقال على ما تبكيان قالتا عليك فقال ان الله رفعني ولم
يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين
بعد رفع عيسى عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته
فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث
الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فبايعهم على دينهم و
انزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما

مجرى الحقيقة وايراد النظم للاشعار بانهم بكفرهم مستعدون متجاوزون عن الحدود واضعون
للكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ذلك اشارة الى ما سلف
من نبأ عيسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شان المشار اليه وبعد منزلته في
الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشأن بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدأ وقوله عز وعلا
نتلوه عليك خبره وقوله تعالى من الآيات حال من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر
او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدأ مضمر اي الامر ذلك ونتلوه حال
كما مر وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد
والذكر الحكيم اي المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية
او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية ان مثل عيسى اي شأنه
البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال عند الله في تقديره وحكمه كمثل آدم اي كحالته
العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما
ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة
شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى عليه السلام بلا اب ممن اعترف بخلق آدم عليه السلام
بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن اي
انشأه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه
ويجوز كون ثم لتراخي الاخبار لا لتراخي المخبر به فيكون حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد
قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت
انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله تعالى
فقال عليه السلام ان آدم عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه
وتعالى فكذا حال عيسى عليه السلام الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق اي ما قصصنا
عليك من نبأ عيسى وامه والظرف اما حال اي كائنا من ربك او خبر ثان اي كائن
منه تعالى وقيل هو مبتدأ وخبره اي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتشريفه عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه الآيات الحقة
الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به فلا تكن من الممترين في ذلك
الخطاب

اما للنبي عليه السلام على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف عمن هو بصدد الامتراء واما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك اي النصارى واولهم المتصدون للمحاجة فيه اي في شان عيسى واذ زعموا منهم انه ليس على الشان الحكي اي بما يوجبه ايجابا قطعيا من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال فقل لهم تعالوا اي هلموا بالرأي والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة اخرى ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس في اثناء المباهلة التي هي من باب المهالك ومصارع التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلعم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر في تقديم جانبه عليه السلام على جانب المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اي تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه. روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالفوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلعم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك

ان اولى الناس بابرهيم اي اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في زمانه وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي عليه السلام بدلالة النص نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اي وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انهم يضاعف عذابهم وقيل وما يضلون الا امثالهم ويأباه قوله وما يشعرون اي باختصاص وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون اي والحال انكم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وابرازكم الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق اي نبوة محمد صلعم ونعته اي حقيقته وهم رؤساؤهم ومفسدوهم لاعقابهم آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا اي اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار اي اوله واكفروا اي اظهروا ما انتم عليه من الكفر به آخره مرائين لهم انكم آمنتم به بادي الرأي من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه لعلهم اي المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلا من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد في التورية ليشك اصحابه فيه ولا تؤمنوا اي لا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم

او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم
يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ادبرتم لا تؤمنوا
اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا
يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله
اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرئ
ان يؤتى على الاستفهام التوبيخي وهو مؤيد للوجه الاول اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ
ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى
احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى
الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به
غير اتباعهم

رد لهم وابطال لما زعموه بالحجة الباهرة يختص برحمته اي يجعل رحمته مقصورة على من يشاء
والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع في بيان
خياناتهم في المال بعد بيان خياناتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء حسبما
حققه في تفسير قوله ومن الناس من يقول الخ خبره قوله تعالى من ان تأمنه بقنطار يؤده
اليك على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كانه قيل
بعض اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بقنطار اي بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام
استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار
لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون
على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب
فيهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال او الاوقات اي لا يؤده
اليك في حال من الاحوال اي في وقت من الاوقات الا في حال دوام قيامك او في وقت
دوام قيامك على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك اشارة
الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم في
الشر والفساد اي بسبب انهم
اي في شأن من ليس من اهل الكتاب

النجراني قالا يا رسول الله صلعم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عم معاذ الله
ان يعبد غير الله تعالى وان تأمر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت
وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض
افلا نسجد لك قال عم لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا
الحق لاهله ولكن كونوا اي ولكن يقول ربانيين الرباني منسوب الى الرب بزيادة
الالف والنون كاللحياني والرباني هو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله
ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي بسبب مثابرتكم
في تعليم الكتاب ودراسته اي قراءته فان جعل خبر كان مضارعا للافادة الاستمرار
التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل
وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على القراءة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم
والثاني لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من
الادراس بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرم ويجوز كون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى
على تقدير بما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
بالنصب عطفا على ثم يقول ولا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر اي ما
كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه او يأمر باتخاذ الملائكة و
النبيين اربابا وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى تحقيق الحق ببيان
ما يليق بشأنه ويحق صدوره عنه اثر تنزيهه عما لا يليق به ويمتنع صدوره عنه وأما
ما قيل من انها غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه
اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة فيقتضي فساده ما ذكر من توسيط الاستدراك
بين الجملتين المتعاطفتين ضرورة انهما في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى ايأمركم بالكفر
فانه صريح في ان المراد بيان انتفاء كلا الامرين قصدا لا بيان انتفاء الاول لانتفاء
الثاني ويعضده قراءة الرفع على الاستئناف وتجوز الحالية بتقدير المبتدأ اي وهو
لا يأمركم كما بين الف ولام وقوله تعالى بعد اذ انتم مسلمون دليل على
ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون للسجود له عليه السلام
منصوب بمضمر خوطب به النبي عم اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم

لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل
معناه اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل اضافة
الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء
على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او
سماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم
لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق
بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرطية
ويحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض
الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة
والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او
لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث
استثقالا قال اي الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق أأقررتم وأخذتم
على ذلكم إصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بضم الهمزة
وهي اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا استيناف مبني على
السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا أقررنا ولم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء
بذلك قال تعالى فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة
وأنا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع على
المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التأكيد والتحذير ما لا يخفى
فمن تولى اي اعرض عن ذكر بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فمعنى البعد
في اسم الاشارة تفخيم الميثاق فأولئك اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد
في تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على تراخي امرهم في السوء وبعد
منزلتهم في الشر والفساد اي فاولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة هم
الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة
من كان متجاوزا عن الحد أفغير دين الله يبغون عطف على مقدر اي أيتولون فيبغون

فانه سبحانه قال بعد ان آمنوا وهو حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على
ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين
اي الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق
وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية أولئك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو مبتدأ وقوله
جزاؤهم مبتدأ ثان وقوله تعالى أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خبره
والجملة خبر لاولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن
غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون
عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا
يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة والعقوبة
او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
اي يمهلون إلا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد وأصلحوا اي ما افسدوا
او دخلوا في الصلاح فإن الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل
لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى
قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة
فتاب إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل
بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن او كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه
والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا
كفرا بقولهم نتربص بهم ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان لن تقبل
توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها
تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا
نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء وأولئك هم الضالون
الثابتون على الضلال إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من
أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول العذر

زيدت الف رحمها للاشعار به وملاذ الشي ما يملأه وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على
انه بدل من ملأ او خبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من
احدهم فدية ولو افتدى بملأ الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من
احدهم ملأ الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة
او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة وهو اسم الاشارة
مبتدأ والظرف خبره ولاعتماده على المبتدأ ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية
في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق
وصيغة الجمع المراعاة الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد من نال نيلا
اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستانف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين
ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم
اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شاوه ولن
تلحقوا بزمرة الابرار ولن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته
اي في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى
تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة
اي مما تهوون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما
كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه
من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله تعالى عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا
جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي
بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او
رائح فاني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان
يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان
زيد اوجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلم اما ان الله تعالى
قد قبلها منك قيل وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل

الى اضطركم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنية الدنيوية
والزمكم تحريم طيبات محللة لابراهيم عم ومن تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى
موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه اي مائلا عن الاديان الزائغة كلها
اي في امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود و
تصريح بانه عم ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبي صلعم على دين ابرهيم عم
في الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل
لما قبلها ان اول بيت وضع للناس شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملته عم
اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلالا عليه السلام روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة
لانه مهاجر الانبياء وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلعم
فنزلت اي ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة
على البناء للفاعل وقوله تعالى خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصه
بما فيه من الاضافة والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف
من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة
لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم
وسبد راسه وسمدها واغبطت الحمى واغمطت وهي علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام
الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا ولانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها
لم يقصدها جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت و
قيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وايد هذا بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند
الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة روي انه
عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل
كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم عم وقيل آدم عم وقد
استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان
مباركا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب
وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه
ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه

آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال **فيه آيات بينات** واضحات
كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار ومخالطة ضواري السباع
الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كأصحاب الفيل
والجملة مفسرة للهدى أو حال أخرى **مقام إبراهيم** أي أثر قدمه عليه السلام
يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه أو عند غسل رأسه على ما روي أنه
عليه السلام جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل عليهما السلام
انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه
عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي
أثر قدميه عليه وهو إما مبتدأ حذف خبره أي منها مقام إبراهيم أو بدل من آيات
بدل البعض من الكل أو عطف بيان إما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه
وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم عليه السلام كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا
أو باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فإن كل واحد من أثر قدميه في صخرة صماء وغوصه فيها
إلى الكعبين وإلانة بعض الصخور دون بعض وإبقاءه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام
وحفظه مع كثرة الأعداء ألوف سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد وإما
بما يعمه من قوله عز وجل **ومن دخله كان آمنا** فإنه وإن كان جملة مستأنفة ابتدائية
أو شرطية لكنها في قوة أن يقال وأمن من دخله فيكون بحسب المعنى والمآل معطوفا على
مقام إبراهيم ولا يخفى أن الاثنين نوع من الجمع فيكتفى بذلك أو يحمل على أنه ذكر من تلك الآيات
اثنان وطوي ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى أمن داخله أمنه من التعرض له كما في قوله تعالى
أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام رب اجعل
هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رضه لو ظفرت فيه
بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل
في الحل بقصاص أو ردة أو زنى فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى
ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل أمنه من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات
في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران
في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية

قل يا أهل الكتاب هم اليهود والنصارى وإنما خوطبوا بعنوان أهلية الكتاب
الموجبة للإيمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل
لم تكفرون بآيات الله توبيخ وإنكار لأن يكون لكفرهم بها سبب من الأسباب
وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي
من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التوراة والإنجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى **والله شهيد على ما تعملون** حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ
في الوعيد وكلمة ما إما عبارة عن كفرهم أو هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا أوليا والمعنى
لأي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال أنه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع أعمالكم وفي مجازاتكم
عليها ولا ريب في أن ذلك يسد جميع أنحاء ما تأتونه ويقطع أسبابه بالكلية
يا أهل الكتاب أمر بتوبيخهم بالإضلال إثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة
في حمله عليهم على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الأمر السابق للإيذان باستقلالهما كما أن
قطع قوله تعالى **لم تصدون** عن قوله تعالى لم تكفرون للإشعار بأن كل واحد من كفرهم
وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتوبيخ وتكرير الخطاب بعنوان أهلية
الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فإن ذلك العنوان كما يستدعي الإيمان بما هو مصدق
لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في أقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض
الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته عليه السلام وقرئ تصدون من أصده
عن سبيل الله أي دينه الحق الموصل إلى السعادة الأبدية وهو التوحيد وملة الإسلام مفعول
لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه
ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون إن صفته عليه السلام ليست في كتابهم و
لا تقدمت البشارة به عندهم وقيل أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم
في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا إلى ما كانوا فيه **تبغونها** على إسقاط الجار وإيصال
الفعل إلى الضمير كما في قوله فتولى غلامهم ثم نادى أظليما أصيدكم أم حمارا بمعنى أصيد لكم
أي تطلبون لسبيل الله التي هي أقوم السبل **عوجا** أي عوجا بأن تلبسوا على الناس
وتوهموا أن فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو
ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله

باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم شهداء تشهدون انها
سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما
اي شهداء ان في التوراة ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول
فيما بينكم تثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور وما الله بغافل
عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق
الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله
تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى على ما يعملون يا ايها الذين
آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم
بالاغواء والاضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير
عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا
كما ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر او للمحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا
من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم
الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم من تآلف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي
بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشنآن فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم
ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه
للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى
تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال أتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى
بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم
فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلعم قال الامام الواحدي
اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلعم حتى قام بين الصفين
فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون له
فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان
ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا

يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها
واذكروا نعمة الله مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى عليكم متعلق به او
بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى اذ كنتم ظرف له او للاستقرار في عليكم اي
اذكروا انعامه عليكم واذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم اعداء في الجاهلية
بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا
اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب
فيما بينهم مائة وعشرين سنة فالف بين قلوبكم بتوفيقكم للاسلام فاصبحتم اي فصرتم
بنعمته التي هي ذلك التأليف اخوانا خبر اصبحتم اي اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة
في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح
فالباء متعلق بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اي فاصبحتم متلبسين بنعمته
حال كونكم اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها حرفها اي
كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها
فانقذكم بان هداكم للاسلام منها الضمير للحفرة او للنار او للشفا وتأنيثه للاضافة اليه
كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها
جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك
اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه
وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة
والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة
لمصدر محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم آياته اي دلائله
لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله
من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم
بمواجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويردعهم عن الاخلال بها
والجمهور على اسكان لام الامر وقد قرئ بكسرها على الاصل ومن وهو من كان التامة
تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اي

لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها او من الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اي لتكن منكم امة داعين الى الخير واياما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولانها من عظائم الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكام الله تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الا تماديا والاصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم الآية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى **ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلثة اما للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم واما القصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر **واولئك** اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والافراد في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير مقصود اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة **هم المفلحون** اي هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن خير الناس فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر

من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى **وما الله يريد ظلما للعالمين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه واكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم باحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما لا يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي يدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كم في سلك الجملة نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون **ولله ما في السموات وما في الارض** اي له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى **والى الله ترجع الامور** اي امورهم اي الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعد من غير دخل في ذلك لاحد قط والجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم **كنتم خير امة** كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى او في اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة **اخرجت للناس** صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اي اظهرت لهم وقيل بخير امة اي كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اي اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رضي معناه كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خير امة للناس **تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** استئناف مبين لكونهم خير امة كما يقال

زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وخبر كان لكنتم وصيغة الاستقبال
للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين
لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله عنه يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج اصل
هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلعم وهو يعم سائر امته وروى الترمذي عن بهز بن
حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى وظاهر ان المراد بكل امة اوائلهم فقط فلا يبعد
ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روي ان مالك بن الصيف
ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لابن مسعود من اصحاب النبي صلعم فيهم ابن مسعود وابي بن كعب
ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضي الله تعالى عنهم نحن افضل منكم وديننا خير
مما تدعوننا اليه وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رض كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلعم
الى المدينة وروي عن الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلعم خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله
المسلمين بطاعتهم **وتؤمنون بالله** اي ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول
وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور ان الذي يؤمن به المؤمنون للايذان
بان الايمان بالله تعالى حقيقة وانما خلا عن شيء من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به
في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها وليقترن به
قوله تعالى **ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم** اي لو آمنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم
مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية
مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية
انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور انه
الذي يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به هنا او فيما قبل لربما
فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه وهيهات ذلك **منهم المؤمنون**
جملة مستأنفة سيقت جوابا عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان
عنهم كانه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون

والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى **آناء الليل** ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع
انًا بزنة عصا واني بزنة معًا او اني بزنة ظبي او اني بزنة نحي او انو بزنة جرو
وهم يسجدون اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود قال صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت
ان اقرا راكعا وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلوة لكونه
ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم آيات الله في الصلوة مع انها مشتملة عليها قطعا
لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها
وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد بصلاتهم التهجد اذ هو ادخل في
مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها في المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلوة
المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها
لما روي ان رسول الله صلعم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه
ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وايراد الجملة الاسمية
للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة
حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى
يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى
ولله يسجد ما في السموات والارض **يؤمنون بالله واليوم الآخر** صفة اخرى
لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع
والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور انه الذي يطلق عليه الايمان بهما لا يذهب
الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب و
الرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما في شيء اصلا ولو قيد
بما ذكر لربما توهم ان المنفي عنهم هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بهما الاصل و
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا
لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة
بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف
ويسارعون في الخيرات صفة اخرى لامة جامعة
لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب

في الامر سارع في توليه والقيام به واثر الفور على التراخي اي يبادرون مع كمال الرغبة
في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل
بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ
للايذان بانهم مستقرون في اصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل لا انهم
خارجون عنها منتهون اليها واولئك اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من
النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل
وايثاره على الضمير للاشعار بعلة الحكم والمدح اي اولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة
بسبب اتصافهم بها من الصالحين اي من جملة من صلحت احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا
رضاه وثناه وما يفعلوا من خير كائنا ما كان مما ذكر او لم يذكر فلن يكفروه اي لن
يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر
اظهار الكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى
من القبائح وتعديته الى المفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول الجري
على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل
مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين
اما الامة المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم
بهم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس
المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا ان الذين كفروا اي بما يجب
ان يؤمن به قال ابن عباس رضه هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال
وقيل هم مشركو قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان
واصحابه فانه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم
فاخروا بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل
عليهم وقال لن تغني عنهم اي لن يدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه
شيئا اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء واولئك اصحاب النار اي ملازموها
على الدوام وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون في هذه الحيوة
الدنيا بيان لكيفية عدم اغناء اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار

والاستبشار بوعد الله تعالى بان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير ان
يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان
تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير
ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة
اما للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة
واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا اي على عداوتهم او على مشاق التكاليف
وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلتهم التي دبروها لاجلكم
وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره
وضمة الراء في القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اي لا يضركم
شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب
بالاتقاء والصبر يكون جريا على الخصم ان الله بما يعملون في عداوتكم من الكيد
محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقية اي بما يعملون من الصبر والتقوى العزر
على ان وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة عن مضرة كيد الاعدا واذ نصب على المفعولية
بمضمر خوطب به النبي صلعم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص
مضمون الكلام به عم اي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال
الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب
ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة
والمراد به خروجه عم الى احد وكان ذلك من منزل عائشة رضي الله عنها وهو المراد بقوله تعالى
من اهلك اي من عند اهلك تبوئ المؤمنين اي تنزلهم او تهيئ وتسوي لهم مقاعد
للقتال وقرئ تبوئ للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اي
او قاصدا للتبوئة كما قيل بل على ان المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة
وما يترتب عليها اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه
عم بعد صلوة الجمعة كما ستعرفه اذ هو وقعة النبوئة التي هي العمدة في الباب اذ المقصود
بتذكير الوقت تذكير مخالفتهم لامر النبي صلى الله عليه وسلم وتزايلهم عن احيازهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم

وبهذا يتبين خلل راى من احتج به على جواز صلوة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالى اما متعلقة بتبوى اى لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اى كائنة ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه وان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شايع ذائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلعم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة فتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصاري رض يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة ثم قال بقولي اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لامته فلما راوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هنالك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي صدوره عنهم اذ همت بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع بين سماع الاقوال والعلم بالضمائر في ذلك الوقت او لاوجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الراغب فيكم

خاصا لهم عليها وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه عم ويأتوكم اى المشركون من فورهم هذا اى من ساعتهم من وهو في الاصل مصدر فارت القدر اى اشتد غليانها ثم استعير للسرعة ثم اطلق على كل حالة لا ريث فيها اصلا ووصفه بهذا لتاكيد السرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بالسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبعين له وجودا وعدما لا عن الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطؤا والتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله او بيان تحققه على اى حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلان يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول ان لبستها وبارزت بها الاعداء فضربوك بايد شداد وسيوف حداد لم تتاثر منها قطعا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشي اى معلمين انفسهم او خيلهم فقد روي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد علموا بالعهن في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه رض تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل من التسويم بمعنى الاسامة وما جعله الله كلام مبتداء غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لسان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه واماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى وتقييده تارة فيما مضى بوقوعه قضاء قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على تعاضد الدلائل وتاخذ الامارات والمخائل وايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرار او عن ايهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كانه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فامدكم بهم وما جعله الله

والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر
المذكور اعني قوله تعالى ان يمددكم او الى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة
التنزيل لان الهيئة البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المراد
بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في ان المصدرين المذكورين
غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام وجودهما
بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلاثة آلاف
والواقع هو الامداد بخمسة آلاف وقوله تعالى الا بشرى لكم استثناء مفرغ من اعم العلل
وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب
بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلعم غني عنه بما له من التأييد الروحاني اي وما جعل
امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به
اي بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد
نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني
على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بان الملائكة عليهم السلام
لم يباشروا [illegible] للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير السواد
ونحوه كما هو رأي بعض السلف رحمه الله وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم
استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في قوله تعالى
ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك وما النصر اي حقيقة النصر
على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اي الا كائنا من عنده تعالى
من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان
سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التأثير
وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز اي الذي لا يغالب
في حكمه وقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصرة به تعالى كما ان وصفه تعالى
بقوله الحكيم اي الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر
بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى

اعتساف يتعين تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الآية متعلق حتما
بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى
ولقد نصركم الله ببدر الآية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين
الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء
بصدد بيان انتفائه مما لا عهد به في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه
ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكي في اثنائه الى قوله تعالى فانقلبوا خائبين متعلق
بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون تعليل على
كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله ما في
السموات وما في الارض كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل
الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له
وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا
وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ان يغفر له مشيئة مبنية
على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه بمشيئة كذلك وايثار كلمة من
في الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان
بسبق رحمته تعالى غضبه وانها من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات سيئات العصاة
وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم
تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينه
من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما لا يخفى يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا
كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة
وما بعدها من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف القصة
مسارعة الى الارشاد والمخاطبين الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه
وايذانا بكمال نبه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق عمدة في امر الجهاد عليها
يدور رحى فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول ع
لما لقوا ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء
والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل الله متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة

مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد باكله
اخذه وانما عبر عنه بالاكل لان معظم ما يقصد بالاخذ وشيوعه في الماكولات مع ما فيه
من زيادة تشنيع وقوله عز وجل اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي به بل
لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك وكان الرجل يربي الى اجل فاذا حل
قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق
بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا وهي مضعفة واتقوا الله
فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها الربوا لعلكم تفلحون راجين للفلاح واتقوا النار
التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رحمه الله
يقول هي اخوف اية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه
في اجتناب محارمه واطيعوا الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي يبلغكم
اوامره ونواهيه لعلكم ترحمون راجين الرحمة عقب الوعيد بالوعد ترهيبا
عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة منال الفلاح و
الرحمة قال محمد بن اسحق هذه الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم
بما امرهم يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا او على نظيره او على وجه الاستيناف اي
بادروا واقبلوا وقرئ وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اي الى ما يؤدي اليهما وقيل
الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات
وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما مر من الامور المامور بها والمنهي عنها دخولا اوليا وتقديم
المغفرة على الجنة لان التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة
المغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار
مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض اي كعرضها صفة لجنة و
تخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فان العرض
في العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رضه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض اعدت للمتقين في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب
على الحالية منها لتخصيصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الان وانها
خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه

اي لم يصروا على ما فعلوا او هم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك
لانه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به اولئك اشارة
الى المذكورين اخيرا باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد
للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى جزاؤهم
بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة خبر له او جزاؤهم مبتدا ثان ومغفرة خبره والجملة
خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ على الوجه الاول وهو الاظهر
الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء او على الوجهين الاخيرين
يكون قوله تعالى اولئك الخ جملة مستانفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين
والتائبين ولم يذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء
الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخيرين مع اشتراكهما في حكم اعداد الجنة لهما تعسف
ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افادها التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة
والتنكير المشعر بكونها ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال مقدرة
من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا
مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك لابرز الضمير
ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي
ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما تستحقان بمقابلة العمل وان كان
بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مخصص بالتائبين حسب
اختصاص التذييل السابق بالاولين ولما بينك مضمونيهما دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت
النير والتباين البين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين
الحائزين لاجرتهم وعمالتهم قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة
بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن
الوقائع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت
من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كقوله عز وجل

وتقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا الآية وانما في قوله تعالى فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او للامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا الخ وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار هذا اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الخ بيان للناس اي تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اي هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم وهدى وموعظة للمتقين اي وزيادة بصيرة وموعظة لكم وانما قيل للمتقين لايذان بعلة الحكم بان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما اي هذا بيان لمآل امر الناس وسوء عاقبة وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالسياق لان اول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة الهدى او اصله فمترتب عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين ايضا لان المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لانهما المقصد الاصلي ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين وانت خبير بان الاعتراض لا بد ان يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلثة للمؤمنين وان كان باعثا على الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن ولا يخفى بعده ولا تهنوا ولا تحزنوا تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب

وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد فمن ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي يتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيامة فمن بيانية لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط واياما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شأنهم ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتقرير من حيث ان بغضه تعالى لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم واما الكفرة الذين اديل لهم فالتقرير من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة الى المؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا اي ليصفيهم ويطهرهم عن الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشأن التمحيص وهذه الامور الثلثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تأخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين او ليقترن بقوله عز وعلا ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الآثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص والاذهاب قال المفضل هو ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربوا اي يستأصله وهي علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا ام حسبتم كلام مستأنف سيق لبيان ما هي الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عزة منالها والخطاب للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار

فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية
عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على ان تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة
استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى
المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال
انما هو علم الله تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم ولما وجه النفي
الى الموصوفين مع ان المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي ان يقال ولما يعلم الله جهادكم
كناية عن نفيه ولا تجاهدوا للمبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة
لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر في تأكيد الانكار وقرئ
يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون او على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة
للتنبيه وتفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان
على ان الواو للجمع كما في قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكن منك اكل السمك
وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي
الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر
والمحافظة على التواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله فحرك لالتقاء الساكنين
بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن
وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدا محذوف اي وهو يعلم
الصابرين كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي تمنون الحرب
فانها من مبادي الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا
يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة
فالحوا على رسول الله صلعم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك من قبل ان تلقوه متعلق بتمنون
مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته
وقرئ تلاقوه فقد رأيتموه اي ما تمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه
وقوله تعالى وانتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفي ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها
بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك
فقد رأيتموه معاينين له حين قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم

والله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها
ابو بكر رضي الله عنه وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو الا ان سمعت ابا بكر رضي الله عنه يتلو
فعقرت حتى ما تحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله قد مات صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن ينقلب على عقبيه بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر
الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين الا ما كان
من المنافقين فلن يضر الله شيئا اي شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب
وسيجزي الله الشاكرين اي الثابتين على دين الاسلام الذي هو اجل نعمة
واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه ايماء الى
كفران المنقلبين وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين
والانصار وعن علي رضي الله عنه انه قال ابو بكر من الشاكرين ومن احباء الله تعالى
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان جزائهم وما كان
لنفس ان تموت كلام مستأنف سيق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبيان
على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان ان موت كل نفس منوط بمشية الله عز وجل
لا يكاد يقع بدون تعلقها به وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضائق كل هائل
مخوف وقد اشير بذلك الى انها لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروا فيه
ولذلك لم يقتلوا حين لا الجاهم عن مباشرة القتال وكان ناقصة اسمها ان تموت
وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله تعالى الا باذن الله استثناء مفرغ
من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب
الا بمشيته تعالى على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه او الا باذنه لملك الموت
في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس
بصورة الافعال الاختيارية التي لا ينبغي للفاعل اتيانها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى
او بتنزيل اقدامها على مبادية اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق
المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدامها عليه او على مبادية وسعيها في ايقاعه
فلان يستحيل عند عدم ذلك اولى واظهر وفيه من التحضيض على القتال ما لا يخفى
كتابا مؤجلا مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي كتبه الله كتابا موقتا بوقت معلوم

لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة على تليين التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحيوة محض مشية الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا اشير الى توفية ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنية الى المطالب السنية فقيل ومن يرد ثواب الدنيا نؤته اي عليه بنون العظمة على طريق الالتفات منها اي من ثوابها ما نشاء ان نوتيه اياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم يومئذ وقوله تفصيل ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اي بيلة اي من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الاسلام الثابتين عليه الصابرين لما اصابهم لله تعالى من القوى والقدر اي ما خلقت هي لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام الجزاء من التاكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلثة بالياء وكاين كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظة مركبة من كاف التشبيه واي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي احداهن والثانية كاءٍ مثل كاعٍ والثالثة كأيٍ مثل كعيٍ والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي تب ما قبلها والخامسة وكائن مثل كعين وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من نبي تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله اطرد باليأس بالرجا فكاين آلما حم يسره بعد عسر وقوله تعالى قاتل معه ربيون كثير خبر لها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب الى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها ايضا على الاصل وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء

عن اخاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لان الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قوله المحكي عنهم منفصلا كما تفيده وانها اكثر افادة للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم المذكور قولهم لان مصب الامتثال وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فاللائق بالخبرية على ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل واما ما يفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كان سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات في باب البيان واما اختيار الجمهور ما اختاروه فلقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو بمنزلة العلم فتأمل فآتاهم الله بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا اي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب الاخرة اي وثواب الاخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهي مبدأ لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للاشعار بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهو داخلون فيه دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة يا ايها الذين آمنوا شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها لخسران الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة

ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فوقوع قوله تعالى **يردوكم على اعقابكم** جوابا للشرط مع كونه في قوة ان يقال ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى **فتنقلبوا خاسرين** اي للدنيا والاخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على ان الارتداد على العقب علم في انتكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم استئمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجرهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة الى نحو التقادير الى ما مر من البيان **بل الله مولاكم** اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصارهم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله ومولاكم نصب على انه صفة له **وهو خير الناصرين** فخصوه بالطاعة والاستعانة

سنلقي بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتاكيد الالقاء **في قلوب الذين كفروا الرعب** بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من نزول الاية في تضاعيف الاياب او عقيب انقضائه وقيل هو ما القي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب **بما اشركوا بالله** متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب **ما لم ينزل به** اي باشراكه **سلطانا** اي حجة سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها وحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون الاراء والاهواء الباطلة **ومأواهم النار** بيان لاحوالهم في الاخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي ما يأوون اليه في الاخرة

وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله عليه السلام بعصيانكم له **لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم** اي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فات او ضر آت وقيل لا زائدة والمعنى لتتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في اثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما اصابكم من الجراح وغير ذلك **والله خبير بما تعملون** اي عالم باعمالكم وبما قصدتم بها **ثم انزل عليكم** عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقا **من بعد الغم** اي الغم المذكور والتصريح بتاخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الاية **امنة** اي امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى **نعاسا** بدل منها او عطف بيان وقيل مفعول له او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم عندهم حينئذ لان المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يأمنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متاهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من امن والخائف لا ينام وقال الزبير رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل الله تعالى علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رضي الله عنه رفعت راسي يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القي عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فاخذه ثم يسقط السوط من يدي فاخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه

النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طائفة منكم قال ابن عباس رضي الله عنه هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال للكل والجملة في محل النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان وان لا تفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم اي اوقعتهم في الهموم والاحزان او ما يهمهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمني الشيء اي كان من همي وقصدي والقصر مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتدا وما بعدها اما خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا محياك اخفى ضوؤه كل شارق او لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول واما صفتها والخبر محذوف اي ومنكم طائفة او وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه ايذان انه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بانزال الامنة واياما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم واما مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق في حكم الصفة اي يظنون به تعالى غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به سبحانه وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما ان مسألتهم كانت صادرة عن الظن اي يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر اي مما امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر من شيء اي من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اي الغلبة بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى يخفون في انفسهم اي يضمرون فيها او يقولون

المستطيل الذي عليه يدوم امر استحضار الصورة قال الزجاج اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق انها ظرف لما لقولهم كانه قيل قالوا لاجل احوال اخوانهم حين ضربوا الخ او كانوا غزا اي اخوانهم جمع غاز كعفى جمع عاف قال ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى لها قلب عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه في الضرب في الارض لانه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الارض توطئة له وتقليل لكثرة وقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد واعلم بين اذ وغزوا الاندراج باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى لو كانوا عندنا اي مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المنكر الآتي اما قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فاللام الذي جعل حسرة فيها قطعا واليه اشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتكم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته او هو المؤثر في الحيوة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة او السفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا

وبما يعملون عام متناول لقولهم المذكور ولمنشأه الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من
الاعمال ولذلك تعلق بعنوان البصر لا بعنوان السمع واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد ولئن قتلتم
في سبيل الله او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل
والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون
اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى لمغفرة من الله
ورحمة لام الابتداء والتنوين في الموضعين للتقليل ومن متعلق بمحذوف وقع صفة
للمبتداء او قد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب للقسم ساد مسد
جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا
ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنة من الله تعالى بمقابلة
ذلك خير مما يجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اي مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار
على بيان خيريتهما من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولهما لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء
على استحالة التخلف منه تعالى بعد الاطماع وقد قيل لا بد من حذف اي لمغفرة لكم
من الله الخ وقد ايضا يكون اخراج المقدر مخرج الصفة دون الخبر لنحو ما ذكر من الدعاء
الظهور والغنى من الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على
كثرة الوقوع وقلته للمبالغة في الترغيب في الجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله
وانافته في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ما مر من ان المقصود
بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا في
النطق به واضلال الناس ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق
الارادة الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يموت لالى الله اي الى المعبود بالحق
العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم
ويجزل لكم عطاياكم والكلام في لام الى الجلالة كما مر في اختها فبما رحمة من الله لنت لهم
تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ
عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة

كل نفس ما كسبت اي يعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا
وضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا
كأنهما شيء واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود
بيان حال الغال عند اتيانه بما غل يوم القيامة من الدلالة على فخامة شأن اليوم وهول مطلعه
والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حين يوفى كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص
منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلأن لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه
من اعظم الجرائم اظهر واجلى وهم لا يظلمون اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس
بزيادة عقاب او بنقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه
حسبما كان يفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته كمن باء اي رجع بسخط
عظيم لا يقدر قدره كائن من الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن بين يديه والمراد
تأكيد نفي الغلول عن النبي عليه السلام وتقرير بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف
كل منهما بنقيض ما وصف به الاخر فقوبل رضوان الله تعالى بسخطه والاتباع بالبوء وجمع بين
الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال
الغال كأنه قيل ابعد ظهور الحال يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة ومأواه جهنم
اما كلام مستأنف مسوق لبيان مآل امر من باء بسخط تعالى واما معطوف على قوله تعالى
باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية واياما كان فلا محل له من الاعراب
وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير جهنم والفرق
بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم درجات
راجع الى الموصولين باعتبار المعنى عند الله اي طبقات متفاوتة
في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان
بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات والله بصير بما يعملون من الاعمال
ودرجاتها فيجازيهم بحسبها لقد من الله جواب قسم محذوف اي والله لقد من الله
على المؤمنين اي من قومه عليه السلام اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من نسبهم
او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق

والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك
وقرئ من انفَسِهم اي اشرفهم فانه عم كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ
لمن منّ الله على المؤمنين اذ بعث الخ على انه خبر لمبتدأ محذوف اي منه اذ بعث
او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه و
تخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها
وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى
يتلو عليهم صفة اخرى اي يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق
اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم عطف على يتلو اي يطهرهم من دنس الطبائع وسوء
العقائد واوضار الاوزار **ويعلمهم الكتاب والحكمة** اي القرآن والسنة وهو صفة اخرى
لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس
بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب
على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر
فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير
عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة
ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف
في سورة البقرة وان كانوا من قبل اي من قبل بعثته عليه السلام وتزكيته وتعليمه
لفي ضلال مبين اي بين لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من ان المثقلة وضمير
الشأن محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق بكان
والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة التي حذف اسمها اعني ضمير الشان وقيل هي نافية
واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين واياما كان فالجملة اما حال من
الضمير المنصوب في يعلمهم او مستأنفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها
اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مبتدأ مسوق لابطال بعض
ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة منها اثر ابطال
بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف

ولذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق الحرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف
او بدلية اما سوى فيما عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد جنسية عملها واما افعل التفضيل فحيث
دل على اصل الفعل وزيادته جرى مجرى عاملين كأنه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان
وقيل يتعلق الجاران به لشبههما بالظرفين اي هم للكفر يومئذ اذ قالوا ما قالوا اقرب منهم للايمان
فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا
عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا
من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخزال
تقوية للمشركين وقوله تعالى **يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم** جملة مستأنفة
مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم
وما عبارة عن القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب اخرى
فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي في
منشؤه الذي لا ينفك عنه القول اصلا وانما عبر عنه به ابانة لما بينهما من شدة الاتصال
اي يتفوهون بقول لا وجود له في الوجه الاول او لمنشئه في قلوبهم اصلا من الاباطيل
التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا فانهم اظهروا انه او ليس في قلوبهم شيء منها اصلا وهو عدم العلم
بالقتال او الاخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به
غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخزال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل
والله اعلم بما يكتمون زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف
اقوالهم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان
بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك
يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بعلم الله تعالى **الذين قالوا**
مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتدأ محذوف وقيل مبتدأ خبره قل فادرءوا
بحذف العائد تقديره قل لهم الخ او منصوب على الذم او على انه نعت للذين نافقوا او بدل منه
وقيل مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم
والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم
او من اقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا

عن القتال بالانخزال **لو أطاعونا** اي في القعود ووافقونا في ذلك **ما قتلوا** كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخزال حين انخزلوا واغووهم كما غووا وحمل القعود على ما استصوبه ابن أبي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رأيه والعمل به يرده كون الجملة حالية فانها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع ان ابن أبي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم الطاعة باخوانهم ينادي باختصاص الامر ايضا بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة **قل** تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم **فادرءوا عن انفسكم الموت** جواب الشرط قد حذف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى **ان كنتم صادقين** كما انه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل المراد ان كنتم صادقين في مضمون الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا** كلام مستأنف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضميره عليه السلام او ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل

الا من حضر يوما بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت **الذين قال لهم الناس** يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه ككلامهم تقول فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له سوى فرس واحد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه **ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى في قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار **فزادهم ايمانا** الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنه قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار **وقالوا حسبنا الله** اي محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك **ونعم الوكيل** اي نعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف اي الله عز وجل **فانقلبوا** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روي انه عليه السلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا او الا في قوله تعالى **بنعمة** متعلقة بمحذوف

وقع حالاً من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم اي رجعوا من مقصدهم متلبسين بنعمة عظيمة
لا يقدر قدرها وقوله عز وجل ﴿من الله﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها
الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الايمان
والزيادة فيه وحذر العدو منهم ﴿وفضل﴾ اي ربح في التجارة وتنكيره ايضاً للتفخيم ﴿لم يمسسهم
سوء﴾ حال اخرى من الضمير في فانقلبوا او من المستكن في الحال كانه قيل منعمين حال كونهم سالمين
عن السوء والحال اذا كان مضارعاً منفياً بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو
كما في قوله تعالى او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وعدمه كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى
﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً﴾ ﴿واتبعوا﴾ في كل ما اتوا من قول وفعل ﴿رضوان الله﴾
الذي هو مناط الفوز بخير الدارين ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ حيث تفضل عليهم بالتثبيت
وزيادة الايمان والتوفيق بالمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة على العدو
وحفظهم عن كل ما يسوؤهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء
رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزواً فاعطاهم الله تعالى
ثواب الغزو ورضي عنهم ﴿انما ذلكم﴾ اشارة الى المثبط او الى من حمله على التثبيط والخطاب
للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿الشيطان﴾ اما خبره وقوله تعالى ﴿يخوف اولياءه﴾ جملة مستأنفة
مبينة لشيطنته او حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية الخ واما صفته والجملة خبره
ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان اي ابليس والمستكن في
يخوف اما للمقدر واما للشيطان بحذف الراجع الى المقدر اي يخوف به والمراد باوليائه اما
ابو سفيان واصحابه والمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن عباس رض
وابن مسعود رض ويؤيده قوله تعالى ﴿فلا تخافوهم﴾ اي اولياءه ﴿وخافون﴾ في مخالفة امري واما القاعدون
فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس
الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسارعوا
الى ما يأمركم به والخطاب لفريقي الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي او الانتهاء على ما قبلها
فان كون المخوف شيطاناً مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان الايمان
يقتضي ايثار خوف الله تعالى على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان واوليائه
﴿ولا يحزنك﴾ بلون الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بخصيصة التسلية

بذكر غاية ابتلائه بعد ذكر نهاية غبطة قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه
وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم
بالايلام مراعاة لذلك ﴿ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم﴾ عطف على
قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها ساد مسد
مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر
ومسد احدهما والآخر محذوف عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف
عائدها ووصلها في الكتابة لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم او ان ما نمليه لهم
خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة
ومآله نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه
شر بحت وضرر محض كما ان مآل المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر
حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عم ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد
بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي احكام المعهودين اندراجاً اولياً واما المعهودون
خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لرعاية المقارنة الداعية بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة
عن امهالهم وتخليتهم وشأنهم دهراً طويلاً فان المقارن له دائماً انما هو الكفر المستمر لا المسارعة
المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المنقضية في تضاعيف الكفر
المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية
او لكل من يتأتى منه الحسبان قصداً الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما
نملي لهم الخ بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق
بعض واما مفعول ثان بتقدير مضاف اما فيه اي لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء
خير لانفسهم من معنى التفضيل باعتبار زعمهم ﴿انما نملي لهم ليزدادوا اثماً﴾ استئناف
مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ
بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله
مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورده على معنى لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم
لازدياد الاثم حسبما هو شأنهم بل انما هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان

ولهم في الآخرة عذاب مهين لما تضمن الاملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها و
ذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا
والجملة اما مبتداء مبينة لحالهم في الآخرة اثر بيان حالهم في الدنيا واما حال من الواو
اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة ما كان
الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه كلام مستانف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين
بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين
المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق
ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم
في اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار
والمنافقين وهو قول ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي واكثر المفسرين
ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين عطف تفسيري للكفار والاملاء غير كاف في
المؤمنين والمجاهرين في امر من الامور والمراد بما هم عليه ما مر من القدر المشترك
فانه كما يجوز نسبته الى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ما كانوا شركاء
لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل المعاني
ففيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لايمانهم قبل الخطاب للاشعار بعلة الحكم و
المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما
بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون
هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما
ولان فهم ذلك انما يفهم من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب
اليهما معاد عليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز واللام في ليذر اما متعلقة
بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما
كان الله مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين الا نفيه توجيه النفي الى ارادة
الفعل تأكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل
بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر
في عملها وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب غاية لما يفيده النفي المذكور كانه قيل

مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة
عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير ان يكون
لهم مدخل فيه او استحقاق له هو خيرا لهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير
النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير من يحسب والذين هو المفعول الاول على حذف المضاف
والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا يحسبن الذين يبخلون بما
آتاهم الله من فضله وهو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته لهم مع
انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيامة بيان لكيفية شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام
الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة
بينهما وروي عن النبي عليه السلام انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا
في عنقه يوم القيامة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه من قرنه
الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك ولله وحده لا لاحد غيره استقلالا
او اشتراكا ميراث السموات والارض اي ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات
التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث
منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة
والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل في
موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد
غضب الرحمن الناشي من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود
بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا
فقال فنحاص ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا
وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت
والجمع مع كون القائل واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى
واعد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة والسماجة

حيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد **سنكتب ما قالوا** اي سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتأكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى و استهزاء بالقرآن العظيم وللرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى **وقتلهم الانبياء** ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق و ان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى **بغير حق** متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر وقرئ سيكتب على البناء للفاعل و سيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع **ونقول ذوقوا عذاب الحريق** اي وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى **بما قدمت ايديكم** اي بسبب ما قدمتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي لما ان عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان في قوله تعالى **وان الله ليس بظلام للعبيد** الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصوير بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة عن الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده مع انها للمبالغة كما لا يخفى هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر

لكثرة وقوع الهلكة فيها **ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** اي من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق والايذاء لان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد الينا الآية والتصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به **ومن الذين اشركوا اذى كثيرا** من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن و تخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين و تحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه **وان تصبروا** على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل **وتتقوا** اي تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث يتساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه **فان ذلك** اشارة الى الصبر والتقوى و ما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين **من عزم الامور** من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون او مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فافعلوا او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى **واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب** كلام مستانف سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تجريد الخطاب ان الخطاب الشامل عام وللمؤمنين لكونه مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها مع ما مر بيانه في تفسير قوله تعالى

واذ قال ربك للملائكة اني جاعل لها اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاق الذين
اوتوا الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب
مبالغة في تقبيح حالهم لتبيننه حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب
لقسم ينبي عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه للناس وتظهرن جميع ما فيه
من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته صلى الله عم وهو المقصود بالحكاية
وقرئ بالياء لانهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه
منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفى بالتأكيد في الاول لانه تاكيد له
وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدأ بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه
واما على رأي من جوز دخول الواو على المضارع المنفي عند وقوعه حالا اي لتبيننه
غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب المأمور به
واما لان المراد بالبيان المأمور به ذكر الايات الناطقة بنبوته عم وبالكتمان المنهي عنه
القاء الشبه وبل الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله فنبذوه النبذ
الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التاكيد والقوه
وراء ظهورهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر
مثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في
كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين واظهار ما يحوزه
من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاعراض الفاسدة تاوطمع في
عرض من الاعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي عم من كتم علما من اهله
الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه اني ارى الله سوف
يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما رايت ان الله سيعذبك
وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت
على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل حتى يتعلموا حتى
اخذ على اهل العلم ان يعلموا واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا
عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على
الكل مع ان المراد كتم بعضه كدلائل نبوته عليه السلام ونحوها لما ان ذلك كتم للكل

من ذلك بوجه من الوجوه الجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى والله على كل شيء قدير
تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى
قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه
كائنا ما كان مقدورا له ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه
شيء من الاشياء في القدرة على شيء من الاشياء فضلا عن المشاركة في ملك السموات
والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول
القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من
الجملتين بالتقرير ان في خلق السموات جملة مستانفة سيقت لتقرير ما سبق من
اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد لغباء
في تحقيق مضمونها اي ان في انشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الامور التي يحار
فيهم اجلاء العقول والارض على ما هي عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار
اي في تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها
التابعين لحركات السموات او سكون الارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص
الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا
بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان
البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر
من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي
ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا او في مقابله نهارا او في بعضها صباحا
وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده
بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع جمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلة
وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما كيكة وكيكا كانها جمع كيكاة والنهار
اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما
وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه في
الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فيخلفه

لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لآيات
كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص
الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من
الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود ههنا بيان استبداده تعالى
بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفى بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد
قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة
فنيطت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل هناك من آيات رحمته
تعالى كما انه من آيات الوهيته ووحدته لأولي الألباب اي لذوي العقول
المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية للتخلص
عن العوائق الظلمانية المتأملين في احوال الحقائق واحكام النعوت المراقبين في
انوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في
روائع حكمه المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود
المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود مثابرين على مراقبته وذكره غير ملتفتين
الى شيء مما سواه الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله والة لملاحظة صفات كماله
فان كل ما خطر في مظاهر الابداع وحضر محاضر التكوين والاختراع سبيل سوي الى عالم
التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل من سامع واع
ومخبر بانباء علمه وحكمته فهل من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم
بحسب احوالهم تارة بأوضح عبارة ويلوح اخرى بألطف اشارة مراعيا في
الحوار ايهامهم وتحريكهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في
شأن الشؤون والاسرار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة ائذني لي في الليلة في عبادة ربي
فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة
من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي
حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي
فقال له يا رسول الله ابتكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال

بعيان حالهم والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض
لادراج اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه
فيه لما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما
للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات من غير حاجة الى بعض آخر منها
في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله اي يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما
فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة بمعنى في اي يتفكرون
فيما خلق فيهما اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية
ربنا ما خلقت هذا باطلا كلمة هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب
من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انهما باعتبار
تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على ان يراد به المخلوق وباطلا اما صفة
لمصدر مؤكد محذوف او حال من المفعول به اي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم
الشأن عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن
ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون
مدار المعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدأ والمعاد حسبما افصحت
عنه الرسل والكتب الالهية كما تحققته مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب بقول مقدر
هو على تقدير كون الموصول نعتا لأولي الألباب استئناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول الآيات ناشئ
مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص الآيات المنصوبة في خلق العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله
تعالى والتفكر في محال تلك الآيات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها واحكامها كأنه قيل
فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت
مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة
بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه هذا واما جعله حالا من المستكن في
الفعل كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما ان ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه
ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم لله عز وجل في
عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يؤدي الى اجلاء تلك الآيات
والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور

بل من نتائجها المترتبة عليه فاعتباره قيداً لما في حيز الصلة مما لا يليق بشأن
التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعاً او منصوباً
على المدح او مرفوعاً على انه خبر لمبتدأ محذوف اذ لا اشتباه في ان قولهم ذلك
من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ايراد هذا القول في موقع الحال دون الخبر
اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى **سبحانك** اي تنزيهاً
لك عما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون
ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى **فقنا عذاب النار** فان معرفة سر خلق العالم
وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما تقتضيه من الاعمال الصالحة وتنزيه
الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من جهتين
احدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد
لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو اعني الوقاية على ذلك كأنه قيل واذ قد عرفنا
سرك واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين
لا يعرفون ذلك **ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته** مبالغة في استدعاء الوقاية
وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والجؤار وتأكيدها لاظهار
كمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل
امرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدي
للاخزاء معان متقاربة يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل اهانه وقيل اهلكه وقيل
فضحه قال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع
في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزياً لا غاية وراءه كقولهم من ادرك مرعى الصمان
فقد ادرك اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب
الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى **وما للظالمين من انصار** تذييل لاظهار نهاية فظاعة
حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد
الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل
دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى
جمع الظالمين اي ما لظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة

كما سيأتي ويجوز ان يكون معطوفاً على مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية
فاستجاب الخ واما على تقدير كون المقدر حالاً فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما
وقع حالاً من فاعله اعني قوله ربنا ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم
لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالآخرة استحقت
الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتاً
لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلاً لما عرفت من ان حق ما في حيز الصلة
ان يكون من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست
كذلك فما ظنك بالاستجابة المتأخرة عنها وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى
الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى **اني لا اضيع عمل عامل منكم**
اي بأني وهكذا قرأ ابي رضي الله عنه والباء للسببية كأنه قيل فاستجاب لهم
ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته السنية مستمرة على ذلك والالتفات
الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف
الخطاب والمراد تأكيدها ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء
لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب
لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع ان
الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك
بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة
عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اي قائلاً اني الخ فلا التفات حينئذ وقرئ
لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل كائن منكم وقوله تعالى
من ذكر او انثى بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله تعالى **بعضكم من بعض** جملة معترضة مبينة
لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما
من اصل واحد ولفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين والعمل مما يستدعي الشركة
والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى **فالذين**
هاجروا الخ تفصيل لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح

والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا في سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا اي الكفار في سبيل الله تعالى وقتلوا استشهدوا في القتال وقرئ بالعكس على ان الواو لا تستدعي الترتيب او لان المراد قتل بعضهم وقتال اخرين اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو راي الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد لكان قد اضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدا الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعدما وعد ذلك عموما وقوله تعالى ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى من عند الله متعلق بمحذوف وهو صفة له مبينة لشرفه او لا يثبتهم اثابة كائنة او تثويبا كائنا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدا خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او هو مبتدا ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال الشيء يكون بحضرة احد لا يد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب اولا وفي تصدير الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبي عن عظم شأن المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارتها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتي المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا لعلكم تفلحون كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل الكروب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا السورة التي يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملائكة حتى تحجب الشمس والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على ان اخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عليه الصلوة والسلام حلال محمد حلال على لساني الى يوم القيمة وحرام ما جرى على لساني الى يوم القيامة وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي بمن تصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما عداهما مما له دخل في تأكيد التكليف وتقوية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله عز وجل اتقوا ربكم فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمامور به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك

واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اى اتقوه تعالى في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا وايا ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى **الذي خلقكم من نفس واحدة** فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامرين لتأكيد ايضا مع اختصاصه فيما قبل بالمأمورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به فكيف لا والنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمأمورين من نفس آدم عليه السلام حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الآباء والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل **وخلق منها زوجها** فانه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها الخ وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا واوصفه لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام روي انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيته عليه السلام لها

للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا وللايتاء مآلا وتعميم الخطاب للاولياء كلا النوعين على ان من بلغ منهم فوليه مأمور بالدفع اليه بالفعل وان لم يبلغ بعد فوليه مأمور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع ما سبق تكلف لا يخفى فالانسب ما تقدم من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يؤدي اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالايتاء لا بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان الخ وقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الخ واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى المفعولين بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قال الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا اموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق او المقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه وايا ما كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردي والجيد فمورد النهي ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الردي من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبديل الخبيث بالطيب مع انها تبديل الطيب به او تبدل الطيب بالخبيث فللايذان

فان الاولياء حقهم ان يكونوا في المعاوضات على اليتيم بانفسهم مراعين لجانب
ما هو صريح لجلب المجلوب اليه مشتريا كان او ثمنا لا لسبب المسلوب عنه ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم نهي عن منكر اخر كانوا يتعاطونه اي لا تأكلوها مضمومة الى اموالكم
ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذلك حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون
الولي فقيرا [illegible] اي الاكل المفهوم من النهي [illegible] اي ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء
وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقالا [illegible] مبالغة
في بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها
وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الا تعدلوا العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو من
قسط اي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج
حكى ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا
عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب
هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصبر على الجور
ولا يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى
اصالة وباموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق باموالهم خاصة وتأخيره عنه لقلة وقوع
المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد وذلك انهم كانوا
يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون
في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي
اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا
ان ينكحوهن الا ان يقسطوا في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء
وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها واما اعتبار اجتماع عدد
كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال و
جمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الى اخره
فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن اي وان خفتم
ان لا تعدلوا في حق اليتامى واذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق فانكحوا
ما طاب لكم ما موصولة ما بعدها صلتها او صفتها واوثرت على من ذهابا الى الوصف

هو عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال
الرجل عياله يعولهم اي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية ويؤيده
قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون التسري مظنة قلة العيال
مع جواز الاستكثار من السراري انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر
والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى التعليل [illegible] اي اللاتي امر بنكاحهن
صدقاتهن جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد
وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة
[illegible] قال ابن عباس رض وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها
مما فرضه تعالى في النحلة اي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات
اي اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على
انها مفعول له اي اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى
وتفضلا منه عليهن فانتصابه على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج
من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء
المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب
الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا
النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير اتوا
اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة
معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون
مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها
فتنفج به مالك فان طبن لكم عن شيء منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى
ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر
الشهوات المعدودة وقد روي عن رؤبة انه حين قال في قوله فيها خطوط من
سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق انك اردت الخطوط ينبغي ان تقول كأنها وان
اردت السواد والبلق ينبغي ان تقول كانهما قال لكني اردت كان ذاك او للصداق
الواقع موقعه صدقاتهن كانه قيل وآتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى فاصدق واكن

حيث عطف الكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كأنه قيل فاصدقوا وآتوا واللام متعلقة
بالنحل وكذا عن لكن لتحمله معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة
لشيء اي كائنا من الصداق وفيه بعث لهن الى تقليل الموهوب نفسا تمييز وتوحيد
لان المقصود بيان الجنس اي ان وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن
طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن
عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر
انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة فكلوه اي فخذوا ذلك الشيء الذي
طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات
المالية هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه
وقيل الهني الذي يلذه الاكل والمري ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه الذي
هو المري وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمي بذلك لمروء الطعام فيه اي انسياغه
ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا على الدعاء او على انهما صفتان
اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ مريئا وهي عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة
وازالة التبعة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه
اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة
باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان
بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن
من الاجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا
المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهي لليتامى لانزالها اياهم لكونها
تحت ولايتهم كما قيل لانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتي بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها
منزلة اختصاصها بالاولياء فكأن اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي
مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا
حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك
حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل التي جعل
اي جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول

وأخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن
الخطاب رضي اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة والي اليتيم ان استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف
ابلغ من عف كأنه يطلب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعدما راعيتم الشرائط
المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها
وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة
وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين
خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله تعالى وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا تخالفوا ما
امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد
بالاقربين المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب
كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ايراد
حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء
نصيب الخ للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر
الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون
النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن
ثابت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد و
عرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كحة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما
ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزل
يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على
جواز تأخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل من ما الاخيرة
باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف
للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل
وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق مفروضا

نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعا فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على
الحالية او المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا
او على الاختصاص اى اعنى نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث
لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اى قسمة التركة وانما قدمت مع
كونها مفعولا لانها المبحوث عنها ولان في الفاعل تعدادا فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب
اطراف الكلام اولو القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه
اى اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب
كلف به البالغون من الورثة تطيبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل
امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا
ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله تعا ويتقوه في امر اليتامى فيفعلون بهم ما يحبون
ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء
بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا
ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب
واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون
حرمانهم او للموصين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيز الصلة للذين على
معنى وليخش الذين حالهم او صفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم الضياع
وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد
غيره ما يحب لاولاده وتهديد المخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى فليتقوا الله في ذلك
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية
بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى والانفع للاول بدون الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى
مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف
في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا ووعدا
حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وقوله تعالى ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين استيناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من

وبالاخوات المخلص من قرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدأ
محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اى هذه الانصباء للورثة من بعد
اخراج وصية يوصي بها اى الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا
وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه
غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار في
الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على
القسمة مجموعين او منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تأخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية
بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين آباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة فآباؤكم مبتدأ وابناؤكم عطف عليه و
لا تدرون خبره وايهم مبتدأ واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية
كانه قيل ايهم قرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية
مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون انهم
انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي بشيء
فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية
كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الآخر كما في قوله صلى الله عليه وسلم
مثل امتي مثل المطر لا يدري اوله خير ام آخره فان ذلك بمعزل من افادة التأكيد المذكور و
الترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية
الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا
لمناط زعمهم وتعيينا لمنشأ خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل
بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم
فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الآخرة
لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب
واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب للمورثين
والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا واجلا فتحروا في شأنهم
ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين

اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سأل ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته قيل
فالجملة الاعتراضية مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه مشعر بان مدار الارث ما ذكر من القرابة
النفع مع انه العلاقة النسبية فريضة من الله نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف
اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله تعالى يوصيكم الله فانه في معنى يامركم ويفرض عليكم
ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى وقدر فيدخل فيه الاحكام
المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم شروع في بيان احكام القسم الثاني
من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث
من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا
لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات او غيرهم او
لبيت المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه
فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين
لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت
في الوصية وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة
او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة
وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع مما
تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض
والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلا فان كان لكم ولد
على النحو الذي فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين من بعد وصية توصون
بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمرأة
كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وكذا في سائر كل رجل و
امرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة
والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة
المحتمل للسقوط ووجه تأخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث
على البناء للمفعول من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه كلالة الكلالة في

بمحل الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم
من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما واجبة المراعاة
او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى
فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله وعهده في شأن
الاولاد فقط كما قيل او لا تعلق لهم بالمقام بل في شأن الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام
المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها
الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار
دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة
حقيقة كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله
ومضارته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه تقتضي ان يكون غير مضار
حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي
هو المعطوف على وصية مع انه لا تحسم مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين على اطلاقه
والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتر بالامهال وايراد الاسم الجليل
مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت
في شؤون اليتامى والمواريث وغير ذلك حدود الله اي شرائعه المحدودة التي لا تجوز مجاوزتها
ومن يطع الله ورسوله في جميع الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل
لما ذكر آنفا يدخله جنات نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش تجري من
تحتها الانهار صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها خالدين فيها حال مقدرة من مفعول
يدخل وصيغة الجمع بالنظر الى الجمعية من بحسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا وذلك
اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان
بكمال علو درجته الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم اما
باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض ومن يعص الله ورسوله
ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس
من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث
ويتعد حدوده استحلالا والاظهار في موقع الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة

ويتعد حدوده شرائعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا
نارا اي عظيمة هائلة لا يقدر قدرها خالدا فيها حال كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا
نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار العذاب بصفة
الاجتماع اجلب للانس كما ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة
وله عذاب مهين اي وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب
الروحاني كما يوذن به وصفه والجملة حالية واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم شروع في
بيان بعض آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب
المعنى دون اللفظ وقيل جمع جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة
قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها
وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من
فاعل يأتين اي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اي من ازواجكم كما في قوله تعالى
والذين يظاهرون من نسائهم الآية دخلتم بهن وبه قال السدي فاستشهدوا عليهن
اربعة منكم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا ان
يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحراركم فان شهدوا عليهن بذلك فامسكوهن في البيوت
اي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن اي يستوفي
ارواحهن الموت وفيه تهويل للموت وابراز له في صورة من يتولى قبض الارواح و
توفيها او يتوفاهن ملائكة الموت او يجعل الله لهن سبيلا اي يشرع لهن الحبس كما قاله ابو مسلم
واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي اريد بهما البكران
منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه يبقى حكم
الزاني المحصن مبهما لاختصاص العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه باحد الحكمين دلالة
لخفاء الشركة في المناط فآذوهما اي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال ايضا
والظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا
فان تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء
واصلحا اي اعمالهما فاعرضوا عنهما بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق
الذم والعقاب وقد جوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما

ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد
لا لان المراد بها جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت قال
اني تبت الآن حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة
للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت
وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة
ولا الذين يموتون وهم كفار عطف على الموصول الذي قبله اي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا
لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين
وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشعار خفي بكون حال
المسوفين في عدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصول الاول
اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في
قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما ما يعم الفريقين جميعا فالتسمية
للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة اولئك اشارة الى الفريقين وما فيه
من معنى البعد للايذان بترامي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ خبره
اعتدنا لهم اي هيأنا لهم عذابا اليما تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه
للتفخيم الذاتي والوصفي يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها
كان الرجل اذا مات قريبه يلقي ثوبه على امرأته او على خبائها ويقول ارث امرأته كما
ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق غير الصداق الاول
وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما
ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن
ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات
لذلك او مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم
ذلك وهن غير راغبات في امساككم وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على ان ترثوا بمعنى الوراثة
وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف والضعف وكان الرجل اذا تزوج امرأة
ولم يكن له حاجة فيها حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بمالها وتختلع

فعيل لهم **ولا تعضلوهن** عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن **لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** اي من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب منهن لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به **الا ان يأتين بفاحشة مبينة** على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من ابان بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي ولا يحل لكم عضلهن في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في وقت اتيانهن بها او الا لاتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع **وعاشروهن بالمعروف** خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد هاهنا النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في المقال ونحو ذلك **فان كرهتموهن** وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن **فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم

بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية البعاضهن للملك لا بعبارته بشهادة سباق النظم الكريم وسياقه وانما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن ذاتا ولا حرمة سببه الذي هو العقد او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع وروده وحكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقق محله عندما لم يزل بوقوع العتق في المواد التي سببه فيها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا لجميع احكامه المقصودة منه شرعا وانما حل الوطء فليس من تلك الاحكام حلا ضرورة تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات ينتظم الاخوات من الجهات الثلاث وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمرضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهو اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابيه وام عمه وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح و الخامسة موطوءة جده الفاسد **وامهات نسائكم** شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا بهن اولا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابهموا ما ابهم الله خلا انه روي عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير

انهم قرؤا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن والامهات ثم المرضعات كما تقدم لما احتج بما ذكر **وربائبكم اللاتي في حجوركم** الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعني بكونهن في الحجور فان شأنهن الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله تعالى عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر اولا للخلاف في قوله تعالى **من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** فانه لتقييد ما به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو بين لا سترة به ولا معا ذكرا ولا ضرورة ان حاليته من ربائبكم او من ضميرها تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات او نسائكم يستدعي كونها بيانية وادعاء كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان او جعل الموصول صفة للنسائين مع اختلاف عامليهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه ليس في اطلاق ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم وانعقد عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من التوراة تضعيفه الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره كما مر **فان لم تكونوا** اي فيما قبل **دخلتم بهن** اصلا **فلا جناح عليكم** اي في نكاح الربائب وهو تصريح بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول يستتبع لبيان حكم عدمه **وحلائل ابنائكم** اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها في

انه قال انها نزلت في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم تقدم ازواجهن مهاجرين فنهي عن نكاحهن فالمحصنات عبارة عن مهاجرات تحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي محمول على التحقيق وتعرف حال المتوقع والا فما عداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطع العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما في الدين فلان ينقطع ما بين المهاجرة وزوجها الحربي اولى كما ينبئ عنه قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية **كتاب الله** مصدر مؤكد اي كتب الله **عليكم** تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا اني رأيت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم** عطف على حرمت عليكم الخ وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الخ فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعد ما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى **ما وراء ذلكم** اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا او جمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط للتذكير بما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اي على بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة في نكاح الآية

على الحرة ونكاح الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان يتعلق بهنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل بهنا به ايضا **ان تبتغوا** متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة او حال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اى تبتغوا النساء او متروك اى تفعلوا الابتغاء **باموالكم** بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول **محصنين** حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب **غير مسافحين** حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف اى محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وقوله عز وجل **فما استمتعتم به منهن** اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها وايا ما كان فهي مبتدأ خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى **فآتوهن اجورهن** والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد الى المبتدأ هو الضمير المنصوب في فآتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فاي فرد استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فآتوهن اجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد الى المبتدأ محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذي استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فآتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهر فانها اجور ابضاعهن **فريضة** حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة اى لهن عليكم **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به** اى لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه او في قوله تعالى

سوى البهن فحذف المضاف واوصل الفعل الى المضاف اليه **محصنات** حال من مفعول فانكحوهن اى حال كونهن عفائف عن الزنا **غير مسافحات** حال مؤكدة اى غير مجاهرات به **ولا متخذات اخدان** عطف على مسافحات ولا لتأكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اى غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين **فاذا احصن** اي بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل اى احصن فروجهن او ازواجهن **فان اتين بفاحشة** اى فعلن فاحشة وهي الزنا **فعليهن** فثابت عليهن شرعا **نصف ما على المحصنات** اى الحرائر الابكار **من العذاب** من الحد الذي هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان لتفاوت حد الحرائر فالفاء في فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان فالشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك اذا اتيتني فان لم اكرمك فعبدي حر **ذلك** اى نكاح الاماء **لمن خشي العنت منكم** اى لمن خاف وقوعه في الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة الماثم بارتكاب افحش القبائح وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لايهامه ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه **وان تصبروا** اى عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصي **خير لكم** من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضي الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت **والله غفور** مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية

لحال المؤمنين **رحيم** مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن **يريد الله**
ليبين لكم استيناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج
المهتدين من الانبياء والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم فزيدت
اللام لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة
السباق والسياق اي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم
او ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع
من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام
بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام
قد تقام مقام ان في فعل الارادة والامر تقول اردت لاذهب وان اذهب وامرتك
لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا
وقال تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم وفي آخر وامرت لاعدل بينكم اي
ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام هي الجر والنصب
فيما قالوا باضمار ان اي امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول
الفعل الذي قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء او يجعل ما بعده خبره كما في تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه اي ان تسمع به ويعزى هذا الرأي الى بعض البصريين **ويهديكم سنن الذين
من قبلكم** من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم **ويتوب عليكم** اذا تبتم اليه تعالى
عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتموه من الشرائع فان المكلف قلما يخلوا
من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي
ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف
مراده تعالى عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة **و
الله عليم** مبالغ في العلم بالاشياء التي من جملتها ما شرع لكم من الاحكام **حكيم** مراع في
جميع افعاله الحكمة والمصلحة **والله يريد ان يتوب عليكم** جملة مبتدأة مسوقة لبيان
كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى
يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة
ومن لم يفعل ذلك في قوله تعالى **ويريد الذين يتبعون الشهوات** الاشارة الى الحدوث وللايماء الى

ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا
وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس **نكفر عنكم** بنون العظمة على طريق الالتفات
وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة
اي نغفر لكم **سيئاتكم** صغائركم ونمحها عنكم قال المفسرون الصلوة الى الصلوة والجمعة
الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر واختلف
في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشرع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل
ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي
حرمها الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين
وعن علي رضه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر والاستحلال
بالبيت الحرام وعن ابن عباس رضه ان رجلا قال له الكبائر سبع قال هي الى سبعمائة اقرب
منها الى سبع وروي عنه الى السبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار
وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
وقيل اريد به انواع صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها بل
بحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما
وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك
فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب **وندخلكم
مدخلا** بضم الميم اسم مكان هو الجنة **كريما** اي حسنا مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا
مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر
مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا كريما كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان
لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ **ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض** اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه للتفادي عن المواجهة بما يشق
عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس
عقبه بالنهي عما يؤدي اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض
لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهر اعمالهم الظاهرة والباطنة
فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك

عما يجري فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال
العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل احد من المفضل عليهم ان
يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم المؤسس
على الحكم البالغة لا لان عدمه خير له ولا لانه لو كان خلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ
لا يساعده ما سياتي من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان المنهي عنه تمني
نصيب الغير لا تمني ما زاد على النصيب مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث
للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال
سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش فنزلت وهذا هو الانسب
بتعليل النهي بقوله تعالى للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما
اكتسبن فانه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي
لاعتبار تغليبهم بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه
بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على
تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب
استعداده اي جزء فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى واسألوا الله
من فضله عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب
في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله
تعالى من خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم اي واسألوا ما تريدون
فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسألوه مثله وقيل من زائدة
والتقدير واسألوه فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل
اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا
الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر
الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته يجعل سبب النزول ما روي ان ام سلمة رضي الله عنها
قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى
لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم
من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه

اي بالامر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون
نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحدث في القلب عند
حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن وترفعهن
عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب
واهجروهن بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة في المضاجع اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت
اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايات اي لا تبايتوهن وقرئ
في المضجع وفي المضطجع واضربوهن ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن
فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء
اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له
ان الله كان عليا كبيرا اي فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى
على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن
لكم او انه تعالى يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك
ليس مما ينبغي ان يتحقق او يفرض تحققه وان الذي يتوقع منهن ويليق بشأنهن لا سيما بعد ما كان
ما كان من الازواج هو الاطاعة ولذلك صدرت الشرطية بان المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها
وان خفتم شقاق بينهما خطاب للحكام وتوجيه له الى الكلام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه
اعني عدم الاطاعة المؤدي الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق
على الاخر واما لان كلا منهما في شق اي جانب غير شق الاخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رضي الله عنه
والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل
بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر لهما ذكر لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف
اما على اجرائه مجرى المفعول به كما في قوله يا سارق الليلة او مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم
اي ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها اي بين الزوجين
لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح من اهله من اهل الزوج
وحكما آخر على صفة الاول من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب
للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف في انهما هل يليان
الجمع والتفريق ان رأيا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروي عن علي رضي الله عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن

بجمعان ولا يتوفقان وقال مالك لهما ان يتخالعا ان كان الصلاح فيه ان يريدا اى الحكمان اصلاحا
اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفق الله
بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة والقى فى نفوسهما المودة والرافة وعدم التعرض
لذكر عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يفرض صدوره عنهما وان
الذى يليق بشانهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين فى
الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران
وجود التوفيق على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين
اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين
اى ان ارادا اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من
اصلح نيته على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا
بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج
صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التى هى آكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شان حقوق الوالدين
بنظمها فى سلكها كما فى سائر المواقع وشيئا نصب على انه مفعول اى لا تشركوا به شيئا من الاشياء
صنما او غيره او على انه مصدر اى لا تشركوا به شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا
اى احسنوا بهما احسانا وبذى القربى اى بصاحب القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك
واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذى القربى اى الذى قرب جواره وقيل الذى
له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار
ذى القربى والجار الجنب اى البعيد او الذى لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة
فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار
وحق الاسلام وجار له حق واحد هو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار
الجنب والصاحب بالجنب اى الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه
صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك فى مسجد او مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة
التامة بينك وبينه وقيل هى المرأة وابن السبيل هو المسافر المنقطع به او الضيف
وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اى متكبرا يانف عن

كما فى قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل فى الظرف مضمون المبتدأ
والخبر من هول الامر وعظم الشان او الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا وجئنا بك يا محمد
على هؤلاء اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم
لاستجماع شرعك لمجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر
والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين كما فى قوله تعالى لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
استيناف لبيان حالهم التى اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لا سيما بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما فى حيز الصلة
والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والامر الهائل وايراده عليه السلام بعنوان
الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكذب به
ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول
الجنس المنتظم للنبى صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا وايا ما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال
ما لا يقدر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه فى الصلة والمراد معاصيهم المغايرة
لكفرهم وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع فى حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير
كفروا وقيل صلة لموصول آخر اى يود فى ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول
او الذين كفروا وقد عصوا الرسول او الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو فى قوله تعالى
لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود اى يودون ان يدفنوا
فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لو يبعثوا او لم يخلقوا وكانهم والارض سواء
وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف
لدلالة الجملة عليه اى يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية ظهوره
اى لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اى ولا يقدرون على
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان يدفنوا فى الارض
وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم
اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى
الارض وقرئ تسوى على اصله تتسوى فادغم التاء فى السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية

يتناول سورة فتستوي يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الاشراك به تعالى نهوا ههنا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا حين كان الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاءت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي الى قربان الصلوة مع ان المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد كقوله عم جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقيموها في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤونه في الصلوة وحمل ما تقولون على ما في الصلوة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرؤونه في الصلوة تطويل بلا طائل لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان ايثار ما تقولون على ما تقرؤون حتى يكون عاريا عن الدعاء وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم واياما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا بحاله بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها الذين آمنوا لا تسكروا في اوقات الصلوة وقد روي انهم كانوا بعد ما نزلت الآية لا يشربون الخمر في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر الا عابري سبيل استثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه فعل النهي اي لا تقربوا الصلوة جنبا في حال من الاحوال كونكم مسافرين على معنى ان في حال السفر ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض المنفي ولا على تعين خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة بل يشير الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى

مابين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها بالكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اي نصيبا كائنا من نصيب الكتاب وقوله تعالى يشترون الضلالة قيل هو حال مقدرة من فاعل اوتوا ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال اشترائهم لها والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم انه استيناف مبني لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني على سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يخل بمعنى الاشتراء المبني عن تأخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا شأن النبي صلى الله عليه وسلم وتيقنوا حقيته وانه هو النبي العربي المبشر به في التورية ولا ريب في ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في اوائل سورة البقرة ويريدون عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم

أن تضلوا أنتم أيضا أيها المؤمنون السبيل المستقيم الموصل إلى الحق والله أعلم
أي منكم بأعدائكم جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد أخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم
لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم أو هو أعلم بحالهم ومآل أمرهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم
المذكورة وكفى بالله وليا في جميع أموركم ومصالحكم وكفى بالله نصيرا في كل المواطن
فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره ولا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء
فإنه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء زائدة في فاعل كفى لتأكيد
الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة
في مقام الاضمار للاشباع في التقوية استقلالها المناسب للاعتراض وتأكيد كفايته عز وجل
في كل من الولاية والنصرة والاشعار بعلتهما فإن الألوهية من موجباتهما لا محالة من الذين
هادوا قيل هو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه أنه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه
بطائفة من أعدائهم لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق وانتظام ما
هو المقصود في المقام انتظاما أوليا كما أشير إليه وقيل هو صلة لنصيرا أي ينصركم من
الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرنا من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته
عز وجل مع أنه لا داعي إلى وضع الموصول موضع ضمير الأعداء لأن ما في حيز الصلة ليس
بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقع قوله تعالى يحرفون الكلم
عن مواضعه صفة له أي من الذين هادوا قوم أو فريق يحرفون الخ وفيه أنه تقتضي
كون الفريق السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي
يليق بشأن التنزيل الجليل أنه بيان للموصول الأول المتناول بحسب المفهوم لأهل الكتابين
قد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة إلى تنفير
المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء
بولايته ونصرته وإن قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل
لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل
إثر الإجمال روما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده كلمة كتمر
وتمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى
وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به

لاقتضائه جواز التكليف بالمحال الذي هو إيمانهم بعد إيمانهم المستمر أما على الوجه الأخير
فظاهر وأما على الأول فلأن أمرهم بالإيمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بالإيمان
بعدم إيمانهم ببعض الكتب والرسل وعدم إيمانهم إلى وقت الاحتضار فالوجه أن يحمل
القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون
لاقتضائه وقوع إيمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القوم الى الاتفاق على
الكفر المختار بل يجعل ضمير المفعول في لعنهم أي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فإنه تعالى لم يلعنهم
فلم ينسد عليهم باب الإيمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الأحبار كعبد الله بن سلام وكعب
وأضرابهما كما سيأتي يا أيها الذين أوتوا الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له إلى اليهود إثر ما
من حكيت أحوالهم وأقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بإيتاء الكتاب أي التوراة
وأخرى بإيتاء نصيب منها التوبيخ كل من المقامين خطة فإن المقصود فيما سبق بيان
أخذهم الضلالة وإزالتها أو توغلهم بالتحريف وليعلن إزالتهم بذلك كلها حيث
يوصفوا بإيتائه بل هو بعضها فوصفوا بإيتائه وأما هنا فالمقصود تأكيد إيجاب
الامتثال بالأمر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث إن الإيمان بالمصدق موجب
للإيمان بالمصدقة والكفر بالثاني مقتض للكفر بالأول قطعا ولا ريب في أن المحذور عندهم
إنما هو لزوم الكفر بالتورية كلها لا بعضها وذلك إنما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها
وإن كان مناط التصديق بعضها منها ضرورة أن مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له
حتما وأما إليهم والى غيرهم قاطبة وهو الأظهر وأياما كان ففيه فضل لطف لما كان من مكان
اطلاع كل من الفريقين على ما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالأمر بالمبادرة
إلى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل آمنوا بما نزلنا
من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل
مصدقا لما معكم من التوراة عبر عنها بذلك للإيذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال
فإن المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرر المراجعة إليها من موجبات العثور على ما في
تضاعيفها المؤدي إلى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه إياها نزوله حسبما
نعت لهم فيها أو كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة إلى التوحيد و
العدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وأما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات

الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة
من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى
لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم
قطعًا ولذلك قال عم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي **من قبل ان نطمس**
وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والجد في الانتهاء عن مخالفته
بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه واكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به
بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على
شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها
لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام
اي آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رض نجعلها كخف
البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل
نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة **فنردها على ادبارها** فنجعلها على هيئة ادبارها
واقفاءها مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء
والاقفاء الى موضعها وقد اكتفي بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء
على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم
ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم من حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام
فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد • وتعميم التهديد
للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد اختلف في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا او في الآخرة
فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام
وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله
ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفاي وفي رواية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية على
كعب الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا
فقيل انه منتظر بعد ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وقيل انه انصرف
العذاب الموعود عن اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله • وموجبات حلوله

قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار
اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم
العظيم ومن ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره او معاصيه
وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وبعمله **بل الله يزكي من يشاء** عطف على مقدر ينساق
اليه الكلام كأنه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء
تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه
البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح واصل التزكية
نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول **ولا يظلمون** عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال
عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب
فتيلا اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة
والحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يناسبه
مقام الوعيد **انظر كيف يفترون على الله الكذب** كيف نصب اما على التشبيه
بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون
وبه يتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة
تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بنزع الخافض والنظر متعلق بهما
وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم
الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان ادعاءهم الزكاء
عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا
ولكون هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه
بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر
الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتأكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون
الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم **وكفى به** اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى
مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام **اثما مبينا** ظاهرا بينا
كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم
لاشد العقوبات بالمأمور به وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء وتقدير

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب تعجيب من حال أخرى لهم ووصفهم بما ذكر
من إيتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله تعالى يؤمنون بالجبت
والطاغوت استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه
قيل ماذا يفعلون حتى ينظر إليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الأصنام وكل ما عبد من دون الله
قيل أصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فأبدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة
والطاغوت الشيطان قيل هو في الأصل كل ما يطغي الإنسان روي أن حيي بن أخطب
وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة في سبعين راكباً من اليهود ليحالفوا قريشاً
على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينه عليه السلام وبينهم فقالوا أنتم أهل الكتاب
وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم
بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان لكعب
إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقاً نحن أم محمد فقال ماذا يقول
محمد قال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي
الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلاً وذلك قوله تعالى
ويقولون للذين كفروا أي لأجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً
أي أقوم ديناً وأرشد طريقة وإيرادهم بعنوان الإيمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى
تعريفاً لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين بأقبح القبائح أولئك إشارة إلى القائلين
وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكر للإشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
الذين لعنهم الله أي أبعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستأنفة لبيان حالهم وإظهار مصيرهم ومآلهم
ومن يلعن الله أي يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيراً يدفع عنه العذاب دنيوياً كان أو أخروياً بالشفاعة
ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش في ضمن كلامهم وتوجيه الخطاب
إلى كل أحد يتأتى له الخطاب وتوحيد النصير منكراً والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبئ عن
سبق الطلب مسنداً إلى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الأبدي بالكلية ما لا يخفى أم لهم
نصيب من الملك شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وأم منقطعة وما فيها من بل للإضراب
والانتقال من ذمهم بتزكيتهم أنفسهم وغيرها مما حكي عنهم إلى ذمهم بادعائهم نصيباً من الملك وبخلهم
المفرط وشحهم البالغ والهمزة لإنكار أن يكون لهم ما يدعونه وإبطال ما زعموا أن الملك سيصير إليهم

ونبوت عنها الحس وقد ذكر أن في الوعيد تفيد التأكيد أي ندخلهم ناراً عظيمة
هائلة كلما نضجت جلودهم أي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم جلوداً غيرها
من قبيل بدلته بجلده جديداً لا من قبيل يبدل الله سيئاتهم حسنات أي أعطيناهم
مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلداً جديداً مغايراً للمحترق صورة وإن كان عينه مادة
بأن يزال عنه الاحتراق ليعود إحساسه للعذاب والجملة في محل النصب على أنها حال من
ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لناراً على حذف العائد أي كلما نضجت فيها
جلودهم وقوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز
أعزك الله وقيل يخلق مكانه جلداً آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة إدراكها
قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلوداً بيضاً كأمثال القراطيس وروي أن هذه الآية
قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقارئ أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال
معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون
كما كانوا وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بين منكبي الكافر مسيرة
ثلاثة أيام للراكب المسرع وعن أبي هريرة أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر أو ناب الكافر
مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام والتعبير عن إدراك العذاب بالذوق ليس لبيان
قلته بل لبيان أن إحساسهم بالعذاب في كل مرة كإحساس الذائق بالمذوق من حيث إنه
لا يدخله نقصان بدوام الملابسة أو للإشعار بمرارة العذاب مع إيلامه أو للتنبيه
على شدة تأثيره من حيث إن القوة الذائقة أشد الحواس تأثراً أو على سرايته للباطن
ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على إبقاء إدراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق
أو مع إبقاء أبدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق أن النفس ربما تتوهم زوال
الإدراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد أن تكون مصونة عن التألم والعذاب
صيانة بدنها عن الاحتراق إن الله كان عزيزاً لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه أحد
حكيماً يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الإصلاء والتبديل
وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الأمر وتربية المهابة وتعليل الحكم فإن عنوان
الألوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب ببيان حال الكفرة

بيان حسن حال المؤمنين تكميلاً لمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا
بآياتنا وعملوا الصالحات وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا الى الاسم الجليل وفي السين تأكيد للوعد
خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله تعالى لهم فيها
ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس
الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او
على انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا
ظليلا اي فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك
يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتأكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم
وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سندخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات
بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صيغة الاخبار من الفخامة
وتأكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه وهو خطاب
يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى
وحقوق العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شأن
عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة وقد اغلق باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه
وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه
وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه
المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه
فقال عثمان لعلي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شأنك
قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فهبط جبريل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا
وقرئ الامانة على التوحيد واللام للجنس لا للعهد وقيل هو خطاب للولاة بأداء الحقوق
المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى واذا حكمتم بين الناس

ان الحادثة وقعت في قبيل بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من المؤمنين الى النبي
صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون
الاقتصار حينئذ في معرض التعجب لا الاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه
ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضي منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك
بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوراة فانه كما يقتضي كونهم من منافقي
اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتوراة وليس
التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعالى
وقد امروا ان يكفروا به كونهم مأمورين بكفره في الكتابين وما ذاك الا الشيطان واولياؤه
المشهورون بتوليه كالكهنة ونظائرهم لا من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ
ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من
ضمير يريدون مفيدة لتأكيد التعجب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز وعلا
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجب
فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجب وضلالا اما
مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فانبتها الله نباتا حسنا
اي اضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد لفعل مدلول عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا
ضلالا وايا ما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجب
ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك
في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا
كما في قولهم ما باليت به بالة اصلها بالية كعافية وكما قالوا في آية ان اصلها آيية فحذفت
اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالوا فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة
للمرأة تعالي بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الحمداني ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا
تعالي اقاسمك الهموم تعالي رأيت المنافقين اي المنافقين في مقام الاضمار
للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى
يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول

هو الاشبه لظهور حالهم وقوله تعالى **صُدُودًا** مصدر موكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا واي اعراض وقيل هو اسم للصد الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر المتعدي يقال صد عنه صدودا اي اعرض عنه وصده عنه صدا اي منعه منه وقوله تعالى **فَكَيْفَ** شروع في بيان غاية جنايتهم الحكية ووخامة عاقبتها اي كيف يكون حالهم **إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ** اي وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم **بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ** بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك **ثُمَّ جَاءُوكَ** للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعترائهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجئ للاعتذار **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ** حال من فاعل جاءوك **إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا** اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا اسخطا لحكمك فلا تواخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا اي ما اراد صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه **أُولَٰئِكَ** اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدا خبره **الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ** اي من فنون الشرور والفساد المنافية لما اظهروا من الاكاذيب **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ** جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر **وَعِظْهُمْ** اي ازجرهم عن النفاق والكيد **وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ** في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها من الترابع **قَوْلًا بَلِيغًا** موثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له من المقصود فالظرف على التقدير متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على رأي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم موثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال والايذان بان ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق

بعد التثبت نفيس لان اذن جواب وجزاء **وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا** يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ** كلام مستانف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرط السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي **فَأُولَٰئِكَ** اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا خبره **مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم** والجملة جواب للشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه **مِّنَ النَّبِيِّينَ** بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم السلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرايعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان ثوبان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزلة دون منزلتك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يومن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى اجمعين وروي ان انسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولا يلحق بهم قال عليه السلام

المرء مع من احب والصديقين اى المتقدمين فى تصديقهم المبالغين فى الصدق والاخلاص
فى الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابى بكر
الصديق والشهداء الذين بذلوا ارواحهم فى طاعة الله تعالى واعلاء كلمته والصالحين
الصارفين اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد فى الدرجة
ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر
وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب
ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة فى المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة
الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو مرتبتهم فرفيقا تمييز او حال على معنى
انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لانه
كالصديق والخليط والرسول يستوى فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم
رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين
ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز فى الوجه الاول والجملة تذييل مقرر
لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا
ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين ذلك اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر
ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو رتبته وبعد منزلته فى الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى الفضل صفته وقوله تعالى
من الله خبره اى ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق
بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اى ذلك الذى ذكر فضل كائنا من الله تعالى
لا ان اعمال المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله
يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه
اى تيقظوا واحذروا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز
من المخوف كانه جعل الحذر آلته التى يقى بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم
اى استعدوا للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اى اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم ثبات
جمع ثبة وهى الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها فى الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها
وعوض عنها تاء التانيث وهل هى واو او ياء فيه قولان قيل انها من ثاب يثوب كالحلو اى

الظالم اهلها بالشرك الذى هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهى مكة والظالم
صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجرى على غير من هو له كان
كالفعل فى التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين
متعلق باجعل لاختلاف معنيهما وتقديم المجرور به على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء
بهما وابراز الرغبة فى المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه
كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة
وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز كون المسؤول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان
يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام فى قوله تعالى
واجعل لنا من لدنك نصيرا قال ابن عباس رضه اى ول علينا واليا من المؤمنين
يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب
الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خير ولى واعز
ناصر ففتح مكة على يدى نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم اى تولى ونصرهم اى نصره ثم استعمل
عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا
من لدنك ولاية ونصرة اى كن انت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه للمبالغة فى
التضرع والابتهال الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله كلام مبتدا سيق لترغيب
المؤمنين فى القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم
اى المؤمنون انما يقاتلون فى دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل وفى اعلاء كلمته فهو وليهم
وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت اى فيما يبلغ بهم
الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء فى قوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان
استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة قتالهم فى
سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لان قتالهم فى سبيله وكل ذلك لتاكيد
رغبة المؤمنين فى القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم فى العزة والقوة كما ان
ولاية الشيطان مثل فى الذلة والضعف كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله
اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان كان ضعيفا اى فى حد ذاته
فكيف بالقياس الى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها اما او

عليه تعالى او حال كان في امثال هذه المواقع التأكيد ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى
ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه
حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم
بصدد بسطها الى العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب
رسول الله صلعم منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن اسود الكندي وقدامة
بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله تعالى عنهم كانوا يلقون من مشركي مكة
قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ايذن لنا
في قتالهم ويقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكاة
فاني لم اومر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبي صلعم للايذان بكون ذلك
بامر الله سبحانه ولان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو كمال رغبتهم في القتال و
كونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصوير
طريقة الحكاية فلا يتعلق ببيان خصوصية الامر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين
على تلك الحالة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر
كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار
بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى فلما كتب
عليهم القتال وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ حينئذ
يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور التعجيب كانه قيل الم تر الى الذين كانوا
حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون
الناس جواب لما على ان فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره
وتصديره باذا المفاجاة لبيان مسارعتهم الى الخشية اثر ذي اثير من غير تلعثم وتردد اي
فاجأ فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية
عن بعضهم للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احدهم ما ينافي حالتهم الاولى وقوله تعالى
كخشية الله مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم
مشبهين باهل خشية الله تعالى وقوله تعالى او اشد خشية عطف عليه بمعنى او اشد خشية منه

من معنى الاستفهام اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل
من ان يفقهوا حديثا او استيناف مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كانه قيل ما لهم
وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او يسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا من
الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما
في معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى
بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النصوص
الواردة عليهم في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى [illegible]
حكاية النعمة الى غيرهم وقوله تعالى ما اصابك من حسنة بيان للجواب المجمل المأمور به واجراء
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ثم سوق البيان من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى
كل احد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان
بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب
الى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في
التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الاخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم
فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك
كيف لا وان كل ما يفعله الانسان من الطاعات التي يرجى كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث
لا تكاد تكافي نعمة حياته المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على ادائها فضلا عن
ان يستوجب بها نعمة اخرى ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل
ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة بلية من البلايا فمن نفسك
اي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى
نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير
وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع
شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله
وما بعده لكن لا لبيان حاله صلى الله عليه وسلم بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك
لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق
الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه صلى الله

ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه السلام بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار اما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اى مرسلا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل ورسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اى بارسال بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا اى على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة • والجملة اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله عز وجل وانما هو عليه السلام مبلغ لامره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته عليه السلام بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على المطلق المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا يأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اى ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون شروع في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته اى يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة اى امرنا وشأننا طاعة او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك اى خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم اى من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اي

تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلعم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول و الى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فسياق النظم الكريم لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في ولولا فضل الله عليكم ورحمته للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات اى لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واولي الامر لاتبعتم الشيطان وعملتم بآراء المنافقين فيما تأتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولو الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلال الا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء اى ولولا حصول النصر والظفر بالاعداء اى لولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولو البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين على حقية الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل في سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم

اي اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الاخرين من مراعاة احكام
الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل لا تكلف الا نفسك اي الا فعل
نفسك استيناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته
للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل
هو حال من فاعل قاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل
على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف
احدا الا نفسك وحرض المؤمنين عطف على الامر السابق داخل في حكمه فان كون حال
الطائفتين كما حكي سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض المؤمنين والتحريض على
الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه
ولا يعتد به اي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم واهتمام بذكر الحرض عليه لغاية ظهوره وتعذر حاله
عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا عدة منه سبحانه بتحقيقه الانجاز بكف شدة الكفرة
ومكرهم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في
ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلعم
في سبعين راكبا ووفوا الموعد والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر
الظهران وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت
معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران والله اشد بأسا
اي من قريش واشد تنكيلا اي تعذيبا وعقوبة تنكل من ان يباشر ما يؤدي عن مباشرة
ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة و
تعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى من يشفع
شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اي من ثوابها جملة مستأنفة سيقت لبيان ان له
عليه السلام فيما امر به من تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول
في وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه من مضرة ما كذلك
من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر
مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض

عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل
فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على الخبرية لكان مضمرة اي فما لكم في المنافقين
كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في امر المخاطبين
وبيان وجوب القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم
بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استأذنوا
رسول الله صلعم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين
مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا
من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا
الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة
وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا وبابه ما كسبوا
من جبل ... غاية للنهي عن توليهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح
وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سيأتي من الآيات الناطقة بكيفية
المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل
فلم ينقل في امرهم اختلاف المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين مفيد لتأكيد
الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود النافي بعد بيان عدم الداعي وقيل
من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اي اي شيء يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع
تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا
بسبب ما كسبوه من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلعم
والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية اي بكسبهم وقيل معنى اركسهم
نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا
وركسهم ايضا مخففا اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد للخطاب
وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي
الى المحال الذي هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم
وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد
الانكار وتأكيد لاستحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى

مستعملا بان يقال اتهتدون لما للمبالغة في انكاره ببيان انه محال لا يمكن ارادته فضلا عن امكانه نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما يأباه قوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال يخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل احد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو واعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الانكار السابق وهو كلام آت على الهداية فيجوز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم ودوا لو تكفرون كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية مغنية عن الجواب ومحلها بعدها النصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى فتكونون سواء عطف على تكفرون داخل في حكمه اى ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا ان تكفروا لو تكفرون لسروا بذلك فلا تتخذوا منهم اولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهى ان يتخذ احد من المخاطبين وليا واحدا منهم اى اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم حتى يهاجروا في سبيل الله اى حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ولرسوله عليه السلام لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا اى عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم اى اذا قدرتم عليهم واقتلوهم حيث وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان

وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته تقسم بينهم كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها الا ان يصدقوا اى يتصدقوا اهله عليه سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى تجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية او الا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او القاتل فان كان اى المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او بان اتاهم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة اى فعلى قاتله الكفارة دون الدية اى لا وراثة بينه وبين اهله لانهم محاربون وان كان اى المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق اى عهد موقت او مؤبد فدية اى فعليه فدية مسلمة الى اهله من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ الخ لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي والمعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومها فمن لم يجد اى رقبة ليحررها فصيام شهرين متتابعين لا افطار بينهما توبة نصب على انه مفعول له اى شرع لكم ذلك توبة او قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل محذوف اى تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة اى كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الاشياء التي من جملتها حاله حكيما في كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام التي من جملتها ما شرعه في شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطأ وفصل اقسامه الثلثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا خاليا عن حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروي روي ان مقيس بن صبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه زهير بن عياض الفهري وكان يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته

فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فتكون سبة عليك اقتل الذي معك فتكون نفسا بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار اصحاب فارع • وادركت ثاري واضطجعت موسدا • وكنت الى الاوثان اول راجع • نزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن آمنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروى عن الكسائي سكون التاء كانه فر من توالي الحركات **فجزاؤه** الذي يستحقه بجنايته **جهنم** وقوله تعالى **خالدا فيها** حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه واتى ذلك بانه ان يعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى ان ما يقدر للحال او للعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان كون جزائه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما يستحق عليه حتى يقدر يجزاها او جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالى **وغضب الله عليه** فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستيناف تقريرا وتاكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب عليه اي انتقم منه **ولعنه** اي ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظائره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه **واعد له** في جهنم **عذابا عظيما** لا يقادر قدره ولا ترى في الآية الكريمة من التهديد الشديد • والوعيد الاكيد • وفنون الابراق والارعاد • وقد تايدت بما روي من الاخبار الشداد • كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عم لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وقوله صلى الله عم من اعان على قتل مسلم بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسك الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا متمسك لهم فيها لا لما قيل في حق المستحل كما هو رأي عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن صبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا لخصوص السبب بل

دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله ايضا بحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسره بما فسره به لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فمن اين له ان يقول لتحصنوا دماءكم واموالكم حتى ينتاب الى الاتباع وارتكاب تقديره بناء على اقتصاره ما ذكر في تفسير المن اياه بناء على اساس واه كيف لا وان ما ذكر بصدد التفسير وان كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة مبتنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم اريد اثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى يسنح ان يتعرض له ولا يا مرله دخل في وجوب اعتبار ظاهر الاسلام من المداخلين فيه حتى يتضح نظمه في سلك ما فرع عليه بقوله فعليكم الآ وحمل الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثله في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم وبلغتم من الرتبة العالية منه فلا تستحقروا حالته نظرا الى حالتكم هذه بل اعتدوا بها نظرا الى حالتكم السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستحقار اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان الآية الكريمة نزلت في شان مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجاء غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عم هلا شققت عن قلبه وفي رواية افلا شققت عن قلبه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال صلى الله عم يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلا فلما احس بالسيف قال اني مسلم فقتلته فقال له رسول الله اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال عم افلا شققت عن قلبه **ان الله كان بما تعملون** من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها **خبيرا** فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهاونوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستيناف وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل **لا يستوي القاعدون** بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الامر به

ويحيض المؤمنين عليه ليانف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضه هم القاعدون عن بدر الخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من انهم الخارجون الى تبوك فانه مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى **من المؤمنين** متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين اي كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى **غير أولي الضرر** بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم وقرئ بالنصب على انه حال منه او استثناء وبالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وفي معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر **والمجاهدون** ايرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضه وكذا تقييد المجاهدة بكونها **في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم** لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو الرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول وقوله عز وجل **فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة** استئناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهم اجمالا ايضا لكيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ وانما تقديم ما لهم لا يستوون فانما يليق لحمل الاستئناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لاثباته

انفسهم فيستوفون **ظالمي أنفسهم** حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة **قالوا** اي الملائكة عليهم السلام للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك **فيم كنتم** اي في اي شيء كنتم من امور دينكم **قالوا** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب قيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم **كنا مستضعفين في الأرض** اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها **قالوا** ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم **ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها** الى قطر اخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او لعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم ورد عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم الضاعة حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه ابن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم توبيخا وتوبيخا لهم لما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة **فأولئك** الذين حكيت احوالهم الفظيعة **مأواهم في الآخرة جهنم** كما ان مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فمأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر ان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من شرطه او مؤكده والعائد منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه وتمام خبره **وساءت مصيرا** اي مصيرهم او جهنم وفي الاية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يمكن الرجل من اقامة امور دينه باي سبب كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم

شبرا من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليهما الصلوة والسلام **الا المستضعفين** استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن قوله تعالى **من الرجال والنساء والولدان** متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك او المراهقون ظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة يجب عليهم كالبلغة حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى **لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا** صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف والاستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها والاهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل **فاولئك** اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز **عسى الله ان يعفو عنهم** جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا **وكان الله عفوا غفورا** تذييل مقرر لما قبله **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا** ترغيب في المهاجرة وتانيس لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تاكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم **وسعة** اي من الرزق **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت** اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله وألحق بالحجاز فاستريحا **فقد وقع اجره على الله** اي ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المتقدمة

وناهيك ما سمعت من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر فكل ما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الى آخره اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الآية وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الخ فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى **ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** تعليل لذلك باعتبار تعلقه بما ذكر او لما فهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى **واذا كنت فيهم** بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئة الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي الصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره تعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما في قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بمحضر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة

كأن تصلي بهم صلوة الخوف فأقمت لهم الصلوة اى اردت ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره وليأخذوا اى الطائفة القائمة معك اسلحتهم اى لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها فانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا اى القائمون معك واتموا الركعة فليكونوا من ورائكم اى فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا بعد وهى الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لانها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك الركعة الباقية ولم يبين فى الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روى عن ابن عمر وابن مسعود رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما فى الآية ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بلا قراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اى هذه الطائفة حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر فى هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فانه استيناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اى تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به فى الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر او مرض وامرهم مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو عليهم غيلة روى الكلبى عن ابى صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبنى انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادى والسماء ترش فحال الوادى بينه عليه السلام وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحارث المحاربى فقال

عما شهدوا لهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا فى المغفرة والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اى يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببرائته من قومه فانهم شركاؤه فى الاثم والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا فى الخيانة ليس لتخصيصه بل لبيان افراط طعمة وقومه فيها يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اى لا يستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمى البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شئ منها ولا يفوت ها انتم هؤلاء تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله فى الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم يوم يشتد عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودى او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه فى التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر ومن يكسب اثما من الآثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا واجلا وكان الله عليما مبالغا فى العلم حكيما مراعيا للحكمة فى كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما

كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اي يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع
لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم باحدهما وقرئ بهما
وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئا اي مما رماه به
ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته على البري
بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو
الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا فاحشا وهو صفة لاثما وقد اكتفي
في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كانه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصف
الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة عن امر واحد هو رمي البري بجناية نفسه
قد عبر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به للراجح جناية
ما خطيئة كانت او اثما بهتانا واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون
الذنب بالنسبة الى ما فعل خطيئة لا يلزمه كونه بالنسبة الى من نسب الى البري منه ايضا
كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم
لا محالة وبكون تلك الجناية للرامي يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جنايته
المكسوبة الى رمي البري والا لكان الرمي بغير جنايته مثله في العظم ولا لمجرد اشتماله على
تبرئة نفسه الخاطئة والا لكان الرمي بغير جناية مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله
على قصد تحميل جنايته على البري واجراء عقوبتها عليه كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب
ونحوه لما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر ثم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة
نفسه الى رمي البري يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم ولولا فضل
الله عليك و[illegible] باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة
لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد
بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا نكسر اصنامنا ولا نعشر فاردهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اي بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم
بكنه الامر والجملة جواب لولا وانما نفي همهم مع ان المنفي انما هو تاثيره فقط ايذانا بانتفاء تاثيره
بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي

الا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل لانهم كانوا يقولون
في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها
على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل
تسميتها اناثا لتانيث اسمها او لانها في الاصل جماد والجمادات تونث من حيث
انها ضاهت الاناث لانفعالها واراد بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها
وتناهي جهلهم والاناث جمع الانثى كرباب وربى وقرئ على التوحيد وانثا على
انه جمع انيث كخبيث وخبث او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا وانثا بالتخفيف
والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد على الاصل وقلب الواو الفا وجوه
وان يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها
واغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير
واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه
الله صفة ثانية لشيطانا وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول
الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال
بطريق التعليل بان ما يعبدونها ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية
غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه
ثلثة الاول انه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته
ضلالا بعيدا عن الحق والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن
والضلال والثالث انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه
غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم
فرض في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم او فليقطعنها لموجب امري ويشقونها
من غير تلعثم في ذلك ولا تاخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب
ولآمرنهم فليغيرن ممتثلين به خلق الله عن نهجه صورة او صفة ويندرج فيه
ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ
يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجملة المحكية عن اللعين مما نطق به

لسانه مقالا او حالا وما فيهما من اللامات كلها للقسم والمقسم به في الموضعين
محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله
بايثاره ما يدعو اليه على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته
فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة
مكانه من النار يعدهم اي ما لا يكاد ينجزه ويمنيهم اي الاماني الفارغة او يفعل
لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما
ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا غرورا
وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة
اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي
وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض
وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدأ وقوله تعالى مأواهم
مبتدأ ثان وقوله تعالى جهنم خبر للثاني والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا
اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلص ونجا وقيل الحيص هو الروغان
بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اي كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه
بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله
والذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة
هؤلاء ومساءة اولئك وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول
مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول
بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم
ادخال جنات الخ وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا
جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى
الصادق لاوليائه والمبالغة في تأكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول
والقال وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ

وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى فاختبزت واطعمت
الناس واستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت سارة
من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا ولله
ما في السموات وما في الارض جملة مبتدأة سيقت لتقرير وجوب طاعته تعالى
على اهل السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج
من ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا او شرا وقيل لبيان ان اتخاذه تعالى
لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شأن من شؤونه كما هو دأب الآدميين
فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل
لبيان ان الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام
للخلة بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله تعالى
وكان الله بكل شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فان احاطته
تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك
اكمل تقرير ويستفتونك في النساء اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام
الآتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه عم قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما
بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين
ههنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب باسناد
الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما تلي من الكتاب فيما سبق
باعتبارين على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدأ او ضميره
في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار
التلاوة ودوامها في الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه
اي يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد به
اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم وان العدل في اليتامى
المبين فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها ومما يتلى في محل الجر
[illegible] ويجوز ان يكون مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه
كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه

السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى
في يتامى النساء على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في
شانهن وعلى الاخيرين بدل من فيهن وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء
الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن
اي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة
على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتاويل وانتم ترغبون ولا ريب في انه
لا يظهر للتقييد بعدم الايتاء بذلك فائدة الا اذا اريد بما كتب لهن صداقهن ان
تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاكل مالهن او في ان تنكحوهن
بغير اكمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها من انها اليتيمة تكون في
حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان
ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك ما روي عنها رضي الله عنها انها
يتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها رضي الله عنها هو الرجل
يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في العذق فيرغب ان ينكحها
ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول
والاخير ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى
ولا تاكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن
وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الآية
عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية
لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور روي ان عيينة
بن حصن الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف
والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم
كذلك امرت وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في
حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك
مما لا يكاد يحصى هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه
بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار

ان يكون مفسرة لان التوصية في معنى القول قوله تعالى وان تكفروا فان لله
ما في السموات وما في الارض حينئذ من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله
وان تكفروا الخ وعلى تقدير كون ان مصدرية فبمعنى الكلام ارادة القول اي امرناهم
واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الآية وقيل هي جملة مستانفة خوطب بها هذه
الامة واياما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بعلمه
كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات وما في الارض من الخلائق قاطبة
يفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين
فحقه ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله تعالى وكان الله
غنيا اي عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم
ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله
ما في السموات وما في الارض كلام مبتدأ مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية
غير داخل تحت القول المحكي اي له سبحانه ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم
كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وكفى بالله وكيلا في تدبير
امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشأ يذهبكم
ايها الناس اي يفنكم ويستاصلكم بالمرة ويات باخرين اي ويوجد دفعة مكانكم قوما
آخرين من البشر او خلقا آخرين مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان
يشا افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو
لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك اي افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم
قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد
التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان
يشا يمتكم ويات باناس آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا
كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اي فعنده تعالى ثوابهما له

ان ارادة فاله يطلب اخسهما فليطلبهما لمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في
جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريد كقوله من كان يريد
حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية **وكان الله سميعا بصيرا** عالما بجميع المسموعات
والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا
يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة القسط في
جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد **شهداء لله** بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى
وهو خبر ثان وقيل حال **ولو على انفسكم** اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا
عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه او على ثالث
او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه **او الوالدين و
الاقربين** اي ولو كانت على والديكم واقاربكم **ان يكن** اي المشهود عليه **غنيا** يبتغى في العادة
رضاه ويتقى سخطه **او فقيرا** يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة
وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى **فالله اولى بهما** عليه اي فلا تمتنعوا عنها
طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما
بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم **فلا تتبعوا
الهوى ان تعدلوا** اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور
الذي حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا
عن الحق **وان تلووا** اي السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تأتوا بها لا على
وجهها وقرئ وان تلوا من الولاية والتصدي اي وان وليتم اقامة الشهادة
او تعرضوا اي عن اقامتها رأسا **فان الله كان بما تعملون** من لي الالسنة والاعراض
بالكلية او بجميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر **خبيرا** فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة
المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة ... **يا ايها الذين آمنوا** خطاب
لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى **آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله
والكتاب الذي انزل من قبل** اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه
طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب الثاني

معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في
آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة فكيف
بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هي المخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والجملة
الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه
داخل في حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها و
تهويل امر الكفر بها اي نزل عليكم في الكتاب انه اذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها
وفيه دلالة على ان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وان خوطب به خاصة منزل على الامة
وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية
واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض
بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها
انكم اذا مثلهم جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة
عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر اي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتموه
كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة
الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون
وقيل هو منصوب على الظرفية او في مثل حالهم وقوله تعالى **ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا** تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ... العذاب والمراد بالمنافقين
اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق
واما الجنس وهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين
ونصب جميعا مثل ما قبله **الذين يتربصون بكم** تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين
بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة
للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اي
ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالى **فان كان لكم فتح
من الله** لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك
كأن نفس التربص يستدعي شيئا ينتظر المتربص وقوعه **قالوا** اي لكم **الم نكن معكم**
اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة **وان كان للكافرين نصيب** من الحرب فانها سجال

قالوا اي للكفرة الم نستحوذ عليكم اي الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم
ونمنعكم من المؤمنين اي بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في
قتالكم وتوانينا في مظاهرتكم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم و
تسمية ظفر المسلمين فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين وتخسيس حظ الكافرين
وذي امنعكم باجمارج فالله يحكم بينكم يوم القيامة حكما يليق بشان كل منكم
من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجري على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف
على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ كما قد
يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدا مسوق لبيان طرف آخر من
قبائح اعمالهم اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل
ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الآخرة
الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط
نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون
انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره
على الفعل وقرئ بفتح الكاف وسماجمع كسلان يراؤن الناس ليحسبوهم مؤمنين
والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه
استحسانه والجملة اما استيناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فماذا
يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراؤن الخ او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون
الله الا قليلا عطف على يراؤن اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم
باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل او الا زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا
لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلوة
الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب
على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اي مرددين بينهما
متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى
وقرئ بكسر الذال اي مذبذبين قلوبهم او دينهم او رأيهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء

مع القدرة اي كان مبالغا في العفو على كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو
عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي
هو القادر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا قديرا
على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اي يؤدي اليه مذهبهم
ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله اي بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى
وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض اي نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن
بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق
بين الله تعالى ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقية
دين نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى
ايضا من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اي بين
الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا
بعد الحق الا الضلال اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة هم الكافرون
الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا حقا مصدر مؤكد لمضمون
الجملة اي حق ذلك اي كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين
كفروا كفرا حقا اي ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اي لهم وانما وضع المظهر
مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا
اوليا عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله ورسله
على الوجه الذي بين في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية
ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة ودخول
بين على احد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت
الجليلة المذكورة سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد
الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة وكان
الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم

يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في أحبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أوتي به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما نزلت التورية أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا إلينا بأعياننا بأنك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة إلا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى أكبر من ذلك جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا أكبر منه وقيل تعليل للجواب أي فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى أكبر منه وهذه المسألة وإن صدرت عن أسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كلها يأتون ويذرون أسندت إليهم والمعنى أن لهم في ذلك عرقا راسخا وأن ما اقترحوا عليك ليس أول جهالاتهم فقالوا أرنا الله جهرة أي أرناه نره جهرة أي عيانا أو مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية فأخذتهم الصاعقة أي النار التي جاءت من السماء فأهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم أي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات أي المعجزات التي أظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التورية لأنها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وكانوا أحقاء به قيل هذا استدعاء لهم إلى التوبة كأنه قيل إن أولئك الذين أجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم أيضا حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم أي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي أنهم امتنعوا عن قبول شريعة التورية فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها أو ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي أنهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا وأقلعوا عن النقض وهو الأنسب لما سيأتي من قوله تعالى وأخذنا منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نتحدث أنه باب من أبواب بيت المقدس وقيل هو إيليا وقيل أريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون إليها

العلم ولذلك أكده بقوله يقينا ما لهم به من علم إلا اتباع الظن استثناء منقطع أي لكنهم يتبعون الظن وقد يجوز أن يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن إليه النفس جزما كان أو غيره فالاستثناء متصل وما قتلوه يقينا أي قتلا يقينا كما زعموا بقولهم إنا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا كقول من قال كذاك تخبر عنه العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما إذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لإشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفى ذلك عنهم بالكلية بل رفعه الله إليه رد وإنكار لقتله وإثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريده حكيما في جميع أفعاله فيدخل فيها تدبيراته في أمر عيسى عليه السلام دخولا أوليا وإن من أهل الكتاب أي من اليهود والنصارى وقوله تعالى إلا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف إليه يرجع الضمير الثاني والأول لعيسى عليه السلام أي وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل أن تزهق روحه بأنه عبد الله ورسوله ولات حين إيمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده أنه قرئ إلا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لأن أحدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسره كذلك فقال له عكرمة فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال إني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودي إذا حضرته الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبي ويقول للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله وابن الله فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر إلي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها من عين صافية والإخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة إلى الإيمان به قبل أن يضطروا إليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى عليه السلام والمعنى وما من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام أحد إلا ليؤمنن به قبل موته روي أنه عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر

والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويقيل الخضر الاول ويرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم **ويوم القيامة يكون** اي عيسى عليه السلام **عليهم** على اهل الكتاب **شهيدا** فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **فبظلم من الذين هادوا** لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم **حرمنا عليهم طيبات احلت لهم** ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله تعالى في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين اي في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه عليه السلام لما كلفهم اخراج التورية لم يجسر احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين **وبصدهم عن سبيل الله كثيرا** اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا **واخذهم الربوا وقد نهوا عنه** فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه **واكلهم اموال الناس بالباطل** بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة **واعتدنا للكافرين منهم** اي للمصرين على الكفر لا لمن تاب وامن من بينهم **عذابا اليما** سيذوقونه في الاخرة كما ذاقوه في الدنيا عقوبة التحريم **لكن الراسخون في العلم منهم** استدراك من قوله واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا واجلا اي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام واصحابه **والمؤمنون** اي منهم وصفوا بالايمان بعدما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق

عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الى آخره والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا فانه تحقيق للمماثلة بين شانه صلى الله عليه وسلم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق الايحاء في ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتما كأنه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابرهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا اخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم تعتبر عينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول تقتضي تقديره في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا **وكلم الله موسى** برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى **تكليما** مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على اتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به من بينهم موسى فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه عليه السلام جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لما امنوا بها ومع ذلك ما امنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا **رسلا مبشرين ومنذرين** نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين

للعصاة بالنار لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ اى معذرة يعتذرون بها قائلين لولا
ارسلت الينا رسولاً فيبين لنا شرايعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك
لقصور القوة البشرية على ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك
كلياتها كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع اياتك الآية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه
حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما شاء للتنبيه على ان المعذرة في
القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها
ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد اغير
من الله تعالى لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله
تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل
الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان
وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله او هو الخبر
او للناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر
ولا يجوز التعلق بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى بَعْدَ الرُّسُلِ اى بعد ارسالهم
وتبليغ الشرايع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظروف
يوصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها كالقتال يوم الجمعة وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا لا يغالب
في امر من اموره ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين حَكِيمًا في
جميع افعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها
في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرايع والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم
في الاحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى برأهم على انحاء شتى
واطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشأنهم
وتقتضيه احوالهم المتخالفة واستعدادهم للمتغايرة من الشرايع والاحكام حسبما
يستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك
من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب
جملة اقتراح فاسد اذ حينئذ يتعاقب التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج عن

من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما
على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل
في جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اى كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من
ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة
او فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم
وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا
حَكِيمًا مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر
والضلال لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ بالافراط في رفع شأن عيسى عليه السلام وادعاء
الوهيته واما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم بانه ولد لغير رشدة
فقد نعى عليهم ذلك فيما سبق وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ اى لا تصفوه بما يستحيل
اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك
إِنَّمَا الْمَسِيحُ قد مر تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت
على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى عِيسَى بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى
ابْنُ مَرْيَمَ صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته تعالى وقوله تعالى
رَسُولُ اللَّهِ خبر للمبتدأ والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي عن القول
الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اى انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها
وَكَلِمَتُهُ عطف على رسول الله اى مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة اب
ولا نطفة أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ اى اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام
وقيل اعلمها اليها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم قيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما
دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها وَرُوحٌ مِنْهُ
قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ
روحا لانه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى

يروى ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي
ذات يوم فقال له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى
وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه
فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع
النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي
متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت
بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بامره سبحانه وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات
وقيل لاحيائه القلوب كما سمي بها القرآن لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة
وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا
انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح
وتقديم كونه عليه السلام رسول الله تعالى في الذكر مع تأخره مع كونه كلمة تعالى
وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتأويل وتعيين
مآل ما يحتمله وسد باب التأويل الزائغ فآمنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله
اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية
ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى أأنت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد
ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم
يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة انتهوا
اي عن التثليث خيرا لكم قد مر وجوب انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات
منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت اي منفرد في
الالهية سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا
من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله
وقرئ ان يكن سبحانه ما يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض
جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزه وتنزيهه اي له ما فيهما من الموجودات خلقا

سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق العار و
النقص من المستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعا اي المستنكفين ومقابليهم المدلول
عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين
في المفصل تعويلا على انباء التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر احدهما لحشر الآخر
ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى
فاما الذين آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة
احدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك
مقدر معطوف عليه والتقدير فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم اليه
يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر الكل في
الاجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فنحشرهم بنون
العظمة بطريق الالتفات فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق
المطوي ذكره في الاجمال قدم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة الى بيان
كون حشره ايضا معتبرا في الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل الصالح لا بوصف
عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه من الثمرات
فيوفيهم اجورهم من غير ان ينتقص منها شيئا اصلا ويزيدهم من فضله
بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
واما الذين استنكفوا اي عن عبادته تعالى واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم
واستكبارهم عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله
وليا يلي امورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه
يا ايها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه
الكفرة من فنون الكفر والضلال والزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال
وازاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على ان الحجة قد تمت
فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر قد جاءكم اي وصل اليكم وتقرر في قلوبكم
بحيث لا سبيل لكم الى الانكار برهان البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به النبي
الدال على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم المثبت لما فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير اليه

لما اثبته الآيات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس رض انه النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل هي المعجزات التي اظهرها وقيل هو دين الحق الذي اتى به وقوله تعالى **من ربكم** اما متعلق بجاءكم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على ان يكونها تبعيضية بحذف المضاف اي كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم **وانزلنا اليكم نورا مبينا** اريد به ايضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما ذكر انفا واخرى بالنور النير بنفسه المنور لغيره ايذانا بانه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيته وكونه من عند الله تعالى باعجازه غير محتاج الى غيره مبين لغيره من الامور المذكورة واشارا بهدايته للخلق باخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجي المسند اليه المبني عن كمال قوته في البرهانية كانه يجي بنفسه فيثبت احكامه من غير ان يجي به احد ويجي على شبه الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توقيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن العظيم واما على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات الظاهرة على يده او عن الدين الحق فالامر بين وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات وان كان الى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه منزل اليهم ايضا بواسطته عليه السلام وانما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس ونظائره لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله اليهم مبالغة في الاعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخير عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر للمحافظة على فواصل الآي الكريمة **فاما الذين آمنوا بالله** حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم **واعتصموا به** اي عصموا به انفسهم مما يردها من زيغ الشيطان وغيره **فسيدخلهم في رحمة منه وفضل** قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدي بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل **احلت لكم بهيمة الانعام** البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المرادة بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المتضايفين كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التي بين احلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن **الا ما يتلى عليكم** استثناء من بهيمة الانعام اي الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه **غير محلي الصيد** اي الاصطياد في البر او اكل صيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شايع في الكتاب والسنة وقوله تعالى **وانتم حرم** اي محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظائرها ظاهرة لان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على تقدير الاول ففائدته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها

بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال
غيره كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها
في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور
مع حصول المراد بان يقال غير محلل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية للامتنان
وتقرير للحاجة ببيان علتها الواقعية فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى احلال ما
من الاحكام حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من
التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الارادة بها الجارية على موجبها عقدا وعملا والاجتناب
عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها التي سيأتي بيانها **يا ايها
الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله** لما بين حرمة احلال الاحرام الذي هو من شعائر الحج
عقب ذلك ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله تعالى لتشريفها وتهويل الخطب
في احلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف
الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام
والطواف والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها ويحال بينها وبين المتنسكين بها
ويحدث في اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم
شعائر الله اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حدها لعباده واحلالها
الاخلال بها والاول انسب بالمقام **ولا الشهر الحرام** لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء
والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد
لارادة الجنس **ولا الهدي** بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي
الهدي من نعل او لحا شجر ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات
القلائد من الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها
لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام كأنه قيل
والقلائد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض
لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن ان تحلوها كما نهى عن ابداء الزينة بقوله تعالى
ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها **ولا آمين البيت الحرام**
اي لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هناك

الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم رعاية لجانبهم
وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام
اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن كسب
الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه واكده فان النهي
عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية
وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد به
نهي مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع
ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به
بل هي باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر
الآمين بالطريق الاولى **وتعاونوا على البر والتقوى** لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر
والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة
الامر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع
منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء
والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التاءين تخفيفا
وانما اخر النهي عن الامر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات
فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى
ثم امروا بقوله تعالى **واتقوا الله** بالاتقاء في جميع الامور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من
الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى
ان الله شديد العقاب اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل
لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة **حرمت عليكم الميتة**
شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير
ذبح **والدم** اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء
ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اي من فصد له **ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به**
اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى **والمنخنقة** اي التي ماتت بالخنق **والموقوذة**

اي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته والمتردية اي التي تردت
في علو او في بئر فماتت والنطيحة اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتا للنقل
وقرئ والمنطوحة وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون البا
واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما صادته لم يحل الا
ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته وفيه بقية حيوة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل
الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وما
ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد واياما كان
هو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك
قربة وقيل هي الاصنام وان تستقسموا بالازلام جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم
الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها
امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك
وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها اخرى فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصبا المعهودة
ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته في الشر فسق
تمرد وخروج عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه فان امر الى الله سبحانه
ان كان هو المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى
تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها اليوم اللام للعهد والمراد به الزمان
الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والاتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة
عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء وكادت عضد الناقة
تندق لثقلها فبركت واياما كان فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى يئس الذين كفروا
من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث او غيرها او من ان يغلبوكم عليه
لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى
فلا تخشوهم اي ان يظهروا عليكم واخشون اي واخلصوا الي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم
بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول
الشرايع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم

بالايام الثلثة وقت واحد وانما كرر للتاكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة
فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر وطعام الذين اوتوا الكتاب
اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله تعالى عنه نصارى بني تغلب وقال
ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رضي الله عنه
والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها حل لكم اي حلال وعن ابن عباس رض
انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه
اخذ ابو حنيفة رحمه الله واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه
هما صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا و
يعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب
في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة
اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان
تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات
رفع على انه مبتدا حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بهن
الحرائر والعفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان
نكاح الاماء المسلمات صحيح خلافا للشافعي رحمه الله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم اي هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رض لا تحل الحربيات
اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث
على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها واذا ظرفية عاملها حل المحذوف وقيل شرطية
حذف جوابها اي اذا اتيتموهن اجورهن حللن لكم محصنين حال من فاعل اتيتموهن اي حال
كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة
لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان اي ولا مسرين به والخدن
الصديق يقع على الذكر والانثى وهو مجرور عطفا على مسافحين وزيدت لا لتاكيد
النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجهه الثلاثة
ومن يكفر بالايمان اي من ينكر شرائع الاسلام التي من جملتها ما بين هنا من الاحكام
المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك

وهو في الآخرة من الخاسرين هو مبتدأ ومن الخاسرين خبره وفي متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور اي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا. يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة اي اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها وقيل اذا قصدتم الصلوة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روي انه صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل الى انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القرآن من اوله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث

وهذا في اليهود اولى لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرارا وحيث كان مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة واجر عظيم حذف ثاني مفعولي الوعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استئناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكأنه قيل وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات اصحاب الجحيم ملابسوها ملازمة مؤبدة من السنة السنية القرآنية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله اذ هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى عليكم او اذكروا النعمة كائنة عليكم في وقت همهم ان يبسطوا اليكم ايديهم اي بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كونه من منافعهم تعجيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موقع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون

الا كانوا اقد اكبوا عليهم تعالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم
يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة
الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي
رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا ابا القسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فاجلسوه في صفة وهموا
بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل
جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل هو ما روي انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق اصحابه في
العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه
وسله فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام الله تعالى فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم
فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واتقوا
الله عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تأتون
وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره
استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر
والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسناده الى المؤمنين لايجاب التوكل
على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند المخاطب من وصف الايمان داع الى ما
امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستأنف
مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه
ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به
وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة
حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار
الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق
الاستيناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
للجري على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل

ان يكون لهم شبهة ويتوهم لهم معذرة فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة
لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر
استقلالا او انضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة
وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه
ان يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم
فلعناهم ضرورة تقدم الهيئة البسيطة على الهيئة المركبة للايذان بان تحققهما امر
غني عن البيان وانما المحتاج اليه ذكر ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا
قلوبهم قاسية بحيث لا تتأثر عن الآيات والنذر وقيل املينا لهم ولم نعاجلهم
بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت كذلك
وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي
اي ردئ اذا كان مغشوشا له يبس وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا للسين
يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لا
مرتبة اعظم مما يصحح الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة
المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا
حظا اي تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل حرفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة
منهم اي خيانة على انها مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اي ذات خيانة
او طائفة خائنة او شخص خائن على ان التاء للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق
بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية اي على
خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية
تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون
يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور
في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم
الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثاني فالمراد

بالتقليل النعل القليل ومن ابتدائية كما قراي الا قليلا قليلا وكانا منهم فاعف عنهم
واصفح اي ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف
ان الله يحب المحسنين تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على
الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
بيان لقبائح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا
او التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به
ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه
قيل ومن الطائفة الاخرى اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبرا للمبتدا
محذوف قامت صفته او صلته مقامه اي ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم
وضمير ميثاقهم راجع الى الموصول المقدر واما في الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى
بني اسرائيل اي اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك اي مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وبما يتفرع
على ذلك من افعال الخير وانما نسبتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى
ايذانا بانهم في قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا
من نصرة الله تعالى في شيء او اظهار الكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم
فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب
اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا مما ذكروا به في تضاعيف الميثاق من الايمان
بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر آنفا وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية
ويعقوبية وملكائية انصار الشيطان فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري
بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم اما ظرف
لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي اغرينا العداوة والبغضاء
كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى
الى يوم القيامة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي يتعادون ويتباغضون الى
يوم القيامة حسبما تقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق
الى الفرق الثلث فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم ولليهود اي اغرينا العداوة والبغضاء

بان الله تعالى موجود فلزمهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا
وقالوا الا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم
وتفضيحا لمعتقدهم قل اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر
والفاء في قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ
والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف اي ان كان الامر
كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته شيئا وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك شيئا
منها ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ومن حق من
يكون الها ان لا يتعلق به ولا بشأن من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من
الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه
ظهر كونه بمعزل مما تقولوا فيه حتما والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط
والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير
والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفي الالهية
المذكورة بالاستفهام الانكاري عن كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط
بان يقال فمن يملك شيئا من الله ان اراد التحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه
واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية
متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه واكده فيظهر استحالة الوهيته قطعا
وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه بان يقال فمن يملك من
الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى
وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح
اسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها في ما ذكر من العجز وعدم استحقاق
الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تاكيد عجز المسيح
ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتاكيد التبكيت
وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل
فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن في الارض وقد اهلك امه فهل
مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله ولله ملك السموات والارض وما بينهما

اى ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول
ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات فنصص على
كون الكل تحت قدرته تعالى وملكوته اثر الاشارة الى البعض اى يملك الارض كذلك اى له
تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة
لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى
اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستانفة مسوقة
لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في
امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
اى يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على
المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق اى خلق يشاء فتارة يخلق من غير اصل
كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من
جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده
كخلق حوا او انثى وحدها كخلق عيسى عم او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط
شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد
عيسى عليه الصلوة والسلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك
فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده والله على كل شيء قدير اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة

حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى
الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اى قالت اليهود
نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب
وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك
وقال ابن عباس رض ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام
وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان
النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا
ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة

في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء اى اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله
او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء ذوي عدد
كثير واولي شان خطير حيث لم يبعث من امة من الامم ما بعث من بني اسرائيل من الانبياء
وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اى جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه
قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل
في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك
وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب
وصعوبة المنال بحيث لا يليق ان ينسب اليه ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه
الله له وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل
الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له
مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك
مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل من
عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة كرر النداء بالاضافة التشريفية
اهتماما بشان الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس
سميت بذلك لانها مسكن الانبياء ... ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا انها
محرمة عليهم وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فان ترتب
الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة
قطعا اى لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة فالجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من
فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا
وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن
دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على
ترتدوا او منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما
دخول ما كتب لهم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كانه قيل
فماذا قالوا بمقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك يا موسى

إن فيها قوما جبارين متغلبين لا تأتّى لنا منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاتي
الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعّال من جبره
على الأمر أي أجبره عليه وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا
فإنه لا طاقة لنا بإخراجهم منها فإن يخرجوا منها بسبب من الأسباب التي لا تعلق لنا بها
فإنا داخلون حينئذ أتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت
عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على أن امتناعهم من دخولها ليس
إلا لمكانهم فيها وأتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول
وثباته عند تحقق الشرط لا محالة وإظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالأمر قال رجلان
استئناف كما سبق كأنه قيل هل اتفقوا على ذلك أو خالفهم البعض فقيل قال رجلان من الذين
يخافون أي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة أمره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود
رضي الله عنه وفيه تعريض بأن من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين
يخافون العدو أي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا
من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة أسلما وصارا إلى موسى عليه السلام فالواو
حينئذ لبني إسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة والعائد محذوف أي من الذين
يخافهم بنو إسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يُخافون على صيغة المبني للمفعول أي
المخوفين وعلى الأول يكون هذا من الإخافة أي من الذين يُخوَّفون من الله تعالى بالتذكير
أو يخوفهم الوعيد أنعم الله عليهما أي بالتثبيت وربط الجأش والوقوف على شئونه
تعالى والثقة بوعده أو بالإيمان وهو صفة ثانية لرجلان أو اعتراض وقيل حال من الضمير
في يخافون أو من رجلان لتخصصه بالصفة أي قالا مخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا عليهم
الباب أي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لأن المقصود إنما هو
دخول الباب وهم في بلدهم أي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من
البروز إلى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا فإذا دخلتموه أي باب بلدهم وهم فيه
فإنكم غالبون من غير حاجة إلى القتال فإنا قد رأيناهم وشاهدنا أن قلوبهم ضعيفة
وإن كانت أجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضائق فإنهم لا يقدرون فيها على
الكر والفر وقيل إنما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم

وليس كذلك أوحى الله عز وجل إلى آدم أن يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة
قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه وسخط وزعم أن ذلك ليس من عند الله تعالى
بل من جهة آدم عليه السلام فقربا قربانا فمن أيهما تقبل تزوجها فنزلت نار على قربان
هابيل فأكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل
بالحق متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة
أو حالا من فاعل اتل أو من مفعوله أي اتل ذلك أو نبأهما ملتبسا بالحق والصدق حسبما
تقرر في كتب الأولين إذ قربا قربانا منصوب بالنبأ ظرف له أي اتل قصتهما ونبأهما
في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف أي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك
الوقت ورد عليه بأن إذ لا يضاف إليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان
اسم لما يتقرب به إلى الله تعالى من نسيكة أو صدقة كالحلوان اسم لما يحلى أي يعطى
وتوحيده لما أنه في الأصل مصدر وقيل تقديره إذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من أحدهما
هو هابيل قيل كان هو صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فنزلت نار فأكلته
ولم يتقبل من الآخر هو قابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب أردأ ما عنده
من القمح فلم تتعرض له النار أصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام
كأنه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لأخيه لتضاعف سخطه وحسده
لما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لأقتلنك أي والله لأقتلنك بالنون المشددة
وقرئ بالمخففة قال استئناف كما قبله أي قال الذي تقبل قربانه لما رأى أن حسده
لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه إنما يتقبل الله أي القربان من المتقين لا من
غيرهم وإنما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه أي إنما أُتيت من قبل
نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا أنه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذارا من
تهييج غضبه وحملا له على التقوى والإقلاع عما نواه ولذلك أسند الفعل إلى الاسم الجليل
لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال
بطريق التوكيد لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك صدّر
الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح إيذانا من أول الأمر
برجوع ضرر البسط وغائلته إليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية

موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتأكيد النفي بالباء في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار برائته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله انى اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه واكده ما لا يخفى كانه قال اني اخاف الله تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عدوانك عني فما ظنك بحالك وانت البادي العادي وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تاكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط يدك الي كما في قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم اي على البادي عين اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم قتلي ومعنى باثمك اثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية اصلا ويأباه قوله عز وجل فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما

فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور رفعه. وتوضيحه ان كل حكم شرط تحقق احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او وانتفى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلوته فحيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما ولا يخفى ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما فكانما قتل الناس جميعا فمن قال في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في كانما كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم ومن احياها اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه فكانما احيا الناس جميعا ووجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شأن الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة

ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان خطير ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الى للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اى وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيدا لوجوب مراعاته وتأييد التحتم المحافظة عليه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الكتب وتأكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذاء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد في الارض متعلق بقوله تعالى لمسرفون وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينهما لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدأ وانما دخولها على الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شان الاحياء وجودا وذكرا وكان هو افبح الامرين وافظعهما اكتفى بذكره في مقام التشنيع انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله كلام مستانف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل اثر بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل قيل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه

عقب الامر بهما بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة لعلكم تفلحون بنيل مرضاته والفوز بكرامته ان الذين كفروا كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيامة باقوى الوسائل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب لو ان لهم اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الآية لا لجميعهم اذ ليس في ذلك من المرتبة من تهويل الامر وتفظيع الحال ما في الارض اي من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا خلاف خلا انه عند سيبويه رفع على الابتداء ولا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اي لو كون ما في الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تعالى جميعا توكيد للموصول او حال منه ومثله عطف على الموصول وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيد لافراد الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى ليفتدوا به متعلقة بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم وبالخبر المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدما او مؤخرا او بالفعل المقدر بعد لو على راي المبرد ومن نحا نحوه ولا ريب في ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل هو راجع الى الموصول والعائد الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار في قوله فاني وقيار بها لغريب اي وقيار بها غريب وقد جوز ان يكون نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو توزيعا على مذهب المبرد ومن راى رأيه وانت خبير بانه يؤدي

اي كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض
ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه
الاستقرار المقدر في لهم لما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن
للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قوله هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة
في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى [من عذاب يوم القيمة] متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان
ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ [ما تقبل
منهم] ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم به من غير
ذكر الافتداء بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب عليه لا على
مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى الذكر ترتبهم
على ما ذكر او للمبالغة في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله
تعالى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده حيث لم يقل
فاتى به فراه فلما الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه من غير ذكر
خروجه عليه السلام عليهن ورؤيتهن له والجملة الامتناعية بحالها خبر ان الذين كفروا
والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت
تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك انتهى وهو كلمة الشهادة
وقوله تعالى [ولهم عذاب اليم] تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فدائهم لزيادة
تقرره وبيان هوله وشدته قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا على
خبر ان وقيل عطف على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه [يريدون ان يخرجوا
من النار] استيناف مسوق لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال
نشأ مما قبله كانه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ
وقد بين في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار قيل انهم يقصدون ذلك و
يطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهناك يريدون الخروج ولات
حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم وقيل
يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل [وما هم بخارجين منها] اما حال من

والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ للايماء الى انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون
بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر منها كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار
الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستقرون
على الخير مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار
الحزن وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر
لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التاثر من ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه وآكده
فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد
يوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد نهي مخاطبه
عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاء وقرئ يسرعون
يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة و
قوله تعالى [من الذين قالوا آمنا بافواههم] بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا
لا بآمنا وقوله تعالى [ولم تؤمن قلوبهم] جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى
[ومن الذين هادوا] عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم
الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى [سماعون للكذب] خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين
او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما تقف
عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبرا على ان قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم
قوم سماعون الخ لادائه الى اختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية
والاخروية بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع
معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب او في قبول
ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا
عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما
بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرر بهم و
ايا ما كان فالجملة مستانفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجه المذكور

وابناء امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك
الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الافاعيل
الفاسدة المؤدية الى الخزي والعذاب كما سياتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى
سماعون لقوم آخرين خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب
على الوجهين الاولين واللام مثل ما في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي قبل منه حمده
والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه السلام
لاجل قوم آخرين وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان
سماعون الثاني مكرر للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا
وقوله تعالى لم يأتوك صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في
البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه
صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسامعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الرأي
والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال
ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله
عز وجل وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه
الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما بالحمل على غير المراد واجرائه في غير مورده وقيل
الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف راجع
الى القوم وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من
ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا
كيف لا وان مقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم و
المخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون اليه عليه السلام لمن لا يحضر
حوله عليه السلام قطعا وادعاء قوم السماعين لاعقابهم المخاطبين للمسلمين تعسف
ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم
الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين
الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه
فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم غيره فاحذروا اي فاحذروا قبوله واياكم واياه

من تمرد ان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد
منهم الحر منا فاقض بيننا فجعل عليه السلام الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات
ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم
وابي مسلم وقائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال
ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى
اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى
وان احكم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره
عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث كان
مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام الا لطلب الايسر والاهون عليهم
فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فيشتد عداوتهم ومضارتهم له عليه السلام
فآمنه الله عز وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس
وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله
يحب المقسطين فيحفظهم عن كل مكروه ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم
التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه
في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع
وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم وقوله تعالى وعندهم التوراة
حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة ان جعلت مرتفعة بالظرف
وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان
ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودوداة
ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى
من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا لتأكيد الاستبعاد والتعجيب اي
ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولئك
بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم
في الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل
تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو

والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا
وعن حكمك الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم
انا انزلنا التورية كلام مستانف سيق لبيان علو شان التورية ووجوب مراعاة
احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد
من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم
بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التورية فان ما فيها من
الشرايع والاحكام من حيث ارشادها الناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث
اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى
يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبياء
جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التورية فتكون حالا
مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا
شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشان المقدم
والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم
وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص
والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون
وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف
في معرض مدح العظماء مبني على عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح
ووصف الملائكة بالايمان عليهم السلام ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف
وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود وانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء
عليهم السلام الاستماع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى للذين هادوا وهو متعلق بيحكم
اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه
قيل لاجل الذين هادوا واما لايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار
بكمال رضاهم به وانقيادهم له كانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل التقدير
للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل
بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما

بما انزل الله فكيف وقد انتظم اليه الحكم بخلافه لاستماع مباشرة ما نهوا
من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وكتبنا
عطف على انزلنا التورية عليهم اي على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل
فيها اي في التورية ان النفس بالنفس اي تقاد بها اذا قتلتها بغير حق والعين تفقاء
بالعين اذا فقئت بغير حق والانف يجدع بالانف المقطوع بغير حق والاذن
تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن تقلع بالسن المقلوعة بغير حق والجروح قصاص
اي ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رض انهم كانوا
لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ وان الجروح قصاص وقرئ والعين الى بالرفع
عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا
واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة
تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها فمن تصدق اي من المستحقين اي
بالقصاص اي فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه
فهو اي التصدق كفارة له اي للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني اذا تجاوز عنه
صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها
بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله ومن لم يحكم
كائنا من كان فيدخل من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود دخولا بينا
بما انزل الله من الاحكام والشرايع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية
دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى
الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة
وقفينا على آثارهم شروع في بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو
عطف على انزلنا التورية اي آثار النبيين المذكورين تقول قفيته فلانا اذا اتبعته
اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي قفيناهم بعيسى ابن مريم اي
ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التورية حال من عيسى عليه السلام
وآتيناه الانجيل عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في
التورية وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اي كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا

على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم **وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ** عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية لزيادة التقرير **وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ** عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ** امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها دلائل رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من احكامه واما احكامه المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل الاية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ ويؤيده ان قرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما في قولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الخ وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل فيه **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ** منكرا له مستهينا به **فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مامورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما في التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ** اي الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى **بِالْحَقِّ** متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من

وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم **فِي مَا آتَاكُمْ** من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشية الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشية المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وعلا **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تأكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى **إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ** استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى **جَمِيعًا** حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار **فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** عطف على الكتاب اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتأكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك تأكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى **وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** اي يصرفوك عنه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتأكيد الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير بتهويل الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم

وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك
فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **فان تولوا** اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى
وارادوا غيره **فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم** اي بذنب توليهم
عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد
من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد • او يرتبط بعض النفوس حمامها •
يريد به نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس **وان كثيرا من الناس لفاسقون**
اي متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون من الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر
لمضمون ما قبله **افحكم الجاهلية يبغون** انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على
مقدر يقتضيه المقام اي اتتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص
المفيد لتأكيد الانكار والتعجيب لان التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب
حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة
في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى
وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل
فيما بين القتلى حيث روي ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت
بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل الجاهلية من التفاضل فقال
عليه السلام القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه
مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا
وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ تبغون على الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما
بتقدير القول اي قل لهم افحكم الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف اي افحكما كحكام الجاهلية يبغون
ومن احسن من الله حكما انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساو له وان
كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله **لقوم يوقنون** اي عندهم واللام كما في هيت لك
اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل
احسن الاحكام واعدلها **يا ايها الذين آمنوا** خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين
وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي وصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر

ويقول الذين آمنوا كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ
بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ
وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا وقيل على يأتي باعتبار المعنى كأنه قيل
فعسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عنهم
المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين
لليهود ومشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة
وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم
بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم **اهؤلاء
الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم** اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي
عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده
وتخطئتهم في ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين اهؤلاء
الذين اقسموا الخ انهم لمعكم فالخطاب في معكم لليهود على التقدير الاول ومن جهة
المؤمنين وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية
لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر
ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه
ولا يبالي بتعريفه لفظا لانه مؤول بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدر اي اقسموا اقسام
اجتهاد في اليمين وقوله تعالى **حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين** اما جملة مستأنفة
مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية في
المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز
كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما في حيز صلته صفة
لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم
والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا حيث لم
تكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء
بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء
حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى على انفسهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين

اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا
يتكلفونها في رأي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق
بالواظهر المنافقون خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم
على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤس الاشهاد وبطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها
في رأي اعين المؤمنين ولا ريب في انهم يومئذ اشد اجتهادا واكثر اقداما منهم قبل ذلك فضلا
عن ان تظهر واخلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس في ذلك علامة
ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم بانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا على
ما ظهر منهم من موالاة الكفر خشية اصابة الدائرة يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم
عن دينه وقرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة
اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير امر من
يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات
التي اخبر عنها القرآن قبل وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا
تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل
والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض عليه السلام من الغد واتى خبره في آخر شهر
ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله عليه السلام
من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب
صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي
وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس
وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن وليد فانهزم بعد
القتال الى الشام فاسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة
بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل
وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت

اظهر الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب
النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شأنه
جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض
لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم
عن استهزاء الدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار اي المشركين
خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول فيه اشعار بانهم ليسوا مستهزئين
كأنه نبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الآية وقرئ بالجر عطفا
على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا فانهم
ايضا من جملة المستهزئين اولياء وجانبوهم كل المجانبة واتقوا الله في ذلك بترك
موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا ان كنتم
مؤمنين اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة واذا ناديتم الى الصلوة
اتخذوها اي الصلوة او المناداة وفيه دلالة على شرعية الاذان هزوا ولعبا
بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق
اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول
اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله
نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحرقته واهله جميعا ذلك اي الاستهزاء المذكور
بانهم بسبب انهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به
ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان
الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه
ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة يا اهل الكتاب وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا
لما سيأتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم هل تنقمون منا من نقم منه كذا
اذا عابه وانكره وكرهه ينقمه من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي البضا
لغة اي ما تعيبون وما تنكرون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا من القرآن
المجيد وما انزل من قبل اي من قبل انزاله من التورية والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية

وان اكثركم فاسقون اى متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقران مستلزم
بالكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول الذى هو الدين
محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا على نقمة
والكفار والايمان بما فصل عين الدين الذى نقموه خلا انه ابرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا
عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجبا لنقمه مع كونه في نفسه موجبا لقبوله
وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اى ما تنقمون منا دينا لعلة من العلل الا لان آمنا
بالله وما انزل الينا وما انزل من قبلك من كتبكم ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين بما
مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم
لانهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول لتنقمون
لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا
الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف اى واعتقاد
ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على ما اى ما تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا
وبان اكثركم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة اى لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون
وقيل عطف الواو بمعنى مع اى ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم لا وقيل هو منصوب
بفعل مقدر دل عليه المذكور اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء
والخبر محذوف اى وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية او معترضة وقرئ بان الكسر
والجملة مستأنفة مبينة لكون اكثرهم فاسقين متمردين
لما امر صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله
على ما يوجب ارتضاءه عندهم ايضا وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عليه السلام عقيبه بان
يبكتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف وينعى عليهم
في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم
التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم
شأن المبين ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة الى المخبر به
التنبيه المشيرة بكونه امرا خطيرا لان النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر وحيث
كان مناط النقم شرية المنقوم حقيقة او اعتقادا كما نحو النقم غير مفيد لشرية ...

من القبائح الشنيعة المحصلة مستأنفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال
الشرارة والضلال او داخلة تحت الامر تأكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فيقيل
اولئك شر مكانا فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح
شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا
واضل عن سواء السبيل عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم
وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم
فاذا كان اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة
مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال **واذا جاؤكم قالوا آمنا**
نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان
نفاقا فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي
اذا جاؤكم اظهروا الاسلام **وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به** اي يخرجون من عندك
ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر
وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان تقع
حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول
صلى الله عليه وسلم يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل **والله اعلم بما كانوا يكتمون**
اي من الكفر وفيه وعيد شديد لهم **وترى** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية **كثيرا منهم** من اليهود والمنافقين وقوله تعالى
يسارعون في الاثم حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب
بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وايثار كلمة في
على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة لما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون
فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله
وقيل هو ما يختص بهم من الآثام **والعدوان** اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة
الحد في المعاصي واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح
لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل

للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون والأحبار قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التورية وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض للذين يقتدى بهم
اقتداؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وهو منبهة على نهي اساقفهم عن ذلك مع توبيخ لهم على
تركه عن قولهم الاثم وأكلهم السحت مع علمهم بقبحها ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما
لبئس ما كانوا يصنعون وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لان العمل لا يبلغ درجة
الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم
ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك
ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات
ما لا يخفى وعن ابن عباس رضه انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف
عندي منها وقالت اليهود قال ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة والضحاك ان الله تعالى
كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى
بان كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازورا
يد الله مغلولة وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال
بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وارادوا بذلك لعنهم الله تعالى انه سبحانه ممسك
يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى
اثبات يد وغل او بسط الا يرى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله
جاد الحمى بسط اليدين بوابل ● شكرت نداه تلاعه ووهاده ● ولقد سلك لبيد
هذا المسلك السديد ● حيث قال وغداة ريح قد شهدت وقرة ● اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
فانه انما اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة كيفما شاء على طريقة
المجاز من غير ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز عليه
ارادة المعنى الحقيقي كما في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة في سورة آل عمران وقيل ارادوا
ما حكي عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت
ايديهم دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا
اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها في الآخرة فيكون المطابقة حينئذ
من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره ولعنوا عطف على

ومبشرات بعثه فان اقامتها انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيها من الاحكام
لانتساخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من اقامتها في شيء وما انزل
اليهم من ربهم من القرآن المجيد المصدق لكتبهم واراده بهذا العنوان للايذان
بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله
الى بني اسرائيل وتقديم اليهم لما مر من قبل وفي اضافة الرب الى ضميرهم مزيد اللطف
بهم في الدعوة الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل مثل كتاب
شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فانها مملوة بالبشارة بمبعثه صلى الله عليه وسلم
لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم
بركات السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او بان يرزقهم
الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها
على الارض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل
لأكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم او للقصد الى نفس الفعل كما في قوله
فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي ما تبع الشرطيتين حسن حثهم على ما
ذكر من الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال به
ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو
من شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى منهم امة مقتصدة جملة مستأنفة
مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين
على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم
كذلك مصرون على عدم الايمان او فقيل منهم امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدأ باعتبار مضمونه اي بعضهم
امة واما بتقدير الموصوف اي بعض كائن منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا
بالله الآية اي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية
واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكثير منهم مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره ساء ما يعملون اي مقول في حقهم
هذا القول اي بئسما يعملون وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم من العناد والمكابرة
وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف

واشباهه والروم يا ايها الرسول نودي عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة
تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحي اليه بلغ ما انزل
اليك اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى
من ربك اي مالك امرك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلائه
اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك مكروه ابدا وان لم تفعل اي ما امرت به
من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى فما بلغت رسالته فان ما لا يتعلق به
الاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى الناس اي فما بلغت شيئا من رسالته
واستحقت مما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة لان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا
لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها
لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في ان الواحد
لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولان كتمان بعضها اضاعة لما ادي منها كترك
بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت شيئا منها
كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة
واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاته وعن ابن عباس رضه ان كتمت اية لم تبلغ
رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا
فاوحى الله الي ان تبلغ رسالاتي اعذبك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى
والله يعصمك من الناس فانه تعالى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز
باعثة له عليه السلام على الجد في تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم
وعن انس رضه انه عليه السلام كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال
انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم
الكافرين تعليل لعصمته تعالى له ع م اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد
الاية الكريمة في تضاعيف الايات الواردة في حق اهل الكتاب لما ان الكل قوارع يسوء الكفار
سماعها ويشق على الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص
الناعي عليهم بكمال ضلالهم ولذلك اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطبا للفريقين
لستم على شيء اي دين يعتد به ويليق بان يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده

بالمبداء والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان
المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من المنافقين وسائر
الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان
تاخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل
المعنى من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبداء والمعاد عاملا بمقتضى
شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة ولقد اخذنا ميثاق
بني اسرائيل كلام مبتدا مسوق لبيان بعض اخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان
منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرايع والاحكام المكتوبة عليهم في
التورية وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي شأن خطير ليقرروهم على
مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم ويتعهدونهم
بالعظة والتذكير وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم جملة شرطية
مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب
الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك
الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرايع عصوه
وعادوه وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب مستانف عن استفسار
كيفية ما اظهروه من اثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف
فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء اخر من المضار وفريقا اخر
منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية
الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجب منها وللتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر
وللمحافظة على رؤس الاي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق
السامع الى ما فعلوا به لا للقصر هذا واما جعل الشرطية صفة رسلا كما ذهب اليه الجمهور
فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة تنسخ ما فيها
من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر اخر له ولذلك يجب ان يكون
معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله صفة له ومن ههنا قالوا
ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في

سيق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل والتكذيب حسبما يهيد جعلها استئنافا على ابلغ وجه واكده لا لبيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة وحسبوا الا تكون فتنة اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما اتوا من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشأن المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا بأس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التورية وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكى عنهم مما فعلوا بالرسل الذي جاؤهم بعده عليه السلام باعصار ثم تاب الله عليهم حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة فكثروا وكانوا احسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كسائر احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تعالى ثم عموا وصموا وهو اشارة الى المرة الآخرة

ومعنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب بعده ما بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء اله ويؤكده قوله تعالى للمسيح ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلثة اي احد ثلثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا اله واحد اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا او قوله تعالى ليمسن الذين كفروا جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اي وبالله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله تعالى منهم بيانية او ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وانما جيء بالفعل المنبئ عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينعى عليه بالتبليغ من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب والهمزة في قوله تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فمدار الانكار والتعجيب عدم الانتهاء وعدم التوبة معا او ايسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المزجرة فلا يتوبون عقيب ذلك فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار

اي والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله **ما المسيح ابن مريم الا رسول** استئناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس وآخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا الى التوبة لهم والاستغفار اي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى **قد خلت من قبله الرسل** صفة لرسول منبئة عن اتصاف بما ينافي الالوهية فان خلو الرسل السالفة عليهم السلام منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الوهيته اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا في يد موسى وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر لشؤونه وافعاله **وامه صديقة** اي وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او التصديق ويبالغن في الاتصاف به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم **كانا يأكلان الطعام** استئناف مبين لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل من افراد الحيوان وقوله عز وجل **انظر كيف نبين لهم الآيات** تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول لنبين والجملة في حيز النصب معلقة لانظر اي انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال **ثم انظر انى يؤفكون** اي كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما فيما قبله وتكرار الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجيبين من التفاوت اي ان بياننا للآيات امر بديع في بابه بالغ لاقصى الغايات القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب وابدع **قل** امر له صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم **اتعبدون من دون الله** اي متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى **ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا** لاظهار كمال الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام واشارة على كلمة من

على ان المعاودة كالنهي لا تعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين اما تقدير المثل او اجعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى **لبئس ما كانوا يفعلون** تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تسميه ذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى سببيته له فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له لا ان ما ذكر في حيز السببية مستقل على كفرهم ايضا **ترى كثيرا منهم** اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى **يتولون الذين كفروا** حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم **لبئس ما قدمت لهم انفسهم** لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة **ان سخط الله عليهم** هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما كانهما شيء واحد مبالغة في الذم اي موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة تعين المبتدأ او على انه خبر لمبتدأ محذوف ينبئ عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو او اي شيء هو فقيل هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم معرفة في محل رفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء شيء قدمته لهم انفسهم وقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من شيء المحذوف وهذا مذهب سيبويه **وفي العذاب** اي عذاب جهنم **هم خالدون** ابد الآبدين **ولو كانوا** اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب **يؤمنون بالله والنبي** اي نبيهم **وما انزل اليه** من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا **ما اتخذوهم** اي المشركين او اليهود **اولياء** فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا **ولكن كثيرا منهم فاسقون** خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون

لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا

جملة مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وساير احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدا وخبر ونصب الثاني هو الخبر لا المبتدا ولا ضير في التقديم والتاخير اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشدهم عداوة لهم الطائفتين المذكورين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في الصورة الثانية اتم والحمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتاخير اذ المعنى انك ان قصدت ان تعرف من اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت بحالهم خبرا وبالغت في تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الاشد تينك الطائفتين لا غير فتامل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ورهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة اي كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص **ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا** اعيد الموصول مع صلته روما لزيادة التوضيح والبيان **الذين قالوا انا نصارى** عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله واوداء اهل الحق وان لم تظهر اعتقاد حقية الاسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق

خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرا عليهم القرآن فقرا سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم** عطف التكذيب بآيات الله تعالى على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب **يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم** اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهب ترغيب المؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في ذلك والاعتداء اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني **ولا تعتدوا** اي ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد ولا تعتدوا بذلك **ان الله لا يحب المعتدين** تعليل لما قبله **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن ابتدائية او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف او صفة لمصدر محذوف اي اكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة **واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون** تاكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة

والاستهزاء بما نهي عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط
الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك وليس كما يظن
وهو قول مجاهد وقيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزل النهي قالوا كيف
بايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله
وهو قول عائشة رضي الله تعالى عنها وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية
والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموه اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ
بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم فكفارته اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شانها
ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك
لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه
اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من اقصده في النوع والمقدار
وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا
عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون
جمع اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث
كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة
او كسوتهم عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب
يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهي لغة كقدوة
في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره او طعام
كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم يطعموهم الاوسط
او تحرير رقبة او اعتاق انسان كيف ما كان وشرط الشافعي رحمه فيه الايمان قياسا على
كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد
اي شيئا من الامور المذكورة فصيام اي فكفارته صيام ثلثة ايام والتتابع شرط
عندنا لقراءة ثلثة ايام متتابعات والشافعي لا يرى التتابع ذلك اي الذي ذكر كفارة
ايمانكم اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او
قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم تفت بها خيرا او بان تكفروها اذا

اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة بقوله تعالى ثم اتقوا عطف على اتقوا
داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق
وآمنوا اي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لانه الذي يدل على
التحريم الحادث الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان ثم اتقوا اي ما حرم عليهم
بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما
طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه واحسنوا
اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية
وليس تخصيص هذه المراتب بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ
والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة
وكانوا في طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات
اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها
شيء محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها
في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها
ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات
تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق النظم الكريم
بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتي بقضية
كلمة اذا لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم
ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم
بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم
من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون
الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما بالمرة
وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال
الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل
ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم
في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى

فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام
وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة و
قيل التكرير لمجرد التأكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره
وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب
في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التأمل **والله يحب المحسنين** تذييل
مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير **يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله** جواب قسم محذوف
اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم **بشيء من الصيد** اي من صيد
البر مأكولا او غير مأكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت
عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في
رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى
تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن لهم حمار وحش
فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك فانزل الله تعالى الاية والتأكيد القسمي في ليبلونكم انما هو لتحقيق
ان ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان
النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي
تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل
ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من لم يثبت في مثل هذا كيف
يثبت عند شدائد المحن فمن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو
الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة
الى عظائم البلايا فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور **ليعلم الله من يخافه بالغيب**
اي ليتميز الخائف من عقابه الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد
ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا
بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى
بمن يخافه بالفعل فان علمه تعالى بانه سيخافه وان كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه
بانه خائف بالفعل وهو الذي يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل انما كـ

الوصف اللازم فصلا عن العطف على الموصوف كما سيأتي باذن الله تعالى ومما يشكك
في ان المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل **يحكم به** اي بمثل ما قتل **ذوا عدل منكم**
اي حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لان التقدير هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد من
العدول دون الاشياء المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان
ذلك ناشئ من الغفلة عما اراده بالمماثلة بل لان ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد
وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق
التباين بينهما في بقية الاحوال مما لا يهتدي اليه من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد
اهل الهداية والارشاد الا المؤيدون بالقوة القدسية الا يرى ان الامام الشافعي
اوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب
ويهدر مع ان النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف
يفوض معرفة امثال هذه الدقائق العويصة الى رأي عدلين من احاد الناس على ان الحكم
بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعدما عين المقابلة كل نوع من انواع الصيد
نوع من انواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة الى حكم اصلا وقرئ
يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة وقيل بل على ارادة الامام
والجملة صفة لجزاء او حال منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى **هديا** حال مقدرة من الضمير في
به او من جزاء لما ذكر من تخصيصه بالصفة او بدل من مثل فيمن نصبه او من محله فيمن جره
او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء **بالغ الكعبة** صفة لهديا لان
الاضافة غير حقيقية **او كفارة** عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة
صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله تعالى **طعام مساكين** عطف بيان لكفارة عند
من لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام مساكين
وقوله تعالى **او عدل ذلك صياما** عطف على طعام الخ كانه قيل
فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعدد هم فح
يكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر به الهدي والطعام والصيام اما الاول
فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها بدلا من الاخرين هذا
وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم

ما يقدر به الطعام والصيام والانجاء اي القياس على الهدي نعت لانجي
هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فعوله بها او كفارة خبر مبتدا
محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين
بالاضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد
الدال على الجنس وقرئ او عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما
عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار كان المفتوح
تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصيامًا تمييز
للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة وابي يوسف وللحكمين عند محمد رحمهم الله تعالى
ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الخ
وقيل بفعل يدل عليه الكلام كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره اي سوء
عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة
من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذًا وبيلًا ومنه الطعام الوبيل
وهو الذي لا يستمرأ للمعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرمًا قبل
ان سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين
بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرمًا ومن عاد الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم
فينتقم الله منه خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلته الفاء كقوله تعالى
فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسًا ولا رهقًا اي في ذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن كفر فامتعه
اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة واما الكفارة فعن عطاء وابراهيم
وسعيد بن جبير والحسن انها واجبة على العائد وعن ابن عباس رضي وشريح انه
لا كفارة عليه تعلقًا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم
ممن اصر على المعصية والاعتداء احل لكم للمحرمين صيد البحر اي ما يصاد في
المياه كلها بحرًا كان او نهرًا او غديرًا وهو لا يعيش الا في الماء ماكولًا او غير ماكول و
طعامه اي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما
يصاد في المياه والانتفاع به واكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن ابي
ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه

منصوب على الحال من فاعل لا يستوي اي لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما في قولك
احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك اي
كائنًا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفًا مطردًا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة
فان الشيء اذا تحقق مع المعارض فلأن يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو
وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلها
عليه وسيأتي تمام تحقيقه في مواضع عديدة باذن الله عز وجل فاتقوا الله يا اولي الالباب
اي في تحري الخبيث وان كثر وآثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة
والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان
اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء
هو اسم جمع على راي الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء
بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت
الصرف لالف التانيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على انه مخفف من شيّئ كهين مخفف
من هيّن والاصل اشيئاء كاهوناء بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتانيث
او الالف كالهمزة فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيياء
فاجتمعت ياءان اولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفًا فصارت اشياء ووزنها افلاء ومنعت الصرف
لالف التانيث وقيل انما حذفت من اشياء الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة
وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعاء وقوله تعالى ان تبد لكم تسؤكم صفة لاشياء
داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية معلقة بابدائها
لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدائها الموجب للمحذور
قطعًا فقيل وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اي تلك الاشياء الموجبة
للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من
التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك
مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك
التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب واجترائهم على المسالة
والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشانهم من الاستسلام لامر الله تعالى من غير بحث فيه ولا تعرض

لكبفيته وكميته اى لاتكثروا سؤاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لايعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحى اليه لم تطيقوا بها ونحو بعض امور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله تعالى وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال أفي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسئلته ثلث مرات فقال رسول الله عليه السلام ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روي عن انس وابي هريرة رضي الله عنهما انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه في المسئلة فقام عليه السلام مغضبا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس رضه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى الى غير ابيه وقال يا نبي الله من ابي فقال عليه السلام ابوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر وقال اين ابي قال عليه السلام في النار ثم قام عمر رضه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا نبيا نعوذ بالله تعالى من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنها استيناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسئلة المدلول عليها بلا تسألوا اى عفا الله تعالى عن مسائلكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعلها صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف

اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون قيل الواو للحال دخل عليها الهمزة للانكار والتعجب اى احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير أحسبهم ذلك او ايقولون هذا القول لو لم يكن اباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الى آخره وكلتاهما في موقع الحال اى أحسبهم ما وجدوا عليه اباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اى احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اى احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اى لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدة المبالغة في الانكار والتعجب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجب اذا كان كون ابائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل الواو للحال والمعنى واحد لان الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اى الزموا امر انفسكم واصلاحها وقرئ بالرفع على الابتداء اى واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرأ لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره واما مرفوع على انه كلام مستأنف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضيركم اى لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما

كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم
من رأى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم
يستطع فبقلبه وقد روي ان الصديق رض قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم
تقرؤون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله
صلى الله عم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا فيقول احدكم علي نفسي
والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم
فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم
ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله تعالى
ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على
الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي
وقيل كان الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت آباءك وضللتهم اي نسبتهم
الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بان ضلال آبائه لا يضره ولا يشينه الى الله
لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيمة جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين
وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال فهو
وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايها الذين آمنوا
استيناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة
بامور دينهم وتصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل
شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او
باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدا وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت
اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند
النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله تعالى
حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال
تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل
عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدا بتقدير المضاف اي شهادة بينكم شهادة

دائما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال
الصادق وجواز تركهما معا حتى يتصور حبل ماخذ باستعماله ماخوذا بترك استعمال الصادق
كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف
مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتأمل وقوله تعالى ولو كان اي المقسم له
المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى اي قريبا منا تأكيد لتبريهم من الحلف كاذبا ومبالغة
في التنزه عنه كانهما قالا لا ناخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية
جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء
لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لا
نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبك اي لو
وقوله عز وجل ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على
لا نشتري به داخل معه في حكم القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا الله بالمد
على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن
انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وادغام النون فيها فان عثر اي اطلع بعد التحليف على انهما استحقا اثما اي
اقترفا بقولهما انا اذا لمن الآثمين اي فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء
من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سبق
فآخران اي رجلان آخران وهو مبتدا خبره يقومان مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر
بين المبتدا وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام اللذين عثر
على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو
مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما
لما في ايديهما من الذين استحق على البناء للفاعل وهو قراءة علي وابن عباس وابي رضي الله تعالى
عنهم اي من اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم اي الاقربان الى الميت
الوارثان له الاحقان بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اي استحقا
عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان
مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق

عليهم الاثم اي جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كانه قيل
ومن هما فقيل الاوليان او هو بدل من الضمير في يقومان او من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق
على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة وقرئ الاولين على انه صفة
للذين الخ مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولوية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ
الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله عطف على يقومان
لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اي ليميننا على انهما
كاذبان خائنان وما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها أحق بالقبول من شهادتهما
اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن
الريب والريبة فصيغة التفضيل مع انه لا احقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها في
الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما وما اعتدينا عطف على جواب
القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما انا اذا لمن الظالمين استئناف
مقرر لما قبله اي انا ان اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه
بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم
ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان
في سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من
التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من
التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين
لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام
للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما
مهاجرا فلما قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما
بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه
ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا
منهما الاناء فقالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء
من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما
بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا

ونادوا اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما انما يقولون ذلك تفويضا
للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم
والاوجال وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته انك انت علام الغيوب
تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم وفيه
اظهار للشكاة ورد للامر الى علمه تعالى بالغوامض قبلهم من الخطوب وكابدوا من
الكروب والتجاء الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم
للخاتمة ورد ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم واجيب بان مرادهم
ح ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا الكفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدي
انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما ثابت اليهم عقولهم
بالشهادة على اممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ
علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله انك انت
اي انك انت الموصوف بصفاتك المعروف بذلك اذ قال الله يا عيسى ابن مريم
شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل
اثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال
الباقين وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام
مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شأنه عليه السلام
متعلق بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم
عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ
بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل
في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى
والدتك متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما او بمحذوف هو حال منها
ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعم المنتظمة في
سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام
عن عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه
اعتداد بها وتلذذ بذكرها على رؤوس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبأ عنه النظم الكريم

نو بيخا وفرحة للكن المحتلفين في شأنه عم افراطا وتفريطا وابطالا لقولهما جميعا اذ ايدتك
ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما وقت تأييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تأييدي لك
وقرئ آيدتك والمعنى واحد اي قويتك بروح القدس بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او
بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى
او النفوس حيوة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية
ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة
مشرقة نورانية علوية واياما كان فهو نعمة عليهما تكلم الناس في المهد وكهلا استئناف
مبين لتأييده عم او حال من الكاف وذكر تكليمه عم في حال الكهولة لبيان ان كلامه عم في تينك
الحالتين كان على نسق واحد بديع صادرا عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأي والتدبير وبه
استدل على انه عم سينزل من السماء لما انه عم رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما
ارسل الله تعالى وهو ابن ثلثين سنة ومكث في رسالته ثلثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه
واذ علمتك الكتاب عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بناصبه اي اذكر نعمتي
عليكما وقت تعليمي لك الكتاب والحكمة اي جنسهما والتورية والانجيل خصا بالذكر مما
تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب
وان تخلق من الطين كهيئة الطير اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير باذني
بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عم حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده
عند مباشرة الاسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى
فتنفخ فيها اي في الهيئة المصورة فتكون اي تلك الهيئة طيرا باذني فان اذنه تعالى
لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى الطير بل لمحض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه
لكان هذا التكوين من جهة الهيئة وتكرير قوله باذني في الطير مع لونه شيئا واحدا للتنبيه
على ان كلا من التصوير والنفخ امر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شئ الا باذنه تعالى
وتبرئ الاكمه والابرص باذني عطف على تخلق واذ تخرج الموتى باذني عطف على
اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعدما صارت رميما
معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين
وامرأة وجارية وتكرير قوله باذني في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك

بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير
صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضه وسعيد بن
جبير في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كأنها
تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعولة
كعيشة راضية قال استئناف مبني على سؤال ناشئ مما قبله كأنه قيل فماذا قال
لهم عيسى عم حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اي من امثال هذا السؤال ان كنتم
مؤمنين اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام
فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم
بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤل كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة
قالوا استئناف كما سبق نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال
اي لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك
حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان نأكل منها اي اكل تبرك وقيل اكل
حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان
انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة
اليقين ونعلم اي علما يقينيا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على
البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان وضمير الشأن محذوف اي
ونعلم انه قد صدقتنا في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين
بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم
يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا
ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق
بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كأنه
قيل على اي شئ تشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول
او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى بن
مريم لما رأى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع

والسنة الخ واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه عم اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطاطا راسه وغض بصره ثم قال **اللهم ربنا** نادى سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء **انزل علينا** تقديم الظرف على قوله تعالى **مائدة** لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى **من السماء** متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى **تكون لنا عيدا** في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ **لاولنا واخرنا** بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة **واية** عطف على عيدا ومنك متعلق بمحذوف هو صفة لاية اي كائنة **منك** دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي **وارزقنا** اي المائدة او الشكر عليها **وانت خير الرازقين** تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المبني عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمانينة كما في قول ابراهيم عم رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعذارهم بما ذكروه ولما اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويرتبه الى القبول **قال الله** استيناف كما سلف **اني منزلها عليكم** ورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب بعد قوله تعالى لئن انجانا من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق

ويسمى بالتربيع والتثليث ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى عم ومريم عم لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من توهم فقال ان عبادته تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجديه ويشتغل بما لا يعنيه كداب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويتفوهون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التاويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عليه السلام **قال** استيناف مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل فماذا يقول عيسى عم حينئذ فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا **سبحانك** سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان اقوله او من ان تقال في حقك ذلك وانما قدر من ان يكون لك شريك في الالوهية فلا بد عن سياق النظم الكريم **ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق** استيناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التاكيد بما في حيزه من الباء فاسمه ضمير عائد الى ما وخبره لي والجار والمجرور في بحق متعلق بما فيه من معنى الفعل والتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى **ان كنت قلته فقد علمته** استيناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم **تعلم ما في نفسي** استيناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تعالى **ولا اعلم ما في نفسك** بيان للواقع

والاخبار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك
لك كله وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات اليها لما
انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن نسبتها اليها
الحقيقية وقوله تعالى إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ تعليل لمضمون الجملتين منطوقا
ومفهوما وقوله عز وجل مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ استئناف مسوق
لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه علام صدور القول المذكور عنه على
ابلغ وجه واكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمأمور به
فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما
امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة
وردتي الاستفهام وقوله تعالى أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ تفسير
للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من
شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد
وقيل خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا
رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة
او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان مَا دُمْتُ فِيهِمْ ما مصدرية ظرفية
تقدر بمصدر مضاف اليه زمان ودمت صلتها اي كنت شهيدا عليهم
مدة دوامي فيما بينهم فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي بالرفع الى السماء كما في قوله تعالى
اني متوفيك ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه
قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كُنْتَ
أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ لا غيرك فانت ضمير الفصل او تأكيد وقرئ الرقيب
بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت
الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد
الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وخذلت من خذلت
من الضالين فقالوا ما قالوا وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ اعتراض تذييلي
مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذي عليه
يدور كافة ما يوجب من صفات الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان
بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار
جميع افرادها عليه بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجبات
المنتظمة في سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل الافعال من قوله عز وجل
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به
باعتبار افعاله العظام والآية الكريمة ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما
على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود
الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم
الانفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي انشأهما
على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطويتين من انواع البدائع
واصناف الروائع على ما تحار فيه العقول والافكار من تعاجيب العبر والآثار
تبصرة وذكرى لاولي الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف
آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هي
وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا
بخلق منشئهما ومحلهما وادخل معه في حكم الاشعار بعلة الحمد لكان خلق السموات
والارض وما فيهما لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد به تعالى جل
وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه
بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكويني
وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة ولانشاء التشريعي ايضا
كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية واياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله
بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما

من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه
كما في قوله عز وعلا وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق
بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان
فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين
هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه
عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في
الارض خليفة حيث قيل ان الظرف مفعول ثان لجاعل وقد اشير هناك
الى ان الذي يقتضيه الذوق السليم ويقتضيه جزالة النظم الكريم انه متعلق بجاعل
او بمحذوف وقع حالا من المفعول وان المفعول الثاني هو خليفة فالاول محذوف
على ما فيه تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم
لها على التفصيل وتقديمها على النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن
المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى
معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي
لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لانكار ما عليه الكفرة واستبعاد
من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى
مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة
الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه
ويعدلون به سبحانه اي يسوون به غيره في العبادة التي هي اقصى غايات الشكر
الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشيء من مبادي الحمد
وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا
بعد بيانه بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم
من غير ان يجعل كفرهم بما يجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك
يخل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب
موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة الى تحقيق

لا يتغير ولا يتخلف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا
بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد في اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هي باعتبار كونه
غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما ان مدار التسمية في الاجل
الاول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه اول مدة الممات لان الاجل في اللغة عبارة عن آخر
المدة لا عن اولها وقيل الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث
من البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق لما روي عن
ابن عباس رضي ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته
الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا
قاطعا نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص
من عمره الا في كتاب فمعنى عدم تغير الاجل حينئذ عدم تغير آخره والاول هو الاشهر الاليق
بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويله المبني على مقارنته للطامة الكبرى
فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير ان يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزمه
الحمل على المعنى الثاني مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما روي تأخير الاجل
الاول وتقديمه ثم انتم تمترون استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم
لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه اي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم
في انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة الحياة وما
يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها
اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا
تبين ان ما قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت او ان الاول اجل الماضين
والثاني اجل الباقين او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه
مما لا وجه له اصلا لما رأيت من ان مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر
عن وقته بالاجل المسمى فحيث اريد به احد ما ذكر من الامور الثلثة فبأي شيء يمترون ووصفهم
بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث
مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون
ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار

وهو الله جملة من مبتدا وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام
الهيته تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء
اثر الاشارة الى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى
في السموات وفي الارض متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل
اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار
انه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من
المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشية المبنية على الحكم البالغة فعلق به
الظرف من تلك الحيثية فصار كانه قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما في
قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين
ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي او على معنى المالك او المتصرف او نحو ذلك
بل مجرد ملاحظة احد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد في قوله اسد علي الخ ما
اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها فجرى مجرى جرئ على وبهذا تبين
ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض او هو المعروف
المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان
المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به لا هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين
انفا لا اشتهاره الا يرى ان كلمة علي في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة
قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحد والتفرد كانه قيل وهو
المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه تعالى خاصة
كانه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي
سبق من اعتبار معنى التوحد او القول في نظم الكلام بطريق الاستتباع لا على حمل
الاسم الجليل على معنى المتوحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف
خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على
تنزيل علمه المقدس عن حصول الصور والاشباح لكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما
وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان
العالم اذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون

لقد جاؤوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه
عليه قوم آخرون فان ما جاؤوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه
لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم
تهويلا لامره وكذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور
اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك
بكونه بلا تأمل تأكيدا للشناعة وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به آثر ذي اثير له عواقب جليلة
ستبدو لهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما
لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد
الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كما ينبئ عنه قوله تعالى
فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون فان ما عبارة عن الحق
المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه
عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان
بغاية العظم لان النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة او على
ظهور الاسلام وعلو كلمته يأباه الآيات الآتية وسوف لتأكيد مضمون الجملة وتقريره
اي فيأتيهم البتة وان تأخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير
ان يتدبروا في عواقبه واما قيل يستهزءون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء
كما اشير اليه هذا على ان يراد بالآيات الآيات القرآنية وهو الاظهر واما ان اريد بها
الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته
كانه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا بما هو اعظم منها ما هو اعظم
من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الآيات ولا مساغ لحمل الآيات في هذا الوجه
على كلها اصلا واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا
بالقرآن فمما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من
قرن استئناف سوق لتبيين ما هو المراد بالانباء التي سبق بها الوعيد وتقرير
اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول
واحد وكم استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها

سد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن
تمييز لها على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر
كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة
عن مدة من الزمان والمضاف محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او على
الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية
متعلقة باهلكنا اي الم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل
اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
كعاد وثمود واضرابهم وقوله تعالى **مكناهم في الارض** استيناف لبيان كيفية
الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل كيف كان ذلك
فقيل مكناهم الخ وقيل هو صفة لقرن لان النكرة متنوعة للمخصص فاذا اوليها
ما يصلح مخصصا لها تعين وصفيته لها وانت خبير بان تنوينه التفخيمي مغن له عن استدعاء
الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا
مفروغا عنه غير مقصود بسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلاكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد
وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لازمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما
فقيل تارة مكنه في الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه واخرى
مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجري كل منهما مجرى الآخر
ومنه قوله تعالى **ما لم نمكن لكم** بعد قوله تعالى مكناهم في الارض كانه قيل في الاول
مكنا لهم او في الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف
محلها النصب على المصدرية اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم
بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجعي
الضميرين **وارسلنا السماء** اي المطر او السحاب او المظلة لان مبدأ المطر منها **عليهم**
متعلق بارسلنا **مدرارا** اي مغزارا حال من السماء **وجعلنا الانهار** اي صيرناها
فقوله تعالى **تجري من تحتهم** مفعول ثان لجعلنا او انشأناها فهو حال من مفعوله و
من تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور

ثم لا ينظرون اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به
كما هو المقصود بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان
مفاجاة العذاب اشد من نفس العذاب واشق وقيل في سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا
الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء ابين منها
ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا رأوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة
التكليف فيجب اهلاكهم واياما كان فقوله تعالى **ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا**
على ان الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام والثاني للملك المذكور
قبله بان يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلنا نذيرا لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه
ايضا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني
انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتدأ
والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدأ والخبر ولا ريب
في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم من طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث
كانت امتناعية اريد بها بيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني
وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعولا ثانيا لا محالة ولذلك جعل مثاله في
الجعل الثاني كذلك ابانة لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والتعبير ثانيا بالملك لا لانه مرجع
اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم
استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا على بشرا ايذان بان الجعل
بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى **وللبسنا عليهم**
عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بها
في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم
واصله الستر بالثوب وقرئ اللام بالتشديد للمبالغة اي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا
ما يلبسون على انفسهم حينئذ بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على
ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها او بالمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي
ولو اظهر لهم صورته الاصلية لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس اما لكونه
في صورة اللبس او لكونه سببا للبسهم او لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة

جعل الله رسالة قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الأمر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة

ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق عقيبه اي احاط او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي استهزؤا بهم من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا في الارض بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين وقد انجز ذلك يوم بدر اي انجاز اي سيروا في الارض لتعرف احوال اولئك الامم ثم انظروا اي تفكروا كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم اما لان النظر في آثار الهالكين لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما ينصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الاية واما ان الامر الاول لاباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهى الامر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهمهم انه المدار في ذلك قل لهم بطريق الالجاء والتبكيت لمن ما في السموات والارض من العقلاء

فاطر السموات والارض وما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبناؤهما للفاعل على ان الثاني بمعنى يستطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالى وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول اني امرت من جنابه عز وجل ان اكون اول من اسلم وجهه لله مخلصا له لان النبي امام امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن من المشركين اي في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الامر قل اني اخاف ان عصيت ربي اي بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام من المعاصي على الاطلاق وقوله تعالى عذاب يوم عظيم اي عذاب يوم القيمة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه على البناء للمفعول اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقد حذف العائد يومئذ ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المسند على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ فقد رحمه اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستأنفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي وذلك اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد مكانته من الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الفوز المبين اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية والالف واللام لقصره على ذلك وان يمسسك الله بضر اي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك فلا كاشف له اي فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده وان يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تأكيد الجوابين يأباه الفاء فتدبر روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها كسرى فركبها

بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليّاً ثم التفت اليّ فقال يا غلام فقلت لبيك
يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرّف الى الله في
الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله
فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا
عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان
تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا
واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا
وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم
في كل ما يفعله ويأمر به الخبير باحوال عباده وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلثة
للعهد قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة
فأرنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاي مبتدأ واكبر خبره وشهادة نصب على
التمييز وقوله تعالى قل الله امر له صلى الله عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه اما
للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه
لا لترددهم في انه اكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا في هذا الشأن وقوله تعالى
شهيد خبر مبتدأ محذوف اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الله
شهيد بيني وبينكم هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان اكبر
شيء شهادة شهيدا له عليه السلام وتكرير البين لتحقيق المقابلة واوحي الي اي من
جهته تعالى هذا القرآن انه بعثه رسالتي لانذركم به بما فيه من الوعيد والاقتصار
على ذكر الانذار لان الكلام مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به
يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون
ومن سيوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين يوم
نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيمة خلا ان ذلك بطريق العبارة في الكل
عند الحنابلة وبالاجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما مر في اول
سورة النساء ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار

والعلائق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات الكريمة اما بعدم
حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان
الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث
ذواتها وانما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان
عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركاء
غائبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما بحيلولة
من انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء
فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم
انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة
اطماعهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب
في البرزخ وانما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب على
المحاضرة والمحاورة ثم لم تكن فتنتهم بتأنيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسم له
والخبر الا ان قالوا وقرئ بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا
والتأنيث للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها
ورفعها انسب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه
فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته اي لم تكن
عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرؤ منه
بان يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه
كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للمبالغة في التبرؤ من الاشراك وقرئ ربنا على
النداء فهو لاظهار الضراعة والاجتهاد في استدعاء قبول المعذرة وانما يقولون ذلك
مع علمهم بانه بمعزل من النفع رأسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين
عند انفسنا وما علمنا في الدنيا انا على خطأ في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا
فانه مما يوهم ان لهم عذرا ما وان لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك بمعزل بالكلية عن
هول اليوم قطعا على انه قد قضى ببطلانه قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم
فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا اي انظر كيف كذبوا على

في قولهم ذلك فانه امر عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فيتمحل يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى **وضل عنهم ما كانوا يفترون** عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجب وما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤا منه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها كانها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل في حيز التعجب **ومنهم من يستمع اليك** كلام مبتدا مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر ثم بيان ما يصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدا باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي وجمع منا الخ ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذي يستمع اليك او فريق يستمع اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم من القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت **وجعلنا على قلوبهم اكنة** من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعي جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك الآية والاكنة جمع كنان وهو ما يستر به الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنه من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يقدرها قبل الماضي الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس **ان يفقهوه** اي كراهة ان يفقهوا ما يسمعونه

للدلالة ما في حيز الظرف عليه اي ولو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها الرايت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حين يطلعون عليها اطلاعا هي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا **فقالوا يا ليتنا نرد** اي الى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص **ولا نكذب بآيات ربنا** اي بآياته الناطقة باحوال النار واهوالها الآمرة باتقائها اذ هي التي تخطر ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما اوليا **ونكون من المؤمنين** بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من فريق المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضه وابن اسحق فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وقيل ينسبك من ان المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر متوهم فيعطف هذا عليه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما على انه كلام مستانف كقوله دعني ولا اعود اي تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من ضميره فيكون داخلا في حكم التمني كالوجه الاخير للنصب وتعلق التكذيب الآتي به لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كمن قال ليتني رزقت مالا فاكافئك على صنيعك فانه متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يكافئ صاحبه يكون مكذبا لا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقد قرئ بعكسهما **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل** اضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا في الدنيا من الدواهي الدهياء وظنوا انهم مواقعوها فلحقها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سيق الكلام لتهويل امرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به واخفاء له لا محالة واشارة على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه انسب بما قبله قولهم ولا نكذب بآيات ربنا المراعاة ما في مقابلة من البدو وهذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم

وأما ما قيل من أن المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم أو قبائحهم وفضائحهم التي كانوا
يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم أو شركهم الذي يجحدون به في
بعض مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح
عليهم أو ما أخفاه رؤساء الكفرة عن أتباعهم من أمر البعث والنشور أو ما كتمه علماء أهل الكتاب
من صحة نبوة النبي عليه السلام ونعوته الشريفة عن عوامهم على أن الضمير للعوام والمرفوع
للخواص أو كفرهم الذي أخفوه من المؤمنين والضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فبمعزل
عما في كل منها من الاعتساف والاختلال لا سبيل لشيء من ذلك أصلا لما عرفت من أن
سوق النظم الشريف لتهويل أمر النار وتفظيع حال أهلها وقد ذكر وقوفهم عليها وأشير إلى أنه
اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب
عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فإسقاط النار بعد ذلك من تلك
السببية وهي في نفسها أدهى الدواهي وأزجر الزواجر وإسناد ما ذكر إلى شيء من الأمور المذكورة
التي دونها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة أمر يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله
وأما ما قيل من أن المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها وأبوابها
مفتوحة فتأمل ولو ردوا أي من موقفهم ذلك إلى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه
من الأهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور
ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار أنظارهم على الشاهد دون الغائب وإنهم لكاذبون
أي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا داخل في
حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وإنهم لكاذبون بينهما لأنه اعتراض مسوق لتقرير ما أفاده
الشرطية من كذبهم المخصوص ولو أخر لأوهم أن المراد تكذيبهم في إنكارهم البعث
والمعنى لو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا إن هي أي ما الحيوة إلا حياتنا
الدنيا وما نحن بمبعوثين بعدما فارقنا هذه الحيوة كأن لم يروا ما رأوا من الأحوال
التي أولها البعث والنشور ولو ترى إذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره
خلا أن الوقوف هنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده
للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قال لهم ربهم إذ

مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي من الكفرة من الإصرار
على التكذيب والمبالغة فيه ببيان أنه عليه السلام بمكانة من الله عز وجل وأن ما يفعلون في
حقه راجع إليه تعالى في الحقيقة وأنه ينتقم منهم لا محالة أشد انتقام وكلمة قد لتأكيد العلم
بما ذكر المفيد لتأكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما أنتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين
ونحوهما بإخراجها إلى معنى التكثير حسبما يخرج إليه ربما في مثل قوله وإن تمس مهجور الفناء فربما
أقام به بعد الوفود وفود جريا على سنن العرب عند قصد الإفراط في التكثير تقول
لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي وعنده مقانب
جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد إظهار براءته عن التزيد وإبراز أنه ممن
يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
وهذه طريقة إنما تسلك عند كون الأمر من الوضوح بحيث لا تحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في
الآيات الكريمة المذكورة أو ادعاء كما في البيت وقوله قد أترك القرن مصفرا أنامله وقوله
ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعد إلى اثنين وما بعده
ساد مسدهما واسم إن ضمير الشأن وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعائده
محذوف أي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم إن هذا إلا أساطير الأولين ونحو ذلك
وقرئ ليحزنك من أحزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فإنهم لا يكذبونك
تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق الاشتغال عنه وعدم
المبالاة به والإقبال التام على ما هو أهم منه من استعظام جحودهم بآيات الله عز وجل كما قيل فإنه مع
كونه بمعزل من التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه صلى الله عليه وسلم لخاصة نفسه بل بطريق التسلي
بما يفيده من بلوغه عليه السلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل إلى حيث
لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لآياته سبحانه على طريقة قوله تعالى
من يطع الرسول فقد أطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عليه السلام وأثبت لآياته تعالى على طريقة قوله تعالى
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله إيذانا بكمال القرب واضمحلال شؤونه عليه السلام
في شأن الله عز وجل وفيه استعظام لجناياتهم منبئ عن عظم عقوبتهم كأنه قيل لا تعتد به
وكله إلى الله تعالى فإنهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون أي ولكنهم بآياته تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم

الذي يحزنهم بدل من ضميره والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام
ما اقدموا عليه من جحود آياته تعالى وايراد الجحود في مورد التكذيب للايذان بان آياته تعالى
من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة
عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المبني بقول
من قال انه نفي ما في القلب ثباته او اثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون ويقال
جحده حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل هي لتضمين معنى التكذيب وايا ما كان
فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم
ويعضده ما روي من ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد
اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق
وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا
يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضه ان رسول الله صلى الله عم
كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك
لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله كما يروى ان ابا جهل كان
يقول لرسول الله صلى الله عم ما نكذبك وانك عندنا الصادق ولكنا نكذب ما جئتنا به فنزلت
وكان صدق المخبر عند الخبيث بمطابقة خبره لاعتقاده والاول هو الذي يستدعيه الجزالة
التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد ككثر وكثر وانزل ونزل
وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل
اي نسبت الكذب اليه واكذبته اي نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى **ولقد كذبت
رسل من قبلك** افتنان في تسليته عم فان عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين و
ارشاد له عم الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم
من اممهم من فنون الاذية وعدة ضمنية له عم بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم
لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن اما متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع
صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شان خطير وذوو اعداد
كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك **فصبروا على ما كذبوا** ما مصدرية
وقوله تعالى **واوذوا** عطف على كذبوا داخل في حكمه فانسبك منهما مصدران من المبني للمفعول

لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم الى تحصيله وقيل لو شاء الله
لجمعهم عليه بان يأتيهم بآية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى **فلا تكونن
من الجاهلين** نهي لرسول الله صلى الله عم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم
والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته
تعالى بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن
بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى
التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه
واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد
بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه عم من المساعدة على اقتراحهم
وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع
بينه عليه السلام وبينهم **انما يستجيب الذين يسمعون** تقرير لما مر من ان على
قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك
من قبيل الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اي انما يقبل
دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء
منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى **والموتى يبعثهم الله** تمثيل لاختصاصه تعالى
بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان
لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة بناء على
تشبيه جهلهم بموتهم اي وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم **ثم اليه يرجعون**
للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من
رجع رجوعا والمشهور اوفق بحق المقام لانبائه عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار
وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه حكاية لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا
في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحارث بن
عامر بن نوفل واصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوا
من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترءوا على ادعاء انها ليست من قبيل الآيات
وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك

فأمطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الإنزال كما ينبئ عنه القراءة
بالتخفيف فيما سيأتي وما يفيده التعرض لعنوان ربوبيته تعالى له عليه السلام من الإشعار
بالعلية إنما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم وإطلاق الآية في قوله تعالى
قل إن الله قادر على أن ينزل آية مع أن المراد بها ما هو من الخوارق والمذكور لا آية ما
من الآيات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم وتنكيرها لما أن المراد بها آية موجبة لهلاكهم
كإنزال ملائكة العذاب ونحوه على أن تنوينها للتفخيم والتهويل كأن إظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة مع ما فيه من الإشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على
بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع أنها ليست في حيز الإنكار للإيذان بأن عدم تنزيله تعالى
إياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك
بقوله تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون أي ليسوا من أهل العلم على أن المفعول مطروح بالكلية
أو لا يعلمون شيئاً على أنه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى أنه تعالى
قادر على أن ينزل آية من ذلك أو آية وأي آية ولكن أكثرهم لا يعلمون فلا يدرون
أن عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما أن في تنزيلها قلعاً لأساس التكليف المبني على قاعدة
الاختيار أو استئصالاً لهم بالكلية فيقترحونها جهلاً ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة
إلى التكذيب وتخصيص عدم العلم بأكثرهم لما أن بعضهم واقفون على حقيقة الحال وإنما يفعلون
ما يفعلون مكابرة وعناداً وقوله تعالى وما من دابة في الأرض كلام مستأنف مسوق
لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه تعالى قادر على
تنزيل الآية وإنما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من لتأكيد الاستغراق وفي
متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كأنه قيل وما فرد من أفراد الدواب
يستقر في قطر من أقطار الأرض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه
مع ما فيه من زيادة التقرير أي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه
كما هو المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفاً على محل الجار والمجرور كأنه قيل وما دابة ولا طائر
إلا أمم أي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كأنه قيل وما من دواب ولا طير إلا أمم
أمثالكم أي كل أمة منها مثلكم في أن أحوالها محفوظة وأمورها مقننة ومصالحها مرعية
جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الإلهية والتدبيرات الربانية ما فرطنا

ولقد أرسلنا كلام مستأنف مسوق لبيان أن منهم من لا يدعو الله تعالى عند
إتيان العذاب أيضاً لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون
بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لإظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول أرسلنا
محذوف لما أن مقتضى المقام بيان حال المرسل إليهم لا حال المرسلين أي وبالله
لقد أرسلنا رسلاً إلى أمم كثيرة من قبلك أي كائنة من زمان قبل زمانك
فأخذناهم أي فكذبوا رسلهم فأخذناهم بالبأساء أي بالشدة والفقر
والضراء أي الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون
أي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا إليه من كفرهم ومعاصيهم
فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا أي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه ولكن
قست قلوبهم استدراك عما قبله أي فلم يتضرعوا إليه تعالى برقة القلب والخضوع
مع تحقق ما يدعوهم إليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم أي استمرت على ما هي عليه
من القساوة أو ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني إذ جئته ولكن أهانني وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم أن ما اعتراهم
في البأساء والضراء ما اعتراهم إلا لأجله وقيل الاستدراك لبيان أنه لم يكن لهم في
ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والإعجاب بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى
فلما نسوا ما ذكروا به عطف على مقدر ينساق إليه النظم الكريم أي فانهمكوا فيه ونسوا
ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم أبواب كل شيء من فنون النعماء
على منهاج الاستدراج لما روي أنه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتّحنا
بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور إشعار بأن التذكير في الجملة غير خال عن
النفع وحتى في قوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام ودخلت على الجملة
الشرطية كما في قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا الآية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى
فتحنا أو لما يدل هو عليه كأنه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى إذا اطمأنوا بما أتيح لهم وبطروا وأشروا
أخذناهم بغتة أي نزل بهم عذابنا فجأة ليكون أشد عليهم وقعاً وأفظع هولاً
فإذا هم مبلسون متحيرون من غاية الحسرة آيسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية
دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم بحيث

لم يبق منهم احد من دبر، دبرًا و دبورًا اى تبعه و وضع الظاهر موضع الضمير للاشعار
بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي
مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار
والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة
نعمة جليلة مستجلبة للحمد لاسيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم
عليهم السلام قل ارايتم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم وتثنية
الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق
الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه
عقل وفهم اصلًا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور
فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه
بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد
الآيات القرآنية وافراده لان اصله مصدر وقوله تعالى من اله مبتدا وخبر من استفهامية
وقوله تعالى غير الله صفة للخبر وقوله تعالى يأتيكم به اى بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة
او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اى اخبروني
ان سلب الله تعالى مشاعركم من اله غيره تعالى يأتيكم بها وقوله تعالى انظر كيف نصرف
الآيات تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة
اى انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة عن اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات
العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير ثم هم يصدفون
عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجب وثم لاستبعاد صدوفهم اى اعراضهم
عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل ارايتكم
تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله
اى عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اى فجاءة من غير ان يظهر منه
مخائل الاتيان وحيث تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اى بعد ظهور اماراته
وعلائمه وقيل ليلا او نهارا كما في قوله تعالى بياتا او نهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة

في امرى كما ينبئ عنه قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى
اني لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا
عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر
قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه
قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه
دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على
توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص
حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال
لكن لا باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص
فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال
الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه
فان معناه فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع
فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي الى الاصل والاثبات الى القيد
كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي مدخل ما في الوحي او في الموحى بطريق
الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا قل هل يستوي الاعمى والبصير
مثل للضال والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء من لا يعلم
ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب
في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتأكيد الالزام وقوله تعالى افلا تتفكرون
تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الا تسمعون هذا
الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او اتسمعونه فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الاول
عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه
بعد ما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتعريف
الآيات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة قد ابدت مشاعرهم بالكلية
وانخمدوا بالاموات وقدر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر
اى القام فابوا الا الاباء والنكير وما نجع فيهم عظة والتذكير وما افادهم الانذار

لا للإصرار على الإنكار أمر صلى الله عليه وسلم بتوجيه الإنذار إلى من يتوقع منهم في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين بأصله كأهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث وأما المنكرون على الحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الأصنام فهم خارجون عمن أمر بإنذارهم وقد قيل هم المفرطون في الأعمال من المؤمنين ولا يساعده سباق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضي باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى أو لما دل هو عليه من القرآن والمفعول الثاني للإنذار إما العذاب الأخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة وإما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من اسم ليس لأنه في الأصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا أن الحال الأولى لإخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق أن ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما كان ضرورة أن المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف الذي عليه يدور أمر الإنذار وأما الحال الثانية فليست لإخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولاية غيره تعالى لهم في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك إنما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء والمعنى أنذر به الذين يخافون أن يحشروا غير منصورين من جهة أنصارهم على زعمهم ومن هذا اتضح أن لا سبيل إلى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين إذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وإنما الذي يخافونه الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى لعلهم يتقون تعليل للأمر أي أنذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي أو حال من ضمير الأمر أي أنذرهم راجيا تقواهم أو من الموصول أي أنذرهم مرجوا منهم التقوى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لما أمر عليه السلام بإنذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهي عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدي إلى طردهم روي أن رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الأعبد

ما سبقونا إليه لا لخير المنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى أليس الله بأعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وإبطال له وإشارة إلى أن مدار استحقاق الإنعام معرفة شأن النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام للتقرير لعلمه البالغ بذلك أي أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا إنعامه عليهم وفيه من الإشارة إلى أن أولئك الضعفاء عارفون بحق نعمة الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للإيمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بأن القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالإيمان بآيات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالإخلاص تنبيها على إحرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الأول لما أن مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الإيمان بها كما أن مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى فقل سلام عليكم أمر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد إنذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى إليهم وقيل بأن يبدأهم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أي قضاها وأوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والإحسان بالذات لا بتوسط شيء أصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى وبنيل المطالب إثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبوله التوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم إظهار اللطف بهم والإشعار بعلة الحكم وقيل إن قوما جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا أصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى أنه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ بكسر إنه على أنه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف وقوله تعالى بجهالة حال من فاعل عمل أي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للإيذان بأن المؤمن لا يباشر ما يعلم أنه يؤدي إلى الضرر أو عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده أي من بعد عمله أو من بعد سوئه أي ما أفسده تداركا وعزما على أن لا يعود إليه أبدا فأنه غفور رحيم أي فأمره أنه غفور رحيم أو فله أنه غفور رحيم وقرئ فإنه بالكسر على أنه استئناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على أنها موصولة أو جوابا لها على أنها شرطية ولتستبين سبيل المجرمين بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير

ربا ﴿ ﴾ علي تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل
المذكور لم تقصد تعليلها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها ما ذكر
وعلة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون مستأنفا اي ولتستبين سبيلهم
نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد والتاء
للخطاب اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم ﴿قل
اني نهيت﴾ امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة
من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن
ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا اني
صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ﴿ان
اعبد الذين تدعون﴾ اي عن عبادة ما تعبدونه ﴿من دون الله﴾ كائنا ما كان ﴿قل﴾ كرر الامر
مع قرب العهد اعتناء بشان المامور به او ايذانا باختلاف المقولين من حيث ان الاول
حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عما ذكر
من عبادة ما يعبدونه وانما قيل ﴿لا اتبع اهواءكم﴾ استجهالا لهم وتنصيصا على
انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا
بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى ﴿قد ضللت اذن﴾ استيناف مؤكد لانتهائه
عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت
وقوله تعالى ﴿وما انا من المهتدين﴾ عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على
الدوام والاستمرار اي دوام النفي واستمراره لا نفي الدوام والاستمرار كما توهم اي
ما انا في شيء من الهدي حتى اكون في عدادهم وقوله تعالى ﴿قل اني على بينة﴾ تحقيق للحق
الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه الكفرة
وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها
القرآن والوحي وقيل هي الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم
وقوله تعالى ﴿من ربي﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من
الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿وكذبتم به﴾ اما جملة مستأنفة او حالية بتقدير قد

يتحقق قضاء الاجل المسمى المرتب عليهما لا في بعضها والمراد بعلمه تعالى بذلك علمه قبل الجرح
كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص
التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة ﴿ثم يبعثكم فيه﴾
اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم
من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيآت مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي
بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحيوة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخي كانه قيل هو الذي يتوفاكم
في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهر مع علمه بما تجترحون فيها ﴿ليقضى اجل مسمى﴾
معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين ﴿ثم اليه مرجعكم﴾ اي
رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ﴿ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ بالمجازاة باعمالكم
التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون
كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور
في شان ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضي الاجل الذي سماه
وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال بالفضائه
الى كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب له ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ اي هو المتصرف
في امورهم لا غير يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك
﴿ويرسل عليكم﴾ خاصة ايها المكلفون ﴿حفظة﴾ من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق
بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة اي
كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة
يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لان المكلف اذا علم ان اعماله
تحفظ عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان
العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه الواقفين على
احواله ﴿حتى اذا جاء احدكم الموت﴾ حتى في قوله تعالى هي التي يبتدأ بها الكلام وهي
مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون
اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه

توفته رسلنا الآخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى
هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى التائين وهم اى الرسل
لا يفرطون اى بالتوانى والتاخير وقرئ مخففا من الافراط اى لا يجاوزون ما حدّ لهم
بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به
وقوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر
في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفى على الانفراد
والرد على الاجتماع اى ثم ردوا بعد البعث بالحشر الى الله اى الى حكمه وجزائه في موقف
الحساب مولاهم اى مالكهم الذى يلى امورهم على الاطلاق لا ناصرهم فانه تعالى قال
وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذى لا يقضى الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح
الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع
الحاسبين يحاسب جميع الخلائق في اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب
عن حساب ولا شأن عن شأن وفي الحديث انه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اى قد تورد الهم بالانحطاط كانهم عن رتبة
الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التى تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك
استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب
او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى
تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اى من ينجيكم منها حال كونكم داعين له
او من فاعله اى من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال
من فاعل تدعون او مصدر مؤكد له اى تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعاء
اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى لئن انجيتنا حال من الفاعل
ايضا على تقدير القول اى تدعونه قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة والورطة التى
عبر عنها بالظلمات لنكونن من الشاكرين اى الراسخين في الشكر المداومين عليه
لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التى من جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه
قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب او عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه
من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم ولبناء قوله تعالى ثم انتم تشركون عليه

من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ونظهر لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما
النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اى عليهم ان يذكروهم تذكيرا او الرفع على
انه مبتدأ محذوف الخبر اى ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون اى يجتنبون ذلك
الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول اى يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على
تقواهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم الذى كلفوه وامروا باقامته مواجبه
لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه
العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم
البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل
هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الآية وغرتهم الحيوة الدنيا والهاهم
حتى زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا وذكر به اى بالقرآن من يصلح للتذكير ان تبسل
نفس بما كسبت اى لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الآية او مخافة ان تبسل او كراهة
ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل
الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه ممتنع والباسل
الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور في به
راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير انه ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له
لما في الابهام مرادا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده
لضن بالماء حاتم بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس
وحبسها بما كسبت وقوله تعالى ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع استئناف
مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل في
محل الرفع على انه وصف لنفس والاظهر انه حال من نفس فانه في قوة نفس كافرة
او نفوس كثيرة كما في قوله علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف
هو حال من وليا كما في تفسير قوله تعالى وانذر به الآية وقيل هو خبر ليس ويكون
لها متعلقا بمحذوف على التبيين وان تعدل اى ان تفد تلك النفس كل عدل
اى كل فداء على انه مصدر مؤكد لا يؤخذ منها على اسناد الفعل الى الجار والمجرور
لا الى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فانه الفدية لا المصدر كما لا يخفى

أولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى
البعد للإيذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى
الذين أبسلوا بما كسبوا والجملة مستأنفة سيقت إثر تحذيرهم من الإبسال المذكور
لبيان أنهم المبتلون بذلك أي أولئك المتخذون دينهم لعبا المغترون بالحيوة الدنيا
هم الذين أبسلوا إلى ما كسبوا من القبائح وقوله تعالى لهم شراب من حميم استيناف
آخر مبين لكيفية الإبسال المذكور وعاقبته مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل
ماذا لهم حين أبسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم
وعذاب أليم بنار تشتعل بأبدانهم بما كانوا يكفرون أي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا
وقد جوز أن يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير أبسلوا أو خبرا ثانيا وذكر من العذابين على كفرهم
مع أنهم معذبون بسائر معاصيهم أيضا حسبما نطق به قوله تعالى بما كسبوا لأنه العمدة في إيجاب
العذاب والأهم في باب التحذير أو أريد بكفرهم ما هو أعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي
هذا وقد جوز أن يكون أولئك إشارة إلى النفوس المدلول عليها بنفس ومحله الرفع بالابتداء
والموصول الثاني صفته أو بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان عاقبة الإبسال قل أندعو
من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في أبي بكر رضه حين دعاه ابنه
عبد الرحمن إلى عبادة الأصنام فتوجيه الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للإيذان بما بينهما من
الاتصال والاتحاد تنويها بشأن الصديق رضه أي أنعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات
الألوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا إذا عبدناه ولا على ضرنا
إذا تركناه وأدنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى ونرد على أعقابنا عطف على
ندعو داخل في حكم الإنكار والنفي أي ونرد إلى الشرك والتعبير عنه بالرد على الأعقاب لزيادة
تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الإشارة إلى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت
وراء الظهر وإيثار نرد على نرتد لتوجيه الإنكار إلى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة
المضلين وقطعا لأطماعهم الفارغة وإيذانا بأن الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال
ليحتاج إلى نفيه وإنكاره وقوله تعالى بعد إذ هدانا الله أي إلى الإسلام وأنقذنا
من الشرك متعلق بنرد مسوق لتأكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط وإلا لكفي أن يقال
بعد إذ اهتدينا كأنه قيل ونرد إلى الشرك بإضلال المضل بعد إذ هدانا الله الذي لا هادي سواه

فهو عطف بيان لأبيه أو بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال
الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له كأنه قيل لأجل أنه شيخ أو للأزر أو الوزر أو أريد به عابد آزر
على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية إذ لا يحذف
حرف النداء إلا من الأعلام أتتخذ متعد إلى المفعولين أصناما آلهة أي أتجعلها لنفسك آلهة على
توجيه الإنكار إلى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وإنما إيراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ
أأزرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم
ومعناه أتعبد أزرا ثم قيل تتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الإنكار
لكونه بيانا له وقيل الأزر القوة والمعنى ألأجل القوة والظاهرة تتخذ أصناما آلهة إنكارا
لتعززه بها على طريقة قوله تعالى أيبتغون عندهم العزة إني أراك وقومك الذين يتبعونك
في عبادتها في ضلال عن الحق مبين أي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه أصلا والرؤية إما
علمية فالظرف مفعولها الثاني وإما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للإنكار والتوبيخ وكذلك
نري إبراهيم من الإراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة أي عرفناه
وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك إشارة إلى مصدر نري
لا إلى إراءة أخرى مفهومة من قوله تعالى إني أراك وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة
المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة
والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر
محذوف وأصل التقدير نري إبراهيم إراءة كائنة مثل تلك الإراءة فقدم على الفعل لإفادة
القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار إليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له
أي ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام ملكوت السموات والأرض أي ربوبيته تعالى
ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر أدنى منه
والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان
القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز سلطانه أو لا فقد قيل وقيل والأول هو الأظهر وبه قال
الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي أنه كشف له عليه السلام عن السموات والأرض
حتى العرش وأسفل الأرضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت
الأرض الجبال والأشجار والبحار وهذه الأقوال لا تقتضي أن تكون الإراءة بصرية إذ ليس المراد

بإراءة ما ذكر من الأمور الحسية تجدد تمكينه عليه السلام من إبصارها بحدوث هداية في أنفسها بل إطلاعه
عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في أن ذلك
ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الإشارة المفصح عن كون المشار إليه أمرا بديعا فإن
الإراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ ترى بالتاء وإسناد الفعل إلى الملكوت
أي تبصره عليه السلام دلائل الربوبية والفاء في قوله تعالى فلما جن عليه الليل على الأول وهو الحق
المبين عطف على قال إبراهيم داخل تحت ما أمر بذكره بالأمر بالذكر وما بينهما اعتراض مقرر
لما سبق وملوح لما لحق فإن تعريفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والأرض وما فيهما وكون الكل مقهورا
تحت ملكوته مفتقرا إليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين
في معرفة شؤونه تعالى الواصلين إلى ذروة عين اليقين مما يقضي بأن يحكم عليه السلام باستحالة إلهية
ما سواه سبحانه من الأصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من إراءة ملكوت السموات
والأرض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله إلى رتبة الإيقان ومعنى جن عليه الليل
ستره بظلامه وقوله تعالى رأى كوكبا جواب لما فإن رؤيته إنما تتحقق بزوال نور الشمس عن
الحس وهذا صريح في أنه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور
الشمس والتحقيق أنه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل
هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية السابقة
المتفرعة على بيان إراءته ملكوت السموات والأرض فإن ذلك مما يحمل السامع على استكشاف
ما ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الإراءة وأحكامها كأنه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى
الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض مجاراة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون
الأصنام والكواكب فإن المستدل على فساد قول يحكيه على رأي خصمه ثم يكر عليه بالإبطال ولعل
سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة إلهية الأصنام
لما أن هذا أخفى بطلانا واستحالة من الأول فلو صدع بالحق من أول الأمر كما فعله في حق
عبادة الأصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل إنه عليه السلام
قاله على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته وأول أوان بلوغه وهو مبني
على تفسير الملكوت بآياتها وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله تعالى
فلما جن إلخ تفصيلا لما ذكر من الإراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وأنت خبير بأن كل ذلك مما لا

مع أن قوله كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله إلخ وفي توجيه الإنكار إلى كيفية الخوف
من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى نفسه بأن يقال أأخاف لأن كل موجود يجب أن
يكون وجوده على حال من الأحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فإذا انتفى جميع أحواله
وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل ولا تخافون
أنكم أشركتم بالله حال من ضمير أخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير
حاجة إلى الضمير العائد إلى ذي الحال وهو مقرر لإنكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم
بذلك فإنهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلأن لا يخاف عليه السلام في محل الأمن أولى وأحرى
أي وكيف أخاف أنا ما ليس في حيز الخوف أصلا وأنتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم
المخوفات وأهولها وهو إشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء
ما هو من جملة مخلوقاته وإنما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به أي بإشراكه عليكم
سلطانا على طريقة التهكم مع الإيذان بأن الأمور الدينية لا يعول فيها إلا على الحجة المنزلة
من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثاني بإشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الأدب
ما لا يخفى هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى ولا تخافون إلخ معطوف على أخاف داخل معه
في حكم الإنكار والتعجيب فمما لا سبيل إليه أصلا لإفضائه إلى فساد المعنى قطعا كيف لا
وقد عرفت أن الإنكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى إلى نفي الخوف عنه عليه السلام
ونفي نفيه عنهم وأنه بين الفساد وحمل الإنكار في الأول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني
على استبعاد الواقع مما لا مساغ له على أن قوله تعالى فأي الفريقين أحق بالأمن
ناطق ببطلانه حتما كأنه كلام مرتب على إنكار خوفه عليه السلام في محل الأمن مع تحقق عدم خوفهم
في محل الخوف مسوق لإلجائهم إلى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من الأمن وبعدم استحقاقهم
لما هم عليه وإنما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة
المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الإنصاف والمراد بالفريقين الفريق
الآمن في محل الأمن والفريق الآمن في محل الخوف فإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال
فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم لتأكيد الإلجاء إلى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي
عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس إن كنتم تعلمون المفعول إما
محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام أي إن كنتم تعلمون من أحق بذلك أو قصدا إلى التعميم

ای ان کنتم تعلمون وانما متروک بالمرة ای ان کنتم من اولی العلم وجواب الشرط محذوف
ای فاخبرونی الذین آمنوا استیناف من جهته تعالی مبین للجواب الحق الذی لا محید عنه
ای الفریق الذین آمنوا … ای لم یخلطوه … ای بشرک کما
یفعله الفریق المشرکون حیث یزعمون انهم یؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام
من تتمات ایمانهم واحکامه لکونها لاجل التقرب والشفاعة کما قالوا انما نعبدهم لیقربونا
الی الله زلفی وهذا معنی الخلط … اشارة الی الموصول من حیث اتصافه بما فی حیز
الصلة وفی الاشارة الیه بعد وصفه بما ذکر ایذان بانهم تمیزوا بذلک عن غیرهم وانتظموا
فی سلک الامور المشاهدة وما فیه من معنی البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم
فی الشرف وهو مبتدأ ثان وقوله تعالی لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدأ
مؤخر وقعت خبرا لاولئک وهو مع خبره خبر للمبتدأ الاول الذی هو الموصول
ویجوز ان یکون اولئک بدلا من الموصول او عطف بیان له ولهم خبر للموصول
والامن فاعل للظرف لاعتماده علی المبتدأ ویجوز ان یکون لهم خبرا مقدما و
الامن مبتدأ والجملة خبر للموصول ویجوز ان یکون اولئک مبتدأ ثانیا ولهم
خبره والامن فاعلا له والجملة خبر للموصول ای اولئک الموصوفون بما ذکر من الایمان
الخالص عن شوب الشرک لهم الامن فقط وهم مهتدون الی الحق ومن عداهم
فی ضلال مبین روی انه لما نزلت الآیة شق ذلک علی الصحابة رضوان الله تعالی علیهم اجمعین
وقالوا اینا لم یظلم نفسه فقال صلی الله علیه وسلم لیس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه یا بنی
لا تشرک بالله ان الشرک لظلم عظیم ولیس الایمان به ان یصدق بوجود الصانع الحکیم
ویخلط بهذا التصدیق الاشراک به ولیس من قضیة الخلط بقاء الاصل بعد الخلط
حقیقة وقیل المراد بالظلم المعصیة التی تفسق صاحبها والظاهر هو الاول لوروده
مورد الجواب عن حال الفریقین وتلک اشارة الی ما احتج به ابراهیم علیه السلام
من قوله تعالی فلما جن وقیل من قوله تعالی اتحاجونی الی قوله تعالی مهتدون وما فی
اسم الاشارة من معنی البعد لتفخیم شان المشار الیه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته
فی الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالی حجتنا خبره وفی اضافتها الی نون العظمة من التفخیم
ما لا یخفی وقوله تعالی آتیناها ابراهیم ای ارشدناه الیها وعلمناه ایاها فی محل النصب علی

اذ دخل علیه اللام ولا اشتقاق له وقیل انه یوشع بن نون وقیل انه منقول من مضارع
وسع واللام کما فی یزید فی قول من قال رأیت الولید بن الیزید مبارکا شدیدا باعباء الخلافة کاهله
ویونس هو ابن متی ولوطا هو ابن هاران ابن اخی ابراهیم علیهم السلام وکلا ای کل
واحد من اولئک المذکورین فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض علی العالمین
علی عالمی عصرهم والجملة اعتراض کاختها وقوله تعالی ومن آبائهم وذریاتهم واخوانهم
اما متعلق بما تعلق به من ذریته ومن ابتدائیة والمفعول محذوف ای وهدینا من آبائهم
وذریاتهم واخوانهم جماعات کثیرة واما معطوف علی کلا ومن تبعیضیة ای وفضلنا بعض آبائهم
واجتبیناهم عطف علی فضلنا ای اصطفیناهم وهدیناهم الی صراط مستقیم تکریر لتأکید
ولتمهید لبیان ما هدوا الیه ذلک اشارة الی ما نالوه من النظم الکریم من مصادر الافعال المذکورة
وقیل الی ما دانوا به وما فی ذلک من معنی البعد لما مر مرارا هدی الله الاضافة للتشریف
یهدی به من یشاء من عباده وهم المستعدون للهدایة والارشاد وفیه اشارة الی انه
تعالی متفضل بالهدایة ولو اشرکوا ای هؤلاء المذکورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو
طبقاتهم ما کانوا یعملون من الاعمال المرضیة الصالحة فکیف بمن عداهم وهم هم واعمالهم
اعمالهم اولئک اشارة الی المذکورین من الانبیاء الثمانیة عشر والمعطوفین علیهم علیهم السلام
باعتبار اتصافهم بما ذکر من الهدایة وغیرها من النعوت الجلیلة الثابتة لهم وما فیه من معنی
البعد لما مر غیر مرة من الایذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فی الفضل والشرف وهو مبتدأ وخبره
قوله تعالی الذین آتیناهم الکتاب ای جنس الکتاب المتحقق فی ضمن ای فرد کان من افراد
الکتب السماویة والمراد بایتائه التفهیم التام بما فیه من الحقائق والتمکین من الاحاطة بالجلائل
والدقائق اعم من ان یکون ذلک بالانزال ابتداء او بالایراث بقاء فان المذکورین لم ینزل
علی کل واحد منهم کتاب معین والحکم ای الحکمة او فصل الامر علی ما یقتضیه الحق والصواب
والنبوة ای الرسالة فان یکفر بها ای بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقیین هؤلاء ای کفار
قریش فانهم بکفرهم بالرسول صلی الله علیه وسلم وما انزل الیه من القرآن کافرون بما یصدقه جمیعا
وتقدیم الجار والمجرور علی الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشویق الی المؤخر فقد
وکلنا بها ای امرنا برعایتها ووفقنا للایمان بها والقیام بحقوقها قوما لیسوا بها بکافرین
فی وقت من الاوقات بل مستمرون علی الایمان بها فان الجملة الاسمیة الایجابیة کما تفید دوام الثبوت

كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام كما حقق في مقامه
قال ابن عباس رض ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان
بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها الباقية
في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها
بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد مر تحقيقه في تفسير سورة المائدة وقيل
هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شانهم
في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شانهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم
وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها واياما كان فتنكير قوما
للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتأكيد النفي
واما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر آنفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى
المؤخر ولان فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم او الى الفصل بين
الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء
فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما فخاما ليسوا بكافرين بها قطعا بل مستمرون على الايمان
بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا تبين ان الوجه ان يكون
المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن والعمل باحكامه يتحقق الغنية
عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة عليهم السلام فايمانهم به ليس من قبيل
ايمان احاد الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين هدى الله اي الى الحق والنهج المستقيم
والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم
بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين
دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف حقها ان تسقط
في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف واقتداء بالامام وقرئ باشباعها
على انها كناية المصدر قل لا اسألكم عليه اي على القرآن او على التبليغ فان مساق الكلام
يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما ● من جهتكم كما لم يسأله من قبلي من الانبياء عليهم السلام وهذا

الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وقوله تعالى قل الله
امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم
افحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه
ولا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون للفصل
والمؤخر او متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الاول او من فاعل الثاني او من الضمير الثاني
لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه تحقيق لنزول
القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما بشر به من التورية وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء
اثر تكذيب مبارك اي كثير الفوائد وجم المنافع مصدق الذي بين يديه من التورية
نزولها وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد
والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي سائر اصول الشرائع التي لا تنسخ ولتنذر
ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولانذارك اهل مكة وانما
ذكرت باسمها المنبئ عن كونها اعظم القرى شانا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا بان
انذار اهلها اصل مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب
ومن حولها من اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب والذين يؤمنون
بالآخرة وبما فيها من افانين العذاب يؤمنون به اي بالكتاب لانهم يخافون
العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنون به وهم على صلاتهم
يحافظون تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد منها للمؤمنين
من ادائها للايذان بانافتها من بين سائر الطاعات وكونها اشرف العبادات بعد الايمان ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي
او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم و
ان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفي المساوي
وانكاره فان الاستعمال الفاشي فاشيا قولك من افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل
من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال اوحي الي من جهته تعالى
ولم يوح اليه شيء اي والحال انه لم يوح اليه شيء اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي
سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين

مثلا بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان ثم قال عليه السلام اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين اذ هم في غمرات الموت اي شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوها الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب اليوم اي وقت الاماتة او الوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من جوز تعددها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله تعالى في الربوبية واستحقاق العبادة لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى الظرف كما تقول قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل عنكم اي ضاع وغاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى

والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما ينبئ عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تعالى فاخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال شيء اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى من النخل خبر مقدم وقوله تعالى من طلعها بدل منه باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله الخ والطلع شيء يخرج منه النخل كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدأ اي وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تأتي بالثمر لا ينتظر الطول وملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كأنه قيل وحاصلة او مخرجة من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفى به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان

لونه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة
والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها
ومبدعها انظروا الى ثمره اذا اثمر اي انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره
كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وتي الى ثمره وينعه اي والى حال نضجه كيف يصير الى
كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا
ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه ان في ذلكم
اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه
وبعد منزلته لايات لقوم يؤمنون اي لايات عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر
الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد
وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يكاد يحار في فهم الالباب لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم
تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه
او ند يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء
اي جعلوا في اعتقادهم لله الذي شانه ما فصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء الجن
اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا اجنا لاجتنانهم تحقيرا
لشانهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى او عبدوا
الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار
كما هو راي الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام
ان يتخذ الله سبحانه شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة
وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الزجاج وابو اسحق
او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشا من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كانه
قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن اي جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابي حيوة ويزيد بن قطيب
الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ
بالجر على ان الاضافة للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه على
اختلاف الرايين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها
اي وقد علموا انه تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اي والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون

هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شيء مما كان
ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ
عنه صيغة الماضي وقيل الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل
بدل من المبتدا والبواقي اخبار وقيل تقدر لكل من الاخبار الثلثة مبتدا وقيل
يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة
فان من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل
شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة اي هو مع ما فصل من الصفات الجليلة
متولي جميع المخلوقات التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى
نجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد تطلق
على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به
اي لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت ابصار
المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الاطلاق وقد روي عن ابن عباس رضي
ومقاتل رضه لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وهو يدرك الابصار
اي يحيط بها علما اذ لا يخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار
ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف
وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك
بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استيناف
وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي به تستبصر النفس
كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة ههنا او جميع الآيات المنتظمة لها
انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم
من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر
للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن ابصر اي الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه
اي فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمي اي ومن لم يبصر الحق
بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمي تقبيحا له وتنفيرا عنه

فعليها اي فعليها عمى او فعماه عليها اي وباله عماه وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف الآيات اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا ادنى منه وقوله تعالى وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق عليه اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اي مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنلزمهم الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام الامر وتنصره القراءة بسكون اللام كأنه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست اي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر او لنفعل التبيين واللام في قوله تعالى لقوم يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لانهم المنتفعون به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالكلية اتبع ما اوحي اليك من ربك لما حكى عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بامره عليه السلام بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد

فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم وكأنه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فيتوجه الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا اي وما يشعركم ايمانهم عند مجيء الآيات حتى تمنوا مجيئها طمعا في ايمانهم فيكون تخطئة لرأي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك بمعنى ويؤيده انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره اي وما يشعركم ما يكون عند مجيء الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق بما اذا كان ايمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار كما لم يؤمنوا به اي بما جاء من الآيات اول مرة اي عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار ومعرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجهها اليه واستعدادها له بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشأنهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشير اليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تعالى يعمهون حال من الضمير المنصوب في نذرهم اي نتركهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقرئ

يتلب وينذر بالياء على اسناد الفعل الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول
على اسناده الى افئدتهم **ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة** تصريح بما اشير اليه بقوله عز وجل
وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الآيات اثر بيان
انها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكمة البالغة لا مدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم
في ايمانهم الفاجرة على ابلغ وجه واكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه ههنا
من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا انزل علينا الملائكة
وقولهم لو ما تأتينا بالملائكة **وكلمهم الموتى** وشهدوا بحقية الايمان بعد ما احييناهم حسبما
اقترحوه بقولهم فأتوا بآبائنا **وحشرنا** اي جمعنا **عليهم كل شيء قبلا** بضمتين وقرئ
بسكون الباء اي كفلاء بصحة الامر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل
كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله تعالى او تأتي بالله والملائكة قبيلا
اي لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شيء يتأتى منه
الكفالة والشهادة لا ما ذكر فقط اولا بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل هو جمع قبيلة
وهو الاوفق لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شيء نوعا نوعا
وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل
الافرادي او مقابلة وعيانا على انه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين
على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاجر بمعنى الجهة
كما في قولك لي قبل فلان حق وان انتصابه على الظرفية **ما كانوا ليؤمنوا** اي ما صح ولا استقام
لهم الايمان لتماديهم في العصيان وغلوهم في التمرد والطغيان واما سبق القضاء عليهم بالكفر
من الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون
وقوله تعالى **الا ان يشاء الله** استثناء مفرغ من اعم الاحوال والاتفاق على الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اي ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة
للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في حال مشيئته تعالى
لايمانهم او من اعم العلل اي ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته تعالى
واياما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى
ايضا كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كانه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا

وليقترفوا اي ليكتسبوا بموجب ارتضائهم له **ما هم مقترفون** له من القبائح التي لا يليق
ذكرها **أفغير الله ابتغي حكما** كلام مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم أأميل الى زخارف الشياطين فابتغي حكما غير الله يحكم بيننا
ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا
وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك
فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه السلام لا الى المشركين كما في قوله تعالى أفغير دين الله يبغون
مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي
وحكما حال منه واما بالعكس واياما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة
كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما
تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ
لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى **وهو الذي انزل
اليكم الكتاب** جملة حالية مؤكدة لانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة
مع ان مقتضى المقام اظهار ... نسبته الى النبي ... لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول
حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي أغيره تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم امة امية
لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص به اسم الكتاب
مفصلا اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في
امر الدين شيء من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القرآن الكريم
كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون للاعجاز دخل في ذلك كما قيل فلا
وقوله تعالى **والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق** كلام مستأنف
غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية
وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم حسبما نقل آنفا من علماء اليهود
والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التورية والانجيل باسم الكتاب
ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى
مع ما فيه من الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث
وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول وما يختلف من الفروع ويخبر عن امور

لاطريق اليه سوى الوحي والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء هو التفهيم
بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة
ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ منزل من
الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والباء
في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اى ملتبسا بالحق
فلا تكونن من الممترين اى في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم واحكام
المعرفة فالفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشان القرآن او في انه منزل
من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين
وقيل الخطاب في الحقيقة للامة وان كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل احد
على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والفاء على
هذا الوجه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القرآن وتمت كلمة ربك شروع في بيان
كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه
بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق
والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات ربك صدقا وعدلا مصدران نصبا على الحال
وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى لا مبدل لكلماته اما استيناف مبين لفضلها
على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن
الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في
الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله
فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن ان
يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل
المعنى لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتورية فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها وان تطع اكثر من في
الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب الفاصل
بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منها
واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون

على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها
بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركون خابطون في ظلمات الكفر والطغيان
فكيف يعقل اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي
يدل عليه الكلام اى أانتم مثلهم ومن كان ميتا فاعطيناه الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة
وجعلنا له مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اى بسببه والجملة استيناف مبني على
سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اى
فيما بينهم آمنا من جهتهم او صفة له كمن مثله اى صفته العجيبة وهو مبتدأ وقوله تعالى
في الظلمات خبره على ان المراد بها اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفة اسم وهذه
الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها
حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اى غير خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل
اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تعالى
على فطرة الاسلام وهداه بالآيات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف شاء لكن لا على ان يدل على
كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه
من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة
المعتبرة في كل واحد من جانبي الممثلين هيئة على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد
من جانبي المثلين هيئة على حدة فشبهت بهما الاولى ونزل لتنزيلها فاستعمل فيها ما يدل على
الاخرى بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية الى ان التمثيل
رأسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات
المتأخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كما في التمثيلين
ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك اى مثل ذلك التزيين البليغ زين اى من جهة الله عز وجل
بطريق الخلق عند اجاء الشياطين او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين
التابعين للوساوس الشيطانية الآخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون
ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من التباح فانها لو لم تكن
مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت في حمزة رضي الله عنه

وابي جهل وقيل في عمر او عمار رضي الله عنهما وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في
مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية من سائر القرى اكابر مجرميها ليمكروا
فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقدير المفعول الاول والظرف لغوا وما الظرف واكابر على
ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك
قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها ولا ان اي يخفى ان يراد من
لا بد ان يكون مشهور التحقيق عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يوجه الاشارة عن
سباق النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظائره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان
ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما فهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون
وان كان المراد بهم اكابر مكة لان مآل المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا
في كل قرية اكابر مجرميها اهل فالاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم
بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه
لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل والاية الاول اكابر مجرميها والظرف لغو اي مثل
اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين
بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر
فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على
سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم
وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم
والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم آية
رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعدما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة
مكر الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين اي اذا جاءتهم آية بواسطة
الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما
حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل عليه السلام فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تأتي بالله
والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علق بايتاء ما اوتي
الرسل عليهم السلام هو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه
عند الاطلاق وخلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبريل

والطريقة التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك
الصراط للتربية وافاضة الكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله تعالى
وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات بيناها مفصلة
لقوم يذكرون يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا
كان او شرا فانما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم
وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام اي للمتذكرين
دار السلامة من كل المكاره وهي الجنة عند ربهم اي في ضمانه او ذخيرة لهم عنده
لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم اي مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم
الصالحة او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا منصوب بمضمر
اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر والضمير المنصوب
لمن يحشر من الثقلين اي واذكر يوم يحشر الثقلين قائلا يا معشر الجن او ويوم يحشرهم يقول
يا معشر الجن او ويوم نحشرهم ونقول يا معشر الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يساعده الوصف
لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من
اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود
وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى
من الانس اما للبيان للجنس اي اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو حال من
اولياؤهم اي كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن
بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر
والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما القوا اليهم وقيل استمتاع الانس
بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم
قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وهو يوم القيامة قالوه اعترافا
بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا
على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان بان
المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا قال استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية كلامهم كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار مثواكم

اي منزلكم او ذات ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال و
العامل مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس
استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
مبني على ان الاستثناء ليس من المحكي وبالمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات التي ينقلون
فيها من النار الى الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما
يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل يفتح لهم
وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب
فعلى التقديرين في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كأنه قيل
النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم والحق بعده ان ربك حكيم في افاعيله عليم باحوال الثقلين
واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء وكذلك اي مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم
نولي بعض الظالمين من الانس بعضا آخر منهم اي نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء و
الاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقتراف ما يؤدي اليه
من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم
فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم
الم يأتكم اي في الدنيا رسل اي من عند الله عز وجل لكن لا على ان يأتي كل رسول كل واحد
من الامم بل على ان يأتي كل امة رسول خاص بها اي الم يأت كل فريق منكم رسول معين
وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اي كائنة من جملتكم لكن لا على
انهم من جنس الفريقين معا بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتأكيد وجوب
اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كأنهما جنس واحد ولذلك تمكن
احدهما من اضلال الآخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد
استمعوا القرآن وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن
يستمعون القرآن الى قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة
اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة
الى الثقلين وينذرونكم بما في تضاعيفها من القوارع لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذي قد عاينوا

اي من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما
عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير الصدر فان يستخلف
في معنى ينشئ كأنه قيل وينشئ انشاء كما انشأكم الخ او نعت لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف
استخلافا كائنا كما انشأكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة
انما توعدون اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال
للدلالة على الاستمرار التجددي لآت لواقع لا محالة كقوله تعالى ان ما توعدون لواقع وايثاره
عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول
كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء
الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة
المقام اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية
التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم
يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة
كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل ما امرت به من الثبات
على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة
في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله على الامر على ما يؤدي اليه وتسجيل بان المهدد
لا يأتي منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الا التقضي عنه سبيلا فسوف تعلمون من تكون
له عاقبة الدار سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية معلقة
لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها خبر لها وهي مع خبرها في محل النصب لسدها
مسد مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه
الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة
الدار وفيه مع الانذار انصاف في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء
لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه اي ان الشأن لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر

ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب على اي فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده
وجعلوا شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركون
العرب كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله تعالى واشياء منها لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه
لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا زكا ما جعلوه لآلهتهم تركوه معتلين
بان الله تعالى غني وما ذلك الا لحب آلهتهم وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد فالجاران في قوله تعالى
لله مما ذرأ متعلقان به ومن في قوله تعالى من الحرث والانعام بيان لما وفيه تنبيه على
فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي
له اي لما نسبوه الله تعالى مما خلقه من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه الى الضيفان والمساكين
وتأخيره من المجرورين لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما الى مفعولين اولهما
مما ذرأ على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له فما قيل من ان الاول نصيبا والثاني
لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا تدل على انهم جعلوا لشركائهم ايضا نصيبا
ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاء
وهو لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل الله تعالى غير مستتبع لشيء
من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه
لم يأمرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون ذلك
تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالى
فقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
بيان وتفصيل له اي فما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى
من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا يصرف الى الوجوه
التي يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها
ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم
وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف لدلالة
يحكمون عليه وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى
وبين آلهتهم او مثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
بوأدهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف

من تفصيل احوال الانعام اي هو الذي انشأ من غير شركة لاحد في ذلك بوجه من الوجوه
جنات معروشات من الكروم المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الارض وقيل
المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل
والزرع عطف على جنات اي انشأهما مختلفا اكله وقرئ اكله بسكون الكاف اي ثمره الذي
يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للزرع والباقي مقيس عليه
او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء
والزيتون والرمان اي انشأهما وقوله تعالى متشابها وغير متشابه نصب على الحالية
اي يتشابه بعض افرادهما في اللون او الهيئة او الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر
كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في
الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد
بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والسورة مكية
وقيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت
الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه
ولا تسرفوا اي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كلها
ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية انه لا يحب المسرفين اي
لا يرتضي اسرافهم ومن الانعام حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الانعام وابطال
ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول انشأ ومن متعلقة به اي
وانشأ من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه
ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كأنها فرش مفروش عليها
كلوا مما رزقكم الله ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم الله
تعالى اي حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا في امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم
المجازفين في ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فان ذلك
منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج
الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة واراد بهذا العنوان
وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى

وما في بطونها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بانشأ وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الآية معترض بينهما او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاول الى الابل والبقر وتفصيل الثاني الى الضأن والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها على الله سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار اليها مفصلة واثنين في قوله سبحانه وتعالى **من الضأن اثنين** بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل فيه اي انشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة **ومن المعز اثنين** عطف على مثله مشارك له في حكمه اي وانشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تأخر اصلها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر به في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل عن الجواب **آلذكرين** من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس **حرم** اي الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم **ام الانثيين** وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو مؤخر عنهما بحسب المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى **اما اشتملت عليه ارحام الانثيين** اي ام ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تعالى **نبئوني بعلم** امر تبكيت لهم اثر تبكيت والالزام وتثنية للتبكيت والافحام اي اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او نبئوني تنبئة ملتبسة بعلم صادر عنكم **ان كنتم صادقين** اي في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى **ومن الابل اثنين** عطف على قوله تعالى من الضأن اثنين اي وانشأ من الابل اثنين هما الجمل والناقة **ومن البقر اثنين** ذكرا وانثى **قل** الزاما لهم في امر هذين النوعين ايضا **آلذكرين** منهما **حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين** من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه وانما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام

واكد بقوله تعالى **وانا لصادقون** اي في جميع اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون اوضح بيان **فان كذبوك** قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم **فقل ربكم ذو رحمة واسعة** لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها **ولا يرد بأسه** بالكلية **عن القوم المجرمين** فلا تنكروا ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبك المشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه الخ لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا **سيقول الذين اشركوا** حكاية لفن آخر من كفرهم واخبار قبل وقوعه ثم وقوعه حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صرح فيه انه من عند الله تعالى **لو شاء الله ما اشركنا** اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا الاشراك نحن **ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء** ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينتهض فيهم به دليلا للمعتزلة الا يرى الى قوله تعالى **كذلك كذب الذين من قبلهم** اي مثل ما كذبك هؤلاء في انه تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فانه صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على الضمير للفصل بلا **حتى ذاقوا بأسنا** الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم **قل هل عندكم من علم** من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم **فتخرجوه لنا** اي فتظهروه لنا **ان تتبعون الا الظن** اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا **وان انتم الا تخرصون** تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي **قل فلله الحجة البالغة** الفاء جواب شرط محذوف اي واذ قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة

أي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد
بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه
فلو شاء هدايتكم جميعا لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ
هداية الكل بل هداية البعض الصارفين هممهم الى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا
اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم
أي احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة
بني تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض في فعليته وليس بشيء وأصله عند البصريين
ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند
الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر
ويكون متعديا كما في الآية ولازما كما في قوله تعالى هلم الينا الذين يشهدون أن الله
حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما أمروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة
ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة
ووصفوا بما يدل على أنهم شهداء معروفون بالشهادة لهم بنصر مذهبهم فان شهدوا
بعد ما حضروا بأن الله حرم هذا فلا تشهد معهم أي فلا تصدقهم فانه كذب بحت و
افتراء صرف وبين لهم فساده فان تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا
تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على أن من كذب
بآيات الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع الهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها
والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول الاول بطريق عطف
الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم فان من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس
وهم بربهم يعدلون أي يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى
لا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك به سبحانه
لكن لا على أن يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على أن أولئك جامعون لها متصفون بكلها
قل تعالوا لما ظهر بطلان ما ادعوا من اشراكهم واشراك آبائهم وتحريم ما حرموه
بأمر الله تعالى ومشيئته بظهور عجزهم عن اخراج شيء يتمسك به في ذلك واحضار شهداء يشهدون

توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن أكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي
بطريق الاستثناء أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن
ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للاولياء والاوصياء لقوله تعالى حتى يبلغ
اشده فانه غاية لما فهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ
سلموه اليه كما في قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع شدة
كنعمة وأنعم أو شد ككلب وأكلب أو شد كصر وأصر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل
والميزان بالقسط أي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو
اعتراض جيء به عقيب الامر بالعدل للايذان بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في
وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه
ولو كان أي المقول له أو عليه ذا قربى أي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد مر تحقيق معنى لو
في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله اوفوا أي ما عاهدكم عليه من الامور المعدودة او أي عهد كان
فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا أو ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه
ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم به امركم به امرا مؤكدا
لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه
احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار عن ابن عباس رضي الله عنهما هن آيات محكمات
لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة
ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء
في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات وان هذا صراطي اشارة الى ما ذكر في الآيتين
من الامر والنهي قاله مقاتل وقيل الى ما ذكر في السورة فانها بأسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان
الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى اضافته الى ضميره عليه السلام انتسابه اليه عليه السلام من حيث السلوك
لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان أن ما فصل من الاوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم
بل متعلقة به عليه السلام أيضا وأنه عليه السلام مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى مستقيما حال
مؤكدة ومحل ان مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة أي ولأن هذا صراطي اي مسلكي مستقيما
فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه السلام
لا بكونه صراط الله تعالى مع أنه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه عليه السلام فيه داع للخلق الى الاتباع

لا انه بذلك يصح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف وقرئ
ان على انها المخففة من الثقيلة على ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف وقرئ صراطي
وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل
الاديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدى التائين والباء
للتعدية اى فتفرقكم حسب تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان
ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله اى سبيل الله الذي
لاعوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض احكامه وقيل هو اتباع الوحي
واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عين سبيل الله تعالى ذلكم اشارة الى
ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون
اتباع سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا
للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب
بالالتفات الى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل
بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستيناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ
كما ان قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى اولم يهد للذين الآية كانه قيل يغفلون عن الهداية
ونطبع الخ واما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام الملقن كما اجمع عليهم الجمهور
فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فتدبر وثم للتراخي في الاخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم
ما صنعت امس اعجب او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم
اعظم من ذلك انا آتينا موسى التورية فان ايتاءها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها
اعظم من التوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة اى اتماما لهما على انه مصدر من اتم بحذف
الزوائد على الذي احسن اى على من احسن القيام به كائنا من كان ويؤيده انه قرئ
على الذين احسنوا او تماما على المحسنين او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام او تماما على ما
احسنه موسى عليه السلام اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع
على انه خبر محذوف اى على الذي هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما
اى تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا
لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما اما على العلية او على المصدرية كما

المبني عن المالكية الكلية لذلك واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل المراد بالملائكة
ملائكة الموت وباتيانه سبحانه وتعالى اتيان كل آياته يعني آيات القيمة والهلاك الكلي بقرينة
ما بعده من اتيان بعض آياته تعالى على ان المراد به اشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الارض
وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها
ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف
المشهور وحيث لم يكن اتيان هذه الامور مما ينتظرون كاتيان ما يقترحونه من الآيات
فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم له ظاهرا حمل الانتظار على التمثيل المبني على تشبيه حالهم
في الاصرار على الكفر والتمادي في العناد الى ان تأتيهم تلك الامور الهائلة التي لا بد لهم
من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وانت خبير بان النظم الكريم بسياقه المنبئ
عن تماديهم في تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وبسياقه الناطق بعدم
نفع الايمان عند اتيان ما ينتظرونه يستدعي ان يحمل ذلك على امور هائلة مخصوصة بهم اما بان يكون
عبارة عما اقترحوه او عن عقوبات مترتبة عليه على جناياتهم كاتيان ملائكة العذاب واتيان
امره تعالى بالعذاب وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى قل انتظروا انا منتظرون واما حمله
على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت واتيان كل آيات القيمة وظهور اشراط الساعة مع شمول
اتيانها للكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على ان بعض
اشراط الساعة ليس مما ينسد به باب الايمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآيات في قوله تعالى
يوم يأتي بعض آيات ربك على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار
الذي عليه يدور فلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى من الشكل الاول فيتم التقريب بدخول
ما ينتظرونه في ذلك دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله تعالى لا ينفع فان امتناع عمل ما بعد لا
فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف
اى لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها حينئذ لانكشاف الحال وكون الامر عيانا
ومدار قبول الايمان ان يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقرئ
لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الايمان من اضافته الى المضاف اليه تأنيثا وقوله تعالى
لم تكن آمنت من قبل اى من قبل اتيان بعض الآيات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل
لاشتمالها على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لانه غير اجنبي منه لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى او كسبت في ايمانها

خبر عطف على آمنت بارادة الترديد على النفي المفيد لكفاية احد النفيين في عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب خيرا ومن ضرورته اشتراط النفع بتحقق الامرين اي الايمان المقدم والخير المكسوب فيه فمآل المعنى ان النافع هو تحققهما والايمان المؤخر لغو وتخصيص الحاصل لانه هو النافع وتحققهما شرطا في نفعه كما لو كان المقدم عن المؤخر بالذات فان قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه انهما ينفعانه عند وقوعهما بعد الايمان وقد استدل به اهل الاعتزال على عدم اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعمومه المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي فالمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد او الخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بايهما كان حسبما نطق به النصوص الكريمة من الآيات والاحاديث وما قيل من ان عدم الايمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على ان الموجب للخلود في النار هو العدم الاول من غير ان يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام لغوا الكلام مبني على توهم ان المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان ايجابهما للخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث في انجائها عنه وليس كذلك والا لكفى في البيان ان يقال لا ينفع نفسا ايمانها الحادث بل المقصود الاصلي من وصفها بذينك العدمين في اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث تحقيق ان موجب النفع احدى ملكتيهما اعني الايمان السابق والخير المكسوب فيه لما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل الى ان يقال كما ان عدم الاول مستقل في ايجاب الخلود في النار فيلغو ذكر عدم الثاني لذلك وجوده مستقل في ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا لانه قياس مع الفارق وكيف لا والخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد العلل واما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتب على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا وانما لم يقتصر على بيان ما يوجب اصل النفع وهو الايمان السابق مع انه هو القابل لما لا يوجبه اصلا اعني الايمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد ايضا ارشادا الى تحري الاولى وتنبيها على كفاية الاول في الجملة لكفرة مما علقوا به اطماعهم الفارغة من اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة واغاثة الملهوفين وذوي الاصحاب وغير ذلك

لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اي قل لاولئك المعرضين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق والانفس من الآيات التكوينية الى صراط مستقيم موصل الى الحق وقوله تعالى دينا بدل من الى صراط فان محله النصب كما في قوله تعالى ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصورة ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابرهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تعالى وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عما عليه المعرضون لدينه من عقد وعمل اي ما كان منهم في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته عليه السلام من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله قل ان صلاتي ونسكي اعيد الامر لما ان المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها اي عبادتي كلها وقيل وذبحي جمع بينه وبين الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلوتي وحجي ومحياي ومماتي اي وما انا عليه في حياتي اكون عليه عند موتي من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات لاضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي باسكون اليا اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي بذلك الاخلاص امرت لا بشيء غيره وقوله تعالى وانا اول المسلمين لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به ويقتدي به عليه السلام من اسلم منهم قل اغير الله ابغي ربا اي فاشركه في العبادة وهو رب كل شيء جملة حالية مؤكدة للانكار اي والحال ان كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في المعبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل خطاياكم يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى رد له بالمعنى الثاني اي لا تحمل

يومئذ نفس حامل حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم لتوكيد الوعد وتشديد الوعيد اي الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة يومئذ ببيان الرشد من الغي وتميز الحق من الباطل تحسين للخطاب وتوجيه له الى الكل

حيث خلفتم الامم السالفة او خلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على انكم خلفاؤه في الشرف والغنى كثيرة متفاوتة

من المال والجاه اي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده تجريد للخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام لابراز مزيد اللطف به عليه السلام اي عقابه

سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكر لان كل آت قريب او سريع التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادي والآلات لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل خبره الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هي له من التنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل العقوبة بالعرض مسامح فيهما ما لا يخفى والله تعالى اعلم عن رسول الله صلعم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد

بسم الله الرحمن الرحيم

المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص اي مسمى به وتذكير اسم الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحة الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل على الوجه الاول خبر مبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مراد به السورة كتاب الخ واسم الاشارة يشار به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منزلة حضور نفس المؤلف اي هذا الكتاب الخ وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر اي به اثر بيان كونه مترجما باسم بديع منبئ عن قرابته في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان كونه فردا من افراد الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدأ اي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبلها فحقها الاخبار بها اي من جهته تعالى نعت النعل للمفعول حيث بني على سنن الكبرياء وايذانا

بالتلبة العدم كما قيل في قوله تعالى قليلا ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا او ما مصدرية مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية اهلكناها شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها راجع الى معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع نصب باهلكناها كما في قوله تعالى انا كل شيء خلقناه والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة اي اردنا اهلاكها فجاءها اي جاء اهلها باسنا اي عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بائتين لقوم لوط او هم قائلون عطف عليه اي او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص هاتين الحالتين بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر واردع عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم باسنا عذابنا وعاينوا اماراته الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسألن الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال المكلفين جميعا لكونه ادخل في التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اي لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما اجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم

والذي نفي بقوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف
الحساب والثاني في موقف العقاب **فلنقصن عليهم** اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا
انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى المرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه **بعلم** اي عالمين بظواهرهم
وبواطنهم او بعلومنا منهم **وما كنا غائبين** عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم
واحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها **والوزن** اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها و
جيدها ورديها ورفعه على الابتداء وقوله تعالى **يومئذ** خبره وقوله تعالى **الحق** صفته اي
الوزن الحق ثابت يوم ان يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدا محذوف كانه قيل
ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل السوي وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن و
على ان صحائف الاعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة
وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء
والملائكة والاشهاد وكما يثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب ويؤيده ما روي
ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها
كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل يوزن الاشخاص
لما روي عنه عليه السلام انه لياتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة و
قيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك
واختاره كثير من المتأخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة
والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير
اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن
وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية
مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة
النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب
من آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم
يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس
وقد روي عن ابن عباس رضه انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال

جميعا توفية لمقام الامتنان حقه وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من خلقه
عليه السلام وتصويره لما انهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عم كسجود الملائكة له عم بل من
الامور السارية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته
فكانهم الذي تعلق به خلقه وتصويره اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير
واحسن تقويم ساريا اليكم جميعا **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** صريح في انه ورد بعد
خلقه عليه السلام وتسويته ونفخ الروح فيه امر تنجيزي غير الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكي بقوله تعالى واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة
طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضي تراخيه عن التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما
من الامور وقد بينا في سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل آدم عم بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار
باستخلافه عم حسبما نطق به قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة
الى قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق من التسوية ونفخ الروح
وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر المعلق عند
حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها
المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله قد القى الى الملائكة عليهم السلام اولا جميع ما يتوقف عليه الامر
المنجز اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقالوا
عند ذلك ما قالوا او القى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح
اني جاعل هذا خليفة في الارض فهنالك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله تعالى
بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عم ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشان المأمور به
وايذانا بوقته وقد حكي بعض الامور المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر
في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة ان
ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله
من قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب في ان المراد
بالملأ الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى

في شأن الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر عنهم من الانباء بالاسماء ومن
قضية البدلية ووقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق
وما تعلق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس
ولعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام
الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت من انه احد المختصمين
كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود باحد الطريقين المذكورين
والله تعالى اعلم **فسجدوا** اي الملائكة عليهم السلام بعد الامر من غير تلعثم **الا ابليس** استثناء
متصل لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه
في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون وقال تعالى الا ابليس كان من
الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالى **لم يكن من الساجدين** اي ممن سجد لادم كلام مستأنف
مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتأمل ثم يقع
السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فيكون متصلا بما بعده اي لكن ابليس لم يكن من
الساجدين **قال** استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كانه قيل فماذا
قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه
فائدة اخرى هي الاشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير **ما منعك الا تسجد**
اي ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما
في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر
الى خلافه فالمعنى ما اضطرك الى ان لا تسجد قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب
والفور وفي سورة الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادرج في معصية واحدة
ثلاث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين و
الاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية
في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية
في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني
اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه **قال** استئناف كما سبق مبني على سؤال نشأ من

عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في اصل الكلام
تجريده عنها بل قد يراعى عند نقل كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك
بكون المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم انما يحكى بكيفيات
واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من يتكلم بها حتما والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان
المحكي كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى الحال ثمة وهي النقلة من الاحوال فان ملاك الامر
هو مقام الحكاية واما مقام المحكي فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية روعي في كل واحد
من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام
وتفصيل الكيفيات التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة
فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعي جانبه الا يرى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم
الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التأكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها
المقام وحاله بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر
بليغ هو بتجريده من الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم وبذلك يرتقي كلامه عن رتبة
اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها الى
تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته مع تحليته الكلام بمزايا اخر
ترتقي بها الى رتبة الاعجاز لاسيما اذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين
وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به **قال** استئناف كما مر **فبما اغويتني** الباء
للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته وعزته و
حكم من احكام سلطانه تعالى فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة
قسمه باحدهما واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم
باغوائك اياي **لاقعدن لهم** او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف
لا بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك
اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة
صراطك المستقيم الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه
على الظرفية كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد
الظهر والبطن **ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم**

اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رض من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا او يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه **ولا تجد اكثرهم شاكرين** اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى منهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام **قال** استيناف كما سلف مرارا **اخرج منها** اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة **مذؤما** اي مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما **مدحورا** مطرودا **لمن تبعك منهم** اللام موطئة للقسم وجوابه **لاملأن جهنم منكم اجمعين** وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب **ويا آدم** اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به عم للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المأمور به **اسكن انت وزوجك الجنة** هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى **فكلا من حيث شئتما** لبيان ان المراد بما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جامعا للترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عليه السلام في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له ولتعليق النهي بهما صريحا في قوله تعالى

يا بني آدم خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره **قد انزلنا عليكم لباسا** اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام الآية وقوله تعالى وانزلنا الحديد **يواري سوآتكم** التي قصد ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم تستغنون عن ذلك وروي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم ع للايذان بان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم **وريشا** ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه ترّيش الرجل اي تموّل وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب **ولباس التقوى** اي خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة **ذلك خير** او خير وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا **ذلك** اي انزال اللباس **من آيات الله** الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته **لعلهم يذكرون** فيعرفون نعمته ويتعظون فيتورعون عن القبائح **يا بني آدم** تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سببه **لا يفتننكم الشيطان** اي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة **كما اخرج ابويكم من الجنة** نعت لمصدر محذوف اي لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا **ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما** حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبيب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى **انه يراكم هو وقبيله** اي جنوده وذريته استيناف لتعليل النهي وتأكيد التحذير منه **من حيث لا ترونهم** من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا تقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا **انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون** جعل فيما من جملته تحذير اي جعلناهم بما اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم على ما سولوا لهم اولياء اي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتأكيد للتحذير اثر تحذير **واذا فعلوا**

فالحشة جملة مبتداة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة
المتناهية في القبح والتاء لانها جارية على الموصوف المؤنث او للنقل من الوصفية الى الاسمية
والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما ۞ جوابا للناهين عنها
وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه
ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان آباءهم انما كانوا يفعلونها بامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا
لهم ولآبائهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل ان الله لا يامر
بالفحشاء فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة فيه
على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة
ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل
لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله امرنا بها
وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون
من تمام القول المأمور به والهمزة للانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم
عليه تعالى ما لا تعلمون صدوره عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة في انكار تلك
الصورة فان اسناد ما لم يعلم صدوره عنه اليه تعالى اذا كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره
عنه اليه عز وجل اشد قبحا واحق بالانكار قل امر ربي بالقسط بيان للمأمور به اثر نفي ما اسند
امره اليه تعالى من الامور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي
الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او
اقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلاة او في
اي مسجد حضرتكم الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه
مخلصين له الدين اي الطاعة فان مصيركم اليه بالآخرة كما بدأكم اي انشأكم ابتداء
تعودون اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها
والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا
تعودون اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة
وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء

الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد
للايذان بتماديهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب
ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب
اللوح اي مما اثبت لهم فيه ومن لابتداء الغاية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم
اي ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون
وعن ابن عباس رضه كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى يوم القيامة ترى الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا اي ملك الموت و
اعوانه يتوفونهم اي حال كونهم متوفين لارواحهم يؤيد الاول فان حتى وان كانت
هي التي يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون به الى حين وفاتهم
اي ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان يأتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم قالوا لهم اين ما كنتم
تدعون من دون الله اي اين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت
موصولة باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا
عنا اي غابوا عنا اي لا ندري مكانهم وشهدوا على انفسهم عطف على قالوا اي اعترفوا
على انفسهم انهم كانوا اي في الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث
شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت مجيء الرسل حال التوفي الزمان الممتد من ابتداء
المجيء والتوفي الى انتهاء يوم الجزاء بناء على تحقق المجيء والتوفي في كل ذلك الزمان تبعا وان كان
حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كانهما حاصلان عند ابتداء
التوفي كما ينبئ عنه قوله عم من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السؤال والجواب
وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما
يكون بعد البعث لا محالة قال اي الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة الملك ادخلوا
في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس
يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة
من الامم النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا
فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع

لاولاهم اى لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا
الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا اى مضاعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا
قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن
لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت اولاهم مخاطبين
لاخريهم حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اى فقد
ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا
العذاب اى العذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين
كذبوا بآياتنا مع وضوحها واستكبروا عنها اى عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم
ابواب السماء اى لا يقبل ادعيتهم ولا اعمالهم او لا تعرج اليها ارواحهم كما هو شان ادعية المؤمنين
واعمالهم وارواحهم والتاء فى تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف و
بالتخفيف والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على انه لله تعالى
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم فيما هو علم
فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفى كون الجمل مما ليس من شانه الولوج فى سم الابرة مبالغة فى
الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل
وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ فى سم المخيط
وهو الخياط اى ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك اى ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين
اى جنس المجرمين وهم داخلون فيه دخولا اوليا لهم من جهنم مهاد اى فراش من تحتهم والتنوين
للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش اى اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه
وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما فى قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك
ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزى الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم
الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم
مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الجرائم والجرائر والذين آمنوا اى بآياتنا او بكل ما يجب ان
يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا اوليا وذكره تعالى وعملوا الصالحات اى الاعمال الصالحة التى شرعت
بالآيات وهذا المقابلة للاستكبار عنها لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدأ
الذى هو الموصول والخبر الذى هو الجملة اولئك اصحاب الجنة للترغيب فى اكتساب ما يؤدى الى النعيم المقيم ببيان

وسؤالهم الذى هو الموجب للدعاء اشعارا بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط
بل مع ما يوجبه ويؤدى اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار
لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفار حين راوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم
بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم فى الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى
عنكم اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اى اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال وما
كنتم تستكبرون ما مصدرية اى ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على
الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اى من الاموال والجنود اهؤلاء
الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين
الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن
ذلك كما فى قوله تعالى او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة تلون الخطاب
وتوجيه له الى اولئك المذكورين اى ادخلوا الجنة على رغم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا
ولا انتم تحزنون او قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا
وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وان لا يكون المراد باصحاب الاعراف
المقصرين فى العمل لان هذه المقالات وما توبخ بها عليه من المعرفة لا يليق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل
لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملائكة ردا عليهم
اهؤلاء الآية وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا فيهم
لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة بعد ان استقر كل من الفريقين القرار
واطمانت به الدار ان افيضوا علينا من الماء اى صبوه وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار
او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة
عن الاعطاء بكثرة قالوا استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما
على الكافرين اى منعهما عنهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا
ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن
ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا
العاجلة فاليوم ننساهم نفعل بهم ما يفعل الناسى بالمنسى من عدم الاعتداد بهم وتركهم
فى النار تركا كليا والفاء فى فاليوم فصيحة وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا فى محل النصب

على انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه
ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تعالى وما كانوا بآياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اي
وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اي بينا
معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والخبر للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او
للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن على علم حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله
حتى جاء حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بفضله
هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بآثاره المقتبسون من انواره
هل ينظرون الا تأويله اي ما ينتظرون هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه
بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه
من قبل اي تركوه ترك المنسي من قبل اتيان تأويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد
تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد
اي هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول
احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد
الامرين او لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ
بالرفع اي فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل اي في الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التي
هي رأس مالهم الى الكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه
من ان الاصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام شروع في بيان مبدأ الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اي ان
خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية في ستة ايام كقوله تعالى ومن يولهم
يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها
ولم يكن هي حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار
واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش اي استوى امره او استولى
وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش
على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به
لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار اي

لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا
وقرئ لا يخرج الا نكدا اي لا يخرجه البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا
بالاسكان للتخفيف كذلك اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات اي نرددها
ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كالتمثيل
لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حيوة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى
المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك بما حققه وقرره من قصص
الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو جواب قسم
محذوف اي والله لقد ارسلنا ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة
للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتأكيد الجملة المقسم عليها ونوح
هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عم قال ابن عباس رضي الله عنه
بعث عليه السلام على رأس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة
وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة و
قال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين
وخمسين ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة
فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده
وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة
في شيء وقوله تعالى ما لكم من اله غيره اي من مستحق للعبادة استيناف مسوق لتعليل العبادة
المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء او الفاعلية
وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا
اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد فمن اله ان جعل مبتدأ
فلكم خبره او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله
اني اخاف عليكم ان لم تعبدوه حسبما امرت به عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة
او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي اليها
ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملأ من قومه استيناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عم كأنه قيل فماذا قالوا له عليه السلام في مقابلة نصحه فقيل قال

الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم **إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ** اي ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف

بيّن كونه ضلالا **قَالَ** استيناف كما سبق

ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق **لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ** اي شيء ما من الضلال قصد عم نحقيق الحق في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في اثباته له عم حيث جعلوه مستقرا في الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى

استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كأنه قيل ليس بي شيء من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن من رب العالمين **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي** استيناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذي سمتني امي حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليه السلام وتخصيص ربوبيته تعالى به عم بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عم من موجبات امتثاله بامره تعالى بتبليغ رسالته

عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى **وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عم اي اعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الامور الآتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عم بالوحي

جواب ورد لما

الكنى عن ذكره بقولهم انا لنراك في ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كأنه

والصدق والامانة فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما كأنه قيل ليس بي شيء مما تنسبونني اليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لافادة التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله تعالى

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي استيناف سيق لتقرير رسالته وتفصيل احوالها وقيل صفة اخرى لرسول والكلام في اضافة الرب الى نفسه عم بعد اضافته الى العالمين وكذا في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقرئ ابلغكم من الابلاغ

معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك وما حكي بالجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفه او الكذب **أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ** الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عم

اي من جنسكم **لِيُنْذِرَكُمْ** ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي ليس بالسفاهة والكذب وفي اجابة الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من نسبهم الى الضلالة والسفاهة بما اجابوهم من امثال تلك الاباطيل بما حكي عنهم من المقالات الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة من الدلالة على حيازتهم القدح المعلى من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه

شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كأنه قيل لا تعجبوا من ذلك او تدبروا في امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء **مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ** اي مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان **وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ** اي في الابداع والتصوير او في الناس **بَسْطَةً** قامة وقوة فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا **فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ** التي انعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص

لعلكم تفلحون كي يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب
قالوا مجيبين عن تلك النصائح العظيمة أجئتنا لنعبد الله وحده اي لنخصه بالعبادة
ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض
عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه والفوا اسلافهم عليه ومعنى المجيء
اما مجيئه عم من متعبده ومعتزله واما من السماء على التهكم واما القصد والتصدي مجازا
كما يقال في مقابلة ذهب يشتمني من غير ارادة معنى الذهاب فأتنا بما تعدنا من العذاب
المدلول عليه بقوله تعالى أفلا تتقون ان كنت من الصادقين اي في الاخبار بنزول العذاب
وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اي فأت به قال قد وقع عليكم اي وجب
وحق او نزل باصراركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى اتى امر الله
من ربكم اي من جهته تعالى وتقديم الظرف الاول على الثاني مع ان مبدا الشيء متقدم
على منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى
رجس مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى
وغضب فربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم والرجس العذاب من الارتجاس الذي هو
الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل أتجادلونني في اسماء
عارية عن المسمى سميتموها اي سميتم بها انتم وآباؤكم انكار واستقباح لانكارهم
مجيئه عم داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الاصنام اي أتجادلونني في
اشياء سميتموها آلهة ليست هي الا محض الاسماء من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية
شيء ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت لكان ذلك
بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى ما نزل الله بها
من سلطان واذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله تعالى
قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا اني معكم من المنتظرين
لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى فأنجيناه فصيحة كما في قوله فانفجرت اي فوقع ما وقع فأنجيناه
والذين معه اي في الدين اي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى اي من جهتنا متعلق
بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المنفهمة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا
دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين

ناقة من راو سمعهم ان يؤمنوا فكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء و
كانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها
ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت
بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب
مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة
بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا
لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم
ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث
ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى
الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم
صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى
استئناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها
ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووساطة معتادة ولذلك كانت آية واي آية ولكم
بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله
بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تفريع على كونها
آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها جواب
الامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل ما تأكل في ارض ربها فليس لكم
ان تحولوا بينها وبينها وقرئ تأكل بالرفع على انه في موقع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض
للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله وعلفتها تبنا وماء باردا
وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس
الذي هو مقدمة الاصابة بالشر الشامل لانواع الاذية وذكر السوء مبالغة في النهي اي
لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها اصلا ولا تطردوها ولا تريبوها اكراما لآية الله تعالى
جواب النهي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك
قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين

الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك **واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد** اي خلفاء في الارض او خلفاء لهم كائناً اي جعل لكم مباءة ومنزلاً في ارض الحجر بين الحجاز والشام **تتخذون من سهولها قصوراً** استئناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصوراً رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر اي الصخر وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى اسيل حرة والنحت نجر الشيء الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى **بيوتاً** على انها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصاً وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتاً على المفعولية وقد جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء التي انعم بها عليكم مما ذكر او جميع الآلاء التي هذه من جملتها **ولا تعثوا في الارض مفسدين** فان حق الآلاء ان تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالافساد اي عتوا وتكبروا استئناف كما سلف وقرئ بالواو عطفاً على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم والام في قوله تعالى **للذين استضعفوا** للتبليغ وقوله تعالى **لمن آمن منهم** بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولاً الى جميع المستضعفين مع ان المجاوبة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم **قالوا انا بما ارسل به مؤمنون** عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيهاً على ان امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به **قال الذين استكبروا**

انكم لتأتون الرجال خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضاً على انه تأكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام مزيد تقبيح وتوبيخ كان ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تأكيداً قوياً وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى **من دون النساء** اي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اي المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى **الا ان قالوا** استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان جواباً من جهة قومه شيء من الاشياء الا قولهم اي لبعضهم الآخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته عليه السلام اخرجوهم اي لوطاً ومن معه من اهله المؤمنين **من قريتكم** اي الا هذا القول الذي يستحيل ان يكون جواباً لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا الخ خبرها وهو اظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياً ما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى **انهم اناس يتطهرون** تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار **فانجيناه واهله** اي المؤمنين منهم **الا امرأته** استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة

والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن استثنائها من حكم الانجاء كأنه قيل فماذا كان
حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بيّنه
قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في العذاب وقال الراغب
مطر في الخير وامطر في العذاب والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت
المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت
والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر
عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج
من الحرم فوقع عليه وروي ان امرأة التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم
والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعي هنا ما في
المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام شعيب بن
ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين
وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين
مع كفرهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ عن حكاية ارساله اليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة اي معجزة وقوله تعالى من ربكم
متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته
الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام التنين حين
دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها
ومنها وقوع عصا آدم على يده في المرات السبع لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عليهما السلام
وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة
وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اي المكيال كما وقع في سورة
هود ويؤيده قوله تعالى والميزان فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة
الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان يكون عاطفة على اعبدوا الله موجبة للاجتناب
عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم التي

احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك بنيابة على حاله سالما عما يغيره واما
فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان
كلمة لو في الصورة المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها واما ما يقصد بيان
تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في
حيزها منزل على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه فان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر
يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور وان الجملة حال
من ضميره لا من ضمير المذكور كما ستأتي وان المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث مقارنته
للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيزها لا يقصد استبعاده
في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر متوقع الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار
من جهة ان العود مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا
ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستمرارهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة
المؤمنين للعود في ملة الكفرة ابدا حتى يقال انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم
بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا للقتل في قوله تعالى ولو انا كتبنا الآية
فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في انهم حينئذ يختارون العود خشية الاخراج اذ رب مكروه
يختار عند حلول ما اشد منه وافظع والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين
غير مبالين بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه
اي أنعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكارا لما يعبد بكلمتهم الشنيعة باطلاقها من العود
على اي حالة كانت غير انه اكتفي بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه
تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي
تعلق به الانكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى ان قلت
النفي المستفاد من الفعل المقدر الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان
الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى النفي الا ترى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة
المسكوت عنها اعني عدم النفي هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه
عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا انعود لانه في معنى لا نعود
فلم اختلف الحال قلت لان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في

مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود
المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما
الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي
وتوضيحه ان بين النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامها التي من جملتها ما ذكر من الاعتبار الاولوية
في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا تستقيم اقامة احدهما مقام الآخر
على وجه الكلية الا ترى انك لو قلت مكان انعود فيها لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى
اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها
وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منفي واما
همزة الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد تقيده بما بعده لان دلالتها على الانكار والنفي ليست
بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده
راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون
ما يذكر بعد الفعل من متمماته ودواعي انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها
الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها
عن ذكر ما عداه لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها
قيدا لنفس العود كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة
مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا للنفي بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكرها
ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه في حال
الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في الحالين
مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه المذكور
ان قيل فما وجه استقامتها جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها
لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين كما يصح ان يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين
مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان معنى
احدهما عين معنى الآخر او انهما متلازمان متفقان في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول ان
العود منتف في الحالين ومدلول الثاني ان العود في الحالين منتف وكلا المعنيين صحيح في
نفسه مصحح لنفي العود في الحالين مع ذكرهما معا غير ان الثاني مصحح لنفيه في الحالين مع الاقتصار

ما زيد الاقدام والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال
الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى
ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم
عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يتضرعون كي يتضرعون
ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم
بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان
السيئة التي اصابتهم للغاية المذكورة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة
الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا اي كثروا عددا وعددا من عفا
النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة وقالوا غيروا فقلنا على ان ما اصابهم من الامرين
ابتلاء من الله سبحانه قد مس آباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر
يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة
تترتب عليهما ولعل تاخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها فاخذناهم اثر
ذلك بغتة فجاة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون بذلك ولا يخطرون ببالهم
شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الآية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم
طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضي بين الاخذ وتمام الاهلاك اياما كدأب ثمود
ولو ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى في قرية وقيل هي مكة
وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر منها انتظاما اوليا آمنوا بما اوحي الى
انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي
او اتقوا ما انذروا به على السنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى
على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم
من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ
لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول
لاستلزامه الثاني فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها
قولهم قد مس آباءنا الخ وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط

كما قيل بانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة أفأمن أهل القرى أي أهل القرى المذكورة
على وضع المظهر موضع المضمر للإيذان بأن مدار التوبيخ أمن كل طائفة ما أتاهم من البأس لا أمن مجموع الأمم
فإن كل طائفة منهم أصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم إلى غيرهم كما سيأتي والهمزة لإنكار الواقع
واستقباحه لا لإنكار الوقوع ونفيه كما قاله أبو شامة وغيره لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم
الخاسرون والفاء للعطف على أخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة إلى بيان أن الأخذ المذكور
مما كسبته أيديهم والمعنى أبعد ذلك الأخذ أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا أي تبييتا
أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين وهو في الأصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز أو المستتر في بياتا أوأمن أهل القرى
إنكار بعد إنكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا
وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون وقرئ أو بسكون على الترديد أن يأتيهم بأسنا ضحى أي ضحوة
النهار وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت وهم يلعبون أي يلهون من فرط الغفلة
أو يشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون أفأمنوا مكر الله تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى
استعارة لاستدراجه العبد وأخذه من حيث لا يحتسب والمراد به إتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين
ولذلك عطف الأول والثالث بالفاء فإن الإنكار فيهما متوجه إلى ترتب الأمن على الأخذ المذكور وأما الثاني
فمن تتمة الأول فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون أي الذين خسروا أنفسهم وأضاعوا فطرة الله
التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات أولم يهد للذين يرثون
الأرض من بعد أهلها أي يخلفون من خلا قبلهم من الأمم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم
أهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام إما لتنزيلها منزلة اللازم كأنه قيل أغفلوا ولم يفعل
الهداية لهم إلخ وإما لأنها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية
أي أولم يبين لهم مآل أمرهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أي أن الشأن لو نشاء أصبناهم
بجزاء ذنوبهم أو بسبب ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعوله
ونطبع على قلوبهم عطف على ما ينبئ عنه من قوله تعالى أولم يهد كأنه قيل لا يهتدون أو يغفلون
عن الهداية أو عن التفكر والتأمل أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على أصبناهم
على أنه بمعنى وطبعنا لإفضائه إلى نفي الطبع عنهم لأنه في سياق جواب لو فهم لا يسمعون
أي أخبار الأمم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات تلك

بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى إليهم من الإيمان و
التقوى بنصب الآيات وإنزال الحجج وقيل ما عاهدوا عليه عند خطاب ألست بربكم فالمراد
بأكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فإن أكثرهم لا يفون بالعهود بأي معنى كان وإن
وجدنا أكثرهم أي أكثر الأمم أي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الأول
أيضا كذلك وإن مخففة من إن وضمير الشأن محذوف أي إن الشأن وجدناهم لفاسقين
خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين إن نافية واللام بمعنى إلا أي وما وجدناهم
إلا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى أي أرسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل
المذكورين عليهم السلام أو من بعد إهلاك الأمم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي
للإيذان بأن بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الإلهية من إرسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر بآياتنا متعلق بمحذوف
وقع حالا من مفعول بعثنا أو صفة لمصدره أي بعثناه ملتبسا بآياتنا أو بعثناه بعثا ملتبسا
بها وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتي على التفصيل إلى فرعون هو لقب
لكل من ملك مصر من العمالقة كما أن كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم
واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وملئه أي أشراف قومه وتخصيصهم
بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين
وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لأصالتهم
في تدبير الأمور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور فظلموا بها أي كفروا بها أجري الظلم مجرى
الكفر لكونهما من واد واحد أو ضمن معنى الكفر أو التكذيب أي ظلموا كافرين بها أو مكذبين بها أو
كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا
أنفسهم بسببها بأن عرضوها للعذاب الخالد أو ظلموا الناس بصدهم عن الإيمان بها والمراد به
الاستمرار على الكفر بها إلى أن لقوا من العذاب ما لقوا ألا يرى إلى قوله تعالى فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين وكما أن ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها
مستتبع للأمر بالنظر إليها وكيف خبر كان قدم عليها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب
بإسقاط الخافض أي فانظر بعين عقلك إلى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للإيذان

بان الظلم مستلزم للافساد {وقال موسى} كلام مبتدا مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين {يا فرعون اني رسول} اي اليك {من رب العالمين} على الوجه الذي مر بيانه {حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق} جواب عما ساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبه اياه عم في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما هو قراءة نافع فقلب لامن من الالتباس كما في قول من قال وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول {قد جئتكم ببينة من ربكم} استيناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين الآيات وقد طوي ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين لتاكيد وجوب الايمان بها {فارسل معي بني اسرائيل} اي فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم ويكلفهم الافاعيل الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عم وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عم اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته عم ومجيئه بالبينة {قال} استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال فرعون له عم حين قال له ما قال فقيل قال {ان كنت جئت بآية} اي من عند من ارسلك كما تدعيه {فات بها} اي فاحضرها عندي ليثبت بها رسالتك {ان كنت من الصادقين} في دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي اظهار الآية لا محالة {فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين} اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كانها في الاصل كذلك روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي

{وهارون} ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رض انه قال لما امنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف {قال فرعون} منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه {آمنتم به} بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اي آمنتم بالله تعالى {قبل ان آذن لكم} اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك {ان هذا لمكر مكرتموه} يعني ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطاة موسى {في المدينة} يعني مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روي ان موسى عم وامير السحرة التقيا فقال له موسى عم ارايتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لان غلبتني لاؤمنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشا عنه هذا القول {لتخرجوا منها اهلها} اي القبط وتخلص لك ولبني اسرائيل وهاتان شبهتان القاهما الى اسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها ليمنعهم بهما عن الايمان بنبوة موسى عم بان اراهم ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المالوفة والنعم المعهودة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال {فسوف تعلمون} اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال {لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف} اي من كل شق طرفا {ثم لاصلبنكم اجمعين} تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه تعالى محاربة لله ورسوله {قالوا} استيناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تاثروا به او تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان {انا الى ربنا منقلبون} اي بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك او لا فلا نبالي بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا

ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا اي وما تنكر وتعيب منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من الرغبة على ما قالوا وتوكلا اليه ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي افض غير متنويين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا من امر موسى عليه السلام اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك ويذرك عطف على ليفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة ألم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على اتذر او استئنافا او حالا وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن وآلهتك ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل بهم من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض لله اي ارض مصر او جنس الارض وهي داخلة فيها دخولا اوليا يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا اي من جهة فرعون من قبل ان تأتينا اي بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا اي رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم بواسطة موسى عليه السلام فليس لذكره كثير طائل بالمقام قال اي

وجروفهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلاء ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقته الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه راغبا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله تعالى عليهم الرعاف آيات حال من المنصوبات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا اي عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل باللام للجنس المنتظم لكل واحد من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عهد عندك او قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ

الى اجل هم بالغوه لا بد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون
جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير تأمل و توقف فانتقمنا منهم
اى فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصى والجرائم فان قوله تعالى
عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية
كما فى قوله تعالى فنادى نوح ربه فقال يا رب الى آخره فى اليم فى البحر الذى لا يدرك قعره وقيل
فى لجته
تعليل للاغراق اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم
بآيات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت
على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب
آيات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اى بالاستعباد
وذبح الابناء والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنوا
اسرائيل وذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم فى رفعهم من حضيض
الذلة الى اوج العزة
اى جانبيها الشرقى والغربى حيث ملكها بنوا اسرائيل
بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا فى اكنافها الشرقية والغربية كيف شاؤا وقوله تعالى التى باركنا فيها
اى بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف
بالمعطوف كما فى قولك قام ام هند وابو العاقلة
وهى وعده تعالى اياهم
بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة
ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بنى اسرائيل
بما صبروا اى بسبب صبرهم على الشدائد التى كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اى خربنا واهلكنا
من العمارات والقصور اى ودمرنا الذى كان فرعون يصنعه على ان
فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير
عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف ايضا والتقدير
ودمرنا الذى كان هو يصنعه فرعون له وقيل كان زائدة وما مصدرية والتقدير ما يصنع فرعون
وقيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذى يصنعه
فرعون له اى صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة وما كانوا

الخلفنى اى كن خليفتى فى قومى وراقبهم فيما يأتون وما يذرون واصلح ما يحتاج الى الاصلاح
من امورهم او كن مصلحا
اى لا تتبع من سلك الافساد
ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص
اى اختص مجيئه لميقاتنا
من غير واسطة كما يكلم الملائكة عم وفيما روى انه عم
كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام
المحدثين
اى ارنى ذاتك بان تمكننى من رؤيتك
او تتجلى لى فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة فى الجملة لما ان
طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لاسيما ما يقتضى الجهل بشؤون الله عز وجل ولذلك رده بقوله
لن ترانى دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الى تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها
على معد فى الرائى ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله
جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك
حين قالوا اجعل لنا الها وان لا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين
والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على انه
لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل
بحقيقة الرؤية
استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قال رب
العزة حين قال موسى عم ما قال فقيل قال
استدراك لبيان انه لا يطيق بها وفى تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل
على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل اى ظهر
له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه
مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء اى ارضا مستوية ومنه
ناقة دكاء للتى لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء اى قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه
من هول ما رآه
الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب
تنظيما لما شاهده سبحانك اى تنزيها لك من ان اسألك شيئا بغير اذن منك
اى من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن
اى بعظمتك
وجلالك وقيل اول من آمن بانك لا ترى فى الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال بغير اذن منك

قال يا موسى استئناف مسوق لتسليته عليه السلام من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظام مالم اعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها اني اصطفيتك اى اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك على الناس اى المعاصرين لك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه وكان كليما ولا صاحب شرع برسالاتي اى باسفار التورية وقرئ برسالتي وبكلامي اياك بغير واسطة فخذ ما آتيتك اى اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على ما اعطيت من جلائل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء اى مما يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اى كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في عدد الالواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت عشر الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمردة جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير تقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على اضمار القول معطوف على كتبنا اى فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه بمعنى الاشياء او للرسالة او للتورية وأمر قومك يأخذوا بأحسنها اى باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الانتصار وكالاقتصار على طريقة العذب والحث على اختيار الافضل كما في قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا بها واحسن صلة قال قطرب اى بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب سأريكم دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهي خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل

وانما انهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتملك بني اسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا سبيل الى اخذها قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اى الها وقوله تعالى جسدا بدل من عجلا اى جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى له خوار اى صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وقد كان اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والاول هو الاول والمناسب لما في سورة طه وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعل واحد منهم اما لانهم رضوا به فكأنهم فعلوه واما لان المراد باتخاذه اتخاذهم اياه الها لا صنعه واحداثه ألم يروا انه لا يكلمهم استئناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها اى ألم يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى اتخذوه اى فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اى واضعين للاشياء في غير مواضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرار اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم اى ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اى تبينوا الحيث تيقنوا بذلك حتى كأنهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كأنه سابق على الرؤية قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تتقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما في قوله تعالى

لنكونن من الخاسرين لجواب القسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان
بعد ما رجع موسى عم بعد رجوعه من الميقات اريد بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى
غضبان اسفا حالان من موسى عم او الثاني من المستكن في غضبان والأسف الشديد الغضب
وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم
العجل بعد ما رايتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من حملكم
على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلف ان
يسير بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او بئسما قمتم مقامي لم
تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ
عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعن افعصيت امري ويجوز
ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخليفة ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة
مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها
من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر
اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي
كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين
روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت
ستة اسباعها التي كان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام
بشعر رأسه عليهما السلام يجره اليه حال من ضمير اخذ فعله عم توهما انه
قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه عليهما السلام بثلث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب
الى بني اسرائيل قال ابن ام اي هرون مخاطبا لموسى عم بحذف حرف النداء وتخصيص الام
بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست
فيه المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء
وقراءة الفتح لزيادة التخفيف او لتشبيهه بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا
يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني
وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء اي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي
ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او النسبة الى التقصير وهذا ويؤيد

على سائر كوهم وراءهم من قومهم فاختار عليه السلام من كل سبط ستة فزاد اثنان
فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال عم ان لمن قعد منكم اجر من خرج فقعد كالب ويوشع
وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سيناء فلما دنوا
من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره
وينهاه حيثما شاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة مما اجترؤوا عليه من طلب
الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عم وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم لن نؤمن
لك لن نصدقك في ان الامر بما سمعنا من الامر بقتل انفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا
رؤيته تعالى على سماع كلامه قياسا فاسدا الجلي شاهد موسى عم تلك الحالة الهائلة قال رب
لو شئت اهلكتهم من قبل اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا
اصرارهم عليها واياي ايضا حين طلبت منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا
اراد به عم تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة
مما يرتبط العتيد ويستجلب المزيد يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيتك
اياه فحيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائم فلا غرو في ان تعفو عنا هذه الجريمة ايضا وحمل
الكلام على التمني يأباه قوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي الذين لا يعلمون تفاصيل
شؤونك ولا يثبتون في المداحض والهمزة اما للانكار ودفع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل
كما قاله ابن الانباري او للاستعطاف كما قاله المبرد اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك استئناف
مقرر لما قبله واعتذار عما صدر عنهم ابتداء عن غلطهم اي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها
ما قالوا من العظيمة الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك
ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك بما يبتني للقياس الفاسد وقوله تعالى تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء
اما استئناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا
بها اي تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته تعالى
الى الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه انت ولينا اي القائم بامورنا الدنيوية
والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غير ما قارفناه من المعاصي وانعكاس الترتيب الاعلام
على ما قبله من الولاية كانه قيل فمن شأن المولى المغفرة والرحمة وقيل ان الداعة عليه السلام

على ان يقول ان هي الا فتنتك لها جراءة عظيمة فطلب من الله ان يغفر لها والتجاوز عنها وارحمنا
بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وأنت خير الغافرين اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من
الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام واكتب لنا اي عيّن لنا وقيل اوجب
وحقق واثبت في هذه الدنيا حسنة اي نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رض
اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة وفي الآخرة اي واكتب لنا فيها الحسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة
إنا هدنا إليك اي تبنا وانبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاد
يهيد اذا حركه وامالة ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك
ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة
ضعيفة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب
قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى
انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع ههنا من طلب
الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة
ماتوا جميعا فاخذ موسى عم يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين
مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عم فبكى فكشفها الله تعالى عنهم قال استئناف وقع
جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عم فقيل قال
عذابي اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن موسى عم
دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة حسنة عارية
عن المشقة والشدة فانه في قتل انفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فاجابه تعالى بان عذابي شأنه
ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهم ممن تناولته مشيتي ولذلك جعلت
توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء اي شأنها ان تسع في الدنيا المؤمن و
الكافر بل كل ما يدخل تحت الشيئية من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن
العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة
الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فمقتضى معاصي العباد والمشية معتبرة
في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا ترى الى قوله تعالى فسأكتبها
اي اثبتها واعينها فانه متفرع على اعتبار المشية كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة

وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم لما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله صلعم
وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة غير مختصة
بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر
الرسل عم باقوامهم وارسال موسى عم الى فرعون وملائه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب
العالمين وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال
بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التورية فمختص ببني اسرائيل جميعا حال من الضمير في
اليكم الذي له ملك السموات والأرض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه
صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه ذاته في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى
لا إله إلا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى يحيي ويميت
لزيادة تقرير الوهيته والفاء في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر
من رسالته عم وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات الى الغيبة للمبالغة
في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله تعالى النبي الامي لمدحه عليه السلام
بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى الذي يؤمن بالله وكلماته
اي ما انزل اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به
والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ
وكلمته على ارادة الجنس او القرآن تنبيها على ان المأمور به هو الايمان به عليه السلام من حيث
انزل عليه القرآن لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها عيسى عم تعريضا باليهود وتنبيها على
ان من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه واتبعوه اي في كل ما يأتي وما يذر من امور الدين
لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما اي رجاء لاهتدائكم الى المطلوب او راجين له وفي
تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر
على الغي والضلالة ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يتوهم من تخصيص كتبة الرحمة و
التقوى والايمان بالآيات بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم موسى عم
من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم أمة يهدون بالحق اي الناس
اي ملتبسين به او يهدونهم بكلمة الحق وبه يعدلون اي بالحق اي في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع

في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويأباه انه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبياء عليهم السلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ مني عليه السلام فرد محمد على موسى السلام عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا والاشعار بتخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه السلام مع ان منهم من لعن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد وقطعناهم اي قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى اثنتي عشرة ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث للحمل على الامة او القطعة اي صيرناهم اثنتي عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اي فرقناهم معدودين بهذا العدد وقوله تعالى اسباطا بدل منه ولذلك جمع او مميز له على ان كل واحد من اثنتي عشرة قطعة اسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا لمجرد استسقائهم اياه عليه السلام بل باستسقائه عليه السلام لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر مفسرة فانبجست عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فضرب فانبجست منشر بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كانه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب كما في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط واما ما قيل من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجلالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها قد علم كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم اي عينهم الخاصة بهم وظللنا عليهم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن

هو الا وبالحيتان عن عدوانهم ادخل في التوبيخ والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتيادها احوالهم في عدم التعرض يوم السبت ظرف لتأتيهم اي تأتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا دنا واشرف وهو حال من حيتانهم اي تأتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت لا تأتيهم كما كانت تأتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تأتيهم يوم لا يسبتون لان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم اي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجيب منها بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل ما تأتيهم يوم سبتهم فالجملة بعده حينئذ استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات امة منهم اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكر رجاء للنفع والتأثير مبالغة في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا

دون الاستيصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم في الآخرة لعدم اقلاعهم عما
كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون في الدنيا ومعذبون
في الآخرة واختيار صيغة اسم الفاعل مع انكشاف الاهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما
وتقررهما البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا للقوم او
سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بت
القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة
اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه **قالوا** اي الوعاظ **معذرة
الى ربكم** اي نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر قولهم لم تعظون او
نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي موعظتنا
معذرة اليه تعالى حتى لا ننسب الى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين
نوع تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على معذرة اي ورجاء لان يتقوا بعض التقاة
وهذا صريح في ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب **فلما
نسوا ما ذكروا به** اي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء واعرضوا عنه اعراضا
كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ اصلا وهم المعتدون
المذكوران واخراج الجائهم مخرج الجواب الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع
لاهلاكهم لما ان ما جزاء الشرط نسيان الناسي والتذكر كانه قيل فلما ذكر المذكورون ولم يتذكر
المعتدون انجينا الاولين واخذنا الآخرين واما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر من المسارعة
الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في التاخير من نوع طول بالاعداء
ومخالفة الامر **بعذاب بئيس** اي شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد
وقرئ بئيس على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبئس على تخفيف العين
ونقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيس كريس
على قلب همزة بئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وتنكير العذاب
للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما
معنى اي اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة
وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة له

في الدنيا اي يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه **الم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب** اي الميثاق الوارد في الكتاب
عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول
بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب **ودرسوا ما فيه**
عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض
ما فعل هؤلاء **افلا تعقلون** فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب
بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ
اي يتمسكون به في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه
ماكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا
موافقا لقوله تعالى **واقاموا الصلوة** ولعل التغيير في المشهور للدلالة على ان التمسك
بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر
من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون
اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى **انا لا نضيع اجر المصلحين** والرابط اما العموم
المحذوف كما هو راي جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو راي الكوفيين
فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى فان الجنة هي المأوى اي مأواهم وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب اي ابوابها
واما العموم في المصلحين فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف
والتقدير والذين يمسكون بالكتاب ماجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما قبله
اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم اي سقيفة
وهي كل ما اظلك اي تيقنوا ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو
ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم
ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها
والا ليقعن عليكم اي وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب
بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي
بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين

وإذ أخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ يعتدون مسوق للاحتجاج
على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير
ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر
بيانه مرارا اي واذكر لهم اخذ ربك من بني آدم المراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان
نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا
وايثار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الانباء عن الاجتباء
والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من
التمهيد للاستفهام الآتي واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف وقوله تعالى من ظهورهم
بدل من بني آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن ومن في
الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل غب الاجمال
وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات
وقوله تعالى ذريتهم مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه
ولمراعاة اصالته ومنشائيته ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد
اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما
اندرج اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه
من بدائع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل وأشهدهم على أنفسهم
اي اشهد كل واحد من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم
على انفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على الاختصاص
وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى ألست بربكم على ارادة القول اي قائلا الست بربكم
ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شأن من شؤونكم
فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى قالوا استئناف مبني على
سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا
بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى
اياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس
المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث

او بلعام بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو امية بن ابي الصلت
وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول
فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود وهناتهم
فانسلخ منها اي من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله اصلا او خرج منها بالكلية
بان كفر بها ونبذها وراء ظهره وايا ما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط
خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للآيات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال
فأتبعه الشيطان اي تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال
وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة
الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على
موسى عليه السلام فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويروى ان التيه
كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عليهم كما مر في
سورة المائدة ولو شئنا كلام مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات
ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون
الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه لرفعناه اي الى المنازل العالية للابرار العالمين
بتلك الآيات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلا فانه مناف
للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدي
الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى بها اي بسبب تلك الآيات بان يعمل بموجبها
فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى
منوط بذلك البتة حسبما جرت العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في الاستدراك بان اسند
ما يؤدي الى نقيض التالي اليه حيث قيل ولكنه أخلد إلى الأرض مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق
عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تعالى كأنه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب
تلك الآيات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فتركناه كان من الغاوين
ما ذكر في الاخير تعويلا على اشعار المذكور بالمنطوي كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له
الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الرفع مراد له تعالى
بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومبادئها من نعمه تعالى

وتفضلاته وان نقيصه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية له سبحانه
كما تبين في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر في الآية المذكورة وهو السر في جريان السنة
القرآنية على اسناد الخير اليه تعالى واضافة الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين
ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة
والمعنى ولكنه آثر الدنيا الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة
واتبع هواه مرضاعن تلك الآيات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى
ذلك اشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله
واذلها حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي فحالته التي هي مثل في السوء كصفته في
ارذل احواله وهي حال دوام اللهث في حالتي التعب والراحة فكأنه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه
في الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب للايذان
بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل احد
ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو
ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء زجرته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلاب
طبع لا تقدر على نفض الهواء المسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها
بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب
والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه
لا محل لها من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجها من حقيقة الشرط وتحولها الى معنى
التسوية حسب تحول الاستفهام من المتناقضين اليه في مثل قوله تعالى أأنذرتهم ام لم تنذرهم كأنه قيل
لاهثا في الحالتين واياما كان فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال
واضطرام القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة
مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث
كالكلب الى ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الخسة والدناءة اي ذلك المثل السيء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
وهم اليهود حيث اولوا في التوراة ما اولوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المجيد وما فيه فصدقوه

شيئا من الحسرات فيندرج في الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم
آذان لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات فيندرج فيها الآيات التنزيلية اندراجا اوليا واعادة الخبر
في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها
لتقرير سوء حالهم وفي اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم
ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من
الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال
اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام اي في انتفاء الشعور على الوجه
المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها
تدرك ما من شأنها ان تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع
كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون
الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه
وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن آدم
اولئك المنعوتون بما مر من مثلية الانعام والشرية منها هم الغافلون الكاملون في
الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شؤون الله
عز وجل ولا من شؤون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو السميع العليم
اصنامهم التي هي من اخس مخلوقاته تعالى ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى
وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور وما لا يليق به اثر
بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تأنيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء
واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا
الذين يلحدون في اسمائه والالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ
يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شأنها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم
معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به
الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة
وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة

كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء
اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان
يطلقوها على غيره تعالى كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا
اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار
في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف
وليس المراد بالترك الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا
بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر
من قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون فانه استيناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ
من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم
فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا
الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم ومن خلقنا امة يهدون بالحق
وبه يعدلون بيان اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق
ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في
تفسير قوله تعالى ومن الناس الخ اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون
الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم
ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها
ومن قوم موسى امة الآية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروي لا تزال من
امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله وروي لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم
ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على
نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا
بآياتنا شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به
على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة
الآيات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا بآياتنا التي هي
معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا
فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء

المذكورة بجلائل المصنوعات ودون دقائقها والمعنى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما يطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى
وبسائر شؤونه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لا تحادهما في المدلول فان كل فرد
من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد
وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها
ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشان عسى ان يكون الشان
قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل
هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما واياما كان فمناط الانكار والتوبيخ تأخيرهم للنظر والتأمل اي لعلهم يموتون
عما قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات
القرآنية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة
انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل فبأي حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال ايمانهم رأسا
ونفي له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر والفاء متعلقة بيؤمنون
والضمير بعده للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا او لتأويلها
بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من
احواله عليه السلام واحوال المصنوعات فبأي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية
كلا وهيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به
وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التأمل فيما ذكر
كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون
بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم والمعنى
فبأي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف
اي فبأي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى من يضلل الله
فلا هادي له استيناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى ويذرهم
في طغيانهم بالياء والرفع على الاستيناف اي وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة
على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل
من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد روي الجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ

وقوله تعالى يعمهون اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل يسألونك عن الساعة استيناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدا او الفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى حيث يليها كلاهما قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من اوى الى لان البعض اوى الى الكل متساند اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدا مؤخر اي متى ارساؤها اي اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي تعليق السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب ايضا حيث قيل قل انما علمها اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل عند ربي اي علمها بالاعتبار المذكور ولم يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عليه السلام للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استاثر به بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي تسألونني عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احدا من المخلوقين فيتوسط في

خبر التفخيم شان المبتدا اي هو ذلك العظيم الشان الذي خلقكم جميعا وحده من غيران يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته وجعل عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود منها اي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما يروى انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنس هو المؤدي الى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى زوجها مفعوله الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني اي ليستانس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا في مبادي الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم في انشائه تعالى اياهم متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف وفارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله كما يستثقلنه فمرت به اي فمضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت اي صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور انما مقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى آخره دون بعض اصلا وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله اي آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اي مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اي دعواه تعالى في ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمي

وقالا او فائيس لئن آتيتنا صالحا اي ولدا من جنسنا سويا لنكونن نحن ومن تناسل منا من ذريتنا الى يوم الدين من الشاكرين اي الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لا انافي علاقته ماعلقاه به دعاءهما الموضوع لسائر افراد الجنس سببا لكمال ذاتا وصفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها ما لادعاء في حقه متضمن للدعاء في حق الكل مستتبع له كانهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا صالحة وقيل ان ضمير آتيتنا ايضا لهما ولكل من تناسل من ذريتهما والاختبار بان نظم الكل في سلك الدعاء على اصالة باباه مقام المبالغة في الاعتناء بشان ما هما بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور بل مؤكد له واما ما كان فمعنى قوله تعالى فلما آتاهما صالحا لما آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا اي جعل اولادهما له تعالى شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى فيما آتاهما اي فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي شركة او ذوي شرك اي شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة بالمضاف اليه ايضا بسرايته اليه حقيقة او حكما وتتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما في مثل قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود قد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى فلم تقتلون انبياء الله الآية فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في انهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزاما شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر الذي وعداه وعلقاه بذلك بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جنايتهم ببيان انهم تجعلهم المذكور فيهما

وقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حيوة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الآلات التي بها يتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحد من هذه الآلات الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحد منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلث الباقية وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم ايد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لما ذكر من الازاء والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد يأخذون بها ما يريدون اخذه وتأخير هذا عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها مع ان الكل سواء في انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفاء المشي والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الاذن واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دونه تعالى عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم الخ تقريرا لنفي المماثلة باثبات القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعد ما بين ان شركاءهم لا يقدرون على شيء ما اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم للمحاجة ويكرر عليهم التبكيت والقام الحجر اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون اي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي هو الله الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم

وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون اي تعبدونهم من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امرتكم به لا يستطيعون نصركم اي في امر من الامور او في خصوص الامر المذكور ولا انفسهم ينصرون اذا نابتهم نائبة وان تدعوهم الى الهدى الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا اي دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه تم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك حال من المفعول و الجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظرين اليك ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة من الجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه الى المشركين لتوجيه الخطاب الى كل واحد واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئة المذكورة لا يتسنى للكل معا بل لمن يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن ان الخطاب في قوله تعالى وان تدعوا للمؤمنين على ان تحت الابصار تنبيها على ان ما فيه عليه السلام من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين بعدما عدّ من اباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله امر صلى الله عليه وسلم بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة من قبول الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين من غير مماراة ولا مكافاة قيل لما نزلت سأل رسول الله جبريل عليهما السلام فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وروي انه لما نزلت الآية الكريمة قال

دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال متعلق باذكر اي اذكره في وقت الغدو والعشي وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اي دخل في الاصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى ان الذين عند ربك وهم الملائكة عليهم السلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها حسبما امروا به ويسبحونه اي ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وله يسجدون اي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو اصل الاجر في الجهاد من الثواب الاخروي ويطلق على ما يعطي بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام روي ان المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها أللمهاجرين أم للانصار أم لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فقال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلبت هؤلاء زهادة في الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والاسر فسألوه عليه السلام ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر فان السؤال استعلام لحكم الانفال بقضية كلمة عن لا استعطاء لنفسها كما ينطق به الوجه الاخير

وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص
وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الانفال
غير منتهض فان مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل
قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما امر به
من غير ان يدخل فيه رأي احد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان
اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله والرسول لا ينافي اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم
انما يسألونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق
ايديهم اليها ونحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى
المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل اليه
قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متأخر التزام لتكرار
النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ولا مساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من ان
الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء بهذه الآية فنسخت بقوله تعالى
فان لله خمسه وللرسول لان المراد بالانفال فيما قالوا هو المغنم لا الاول حسبما ينطق به قوله تعالى
واعلموا انما غنمتم من شيء الآية على ان الحق انه لا نسخ حينئذ ايضا حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد
بن اسلم بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها
وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم
على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال المشروطة
يأباه مقام بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال في موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود
ببيان كونه له عليه السلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه قال
قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت ان الله تعالى قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال عليه السلام ليس هذا لي
ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت
الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتني السيف
وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان سؤال
السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المستدأة وحمل ذلك من سعد على

على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم
لما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على
انه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى الانفال لله اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم
ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق
اي والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن
القتال او لعدم الاستعداد وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها
اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها
ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت
كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه
حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم
فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس
الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات
والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه
فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال
يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير
قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم
فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير
ودع العدو فقام عندما غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فاحسنا
ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف
عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله تعالى
فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب
انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون

ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سيروا وابشروا ايها
الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك
حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا
ونساءنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار لا ترى عليهم نصرة الا على
عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال
قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى
بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك
فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على
بركة الله وابشروا فان الله تعالى وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الآن انظر الى مصارع القوم
وروي انه قيل لرسول الله صلعم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس
وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي عليه السلام لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك
ما وعدك **يجادلونك في الحق** الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة استئناف
او حال ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون
وقوله تعالى **بعد ما تبين** منصوب بيجادلونك وما مصدرية اي بعد تبين الحق لهم
باعلامك انهم ينصرون انما توجهوا وبقولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد
ونتاهب وكان ذلك لكراهتهم القتال **كانما يساقون الى الموت** الكاف في محل النصب
على الحالية من الضمير في لكارهون اي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل
وهم ينظرون حال من ضمير يساقون اي والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها
عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تاهبهم وكونهم رجالة
روي انه لم يكن فيهم الا فارسان **واذ يعدكم الله احدى الطائفتين** كلام مستانف مسوق لبيان
جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الرأي والخوف
والجزع واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى
الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت

ولا تقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى
مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا استغناء عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل
امدادكم بهم **الا بشرى لكم** وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة
عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون **ولتطمئن به** اي بالامداد **قلوبكم**
وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد
نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته
في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي
قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب
المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين
ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء
الا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك
لا لشيء آخر **وما النصر** اي حقيقة النصر على الاطلاق **الا من عند الله** اي الا كائن من عنده
عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان
السنة الالهية **ان الله عزيز** لا يغالب في حكمه ولا ينازع في قضيته **حكيم** يفعل كل ما يفعل
حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور
من مقتضيات الحكمة البالغة **اذ يغشيكم النعاس** اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من
اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في
يستغيثون او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى
الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين
هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس مع قوله تعالى **امنة منه** على القراءتين
الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتنعسون
امنا كائنا من الله تعالى لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل آخر كذلك اي فتامنون امنا
كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور
والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى
فانه في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة

وينزل عليكم من السماء ماء تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده يتمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال اى من الحدث الاصغر والاكبر ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى وليربط على قلوبكم اى يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه ويثبت به الاقدام ولا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما ان المأمور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فان الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو عليه السلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كسائر النعم السابقة التي امروا بذكر وقتها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الاقدام فلا بد ح من عود الضمير المجرور في به الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم وقت ايحائه الى الملائكة وامره بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت

ذلكم اى ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الاول للعقاب المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراب الآية الكريمة وجوه اخر مدار الكل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله تعالى اعلم وقرئ بكسر ان على الاستئناف يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشأنه ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف وذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس اليه في غاية البطء وان كانت في نفس الامر على غاية السرعة قال قائلهم وارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج ونصبه اما على انه حال من مفعول لقيتم اى زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه اى يزحفون زحفا واما كونه حالا من فاعله او منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى فلا تولوهم الادبار اذ لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو وبكثرتهم بل توجه العدو اليهم وكثرتهم هو الداعي الى الادبار عادة والمحوج الى النهي عنه وحمله على الاشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا بعيد والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم في العدد او تساووهم ومن يولهم يومئذ اى يوم اللقاء دبره وقرئ بسكون الباء الا متحرفا لقتال اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى اهم من هؤلاء واما بالفر للكر بان يخيل عدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من في الكمين من اصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكائدها او متحيزا الى فئة اى منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رض ان سرية فروا وانا معهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رض فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال رض انا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما على الحالية والا لغو لا عمل لها

وأما على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا فقد باء اي رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره ومن في قوله تعالى من الله متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن منه تعالى ومأواه جهنم اي بدل ما اراد بفراره ان يأوي اليه من مأوى ينجيه من القتل وبئس المصير في ايقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضه ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان بقية احكام الوقعة واحوالها وتقرير ما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك كأنه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير اذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم اي فاعلموا او فأخبركم انكم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد ما قيل يروى انهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فأتاه جبرئيل عليهما السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمي الظاهر على يده عليه السلام من افعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلي بيان حال الرمي نفيا واثباتا اذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمي به في نفسه وتكثره الى حيث اصاب عيني كل احد من اولئك الامة الجمة شيء من ذلك اي وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اي خلقها

اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعدما صدقوه وصاروا كأن لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا اي لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي اي وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم احي قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصي الخ وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن رضه انهم اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الايمان لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اي الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي مناط الحيوة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او هي ماء حيوة القلب كما ان الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة روي انه عليه السلام مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال عم ما منعك من اجابتي قال كنت في الصلوة قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما واختلف فيه فقيل هذا من خصائص دعائه عليه السلام لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع على مكنونات القلوب بما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اي انه عز وجل وان انه اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم

بحسب ادراكاتكم فسارعوا الى الطاعة لله تعالى وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي لا تختص اصابتها من باشر الظلم
منكم بل تعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق
الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى
ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه
لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي
وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله
قال حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف
كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر
باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه
الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم
واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه واذكروا
اذ انتم قليل اي وقت كونكم قليلا في العدد واسناد الجملة الاسمية للايذان باستمرار
ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى مستضعفون خبر ثان او
صفة لقليل وقوله تعالى تخافون ان يتخطفكم الناس خبر ثالث او صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعدما
وصف بالمفرد او حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر
اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم
اي واذكروا وقت تقلكم وذلتكم وبعدانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة
او جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او
بامداد الملائكة [illegible] من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة
[illegible] اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه
اياه اي لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او في الغلول
في الغنائم روي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح
بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم
سعد بن معاذ رض فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله

والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه
والمراد باستغفارهم في قوله تعالى [illegible] اما استغفار من بقي
منهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا
كقوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله
لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى
زال ذلك وكيف لا يعذبون [illegible] اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه
الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون
مشعرة بكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره
في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء
[illegible] من الشرك الذي لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه
وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد بالاكثر الكل كما يراد بالقلة العدم
[illegible] اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء اي
صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا [illegible] اي تصفيقا تفعلة من الصدى
او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر لكان
ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته
روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها
ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه
ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب
الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا
[illegible] نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا
اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استأجر
ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب
العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا
ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها
ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم

فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون لا الذين اسلموا ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوته عليه السلام مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم اولئك اشارة الى الخبيث اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ يغفر لكم ونغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا اي الى قتاله فقد مضت سنت الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وقد غير الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنت الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد منهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ بالتاء للخطاب اي بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعائدها محذوف اي الذي اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم

على هذا الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من حاله في علم الله تعالى الهلاك والحيوة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اي لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر اي امر القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر السابق والضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رض لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة صدر الخطاب بحرف النداء

والتنبيه على اظهار كمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة
وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال
فاثبتوا اي للقائهم في مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اي في
تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره
لعلكم تفلحون اي تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه
تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد
ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا
الله ورسوله في كل ما تأتون وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا
ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب للنهي وقيل
عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف
فتفشلوا على النهي اي تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها في
تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون
الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا
على شدائد الحرب ان الله مع الصابرين بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع
من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى
انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بعد ما امروا
بما امروا به من محاسن الاعمال نهوا عن ان يكونوا مثل اهل مكة حين خرجوا
لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة
وذلك انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم
فابوا الا اظهار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة فنهي المؤمنون
ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء مستلزم
للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع
الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط
فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه السلام
بطريق التلوين اي واذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها

كونها جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لا احتج الى ذلك كدأب آل فرعون
في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما حل بهم
من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك
بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم
المهلكة اي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كدأب آل فرعون
المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من قبلهم اي من قبل
آل فرعون من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد
واضرابهم من اهل الكفر والعناد وقوله تعالى كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم الذي فعلوه
لا لدأب آل فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى
فأخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها
المتفرعة عليها وقوله تعالى بذنوبهم لتأكيد ما افادته الفاء من السببية مع الاشارة الى ان لهم
مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم
المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع
ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضي ان آل فرعون ايقنوا ان موسى
نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى بهم عقوبته
كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع انه ليس مما يتصور مداومتهم عليه واعتيادهم
اياه كما هو المعتبر في مدلول الدأب اما لتغليب ما فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل مداومتهم على
ما يوجبه من الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى ان الله قوي
شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك استئناف مسوق
لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع
بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه لا نفس ما حل بهم من العذاب او الانتقام كما قيل فانه مع كونه
معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم
قبل تغيير حالهم وتوهم ان السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من
مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تخيل ان المراد ترتب
عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط هائل وابتعاد عن الحق بمراحل وتهوين لامر الكفر

بآيات الله تعالى واسقاطه لها عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك
اى ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يبتدئ مع قدرته تعالى على ذلك بان الله اى بسبب
انه تعالى لم يك في حد ذاته مغيرا نعمة انعمها اى لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون
بحيث يغير نعمة انعم بها على قوم من الاقوام اى نعمة كانت جلت او هانت حتى يغيروا ما بانفسهم
من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت
احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كداب هؤلاء
الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة من الاوثان وتحزبوا عليهم يبغون لهم الغوائل
فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكن فحذفت
النون تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله الخ داخل معه في
حيز التعليل اى وبسبب ان الله تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال
والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله
بكسر الهمزة فالجملة حينئذ استيناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى كداب آل فرعون والذين من قبلهم
في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى حتى تغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كداب آل فرعون
اى كتغييرهم على ان دابهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الداب وقوله تعالى
كذبوا بآيات ربهم تفسير له بتمامه وقوله تعالى فاهلكناهم اخبار بترتيب العقوبة
عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط قوله تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة
آل عمران حيث جوزوا انتصاب محل الكاف بلن تغني مع ما بينهما من قوله تعالى واولئك هم وقود النار
هذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا اعتبار في توسطها قطعا وقيل
في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف كما قبله فالجملة حينئذ استيناف آخر مسوق لتقرير ما سيق له
الاستيناف الاول بتشبيه دابهم بداب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الداب
في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى
ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية اى داب هؤلاء وشانهم الذي هو عبارة عن التغيير بين
المذكورين كداب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم
تفسير لدابهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير لدابهم الذي فعل بهم من
تغييره تعالى ما بهم من نعمة واما داب قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شان التنزيل

فانبذ اليهم ثم قاتلهم انه ان الله لا يحب الخائنين وهم من خلفهم لما علمت حالهم ولا يحسبن الذين كفروا
اى انفسهم فحذف للتكرير وقوله تعالى سبقوا اى فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم مفعول
ثان ليحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار
على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة المؤمنين بل الغلبة عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة
للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذي يمكن ان يدور في خلدهم
حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول الاول
الموصول المتناول لهم ايضا وقيل هو ان على وان محذوفة من سبقوا وهي مع ما
في حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده
قراءة من قرا انهم سبقوا ونظيره في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا
وقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد الآية قاله الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا تحسب الذين بكسر الباء وبفتحها على حذف النون
الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اى لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم
تعليل للنهي على طريقة الاستيناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل
الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين هاربين وهذا على قراءة
الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص
من ايدي المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمقابلة على ابلغ وجه واكده
كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون وقرئ يعجزون
بالتشديد واعدوا لهم توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان الامور من وظائف الكل كما
ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عليه السلام
اى اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهيئوا لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو
الانسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان
وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعل
تخصيصه عليه السلام اياه بالذكر لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط
اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سميت هي به يقال
ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب

وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للإيذان بفضلها على بقية أفرادها كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام ترهبون به أي تخوفون وقرئ ترهّبون بالتشديد وقرئ تخزون والضمير لما استطعتم أو للإعداد وهو الأنسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل أعدوا أي أعدوا مرهبين به أو من الموصول أو من عائده المحذوف أي أعدوا ما استطعتموه مرهباً به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم أي لا تعرفونهم بأعيانهم أو لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الأنسب بقوله تعالى الله يعلمهم أي لا غيره فإن أعيانهم معلومة لغيره تعالى للإعداد العتاد قل أو جل في سبيل الله الذي أوضحه الجهاد يوف إليكم أي جزاؤه كاملاً وأنتم لا تظلمون بترك الإثابة أو بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع أن الأعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلماً لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه تعالى كما في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبإلى أي إن مالوا للسلم أي للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد وإعتاد العتاد فاجنح لها أي للسلم والتأنيث لحمله على نقيضه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف أن يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد إنه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم والآية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها آية السيف وإن يريدوا أن يخدعوك بإظهار السلم وإبطان الحراب أي فاعلم أن محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذي أيدك بنصره تعليل لكفايته تعالى إياه عليه السلام بطريق الاستئناف فإن تأييده تعالى إياه فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من الوقوع من دلائل تأييده تعالى فيما سيأتي أي هو الذي أيدك بإمداد من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر إلا من عند الله أو بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من المهاجرين والأنصار وألف بين قلوبهم مع ما كان

بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقاً كيف لا وهو ثابت في الأزل وقوله تعالى فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ يكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله أي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والألف الألفين وغلبة العشرين المائتين كما أن قيد الصبر معتبر ههنا وإنما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى والله مع الصابرين فإنه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتأييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع أن مدار الغلبة في الصورتين مجموع الأمرين أعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر وما شرع به كل مع من مستتبعة مدخولها لأصالتهم من حيث إنهم المباشرون للصبر كما مر مراراً ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد والأول أبلغ لما فيه من بيان أن ما يذكر سنة مطردة فيما بين الأنبياء عليهم السلام أي ما صح وما استقام لنبي من الأنبياء عليهم السلام أن يكون له أسرى وقرئ بتأنيث الفعل وأسارى أيضاً حتى يثخن في الأرض أي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي أهله من أثخنه المرض والجرح إذا أثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح وأصل الثخانة الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استئناف مسوق للعتاب أي تريدون حطامها بأخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الآخرة أي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها أو يريد سبب نيل الآخرة من إعزاز دينه وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على إضمار المضاف كما في قوله أكل امرئ تحسبين امرأً ونار توقد بالليل ناراً والله عزيز يغلب أولياءه على أعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما أمر بالإثخان ونهى عن أخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فإما منا بعد وإما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمسلمين روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بسبعين أسيراً فيهم العباس وعقيل بن أبي

فاستشارهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان

لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي واما ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا يرفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعى عليهم من اخذ الفداء **لمسكم** اي لاصابكم **فيما اخذتم** اي لاجل ما اخذتم من الفداء **عذاب عظيم** لا يقادر قدره **فكلوا مما غنمتم** روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء للترتيب على سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه **حلالا** حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته الترغيب في اكلها وقوله تعالى **طيبا** صفة لحلالا مفيدة لتأكيد الترغيب **واتقوا الله** اي في مخالفة امره ونهيه **ان الله غفور رحيم** فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه

يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى اي في ملككم كأن ايديكم قابضة عليهم

سورة التوبة

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يأبى مقامه التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة رحمه الله لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من الاختلاف في ذلك على ان ذلك ينزع الى القول بان التسمية ليست من القرآن وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو رأي من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح من المذهب انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وان لا مدخل لرأي احد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا ريب في عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع في الاستقلال اشتباه او اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين او لما ذكرنا لا سبيل الى الاول والا لبينه صلى الله عليه وسلم لتحقق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد ادلة الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزولهما فحيث لم يبينه عليه السلام تعين الثاني لان عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم

براءة خبر مبتدأ محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اي اسمعوا براءة **ومن** في قوله تعالى عز وجل **من الله ورسوله** ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها ليفيدها زيادة تفخيم وتهويل اي هذه براءة مبتدأة من جهة الله ورسوله واصلة **الى الذين عاهدتم من المشركين** وانما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالى ان الله بريء من المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فانه منبئ عنه

انباءً ظاهرًا واحترازًا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدأ لتخصصها بالصفة وخبرها الى الذين
والذي تقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطبين فانها
ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها وتجعل
المقصود بالذات والعمدة في الاخبار شيئا آخر هو وصولها الى المعاهدين وانما الحقيق بان يعتني
بافادته حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب
بثبوتها لموصوفاتها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له ان تكون صفات
كما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على ان الاصل في تحريك الساكن بالكسر
ولكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب
في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق
الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين و
امهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا وانما نسبت البراءة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها
للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة
مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف
على رأي المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق عن التعرض
للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لانه امر كسائر الاوامر الجارية على حسب حكمة تقتضيها
وداعية تستدعيها تترتب عليها آثارها من غير توقف على شيء اصلا واشتراك المسلمين في
حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل في
اتمامها او في ترتب احكامها عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية
لا تتحصل في نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجوه مخصوصة
اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه في شأنها هو الاذن فيها
وانما الذي يباشرها ويتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد
لا بالاذن فيه فنسبت كل واحدة منهما الى من هو اصل فيها على ان في ذلك تفخيما لشأن
البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان
وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقص والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا

او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم فان
تبتم من الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد
والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المذيلة بالوعيد الشديد المؤذن
بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم فهو اي فالتوب خير لكم في الدارين وان توليتم
عن التوبة او ثبتم على التولي من الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله
غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول
صلى الله عليه وسلم لان البشارة وان كانت بطريق التهكم انما تليق بمن يقف
على الاسرار الالهية بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك من نبذ العهد
الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين
عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم
عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله الخ لانه ليس باجنبي
بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كانه قيل واعلموها وقيل هو استثناء متصل
من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله
استثناء من الثاني يأباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي
تولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا
من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا
عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم
يظاهروا اي لم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة
عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي ادوه
اليهم كاملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب للناكثين و
لا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضي الله عنه بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر
فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة
حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك
وان كان المعاهد مشركا فاذا انسلخ اي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع
بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم

وانفصلت عما كانت مشتملة عليه سارية له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه
انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اي
دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباساً منه الى مضي نصفه ثم نسلخه عن انفسنا
جزءاً فجزءاً حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله
كفى قاتلاً سلخي الشهور واهلالي وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل
عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين
فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر
كانت حرزاً لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها
والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها
بالحرمة تاكيداً لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء
بشانها او هي مع ما فهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير
الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين في قوله تعالى الناكثين خاصة
فلا يكون قتال الباقين مفهوماً من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثاني مفهوماً من العبارة
الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال شيئاً فشيئاً لا دفعة واحدة فكانه قيل
فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة لا يساعده
النظم الكريم واما انه يستدعي بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد
لا لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه رجم بالغيب لانه ان اريد
ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا في قوله تعالى
قل للذين كفروا الخ ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان
وسورة التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع وان اريد ما في سورة البقرة فانه ايضاً نزل
قبل الفتح كما يعرب عنه ما قبله من قوله اخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك
يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف في الباب
من غير حاجة الى كون سنده منقولاً الينا وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف
لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي اسروهم
والاخيذ الاسير اي قيدوهم وامنعوهم من التقلب في البلاد قال ابن عباس

على الظرفية بتقدير المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة
المحل على الظرفية الزمانية اي اي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم او مرفوعة على الابتداء
والعائد محذوف اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء متصل
محله النصب على الاصل او الجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهود ولا يخالف
حكم الامر بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي وقت بوقتها الاستقامة
المامور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار
الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح ههنا
بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبراً قطعاً وهو تقييد الاتمام المامور به ببقائهم على ما كانوا
عليه من الوفاء ان الله يحب المتقين تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب
العهد من احكام التقوى كما مر تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين عهد حقيق
بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم
على العهد فكلا لان ما ذكر بصدد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد
لا انه شيء يستدعيه وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد لتاكيدهما وتمهيد تعداد
العلل الموجبة لهما لاخلال تخلل ما في البين بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر
للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لوروده ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوماً
كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب فانه على صحته
لا ترجحه اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله وان يظهروا عليكم
وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اي لم يراعوا في شانكم واصل الرقوب
النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه
كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيها الا ولا ذمة اي حلفاً وقيل قرابة
ولا عهداً او حقاً يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب
مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها
المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من قال علام نقبل منهم فدية وهم
لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا وقيل الال من اسماء الله تعالى عز وعلا اي لا يرعوا حق الله
وقيل الجوار ومآله الحلف لانهم اذا تحالفوا او تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه

تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهمًا للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شئونهم الجلية
والخفية بطريق الاستئناف وبيّن انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء في شيء
وانما يظهرونه مداهنة لاجهادنة فقيل يرضونكم بافواههم حيث يظهرون الوفاء
والمصافاة ويعدون لكم بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند
ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ
يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم وتأبى قلوبهم ما يفيده كلامهم واكثرهم
فاسقون خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم
مروة رادعة ولا عقيدة وازعة لا يتيسرون كما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف
عما يجر احدوثة السوء اشتروا بآيات الله بآياته الآخرة بالايفاء بالعهود والاستقامة
في كل امر او بجميع آياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا اي تركوها واخذوا بدلها ثمنا قليلا
اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواءهم وشهواتهم التي اتبعوها او ما انفقه ابو سفيان
من الطعام وصرفه الى الاعراب اي عدلوا ونكبوا من صد صدودا او صرفوا غيرهم
من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك سبيله اي الدين الحق الذي
لا محيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه
انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف
وقد جوّز ان يكون كلمة ساء على اصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول
محذوف اي ساءهم الذي يعملونه او عملهم وقوله عز وعلا لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة
نعي عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا في اليهود
او في الاعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله تعالى يعملون
او دليل على ما هو المخصوص بالذم فيشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره
واولئك الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى
من الظلم والشرارة فإن تابوا اي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء للايذان
بان تقريعهم بما نعي عليهم من مساوي اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة اي التزموهما وعزموا على اقامتهما فإخوانكم اي فهم اخوانكم وقوله تعالى في الدين
متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان

ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنه
هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم
بما كابدوا من المكاره والمكائد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان
اخباره عز وجل بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستأنف ينبئ
عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة
فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة
في جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لتقليل شوكتهم والانتقام منهم
فهو سبب للتدبر في امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي ولا اختلاف في مرجعه بشيئة غير السبك
والله تعالى عليم اي بأثار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة
لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يأمر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جيء
بها للدلالة على الانتقال عن التوبيخ السابق الى آخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكاري
توبيخ لهم على الحسبان المذكور اي بل احسبتم ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد
ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب اما لمن شق عليهم القتال من المؤمنين او للمنافقين
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي
العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني اولو شم رائحة الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا
اي ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما في لما من
التوقع منبه على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى ان
المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين
لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في
حيز الصلة او حال من فاعله اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة اي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الاسرار الخفية
من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقي على حاله او مفعول ثان له ان
جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون اي بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ما
يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا ... او حال من فاعله او من مفعوله والمعنى

مسلم والحال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ما كان للمشركين اي ما صح وما استقام لهم على
معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي
ما وقع وما تحقق لهم ان يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله اي المسجد الحرام وانما جمع
لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامرها او لان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات
مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد
وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس
وبابها انهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده
القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا من المسجد الحرام
ولا يتجرؤون بذلك على انه مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود
شاهدين على انفسهم بالكفر اي باظهار آثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت
والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار
وكما نقل عن الحسن وهو حال من الضمير في يعمروا اي محال ان يكون ما سموه عمارة عمارة
بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة
في شيء واما ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة
عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس بمعرب عن كنه المرام فان عدم استقامة الجمع
بين المتنافيين انما يستدعي انتفاء احدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود
روي ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضي
يوبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس
تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا او لكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام
ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك الذين يدعون عمارة المسجد وما
يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من
الكفر فصارت هباء منثورا وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية
للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة
وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة نفي استتباع الثواب
والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب انما يعمر مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع

في الرد عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى والجملة استئناف
لتقرير الانكار المذكور وتأكيده او حال من مفعولي الجعل والرابط هو الضمير كأنه قيل
أسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله تعالى والله لا يهدي القوم
الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في
هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل
منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
استئناف لمراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة
الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لا انه اعتبر بطريق
التدارك امر لم يعتبر فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجميلة اعظم
درجة عند الله اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان
وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك اي
المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على
بعد منزلتهم في الرفعة هم الفائزون المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق
كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية
والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد روي ان عليا رضي قال للعباس رضي الله عنه
بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست
في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا
تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروي النعمان
بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد
ان اسقي الحاج وقال آخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد
في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم
اهل السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر

وجاهد في سبيله او اجعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب
المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار
التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به
ايضا تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال
التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر
وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به
عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر
لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم عموما والتعرض في قوله تعالى واولئك هم الفائزون
بالنسبة الى درجة الفريق الثاني او الى الفوز المطلق او على كل تقدير والله اعلم يبشرهم
وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير وجنات عالية
لهم فيها في تلك الجنات نعيم مقيم اي لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية
تأكيد للمبشر به وتربية له خالدين فيها اي في الجنات ابدا تأكيد للخلود لزيادة
توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده
لاجور الدنيا او للاعمال التي في مقابلته والجملة استئناف وقع تعليلا لما سبق
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين
عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد
كما في قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك
مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا
ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا و
خربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه
او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم
في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن موالاتهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله
حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر
اي اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق

وماكان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني بما وعدتني
وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب
الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك
قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله اي رحمته التي تسكن بها القلوب
وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت
حاصلة له عليه السلام قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار
بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا
مع النبي صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في
الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال وانزل جنودا لم تروها
اي بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق
فنظر النبي عليه السلام الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب
فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت عيناه ثم قال
عليه السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف
وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر الفا وفي قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا
الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم
بذلك والقاء الرعب في قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين
يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء
تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم مما ذكر
جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ان يتوب عليهم
منهم لحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي
رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان ناسا منهم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا
واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل
والغنم ما لا يحصى فقال النبي عليه السلام ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا

اما ذراريكم ونساؤكم واما اموالكم قالوا اما اذا خيرتنا بين الاحساب فنحن نختار ابناءنا ونساءنا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام انا لا ندري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا

يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس **فلا يقربوا المسجد الحرام** تفريع على نجاستهم وانما نهى عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل **بعد عامهم هذا** فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك **وان خفتم عيلة** اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حالا عائلة **فسوف يغنيكم الله من فضله** من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض **ان شاء** ان يغنيكم

...فانه يزعم ان التابوت نزل فوضعوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا **وقالت النصارى المسيح ابن الله** هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها **ذلك** اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة **قولهم بافواههم** اما تاكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج **يضاهئون** اي في الكفر والشناعة وقرئ بغير همز **قول الذين كفروا** اي يضاهي قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا **من قبل** اي من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد في القول حتى يتاتى التشبيه وجعله بين قولي الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه زيادة وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى **قاتلهم الله** دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم **انى يؤفكون** كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا **اتخذوا** زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى **احبارهم** وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال الاصمعي لا ادري اهو حبر او حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب **ورهبانهم** وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع اي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل **اربابا من دون الله** بان اطاعوهم في تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان اذ ذاك على دين يسمى الركوسية فرقة من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام اليس يحرمون ما احل الله

فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه فقلت بلى قال فتلك عبادتهم قال الربيع قلت
لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في
كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله
والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه النصارى ربا معبودا بعدما قالوا انه
ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك
بعزير وتأخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له عليه السلام ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة
في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا لانه مختص بالنصارى و
نسبته عليه السلام اياه من حيث دلالتها على مربوبية المنافية للربوبية للايذان بكمال
ركاكة رأيهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة
ما امروا في كتابهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم الشأن هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا
يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك
قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما الطاعة
الرسول عليه السلام وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة لله عز وجل وما
امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح
ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار
والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى
وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به سبحانه لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استيناف
مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة يريدون ان يطفئوا
نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجبة لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل
لكن لما كان الغرض من اطفاء نار لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها
ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والسر في ذلك
انحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة على وحدانيته
وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القرآن العظيم الناطق بذلك اي يريدون ابطال الكتب
ان يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد و
الشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة

الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول
الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم
لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم
او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو معمول لها
لانها مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون
دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله في
اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله
وقوله عز وعلا يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار
او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام
والحركات والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع الا ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم
ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان
والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه
من محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي
قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد
لتفخيم المشار اليه الدين القيم المستقيم دين ابراهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام
وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال
فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة
حتى احدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم
فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم
وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم
الا ان يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الاول انه عليه السلام حصر الطائف وغزا هوازن بحنين في
شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وهو مصدر كف
عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين

أي معكم بالنصر والإمداد فيما تباشرونه من القتال وإنما وضع المظهر موضع المضمر مدحاً لهم
بالتقوى وحثاً للقاصرين عليه وإيذاناً بأنه المدار في النصر وقيل هي بشارة وضمان لهم
بالنصرة بسبب تقواهم إنما النسيء هو مصدر نسأه إذا أخره نسأ ونساء ونسيئاً كمس
مساً ومساساً ومسيساً وقرئ بهن جميعاً وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء والإدغام في
فيها كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص
الأشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر
ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراماً ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب
والسنة أي إنما تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر زيادة في الكفر لأنه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما حلله فهو
كفر آخر مضموم إلى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالاً على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل
من الأفعال على أن الفعل لله سبحانه أي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه وأسبابه
وهو المعنى على القراءة الأولى أيضاً وقيل المضلون حينئذ رؤساؤهم والموصول عبارة عن أتباعهم
وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلل يضلل ونضل بنون العظمة يحلونه أي الشهر المؤخر
من الأعوام ويحرمون مكانه شهراً آخر مما ليس بحرام ويحرمونه أي يحافظون على حرمته
كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار إحلالهم له في العام الماضي أو لإسنادهم له إلى آلهتهم كما سيجيء
عاماً آخر إذا لم يتعلق بتغييره غرض من أغراضهم قال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له
نعيم بن ثعلبة وكان إذا هم الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت
وأنا الذي لا أعاب ولا أجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه أن ينسأهم شهراً يغيرون فيه
فيقول إن صفر العام حرام فإذا قال ذلك حلوا الأوتار ونزعوا الأسنة والأزجة وإن
قال حلال عقدوا الأوتار وشدوا الأزجة وأغاروا وقيل هو جنادة بن عوف
الكناني وكان مطاعاً في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي بأعلى صوته إن
آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس
وعن ابن عباس رضه أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان
تفسير للضلال أو حال من الموصول والعامل عامله ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا
من الأشهر الأربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني أو بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله

بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله تعالى
بأبصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى
ومن ذلك قالوا إن من أنكر صحبة أبي بكر رض فقد كفر لإنكاره كلام الله سبحانه وتعالى فأنزل الله سكينته
أمنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله
شائبة الخوف أصلاً أو على صاحبه وهو المنزعج وأما النبي عم فكان على طمأنينة من أمره
وأيده بجنود لم تروها عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والأحزاب
وحنين وقيل هم الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله
عز وعلا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك أو دعوة الكفر فإن ذلك
الجعل لا يتحقق بمجرد الإنجاء بل بالقتل والأسر ونحو ذلك وكلمة الله أي التوحيد أو دعوة الإسلام
هي العليا لا يدانيها شيء وتغيير الأسلوب للدلالة على أنها في نفسها كذلك لا يتبدل شأنها
ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفاً على
كلمة الذين والله عزيز لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره انفروا تجريد للأمر بالنفور بعد
التوبيخ على تركه والإنكار على المساهلة فيه وقوله تعالى خفافاً وثقالاً حالان من ضمير المخاطبين
أي على أي حال كان من يسر أو عسر حاصلين بأي سبب كان من الصحة والمرض أو الغنى
والفقر أو قلة العيال وكثرتهم أو غير ذلك مما ينتظم مساعدة الأسباب وعدمها بعد الإمكان
والقدرة في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافاً لقلة عيالكم وثقالاً لكثرتها أو خفافاً
من السلاح وثقالاً منه أو ركباناً ومشاة أو شباناً وشيوخاً أو مهازيل وسماناً أو
صحاحاً ومراضاً ليس لتخصيص الأمرين المتقابلين بالإرادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن أم مكتوم
أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال عليه الصلاة والسلام نعم حتى نزل ليس على
الأعمى حرج وعن ابن عباس رض نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية
وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله إيجاب للجهاد بهما إن أمكن وبأحدهما عند إمكانه
وإعواز الآخر حتى إن من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس
يغزي مكانه من حاله على عكس حاله إلى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو إيجاب
للقسم الأول فقط ذلكم أي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان

بنعمه منزلته في الشرف ذلكم خير لكم اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة
والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد ان كنتم تعلمون اي تعلمون الخير علمتم
انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله فبادروا اليه لو كان
صرف للخطاب عنهم وتوجيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات قولا
وفعلا على طريق المباثة وبيانا لازدياد ذمهم وسائر رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه
عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان ذلك غنما سهل المأخذ قريب المنال
وسفرا قاصدا ذا قصد بين القريب والبعيد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة
وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط ولكن بعدت
عليهم الشقة اي المسافة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين
وسيحلفون اي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة
كلامهم والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين لو استطعنا
او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا اي لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة
الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تعالى
لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم
لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله تعالى سيحلفون بالله وتصديق له
والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة
وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت
يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال
عليه الصلوة والسلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من
فاعل لخرجنا جيء به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا
كما في قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اي في مضمون الشرطية
وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا
عفا الله عنك صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه عند استيذان
المستخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم
لحلوا عن الجراح من ترك الاولى والافضل الذي هو التأني والتوقف الى انجلاء الامر

المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فيتوجه النفي الى القيد وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو
وان كان في نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه بادي الامر لكن عامة احوالهم لما كانت منبئة عن
ذلك جعل امرا ظاهرا متعززا وقيل هو الجهاد اي لا يستاذنك المؤمنون في الجهاد كراهة
ان يجاهدوا وانباء على الاستيذان لعلة الرغبة ولو سلم فالذي نفي عن المؤمنين يجب ان يثبت
للمنافقين وظاهر انهم لم يستاذنوا في الجهاد لكراهتهم له بل انما استاذنوا في التخلف
والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب
وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى
انما يستاذنك اي في التخلف مطلقا على الاول او لكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس
والمال انما هو الايمان بهما اذ به يتبين للمؤمنين استبدال الحيوة الابدية والنعيم المقيم بالحيوة الفانية
والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب
وتقرره فهم حال كونهم في ريبهم وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون اي يتحيرون
فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر والتعبير عنه بما لا يخفى حسن موقعه
ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد
قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد وقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا له اي للخروج
في وقته عدة اي اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ
عده بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
اي عدته وقرئ عدة بكسر العين وعده بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي
نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم
للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكانه قيل
ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف
نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما احسن الى زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا
من نفس المقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له
عدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين
فثبطهم اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين

تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود
او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو اذن الرسول عليه السلام لهم في القعود والمراد بالقاعدين
اما المعذورون او غيرهم واياما كان فغير خال عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى
لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم اي ما اورثوكم شيئا من الاشياء الا خبالا
اي فسادا وشرا والاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس كذلك ولاوضعوا
خلالكم اي ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وافساد ذات البين من وضع
البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا
ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ
ولارقصوا من رقصت الناقة اسرعت وارقصتها انا وقرئ ولاوفضوا اي اسرعوا
يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب في قلوبكم و
افساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استئناف وفيكم سماعون لهم اي نمامون
يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اي يطيعونهم والجملة
حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما او مستأنفة ولعلهم لم يكونوا
في كثرة العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما
ولم يكن في خروجهم مصادة المنفعة ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين
ولكن كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا لخلل كلي كره الله انبعاثهم فلم يتسق
اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الاذن في قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمن
خروجهم لهذه المفاسد انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه السلام لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين
من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتسن لهم التمتع
بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الايات النازلة والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم
وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما يأتي منهم فيما سيأتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل
عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين
السامعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك
من قبل اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق بمن معه وقد
تخلف بمن معه عن تبوك ايضا بعدما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل

قدم الظرف على الفعل لافادة التخصيص او حمل الفاء للدلالة على استجابة تعالى للتوكل
عليه كما في قوله تعالى واياي فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المأمور به فاظهار
الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله
تعالى امر المؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة
الامر في قوله عز وجل قل هل تربصون بنا لاستقلال حكم الامر الاول ما تنج وان كان
امر الغائب واتم على الوجه الاول فهي لابراز كمال العناية بشأن المأمور به والاشعار
بما بينه وبين ما امر به اولا من الفرق في السياق والتربص التمكث مع انتظار مجيء
شيء خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التاءين محذوفة اي ما تنتظرون بنا
الا احدى الحسنيين اي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما
النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم في الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام
ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن
نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا
او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا
بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون
الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوءكم قل انفقوا اموالكم في سبيل الله طوعا او كرها
مصدران وقعا موقع الفاعل اي طائعين او كارهين وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى
استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في
سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كأنهم امروا بان يمتحنوا
الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب
قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم
وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اي عاتين
متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم
كفروا بالله وبرسوله استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول نفقاتهم منهم
شيء من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى ولا يأتون الصلوة

إلا وهم كسالى أي لا يأتونها في حال من الأحوال إلا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون إلا وهم كارهون لأنهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تعالى طوعا أي من غير إلزام من جهته عليه السلام لا رغبة أو هو فرضي لتوسيع الدائرة فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فإن ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب ويقاسون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق أنفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله إنهم لمنكم في الدين والإسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون أن يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية ويؤيدونه بالأيمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استئناف مقرر لمضمون ما سبق من أنهم ليسوا من المسلمين وأن التجاءهم إلى الانتماء إليهم إنما هو للتقية اضطرارا حتى إنهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ أي مكانا حصينا يلجؤون إليه من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة وإيثار صيغة الاستقبال في الشرط وإن كان المعنى على المضي لإفادة استمرار عدم الوجدان فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في إفادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه أيضا حسبما يقتضيه المقام فإن معنى قولك لو تحسن إلي لشكرتك أن انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الإحسان لا أنه بسبب انتفاء استمرار الإحسان فإن الشكر يتوقف على وجود الإحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه أو مغارات أي غيرانا وكهوفا يخفون فيها أنفسهم وقرئ بضم الميم من أغار الرجل إذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار إذا دخل الغور أي أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم وأهليهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومفار أو مدخلا أي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الإدخال أي مكانا يدخلون فيه أنفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا أي لصرفوا وجوههم وأقبلوا وقرئ لوالوا أي لالتجؤوا إليه أي إلى أحد ما ذكر وهم يجمحون أي يسرعون بحيث لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه إشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه

قالوا في حقه عليه السلام ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول إنما محمد أذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون هو أذن أي يسمع كل ما قيل من غير أن يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة أمارات الصدق له وبين ما لا يليق به وإنما قالوه لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل أذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يكون المراد أذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ أذن بسكون الذال فيهما وقرئ أذن خير على أنه صفة أو خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه أذن خير لهم أي يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الأدلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما أنه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين أي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الإيمان المشهور وبين الإيمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى أنؤمن لك وقوله تعالى فما آمن لموسى إلا ورحمة عطف على أذن خير أي وهو رحمة بطريق إطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم أي للذين أظهروا الإيمان منكم حيث يقبله منهم لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف أسرارهم ولا يهتك أستارهم وإسناد الإيمان إليهم بصيغة الفعل بعد نسبته إلى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للإيذان بأن إيمانهم أمر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على أنها علة لفعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله بما نقل عنهم من قولهم هو أذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه إشعار بقبول توبتهم كما أفصح عنه قوله تعالى فيما سيأتي فإن يتوبوا يك خيرا لهم لهم بما يجترئون عليه من أذيته عليه السلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول عذاب أليم وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الإسناد

بابّاث العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبر الموصول ما لا يخفى من المبالغة واراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب **يحلفون بالله لكم** الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم اي يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث اذاة النبي صلى الله عليه وسلم واما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار ليرضوكم بذلك واوراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول عم قد قيل عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى ارضائه عليه السلام وانه عم انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما اشير اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اى احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقه عليه السلام في باب الاجلال والاعظام شهيدا ومغيبا واما ما اتوا به من الايمان الفاجرة فانما يرضي بها من انحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجيء الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون اى يحلفون لكم لارضائكم والحال انه تعالى ورسوله احق بالارضاء منكم اي يعرضون عمايهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاءه عليه السلام ارضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور كما في قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق اى كان ذلك لا يقال اي حاجة الى الاستعارة بعد التأويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة لم يتسنّ التأويل لان الضمير لا يتعرض الا لذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما لانه عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف او الى الله على ان المذكور خبر للجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما

ذكر بانها اسند على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده **طائفة بانهم كانوا مجرمين** مصرين على الاجرام وهم غير التائبين او مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه رجل واحد هو يحيى بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره **المنافقون والمنافقات** التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق **بعضهم من بعض** اى متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى **يأمرون بالمنكر** اى بالكفر والمعاصي **وينهون عن المعروف** اى عن الايمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او خبر ثان **ويقبضون ايديهم** اى عن المبرات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح **نسوا الله** اغفلوا ذكره **فنسيهم** فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة **ان المنافقين هم الفاسقون** الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار** اى المجاهرين **نار جهنم خالدين فيها** مقدرين الخلود فيها **هي حسبهم** عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها **ولعنهم الله** اى ابعدهم من رحمته واهانهم وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى **ولهم عذاب مقيم** اي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا او لهم عذاب مقيم معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يأمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم **كالذين من قبلكم** التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية اى انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او في حيز النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم **كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا** تفسير وبيان لشبههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم **فاستمتعوا** تمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس

في التشعب من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا
واشتغاله من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع
الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين
من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخسيسة من الشهوات
الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين
بمشابهتهم اياهم واقتفائهم اثرهم وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين با
اسقاط النون او كالفوج الذي او كالخوض الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف
المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون
حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم مفهومين ضمنا لا صريحا ويؤدي الى خلو تلوين الخطاب
عن الفائدة اذ الظاهر ح اولئكم والخطاب لرسول الله صلى الله عم او لكل من يصلح للخطاب
اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس المراد باعمالهم
المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فان غائلتها غنية عن البيان بل اعمالهم
التي كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها
اثر في الدنيا والآخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما يترتب
على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس ترتبه عليها على طريقة المثوبة
والكرامة بل بطريق الاستدراج واولئك اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين
هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه واسبابه طرا فانه
قد ذهبت رؤس اموالهم التي هي اعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت
فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار
بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران الم ياتهم اي المنافقين نبأ الذين
من قبلهم اي خبرهم الذي له شان وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات
قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من
سجيل وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر

دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها
وتكدرها ليست بالنسبة لادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء
ولنعما قال من قال تالله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا وما من رزقها رغدا ما كان من حق
حر ان يذل بها فكيف وهي متاع يضمحل غدا يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهرين
منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تأخذك
بهم رأفة قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح ومأواهم جهنم جملة مستأنفة
لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم
محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة
لما امر من الامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روي ان رسول الله صلى الله عم اقام
في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عم
فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا
واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا
لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عم فاستحضر فحلف بالله ما قال
فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكذاب وتكذيب الصادق
فنزل وايثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف
وصيغة الجمع في قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بانهم لرضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل
ولقد قالوا كلمة الكفر هي ما حكي آنفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم
اي واظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك
برسول الله صلى الله عم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عم عن راحلته
اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن
اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة
السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون
بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي ابن سلول
وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا اي وما انكروا او ما عابوا او وما وجدوا

يورث تعقيبهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم
كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون
الخيل ولا يحوزون في الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اي
وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم او ما انكروا امرا انكروا العلة من العلل
الا لاغناء الله اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق يك خيرا لهم في الدارين
قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله
لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اي استمروا على ما كانوا
عليه من التولي والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله
عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات
والآخرة بالنار وغيرها من افانين العقاب وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها
وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما نفي بقوله عز وجل من ولي ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة
او المدافعة ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنه
يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره
خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل
ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا
وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه
واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس
بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي فيه الفرائض فقال ما هي الا جزية ما هي الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى
ارى رأيي وذلك قوله عز وجل فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله منه
وتولوا اي عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه
يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل منك

وسبعها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام
الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الآحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية
الغايات اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار
اي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل اي بسبب
انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وعلا
والله لا يهدي القوم الفاسقين فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد
والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة
التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه
فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل
مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك
فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي عليه السلام في استغفاره لهم وهو
عدم يأسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال اذ الممنوع هو الاستغفار
لهم بعد تبين حالهم كما ينبئ عن قوله عز وجل ما كان للنبي الآية اي الذين
خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استئذانهم او خلفهم الله بتثبيطه
اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اي
بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم
يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ خلف
رسول الله فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى
المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له
والعامل اما فرح اي فرحوا لاجل مخالفته عليه السلام بالقعود واما مقعدهم اي فرحوا بالقعود
لاجل مخالفته عليه الصلوة والسلام او على انه حال والعامل احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له
عليه السلام بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه السلام وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله لا ايثارا للدعة والخوض في طاعة الله تعالى فتقابل مع ما في قلوبهم من الكفر
والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق مع رجحان ما من غير ان يبلغ الآخر مرتبة
الكراهية وانما اوثر ما عليه النظم الكريم على ان يقال كرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد

في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس
فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا باقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله
اى لاخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد
او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم
الى ما فرحوا به من القعود وقد جمعوا ثلث خلال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود
وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا
عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم التي ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر
المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار القعود
على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت
القول المأمور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اى لو كانوا يفقهون انها كذلك
او كيف هي او ان مآلهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او لتأثروا بهذا الالزام واما غير
منوي على ان لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اى لو كانوا من اهل الفطانة
والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات
والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن عاجل امرهم
وآجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها
ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء
لا لنفسهما اذ لا يتصور السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية
او الظرفية اى ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة
الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به
خلا ان المقصود افادته في الاول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة
مع الموصوف روي ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم
دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم و
ان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة على الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من
فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا
في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اي

لا شك ان ذلك مغن عن ذكرها استأذنوا فيه في القعود ذرنا نكن مع القاعدين
اى الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا استيناف لبيان سوء صنيعهم وعدم
امتثالهم بكلا الامرين وان لم يردوا الاول صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتي شأنهن
القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم
بسبب ذلك لا يفقهون ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول
والذين آمنوا معه بالله وبما جاء من عنده تعالى وفيه ايذان بان بابهم ليسوا من الايمان
بالله في شيء وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد باستيذانهم في القعود
جاهدوا باموالهم وانفسهم اى ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهد اليه ونهض له
من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان يكفر بها
هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم
بواسطة نعوتهم المذكورة الخيرات اى منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة
في العقبى وقيل الحور لقوله عز قائلا فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة بتخفيف خيرة و
اولئك هم المفلحون اى الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية
عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه لشأنهم وربا بمكانهم اعد الله لهم استيناف لبيان
كونهم مفلحين اى هيأ لهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم
الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم شروع في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي
اهل المدينة والمعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم
ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم
المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه
قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا لجهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم
رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا
فقال عليه السلام سيغنيني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه

وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال من تعذّر بمعنى
اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاء والصاد في المطوعين و
ازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون اي
الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا
ولم يعتذروا واظهر انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا
منهم اي من الاعراب ومن المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب أليم
بالقتل والاسر في الدنيا والنار في الآخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة حرج اي اثم
في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن و
توليهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه
ما على المحسنين من سبيل استئناف مقرر لمضمون ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا
الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على
انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او تعليل لنفي الحرج عنهم اي ما على جنس
المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشير
الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف
على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سيأتي انما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء
وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب
وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه
الصلوة والسلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد
ونعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف
في اتوك باضمار قد وما عامة لما سألوه عليه السلام وغيره مما يحمل عليه عادة وفي
ايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى
كانه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض
اي تسيل شدة من الدمع اي دمعا فان من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو ابلغ

في ان المراد بالاعراض عنهم اما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني
واما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء
ارجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا ومأواهم جهنم اما من تمام
التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي الاجتناب عنهم ومن موجبات ترك استصلاحهم
بترك المعاتبة باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا
تتكلفوا انتم في ذلك جزاء نصب اما على انه مفعول مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي يجزون
جزاء او لمضمون الجملة السابقة فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كانه قيل مجزيون جزاء
بما كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له يحلفون لكم
بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره اي يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم و
تستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم حسبما راموا وساعدتموهم
في ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم عنهم لا يجديهم
نفعا لان الله ساخط عليهم ولا اثر لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللايذان
بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار
بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه واكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر
عن المؤمن وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين من دواعي رضى الله تعالى
قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي
يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب قاله سيبويه
لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي
ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على ما يسكن البوادي ولهذا نسب الى الاعراب
على لفظه فقيل اعرابي قال اهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي
ثم تحذف ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي ويجمع على الاعراب
والاعاريب اي اصحاب البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوة
قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب

وصف الجنس بوصف بعض افراده كما في قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ ليس
كلهم كما ذكر على ما يحيط به خبرا ولجدر ان لا يعلموا اي احق واخلق بان لا يعلموا حدود
ما انزل الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته
ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم باحوال
كل من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب
ومن الاعراب شروع في بيان تشعب جنس الاعراب الى فريقين وعدم انحصارهم
في الفريق المذكور كما تراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء المتنوعة
على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما وحمل الاعراب على الفريق المذكور خاصة
وان ساعده كون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين بعدوا الاشاق من اهل النفاق
دون غيرهم اولا عراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي
من قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن لما فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا
وانما هم من الجنس اي ومن جنس الاعراب الذي نعت بنعت بعض افراده
من يتخذ ما ينفق من المال اي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة
مغرما اي غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى
ليكون له مغنما وانما ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ
من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية
لا باعتبار ذات النفقة اعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر اصل الدائرة
ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دوائر
الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء
دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت ايديهم
بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت
اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها فهي من باب
اضافة الموصوف الى الصفة فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت
لاصفتها كقوله عز وجل ما كان ابوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى
السوء فانما هي اضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ

على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص
بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي
الاعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شأنه لا تعلمهم
بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم
يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع
التهم الى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال
الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك
وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم
او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه عليه السلام
باعيانهم على عدم علمه عليه السلام بعد مجيء هذا النبأ على انه عليه السلام يعلم ان فيهم منافقين
لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل
نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم
المركوزة في ضمائرهم الا من لا تخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر
واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر في
تعليق نفيه بهم وقوله عز شأنه سنعذبهم وعيد لهم لما هم عليه من شنيع الآثام
وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتأكيد مرتين عن ابن عباس رضي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان
فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل واما عذاب
القبر او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها
مغرما بحتا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل
تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز
ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى
ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك
باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم
الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم

وتوعداً وزماناً بسوله سبحانه وتعالى وان تنا شامل لعامة الكفرة وتوعداً وزماناً وان اختلفت طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي ومنهم يعني وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وارتاب بما فيه من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسبما بين من قبل الالوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة فرآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم تعالى عم وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت خلطوا عملاً صالحاً هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في تخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لانه سبب الخلط لا لاستيما على وجه يؤذن بتواتر المختلطين وكون كل منهما مخلوطاً ومخلوطاً به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى وآخر سيئاً فان قولك خلطت الماء باللبن تقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطاً والآخر بكونه مخلوطاً به وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفاً بالوصفين جميعاً وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيئ ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولاً وآخراً او عن الخطيئة التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهماً بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي

في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رض الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحدة على ابلغ وجه وآكده بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة واما الايذان بان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيامة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء بحسبه ان خيراً فخير وان شراً فشر فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجئون من ارجيته وارجأته اي اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شأنهم قال ابن عباس رض هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري فجزعهم واظهارهم الجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فجردوهم والناس في شأنهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذاك فان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي منهم هؤلاء اما معذبين واما متوباً عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله عليم

بأحوالهم حكيم فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم
والذين اتخذوا مسجدا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم
وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ضرارا اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه
مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب
على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا
من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا
مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عم ان يأتيهم فيصلي بهم في مسجدهم
فلما فعل عليه الصلوة والسلام حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا
ونرسل الى رسول الله صلى الله عم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب
ايضا اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عم الفاسق وقد كان
قال لرسول الله صلعم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتل
ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل
الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت
بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه
وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا
ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه عم اتيان المسجد فنزلت عليه
فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم
انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة
تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين وكفرا تقوية
للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا يصلون في مسجد قبا مجتمعين
فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا ويختلف كلمتهم وارصادا اعدادا وانتظارا وترقبا
لمن حارب الله ورسوله وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على
رسول الله صلى الله عم من قبل متعلق باتخذوا اي اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف
حيث كانوا بنوه قبيل غزوة تبوك او بحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد

قاعدة واوهى اساس ولا اشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا وهدمه
ريبة في قلوبهم اي سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه
فظاهر لان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم
من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض
ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما زيد بهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلانه
رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره واحكامه او سبب ريبة في
امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهى اعتقادهم لخفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا
من امرهم بعد البناء اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت
ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين في
ان رسول الله صلى الله عم هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل او يأمر بقتلهم ونهب اموالهم
وقال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم
حزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع من التفعل بحذف احدى التائين اي الا ان تتقطع
قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء
من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات
او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فيسلون عنها واما ما دامت سالمة
فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة
تقطعها عند قتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى
البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عم اي الا ان تقطع قلوبهم بالقتل وقرئ على
البناء للمجهول من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ الى ان تقطع قلوبهم والى ان تقطع قلوبهم على
الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على
الخطاب للرسول صلى الله عم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة يتقطع بها
قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم
حكيم في جميع افعاله التي من زمرتها امره الوارد في حقهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
ترغيب للمؤمنين في الجهاد وبيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على
وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله

واثابة اياهم بمقابلتها الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة
والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة
ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم
ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال
وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم واموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة
مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما
ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده
تعالى وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها
صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط الدلالة على النظم الكريم على ان الوعد
ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التي يستحيل
وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك فيكون العوض الجنة الموعودة بها لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله
استيناف لكن لا لبيان ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في
سبيل الله تعالى ليس باشتراء الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لهما في ذلك بل لبيان
البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كأنه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة
فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله سبحانه وتعريض لهما
للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس
وان المقاتل في سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين
ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل
بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم
بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجد المضاربة ولم يوجد القتل
من احد الجانبين او لم يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير
السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما
مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة
عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم
من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا

قبلها محذوفة حذفا مطردا كما في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روي انه
عليه السلام قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله
فابى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة
خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة
قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي الآيتين
من بعد ما تبين لهم اي للنبي عليه السلام والمؤمنين انهم اي المشركين اصحاب
الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار
ابرهيم لابيه بقوله واغفر لابي اي بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله
بقوله انه كان من الضالين والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى
بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابرهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابرهيم
على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اي
لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه آزر ناشئا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة
وعدها ابرهيم عم اياه اي اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله
ساستغفر لك ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها
اياه كأنه قيل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم
تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اي لابرهيم بان اوحي اليه انه مصر على
الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى
انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن
الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره
ان ابرهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور
على الاذية والمحنة وهو استيناف لبيان ما كان يدعوه عم الى ما صدر عنه من
الاستغفار وفيه ايذان بان ابرهيم عليه السلام كان اواها حليما فلذلك صدر عنه
ما صدر من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره ان يأتسي به في ذلك وتأكيد
لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بانه عليه السلام تبرأ منه بعد التبين وهو في
كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرؤا واما ان الاستغفار

قبل البيان لو كان غير محظور لما استثنى عن الايتساء به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله ليضل قوما
اي ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه بعد اذ
هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا او دلالة ما يتقون اي ما يجب اتقاؤه
من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم
ضلالا ولا يؤاخذون به وكانه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه
دليل على ان الغافل غير مكلف بالاستبداد بمعرفة العقل ان الله بكل شيء عليم
تعليل لما سبق اي انه تعالى عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى البيان فيما لا يستقل
العقل في معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل هنا ان الله له ملك السموات والارض
من غير شريك له فيه يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم
الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبرء منهم رأسا بين لهم
ان الله مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصر الا
الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد
تاب الله على النبي قال ابن عباس رض هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه
والمهاجرين والانصار قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم احد ويوم حنين
وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلعم
لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر
من اوامره في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه وهي حالهم
في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد
تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة
الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن عسرة
من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ
ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من
اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل تلك المراتب من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة
فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى من بعد

لتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون
اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في
كل ما تأتون وتذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي
دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا
وعملا او في كل شأن من الشؤون فيدخل ما ذكر وتوبتهم واناتهم فيكون المراد بهم
هؤلاء الثلثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب
اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن
وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب
كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه صلى الله عليه وسلم
الى الغزو ولا يرغبوا نصب وقد جوز الجزم بانفسهم عن نفسه اي لا يصرفوها عن نفسه
الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال و
الخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام
من وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير ولا نصب اي تعب ما
ولا مخمصة اي مجاعة ما الا ما يستباح عنده المحرمات من مراتبها فان الظماء والنصب
اليسيرين حين لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلو ذلك منه اولى فلا حاجة الى تأكيد
النفي بتكرير كلمة لا وتجويز ان يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع
وقلته فان الظماء اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى
المذكور فتوسيط كلمة لا حينئذ ليس لتأكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها
بالعقبة والاعتداد به في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار
اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يدوسه
ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب او مفعول اي شيئا
ينال من قبلهم الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة
مقبول مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل ونيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب
عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان كاف في ذلك
ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين

اما المبحوث عنهم ووضع المظهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية المأخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا **ولا ينفقون نفقة صغيرة** ولو تمرة او علاقة سوط **ولا كبيرة** كما انفق عثمان رض والترتيب باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتأكيد النفي كما في قوله عز وجل **ولا يقطعون** اي لا يتجاوزون في مسيرهم **واديا** وهو في الاصل كل منفرج من الجبال والآكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق **الا كتب لهم** اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع **ليجزيهم الله** بذلك **احسن ما كانوا يعملون** احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش **فلولا نفر** فهلا نفر **من كل فرقة** اي طائفة كثيرة **منهم** كاهل بلدة او قبيلة عظيمة **طائفة** اي جماعة قليلة **ليتفقهوا في الدين** اي يتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها **ولينذروا قومهم** اي وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم **اذا رجعوا اليهم** وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان **لعلهم يحذرون** ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذر قومها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارهم ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم

وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة **حريص عليكم** في ايمانكم وصلاح حالكم **بالمؤمنين** منكم ومن غيركم **رؤف رحيم** قدم الابلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل **فان تولوا** تلوين للخطاب وتوجيه له الى النبي صلى الله وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك **فقل حسبي الله** فانه يكفيك ويعينك عليهم **لا اله الا هو** استيناف مقرر لمضمون ما قبله **عليه توكلت** فلا ارجو ولا اخاف الا منه **وهو رب العرش العظيم** اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للاصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة الاشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كأنه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت

بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما في
اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على انه
مبتدا خبره قوله عز وجل **آيات الكتاب** وعلى تقدير كون الر مبتدا
فهو مبتدا ثان او بدل من الاول والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم
مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت
الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم ينزل
الكل حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وعلا او في اللوح او باعتبار انه
انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت مسماة
بهذا الاسم وبام القرآن في عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصي اذ ذاك
ولا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القرآن
النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي
يطلق على مجموع ما نزل في كل عصر الا ترى الى ما روي عن جابر رضه انه قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول
ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا اشير الى احدهما قدمه في اللحد فان ما يفهمه الناس
من القرآن في ذلك الوقت ويطلقون عليه انما هو المجموع النازل
حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه او في اللوح ولا لنزوله
جملة الى السماء الدنيا **الحكيم** ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة
ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة
المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة
عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما تضمنها من الآي فانها في حكم الحاضر لا سيما
بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقرآءتها وينبغي ان يكون
المشار اليه كل واحد منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون
للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف اليه حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بما
للمضاف اليه من صفات الكمال ولان في بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في
بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان كله

مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق
قال الكافرون هم المتعجبون وايرادهم ههنا بعنوان الكفر لما لا حاجة الى ذكر سببه و
ترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار او لكونه استينافا
مبنيا على السؤال كأنه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد
او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد **إن هذا** يعنون به
ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير
لسحر مبين اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول الله صلعم وقرئ ما هذا
الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق
البشر نازل من جناب خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا
في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج وداب المفحم المحجوج **إن ربكم الله** كلام مستأنف
سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة غب الاشارة اليه
بالانكار والتعجيب وتحقيق حقية ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالي
على بعض ما يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير
وترشدهم الى معرفتها بادنى تذكير لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون وقوله تعالى
قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله تعالى ومن يدبر الامر فسيقولون الله
اي ان ربكم ومالك امركم الذي تتعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير
وتعدون ما اوحي اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو **الله الذي خلق السموات
والارض** وما فيهما من اصول الكائنات **في ستة ايام** اي في ستة اوقات
او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون
الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا
مع القدرة التامة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار و
حث لهم على التأني في الاحوال والاطوار واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر
قد استأثر بعلمه ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار
صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة

الآثار والاحكام ثم استوى على العرش العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام
سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الاوامر والتدابير منه تنزل وقيل
هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه واستواء امره وعن اصحابنا
ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى على العرش
على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه
بعد بيان عظمة شانه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام يدبر الامر
التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير على
الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك
من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى وانحاء لا تكاد تحصى من
المناسبات والمباينات في الذوات والصفات والازمنة والاوقات اي
يقدر ما ذكر من امر الكائنات التي ما تجملة منه من امر البعث والوحي فرد من جملته
وشعبة من دوحته ويهيئ اسباب كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة
ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة و
يستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونه
خبرا ثانيا لان او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر
الاستواء على العرش المنبئ عن اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع
للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله عز وجل ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه
في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد الشفيع
بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم
من امر الله وهذا بعد قوله تعالى يدبر الامر جار مجرى قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه
عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء استثناء مفرغ من
اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني على الحكمة
الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق
بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم

الزبانى الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع
سعد السعود سعد الاخبية فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشا
وهو بطن الحوت لتعلموا اما بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس
وغروبها او باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل عدد السنين التي يتعلق بها غرض
علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي حساب الاوقات من الاشهر
والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة وتخصيص العدد
بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب
الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصاء ما له كمية انفصالية
بتكرر امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل
كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة
مثلا والعدد مجرد احصائه بتكرر امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك
ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامي مراتب
الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات
والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر في
الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسام خاصة واحكام مستقلة
علق بها الحساب المنبئ عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب
وانما الذي يتعلق به العدد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك
الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد
منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب
بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شيء غير
وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس
لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم تتحد
الجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر آخر حسبما حقق آنفا نازل
من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب ما خلق الله ذلك
اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بانه سبحانه جعلها

على تلك الاحوال والهيئات ليس الا خلقها كذلك كما اشير اليه ولا يقدح فيه ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل **الا بالحق** استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اى ما خلق ذلك ملتبسا بشى من الاشياء الا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم **نفصل الآيات** اى الآيات التكوينية المذكورة او جميع الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة دخولا اوليا او نفصل الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة **لقوم يعلمون** الحكمة فى ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما فى تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به **ان فى اختلاف الليل والنهار** تنبيه آخر اجمالى على ما ذكر اى فى تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او فى تفاوتهما فى انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او فى اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما فى الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالى ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما فى انفسهما فان كرية الارض تقتضى ان يكون بعض الاوقات فى بعض الاماكن ليلا وفى مقابله نهارا **وما خلق الله فى السموات والارض** من اصناف المكونات **لآيات** عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التى من جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول وانزال الكتاب والبعث والجزاء **لقوم يتقون** خصهم بذلك لان الداعى الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون **ان الذين لا يرجون لقاءنا** بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا وتفصيل بعض

كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولكن حمل على ظاهره ايضا يدخل فى الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يعلم بنفع حرام او ترك واجب **تجرى من تحتهم الانهار** اى بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجرى من تحتى او تجرى وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستأنفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدى اليه ما يريدونه فى الجنة كما قيل وقيل يهديهم ويسددهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب والجنة وقوله تجرى من تحتهم الانهار جار مجرى التفسير والبيان فان التمسك بحبل السعادة فى حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة بحسب القوة العملية كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **فى جنات النعيم** خبر آخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى فالمراد بالمهدى اليه اما منازلهم فى الجنة او ما يريدونه فيها **دعواهم** اى دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل فيها متعلق به وقوله تعالى **سبحانك اللهم** خبره اى دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول لمقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عند ما عاينوا فيها من عجائب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأته ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف **وتحيتهم فيها** التحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حيوة طيبة اى ما يحيى به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم على الاضافة الى المفعول كما فى قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما فى قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم **سلام** اى سلامة من كل مكروه **وآخر دعواهم** اى خاتمة دعائهم **ان الحمد لله رب العالمين** ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اى دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه فى سلك الدعاء وان هى المخففة من ان المثقلة اصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشان كما فى قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع

ان التحية ليست باجبة على الاطلاق و دعوى كون ترتب الوقوع ايضا كذلك بان
كانوا احين دخول الجنة دعائهم اعظمة الله تعالى وكبريائه تمجدوه تعالى ونعتوه بنعوت
الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او حياهم
بذلك ربنا لوة فحمدوه تعالى واثنوا عليه بما هو اضافة الآخرة الى دعواهم وقد جوز
ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون الى ايذانا بان لا تكليف
في الجنة اى ما عبادتهم الا ان سبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به
تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمة **ولو يعجل الله للناس** هم الذين لا يرجون لقاء الله
لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشار الى بعض من عظائم معاصيهم
المتنوعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وارادهم
بالشر الا ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستعجال
اى لو يعجل الله لهم **الشر** الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى
استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه دلالة على
اعتبار الاستعجال في جانب المشبه كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعارا
بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير ولو
يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف
ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه **لقضي اليهم اجلهم** لادي اليهم
الاجل الذي عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي
ايثار صيغة المبني للمفعول جرى على سنن الكبرياء مع الايذان بتعين الفاعل
وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط
وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع
المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد
استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة
في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في
قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اى الوقوع في المشقة

اى اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من غير تأخير
وقوله تعالى **وجاءتهم رسلهم** حال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله تعالى
بالبينات متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم
دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم
رسلهم بالآيات البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حيث لا مجال للتكذيب وقد جوز
ان يكون قوله تعالى وجاءتهم عطفا على ظلموا فلا محل له من الاعراب عند سيبويه و
عند غيره محله الجر لانه معطوف على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس الظلم منحصرا
في التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب
الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا بل هو محمول على سائر انواع
الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى **وما كانوا ليؤمنوا** على ابلغ وجه وآكده فان اللام
لتأكيد النفي اى وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى
اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار بحدوث
التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين
الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهي اعني قوله **كذلك** فان الجزاء المشار اليه عبارة
عن مصدره اى مثل ذلك الجزاء الفظيع اى الاهلاك الشديد الذي هو الاستئصال بالمرة
نجزي القوم المجرمين اى كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد
لاهل مكة لاشتراكهم المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه
وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير
وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على
طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام في الاجرام وياباه كل الاباء قوله عز وجل
ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض لامورهم
وان ما بين فيه انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه تشبيه
باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى امرهم وخطابهم
ببت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك
القرون التي تسمعون اخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر **لننظر** اى لنعامل

معاملة من ينظر كيف تعملون فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب على
المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه
اي اي عمل او على الحالية اي على اي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف
الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا وفيه اشعار بان المراد بالذات
والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما
الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لاسيما بعد ما سمعوا اخبار القرون المهلكة
وشاهدوا آثار بعضها فضلا عن ان ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف
وقيل منصوب على انه مفعول به اي اي عمل تعملون اخيرا ام شرا فنعاملكم
بحسبه فلا يكون في كلمة كيف ح دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها
لا ذواتها كما هو رأي القائل بل تكون ح مستعارة لمعنى اي شيء واذا تتلى عليهم
التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات
وغير ذلك كداب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم
الآتي حسب تجدد التلاوة آياتنا الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والاضافة
لتشريف المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها
واضحات الدلالة على ذلك وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الآيات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببنائه للفاعل للاشعار بعدم الحاجة لتعيين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون
التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعلية
ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى
يوم اللقاء لانكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وذما لهم بذلك اي قالوا لمن
يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه ائت بقرآن غير هذا
اشاروا بهذا الى القرآن المشتمل على تلك الآيات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج الكل
من البين اي ائت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب
والجزاء او ما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله
بتغيير ترتيبه بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى خالية عنها وانما قالوه

الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به انا لارسل به غيري البتة او على معنى انه تعالى
يمن على من يشاء ويختص بمنح الكرامة فقد لبثت فيكم عمرا تعليل للملازمة المنفية
لكون تلاوته بمشيئة الله عز وجل وارادته حسبما بين انما لكن لا بطريق الاستدلال
عليها بعدم تلاوته فيما سبق بسبب عدم مشيئته تعالى اياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما
شاهدوا منه عليه السلام في تلك المدة الطويلة من الامور الدالة على استحالة
كون التلاوة من جهته عليه السلام بلا وحي وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى
قد اقمت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي طرا
وتحيطون بما لدي خبرا من قبله اي من قبل نزول القرآن لا اتعاطى شيئا مما
يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق و
احكام الشرائع افلا تعقلون اي الا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره
عن مثلي ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل سليم
والحق الذي لا محيد عنه ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تأمل في امره صلى الله عليه وسلم
وانه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شأن من الشؤون ولا
مراجعة اليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض
معهم في انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت
بلاغته كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه بدائع اصناف العلوم
كاشف عن اسرار الغيب من وراء استار الكمون ناطق باخبار ما قد كان وما سيكون
مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمن عليها في احكامها المجملة والمفصلة لا يبقى
عنده شائبة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله تعالى هو الذي اتفقت عليه كلمة الجمهور
ولكن الانسب بمقام الجواب فيما سلف عن مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه
عليه السلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه السلام على اتباع الوحي وامتناع
الاستبداد بالرأي من غير تعرض هناك ولا هنا لكون القرآن في نفسه امرا خارجا عن
طوق البشر ولا لكونه عليه السلام غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد هنا على المطلب بما يلائم
ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عليه السلام عما يوهم شائبة
صدور الكذب والافتراء عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم

المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد
قط بتحكم ولا جدال ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب او افترا
الا تخالطونه فلا تعلمون ان من هذا شانه المطرد في هذا العهد البعيد يستحيل ان يفتري على
الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك
الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم منه
على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب مفيدا لانكار ان يكون احد اظلم منه
من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه
حتما انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافترا لا يكون الا كذبا
للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه السلام عليه صريحا مع كونه افترا على الله تعالى
كذب في نفسه فرب افترا يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى
عمرو وهذا للمبالغة منه عليه السلام في التفادي مما ذكر من الافترا على الله سبحانه او كذب باياته
فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم له على انه من جهته عليه السلام والفاء لترتيب
الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن بمشيئته تعالى وامره فلا مجال لحمل الافترا على
الافترا باتخاذ الولد والشريك اي واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى بان يختلق كلاما
فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض آياته تعالى ببعض كما تجوزونه في شاني وكذلك
من كذب باياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظالم انه الضمير للشان اي ان الشان وضع المسالة والخبر
ما يعقبه من الجملة ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصديرها به
الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر
الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه
قيل ان الشان هذا اي لا يفلح المجرمون اي لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب
والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا اوليا ويعبدون من دون الله
حكاية لجناية اخرى لهم نشأت عنها جناياتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الآية
عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله
اي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا

اني معكم من المنتظرين اي لا يفعله الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود
الآيات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الآيات المقترحة
يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى واذا اذقنا الناس رحمة
صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اي خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد
المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في
قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط
سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون في آياته تعالى
ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وذلك قوله تعالى اذا لهم مكر في
آياتنا اي في الطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى
شرطية والثانية جوابها كانه قيل فاجؤوا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة
بالاستقرار الذي يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اي اعجل عقوبة اي عذابه
اسرع وصولا اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في
مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف
يكتبون ما تمكرون اي مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على
ان ما دبروا في اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال
في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية
مكره سبحانه غير داخل في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة
الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من
المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم للتشديد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون حينئذ تعليلا للامر او للامر
هو الذي يسيركم كلام مستانف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر
آنفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء
اي يمكنكم من السير ويمكنكم منه قيل لها في البر مشاة وركبانا
وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز وعلا اذا انتم بشر تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم
في الفلك اي السفن فانه جمع فلك على زنة اسد جمع اسد كما على وزن قفل

وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه ايثار
الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اى السفن بهم
بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم
كانه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم ليعجبهم منها ويستدعي منه الانكار والتقبيح وقيل ليس
فيه التفات بل معنى قوله تعالى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب
للكل ومنهم المسيرون في البر فالضمير الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما في قوله تعالى
او كظلمات في بحر لجي يغشاه اى او كذي ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب
موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير
المنصوب للريح الطيبة اى تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب
على وفقها لا يسمى مجيئا لريح اخرى عادة بل هو اشتداد للريح الاولى وقيل للفلك
والاول اظهر لاستلزامه للثاني من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئا بالنسبة
الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان
ولان التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف
اى ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح قد يذكر
وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان اى من امكنة مجيء الموج عادة ولا بعد في
مجيئه من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون
من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم اى اهلكوا فان ذلك مثل في
الهلاك واصله احاطة العدو بالحي او سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل اشتمال من
ظنوا لما بينهما من الملابسة والتلازم او استئناف مبني على سؤال ينساق
اليه الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا
به شيئا من آلهتهم لا مخصصين للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص
الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم
على ارادة القول اى قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك
ابدا من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة وقيل الجملة مفعول دعوا
لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثاني لاقتصار دعائهم على

ثم ترجعون البتة وايثار صيغة الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة
على الثبات والقصر فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من البغي عليه
بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية
على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة
مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي مثلا سموم قاتلة
قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن
قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات فالبغي في هذه النشأة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها
الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس
بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون وانما يظهر لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه
من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على ذلك من الصورة وهو
المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم انما مثل الحيوة الدنيا كلام مستأنف سيق
لبيان شأن الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه
حالها العجيبة الشأن البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها
وانصرام نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع النبات
في زوال رونقها ونضارتها فجاءة وذهابها حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعد ما كانت
غضة طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتقوت بعد ضعفها
بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله عز وجل
كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب
مما يأكل الناس والانعام من البقول والزروع والحشيش حتى اذا اخذت الارض
زخرفها جعلت الارض في تزينها بما عليها من اصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة
المونقة آخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من الوان الثياب و
الزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازينت
كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها
انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا جواب اذا اى ضرب

زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات ليلا او نهارا فجعلناها اى زرعها ما
عليها حصيدا اى شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كأنه لم يغن زرعها والمضاف
محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالامس اى فيما قبيل بزمان قريب فان الامس مثل
في ذلك كأنه قيل لم تغن آنفا كذلك اى مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات
اى الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على احوال الحيوة الدنيا اى نوضحها
ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها لهم لانهم
المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالآيات ما ذكر في اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وتفصيلها
تصريفها على الترتيب المحكي ايجادا واعداما فانها آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها
على احوال الحيوة الدنيا حالا ومآلا والله يدعو الى دار السلام ترغيب للناس في الحيوة
الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية اى يدعو الناس جميعا الى دار السلامة
عن كل مكروه وآفة وهي الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها مرضا
للآفات او الى دار الله تعالى وتخصيص الاضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على
ذلك او الى دار يسلم الله تعالى او الملائكة فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض
ويهدي من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم موصل اليها وهو الاسلام والتزود
بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة
وان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا اى اعمالهم اى عملوها
على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله صلى الله عليه
بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اى المثوبة الحسنى
وزيادة اى وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله
وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة
مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم
اى لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اى اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم
ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اي
شيء منها والجملة مستأنفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والنكات
وان اقتضى الاول الاول لانه ذكرا اذكارا بما يتقدمهم الله تعالى برحمته وتقديم المفعول على الفاعل

حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في التفسير الاول
لاستدعائه المحاورة المحاذرة الفائتة بالمباعدة وليس في ترتيب التنزيل بعد المعنى
على الامر بلزوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة [illegible]
اما تعيين الترتيب الخارجي فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق
فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا
وانما الحاصل عند المحاورة اقصاها كما اشير اليه فلا اعتداد في تقديمه من التغيير [illegible]
مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم ما تحقق جميع مراتبه من المحاورة فرعاية تلك النكتة
كافية في استدعاء تقديمه عليهما ويجوز ان تكون حالية على هذا التقدير ايضا والمراد
بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم فضمير ما يأتي
لرجوع الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبريهم من عبادتهم
وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة لهم
بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وقيل الاصنام
ينطقها الله الذي انطق كل شيء فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعون
منها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم لغافلين
اى عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء
والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء
الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم
على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك اى في ذلك المقام الدهش
او في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان تبلو اى تختبر وتذوق كل نفس
مؤمنة كانت او كافرة سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا
لآثاره من نفع او ضر وخير او شر واما ما علمت من حالها من حين الموت والابتلاء
بالعذاب في البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اي
نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت
من العمل ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت
من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وقرئ تتلو اى تتبع لان عملها هو الذي يهديها

الى طريق الجنة او الى طريق النار او تتوارد في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر
وردوا الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل
هنالك تبلوا الخ اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها الى الله اي الى جزائه وعقابه مولاهم
الحق اي المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح
كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع اي ظهر ضياعه وضلاله
لا انه كان قبل ذلك غير ضال او ضل في اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من ان
آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة هذا او جعل الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها
بكل نفس على انه معطوف على تبلو وان العدول الى الماضي للدلالة على التحقق والتقرر
وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه
التعرض لوصف الحقية في قوله تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردودين حسبما اشير اليه
ولئن اكتفي فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب
فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه
من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة
مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله تعالى اعلم قل اي لاولئك المشركين
الذين حكيت احوالهم وبين ما يؤدي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه
من الاشراك من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب
سماوية ومواد ارضية او من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من
على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار ام منقطعة
وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال بل على وجه
الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفاية فيما هو المقصود اي
من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع
كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبها ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي اي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان
ومن يدبر الامر اي ومن يلي تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته
من الامور الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا تلعثم ولا تأخر الله اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه

ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله تعالى حيث قيل قل الله يهدي للحق اي هو يهدي له
دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق
للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام في الاعراب السؤال والجواب كما مر فيما مر
افمن يهدي الى الحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع امن لا يهدي بكسر الهاء اصله يهتدي
فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء تبعا للهاء وقرئ بفتح الهاء
نقلا لحركة التاء والمعنى اي لا يهتدي بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى
وانما نفي عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا
فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك
مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا
وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبئ عن الجواب بالعدم فان
ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما تبع في بعض المواقع فان
ذلك مختص بالانكاري كما في قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله الخ ونحوه والهمزة متأخرة في
الاعتبار وانما تقديمها في الذكر لاظهار عراقتها في اقتضاء الصدارة كما هو رأي الجمهور حتى
لو كان السؤال بكلمة اي لاخرت حتما الا يرى الى قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن اي فقربها
يلجئ المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي
على لا يهتدي بحيث لا زاد او لا يهدي غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه
محذوف كما اختاره مكي والتقدير افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام
امن لا يهدي احق الخ واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام للالزام
وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع
الا ان يهدى استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في
حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف
شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام من لا يهتدي
من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى من حاله
الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة فما لكم
اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى والاستفهام للانكار والتوبيخ

وفيه تعجيب من حالهم وقوله تعالى **كيف تحكمون** اي بما يقتضي صريح العقل بطلانه انكار
لحكمهم الباطل وتعجيب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الامرين على ما ظهر من
وجوب اتباع الهادي الى الحق اذ بعد التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر في
حق من يعكس بجوابه الصحيح بحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا
حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهم جميعا مع رجحان
جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع
بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين
باستحقاق شركائهم له دون الله سبحانه من حيث لا يشعرون **وما يتبع اكثرهم** كلام مبتدا
غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما الجمهم والقمهم الحجر من البرهان
النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم بطلان حكمهم باستحقاقه تعالى وعدم
تاثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم
ومحاوراتهم **الا ظنا** واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا
مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا
مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام
فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه
وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والتفات اليه
ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية
التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم التاثر
من البرهان المزبور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول
لا يقدح فيما نحن فيه من فحوى الكلام عز ما من كون اولئك اسوأ حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء
الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب او وما يتبع اكثرهم مدة عمرهم
الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب
المقام فالمراد بالاتباع هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه
تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم
من اتباع الحق والتوبة كما سياتي هذا وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى

قد دفع بعد وانهم استمروا عند ذلك ايضا على ما هم عليه اولا فلا تعرض لهما و
الاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم او ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ
من عدم التدبر فتدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدي بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدي الوارد
في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية وانما الذي يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله
تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم لا وقوله تعالى **كذلك** الى وصف حالهم المحكي وبيان ما يؤدي
اليه من العقوبة اي مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الراي والمجازفة من غير تدبر وتامل
كذب الذين من قبلهم اي فعلوا التكذيب او كذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت
على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**
وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب
ظلما وعلية لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرتهم جرما
ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل **ومنهم** الى وصف لحالهم بعد اتيان التاويل المتوقع
اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن به وغير المؤمن به ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علم به و
اشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افاده قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
اي ومن هؤلاء المكذبين **من يؤمن به** عند الاحاطة بعلمه واتيان تاويله وظهور حقيته
بعد ما سعوا في المعارضة وارازوا قواهم فيها فتضاءلت دونها او بعد ما شاهدوا وقوع
ما اخبر به كما اخبر به والمراد بالايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه
ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم
الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقي اي
سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني
الى انهم سيتبعون الحق كما مر **ومنهم من لا يؤمن به** اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق به
ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة
اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون
والاوهام التي الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان
التاويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين اريدوا
فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الثاني من عدم التوجه الى الحق والانقياد له

وربك أعلم بالمفسدين أي بكلا الفريقين على الوجه الأول لا بالمعاندين فقط كما قيل
لاشتراكهما في أصل الإفساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد أو بالمصرين الباقين على
الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين وإن كذبوك أي إن تموا على تكذيبك
وأصروا عليه حسبما أخبر عنهم بعد إلزام الحجة بالتحدي فقل لي عملي ولكم عملكم أي
تبرأ منهم فقد أعذرت كقوله تعالى فإن عصوك فقل إني بريء والمعنى لي جزاء عملي
ولكم جزاء عملكم حقا كان أو باطلا وتوحيد العمل المضاف إليهم باعتبار الاتحاد النوعي
ولمراعاة كمال المقابلة أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون تأكيد
لما أفاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل إلى غير عامله أي لا تؤاخذون
بعملي ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من إيهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل إنه
منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون إليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم
بحيث لا سبيل إلى إيمانهم وإرجاع الضمير الراجع إلى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما أفرد
فيما سيأتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للإيذان بكثرة المستمعين بناء
على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب
والظلمة أي ومنهم ناس يستمعون إليك عند قراءتك القرآن وتعليمك الشرائع
أفأنت تسمع الصم همزة الاستفهام الإنكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما
لترتيب إنكار الإسماع على الاستماع كما هو رأي سيبويه والجمهور على أن محل
تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل الإنكار ترتيبه عليه
حسبما هو المعتاد ولكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لأدائه إلى اختلال المعنى لأنه
إما صلة أو صفة وأيا ما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه
وتوجه الإنكار إليه من تلك الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على
مقدر ينسحب عليه فحوى النظم كأنه قيل أيستمعون إليك فأنت تسمعهم لا إنكار لاستماعهم
فإنه أمر محقق بل إنكار لوقوع الإسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة
الكلية بل تنبيها لإنكاره أيضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم
العقل بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون أي ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم
لأن الأصم العاقل ربما يتفرس إذا وصل إلى صماخه صوت وأما إذا اجتمع فقدان

أو هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم تنقطع التعارف
لشدة الأهوال المذهلة واعتراء الأحوال المعضلة المغيرة للصور والأشكال المبدلة لها
من حال إلى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وتعالى على
خسرانهم وتعجب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على إرادة القول والتعبير عنهم
بالموصول مع كون المقام مقام إضمارهم لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعليته لما أصابهم
والمراد بلقاء الله تعالى إن كان مطلق الحساب والجزاء أو حسن اللقاء فالمراد بالخسران
الوضيعة والمعنى وضيعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالإيمان والضلالة
بالهدى وهو معنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين أي ما كانوا عارفين بأحوال التجارة مهتدين
لطرقها وإن كان سوء اللقاء فالخسران الهلاك والضلال أي قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم
وما كانوا مهتدين إلى طريق النجاة وإما نرينك أصله إن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى
الشرط ومن ثمة أكد الفعل بالنون أي نبصرنك بأن نظهر لك بعض الذي نعدهم أي وعدناهم
من العذاب ونعجله في حياتك فتراه والعدول إلى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
أو للدلالة على التجدد والاستمرار أي نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من إنذار
غب إنذار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز إلى العدة بإراءة بعض الموعود وقد أراه
يوم بدر أو نتوفينك قبل ذلك فإلينا مرجعهم أي كيفما دارت الحال أريناك
بعض ما وعدناهم أو لا فإلينا مرجعهم في الدنيا والآخرة فننجز ما وعدناهم البتة وقيل
المذكور جواب للشرط الثاني كأنه قيل فإلينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وجواب الأول
محذوف لظهوره أي فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون من الأفعال السيئة التي
حكيت عنهم والمراد بالشهادة إما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى إياهم وإما إقامتها
وأداؤها بإنطاق الجوارح وإظهار اسم الجلالة لإدخال الروعة وتربية المهابة وتأكيد
الوعيد وثم ههنا أي هناك ولكل أمة من الأمم الخالية رسول يبعث إليهم بشريعة
خاصة مناسبة لأحوالهم ليدعوهم إلى الحق فإذا جاء رسولهم فبلغهم ما أرسل به
فكذبوه وخالفوه قضي بينهم أي بين كل أمة ورسولها بالقسط بالعدل وحكم
بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وهم لا يظلمون في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لأنه من نتائج أعمالهم

من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به فإذا جاءهم رسولهم الموقف ليشهد
عليهم بالكفر والإيمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى
هذا الوعد استعجالاً لما وُعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء والإنكار حسبما ينبئ
عنه الجواب لا لطلب التعيين وقت مجيئه على وجه الإلزام كما في سورة الملك إن كنتم
صادقين أي في أنه يأتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون
عليهم الآيات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتماداً على ما تقدم حسبما حذف
في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين فإن الاستعجال في قوة الأمر
بالإتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا بسرعة إن كنتم صادقين ولما فيه من الإشعار بكون إتيانه
بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قيل قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً أي لا أقدر على شيء منهما
بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما أن مساق النظم لإظهار العجز عنه وأما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة
تكملة للعجز وما وقع في سورة الأعراف من تقديم النفع للإشعار بأهميته والمقام مقامه
والمعنى أني لا أملك شيئاً من شؤوني ردّاً وإيراداً مع أن ذلك أقرب حصولاً فكيف أملك
شؤونكم حتى أتسبب في إتيان عذابكم الموعود إلا ما شاء الله استثناء منقطع أي ولكن
ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى إلا ما شاء الله أن أملكه يأباه مقام التبري
عن أن يكون له عليه السلام دخل في إتيان الوعد فإن ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه
مما شاء الله أن يملكه عليه السلام وجعلها عبارة عن بعض الأحوال المعهودة المنوطة بالأفعال
الاختيارية المفوضة إلى العباد على أن يكون المعنى لا أملك لنفسي شيئاً من الضر والنفع
إلا ما شاء الله أن أملكه منهما من الضر والنفع المترتبين على الأفعال الاختيارية كالتضرر والتنفع
المترتبين على الأكل والشرب عدماً ووجوداً تعسف ظاهر وقوله تعالى لكل أمة أجل
بيان لما أبهم في الاستثناء وتقييد لما في القضاء السابق من الإطلاق المشعر بكون المقضي
أمراً منجزاً غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الأمة أي لكل أمة أمة ممن قضي بينهم
وبين رسولهم أجل معين خاص بهم لا يتعدى إلى أمة أخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله
إذا جاء أجلهم إن جعل الأجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وإن أريد به ما
امتد إليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه إذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير إن جعل للأمم

ما أصابهم ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون اليوم إلا بما كنتم تكسبون
في الدنيا من أصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مرّ من الاستعجال ويستنبئونك
أي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء والإنكار أحق هو أحق خبر قدم على
المبتدأ الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى إنه الحق أو مبتدأ والضمير مرتفع
به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبئونك وقرئ آلحق هو تعريضاً بأنه باطل
كأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي تسمونه الحق قل لهم غير ملتفت إلى
استهزائهم مغضياً عما قصدوا وبانياً للأمر على أساس الحكمة إي وربي إي
من حروف الإيجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما أن هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة
ولذلك يوصل بواوه إنه أي العذاب الموعود لحق ثابت البتة أكد الجواب بأتم وجوه
التأكيد حسب شدة إنكارهم وقوته وقد زيد تقريراً وتحقيقاً بقوله عز اسمه وما أنتم
بمعجزين أي بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو إما معطوف على جواب
القسم أو مستأنف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو أن لكل
نفس ظلمت بالشرك أو التعدي على الغير أو غير ذلك من أصناف الظلم ولو مرة
حسبما يفيده كون الصفة فعلاً ما في الأرض أي ما في الدنيا من خزائنها وأموالها و
منافعها قاطبة بأكثرها لافتدت به أي لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه
وأسروا أي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول إلى صيغة الجمع مع تحقق العموم في
صورة الإفراد أيضاً لإفادة تهويل الخطب بكون الإسرار بطريق المعية والاجتماع وإنما
لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الأرض لكل واحدة من النفوس
وإيثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص أو لتغليب ذكورها على إناثها الندامة
على ما فعلوا من الظلم أي أخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين
اصطبار بل لأنهم بهتوا لما رأوا العذاب أي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الأهوال
ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على أن ينطقوا بشيء غير خوف العذاب فلما بمعنى حين منصوب
بأسروا أو حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل أسرها رؤساؤهم ممن
أضلوهم حياء منهم وخوفاً من توبيخهم ولكن الأمر أشد من أن يعتريهم هناك
شيء غير خوف العذاب وقيل أسروا الندامة أخلصوها لأن إسرارها إخلاصها أو لأن

سر الشيء خالصه حيث تخفى ونطق بها نفيه اتكم بهم وقيل اظهروا الندامة من قولهم
اسر الشيء واشتره شيئاً من خوف العذاب اذا اظهره حين عيل صبره و
في تجلده وقضي بينهم اي اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصحاب
اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد ومن الباطل
وعومل اهل كل منهما بما يليق به بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء
على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض لحال المشركين في انفسهم مع ان الظالمين
لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولاً
اولياً وهم اي الظالمون لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات
ظلمهم ولوازمه الضرورية الا ان لله ما في السموات والارض اي ما وجد فيهما داخلاً في حقيقتهما
او خارجاً عنهما متمكناً فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال
قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء
ايجاداً واعداماً واثابة وعقاباً الا ان وعد الله اظهار الاسم الجليل لتفخيم شان
الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائناً ما كان فيندرج فيه
العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في اثنائه وبيان حاله اندراجاً اولياً او بمعناه المصدري اي وعده
بجميع ما ذكر فيعني قوله تعالى حق على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع
وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف
من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم
لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون
ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل
لاحد في ذلك واليه ترجعون في الآخرة بالبعث والحشر يا ايها الناس التفات ورجوع
الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال
بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم
ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هي والوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان
بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى من ربكم
ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة

انذ المعاصي ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وذكر على لفظ الماضي اي اي ظن
ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة الماضي لانه كائن فكانه قد كان ان الله لذو فضل اي عظيم
لا يكتنه كنهه على الناس اي جميعاً حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن
والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في
ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون
تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما
يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد نعى عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة
فلا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون في شان
اي في امر من شانت شانه اي قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول وما تتلوا منه
الضمير للشان والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشان اذ هي معظم
شؤونه عم او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل
ومن ابتدائية والتي في قوله من قرآن مزيدة لتاكيد النفي او ابتدائية على الوجه الاول و
بيانية او تبعيضية على الثاني والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقتدى
الكل وقد روعي في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه
فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا استثناء مفرغ من اعم
احوال المخاطبين بالافعال الثلثة اي ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا
رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون فيه اي تخوضون وتندفعون فيه
واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة
المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي ايضا اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي
الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي وما يعزب عن ربك اي لا يبعد
ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف
ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاي من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتاكيد النفي اي ما يعزب عنه
ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في دائرة
الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس في احدهما او متعلقا بهما
وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى

بشناعتها وقوله تعالى **ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين** كلام
برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع
على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف
او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كأنه قيل لا يعزب عن ربك شيء ما
لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان
يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه
تعالى شيء الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ **الا ان
اولياء الله** بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاعمال المؤمنين وغاية لما
ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته في كل ما يأتون وما يذرون
واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السموات والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب
المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما سيعتريهم
من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرف
التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب والمراد باولياء الله تعالى
خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم
لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه **ولا هم يحزنون** من فوات مطلوب
اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا
يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا و
استشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا
للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين و
المراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في
الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس المضارع
يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لم يعتريهم ذلك لان مقصودهم
ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما
لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما
ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من

وان في بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورها و
مكارهها والجملة مستأنفة كما سبق كأنه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة
فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه
من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة
بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور
وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايذان بان
انتفاء الخوف والحزن لاتقائهم عما يؤدي اليهما من الاسباب والبشرى مصدر
اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك و
الآجلة الغنية عن البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان
والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار
اي لهم البشرى حال كونها في الدنيا وحال كونها في الآخرة اي عاجلة وآجلة او من الضمير
المجرور اي حال كونهم في الحيوة الدنيا الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر
الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رضه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه
الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان
متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في
غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها
المؤمن او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات
وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء
الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فتكون هذه بشارة
بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى
ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات ايذان بانها حمالة لا يليق بجلالة شان
التنزيل الكريم **لا تبديل لكلمات الله** لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة
بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا

امتناع الاختلاف فيها ثبوتاً قطعياً وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة
فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والاخروية
بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سيأتي بطريق الوعد من
قوله تعالى لهم البشرى فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين
هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتيك
الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يكون
بعده كلام متصل بما قبله اذ هي تذييل وقع تتمة للاعتراض ولا يحزنك قولهم تسلية
للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة من مقالاتهم الموحشة
وتبشير له عليه السلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امناً
من كل محذور وفوزاً بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو في الحقيقة نهي له
عليه السلام عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في
تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما
وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهي عن التاثير نهي عن التاثر باصله ونفي له
بالمرة وقد توجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا
وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن
فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه السلام في بعض
الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالى ان العزة تعليل للنهي على طريقة
الاستئناف اي ان الغلبة والقهر لله جميعا اي في ملكه وسلطانه لا يملك
احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم
وقد كان كذلك فهي من جملة البشارات العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح
التعليل اي لان العزة لله هو السميع العليم يسمع ما يقولون في حقك ويعلم
ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض
اي العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح
بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت
قدرته وملكه فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق

بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه قولا او فعلا لا يفلحون اي لا ينجون من مكروه
ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من
عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء
عليه سبحانه متاع في الدنيا كلام مستأنف سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر
من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم المذكور مما
ان يكون من جنس الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع
يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن المكروه ايضا بقوله
عز وعلا ثم الينا مرجعهم اي بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح
وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم او تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما
يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به
لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون
مطبوعا عندها وعده كذلك باعتبار اجراء حكم ما يؤدي اليه من رياساتهم عليه مما
لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر اي لهم متاع
والآية اما مسوقة من جهته سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به
كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم الينا وقوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة فيه على ان
النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل واتل عليهم اي على المشركين
من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح الفوات
وانهم مشرفون على العذاب الخالد نبأ نوح اي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه
الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من
النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر
او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافق
لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا
بطريق الوحي وفيه مع تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى
وانتفاء الخوف والحزن من اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم

وحملاً على عدم المبالاة بهم وبأقوالهم وأفعالهم ما لا يخفى إذ قال مفعول لنبأ أو بدل منه
بدل اشتمال وإنما ما كان فالمراد بعض نبأه عم لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام
في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم إن كان كبر أي عظم وشق عليكم مقامي أي نفسي كما
يقال فعلته لمكان فلان أي لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه أي خاف ربه
أو قيامي وتذكيري بآيات الله فإنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة يقومون على أرجلهم
والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب الشرط أي دمت
على تخصيص التوكيل به تعالى ويجوز أن يراد به إحداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل
فأجمعوا أمركم عطف على الجواب والفاء لترتيب الأمر بالإجماع على التوكل لا
لترتيب نفس الإجماع عليه أو هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والإجماع العزم
قيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف وإيصال قال السدوسي أجمعت الأمر
أفصح من أجمعت عليه وقال أبو الهيثم أجمع أمره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه
أنه يقول مرة أفعل كذا وأخرى أفعل كذا وإذا عزم على أمر واحد فقد جمعه أي جعله جميعا
وشركاءكم بالنصب على أن الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على
الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التأكيد وإسناد الإجماع إلى الشركاء على طريقة
التهكم وقيل إنه عطف على أمركم بحذف المضاف أي أمر شركائكم وقيل
منصوب بفعل محذوف أي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا
من الجمع أي فاعزموا على أمركم الذي تريدون بي من السعي في إهلاكي واحتشدوا
فيه على أي وجه يمكنكم ثم لا يكن أمركم ذلك عليكم غمة أي مستورا من غمه
إذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فإن الستر إنما يصار إليه لسد باب
تدارك للخلاص بالهرب أو نحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وإنما
خاطبهم عليه السلام بذلك إظهارا لعدم المبالاة بهم وأنهم لم يجدوا إليه سبيلا وثقة
بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته فكلمة ثم للتراخي في الرتبة وإظهار الأمر
في موضع الإضمار لزيادة تقرير تقتضيها مقام الأمر بالإظهار الذي يستلزمه النهي عن الستر
والإسرار وقيل المراد بأمرهم ما يعتريهم من جهته عم من الحال الشديدة عليهم المكروهة
لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم

وصف تكذيبهم بما قبل مجيء رسلهم أنهم كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا
كلمة التوحيد قط بل كان لكل قوم من أولئك الأقوام من يبعثون بها من قبلهم من
قبلهم كثمود من قبلها عاد وعاد من قبلها قوم نوح عم فيكذبونها ثم كانت حالتهم
بعد مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد وتخصيص التكذيب وعدم
الإيمان بما ذكر من الأصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فإنهم حيث لم يؤمنوا بما أجمعت
عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم أولى وعدم جعل هذا التكذيب
مقصودا بالذات لما أن ما عليه يدور أمر العذاب والعقاب عند اجتماع المكذبين
هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وإنما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقدير فالضمائر
الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع إلى قوم نوح عليه السلام والمعنى
فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل
الباء للسببية أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى
أن ذلك يؤدي إلى مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الأسماء كما هو رأي الأخفش
وابن السراج ليرجع إليها الضمير وفي إرجاعه إلى الحق بادعاء كونه مركوزا في الأذهان
ما لا يخفى من التعسف كذلك أي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ
بالياء على أن الضمير لله سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة
في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشد وذلك بخذلانهم
وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي أمثال هذا دلالة على أن الأفعال
واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا
إلى قومهم عطف قصة على قصة من بعدهم أي من بعد أولئك الرسل عليهم السلام
موسى وهارون خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يلتفت بإندراج خبرهما فيما أشير إليه
إشارة إجمالية من أخبار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم وأوثر في ذلك ضرب تفصيل
إيذانا بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه السلام إلى فرعون وملئه أي
أشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لأصالتهم في إقامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل
إليهم في النوازل والملمات بآياتنا أي ملتبسين بها وهي الآيات المفصلات في الأعراف

فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اي فاتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عم الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الخ وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم اي الجثة فلذلك اجترؤا على ما اجترؤا عليه من الاستهانة برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لا يساعده قوله عز وعلا

فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي هو معجزاته العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما ظهر على يده عليه السلام من الآيات العظام والفاء فيه ايضا فصيحة معربة عما صرح به في مواضع اخر كانه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا او فائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر قال موسى استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى ع فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي أتقولون للحق الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تامل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي أتقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ فيستغني عن المفعول اي أتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل أسحر هذا انكار مستانف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فتوجيه انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال مثلا أفيه عيب حتى تقتضيه ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق

علم جنس فن وهم صلاحا بل عدم اثباته واتمامه اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي فيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله تعالى سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين لالقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم فما آمن لموسى عطف على مقدر قد فصل في موقع آخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون الى آخر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما آمن له عليه السلام في مبدأ امره بعد تلك الآيات القاهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عم او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأته وماشطته على خوف اي كائنين على خوف عظيم من فرعون وملئهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء ولايأباه مقام بيان علوه في الفساد وغلوه في الشر والتسلط على العباد او لان المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله لما رأى تخوف المؤمنين منه

اي صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وسوء مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عليه السلام كان يصلي اليها واقيموا الصلوة اي فيها امروا بذلك في اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان والاشعار بانه المدار في التبشير وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة اي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا وانواعا كثيرة من المال في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت او للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا او تنبيها

بعد عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستقصاء والالف فان قوله تعالى وكنت من المفسدين عطف على عصيت داخل في حيز الحال اي وكنت من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والساري الى غيره من الظلم والتعدي وصد بني اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به فاليوم ننجيك اي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كأنه قيل وتهكم به او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرئ ننجيك من الانجاء وننحيك بالحاء من التنحية اي نلقيك بناحية من الساحل ببدنك في موضع الحال من ضمير المخاطب اي ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له وتهكم به او الطاعة بالمرة او عاريا عن اللباس او كاملا سويا او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى روي انهم لم يصدقوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لتكون لمن يأتي بعدك من الامم اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وارادته تقطيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده في الاسواق او يدار برأسه في البلاد واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية اي كائنة لمن خلفك وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا لفحوى الكلام المحكي ولقد بوأنا بني اسرائيل كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها واداء حقوقها اي اسكناهم وانزلناهم بعد ما انجيناهم

واهلكنا اعداءهم مبوأ صدق اي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها حسبما نطق به قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ورزقناهم من الطيبات اي اللذائذ فما اختلفوا في امور دينهم حتى جاءهم العلم اي الا بعد ما قرأوا التوراة وعلموا احكامها او في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب فان كنت في شك اي في شك ما يسيرا على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان شيء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما انزلنا اليك من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما القينا اليك والمراد اظهار نبوته عم بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عليه السلام او تهييجه عم وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك عنه عليه السلام ولذلك قال عم لا اشك ولا اسأل وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسأل الذين يقرؤون الكتب لقد جاءك الحق الذي لا محيد عنه ولا ريب في حقيته من ربك وظهر ذلك بالآيات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله من باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة

وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا وعدما بعد بيان الدوران الكلي عليها وجودا وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله ومنحه الالطاف وانما خصت النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان لنفس ان تؤمن في حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال من غيرها ويجعل الرجس اي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن قبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب او الخذلان لانه المؤدي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاي اي يجعل الكفر ويبقيه على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فياذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الرجس الخ قل خطابا لاهل مكة بعد ما حثهم على التدبر في ملكوت السموات والارض وما فيهما من عجائب الآيات الانفسية والآفاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة انظروا اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام قل ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا معلقا فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدأ وخبره الظرف ويجوز ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ والخبر في محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع وقرئ بالتذكير الآيات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه وما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية انكارية في موضع النصب

على المصدرية اى اى اغنى تغنى الخ فالجملة حالية اعتراضية فهل ينتظرون اى مشركوا مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين خلوا اى الا يوما مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من مشركي الامم الماضية اى مثل وقايعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم انى معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجى رسلنا بالتشديد وقرى بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جى به مسارعة الى التهديد ومبالغة فى تشديد الوعيد كانه قيل اهلكنا الامم ثم ننجى رسلنا المرسلة اليهم والذين آمنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتاخير حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما فى قوله تعالى فنجيناه ومن معه فى الفلك الخ ونظايره الواردة فى مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وعلا كذلك اى مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول اى حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذى ناب عنه كذلك اى انجاء مثل ذلك حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى ننج المؤمنين اى من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسل عم والاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان قل لجمهور المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشان ما بلغ اليهم ان كنتم فى شك من دينى الذى اتعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله فى وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اى فاعلموا انه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما فى كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر او ان كنتم فى شك من صحة دينى وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوا على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفى تخصيص التوفى بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل فى هذا الباب هو الشك فى

من غير اشعار بكون ذلك بواسطة وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكل الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المنزل كذلك يوما فيوما وفى التعبير عن بلوغه اليهم بالمجى اليه عليه السلام بالوحى تنبيه على ما بين المرتبتين من التنائى واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصر عليهم او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ يمكن الخطا فى حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء سورة يونس اعطى له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس ع م وكذب به وبعدد من غرق فرعون الحمد لله سبحانه على التمام والصلوة على سيدنا محمد وآله اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الر محله الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف وقيل على انه مبتدا والاول هو الاظهر كما اشير اليه فى سورة يونس ع م او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقراء على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل فى اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الثانى ولمبتداء محذوف على الوجه الباقية احكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه وجعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل او على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها او على حقية ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعى خاصة واما تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم

احكمت الدابة اذ وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح فمنعه اياها مما لا يكاد يليق
بشأن الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد ولولا المانع في اسناد الاحكام
على الوجوه المذكورة الى آيات الكتاب دون نفسه لاسيما على الوجه الثاني
لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى
(ثم فصلت) اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص او
فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتعبير بجعلها آية آية
لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها
بكلمة التراخي واما المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تزل الآيات
محكمة مفصلة لا انها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك او الفعلان من قبيل قولهم
سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار
نسبة بعضها الى البعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة وآثارا معتدا بها من جهة
مصالح العباد ناسب ان يشار بالتراخي رتبتهما من رتبة الاحكام وان حمل جعلها
آية آية على معنى تقريب بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس في مثابته
في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح
فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالكلمة للتراخي الزماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها
منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان
يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة
والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل (من لدن حكيم خبير) صفة للكتاب
وصفه بها بعد ما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث
الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدأ المذكور او المحذوف او صلة للفعلين وفي بنائهما
للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير
التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق
من الجزالة والدلالة على فخامتهما وكونهما على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه
(ألا تعبدوا الا الله) مفعول له حذف عنه اللام مع فقد الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل

والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على
الغضب او لان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة
وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي (فاني اخاف عليكم)
بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف
بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم
اما لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في
قوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا
الجيف واياما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له (الى الله مرجعكم)
رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره (جميعا) لا يتخلف منكم احد
(وهو على كل شيء قدير) فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم
فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي
اليهم فحوى الكتاب على لسان النبي عليه السلام وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من الترغيب و
الترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال
هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا
بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه (الا انهم
يثنون صدورهم) يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا
عليه من التولي والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه
كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن
حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله عز وجل (ليستخفوا منه) التجأ
الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله
والمؤمنين على اعراضهم وجعله في ورود المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى
اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى
توسيط الارادة بين ثني الصدر وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسيط
الضرب بين الامر وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم
على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك

مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر
ذلك استهجانا بذكره او ايجازا لان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع
الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من تولّيهم عن الحق الذي القي
اليهم دخولا اوليا فيظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضه
انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر
لرسول الله صلى الله عم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في
بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ راسه
وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عم فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي عم
لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه
من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني
كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضه لتثنوني وقرئ تثنون
واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلأ وضعف يريد مطاوعة
صدورهم للثني كما تثني الهش من النبات اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم
وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضّت وادهامّت وقرئ تثنوي
بوزن ترعوي **الا حين يستغشون ثيابهم** اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل
عن ابن شداد او حين ياوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حينئذ
حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني
ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي **يعلم ما يسرون** اي يضمرون في قلوبهم
وما يعلنون اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى
يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا
بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان
علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق بما هناك من المحاسبة
بالمخفي اولا منها بما يبديه عرض بل الامر بالعكس وانما هنا فقد تعلق باشعار كون

على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم **ايكم احسن عملا** فيجازيكم
بالثواب والعقاب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين
حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج و
الدلائل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل
الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف
من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد
آثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنائع الله الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات
المنصوبة في الانفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر
والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان
ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم
بجوارحه مثل عمل اهل الارض تعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق
المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى
العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة
التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم
المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات
والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور
كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب الرائقة
يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما
يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة انما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف
والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الانداج
تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو
عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في
الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها **ولئن قلت**

انكم مبعوثون من بعد الموت علي ما يوجبه قضية الابتلاء ليترتب عليه الجزاء
المتنوع على حسب مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا ان وجه الخطاب في قوله تعالى
انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم فهو وارد
على طريقة الذم ان هذا الا سحر مبين اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة
الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق
الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القرآن لانبائه عنه في كل موضع وكونه
علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتعاديا
عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلائمه التسمية بالسحر فانه
انما يطلق على شيء موجود ظاهر لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت
وتعلق الآية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء
المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية
فردة من تتماته لا يتلعثمون في الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا
عن تصديق ما بقي من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي
خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم
تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرئ انه
والكناية الى الساحر على ان الاشارة الى القائل او الى القرآن على اسلوب شعر شاعر
وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان انكم بمعنى علكم اي ولئن قلت
لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا
القول بانكاره او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى
اللجاج والعناد وربما قرع اسماعهم بت القول بخلاف ما الفوا والفوا عليه
آباءهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التامل والتدبر فما فعلوه فانهم
اني يؤفكون ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على تكذيبهم او العذاب الموعود
في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر
وعن ابن عباس رضه انه قتل جبرئيل عليه السلام المستهزئين والظاهر ان المراد به
العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعضهم على انه لم يكن موعودا استعجل منه

المنادية بكونها من عند الله عز وجل لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اي
عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم في اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا
لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة
وتماديا في العناد على وجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز مال خطير مخزون يدل على صدقه
او جاء معه ملك يصدقه قيل قاله عبد الله بن امية المخزومي وروي عن ابن عباس رضي
ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا
بالملائكة يشهدون بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه صلى الله عليه وسلم
لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت
تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل
صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا حيل
حاله عليه السلام بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات
الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق فقيل
انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد
والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالك واحوالهم
فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير
في اقصى غاية من اصابة المحز ام يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر تركهم
اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة
على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشروع في ذكر
ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجب و
الضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى اي بل ايقولون افتراه وليس
من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فاتوا انتم ايضا بعشر سور مثله في البلاغة
وحسن النظم وهو نعت لسور اي امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها
او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى انؤمن لبشرين
مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة
المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها

بالمماثلة لما يوحى انها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة
واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي وانما ذكر على نهج
المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة
في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند انفسكم
ان صح اني اختلقته من عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم
مبادي ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم اساليب النظم
والنثر وادعوا للاستظهار في المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم
التي تزعمون انها ممدة لكم في كل ما تأتون وتذرون والكهنة وعدّار بكم الذين تلجأون
الى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها من دون الله متعلق بادعوا اي متجاوزين الله تعالى
ان كنتم صادقين في اني افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله
وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم
اي فان لم يفعلوا ما كلفتموهم من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه
بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كأن امره لهم بالاتيان بمثله
دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عم والجمع للتعظيم كما في قول من قال
وان شئت حرمت النساء سواكم او له وللمؤمنين لانهم اتباع له عليه السلام في الامر
بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه عم ويناصبوا معه لمعارضة
المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان
والطمأنينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا اي اعلموا احين ظهر لكم
عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما يقينيا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه
لشائبة ريب بوجه من الوجوه كأن ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للاشعار
بانحطاط تلك المراتب بل لارتفاع هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع
بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم يستتبع تنزيل الجزم بعدم الاستجابة
منزلة الشك فيه او اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم انما انزل ملتبسا بعلم الله
المخصوص به بحيث لا يحوم حوله العقول والافهام مستبدا بخصائص الاعجاز من جهتي
النظم الرائق والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو اي واعلموا ايضا ان لا شريك له في

مطالبهم الدنية وحبط وبطل على النسق اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك
ما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثر الدنيوي فيبطل مطلقا
وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من
في زور كلام وعن انس رض ان المراد بقوله تعالى من كان يريد الخ اليهود والنصارى
ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن
وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عم فاسهم لهم في الغنائم
وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم
اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيره ممن يعمل اعمال البر لا لوجه الله تعالى
فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية
الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم
القادحون في القرآن العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بان يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل بعلم الله وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا
وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله
عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم
الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية
وبيان ان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك اي بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر
من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل أفمن كان على بينة من ربه
اي برهان نير عظيم الشأن يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن
وباعتباره او بتأويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تعالى ويتلوه اي يتبعه شاهد
يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع
في بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل
غير انه على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عم والمؤمنين
في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اي من القرآن غير خارج عنه
او من جهته الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد
بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة

القرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى أفمن كان من اتصف بهذه الصفة
الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم دخولا اوليا وقيل النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة
دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير في منه لله عز وجل او البينة القرآن ويتلوه من التلاوة
والشاهد جبرئيل او لسان النبي صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه
والاولى هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه
من عند الله تعالى تابعا له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القرآن بينة باقية
على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بامرها الى يوم القيمة عند كل مؤمن وجاحد عطف
كتاب موسى في قوله عز قائلا **ومن قبله كتاب موسى** على فاعله مع كونه متقدما عليه
في النزول فكانه قيل أفمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر
من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما
له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم **اماما**
اي مؤتما به في الدين ومقتدى به وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب
ما لا يخفى من تفخيم شان المتلو **ورحمة** اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم
الى يوم القيمة باعتبار احكامه الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب
اولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة من الله ذلك دال ان
عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من عظماء
الدين من غير غور على دقايق الحقايق وصفهم بانهم **يؤمنون به** اي يصدقونه
حق التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته **ومن يكفر به** اي بالقرآن
ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة **من الاحزاب** من اهل مكة ومن تحزب معهم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم **فالنار موعده** يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا
ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف
من افانين العذاب **فلا تك في مرية منه** اي في شك من امر القرآن وكونه
من عند الله عز وجل غبّ ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به
انه الحق من ربك الذي يربيك في دينك ودنياك **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون**

ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة **لا جرم** فيه ثلثة اوجه الاول
ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم
ذلك الفعل حق **انهم في الآخرة هم الاخسرون** وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب
وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك
الا ظهور خسرانهم والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد اي لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون
واياما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآيات
الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من
كان يريد الحيوة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر كل خاسر
لم يتصور مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو
في اعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم ومالهم شرع في
بيان حال اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤل اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة
لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه الآية ليتبين ما
بينهما من التباين البين حالا ومآلا فقيل **ان الذين آمنوا** اي بكل ما يجب ان يؤمن به
فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله
وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي الى ذلك في الانفس
والآفاق او فعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع **وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم**
اي اطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض
المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت كانهم وانجد دخل في تهامة ونجد
اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة **اصحاب الجنة هم فيها خالدون** دائمون
وبعد بيان تباعد حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل **مثل الفريقين** المذكورين
اي حالهما العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات
كالاعمى والاصم والبصير والسميع اي كحال هؤلاء فيكون في ذواتهم كذواتهم والكلام
وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني
بالبصير وبالسميع لكن الادخل في المبالغة والاقرب الى ما اشير اليه بلفظ المثل و
الانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل

على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع
بين البصر والسمع على ان يكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع
لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها
بلفظ المثل هي التي يدور عليها امر التشبيه مما يلائم الاحوال المذكورة المعتبرة في
جانب المشبه به من تعامي الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في
العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع آيات القرآن الكريم و
تلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
والتعامل براعة هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم
ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه
بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فسر به فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيلا
لا لجميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف
والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم في الآخر فان اعتبار ذلك يستدعي كون
التشبيه تمثيلا بان ينتزع من حال الفريق الاول في تصامهم وتعاميهم المذكورين
ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة
فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في
مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في
استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة
فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه
هل يستويان يعني الفريقين المذكورين والاستفهام انكاري مذكر لما سبق من
انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على بينة الآية **مثلا** اي حالا وصفة وهو تمييز
من فاعل يستويان **افلا تذكرون** اي اتشكون في عدم الاستواء وما بينهما
من التباين او تتغافلون عنه فلا تتذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون
الانكار واردا على المعطوفين معا او اتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا
الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى

ولذا الحال في قولهم **وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي** ما الفعل
من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك
في موضع الحال منه اما على حاله او بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون
من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وتعلق الرأي في الاول بالمثلية
لا بالبشرية فقط وانما لم يسوقوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه ارادة بان
ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التأمل في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا
على ذكر الظن فيما سيأتي ولم يتعرضوا من الاول الامر برأي المتبعين فكأن قولهم
وما نراك جواب عما يرد عليهم من انه عليه السلام ليس مثلهم حيث عاين دلائل
نبوته واعتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هؤلاء اراذلنا
اي اخساؤنا واداننا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر
والاكابر او جمع رذل كالكلاب والاكلب وكلب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك
اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي
اي ظاهره من غير تعمق من البدو او اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار
ما قبلها وقد قرأ به ابو عمرو بها وانتصابه على الظرفية على حذف المضاف اي وقت
حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم
اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف
عندهم الاكثر منها حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله
جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من
حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك **وما نرى لكم** اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب
على الغائبين **علينا من فضل** يعنون ان اتباعهم لك لا يدلك على نبوتك ولا يجديكم
فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تعرضهم
برذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل
قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا **بل نظنكم
كاذبين** جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة
واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم الى المجازفة

ومجاراة معه عليه السلام بطريق الإراءة على نهج الإنصاف قال يا قوم أرأيتم أي أخبروني وفيه إيماء إلى ركاكة رأيهم المذكور إن كنت على بينة أي برهان ظاهر من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده هي النبوة ويجوز أن يكون هي البينة نفسها جيء بها إيذانا بأنها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه إفراد الضمير في قوله فعميت عليكم حينئذ ظاهر وإن أريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالإفراد لإرادة كل واحدة منهما أو لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة أو لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت أخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته أن الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة أبي فعماها عليكم على الإسناد إلى الله عز وجل أنلزمكموها أي أنكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب أرأيتم وساد مسد جواب الشرط وقرئ أبو عمرو بإخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد تقدم أعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى فسيكفيكهم الله وأنتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها ومحصول الجواب أخبروني إن كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي إلا أنها خافية عليكم غير مسلمة عندكم أيمكننا أن نكرهكم على قبولها وأنتم معرضون عنها غير متدبرين فيها أي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه السلام بطريق إظهار اليأس عن إلزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الخ لكنه محمول على أن مراده عليه السلام ردهم عن الإعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الإنكار إلى الإلزام حال كراهتهم لها لا إلى الإلزام مطلقا هذا ويجوز أن يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز أفراد البشر بعضها عن بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على أن يكون الضمير للبينة عدم إدراكهم لكونه عليها وبالرحمة النبوة التي أنكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى أنكم زعمتم أن عهد النبوة لا ينال إلا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم أخبروني إن امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها إلى الآن

فإنهم زعموا أن النبوة تستتبع الأمور المذكورة وأنها لا تتسنى لمن ليس على تلك الصفات وأن العثور على مكانها واغتنام مغانمها ليس من دأب الأرذال فأجاب عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكأنه قال لا أقول وجود تلك الأشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير الله أعلم بما في أنفسهم من الإيمان وإنما اقتصر على نفي القول المذكور مع أنه عليه السلام جازم بأن الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وأنهم على يقين راسخ في الإيمان جريا على سنن الإنصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وإرشادا لهم إلى مسلك الهداية بأن اللائق لكل أحد أن لا يبت القول إلا فيما يعلمه يقينا ويبني أموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة إني إذا أي إذا قلت ذلك لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم أو من الظالمين لأنفسهم بذلك فإن وباله راجع إلى أنفسهم وفيه تعريض بأنهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل إذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لأن نفي تلك الأقوال منفية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فأكثرت جدالنا أي أطلته أو أتيت بأنواعه فإن إكثار الجدال يتحقق بعد وقوع أصله فلذلك عطف عليه بالفاء أو أردت ذلك فأكثرته كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولما حجهم عليه السلام وأبرز لهم بينات واضحة المدلول وحججا تلقتها العقول بالقبول وألقمهم الحجر برد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل أو العذاب الذي أشير إليه في قوله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم على تقدير أن لا يكون المراد باليوم يوم القيامة إن كنت من الصادقين فيما تقول قال إنما يأتيكم به الله إن شاء يعني أن ذلك ليس موكولا إلي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وإنما يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتم أمره يأتيكم به عاجلا أو آجلا إن تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكأنه قيل الإتيان به أمر خارج عن دائرة القوى البشرية وإنما يفعله الله عز وجل وما أنتم بمعجزين بالهرب أو بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول أو فعل وحقيقته إمحاض إرادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو إعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى

إن أردت أن أنصح لكم شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير
إن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى
إن كان الله يريد أن يغويكم والتقدير إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت
أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب إليه البصريون من عدم تقدم الجزاء على الشرط
وأما على ما ذهب إليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط
الأول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الأول وتعلقه
معلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فأكثرت جدالنا صدر عنه
عليه السلام إظهاراً للعجز عن إلزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وإيذاناً بأن
ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق التنصيح لهم والشفقة عليهم وبأنه
لم يأل جهداً في إرشادهم إلى الحق وهدايتهم إلى سبيله المستبين وإمحاض النصح لهم
ولكن لا ينفعهم ذلك عند إرادة الله تعالى لإغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بإرادته
مع أنه محقق لا محالة للإيذان بأن ذلك النصح منه مقارن للإرادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة
بين ذلك وبين ما وقع بإزائه من إرادته تعالى لإغوائهم وإنما اقتصر في ذلك على مجرد
إرادة الإغواء دون نفسه حيث لم يقل إن كان الله يغويكم مبالغة في بيان
غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك على أن نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد
إرادة الله سبحانه تعالى لإغوائهم فكيف عند تحقق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للإشعار بتقدم
إرادته تعالى زماناً كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وإنما قدم على هذا الكلام
ما يتعلق بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله تعالى إنما يأتيكم به الله إن شاء ردّاً عليهم
من أول الأمر وتسجيلاً عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل
على أن إرادته تعالى يصح تعلقها بالإغواء وأن خلاف مراده غير واقع وقيل معنى أن
يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم ومالك أمركم
وإليه ترجعون فيجازيكم على أعمالكم لا محالة أم يقولون افتراه قال ابن عباس رضي
يعني نوحاً عليه السلام ومعناه بل يقول قوم نوح إن نوحاً افترى ما جاء به مسنداً إلى الله
عز وجل قل يا نوح إن افتريته بالفرض البحت فعلي إجرامي أي وبال إجرامي وهو كسب الذنب
وقرئ بلفظ الجمع ويعضده أن فسره الأولون بآثامي وأنا بريء مما تجرمون من إجرامكم

جاهلين فيما يأتون ويذرون أمر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منهم لكنه عليه السلام
لم يكن يتصدى للإخبار به جرياً على نهج الأخلاق الحميدة وإنما أظهره جزاء بما صنعوا
بعد اللتيا والتي فإن سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم
بهذا المبلغ فتبصّر قال إن تسخروا منا أي إن تستجهلونا فيما نحن بصدده من التأهب
والمباشرة لأسباب الخلاص من العذاب لجهلكم وسخرتم منا لأجله فإنا نستجهلكم
فيما أنتم فيه من الإعراض عن استدفاعه بالإيمان والطاعة ومن الاستمرار على
الكفر والمعاصي والتعرض لأسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم إيانا و
سخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل كما تسخرون إما في مجرد التحقق والوقوع
أو في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملأ بعد ملأ لا في الكيفيات والأحوال التي
لا تليق بشأن النبي عليه السلام فكلا الأمرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل
سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة
ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لأن نفس السخرية مما لا يكاد يليق
بمنصب النبوة ومع ذلك لا يسدّده لأن حالهم إذ ذاك ليس مما يلائمه السخرية
أو ما يجري مجراها فتأمل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق
ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وفيه تهديد
بليغ ومن عبارة عنهم وهي إما استفهامية في حيز الرفع أو موصولة في محل النصب
بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين أو مفعول واحد إن جعل العلم بمعنى
المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم إياه عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة
لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في
بناء السفينة وكانوا يعدونه عذاباً قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه
العذاب يعني أن ما باشرته ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب
ولقد أصاب العلم بعد استجهالهم محزّه ووصف بالإخزاء لما في الاستهزاء والسخرية
من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد
وتخصيصه بالمؤجل وإيراد الأول بالإتيان في غاية الجزالة حتى إذا جاء أمرنا
حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله

ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب كلما وقيل استيناف
على تقدير سؤال سائل كما ذكرنا وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل منه او
صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه
عليه السلام وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام
وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها والتنور تنور
الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من
التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل
كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء
من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما
يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام
يقال له عين وردة وعن ابن عباس رض وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض
وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور
طلع الفجر **قلنا احمل فيها** اي في السفينة وهو جواب اذا **من كل** اي من
كل نوع لا بد منه في الارض **زوجين** الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى
كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل **اثنين**
كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين لكونه
عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام في تمييز بعضه
من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل
من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في
كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلها في السفينة واما البشر
فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه الحمل او لانهم انما يحملون بمباشرة البشر وهم
انما يدخلونها بعد حملهم اياها **واهلك** عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته
وبنوه ونساؤهم **الا من سبق عليه القول** بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى
ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين
والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان

وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ
حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في انه لم يقع
من حيوته بأس بعد   اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته
وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار
قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق
اياه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه
عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي علم
من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كون ابنه داخلا تحته بل كان كالمجمل
فحملته شفقة الابوة على ذلك   بالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من
ياء الاضافة في قولك يا بنيا وقرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة
او سقطت الالف والياء لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة
قرأ ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق
الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض
مع اغناء المعية عن ذلك   اي في المكان وهو وجه الارض
خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه كونه معه في
الايمان لانه عم بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر
من الجبال   بارتفاعه   زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول
المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى واني له ذلك وقد بلغ السيل الزبى
وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء
الى ملجأ المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك
الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته
للجبل من كونه عاصما من الماء بان يقول لا يعصمك منه فعبر بالنفي وصفا العصمة عنه
فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف اصلا لكنه عليه السلام حيث
سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة
كما في قولهم ليس فيه داع ولا مجيب اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما

بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كساير الايام التي تقع فيها المليات
المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء لا ببعض الاسباب العادية وعبر عن الماء
في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي اشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما
لشانه وتهويلا لامره تنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهم انه كساير المياه
التي يتفصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله
لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء
كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشانه الجليل بالابهام
ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقتها
على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عم بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان
الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئا وارشاده
الى العياذ بالمعاذ الحق عز جاره وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه
الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى وحال بينهما
الموج اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاورة لا بين ابنه وبين الجبل
فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عم وبين ابنه لا بينه وبين الجبل
لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجي اليه موج وفيه دلالة على هلاك
ساير الكفرة على ابلغ وجه وكان ذلك امرا متقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان
دون صار مبالغة في كونهم منهم وقيل يا ارض ابلعي اي انشفي استعير له من
ازدراد الحيوان ما ياكل للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي ماءك اي
ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار
وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل
لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اي امسكي عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء
اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اي كفت وغيض الماء اي نقص ما بين السماء والارض
من الماء وقضي الامر اي انجز ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله
او اتم الامر واستوت استقرت الفلك على الجودي هو جبل بالموصل او بالشام
او بامل روي انه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر

ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او
مشتبه الحال او لا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر وهي توبة منه عليه السلام
مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة في التوبة واظهارا للرغبة
والنشاط فيها وتبركا بذكر بالعنه الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسالك
لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا هائلا محذورا لا محيص منه الا بالعوذ بالله تعالى
وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر لي ما صدر عني من السؤال
المذكور وترحمني بقبول توبتي اكن من الخاسرين اعمالا بسبب ذلك فان الذهول
عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء و
الاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص من قيل في شانه انه عمل غير صالح والتضرع
الى الله تعالى في امره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتاخير ذكر هذا النداء عن حكاية
الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء
الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى
فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم
بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب
وان لا يقدم في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين قياسا على ما وقع في قصة البقرة
من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم
نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب
هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة وتثنية التقريع عليهم بكل نوع
نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الى الآية لتقريعهم على
الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا الخ للتقريع على
قتل النفس المحرمة وما تبعه من الامور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض
الذي هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى
فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية الخ
لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النداء كما
ترى مستتبع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عليه السلام المؤدي ذكرها

ايا ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله عليه السلام من الفلك بالسلام والبركات
النازلة عليه وعلى المؤمنين حسبما سيحكى مفصلا ولا ريب في ان من [illegible]
اخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها
من بعض وان ذلك انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام
الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر
كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الايجاز البليغ وفيه
فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر النداء اثر عقيب قوله فكان من
المغرقين لربما توهم من اول الامر ان يرد قوله تعالى انه ليس من اهلك انما ينجو
بدعائه عليه السلام فنص على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسماء الذي
هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع وبين
بلوغ امر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام
الطوفان واستواء الفلك على الجودي ثم نعت القصة الى هذه المرتبة وبقي ذلك
اي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة
جلت حكمته فذكر بعد توبته عليه السلام قبولها بقوله **قيل يا نوح اهبط** اي انزل من
الفلك وقرئ بضم الباء **بسلام** ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة **منا** او بسلام
وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين **وبركات عليك** اي خيرات نامية في
نسلك وما يقوم به معايشك ومعايشهم من انواع الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام
وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان انواع الخيرات عليه
في كل ما ياتي وما يذر **وعلى امم** ناشئة **ممن معك** متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد
الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيامة **وامم سنمتعهم** اي وممن معك امم على انه
خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فان ايراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على
ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه
بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام
مسلما ومباركا عليهم صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه السلام ومن كون ذريتهم
كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية اي على امم الذين معك وانما سموا امما

المستوجبة الشكر الذي لا يتاتى الا بالجريان على موجب امره الغالب عوضا عن المطالب
الدنيوية التي من جملتها الاجر **افلا تعقلون** اي اتغفلون عن هذه القضية او لا تتفكرون
فيها فلا تعقلونها او اتجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى
على احد من العقلاء **ويا قوم استغفروا ربكم** اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب
بالايمان والطاعة **ثم توبوا اليه** اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون
بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده **يرسل السماء** اي المطر **عليكم مدرارا**
اي كثير الدرور **ويزدكم قوة الى قوتكم** اي يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم
كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم
ثلث سنين فوعدهم هود عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة
ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه **مجرمين** مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام **قالوا يا هود ما
جئتنا ببينة** اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوا ذلك لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما
جاءهم من البينات الفائتة للحصر **وما نحن بتاركي آلهتنا** اي بتاركي عبادتها **عن قولك** اي صادرين
عنه اي صادرا تركنا عن ذلك وما اسناد حال الوصف الى الموصوف ومعنا التعليل على ابلغ وجه
لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف
اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا **وما نحن لك بمؤمنين** اي بمصدقين في شيء
مما تأتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من الدلالة
على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى **ان نقول الا اعتراك** اي ما نقول الا قولنا اعتراك
اي اصابك **بعض آلهتنا بسوء** بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة
الالوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء
للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول
القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام متقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا
عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه السلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب
عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون
انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين
فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي

من الأدنى إلى الأعلى حيث أخبروا أولاً عن عدم مجيئه عليه السلام بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه وإن لم يكن واضحة الدلالة على المراد وثانياً عن ترك الامتثال بقوله عليه السلام بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع إمكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه ثم نفوا التصديق له عليه السلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة أيضاً حيث قالوا ما قالوا فإنهم أنى يؤفكون أي من أجلكم (?)

من دون الله أي من غير أن ينزل به سلطاناً كما قال في سورة الأعراف أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أو مما تشركون من آلهة غير الله أجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر أو ينفع وأنها بمعزل من ذلك ولما كان ما وقع أولاً منه عليه السلام في حق آلهتهم من كونها بمعزل من الألوهية إنما وقع في ضمن الأمر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شيناً حتى زعموا أنها تصيبه عليه السلام بسوء مجازاة لصنيعه صرح عليه السلام بالحق وصدع به حيث أخبر ببراءته القديمة عنها بالجملة الاسمية المصدرة بإن واستشهد الله تعالى على ذلك وأمرهم بأن يسمعوا ذلك وليشهدوا به استهانة بهم ثم أمرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعاً دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون في إيصال الكيد إليه عليه السلام ونهاهم عن الإنظار والإمهال في ذلك فقال **فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون** أي إن صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على إضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فإني بريء عنها فكونوا أنتم معها جميعاً وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالغاية (?) التشريع الأمر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وفي البراءة كلتيهما وهذا من أعظم المعجزات فإنه عليه السلام كان رجلاً مفرداً بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقر آلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لأسباب المعازة والمعارة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهوراً بيناً كيف لا وقد التجأ إلى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال **إني توكلت على الله ربي وربكم** يعني أنكم وإن بذلتم في مضارتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فإني متوكل على الله تعالى وإنما جيء بلفظ الماضي لكونه أدل على الإنشاء المناسب للمقام وأتى بكلاءته وحفظه

عطف على ما سبق من قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هوداً وثمود قبيلة من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عابر بن إرم بن سام وقيل إنما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح عليه السلام هو ابن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الإخبار بإرساله إليهم مظنة لأن يسأل ويقال فماذا قال لهم قيل جواباً عنه بطريق الاستئناف **قال يا قوم اعبدوا الله** أي وحده وقد مر تحقيقه **ما لكم من إله غيره** ثم زيد فيما سبق على التوحيد وحثهم عليه زيادة الإخلاص فيه بقوله **هو أنشأكم من الأرض** أي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره فقد قلت أو قصر أفراد فإن خلق آدم عليه السلام منها خلق لجميع أفراد البشر منها لما مر مراراً من أن خلقته عليه السلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجاً منطوياً على خلق جميع ذريته التي ستوجد إلى يوم القيامة انطواء إجمالياً وقيل إن خلق آدم عليه السلام وإنشاء مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب إنشاء لجميع الخلق من الأرض فتدبر **واستعمركم فيها** من العمر أي عمركم واستبقاكم فيها أو من العمارة أي أقدركم على عمارتها أو أمركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم **فاستغفروه ثم توبوا إليه** فإن ما فصل من فنون الإحسان داع إلى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل **إن ربي قريب** أي قريب الرحمة كقوله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين **مجيب** لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الأمر بالاستغفار والتوبة وأخر عنه ذكر الغاية المتأخرة عنهما في الوجود أعني الإجابة **قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً** أي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد أن تكون لنا سيداً ومستشاراً في الأمور وعن ابن عباس رضي الله عنه فاضلاً خيراً نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه **قبل هذا** الذي باشرته من الدعوة إلى التوحيد وترك عبادة الآلهة أو قبل هذا الوقت فكأنهم لم يكونوا إلى الآن على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة إلى الحق فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا وقرئ (?) مرجوءاً بالمد والهمز

أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا أي عبدوه والعدول إلى صيغة المضارع لحكاية
الحال الماضية وإننا لفي شك مما تدعونا إليه من التوحيد وترك عبادة الأوثان وغير
ذلك من الاستغفار والتوبة مريب أي موقع في الريبة من أرابه أي أوقعه في
الريبة أي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة أو من أراب إذا كان ذا ريبة وأيهما كان فالإسناد
مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم قال يا قوم أرأيتم أي أخبروني إن كنت في
الحقيقة على بينة أي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي أمري وآتاني
منه من جهته رحمة نبوة وهذه الأمور وإن كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك
اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرني من الله
أي ينجيني من عذابه والعدول إلى الإظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب إنكار النصرة على
ما سبق من إيتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى
إن عصيته أي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فإن العصيان
ممن ذلك شأنه أبعد والمؤاخذة عليه ألزم وإنكار نصرته أدخل فما تزيدونني إذا باستتباعكم
إياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أي لا تفيدونني إذ لم يكن فيه أصل الخسران
حتى يزيدوه غير تخسير أي غير أن تجعلوني خاسرا بإبطال أعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى أو فما
تزيدونني بما تقولون غير أن أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم إنكم لخاسرون فالزيادة على معناها
والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من إنكاره على تقدير العصيان مع تحقق
ما ينفيه من كونه عليه السلام على بينة من ربه وإيتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله
الإضافة للتشريف والتنبيه على أنها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق
لكم آية معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما في ها من معنى
الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز
أن يكون ناقة الله بدلا من هذه أو عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية فذروها خلوها وشأنها
تأكل في أرض الله ترع نباتها وتشرب ماءها وإضافة الأرض إلى الله عز وجل
لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الأمر بتركها وشأنها ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن
التعرض لها بما يضرها حيث نهي عن المس الذي هو من مبادي الإصابة ونكر السوء أي لا تضربوها
ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب

وإنما أسند إليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الإرسال لأنهم لم يكونوا مرسلين
إليه عليه السلام بل إلى قوم لوط لقوله تعالى إنا أرسلنا إلى قوم لوط وإنما جاءوه لداعية
البشرى ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الأمم السالفة
مع الرسل المرسلة إليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم
إبراهيم عليه السلام ممن لحق بهم العذاب بل الملحق بقوم لوط منهم خاصة غير الأسلوب
المطرد فيما سبق من قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هودا وإلى ثمود أخاهم صالحا ثم رجع إلى النسق
حيث قيل وإلى مدين أخاهم شعيبا بالبشرى أي ملتبسين بها قيل هي
مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها
بإسحاق الآية وقوله وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة
بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى
لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سيأتي وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط
ويأباه مجادلته عليه السلام في شأنهم والأظهر أنها البشارة بالولد وستعرف
تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الإخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع
بأنهم ما قالوا أجيب بأنهم قالوا سلاما أي سلمنا أو نسلم عليك سلاما ويجوز
أن يكون نصبه بقالوا أي قالوا قولا أو سلاما أو ذكروا سلاما قال سلام أي عليكم
سلام أو سلام عليكم حياهم بأحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم في حرام وقرأ ابن أبي
عبلة قال سلاما وعنه أنه قرأ بالرفع فيهما فما لبث أي إبراهيم أن جاء بعجل
أي في المجيء به أو ما لبث مجيئه بعجل حنيذ أي مشوي بالرضف في الأخدود وقيل
سمين يقطر ودكه كقوله تعالى بعجل سمين من حنذت الفرس إذا عرقته بالجلال
فلما رأى أيديهم لا تصل إليه لا يمدون إليه أيديهم للأكل نكرهم أي أنكرهم يقال نكره
وأنكره واستنكره بمعنى وإنما أنكرهم لأنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم
ظنوا أنه لم يجئ بخير وقد روي أنهم كانوا ينكتون بقداح كانت في أيديهم في اللحم ولا تصل
أيديهم وهذا الإنكار منه عليه السلام راجع إلى فعلهم المذكور وأما الإنكار المتعلق بأنفسهم فلا تعلق
له برؤية عدم الأكل وإنما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من
الناس ألا يرى إلى قوله تعالى في سورة الذاريات سلام قوم منكرون وأوجس منهم

اي احس واضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه السلام اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم و تحقيقه ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف ما قالوه بمجرد ما راوا منه مخائل الخوف ازالة له منه بل بعد اظهاره عليه السلام له قال تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك ظاهر انه استيناف في معنى التعليل للنهي المذكور كان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب امنهم من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليهم السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوه وهي قائمة تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء اي فبشرناها باسحق وراء اسحق يعقوب بسرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله فبشرناها اي وهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء خبره الظرف اي من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحيى او واقع في الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة ههنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابرهيم عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استيناف وقع جوابا عن سؤال من قال فماذا فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتى اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان حضورك

الموقن ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود تعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة يا ابرهيم اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشان قد جاء امر ربك اي قدره الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم آتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رضي الله عنه انطلقوا من عند ابرهيم عليه السلام الى لوط عليه السلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صورة غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرا نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو وسيء وسيئت باشمام الشين الضم روي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاق بنفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل والمساعد وكانه قدر البدن مجازا اي ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم للجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قولهم ضاق بهم ذرعا قصرها كان معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تناطيه فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اي لوطا وهو في بيته مع اضيافه قومه يهرعون اليه اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله

ومن قبل اى من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اى جاؤا
مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها
حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين
قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم
ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفائتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار
كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص
بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما
ابنتيه وايا ما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه
يجري على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهار الشدة
امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا
عما اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو
الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك
الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون في ضيفي اى لا تفضحوني في شانهم
فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاء له او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء اليس منكم
رجل رشيد يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح قالوا معرضين عن نصحهم
من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك
وما لنا غرض الا عوض سابرتي ولا مطمح الا في ذلك وانك لتعلم ما نريد من اتيان
الذكران وما ينبغي عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من البغي قال لو ان لي بكم قوة اى لفعلت
بكم ما فعلت وصنعت كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او كلم به الموتى او آوي
الى ركن شديد عطف على ان لي بكم لما فيه من معنى الفعل اى لو قويت على دفعكم بنفسي
او اويت الى ناصر عزيز قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي
عن النبي عليه السلام رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وروي انه عليه السلام
اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة
ما على لوط من الكرب قالوا اى الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط انا رسل ربك

من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل
من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل
العطية في الادرار او من السجل اى مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله
من سجين اى من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد في السماء نضدا
معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب
وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من ترمى به
عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل وما هي اى الحجارة الموصوفة
من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانه بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه
وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام
فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
وقيل الضمير للقرى اى هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام
وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر اى بشيء بعيد او
بمكان فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت
منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر
كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث والى مدين
اى اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او اهل مدين وهو
بلد بناه فسمي باسمه اخاهم اى نسيبهم شعيبا وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين
وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى
والى ثمود اخاهم صالحا اى وارسلنا الى مدين شعيبا قال استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ عن صدر الكلام فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من
قبله من الرسل عليهم السلام يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم
من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب
على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة
مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كي تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق
الناس اني اريكم بخير اى ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك

او بنعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تأتونه من المسامحة والتفضل على
الناس شكرا عليها او ارى لكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل
حال علة للنهي عقبت بعلة اخرى اعني قوله عز وجل وانى اخاف عليكم اذا لم
تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب يوم مهلك
من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيامة او
عذاب الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب على الاسناد
المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث
فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون
هذا تعليلا للامر والنهي جميعا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي بالعدل من
غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن وان كانت تفضلا مندوبا اليه لكنها
في الآلة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال
وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة وتنبيها
على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس
بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيار الظلمهم وقانونا للعدوان ولا تبخسوا
الناس بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما اشياءهم التي يشترونها بهما وقد صرح
بالنهي عن البخس بعد ما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما
بشأنه وترغيبا في ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون
المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون
النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى
ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم نقص الحقوق وغيره من انواع
الفساد وقيل البخس المكس كاخذ العشور في المعاملات قال زهير بن
ابي سلمى افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
والعيث في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج
ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام
وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر آخرتكم ومصالح دينكم

لا يصلح ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزائهم
بي وبافعالي حتى قلتم ان ما امركم به من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب
عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به امر العقل وتقتضيه قاضي الفطنة وانما
يأمر به صلواتك التي هي من احكام الوسوسة والجنون فاخبروني ان كنت من جهة
ربي ومالك اموري مأمورا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح
لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا اتقولون في شأني وشأن افعالي ما تقولون
مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السباق ويساعده
النظم الكريم واما ما قيل من ان المحذوف ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة
الاوثان والكف عن المعاصي او هل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه فبمعزل من ذلك
وانما يناسب تقديره ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين على معنى
ادينك يأمرك ان نكلفنا ترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق
في اموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك
فانك انت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح
قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسوقا على ذلك النمط فاجيبوا بما اجيبوا به
وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي اتاه الله تعالى والمعنى حينئذ
اخبروني ان كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقني مالا حلالا استغني به عن العالمين
ايصح ان اخالف امره واوافقكم فيما تأتون وما تذرون وما اريد يعني اياكم عما
انهاكم عنه من البخس والتطفيف ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي اقصد
بعد ما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو
مول عنه وخالفته عنه كذا اذا كان الامر على العكس ان اريد اي ما اريد بما
اباشره من الامر والنهي الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت
اي مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح
في الجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه منه وما توفيقي اي كوني موفقا لتحقيق ما
انتحيه من اصلاحكم الا بالله اي بتأييده ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق مستند اليه

وانما انا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى
يوهمه اسناد الاستطاعة اليه بارادته من استبداده بذلك الا بالله
في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في
حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبة الاستمداد به
والاستظهار واليه انيب اي ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون المراد وما
كوني موفقا لاصابة الحق والصواب في كل ما آتي واذر الا بهدايته ومعونته عليه
توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي واليه انيب اي عليه
اقبل بشراشر نفسي في مجامع اموري وايثار صيغة الاستقبال على الماضي
الانسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار
ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال
والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق
من جناب الله عز وجل والاستعانة به في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار
الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم واما تهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء كما قيل
فلان الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري
للجزاء او ما يعمه ويا قوم لا يجرمنكم اي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا
شقاقي معاداتي واصلها ان احد المتعاديين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر
ان يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم اي لا يكسبنكم معاداتكم لي ان يصيبكم مثل ما اصاب
قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الصيحة والرجفة
وقرئ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول
من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال فكما لا فرق
بين كسبته مالا واكسبته اياه لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في المعنى
الا ان الاول اصح وادور على السنة الفصحاء وقرأ ابو حيوة مثل بالفتح
لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات
اوقال وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب اصابة العذاب لكنه
في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عليه السلام على الطف اسلوب وابدعه

اذ امكن ابلغ التمكن وانما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على
رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على مكانتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم
مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي
وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نيتكم
واخراج ما في امنيتكم من القوة الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني
الله ويوفقني بانواع التأييد والتوفيق سوف تعلمون لما هددهم عليه السلام
بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسأل منهم سائل فيقول فماذا
يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وصف العذاب
بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه عليه السلام به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي
ظاهر حيث لا يكون الا بجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من يأتيه
لا على انه قسيم له بحيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب
والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام
وفي نسبته الى الضعف والهوان وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب
الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذب الكاذب
ليس مما يترتب كاتيان العذاب بل انما المترتب ظهور الكذب السابق المستمر
ومن اما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه
عذاب يخزيه واينا كاذب واما موصولة اي سوف تعرفون الذي يأتيه
عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول اني معكم رقيب
منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع
وفي زيادة معكم اظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بامره ولما جاء امرنا اي عذابنا
كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب
مؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الايمان
الذي وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكر بالواو كما في قصة عاد لما انه
لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي
صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب

وقوله ان موعدهم الصبح **واخذت الذين ظلموا** عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه **الصيحة** قيل صاح بهم جبرئيل عم فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فيما قبل **فاصبحوا في ديارهم جاثمين** ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها والكلام في تعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب لا بنفس مجيء العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصودا بالافادة وانما قدم تنجيته اهتماما بشانها وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم **كان لم يغنوا** اي لم يقيموا **فيها** متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها **الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود** العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبَعَد مصدر للمكسور **ولقد ارسلنا باياتنا** وهي الايات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التورية حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اي ارسلناه حال كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها **وسلطان مبين** هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالايات ما عداها او هما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء

الهتهم التي يدعون على البناء للمفعول **وما زادوهم غير تتبيب** اي هلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها **وكذلك** اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله **اخذ ربك** وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد **اذا اخذ القرى** اي اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ اذ اخذ **وهي ظالمة** حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم **ان اخذه اليم شديد** وجيع صعب على الماخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير **ان في ذلك** اي في اخذه تعالى للامم المهلكة او في قصصهم **لاية** لعبرة **لمن خاف عذاب الاخرة** فانه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الاخرة واما من انكر الاخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي التي يقترفها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار **ذلك** اشارة الى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الاخرة **يوم مجموع له الناس** اي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع **وذلك** اي يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له **يوم مشهود** اي مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضا كذلك **وما نؤخره** اي ذلك اليوم الملحوظ بعنوان الجمع والشهود **الا لاجل معدود** الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة **يوم يات** اي حين ياتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تاتيهم الساعة وقيل يوم ياتي الجزاء الواقع فيه وقيل اي الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان اليوم وقرئ باثبات الياء على الاصل **لا تكلم نفس** اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب

او شفاعة وهو العامل في الظرف او الانتهاء المحذوف في قوله تعالى الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي والمضمر المعهود واعني اذكر الا باذنه عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها في آخر منها والمأذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذنون فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقي على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي النار اي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج والمراد وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة كأن سائلا قال ما شأنهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه خالدين فيها حال ان اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اي مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأبيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اريد التعليق فالمراد سموات الآخرة وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى

في ان شرك ما يعبدون عبادة كعبادتهم وما يعبدون شيئا الا مثل ما عبده من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه وقد بلغك ما لحق آباءهم فسيلحقهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا آباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه غير منقوص حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتامل ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف فيه اي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيامة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم اي لاوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين وقيل بين قوم موسى وليس بذاك وانهم اي وان كفار قومك اريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس لفي شك عظيم منه اي من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي مريب موقع في الريبة وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي اجزية اعمالهم واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف ولما مركبة من من الجارة وما الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما قلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلث ميمات فحذفت اولاهن

والمعنى لمن الذين اولمن خلق اولمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الاية وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله سبحانه اكلا لما وقراء ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقران مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتوراة وانه لولم تسبق كلمة القضاء بتاخير عقوبتهم العامة ومواخذتهم التامة الى يوم القيمة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل وانهم موفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الاية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعنى بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تاكيد لمكان الفاصل القائم مقامه في الحقيقة اهو من عطف الجملة

علو الشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم ما فان في الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة من قبلكم على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة من قبلكم اولوا بقية من الراي والعقل اواولو فضل وخير وسميا بها لان الرجل انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية من التقوى اي فهلا كان منهم ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ اولو بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره اي اولو مراقبة وخشية من عذاب الله تعالى كانهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم ينهون عن الفساد في الارض الواقع منهم حسبما حكي عنهم الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لاولى البقية على النهي المذكور الا للقليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرا قومك القران الا الصلحاء منهم مريدا الاستثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح

حينئذ على البدلية **واتبع الذين ظلموا** بمباشرة الفساد وترك النهي عنه
اي اتبعوا اسن الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون
فظاهر واما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل
المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري
الفساد في الظلم والاجرام عبارة **وكانوا مجرمين** اي كافرين فهو بيان
لسبب استيصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع
ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اي
لم ينهوا واتبع الى آخره فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم في
الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب
او على استيناف يترتب على قوله الا قليلا اي الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا
عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون
الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الاتراف
وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم
للشكر او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز
ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اي اتبعوا
جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور ويعضده تقدم الانجاء
وما كان ربك ليهلك القرى اي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة ان يهلك
القرى التي اهلكها حسبما بلغك انباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها
من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي وقوله **بظلم** اي ملتبسا به قيل هو
حال من الفاعل اي ظالما لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم
والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره
عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة
اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله
ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى **واهلها مصلحون** حال من المفعول
والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقيده بما وقع حالا من فاعله اعني بظلم لدلالته

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى
تلك آيات الكتاب المبين عين ما سلف في مطلع سورة يونس من ابان
بمعنى بان اي الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى وفي اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار
عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا تشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم
دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اي المبين لما فيه من الاحكام و
الشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك
من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة
فالمراد انه المبين انباؤه عن قصة يوسف فانه قد روي ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين
سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر
وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من
قبيل براعة الاستهلال لما سيأتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف
الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الاضافي فقيل **انا انزلناه** اي الكتاب
المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب
بقوله تعالى **قرآنا عربيا** اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت
المسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها
قرآنا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل
والبعض كالكتاب او لانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم
لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا معانيه طرا وتحيطوا بما فيه من البدائع خبرا
وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر
نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه
لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه

آية بعد آية نحن نقص عليك احسن القصص اي احسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية
وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل
وترك المفعول لما الاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اي بايحائنا
اليك هذا القرآن اي هذه السورة فان كونها موحاة مبني عن كون ما في ضمنها مقصوصا
والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي
غير المتلو واما الظهور من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود وحسنه
لانه قد اقتص على ابدع الطرائق الرائقة الرائعة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة
كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين والآخرين وان كان
لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا
ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآنا عربيا بان يكون المراد بذلك
المجموع فتامل او نقص عليك احسن ما يقص من الانبياء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام
على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمي به المفعول
كالخلق والصيد ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم
والعبر ما لا يخفى كما حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الواقع
اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وان الشأن كنت
من قبله من قبل ايحائنا اليك هذه السورة لمن الغافلين عن هذه القصة
لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم
العلم بالغفلة لاجلال شأن النبي صلى الله عليه وسلم وان غفل عنه بعض الغافلين
اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن
الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال
فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه
اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه عن سبب آخر غير التعريف
وفتح السين وكسرها على بعض القراآت بناء على التلعب به لا على انه مضارع بني
للمفعول او الفاعل من آسف لشهادة المشهور بالعجمة لابيه يعقوب بن اسحق بن

هذا الذي يخشى غوائلهم ومكائدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهودا وروبيل
وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة بنو يعقوب من ليا بنت
خالته ودان ونفتالي وجاد واشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم
المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذي هو شقيق يوسف عليه السلام
وامهما راحيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفات اختها ليا او في حياتها اذ
لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي اذ لا يتوهم مضرته ولا
معرته ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد نهيه
عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة
فلا يألو جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو
استئناف كأن يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن اخوة الناشئين
في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عليهما السلام على ان
رؤياه شأنا عظيما يستتبع منافع وحذره اشاعتها المؤدية الى ان يحول اخوته
بينها وبين ظهور آثارها وحصولها او يتوعد السبيل وصولها شرع في تعبيرها وتأويلها
على وجه اجمالي فقال وكذلك اي ومثل ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت آثاره
في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وتحيته وعلى وفقه
يجتبيك ربك يختارك لجناب كبريائه وتشبيك افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك
على اشراف الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم
الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المحققة
بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت هي صورا واشباحا لها من
الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة اي كما سخرت لك تلك الاجرام
الاعظام سيسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك
على وجه الاستكانة ومراده بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه عمم لم يصرح به حذرا
من اذاعته ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلام
تأكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه السلام بما اخبر به على طريقة التعبير
والتأويل كأنه قال وهو يعلمك من تأويل الاحاديث اي ذلك الجنس من العلوم

او ظاهر فاصلات فتطلع على حقيقة ما اقول والاظهر ان ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سياتي بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس او الشيطان ان لم يكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وتسمية التعبير تاويلا لانه جعل المرئي آئلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعه اليه فكانه عليه السلام اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما بلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف يعقوب ذلك منه عليهما السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره على الاطلاق فيجوز ان يكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات والمخائل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز ما هو آفاقي منها مما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واقوى وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر وان هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به ومدارا لجريان احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم السلام معجزة تظهر آثاره وتجري احكامه ويتم نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي وللاشارة الى ما اشرنا اليه من كونه وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة وعلى آل يعقوب وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى

بحيث لم يبق عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما نقص عنهم من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين لتحضيض البقية فكانهم رضوا بذلك كما يروى ان القائل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا او يجعلوا كانهم القائلون وادرجوا تحت القول المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو ادل على ما رعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم جواب للامر اي يخلص لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يساهمكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم وتكونوا بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان او الواو بمعنى مع مثل قوله ولا تكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض الخ وقيل روبيل وهو استيناف مبني على سؤال من سال وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي الضيع ام خالفهم في ذلك احد فقيل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرضه عليهم بقوله والقوه في غيابة الجب اي في قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر التي لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرئ في غيابات الجب في الموضعين كان لتلك الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وفي غيابات وغيبة يلتقطه ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف على الضياع

بعض السيارة اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما فيهما وفي البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدري اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التأنيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تأليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رأيه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات او ان كنتم فاعلين ما ان عزمتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه ام لا فاجيب بطريق الاستئناف على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجيء من قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فقيل قالوا يا ابانا خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عليه السلام عن رأيه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكأنهم قالوا ما لك اي اي شيء لك لا تأمنا اي لا تجعلنا امناء على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة قط والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التأهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عم وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرأ ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التأكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم

بالايحاء على معنى انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق ومستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاؤا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عُشَيّا وهو تصغير عشي وعُشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي متسابقين في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظائرهما وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما فاكله الذئب عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه فكأنهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مأمننا ومجمعنا بمرأى منا لان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث يتراءى غاياته وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لان الشيء متى حقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى او لو كنا كارهين وجاؤا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله

اي جاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال او على الحالية منه والخلاف
في تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف به
الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي
ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاؤا كاذبين او مفعول له
وقرأت عائشة رضي الله عنها بغير المعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن جني
اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كأنه
دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم
ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام صاح باعلى صوته وقال
اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله
ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في
قميص يوسف عليه السلام ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه
فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عم حين قد من دبر قال استيناف
مبني على سؤال فكأنه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال
لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم اي زينت وسهلت
قاله ابن عباس رض والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه
قال الازهري كأن التسويل تفعيل من سؤال الانسان وهو امنيته التي يطلبها
فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء
امرا من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل
او فصبر جميل اجمل او امثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي
الى الخلق والا فقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله
وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال
طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني قال
يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرئ فصبرا جميلا والله المستعان اي
المطلوب منه العون وهو انشاء منه عم للاستعانة المستمرة على ما تصفون
على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته وانه علم في الكذب

بأحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل عشرين دينارا وزوجي
نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ
ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ
وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله مع ما مر عليه من مدة
لبثه في السجن ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة
وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة
لامرأته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها واللام متعلقة بقال
لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده
عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا
اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخائل الرشد والنجابة ولذلك قيل
افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره و
ابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنه وكذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة
الى ما تقدم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيم اي مثل ذلك التمكين البديع
مكنا ليوسف في الارض اي جعلنا له فيها مكانا نال مكنته فيه اي اثبتنا فيه
اي جعلنا له فيه مكانا والتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال
عز وجل كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم
فيها ومكنا لهم في الارض الخ والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما في منزل العزيز
او مكانا عليا في قلبه حتى امر امرأته دون سائر حواشيه باكرام مثواه
جعلنا له مكانة رفيعة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين
اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة
في قوله تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث اي نوفقه لتعبير بعض المنامات
التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي سواء
جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام
كأنه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها
كافة محال محبته ليترتب عليه ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه

بعض تأويل الأحاديث وهو تأويل الرؤى المذكورة فيؤدي ذلك الى الرياسة
العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او جعلناه
علة لمعلل محذوف كأنه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها
مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي عليه يدور هذه الامور انما
التمكين في جانب العزيز واما التمكين في جانب الناس فكأنه ما ذكر فيه ذلك
انما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر
قوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في
منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين آخر يشبه به
كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر
الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على
فخامة شأن المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك
قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا
يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي فهو من آثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه
كما عرفته لا من مباديه المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غاية له ولم يعهد منه عليه السلام
في تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها
عهدا مصححا لجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك في امر السنين فانما هو عمل
بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تأويل الاحاديث
ما سبق من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام
فيكون المعنى ومكناه في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله
واحكامها ودقائق سنن الانبياء فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني
والاحكام وان كان غير متأخر عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي
يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من النوازل متأخر عن
عن ذلك صالح لان يكون غاية له لا يستعصي عليه امر ولا يمانع
شيء بل انما امره لشيء اذا اراد ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه
المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او متولي على امر يوسف لا يكله الى غيره وقد اريد

بهي كما يجيء اذا اتيا ر وهيت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله اي اعوذ
بالله معاذا مما تدعونني اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى
التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام
قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية
القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل تعليل للامتناع ببعض الاسباب
الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على
سببه الذاتي الذي لا يكاد يقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشأن ومدار
وضعه موضع ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان
بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر
الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن
فكأنه قيل ان الشأن الخطير هذا وهو ربي اي سيدي العزيز احسن مثواي اي
احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسيء اليه بالخيانة في حرمه
وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بالطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربي
خبر ان واحسن مثواي خبر ثان او الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هذا
فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله عز وجل
وعلى التقديرين في الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها
الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة
على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى انه لا يفلح
الظالمون تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء
في الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا من
كان فيدخل في ذلك المجازون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى
دخولا اوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله
ولقد همت به
بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اي قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا
يلويها عنه صارف بعدما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة
وتغليق الابواب ودعوته الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك

لا عمل آخر من بسط يده اليها وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام
الى الهرب نحو الباب والتأكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه
بما في مقابلته عليه السلام وهمّ بها اي مال الى مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة
الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا
الا يرى الى ما سبق من استعصامه المبني على كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح
الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وانما عبر
عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير
الى تباينهما حيث لم يلزّا في قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد همّا بالمخالطة او همّ كل منهما
بالآخر وصدّر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو اثره من قوله
عز وجل لولا ان رأى برهان ربه اي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله
والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذي
تتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر
في هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
وكأنه عليه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون
واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من
يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن
الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه
من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة
الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية
الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على ان لولا في امثال
هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في
مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا يتحقق هناك همّ اصلا
وقد جوّز ان يكون وهمّ بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم
حينئذ على معناه الحقيقي فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهمّ بها كما همّت به
ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم رأسا

وفي ابهام المريد تهويل لشأن المراودة المذكورة بكونه قانونا مطردا في حق كل احد كائنا
من كان وفي ذكرها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما
تتوخاه بحكم الغضب والحمية استئناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف
حينئذ فقيل قال هي راودتني عن نفسي اي طالبتني للمؤاتاة لا اني اردت بها
سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما اسندت اليه من الخيانة وعدم
معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الامرين الامرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة
دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض عنها
وشهد شاهد من اهلها قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها
لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون بعض اهلها
قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق
وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عليه السلام
وانفى للتهمة وقيل كان ذلك الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببراءته
وهو الاظهر فانه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة
بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن
ابي هريرة ره وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اولا
لحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم ان كان قميصه قدّ
من قبل اي ان علم انه قدّ من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما قبل
فان معناه ان تعتدّ باحسانك الي فاعتدّ باحساني السابق اليك فصدقت بتقدير قد
لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وحيث
وان لم تصرح بانه عليه السلام اراد بها سوءا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه
اسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار
منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان للانشاءات
وهو من الكاذبين وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها
وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء للعنان
الى جانب المرأة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بان يتبع القدّ من قبل بدافعها اياها

عن نفسها عند ارادة المخالطة والكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تنزيلا لها
المقصود باقامة الشهادة اعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل
وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين الى التسليم
والقبول عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع واول الى المطلوب وان لم يكن
بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة للوزنها من قبيل
الاقوال او بتقدير القول اي شهد قائلا لها وتسميتها شهادة مع انه لا حكم فيها
بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤداها بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم
بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار بهما من
قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من
العلائم ايضا واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على
ما هي عليه اما مشاهدة او اخبارا فهو مستيقن بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم
الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تاليها الاول وبوقوع تالي الثانية فاذن
هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساقا مأمونا من الجرح والطعن
حيث صورها بصورة الشرطية المرددة ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقة
فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص
من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر كذبها والثانية تعليق لصدقه عليه السلام
بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأة
تزوجيني نفسك فقالت لي زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك
نفسي فقبل الرجل فاذا لا زوج لها فهو نكاح او تعليق الشيء بامر متقرر تنجيز له وقرئ
من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا
علمين للجهتين فمنعا الصرف للتأنيث والعلمية وقرئ بسكون العين فلما رأى قميصه
قد من دبر كأنه لم يكن رأى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال
قال انه اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي اسندت
الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الخ لكن لا من حيث
صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى

متنزهات عن امثالها اي عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن و
قولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منها
كمكر الماكر وان كان ظاهرا لغيرها وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما
قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة
منهن الخمس المذكورات واعتدت اي احضرت وهيأت لهن متكأ اي ما يتكئن عليه من
النمارق والوسائد او رتبت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب
والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي الرجل ان يأكل متكئا وقيل متكأ طعاما
من قولهم اتكأنا عند فلان اي طعمنا قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا
الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين عند القطع
لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ بالمد باشباع حركة الكاف
كمنتزاح في منتزح وينباع في ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد واهدت متكة
لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكاء
من تكئ اذا اتكى وآتت كل واحدة منهن سكينا لتستعمله في
قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ونحوها
متكئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت ليوسف وهن
مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف
بالواو ربما يشير الى ان قولها اخرج عليهن اي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب
امورهن ليتم غرضها من استغفالهن فلما رأينه عطف على مقدر يستدعيه الامر
بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجأة
رؤيتهن كانها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل
فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه
ايذان بسرعة امتثاله عم بامرها فيما لا يشتبه مضرته من الافاعيل اكبرنه
عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل
جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب النيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه

على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى أكبرن حضن والهاء
للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام اى حضن له من شدة
الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق
وقطعن أيديهن اى جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات
جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتبار حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن
الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به
وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على
ذلك الصنع البديع واصله حاشا كما قرأ ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة
تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به الا
ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاش الله تنزيه الله وبراءة الله وهي قراءة
ابن مسعود واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في سقيا لك والدال على وضعه موضع المصدر
قراءة ابي السمال حاشا بالتنوين وقراءة ابي عمرو بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش
بحذف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزيله منزلته في عدم
التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه منقلب
الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط
وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى
صار في ناحية من ان يقارف ما رمته به لله اى لطاعة الله او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله
ما هذا بشرا على اعمال ما بمعنى ليس وهي لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال
وقرئ بشر على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية
لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية
بقولهن ان هذا الا ملك كريم بناء على ما ركز في العقول من ان لا حي
احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما
كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال قالت
فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به
فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتدأ محذوف

لا يعلمون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب
ما يدعونني اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي تضمنه
قوله والا تصرف عني كيدهن الخ فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه
والطفه كما قرر وفي اسناد الاجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف
فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء
المتضرعين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اى ظهر للعزيز واصحابه المتصدين
للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك
من بعد ما رأوا الآيات الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على براءته عليه السلام
وفاعل بدا اما مصدره او الرأي المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله
ليسجننه والمعنى بدا لهم بدأ او رأى او سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فالقسم
المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا
باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها
لما تعوده حيث شاءت قال السدي انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد
فضحني في الناس يخبرهم باني راودته عن نفسه فاما ان تأذن لي فاخرج فاعتذر
الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته
وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب
بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن
يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب
الرأي المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس وهذا
بادي الرأي عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب
الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اى في صحبته
من فتيان الملك ومماليكه احدهما شرابيه والآخر خبازه
روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه
فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما
حضر الطعام قال الساقي لا تأكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب

أيها الملك فإن الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فأبى فجرب بدابة فهلكت فأمر بحبسهما فاتفق أن أدخلا معه وتأخير الفاعل عن المفعول لما غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة وتأخير السجن عن الظرف لإيهام العكس أن يكون الظرف خبرا متقدما على المبتدأ ويكون الجملة حالا من فاعل دخل قال أحدهما استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعدما دخلا معه السجن فأجيب بأنه قال أحدهما وهو الشرابي إني أراني أي رأيتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية أعصر خمرا أي عنبا تسمية بما يؤول إليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أعصر عنبا وقال الآخر وهو الخباز إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأخير المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله تأكل الطير منه أي تنهش منه صفة للخبز أو استئناف مبني على السؤال نبئنا بتأويله أي بتأويل ما ذكر من الرؤيين أو ما رؤي بإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة فإن اسم الإشارة يشار به إلى المتعدد كما في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق أي كأن ذلك والسر في المصير إلى إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة مع أنه لا حاجة إليه بعد تأويل المرجع بما ذكر أو بما رؤي أن الضمير إنما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من أحواله فلا يتسنى تأويله بأحد الاعتبارين إلا بإجرائه مجرى اسم الإشارة الذي يدل على المشار إليه بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتأمل هذا إذا قالاه معا أو قاله أحدهما من جهتهما معا وأما إذا قاله كل منهما إثر ما قص ما رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة أحدهما من جهتهما لتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئني بتأويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فإنهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به إنا نراك من المحسنين تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفتائهما منه عليه السلام من الذين يحسنون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض

فقيل لأني تركت ملة الكفرة أي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما ينبئ عنه قوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وإنما عبر عنه بذلك لكونه أدخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الإيمان به للتنصيص على أن عبادتهم له تعالى مع عبادة الأوثان ليست بإيمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله تعالى إنه عمل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لإفراطهم في الكفر واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب يعني أنه إنما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب أنه اتبع ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وإنما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه في الإيمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه لأن التخلية متقدمة على التحلية ما كان أي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الأنبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا أن نشرك بالله من شيء أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلا عن الجماد البحت ذلك أي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا أي ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه إيانا لقيادة الأمة وهدايتهم إلى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجبه بالشكر فقيل ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يوحدون فإن التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وإنما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع إلى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه إلى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا أدلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس أيضا ولكن أكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك أن تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث أعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الأنفس والآفاق وقد أعطى سائر الناس أيضا

شكرها ولكن اكثرهم لايشكرون اى لايعرفون تلك النعمة والشاء الى ماخلقت
هى له ولايستعملونها فى ماذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية والنقلية
يا صاحبي السجن اى يا صاحبىّ فى السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة
فى دار الاشجان ودار الاحزان التى تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه
ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال ءارباب
متفرقون لاارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما اراد غير مراقب للآخرين
مع عدم استقلاله خير لكما ام الله اى المعبود بالحق الواحد القهار الذى لايغالبه احد
وبعد ما نبههما على فساد تعدد الارباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار
رأسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه
اى من دون الله شيئا الا اسماء فارغة لامطابق لها فى الخارج لان ما ليس فيه
مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط
سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما تقتضيه المقام من اسقاطها
عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم فى البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم
حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم بمحض جهلكم وضلالكم ما انزل الله بها
اى بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم
فى امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات
اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر استيناف مبنى على سؤال
ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكأنه قيل فماذا حكم الله تعالى فى هذا الشأن
فقيل امر على السنة الانبياء عليهم السلام الا تعبدوا اى بان لا تعبدوا الا اياه
حسبما تقضى به قضية العقل ايضا ذلك اى تخصيصه تعالى بالعبادة الدين
القيم الثابت المستقيم الذى تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين او لا يعلمون
شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان
العقلى والسلطان النقلى وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقدار ما يليق
بمرتبة علمه الواسع شرع فى تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق

لان فعلاء وافعل لايجمع على فعال ولكنه عدل به عن القياس حملا للنقيض
على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس
والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلثة ضخام واربعة غلاظ واما قولك
ثلثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روى
انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات
عجاف فى غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر
قد انعقد حبها واخر يابسات اى وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت
على الخضر حتى غلبتها على ما روى ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر
من حال البقرات يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتونى
فى رؤياى هذه اى عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن
التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون
اى تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهى الانتقال من الصور الخيالية
المشاهدة فى المنام الى ما هى صور وامثلة لها من الامور الآفاقية او الانفسية
الواقعة فى الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته
وجاوزته ونحوه اولتها اى ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت
من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه
واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون
معنى فعل متعد باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون
للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه
وتعبرون خبرا آخر قالوا استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال
الملأ للملك فقيل قالوا اضغاث احلام اى تخاليطها جمع ضغث وهو فى
الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة
من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها فى المنام والاحلام
جمع حلم وهى الرؤيا الكاذبة التى لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اى هى اضغاث
من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التى لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها

وجعلوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل
ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات
السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتأمل حسن موقع
الاضغاث مع السنابل فلله در شأن التنزيل وما نحن بتأويل الاحلام اي المنامات
الباطلة التي لا اصل لها بعالمين لا لأن لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لأنه لا تأويل لها وانما
التأويل للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا
نحارير في تأويل الاحلام مع ان لها تأويلا كأنهم قالوا هذا عذرا لهم عما وقع في كلام الملك
من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام
او عبارتها اي التأويل المبني على التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآيل والمآل من البعد
ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتأويله وقال الذي نجا منهما اي من صاحبي يوسف
وهو الشرابي وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف عليه السلام
وشؤونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تأويلها على الملأ بعد امة
اي مدة طويلة وقرئ إمّة بالكسر وهي النعمة اي بعدما انعم عليه بالنجاة وأمَه اي نسيان
والجملة حال من الموصول او من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذاك لان
حق كل من الصفة والصلة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند
المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها
صفات وانت تدري ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة
قبل في سلك الصلة انا انبئكم بتأويله اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء
نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله فارسلون اي الى يوسف
وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق
اي ارسل اليه فأتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده
وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة
الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق
من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشهادة

بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعرف عليهم واحكام هذا العام المبارك
ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها
بعدما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق في شأنه ابانة لعلو كعبه
ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته
في المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما لا يأتيكما طعام ترزقانه
الا نبأتكما بتأويله واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها احد ولو رؤيا
ما يدل عليها في المنام وقال الملك بعدما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع
من نقير وقطمير ائتوني به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف الرسول
واستدعاه الى الملك قال ارجع الى ربك اي سيدك فاسأله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي فتشه عن شأنهن وانما لم يقل فاسأله
ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءته ويتضح نزاهته
اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه اليه واما
الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به وانما لم يتعرض لامرأة العزيز مع ما
لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق
واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد
كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه
فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له
وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ان ربي بكيدهن عليم
مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة
عن انفسهن متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد قال استئناف مبني
على السؤال كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول
الخبر واحضرهن ما خطبكن اي شأنكن وهو الامر الذي يحق ان يخاطب
المرء فيه صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه
في اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة قلن حاش لله تنزيها له
وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه

بالتنكير وزيادة من قالت امرأة العزيز وكانت حاضرة في المجلس وقيل اقبلت
النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاقرت
قائلة الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر او تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل
وقيل هو مأخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبينت حصة الحق من حصة الباطل
كما تبين حصص الاراضي وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث
ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه اي
القاها في الارض للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوأة
ثم صمما والمعنى اقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما
ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته
في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا البحث عن حالها
وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته
عليه السلام في محل النزاع وخيانتها فقالت انا راودته عن نفسه لا انه راودني
عن نفسي وانه لمن الصادقين اي في قوله حين افترت عليه هي راودتني عن نفسي
وارادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل ايها المنصف الى
فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به
الخصماء وانما تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما
قرف به لا سيما عند العزيز قبل ان يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عليه السلام
لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اي ذلك التثبت المؤدي الى ظهور
حقيقة الحال ليعلم اي العزيز اني لم اخنه في حرمته كما زعمه لا على مطلقا فان ذلك
لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من نقض ما ابرمه
ولعله لرعاية حقوق السيادة لان المباشرة للخروج من جهة قبل ظهور بطلان
ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات على رأيه واما
ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تمحلا لامضاء ما قضاه فلا يليق
بشأنه عليه السلام في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اي بظهر

كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الارض
ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته احكام
السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله
عز وجل وانما الملك آلة في ذلك قيل وكذلك اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف
اي جعلنا له مكانا في الارض اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين
وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسندا الى ضميره جل سلطانه من تشريفه
عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل بعد
السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن
كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها
كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه وختمه
بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال
عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج
فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك
فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته
الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير
والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم
املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب
برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة
الداعية الى المشيئة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة
المذكورة احسان من نصيبه من الرحمة المرقومة والتأخر له ولدفع توهم انحصار ثمرات
الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد ولاجر الآخرة اي اجرهم في
الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له خير لهم اي للمحسنين المذكورين
وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو
الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل وجاء اخوة يوسف

ممارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب
عليه السلام جميعاً غير بنيامين فدخلوا عليه اي علي يوسف وهو في مجلس ولايته
فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم
وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة
احوالهم لاسيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون
اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام في نفسه
ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم له امراً مستمراً في حالتي
المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم ولما جهزهم
بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم
بما جاؤا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم
قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل
باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قال لما قيل من انهم
سألوه عليه السلام حملاً زائداً على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا
لا لما قيل من انه لما رأوه وكلموه بالعبرية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم
من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيوناً فقالوا معاذ الله
نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب
قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال
فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيوناً
وان ما تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي
رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز
ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل
على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا علمهم
بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر
الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة تنسي عند الكل قيل ذلك
ألا ترون اني اوفي الكيل اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا

علي ان مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقاً والتقاعد
عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره و
الالتجاء اليه في استجلاب المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا حال
من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال
الاحسان الناشي عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا
به ولا بفاعله وقوله عز وجل ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام من عند الملك
معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ
اخانا من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اي بواسطته
ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصلح والمزيد كيل بعير اي وسق بعير زائداً
على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك اي ما يحمله اباعرنا كيل يسير
اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استئناف وقع تعليلاً لما سبق كانه قيل
اي حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا
فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي مطلب نطلب من مهماتنا والجمل الواقعة
بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين
من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما
يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير فاي شيء
نبتغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام اي اي شيء
تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل
بنا الملك من الاحسان داعياً الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية موضحة
لذلك او اي شيء نبتغي شاهداً على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة
المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار واما نافية فالمعنى
ما نبغي شيئاً غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبغي غير
المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستأنفة تعليل له واما ان
فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط فالمعنى ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا
لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستأنفة لبيان دعوا

منا عدم البغي وقوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغي اي ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه
ونحصل امثاله من مير اهلنا ونحفظ اخينا فان ذلك ايسر شيء بواسطة
احسانه وقد جوز ان يكون كلاما مبتدأ اي جملة اعتراضية تذييلية على معنى
وينبغي ان نمير اهلنا وشبه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان
اسعى وانت خبير بان شأن الجمل التذييلية ان يكون مؤكدة لمضمون الصدر
ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق فالحق ابلج وان قوله
ونمير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك
او ما نبغي في الرأي وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا
والجمل الى آخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رأيهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها
ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت فتأمل **قال لن أرسله معكم** بعدما عاينت منكم
ما عاينت **حتى تؤتون موثقا من الله** اي ما اتوثق به من جهة الله عز وجل وانما جعله
موثقا منه تعالى لان توكيد العهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه
عز وعلا **لتأتنني به** جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني **الا ان يحاط بكم**
اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو فان من احاط به
العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل على تأويل الكلام
بالنفي الذي ينساق اليه اي لتأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال
او لعلة من العلل الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك
لما فعلت والا فعلت اي ما اريد منك الا فعلك وقد جوز الاول بلا تأويل ايضا
اي لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الاتيان
به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على سبيل المعية كما في قولك لالزمنك
الا ان تعطيني حقي ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل البدل لما عدا
الحال المستثناة كما اذا قلت صل الا ان تكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير
اخلال به كما في قولك لاحج العام الا ان احصر فان مرادك انما هو الاخبار
بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على
سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار الاحوال معه من حيث

فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة
في نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين
لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانما لم تقع لكونها غير
مقدرة عليهم لا لانها اندفعت بذلك مع كونها مقتضية عليهم **وانه لذو علم** جليل
لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع
القدر وان التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الاثر
او حيث بت القول بانه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي
تأكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه
من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى
ولكن اكثر الناس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه
الحذر واما ما قيل من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر
فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي **ولما دخلوا على يوسف آوى اليه**
اخاه بنيامين اي ضمه اليه في الطعام او في المنزل او فيهما روي انهم لما دخلوا
عليه قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندي
فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان
اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم فريدا واجلسه معه على مائدته
وجعل يؤاكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني له فيكون معي فبات
يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين
اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل
اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى
يوسف وقام اليه وعانقه وتعرف اليه وعند ذلك **قال اني انا اخوك** يوسف
فلا تبتئس اي فلا تحزن **بما كانوا يعملون** بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا
وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رضي الله عنه وعن وهب انه لم يتعرف
اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت
تلقاهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت

باغتمام والدي بي فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل لي الى ذلك الا ان انسبك
الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك
سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل **فلما جهزهم بجهازهم**
جعل السقاية اي المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت
تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل
من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت آناء مستطيلا تشبه المكوك الفارسي
الذي يلتقي طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر **في رحل اخيه**
بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا **ثم**
اذن مؤذن نادى مناد **ايتها العير** وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي
تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها
فعل مثل سقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحابها كما في قوله
صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى
انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امر بهم فادركوا ونودوا **انكم لسارقون**
هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول
بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول
هو الاظهر الاوفق للسياق وقرأ اليماني سارقون بلا لام ۞ اي الاخوة
واقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه
لمباينته لحالهم **ماذا تفقدون** اي تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدمته بان ضل
عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة
وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه
الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق منهم
شيء فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شيء فيسالونهم
انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة
البرآء الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث **قالوا**
في جوابهم **نفقد صواع الملك** ولم يقولوا سرقتموه او سرق وقرئ صاع

من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال **الا ان يشاء الله** اي الا حال
مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز
ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم
من الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقدم
المجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى
لتعليله بعجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه في دين الملك في شان السارق قطعا اذ لا علاقة
بين مطلق الكيد ودين الملك في امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد
البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه في دين الملك به
الا حال مشيئته تعالى بايجاد ما يجري مجرى الجزء الصوري من العلة التامة وهو ارشاد اخوته
الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف
بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه
دون بعض من ذلك فقط الى وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون
من اعم العلل والاسباب اي لم يكن ياخذ اخاه لعلة من العلل او بسبب من الاسباب
الا لعلة مشيئته تعالى او الا بسبب مشيئته تعالى وايا ما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا
كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه والتزامه ليس مخالفا لدين الملك
فقد قيل معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدري ان
المراد بدينه ما عليه ح فتغييره محل بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين به اعم منه ومما
يحدث تفضي الى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف ع م
عن اخذ اخيه ح ولم يتعلق المشيئة بالجعل المذكور اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا توهم
خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه عليه السلام مما يشعر
بعدم الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه
في دين غير دين الملك **نرفع درجات** اي رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على
المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات والمفعول قوله تعالى **من نشاء**
اي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وايثار صيغة
الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستانفة

لا محل لها من الاعراب **وفوق كل ذي علم** من اولئك المرفوعين **عليم**
لا ينالون شأواه واعلم ان الجملة الكريمة عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع
يوسف عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطية او الشطرية من ارشاده اياهم الى وضع الصواع
رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه مما تم من قبله والمعنى
ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات
الى قوله عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مراده اذ ليس ذلك
بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد
منهم عليم لا يتبادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم
وقد رفع يوسف الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفي بمراده فارشد
اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور
الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعدما
والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات
الى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل
عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والافتاء وان لم يكن
داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى
مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي سيصدر
عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء
توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم
ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله وفوق كل ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات
عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس رضي
فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا
ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل
حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم في
هذا التعبير ايضا عبارة عن الله عز وجل اي وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم
يرفع كلا منهم الى درجة اللائقة به والله تعالى اعلم **قالوا ان يسرق** يعنون بنيامين

وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق هو
النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الجناية واما النصب
عطفا على اسم ان والرفع على الابتداء فقد عرفت حاله **فلن ابرح الارض** متفرع على
ما ذكره وذكره اياهم من ميثاق ابيه وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق
ارض مصر جريا على قضية الميثاق **حتى يأذن لي ابي** في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم
كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام **او يحكم الله لي** بالخروج
منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم كلموا
العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى
بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو
يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه
فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد
بذرا من بذر يعقوب **وهو خير الحاكمين** اذ لا يحكم الا بالحق والعدل
ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر
الحال وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة **وما شهدنا عليه الا بما علمنا**
وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه **وما كنا للغيب** اي باطن الحال **حافظين**
فما ندري ان حقيقة الامر كما شاهدنا او بخلافه او ما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه
سيسرق او انا نبتلي بهذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف
واسأل القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى
اهلها واسألهم عن القصة **والعير التي اقبلنا فيها** اي اصحابها فان القصة معروفة
فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من صنعاء **وانا لصادقون**
تأكيد في محل القسم ... اي يعقوب عليه السلام وهو استئناف مبني على سؤال
نشأ مما سبق فكأنه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل
قال يعقوب عندما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما حذف للايذان بان مسارعتهم
الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه جواب ابيهم **بل سولت**
اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك

بل عما تضمنه من ادعاء البرائة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدي
الى ذلك من قول وفعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم امرا
من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل
او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم
بحالي وحالهم الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة وتولى عنهم اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم
وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف
بدل من الياء فناداه اي يا اسفي تعال فهذا اوانك وانما تأسف على يوسف
مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة الارزاء وعنده وان تقادم
عهده آخذ بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في ايابهما
واما يوسف فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي
الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا يرى الى
يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف و
يوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله
اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبأ بنبأ
يقين ونظائرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت
محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا
ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما
وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سأل جبرئيل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى
قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط وفيه دليل
على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف
فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم
وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون
وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق
الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه

وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله
الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه
ورمي به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين
على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به
اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي
من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به
ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام
فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب
اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا أئنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكده
بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله
حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا
علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ أئنك
او انت يوسف على معنى أئنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن مسالتهم وقد زاد
عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشأن
اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حتى يفيد قوله
قد من الله علينا فكانه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف
وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة
بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب
عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف
التعليلي بقوله انه من يتق اي يتق الله في جميع احواله او يتق الله ونفسه
عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصي
التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر
موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان

قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت
الجليلة وإن كنا وإن الشأن كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب إذ فعلنا بك ما فعلنا
ولذلك أعزك وأذلنا وفيه إشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب
أي لا عتب ولا تأنيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي
للكرش ومعناه إزالته كما أن التجليد إزالة الجلد والتقريع إزالة القرع لأنه إذا ذهب كان
ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجه وقوله عز وعلا اليوم
منصوب بالتثريب أو بالمقدر خبرا للا أي لا أثربكم أو لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي
هو مظنة له فما ظنكم بسائر الأيام أو بقوله يغفر الله لكم لأنه حينئذ صفح عن
جريمتهم بما فعلوا من التوبة وهو أرحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على
التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام أن إخوته أرسلوا إليه أنك تدعونا إلى
طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام إن أهل مصر
وإن ملكت فيهم كانوا ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم إخوتي
وأني من حفدة إبراهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه حينئذ
وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ أمره جبرئيل عليه السلام بإرساله إليه
وأوحى إليه أن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى إلا عوفي فألقوه على وجه أبي يأت
بصيرا يكن بصيرا أو يأت إلي بصيرا ويشهد قوله وأتوني بأهلكم أجمعين أي بأبي وغيره
ممن يشتمله لفظ الأهل جميعا من النساء والذراري قيل إنما حمل القميص يهوذا قال
أنا أحزنته بحمل القميص ملطخا بالدم إليه فأفرحه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر
من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر
يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس رضي
انفصل العير قال أبوهم يعقوب عليه السلام لمن عنده إني لأجد ريح يوسف
أوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين أقبل به
يهوذا لولا أن تفندون أي تنسبوني إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل من
الرأي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة إذ لم تكن في شبيبتها ذات رأي

بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله أليس أول من صلى
لقبلتكم ... وتأخيره عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لأن
الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تأخره عنه ليتصل
ذكر كونه تعبير الرؤياه وما يتصل به من قوله وقد أحسن بي المشهور استعمال
الإحسان بإلى وقد يستعمل بالباء أيضا كما في قوله تعالى وبالوالدين إحسانا
وقيل هذا متضمن لطف وهو الإحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى إن ربي لطيف
لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى أي لطف بي محسنا إلي غير هذا الإحسان إذ أخرجني من السجن
بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذارا من تثريب إخوته لأن الكلام عليهم
لو وقع الكلام عقيب خروجهم سجدا واكتفى بما يتضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو
أي البادية ... أي انه بيننا بالبوادي
وأصل من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه و
لقد بالغ عليه السلام في الإحسان حيث أسند ذلك إلى الشيطان إن ربي لطيف
لما يشاء أي لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من
صعب إلا وهو بالنسبة إلى تدبيره سهل إنه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم
الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة روي أن يوسف أخذ بيد يعقوب عليهما السلام
فطاف به في خزائنه فأدخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن
الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس قال يا بني ما أعقك
عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثماني مراحل قال أمرني جبرئيل قال
أوما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسأله قال جبرئيل الله تعالى أمرني بذلك
لقولك أخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا
وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه
ودفنه ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم
أنه لا يدوم له تاقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال رب
قد آتيتني من الملك أي بعضه عظيما وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الأحاديث
أي بعضا من ذلك أن أريد بتعليم تأويل الأحاديث تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية

وهو من سنن الانبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه في الذكر لانه تمام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك اعرق في كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة في نفسه ولا يبعد ان يقال هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هنالك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمليك لزم تأخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التأخير في الذكر والعطف بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات والارض مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادي او منادى آخر وصفه تعالى بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله انت وليي مالك اموري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما واذ قد اتممت علي نعمة الدنيا توفني اقبضني مسلما والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا ان يصنعوا له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل ثم حمل الى مصر ليكون شرعا واحدا في التبرك به وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او لكونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من انباء الغيب الذي لا يحوم له احد وقوله نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم يريد اخوة يوسف اذ اجمعوا امرهم وهو جعلهم اياه في غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا

النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجأة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا انهم قد اخلفوا اما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من احاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شؤون الله سبحانه من منزلتهم وقيل الضمير ان للرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل على ان الضمير للرسل اي ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما وعدوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا على ان الاول لقومهم فنجي من نشاء هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشيئة لقد كان في قصصهم اي قصص الانبياء واممهم وينصره قراءة من قرأ بكسر القاف او قصص يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الاوهام الحسية ما كان اي القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ولكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء مما يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى القرآن بالذات او بوسط وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون اي يصدقونه لانهم المنتفعون واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

تم تفسير سورة يوسف عليه السلام بعناية الله الملك العزيز العلام

المهيمن	السلام المؤمن	الملك القدوس	هو الله الذي لا إله إلا هو	بسم الله الرحمن الرحيم
المصور	البارئ	الخالق	المتكبر	العزيز الجبار
العليم	الفتاح	الرزاق	القهار	الغفار
المعز	الرافع	الخافض	الباسط	القابض
العدل	الحكم	البصير	السميع	المذل
الغفور	العظيم	الحليم	الخبير	اللطيف
المقيت	الحفيظ	الكبير	العلي	الشكور
المجيب	الرقيب	الكريم	الجليل	الحسيب
المجيد	الودود	الحكيم	الواسع	[illegible]
القوي	الوكيل	الحق	الشهيد	الباعث

المبدئ	المحصي	الحميد	الولي	المتين
القيوم	الحي	المميت	المحيي	المعيد
القادر	الصمد	الواحد	الماجد	الواجد
الآخر	الأول	المؤخر	المقدم	المقتدر
البر	المتعالي	الوالي	الباطن	الظاهر
الرؤوف	العفو	المنتقم	[illegible]	التواب
الغني	الجامع	المقسط	ذو الجلال والإكرام	مالك الملك
النافع	الضار	[illegible]	المانع	المغني
الوارث	الباقي	البديع	الهادي	النور
أسماء الله الحسنى	العليم	السميع	الصبور	الرشيد

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

المر اسم للسورة ومحلها اما رفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
اي هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق
العلم بالتسمية كما مر مرارًا وقوله تعالى تلك على الوجه الاول مبتدأ مستقل
وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان او بدل من الاول المشار به اليه ايذانًا بالفخامة
واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ واذكر فتلك مبتدأ كما اذا
جعل مسرودًا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما والخبر على التقادير قوله تعالى آيات الكتاب
اي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين
الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل
حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس عليه السلام اذ هو المتبادر من مطلق
الكتاب المستغني عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات بوصف ما
اضيف اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فان المتبادر
تلك الشابه من الشهرة في الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف
على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحد منها وفيه
ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس والذي انزل اليك من ربك
اي الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع في
كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقيقة لعراقته فيها وليس فيما عداه ما يدل على ان ما عداه

الي ان للجبال منشأ للانهار وبيان لفائدة اخرى للجبال غير كونها حافظة للارض
عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه
وتعلقه بتعيشه بالماء والكلاء ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله تعالى
جعل فيها زوجين اثنين اي اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر
واكد به الزوجين لئلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن
اثنينية ذلك اثنينية اعتبارية اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في
الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض
او في القدر كالصغير والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك و
يجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استئنافًا لبيان كيفية ذلك الجعل
يغشي الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة
بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل
العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار ايضا
ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعدم هذا في
تضاعيف الآيات السفلية وان كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرًا باعتبار ان
ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل
والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان
متقابلان مثلها وقرئ يغشي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر من مد
الارض وايتادها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار
وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شأن المشار اليه في بابه لآيات باهرة
وهي آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها فني على معناها فان تلك الآثار
مستقرة في تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار
المدلول عليها بتلك الافاعيل ففي تجريدية لقوم يتفكرون فان التفكر فيها
يؤدي الى الحكم بان تكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لا بد له
من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد

وفي الارض قطع جملة مستأنفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات اي متلاصقات وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات اي جعل في الارض قطعا وجنات من اعناب اي بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله تعالى ونخيل لئلا يقع فيها وبين صفتها وهي قوله تعالى صنوان وغير صنوان فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة التي لها رأسان واصلها واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بني تميم وقيس وقرئ وجنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات في هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها للايذان بكون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات يسقى اي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتأنيث مراعاة اللفظ والاول اوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف في طبعه سواء كان السقي بماء الامطار او بماء الانهار ونفضل مع تأخذ اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض اخر منها في الاكل فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال استناد الفعل الى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل للفاعل ان في ذلك الذي فصل من احوال القطع والجنات لآيات كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة

وعقابه لا لكل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله تعالى التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا او مكابرة والا ففي ادنى آية انزلت عليه عليه السلام غنية وعبرة لاولي الالباب انما انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الآيات ولكل قوم هاد معين لا يدرك ذاته بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما يختص به حكم لا يعلمها الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم للآيات المنزلة عليك وارد اوتهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن يريد الامر تعلق بهدايته مشيئته التابعة للحكم استبشار بعلمها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي تحمله على انها موصولة او يعلم ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الى واحد او اي شيء تحمل وعلى اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا اي استفهامية معلقة للعلم او حملها فهي مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد اي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها وازديادها لا فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ونزداد كيل بعير او لازمان قد اسند الى الارحام مجازا وهما لما فيهما وكل شيء من الاشياء عنده بمقدار

بقدر لا يمكن تجاوزه عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من
الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال
مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشياء
في انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم له بالنسبة الى الله عز وجل
عالم الغيب اي الغائب عن الحس **والشهادة** اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة
وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدا محذوف او خبر
بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله الله يعلم الى آخره
الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه **المتعال** المستعلي على كل شيء
بقدرته او المنزه عن نعوت المخلوقات وبعد ما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الاشياء
في مراتب فطرته ومحيط بتفاصيل الغيب والشهادة بين انه تعالى عالم بجميع ما يأتون وما يذرون
من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال **سواء منكم
من اسر القول** في نفسه **ومن جهر به** اظهره لغيره **ومن هو مستخف** مبالغ في
الاختفاء كانه مختف **بالليل** وطالب للزيادة **وسارب** بارز يراه كل احد
بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف ومن عبارة
عن الاثنين كما في قوله تعالى فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند
الى من اسر ومن جهر والى المستخفي والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى ما اسره
وما جهر به او الى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الاخيرين وتقديم الاسرار والاستخفاء
لاظهار كمال علمه تعالى وكانه في التعلق بالخفيات اقدم منه بالظواهر والا فنسبته
الى الكل سواء لمعرفته اياها **له** اي لكل ممن اسر او جهر والمستخفي والسارب **معقبات**
ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه
كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب
فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب
جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين **من بين يديه ومن خلفه**
من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر **يحفظونه من امر الله** من بأسه حين

ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبغيانه الغوائل فدخلا المسجد وهو عليه السلام جالس في نفر
من الاصحاب رضي الله عنهم فاستشرفوا لجمال عامر وكان من اجمل الناس وقد كان
اوصى الى اربد انه اذا رأيتني اكلم محمدا عليه السلام فدر من خلفه واضربه بالسيف
فجعل يكلمه عليه السلام فدار اربد من خلفه عليه السلام فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى
فلم يقدر على سله وجعل اربد يومي اليه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم الحال فقال
اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو صائف
فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه
وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت
ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت
لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فارداه في التراب فخرجت على
ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فاجراه حتى مات على ظهره وقيل اريد
ما روي عن الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من
اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه ما هو ومم هو
ذهب ام من فضة ام من نحاس ام من حديد ام من در فاستعظموا مقالته
فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال
عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فما زاد على مقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه
عليه السلام واخبروا بما صنع فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم
عنده ينازعونه اذ ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة
فاحرقت الكافر فجاؤوا يسعون ليخبروه عليه السلام بالخبر فاستقبلهم الاصحاب
فقالوا احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم قالوا اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو شديد المحال اي والحال انه شديد المماحلة والمكايدة والمماكرة لاعدائه
من محله اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل
هو فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس

و بيضة انه قوي يفتح للميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال و يجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد
له دعوة الحق اي الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها بالحق واختصاصها به وكونها بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اي الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقية لتربية معنى الاستجابة والاول هو الاولى لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك اربد وعامر من محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت الآية نزلت في شأنهما او من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم والذين يدعون اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء اي الا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويعضده اي الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجودا وعدما فكأنه قيل لا يستجيبون لهم بشيء ولا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما في قوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع • من المال الا مسحت او مجلف • اي لم يدع فلم يبق الا مسحت او مجلف ليبلغ اي الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشيء من الآلات ونحوها فاه وما هو اي الماء ببالغه ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يده اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الى فيه حال المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم على شيء اصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء شيء نافع بخلاف آلهتهم والمراد بنفي الاستجابة رأسا الا انه قد اخرج الكلام

نعلم ان تكون منشأ لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل ام جعلوا لله اي بل اجعلوا له شركاء خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة للانكار الوقوعي لا للانكار الواقعي مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التهكم بهم والتقريع لهم كما كان رأيهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شيء لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك ثم ضرب مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونه ممدا لحيوتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلانا متقدرا بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها من النبات فيمكث فيها ويدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية تتحلى به النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا تتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات التي تتخذ منها انواع الآلات والادوات وتبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة له فيهما واخلال بصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء اي من جهتها ماء اي كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر فسالت بذلك اودية واقعة في مواقعه لا جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو مفرج بين جبال او تلال او آكام على الشذوذ كناد واندية وناج وانجية قالوا وجهه ان فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة

بحريب والجرية جمع فاعل ايضا على افعله فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا
فاسناد السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في
جرى النهر واختار التمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شانها
وشان ما مثل بها كما اشير اليه **بقدرها** اي سالت متلبسة بمقدارها الذي عينه
الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب
تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بحسب قلتها بصغرها
المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان مورد
السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد السيل الجاري في الوادي
الكبير هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت
مياهها بقدرها تلك الاودية على نحو ما عرفته آنفا او يراد بضميرها مياهها بالجرى الاستخدام
ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين **فاحتمل السيل** الجاري في تلك الاودية
اي حمل معه **زبدا** اي غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله **رابيا** اي عاليا
منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون المحمول غير طاف كالاشجار الثقيلة
وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك
الفوقية مقتضى شان الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به
من الباطل الذي شانه الظهور في بادي الرأي من غير مداخلة في الحق **ومما يوقدون**
عليه في النار اي ما يعملون الآية وعليه كائنا في النار والضمير للناس اضمر مع عدم
سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب **ابتغاء حلية او متاع** اي لطلب اتخاذ
حلية وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذة من الذهب والفضة او اتخاذ متاع
وهو ما يتمتع به من الاواني والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك
من الفلزات **زبد** خبث **مثله** مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه
فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه
مبتدأ وناشئا منه لا تبعيضية منبئة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال ذلك
بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه
جرى على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين

ما يدور عليه امر التمثيل وان الاستعمال المستفيض دخول الامر على من
يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه
ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال
المضروبة لا سيما المثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل للحق و
الباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا بان يجعل في حكم ان يقال
كذلك يضرب الله الامثال للناس اذ لا وجه حينئذ لتنويعهم الى المستجيبين وغير
المستجيبين فتأمل ۞ ۞ ۞ من الوان الذي مثل
بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى **الحق** الذي
لا محيد وراءه او الحق الذي اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له **كمن هو اعمى**
عمي القلب لا يشاهده وهو بمعزل عن علمه ولا يقدر قدره وهو في اقصى مراتب العلو
والعظم فيبقى حائرا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال او لا يتذكر
بما ضرب من الامثال اي لا يكن لا يعلم ذلك الا انه اريد زيادة تقبيح حاله
فعبر عنه بالاعمى وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة
على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال وبين المصير والمآل كانه قيل ابعد
ما تبين حال كل من الفريقين ومآلهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استؤنف فقيل
انما يتذكر بما ذكر من المذكورات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنائي
اولوا الالباب اي العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة
الوهم **الذين يوفون بعهد الله** بما عقدوا على انفسهم من الاعتراف بربوبيته
حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه **ولا ينقضون الميثاق** ما وثقوه
على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد
وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد الاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل
والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين
والايمان بجميع الانبياء والمجمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج
فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهر والدجاج
ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امر به

ويخافون سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة على
كمال قطاعة حسبما ذكر فيما قبل والذين صبروا على كل ما يكرهه النفس من الافعال والتروك
ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا الى جانب الخلق رياء او سمعة
والى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الامر
في كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة اورد على صيغة الماضي اعتناء بشأنه ودلالة
على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه اما في النفس الصلات كما في عدا الاولى
والرابعة والخامسة او في اظهار احكامها كما في الصلات الثلث المذكورات
فانها وان استغنت عن الصبر في انفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف
بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجري على موجبها غير خال عن
الاحتياج اليه واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم اي بعضه الذي يجب عليهم
انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال او لمن لا يتهم بترك الزكوة او عند انفاقه
من يمنعه المروءة من اخذه ظاهرا او علانية لمن لم يكن كما ذكر او الاول في التطوع والثاني
في الفرض ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يجازون الاساءة بالاحسان او
يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضه يدفعون بالحسن من الكلام
ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا
قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا امروا
بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة اولئك المنعوتون
بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية اعني قوله
لهم عقبى الدار اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة وقيل
الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار واياما كان ففيه تنصيص على
ان بعضها في خبر الصلة ليس من الزوائد التي يخل اخلالها بالوصول الى العاقبة
والجملة خبر للموصولات المتعاطفة او استيناف لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات
ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لاولي الالباب على طريقة المدح من
غير ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل في التذكر جنات عدن بدل من عقبى
الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة ثم صار علما لجنة من الجنان اي جنات

فان ذلك في اقصى مراتب المكابرة والعناد كان ما انزل عليه عليه السلام من الآيات
العظام الباهرة ليس باية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي
لا يبقى لاحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله تعالى
قل ان الله يضل من يشاء اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه
الضلال لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف
ولا ينفعه الارشاد لمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة
والغلو في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي اليه
اي الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه
فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف من اناب اقبل الى
الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في
نوبة الخير وايثار ايرادها في الصلة على ايراد المشيئة كما في الصلة الاولى للتنبيه
على الداعي الى الهداية بل الى مشيئتها والاشعار بما دعا الى المشيئة الاولى من
المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار
صيغة الماضي للايماء الى استدعاء الهداية لسابقة الانابة كما ان ايثار صيغة
المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم
الذين آمنوا بدل من من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر ظاهر
لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين
صار امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين اي الصائرين الى التقوى
والا فالايمان لا يؤدي الى الهداية نفسها او خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين
آمنوا او منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم اي تستقر وتسكن بذكر الله
بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله انا
نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون ان لا آية اعظم منه فيقترحونها
والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد
الآيات وتعددها الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الامور التي
تميل اليها النفوس من الدنيا وآيات وهذا ظاهر اما اظهار المعجزات فالقصر

ليست في افادة الطمانينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد
فانه معجزة باقية الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه
اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدة بل هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى
ولم يعدوه اية وهو اظهر الايات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته
بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
او بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه
فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من
القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما رمز اليه اي قلوب الذين
آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو القلب او مبتدأ خبره الجملة الدعائية
على التأويل اعني قوله طوبى لهم او خبر مبتدأ مضمر او نصب على المدح
فطوبى لهم حال عاملها الفعل وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى
والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر وقرئ مكسورة الاعراب طيبى
ليسلم الياء والمعنى اصابوا خيرا او محلها النصب كسلاما لك او الرفع على الابتداء
وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك تدل على ذلك القراءة
في قوله تعالى وحسن مآب بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك
كذلك مثل ذلك الارسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة
ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم رسل لتتلو
عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم الى الحق رحمة
لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى
ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن
قبولها عند وروده عليها وهم اي والحال انهم يكفرون بالرحمن البليغ الرحمة
الذي وسعت كل شيء رحمته واحاطت به نعمته والعدول الى المظهر المتعرض
لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا النعمة لا سيما ما انعم به عليهم
بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية

عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا ان لو يشاء الله على حذف ضمير الشأن
وتخفيف ان باظهار امثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه
الى المعطوفين جميعا لله تعالى فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر متوجه الى ترتب
المعطوف على المعطوف عليه اي تخلف العلم الثاني عن العلم الاول وعلى التقديرين
فالانكار انكار الوقوع كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا انكار
الواقع كما في قولك الم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار
ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق
مقدمها كانه قيل الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم يشاها
وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الايمان
وعلى الثاني لو ان قرآنا فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الاية فالاضراب ح متوجه
الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح اي فليس لهم ذلك
بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يات به حسبما تستدعيه
داعية الحكمة من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح واليأس بمعنى القنوط
اي الم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من ايمانهم حتى احبوا ظهور
مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين او اعلموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم
فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اي الى تخلف القنوط عن العلم
المذكور والانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تعالى افلا تتقون
ونظائره لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله تعالى
ان لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف اي افلم ييأسوا من ايمانهم علما منهم او
عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه لم يشأ ذلك او بآمنوا
اي افلم يقنط الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم
ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم
حسبما تحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي انكار يأسهم وقيل ان
ابا جهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فسير لنا الجبال

حتى يتسع لنا ونتخذ فيها البساتين والقطائع وقد سخرت لداود فلست
باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان
عليه السلام لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة
او ابعث لنا به رجلين او ثلثة ممن مات من آبائنا فنزلت فمعنى تقطع
الارض في قطعها بالسير ولا حاجة الى الاعتذار في اسناد الافاعيل
المذكورة الى القرآن كما احتيج اليه في الوجهين الاولين وعن الفراء انه متعلق
بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على
الجواب والتقدير ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به
الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره
ولا يزال الذين كفروا من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اي بسبب ما
صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله او استهجانه
وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة مع ما في صيغة
الصنع من الايذان برسوخهم في ذلك قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم وهو
ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصائب من القتل والاسر والنهب
والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة التبيين اثر الابهام
لزيادة التقرر والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم [illegible]
او تحل تلك القارعة قريبا اي مكانا قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم
شرارها شبهت القارعة بالعدو والمتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة و
الحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية وتجنيس وترشيح حتى يأتي وعد الله اي موتهم
او القيامة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم عند
ذلك من العذاب في غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليه
ثم حقق ذلك بقوله ان الله لا يخلف الميعاد اي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى
الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضه
المراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا
بين الغارة والاختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول

[illegible] اي مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من
اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا
اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك
اذ هو الكتاب الموعود في التورية والانجيل ومن الاحزاب اي من احزابهم
وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن
الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما من ينكر بعضه
وهو الشرائع الحادثة انشاء او نسخا لا ما يوافق ما حرفوه والا لنعى عليهم من اول الامر
ان مدار ذلك انما هو خيانات ايديهم واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم
[illegible] وقيل ويجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضا يفرحون به لكونه
مصداقا لكتبهم في الجملة فحينئذ يكون قوله تعالى ومن الاحزاب الى آخره تتمة
[illegible] ومنهم من ينكر بعضه ● الزاما لهم وردا لانكارهم
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اي شيئا من الاشياء او لا افعل الاشراك
والمراد قصر الامر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اي
قل لهم انما امرت فيما انزل الي بعبادة الله وتوحيده وظاهر انه لا سبيل لكم
الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم
تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف اي وانا
لا اشرك به اليه ادعو الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به
من التوحيد ادعو الناس لا الى غيره او لا الى شيء آخر مما لم يطبق عليه الكتب
الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكاركم واليه مآب الى الله تعالى وحده
مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر
عليه السلام بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم
لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في
ذلك فقيل وكذلك انزلناه اي مثل ذلك الانزال [illegible] وذلك اشارة الى مصدر

او انزل اليك ومحله النصب على المصدرية اي مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه عربيا مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للايذان بان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الى آخره يأباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتابا فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلاة الى بيت المقدس بعد التحويل بعد ما جاءك من العلم العظيم الشأن الفائض من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه ما لك من الله من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة فان الآمر لا يكون الا من يكون معبودا حقا يكون خالقا ورازقا ومدبرا من ولي يلي امرك وينصرك على من يبغيك الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته ادخل على المعطوف حرف النفي للتأكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك من بأس الله من ناصر وواق لاتباعك اهواءهم وامثال هاتيك القوارع انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام الى آخره وما كان لرسول منهم اي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه الا باذن الله ومشيئته المبنية على الحكم

اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما بينه قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون ولله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله وسيعلم الكفار حين يقضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبى الدار اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتأكيد وقوع ذلك وعلمهم به حتما وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر اي اهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر [illegible] قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر ومن عنده علم الكتاب اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا فانهم يشهدون بنعته عليه السلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ هو الله سبحانه اي كفى شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة فانه قد شحن كتابه بالدعوة الى العبادة وايدني بانواع التأييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي وقرئ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

الر قد مر الكلام فيه في محله غير مرة وقوله تعالى **كتاب** خبر له على تقدير كون
الر مبتداء وللمبتداء مضمر على تقدير كونه خبر المبتداء محذوف او مسرودا على
نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتداء المحذوف وقوله تعالى **انزلناه اليك**
متعلق بانزاله اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة
المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقة **لتخرج الناس**
اي المخرج به الناس من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة
وجهالات صرفة **الى النور** الى الحق الذي هو نور بحت كائنا ما كان فانك لا تهدي
من احببت بل **باذن ربهم** اي بتيسيره وتوفيقه والانباء عن كون ذلك منوطا
باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي اليه من اناب استعير له
الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم
اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المتوجه اليه
وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم
جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء
اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين
باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان
الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور تارة
والصراط اخرى فقيل **الى صراط** اي ما وجد فيهما داخلا فيهما
او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي ففيه على القراءتين بيان لكمال ...

الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف **فيضل الله من يشاء** اضلاله اي يخلق
فيه الضلال لمباشرة اسبابه المؤدية اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم
انه لا ينجع فيه الالطاف **ويهدي من يشاء** بالتوفيق ومنح الالطاف هدايته لما فيه
من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل
المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في
قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كأنه قيل فبينوه لهم فاضل الله
منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها
والحذف للايذان بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان
والهداية على سننه امر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من
الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء
ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تأثير للتبيين
والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بايهام ان ترتب
الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد
الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى **وهو العزيز** فلا يغالب في مشيئته
الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان
ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد
اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **ولقد ارسلنا موسى** شروع في
تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
الآية **بآياتنا** اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل **ان اخرج قومك**
بمعنى أي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى وان اقم
وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة
الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون **من الظلمات**
من الكفر والجهالات التي ادتهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة
الى النور الى الايمان بالله وتوحيده وسائر ما امروا به **وذكرهم بايام الله**

أي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الأمم في الأيام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الآيات أو بأيامه المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله إذ أنجاكم والالتفات من التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل للإيذان بفخامة شأنها والإشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الإضافة إلى ضمير المتكلم أي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل أيام الله وقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم وأيام العرب وقائعها وحروبها وملاحمها أي أنذرهم وقائعه التي دهمت الأمم الدارجة ويرده ما تصدى له عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما تلي عليك

إن في ذلك أي في التذكير بها أو في مجموع تلك النعماء والبلاء أو في أيامها لآيات عظيمة أو كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الأول عبارة عن الأيام سواء أريد بها أنفسها أو ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر وأما على الثاني فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمراد به المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع أو كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد شكور لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للإشعار بأن الصبر والشكر عنوان المؤمن أي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر أو الإيمان ويصير أمره إليها لا لمن اتصف بها بالفعل لأنه تعليل للأمر بالتذكير المذكور السابق على التذكير المؤدي إلى تلك المرتبة فإن من تذكر ما فاض أو نزل عليه أو على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر أو الإيمان لا يكاد يفارقهما وتخصيص الآيات بهم لأنهم المنتفعون بها لا لأنها خافية عن غيرهم فإن التبيين حاصل بالنسبة إلى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر أعني البلاء على متعلق الشكر أعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر

وإذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه عليه السلام لما أمر به من التذكير للإخراج المذكور وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره

وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه السلام بما أصاب أولئك المعدودين مع أن غيرهم أسوة لهم في الخلو قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصوف أو عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم أي من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم إلا الله اعتراض أو الموصول مبتدأ ولا يعلمهم إلى آخره خبره والجملة اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان وإسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبأهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين كل رسول لأمته طريق الحق وهداهم إليه ليخرجهم من الظلمات إلى النور فردوا أيديهم في أفواههم مشيرين بذلك إلى ألسنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعتناء منهم بشأنها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها وإقناطا لهم عن التصديق والإيمان بإعلام أن لا جواب لهم سواه وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به على زعمكم وهي البينات التي أظهروها حجة على صحة رسالتهم لقوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالتهم أو عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك أو إسكاتا للأنبياء وأمرا لهم بإطباق الأفواه أو ردوها في أفواه الأنبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم حقيقة أو تمثيلا أو جعلوا أيدي الأنبياء في أفواههم تعجبا عن عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم أفي الله شك وقيل الأيدي بمعنى الأيادي عبر بها عن مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنياوية لأنهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكأنهم ردوها إلى حيث جاءت منه وإنا لفي شك عظيم مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله والتوحيد فلانا في

في ذلك كفرهم القطعي بما ارسلوا به من البينات فانهم كفروا بها
قطعاً حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا
فأتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة
من ارابه او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء
قالت رسلهم استيناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل
فماذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم
الحمقاء افي الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار
الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلاً منعاً
عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انتم في شك مريب
من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلاً
عليهم بسخافة العقول اي افي شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب
الايمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى تكونوا
من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان
والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب
عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى
ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا
فاطر السموات والارض اي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام
انيق شاهد بتحقق ما انتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل
منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على ان الظرف
خبره يقتضي الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدأ واما الفاعل
فليس باجنبي من رافعه وقد جوز ذلك ايضاً يدعوكم الى الايمان
بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه
ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لياكل معي
من ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام
يجبه قيل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين

لنهلكن الظالمين على اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضرباً منه ولنسكننكم
الارض اي ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها من بعدهم
اي من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتباراً لاوحى كقولهم حلف زيد
ليخرجن غداً ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين
ديارهم اي ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي
يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامي عليه وحفظي لاعماله
وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار
والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا اي استنصروا
الله على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسألوه
القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك
المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفاً على لنهلكن الظالمين
اي اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اي خسر وهلك
كل جبار عنيد متصف بضد ما اتصف به المتقون اي فنصروا عند
استفتاحهم وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم
المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار انهم
كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا
وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالتجبر والعناد لا ان
بعضهم ليسوا كذلك وانه لم يصبهم الخيبة او استفتحوا جميعاً فنصر الرسل و
انجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن المطلب
وفي اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اي بين يديه
فانه مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل
من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف على مقدر جواباً
عن سؤال سائل كانه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص

لا كالمياه المعهودة صديد وهو قيح اي دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره
وهو ما يسيل من احشاء اهل النار وهو عطف بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد
تهويلا للامر وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على انه من اشد انواعه
قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استيناف مبني على السؤال كانه
قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اي يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش
واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يسيغه فضلا عن
الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة فيطول عذابه
تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب
في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد
يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساغة لانها المعهودة في الاشربة وهو حال
من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد
من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من
اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اي والحال انه ليس بميت حقيقة كما
هو الظاهر من مجيء اسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه
من اصناف الموبقات ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل
وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله ففيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب
الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو
حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في
سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوة صلى الله عليه وسلم وخيبتهم في
ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم
اي صفتهم وحالهم العجيبة الشان التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب
او هو استيناف مبني على سؤال من قال ما بال اعمالهم التي عملوها في
وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى و
اغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى

وانما اسندوا ذلك ونسبوا الاستواء بما اليه مع المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة
في النهي عن التوبيخ باعلام انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون
قوله سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم اني
لم اخنه ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم
فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك
ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى في
ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار
اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب
والمشيب وهي جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب
او حال مؤكدة او بدل منه وقال الشيطان الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما
عند ما عتباه بما قاله الاتباع للمستكبرين لما قضي الامر اي احكم وفرغ منه وهو الحساب
ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه
وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث
ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله
فاخلفتكم اي موعدي على حذف المفعول الثاني اي نقضته جعل خلف
وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك وما كان
لي عليكم من سلطان اي تسلط او حجة تدل على صدقي الا ان دعوتكم
الا دعائي اياكم اليه وتسويلي وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرز في
معرض على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه
كانه قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون
الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوعدي اياكم
حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء
على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
ولوموا انفسكم حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل

المجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ازبكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات و
الحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه
وليس فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في
ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه
فانه سبحانه انما خلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة والشقاوة وقيل
ان انه يستدعي ان يقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه
مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم
اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض
لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه
ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ الغير ولذلك اثر الجملة الاسمية
فكان ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وتوبيخهم وهذا جواب عن استغاثتهم
واستعانتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وذي بكر انها اني كفرت اليوم
بما اشركتمون من قبل اي باشراككم اياي بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى
ويوم القيمة يكفرون بشرككم يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي
لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا وكنت اود ذلك وارغب فيه
فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني
وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو
الله عز وجل كما في قوله سبحان ما سخركن لنا فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكفر
بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة
واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل
ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته
ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية
امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم
وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية

فصاروا واستبدلين بها كفرا اي اهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الامن
الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء
مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما هم الافجران من
قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فتمتعوا الى حين كلهما تاولان ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية
واحلوا اي انزلوا قومهم بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم
التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة
فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان
لها وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اي داخلين
فيها مقاسين لحرها او استيناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل يقدر ناصبا
لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان
مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم اي بئس
المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه الدوام
والاستمرار وجعلوا عطف على احلوا وما عطف عليه وداخل معهما في حيز الصلة
وحكم التعجيب اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار
اندادا اشباها في التسمية او في العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم
حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر
والضلال ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى
ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلالهم دار البوار لتثنية
التعجيب وتكريره والايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم
دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر يقضي منه العجب ولو سيق النظم على
نسق الوجود لربما فهم التعجب من مجموع الهنات الثلث كما في قصة البقرة
وقرئ ليضلوا بالفتح وايا ما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد
لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية

قل تهديدا لاولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم وايذانا بانهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال اقتضاء بان يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشانهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبته الوخيمة وتعالى لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام فان مصيركم الى النار ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة لاختطاطها وتمثال له حسبما يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار الآية فهو تعليل للامر المامور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قل لهم تصويرا لحالهم وتعبيرا عما يجبهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مامورون بذلك من قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كاذعان مامور ساع في طاعة آمر مطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كانه قيل هذا حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد ما في الامر قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين حالهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اي قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اي يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا قد اقيما مقامهما وليس بذاك سرا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع

تسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما اشبه ذلك وان اريد بها انفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التعريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار ثم من الامور المعدودة بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتاخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدم من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعي لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتفادي عن توهم كون الكل اعني خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة وآتاكم من كل ما سألتموه اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما يقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ونيط به انتظام احوالكم على وجه المقدم فكانكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء وأتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما ابقي على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل سألتموه النصب على الحالية اي آتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمة الله التي انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا حصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها ففيه ايذان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها فكيف لا

وما من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر والافلاس
ممنوا باصناف البلايا مبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تأملته التأمل اللائق وجدته متقلبا
في نعم لا تحد ومنن لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطى كل ساعة وآن من النعم ما حواه
حيطة الامكان وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه ملك اقطار العالم
ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة
وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير
مزاحم ولا شريك يساهمه بل قدر انه جمع ما فيها من حجر ومدر ونوادر عالية
ونفائس درر ثم قدر انه قد وقع من فقد مشروب او مطعوم في حالة بلغت
نفسه حلقومه فهل يشتري وهو في تلك الحال بجميع ما له من الملك والمال لقمة تنجيه
عن رداه او شربة ترويه من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك
بغير بدل يبقى عليه ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل لذلك كل ما تحويه اليدان كائنا
ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران فاذا اللقمة او الشربة خير مما في
الدنيا الف رتبة مع انها في طرف الثمام يناله متى شاء من الليالي والايام
او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولج
والحين قد حان وادناه الموت من كل مكان اما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد
بل يعطيه وهو لرأيه حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها ومطالبها برمتها
مع انه قد اتيح له كل آن من آنات الليالي والايام حال اليقظة والمنام هذا مع
الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور على
حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السر ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى
حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة واللذات
الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار
ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم والبوار ومهاوي الهلاك والاندثار
لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي
وكل آن يمر وينقضي من انواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر
صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير

واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب بعيد اي ثبتنا على ما
نحن عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ اجنبني
من الافعال وهما لغتان اهل نجد يقولون جنبني شره واجنبني شره واما اهل الحجاز
فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام
بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد بنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة
رضي على ان احدا من اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وانما كان
لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر وكانوا يدورون به ويسمونه
الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري
كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الاصنام
على ان فيما ذكره كرا على ما فر منه رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس
اي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل للدعاء وانما صدره بالنداء
اظهارا لاعتنائه به ورغبته في استجابته فمن تبعني منهم فيما ادعو اليه من التوحيد
وملة الاسلام فانه مني اي بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به
واتصاله بي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني اي لم يتبعني والتعبير عنه
بالعصيان للايذان بانه عليه السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه
انما هو لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان تغفر له
وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره
حتى الشرك خلا ان الوعيد قضى بالفرق بينه وبين غيره ربنا آثر عليه السلام
ضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه والا لراعاه في قوله رب انهن
بل لان الدعاء المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي الاجابة من قوله
اني اسكنت الآية متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في
القبول واجابة المسؤول من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي فحذف
المفعول وهو اسمعيل عليه السلام وما سيولد له فان اسكانه حيث كان
على وجه الاطمئنان متضمن لاسكانهم روي ان هاجر ام اسمعيل كانت
لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فولدت له اسمعيل عليه السلام فغارت عليه فناشدته

ان يخرجها من عندها فاخرجها الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم بوادٍ
غير ذي زرع لايكون فيه زرع اصلا وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه
عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة
لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مباديه
بالمرة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان
الحرمة المؤذن بعزة الملتجا وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض له
والتهاون به او لم يزل معظما ممتنعا يهابه الجبابرة في كل عصر او منع منه
الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له
بناء وانما كان نشزا مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال
ليست باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عليه السلام فانه ينزع الى اعتبار عنوان
الحرمة ايضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة
مما لاريب فيه وانما الاختلاف في كمية عدده وقد ذكرناه في سورة البقرة
بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلوة متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق
باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء
وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة والاهتمام بعرض ان الغرض
من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى
وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة دعائه واعطاء مسؤوله الذي لايتسنى ذلك
المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة من الناس اي افئدة
من افئدتهم فمن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم
فارس والروم واما ما زيد عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فغير
مناسب للمقام اذ المسؤول توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت
للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكي بعبارة اخرى كما مر
او لابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة
على القلب كآدر في أدؤر او على انه اسم فاعل من أفدت الرحلة
اي عجلت اي جماعة من الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة وعلى النعت من افد

والايذان بعمومه لانه ليس شأن يختص به او بمن يتعلق به بل شامل لجميع
الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدائية الكل وقيل هو من كلام الله
عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون
ومن للاستغراق على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع
كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها
اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة
وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة
ان ربي ومالك امري لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا
اعتد به وهي من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله
باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ
هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة
المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء
بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد
ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما
من النعم لا من المنعم عليهم رب اجعلني مقيم الصلوة مثابرا عليها معدلا لها
وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي اي بعضهم
من المذكورين ومن سيرتهما من اولادهما للاشعار بانه المقتدي في
ذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد كما في قوله ربنا
اني اسكنت الخ فان اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو
مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته
لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لايكون مقيم الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعاء اي دعائي
هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن
عبادة الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك
الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لايسلم منه البشر ولوالدي وقرئ

بالتوجه للابوين وبهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له
عليه السلام وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله
الا قول ابراهيم الآية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسيأتي تمامه
في سورة مريم بفضل الله تعالى عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم وللايذان
باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت
ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم
على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد ثبوته وقيل اسند اليه
قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم ان ما حكي عنه عليه السلام
من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه
المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور
امره في الالهية وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من
المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى
نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه السلام عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريق
العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى
غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة
عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد
ووعيد للكفرة وسائر الظالمين شديد او لكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم
اهمالهم لجهله بصفاته تعالى والاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم
معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا او قطميرا
والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم
دار البوار واتخاذ الانداد وكانوا يدينون به التوضيح لحكمة التأخير المنبئ عنه قوله تعالى قل تمتعوا الآية
او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم تمتيعهم متمتعين بالحظوظ
الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما شاء وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق

اي انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤونا به
اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق
الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عليه السلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام
واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها
او لم تكونوا اقسمتم من قبل على اضمار القول معطوفا على فيقول اي فيقال لهم
توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا
واشرا وجهلا وسفها ما لكم من زوال مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ
الدنيوية او باسنة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم
بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التأخير وبعد مداه
او ما لكم من زوال امن هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب
في اقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال
ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله انه قال ان لاهل
النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا
بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا
فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان
يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية
ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى
او لم تكونوا اقسمتم الآية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
فيجيبهم الله تعالى او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين
من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى
اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند
ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم
اللهم انا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك

وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والاستيطان وانما استعمل بكلمة في حيث قيل
في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي
حقه التعدية بها او من السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين
سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقوا بسبب ما
اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف
ايذان بان غائلة الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة
على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب السابق بالمنذرين واما اوائلهم
من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار
حال اواخرهم وتبين لكم بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم
من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل
وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت عليه دلالة
واضحة اي فعلنا العجيب بهم كما في قوله تعالى ليسجننه وقرئ ونبين وضربنا
لكم الامثال اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب
بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومه لجميع
الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال
المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم على مآلهم
وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه
من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلث
في موقع الحال من ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن
المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب
الامثال وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول في
فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال
لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق
وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه عاية المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود
بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او قد مكروا

فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الاخروي بل ما سلف انفا من وعده
بتعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم الآية كما ينفصح عنه الفاء الداخلة على
النهي الذي اريد به تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى
والتيقن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب
المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد
ما وعدهم بذلك كما فصل قصة كل منهم في القرآن العظيم فكانه قيل
واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيمة واخبرناك بما يلقونه من
الشدائد وبما لاقوه من الردى في الدنيا وبما اجبناهم به وفرغناهم بعدم
تأملهم في احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعدما وعدنا
رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا
ان الله عزيز غالب لا يماكر وقادر لا يتادر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه
والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم
خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام
المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر
يوم تبدل الارض غير الارض ظرف لمضمر مستأنف ينسحب عليه النهي
المذكور اي ينجزه يوم الخ او معطوف على نحو ارتقب يوم تبدل الارض غير الارض
او للانتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن له احوال جمة يذكر كل مرة بعنوان
مخصوص والتقييد به مع عموم انتقامه الاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود به
من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل
من يوم يأتيهم العذاب او نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ
وفيه ايضا ما في الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز ان ينتصب
بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعدها وقيل هو غير مانع لان قوله تعالى
ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالي بها فاصلا واعلم ان التبديل قد
يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم
جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت

ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال والآية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله تعالى وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رضي تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي هي تلك الارض وانما تغير صفتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي انه صلى الله عليه وسلم قال يبدل الارض غير الارض فيبسط ويمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا **والسموات** اي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا **وبرزوا** اي الخلائق او الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو **لله الواحد القهار** للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغاث وقادر لا يضار كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة **وترى المجرمين** عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه او على تقدير حالية برزوا فهو عطف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه ينجزه **يومئذ** يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم اذ تبدل الارض او يوم اذ ينجز وعده **مقرنين** قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم

لانه الداعي الى التأمل المؤدي الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى **وليذكر اولوا الالباب** اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكر من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سيق للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب الثبات على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم ختم الله بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز بمرضاته في الاولى والعقبى آمين

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها **تلك آيات الكتاب** اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشأن آيات الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغني عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد **وقرآن مبين** اي قرآن عظيم الشأن

تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق
والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شأنه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي
الكتابية والقرآنية على طريقتين احديهما اشتماله على صفات كمال
جنس الكتب الالهية فكانه كلها والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره
نسيج وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان واخرت الطريقة
الثانية لان الاشارة الى امتيازه عن ساير الكتب بعد التنبيه على
انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا يتوهم
من اول الامر امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير
اشتمال على نعوت كمال ساير الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة
سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هناك
ولا يبعد كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن للتوجيه الى طيبين
الاحسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان
ما تتضمنه فقيل ربما بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد
وبفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددا وفيه ثماني لغات
فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا ومخففا
ورب حرف جر لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل
وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى يود الذين كفروا
لان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكانه
قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه
من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه ومذعنين لامره
وفيه ايذان بان كفرهم انما كان بالجحود بعد ما علموا كونه من عند الله تعالى
وتلك الودادة يوم القيمة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال
المسلمين من النار روى ابو موسى الاشعري انه قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة

وما اهلكنا شروع في بيان سر تأخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم
نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا من قرية
من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها
باهلاكهم كما فعل باخرين الا ولها في ذلك الشأن كتاب اي
اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله
لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له لا ينسى ولا يغفل عنه
حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف
والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تأكيده بكلمة من في حكم
الموصوفة كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من
الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب اي اجل موقت لمهلكها قد كتبناه
لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر
او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال
من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في
اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي
هي بدل من المذكورة على الاختيار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة
اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى
ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة
لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن
في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام
من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف
والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسط الواو بينهما وان كان القياس
عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شانها الجمع والربط
فان ما نحن فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله تعالى
وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك الاهلاك
عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه السنة الالهية

ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن
الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها
كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل **ما تسبق من امة** من الامم المهلكة
وغيرهم **اجلها** المكتوب في كتابها اي لا تجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي
امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان الى الامر بالعكس والسر في ذلك ان
الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المتكلم فما سبقه تحقق قبل تحققه واما الزمان فما تحقق
فيه الحركة والتوجه الى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد واراده
بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما اراد بعنوان الكتاب المعلوم
باعتبار ما يوجبه من الاهلاك **وما يستأخرون** اي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال
للاشعار بحرصهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر
نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية
والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستئخار
حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت
عقوباتهم الى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام
المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد
بيان سر تأخير اهلاكهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى
مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق
والمعنى ان تأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه بيانه ووادتهم للاسلام اذ كذب
وبالامر تركهم وشأنهم الى ان يعلوا حقيقة الحال انما هو لتأخر اجلهم المقدرة لما يقتضيه من
الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة **وقالوا**
شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه
حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم في العتو والغي **يا ايها الذي نزل عليه الذكر**
خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به
واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم **انك لمجنون** كداب فرعون اذ قال ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات

بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا
مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فمع اخلال كل من ذلك
لقضية الابتلاء لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يريده
قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لاتيان الملائكة
لاجل الشهادة واما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل الملائكة
للتعذيب الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة ويستدعيه المصلحة حتما
بحيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا
بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم القيمة لا رفعا بهم بل تشديدا عليهم كما عرفت
من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقته للحكمة نوع
ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر اي ما عليه النظم الكريم
فكأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة
لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فيقدر
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له اي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك
الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله
حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له **وانا له
لحافظون** عن كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا
اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين به واما الحفظ من مجرد التحريف والزيادة
والنقص وامثالها فليس بمقتضى للمقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه
من الطعن فيه والمجادلة في حقيته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على
التنزيل من عند الله تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق اليه الزيادة والنقص
والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة
شأن التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه
اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس
وتأخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل ورداله لما ذكر آنفا

ولارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى ولقد ارسلنا اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة من قبلك في شيع الاولين اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي ويذر من امور الدين وما يأتيهم من رسول المراد نفي اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها الا كانوا به يستهزؤن كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه او في محل الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية اي الا رسول كانوا به يستهزؤن واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات ويجوز ان يكون منصوبا على الوصفية بان يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم الصلوة والسلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزائهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقرونا بالاستهزاء اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤا به من الكتب نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اي نسلكه سلكا مثل ذلك السلك او نسلك السلك حال كونه مثل ذلك اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما يقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السالفة او للدلالة على استحضار

قوله تعالى والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر بيانه في اوائل الرعد وانبتنا فيها اي في الارض او فيها وفي رواسيها من كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن متناسب او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها لها بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كأنه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب واشباهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو الذي يرزقهم واياهم او وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وان من شيء ان للنفي ومن مزيدة للتأكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اي ما من شيء من الاشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدأ الاول والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الفائتة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله اي ما نوجده وما نكونه شيئا من تلك الاشياء ملتبسا بشيء من الاشياء الا بقدر معلوم اي الا ملتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وبهذا البيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة

وإنا عطف على مقدر اي ننزله وما ننزله إلا او حال مما سبق اي عندنا خزائن كل شيء
والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ
الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم
السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق
التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا
الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح
بالحق اي ارسلنا الرياح لواقح اي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من انشاء
سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات بالشجر
والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اي
المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا من السماء بعد ما
انشأنا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا وهو
ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به
متى شاؤوا وما انتم له بخازنين نفي عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء
الا عندنا خزائنه كأنه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم
على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه في الغدران والابار والعيون
بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء تقتضي الغور وانا لنحن نحيي
بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعم الاحياء و
الاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تأكيد للاول او مبتدأ
خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لان اللام مانعة عن ذلك
كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التأكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى
ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون اي الباقون
بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون
في الكل اولا وآخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه
على ان المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد علمنا
المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستأخرين

ولما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته انه
لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح هنا فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية
والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء
الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمه نفخ ولا منفوخ وانما هو
تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده وافضت
عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل على
ان ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيما
او اسجدوا لله تعالى على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته
تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن
فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يشذ منهم احد
اجمعون بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى
بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع
والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطابات التنزيل على اكمل احوال الشيء ولا ريب في
ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيدا واقيم مقام كل في
افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الحال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بد
من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم
واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة
والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل
عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة الا ابليس استثناء متصل اما لانه كان
جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا
يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استئناف مبين
لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد
وبه علم انه مع الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده اي لكن ابليس ابى ان يكون
معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادمج في معصية واحدة ثلث
معاص مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء

عن الانتظام في سلك اولئك المقربين الكرام قال استيناف مبني على سؤال
قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك اي اي سبب لك لا اي غرض
كما قيل لقوله تعالى ما منعك الا تكون في ان لا تكون مع الساجدين لآدم مع انهم
ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل للكل من المعاني
الثلث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك وفي سورة ص
قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على
ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاني
الثلث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا في
سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال اي ابليس وهو
ايضا استيناف مبني على السؤال الذي ينساق اليه الكلام لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي
اي لا يصح مني ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد لبشر اي جسم
كثيف خلقته من صلصال من حماء مسنون اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية الى ادعاء
الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من التراب الذي هو اخس العناصر
واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى في
الاعراف وسورة ص بما حكي عنه ههنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام
من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قيل اسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على
ان قوله تعالى ما لك ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله
عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي عن المناقشة وانى له ذلك كانه قال لم
امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عن ان يليق بشاني من الخضوع
للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه
فلك الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها
الكبر والاستعصاء على امر رب العالمين جل جلاله قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة
المعززين لا من السماء فان وسوسته لآدم عليه السلام في الجنة انما كانت بعد هذا
الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى

اني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي
على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والآخرين من
الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلاؤا
غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها
وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب
النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا
بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت
كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين
الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو به
بين عينيه فيغوص البحار فتنبذه منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض
ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام ويتمرغ
في التراب من المشرق الى المغرب حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه آدم عليه السلام
وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية
وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث شاء الله تعالى ويقال
لآدم وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران
الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب
بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب لازينن لهم اي اقسم باغوائك
اياي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض
واقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها
واثر من آثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بهذا واخرى بذاك والسببية
وقوله ولازينن جواب القسم محذوف والمعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم
مثل ما فعلت بي من التسبب لاغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل والمعتزلة
اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام
واعتذروا عن امهال الله تعالى وتسليطه له على اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم انه
ومن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا

لمن خالفه الاستحقاق ومزيد الثواب **ولأغوينهم أجمعين** لأحملنهم على الغواية **إلا عبادك
منهم المخلصين** الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي
وقرئ بكسر اللام أي الذين أخلصوا نفوسهم لله عز وجل **قال هذا صراط علي** أي حق
من علو الشرف **إن عبادي** وهم المشار إليهم بالمخلصين **ليس لك عليهم سلطان** أي
تسلط وتصرف بالإغواء **إلا من اتبعك من الغاوين** وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين
تفخيم لشأن المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الإغواء عنهم وأن إغواءه للغاوين
ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم **وإن جهنم لموعدهم** أي موعد
المتبعين أو الغاوين والأول أنسب وأدخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على
أن جهنم مكان الوعد وأن الموعود مما لا يوصف في الفظاعة **أجمعين** تأكيد للضمير أو حال
والعامل فيها الموعد إن جعل مصدرا على تقدير المضاف أو معنى الإضافة إن جعل اسم مكان
لها سبعة أبواب يدخلونها لكثرتهم أو سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية
والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية **لكل باب
منهم** من الأتباع أو الغواة **جزء مقسوم** حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه
استعداده فأعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين
والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما
أن جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود والسعير
للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات
في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاي
وبحذف الهمزة والقاء حركتها إلى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء
أو من ضميره في الظرف لا في مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها **إن المتقين** من اتباعه
في الكفر والفواحش فإن غيرها مكفرة **في جنات وعيون** أي مستقرون فيها خالدين
لكل واحد منهم جنة وعين أو لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم **ادخلوها** على إرادة القول أي أمرهم الله تعالى
لهم بالدخول وقرئ أدخلوها أمرا منه تعالى للملائكة بإدخالهم وقرأ الحسن أدخلوها ماضيا
للمفعول على صيغة الماضي من الإدخال **بسلام آمنين** بسلام أي سالمين أو مسلما عليكم

أي لا يقنط من رحمة ربه **إلا الضالون** المخطئون طريق المعرفة والصواب
فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس
من روح الله إلا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على أبلغ وجه
أي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وإنما الذي أقول لبيان منافاة حالي لفيضان
تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة
وقرئ بضم النون وبكسرها من قنط بالفتح ولم تكن هذه المفاوضة من الملائكة
مع ابرهيم عم خاصة بل مع سارة أيضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر
ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر ههنا هناك اكتفاء بما ذكر ههنا
قال أي ابرهيم عليه السلام وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله **فما خطبكم** أي أمركم
وشأنكم الخطير الذي لأجله أرسلتم سوى البشارة **أيها المرسلون** صريح في أن
بينهما مقالة مطوية لهم أشير إليها مكانها كما في قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت طينا
قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي الآية فإن قوله الأخير ليس موصولا بقوله الأول
بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فإنك رجيم فإن توسيط قال بين قوليه
للإيذان بعدم اتصال الثاني بالأول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم
عليهم السلام بعنوان الرسالة بعدما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره
بالفاء دليل على أن مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان أن مجيئهم ليس لمجرد
البشارة بل لهم شأن آخر لأجله أرسلوا فكأنه قال عم إن لم يكن شأنكم مجرد البشارة
فماذا هو فلا حاجة إلى الالتجاء إلى أن علمه عليه السلام بأن كل المقصود ليس البشارة
بسبب أنهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج إلى العدد ولذلك اكتفى
بالواحد في زكريا عليه السلام ومريم ولا إلى أنهم بشروه في تضاعيف الحال
لإزالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها فتأمل **قالوا إنا أرسلنا
إلى قوم مجرمين** هم قوم لوط لكن وصفوا بالإجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما
لهم واستهانة بهم **إلا آل لوط** استثناء متصل من الضمير في مجرمين أي إلى
قوم أجرموا جميعا إلا آل لوط فالقوم والإرسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى
إنا أرسلنا إلى قوم أجرموا كلهم إلا آل لوط لنهلك الأولين وننجي الآخرين ويدل عليه

قوله تعالى انا لمنجوهم اي لوطا وآله اجمعين اي مما يصيب القوم فانه استئناف
للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او بيان لما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول
العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين او لتعليله فان من تعلق
بهم التنجية لمنجى من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل
بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى الا امرأته استثناء من آل لوط
او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا
لمنجوهم اعتراضا ودي بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك
معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال
القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول
واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه
لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون شروع في بيان
كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في
التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما
ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق
كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عليه السلام بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون
انما قاله عليه السلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما
لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد ومعاناته المكائد من قومه الذين
يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتي
ويذر عند تجشمه في تخليصهم انكارا لخذلانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايق
المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه للاسباب المدافعة والممانعة حتى
الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في
سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل
كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله تعالى قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون
اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه فيكذبونك قد قشروا العصا
وبينوا له عليه السلام جلية الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق

عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه
ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه
فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله
في مباشرتكم لما يسوءني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم
بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلام عن ذلك
بقوله ولا تفضحون اكثر تأثيرا في جانبه عليه السلام واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار قبل
شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك
اعظم العار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم
بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك
الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب
الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عليه السلام
وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم
والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك
فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان عليه السلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه
وكانوا قد نهوه عليه السلام عن ان يجير احدا فكأنهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي
انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما نتصدى له لما اعتراك تلك الحالة
ولما رأى انهم لا يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة
بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم
لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في
سورة هود ان كنتم فاعلين اي قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم من الله تعالى
بحياة النبي صلى الله عليه وسلم او من الملائكة بحياة لوط عليهم السلام والتقدير لعمرك قسمي وهي
في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفي سكرتهم غوايتهم او
شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون
فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اي الصيحة
العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس

فجعلنا عاليها على المدينة او على قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى
سافلها مفعول ثان له وهو ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر
وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل
من طين متحجر وطين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك اي فيما
ذكر من القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي المتفكرين المتفرسين
الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها اي المدينة
او القرى لبسبيل مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك
فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها بمرأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم
وايابهم لآية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب
الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على
الاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لان المشاهد ههنا
بقية الآثار لا كل القصة كما في سلف وان كان ان مخففة من ان وضمير الشان الذي
هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة اي وان الشان اصحاب الايكة وهم
قوم شعيب عم والايكة والليكة الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم
المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم لظالمين متجاوزين عن الحد فانتقمنا منهم
بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا
اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة
وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا
اليهما فذكر احدهما منبه على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم
ما يؤتم به يسمى به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به و
لقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء
فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار
وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله
بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا
وهي الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقبها وشربها ودرها او الادلة

من الاموال لتتقوى بها وانفقتها في سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات
هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في
سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل وانهم المتمتعون وايا كلمة على
ان تمنيهم به لا يكون مدار الحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اي تواضع لهم
وارفق بهم والن جانبك لهم وطب نفسك عن ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير
المبين اي المنذر المظهر لنزول عذاب الله وحلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل انه
متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك اي انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب
الذين جعلوا القرآن عضين اي قسموه الى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا
بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او اقتسموه لانفسهم استهزاء
حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا او قسموا
ما قرأوا من كتبهم وحرفوه فاقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسط قوله تعالى لا تمدن
عينيك على امداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بانه جعل المقام مقام
التشبيه والنداء في عليه السلام ما لم يؤت احد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق
بقوله وقل اني انا النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا
على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع
وقد وقع كذلك وانت خبير بان ما شبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم
للحال عند المنذرين اذ به تحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد الانذار وتشديده وعذاب
بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه في غفلة
محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الاعتبار ولكن اذا صادف
مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام
باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى في الاقتسام المتنوع
على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف اشتمال الكتابين بل تخصيص العذاب
المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول
مفعولا اول لانذر اي انذر المعضين الذين يجزؤون القرآن الى سحر وشعر واساطير
مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم

نفعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
تقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب
فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق في
عدم كون العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين
ولا موعود الوقوع انه لا داعي الى تخصيص وصف التعضية بهم واخراج المقتسمين
من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما وصفوا
من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو الا عين
التعضية نعم الى اخراجهم المقتسمين من حكم الانزال على الكتاب انزال لهم على العذاب السلم بكرية
الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما لكلا الفريقين وغيرهم
مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب
قد هلكوا قبل مهلك المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثاني على الاول كما نرى
وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الذين اقتسموا مداخل مكة كما مر
وفيه مع ما عرفت ان قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى لا من قول الرسول عليه السلام والاعتذار بان ذلك من باب ما يقوله بعض خواص
الملك امرنا بكذا وان كان الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انها
لمن الغابرين تعسف لا يخفى وان تعلق الوصف الموصوف مما لا يجوزه البصريون
ولا بد من الهرب الى مسلك الكوفيين او المصير الى جعله مفعولا غير صريح اي انا
النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط
الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام فاهلكهم الله تعالى وانت تدري
ان عذابهم حيث كان متحققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القرآن العظيم
صالح لان يقع مشبها به للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث
لم يكن صفة للمقتسمين فقط تعين جعله مفعولا اول النذير اوما دل عليه
من انذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا العنوان الاقتسام
بالمعنى المزبور في حيز المفعول الثاني فائدة لان ذلك انما يكون للاشعار
بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك

ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا وليجزيتهم بذلك جزاء موفورا وفيه
من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر
بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عليه السلام اظهار اللطف به
عليه السلام **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق
بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف
اي بما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوتيته من المثاني السبع
والقرآن العظيم ومن جملته ان يقول اني انا النذير المبين **واعرض عن المشركين**
اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تقصد الانتقام منهم **انا كفيناك
المستهزئين** بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والحرث بن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به
فنزل جبريل عليه السلام فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال
فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات
واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى فمات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي والى انف
الحرث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة
فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات **الذين يجعلون
مع الله الها آخر** وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه
باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه السلام بل اجترؤا على العظيمة التي هي
الاشراك بالله سبحانه **فسوف يعلمون** عاقبة ما يأتون ويذرون **ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون** من كلمات الشرك والطعن في القرآن و
الاستهزاء به وبك وتحلية الجملة بالتأكيد لافادة تحقيق ما تتضمنه من التسلية وصيغة
الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة
فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس
ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى

من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد
اي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون
ملتبسا بحمد على ان هداك للحق المبين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع
الى الصلوة دم على ما انت عليه من عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان
السالف آنفا لتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر
اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان
للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا
من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر
عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه
النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في
سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات
وايا ما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع التفريع في
قوله تعالى فان النهي عن استعجال الشيء وان صح تفريعه على قرب وقوعه
او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال
رأسا لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه
القراءة على صيغة نهي الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على
الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب
الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة او ما يعمها
من العذاب حتى يعمهم النهي عنه واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة
بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمها صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي

فيها ابراز على البديهة ايضا والانذار الاعلام خلا انه مخص باعلام المحذور من نذر
بالشيء اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في ابلاغه كذا
في القاموس اي اعلموا الناس فالضمير للشان ومدار وضعه
موضع ادعاء شهرته للمغنية عن التصريح به وفايدة تصدير الجملة به الايذان من اول
الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرر في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء
الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل
تمكن كانه قيل انذروا ان الخطير هذا وانباء مضمونه عن المحذور ليس
لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف
في كون اعلامه انذارا وقوله سبحانه فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات
والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء
عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقوني
في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها
الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية
فقيل اي اوجدهما على ما هما عليه من الوجه اللائق
والنمط الرائق تعالى وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذين
المخلوقين عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه به من الباطل
الذي لا يبدئ ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته
شرع في تعداد ما فيه من خلائقه فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال خلق الانسان
اي هذا النوع غير الفرد الاول منه جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ
شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم
مبين لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال
بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم
وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي
صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت
وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر

خلقها او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك قوله لكم اما متعلق بخلقها وقوله دفء مبتدا وهو ما يدفؤ به فتقي من البرد والجملة حال من المفعول والظرف الاول خبر للمبتدا المذكور وفيها حال من دفؤ او لو تاخر لكان صفة ومنافع هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بما يتناول الكل مع انه الانسب لتمام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم الى ما ترى لانها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محال لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو الاكل المعتاد المعتمد به واما الاكل من غيرها من الحبوب والثمار المأكولة فيكتسب بكراء الابل وبأثمان نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية جمال اي زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزيين الافنية والاكناف بها وتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على التسريح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وذكر حين تريحون وحين تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل اثقالكم اجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد سحيق لم تكونوا بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل

ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل بيان لسبيل التوحيد عقيب بيان وتعديل اي تعديل فالمراد بالسبيل الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى ومنها في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله ومنا دون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر جائر اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع اليها بتقدير المضاف اي ومن جنسها لا على ما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد الحراقة واما ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اتم منه كما في قوله سبحانه الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يسقيني ويشفيني ولكن غير الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكره النفس اليه سبحانه وليس المراد بيان قصد السبيل مجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناده اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وعليه جائرها حتى يعرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهم متوهم حتى يتصدى لدفع ذلك بان يقال لا حاجة الى تغيير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على انه تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته

بل هو مخل بالحكمة حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب
الاستعداد وإليه أشير بقوله تعالى **ولو شاء لهداكم أجمعين** أي لو شاء أن
يهديكم إلى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة إليه البتة مستلزمة لاهتدائكم
أجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لأن مشيئته تابعة للحكمة الداعية إليها ولا حكمة
في تلك المشيئة لما أن الذي عليه يدور فلك التكليف وإليه ينسحب الثواب
والعقاب إنما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الأعمال التي بها نيط الجزاء
هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد
السبيل عليه تعالى بأن هدايته إليه على نهج الاستقامة وإيثار حرف الاستعلاء
على أداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير أن يكون هناك
استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي
مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى
ومنها جائر معطوف على الجملة الأولى والمعنى أن قصد السبيل واصل إليه تعالى
بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم أجمعين أي إلى الأول وأنت
خبير بأن هذا حق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سبق
من أدلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين الطريق السمعي للتوحيد على وجه
إجمالي وفصل بعض أدلته المتعلقة بأحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر
الداعي إليه بعثا للمخاطبين على التأمل فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما لحق
أتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من أحوال النبات فقيل **هو الذي أنزل**
بقدرته القاهرة **من السماء** أي من السحاب أو من جانب السماء **ماء** أي نوعا منه
وهو المطر وتأخيره عن المجرور لما مر مرارا من أن المقصود هو الإخبار بأنه أنزل
من السماء شيئا هو الماء لا أنه أنزل من السماء شيئا وللتشويق إلى ما سلف من
أن عند تأخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا مشتاقا إليه فيتمكن لديه عند
وروده عليه فضل تمكن **لكم منه شراب** أي ما تشربونه وهو إما مرتفع بالظرف
الأول متعلقه وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب
ومن تبعيضية وليس في تقديمه إيهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر إلى الاعتذار

على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث إلى الاسمية
المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر أيضا وقرئ بنصب النجوم
على أنه مفعول أول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له
أي وجعل النجوم مسخرات بأمره أو على أنه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات
حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع أي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله
الذي خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره أو لحكمه أو مصدر ميمي
جمع لاختلاف الأنواع أي أنواعا من التسخير وما قيل من أن فيه إيذانا
بالجواب عما عسى يقال إن المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب
وأوضاعها بأن ذلك إن سلم فلا ريب في أنها أيضا أمور ممكنة الذات
والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار
واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان ما ذكر أدلة على وجود
الصانع تعالى وقدرته واختياره وأنت تدري أن ليس الأمر كذلك فإنه
ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون وقال
ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله
الآية وإنما ذلك أدلة التوحيد من حيث إن من هذا شأنه لا يتوهم
أن يشاركه شيء في شيء فضلا عن أن يشاركه الجماد في الألوهية **إن في ذلك**
أي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا **لآيات** باهرة متكاثرة **لقوم**
يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها
من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية أظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد
العقل من غير حاجة إلى التأمل والتفكر ويجوز أن يكون المراد لقوم يعقلون ذلك
فإن ما له مدخل في تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي
لا تتصدى لمعرفتها إلا المهرة من أساطين علماء الحكمة ولا ريب في أن احتياجها
إلى التفكر أكثر **وما ذرأ** عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا على أنه مفعول
لجعل أي وما خلق **لكم في الأرض** من حيوان ونبات حال كونه

مختلفاً ألوانه أصنافه فإن اختلافها غالباً يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى
أو لما خلق له من الخواص والأحوال والكيفيات أو جعل في ذلك مختلف الألوان
أي الأصناف لتتمتعوا من ذلك بأي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات
وعقب بأن ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بأن الأول لا يستلزم الثاني
لرد ما عقب بجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر
أي خلق وأنبت على أن قوله مختلفاً ألوانه حال من مفعوله إن في ذلك الذي ذكر من
التسخيرات ونحوها لآية بينة الدلالة على أن من هذا شأنه واحد لا ند له ولا ضد
لقوم يذكرون فإن ذلك غير محتاج إلا إلى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية
وأما ما يقال من أن اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم
فمراده ما لوحنا به من حسبان ما ذكر دليلاً على إثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال
فإن أراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه
بل من حيث أن ذلك من المقدمات المسلمة يجيء به للاستدلال على ما تقتضيه ضرورة
من وحدانيته تعالى واستحالة أن يشاركه شيء في الألوهية وهو الذي سخر البحر شروع
في تعداد النعم المتعلقة بالبحر إثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيواناً ونباتاً أي جعله بحيث
تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتأكلوا منه لحماً طرياً هو السمك
والتعبير عنه باللحم مع كونه حيواناً للتلويح بانحصار الانتفاع به في الأكل ووصفه بالطراوة
للإشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة إلى أكله كيلا يتسارع إليه الفساد
كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ الكلام وللإيذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذباً طرياً في ماء
زعاق ومن إطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري إلى أن من حلف لا يأكل اللحم
حنث بأكله والجواب أن مبنى الأيمان العرف ولا ريب في أنه لا يفهم من اللحم عند الإطلاق
ولذلك لو أمر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلاً بالأمر ألا يرى أن الله تعالى
سمى الكافر دابة حيث قال إن شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه
من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها عبر في مقام
الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم أو لكون لبسهن لأجلهم وترى الفلك
السفن مواخر فيه جواري فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بجيزومها

في أدلة الوحدانية مع ما فيه من سر سنقف عليه ودلالتها عليها وإن لم تكن
مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيثية الإنعام أيضاً
لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية الأولى استغني عن التصريح بها
لم يبق حالها بطريق الإجمال أي إن تعدوا نعمة الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر
حسبما نطق عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً لا تحصوها
لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو إجمالاً فضلاً عن القيام بشكرها وقد خرجنا
عن عهدة تحقيقه في سورة إبراهيم بفضل الله سبحانه إن الله لغفور حيث يستر
ما فرط منكم من كفرانها والإخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك
رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وتذرون
من أصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك
نعمة وإيثار نعمه فالجملة تعليل للحكم بعدم الإحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت
الرحمة لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد
والأعمال وما تعلنون أي تظهرونه منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل أي
يستوي بالنسبة إلى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على
اختصاصه سبحانه بنعوت الإلهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه
في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علمه المتعلقين بهما على
أبلغ وجه كان علمه تعالى بالسر أقدم منه من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث
لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد أوصافها وأحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة
وتلك الأحوال وإن كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال
حماقة عبدتها وأنهم لا يعرفون ذلك إلا بالتصريح أي والآلهة الذين يعبدهم الكفار
من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون
شيئاً من الأشياء أصلاً أي ليس من شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لأنها
ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها إلى الموجد وبناء الفعل للمفعول
لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما أثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية
والخالقية وللإيذان بعدم الافتقار إلى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل به تعالى

جل جلاله وبجوازان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية
للمشاكلة بينه وبين الاول وهبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم
واعجز عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم واما
جعل الاول ايضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك
الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا ولما ان اثبات
المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحيوة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك
فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او خبر مبتدأ محذوف
وحيث كان بعض الاموات مما يعتريه الحيوة سابقا او لاحقا كاجساد
الحيوان والنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل
غير احياء اي لا يعتريها الحيوة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله تعالى
وما يشعرون ايان يبعثون اي ما يشعر اولئك الآلهة ايان يبعث عبدتهم
فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد
فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث من لوازم التكليف
وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية الهكم اله واحد لا شركة لشيء
في شيء وهو تصريح بالمدعى وتلخيص للنتيجة عقيب اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون
بالآخرة واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء
المستلزم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها او للآيات
الدالة عليها وهم مستكبرون عن الاعتراف بها او عن الآيات
الدالة عليها والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار
وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت
بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم
على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار
بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء
المتنوع الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي الى قصر النظر على
العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لانكارها والكار

بان لهم جزاء آخر وبانه ينبغي النفس مترقبة الى وروده سائلة عنه بانه ماذا مع تنبيهها
بانه في الآخرة فسيق الكلام على وجه يؤذن بان المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم
القيمة والضمير اما للمفترين في حق القرآن الكريم او لهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما اشير
وتخصيصه بهم باباه السباق والسياق كما ستقف عليه ويقول لهم تفضيحا وتوبيخا
فهو الى آخره بيان للاخزاء اين شركائي اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة
توبيخا اثر توبيخ مع استهزائهم الذين كنتم تشاقون فيهم اي تخاصمون الانبياء والمؤمنين
في شانهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة
او المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم
حقيقة حتى يعتذر بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة
علقوا بها الرجاء فيها او بانهم لا لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم
بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء
ولا اماكنها على ان قوله ليتفقدوها ليس بسديد فانه قد تبين عندهم الامر ح فرجعوا عن ذلك
الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون اي تشاقونني على ان
مشاقة الانبياء والمؤمنين لا سيما في شان متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين
اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد
وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اي يقولون توبيخا لهم
واظهارا للشماتة بهم وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به وايثار صيغة الماضي
للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى
اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ان الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم
منصوب بالخزي على رأي من يرى اعمال المصدر المصدر باللام او بالاستقرار في
الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظروف وايراده
للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق والسوء العذاب على الكافرين بالله تعالى
وباياته وبرسله الذين تتوفاهم الملائكة بتانيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام التاء
في التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول
والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين او بدل منه او في محل النصب او الرفع

على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون
من آمن منهم ولو في آخر عمره اي على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان يتوفاهم الملائكة
ظالمي أنفسهم اي حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث عرضوها
للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا فألقوا السلم اي فيلقون والعدول
الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى ويقول اين شركائي
وما بينهما اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤس الاشهاد
اي فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة
الشكيمة قائلين ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اي من شرك قالوه منكرين لصدوره
عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا
لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا
للسلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله تعالى
اين شركائي كما في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم اذ ما عداه لعدم استحقاقهم
لما دهمهم من الخزي والسوء بلى رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوه
اي بلى كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه
فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها
فالدخول عبارة عن الملابسة والمعاناة خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال
مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اي عن التوحيد
كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته
لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وتاويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا
ما كنا عاملين ذلك في اعتقادنا ردا لما للمحافظة على ان لا كذب ثم رده الرد المذكور
وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا اي المؤمنين
وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ من التقوى
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير في
الصورة والمعنى اي انزل خيرا فانه جواب مطابق للسؤال سبكا وللواقع في نفس
الامر مضمونا واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع الذي

في سورة يونس فأصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم
وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا اي اجزية
اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف
المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم اي احاط بهم من الحيق
الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة وافظع ما كانوا به يستهزئون
من العذاب وقال الذين اشركوا اي اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم
والعدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء اي لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول
لما عبدنا ذلك نحن ولا آباؤنا الذين نقتدي بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شيء
من السوائب والبحائر وغيرها وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه السلام وطعنا
في الرسالة راسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو انه شاء ان
نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما تقوله الرسل وينقلونه من
جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث
لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه
بقوله عز وجل كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اي
اشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نهوهم على الخطاء
وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه
الا البلاغ المبين اي ليست وظيفتهم الا التبليغ للرسالة تبليغا واضحا او موضحا
وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحي التي من جملتها تحتم تعلق مشيئة الله تعالى باهتداء
من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم
فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها يدور امر التكليف حتى يستدل
بعدم ظهور آثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان
ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد في تعلق مشيئته تعالى
بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب

والعقاب اضطراريين فالبعثة للتفعيل كأنه قيل كذلك فعل أسلافهم وذلك
باطل فإن الرسل ليس شأنهم إلا تبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونها وإجراء
موجبها على الناس قسرا وإلجاء وإيراد كلمة على للإيذان بأنهم في ذلك مأمورون أو بأنه
ما يبلغونه حق الناس عليهم أداؤه وبهذا اتضح أن حمل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء
لا يلائم الجواب والله تعالى أعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل أمة رسولا تحقيق لكيفية
تعلق مشيئته تعالى بأفعال العباد بعد بيان أن الإلجاء ليس من وظائف الرسالة
ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الأفعال الاختيارية
لهم أي بعثنا في كل أمة من الأمم الخالية رسولا خاصا بهم يجوز أن يكون
أن مفسرة لما في البعث من معنى القول وأن تكون مصدرية أي بعثنا بأن اعبدوا الله
وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو إلى الضلالة فمنهم أي من تلك
الأمم والفاء فصيحة أي فبلغوا ما بعثوا به من الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت
فتفرقوا فمنهم من هدى الله إلى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف
قدرتهم واختيارهم الجزئي إلى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة أي وجبت وثبتت
إلى حين الموت لعناده وإصراره عليها وعدم صرف قدرته إلى تحصيل الحق وتغيير الأسلوب
للإشعار بأن ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين فلم يكن
كل من مشيئة الهداية وعدمها إلا حسبما حصل منهم من التوجه إلى الحق وعدمه لا بطريق
القسر والإلجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده
فسيروا يا معشر قريش في الأرض فانظروا في أكنافها كيف كان عاقبة المكذبين
من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين
تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الأمر بالسير على
مجرد الإخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير إخبار بحلول العذاب للإيذان بأنه
غني عن البيان وأن ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير لما أنه بعده
وأن ملاك الأمر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بأنه لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شيء إن تحرص خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء
وهي لغة على هداهم أي إن تطلب هدايتهم بجهدك فإن الله لا يهدي من يضل

لا أنه كان شيئا قبل ذلك إذا أردناه ظرف لقولنا أي وقت إرادتنا لوجوده
أن نقول له كن خبر للمبتدأ فيكون إما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب
عليه الكلام أي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون
وإما جواب لشرط محذوف أي فإذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول
ولا مقول له ولا أمر ولا مأمور حتى يقال إنه يلزم منه أحد المحالين إما خطاب
المعدوم أو تحصيل الحاصل أو يقال إن ما يستدعيه انحصار قوله تعالى في قوله تعالى
إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فإن المراد بالأمر هو الشأن الشامل للقول والفعل
ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار أسبابه على الإطلاق فيه بل إنما هو تمثيل
لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها
بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لأمر الآمر المطاع فالمعنى إنما إيجادنا لشيء
عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ما يكون ولما عبر عنه بالأمر الذي هو قول
مخصوص وجب أن يعبر عن مطلق الإيجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة
من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والألباب وقرئ بنصب يكون عطفا على
نقول أو تشبيها له بجواب الأمر والذين هاجروا في الله أي في حق الله تعالى
ورضاه وفي حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا وهم الذين ظلمهم أهل مكة من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجوهم من ديارهم فهاجروا إلى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة
حسبما وعد بقوله سبحانه لنبوئنهم في الدنيا حسنة أي مباءة حسنة
أو تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الأنسب بما هو المشهور من كون السورة غير
ثلاث آيات من آخرها مكية وأما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنها نزلت في
صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير موليين لقريش أخذهم
المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الإسلام فأما صهيب فقال لهم أنا رجل كبير
إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما
رآه أبو بكر رضي الله عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب
لو لم يخف الله لم يعصه فإنما يناسب ما حكي عن الأصم من كون كل السورة مدنية

وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية الى آخر السورة مدنية فيحمل على ما نقلنا عنه من نزول
الآية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما جعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل لا انه لجليل ورتبته
لنبوئنهم في الدنيا حسنة اي مباءة حسنة او لنبوئنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة
على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل الشرق والغرب كافة ولأجر الآخرة
اي اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة أكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله تعالى عنه
انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا
ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار
اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل
للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد او لما تألموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها
الذين صبروا على الشدائد من اذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك
ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون منقطعين الى الله
تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار
والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل
او حال من ضمير صبروا وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقرئ بالياء
مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر
كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة
بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه
ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار
على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل فاسألوا اهل الذكر اي اهل الكتاب او
علماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك ان كنتم لا تعلمون حذف
جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى
جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امرأة ولا صبيا و
لا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى وجوب
المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والجار متعلق

اي عن جانبي كل واحد منها استعير لهما ذلك من يمين الانسان وشماله سجدا
لله حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة
الله سبحانه وتأثرها لارادته تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له
وقوله تعالى وهم داخرون اي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار
المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من
جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها فانها كل يوم من
ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر
لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها
من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما
حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى
داخرة فوصفها بها مغن عن وصف ظلالها بها ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال
والاشجار والاحجار التي لا تظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها
او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل
يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع
وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من الشرق
واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة على
الربع الشرقي منها وبعدما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها
ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها
ظلال او لا فقيل ولله يسجد اي له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا
او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد
كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات قاطبة وما في
الارض كائنا ما كان من دابة بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين
والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد
من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال
مثله والملائكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا

أو على أن يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح أو يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم (وهم) أي الملائكة مع علو شأنهم (لا يستكبرون) عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة إما حال من فاعل يسجد مسند إلى الملائكة أو استئناف أخبر عنهم بذلك (يخافون ربهم) أي مالك أمرهم وفيه تربية للمهابة وإشعار بعلية الحكم (من فوقهم) أي يخافونه جل وعلا خوف هيبة وإجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده أو يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لأن من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) أي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وإيراد الفعل مبنيا للمفعول جري على سنن الجلالة وإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده إلى غيره سبحانه وفيه أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين أن جميع الموجودات يخصونه بالخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد أصلا لله عز وجل أردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الإشراك فقيل (وقال الله) عطفا على قوله ولله يسجد وإظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للإيذان بأنه متعين للألوهية وأن المنهي عنه هو الإشراك به لا أن المنهي عنه مطلق اتخاذ إلهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض أيهما كان أي قال تعالى لجميع المكلفين (لا تتخذوا إلهين اثنين) وإنما ذكر العدد مع أن صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على أن مساق النهي هي الاثنينية وأنها منافية للألوهية كما أن وصف الإله بالوحدة في قوله تعالى (إنما هو إله واحد) للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية وأنها من لوازم الإلهية وأما الإلهية فأمر مسلم الثبوت له سبحانه وإليه أشير حيث أسند إليه القول وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة على رأي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الأسلوب الملتفت عنه حق الكلام وإن لم يسبق الذكر على ذلك الوجه (فإياي فارهبون) التفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل أي إن كنتم راهبين شيئا فإياي ارهبوا فارهبون لا غير فإني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والأرض (وله ما في السموات والأرض) خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له

أي أخبر بولادتها (ظل وجهه) أي صار أو دام النهار كله (مسودا) من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير (وهو كظيم) ممتلئ حنقا وغيظا (يتوارى) يستخفي (من القوم من سوء ما بشر به) من أجل سوئه والتعبير عنها بما لإسقاطها عن درجة العقلاء (أيمسكه) أي مترددا في أمره محدثا نفسه في شأنه أيمسكه (على هون) ذل (أم يدسه) يخفيه (في التراب) بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ بالتأنيث (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون ما هذا شأنه عندهم من الهون والحقارة لله المتعالي عن الصاحبة والولد والحال أنهم يتحاشون عنه ويختارون لأنفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع إبائهم إياه لا جعلهم البنين لأنفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز أن يكون مداره التعكيس لقوله تعالى تلك إذا قسمة ضيزى (للذين لا يؤمنون بالآخرة) ممن ذكرت قبائحهم (مثل السوء) صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة إلى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وإيثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الإملاق المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للإشعار بأن مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة (ولله) سبحانه وتعالى (المثل الأعلى) أي الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه علوا كبيرا (وهو العزيز) المتفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم (الحكيم) الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا أيضا من جملة صفاته العجيبة تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس) الكفار (بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما أفاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وإيذان بأن ما أتوه من القبائح قد تناهى إلى أمد غاية ورآه (ما ترك عليها) أي على الأرض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى (من دابة) أي ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل أهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بلى والله حتى إن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه

لحا والجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك
الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر
لقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم
الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم
المسمى عن ذلك الاجل اي لا يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار
بعجزهم عنه مع طلبهم له فذة وهي مثل في قلة المدة اي لا يتقدمون
وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجي الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئخار
بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا
مع انه لا توبة له اصلا قد نظم في سمط من لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك
وقد مر في تفسير سورة يونس ويجعلون لله اي يثبتون له سبحانه وينسبون اليه
في زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة
لقوله تعالى اي يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم
الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم
رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اي حقا مكان ما املوا من الحسنى
التي ليست وراء عذابها عذاب وهي علم في السوأى وانهم مفرطون اي
مقدمون اليها من افرطته اي قدمته في طلب الماء وقرئ بكسر الراء المشددة
من التفريط في الطاعات وبكسر المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكون ح من احوالهم
الاخروية كما عطف عليه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما ناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اي ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق
فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم
اي قرينهم وبئس القرين اي يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريق حكاية الحال
الماضية او في الدنيا او يوم القيمة على طريقة حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار
والولي بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم وكونه

سهل المرور في حلوقهم وقيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا
بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق
بما يدل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن
مطعوم كما انه مشروب اي ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرهما وقوله تعالى
استيناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه
وتكرير الظرف للتاكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل
والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من شائع نحو
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف
المحذوف اعني العصير او لان المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل
هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل والآية
ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة
ان في ذلك لآية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل
اي الهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير
وقرئ بالنحل بفتحتين اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان تكون مفسرة
لما في الايحاء من معنى القول وتأنيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى
او لانه جمع نحلة والتأنيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اي اوكارا مع ما فيها من الخلايا
وقرئ بيوتا بكسر الباء اي يعرش الناس اي يرفعه من كرم
او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا
من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد
حرف التبعيض لما انها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها
من كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها ما اكلت منها
سبل ربك اي مسالكه التي برأها بحيث يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا
من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة
الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل
اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي

منقلوه لما أمرت به يخرج من بطونها استيناف عدل به عن خطاب النحل
لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعد ما أمرت بما
أمرت شراب أي عسل لأنه مشروب واحتج به وبقوله تعالى كلي من زعم أن
النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا
للشتاء ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الأزهار
والأوراق وتضعها في بيوتها فإذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالأفواه
مختلف ألوانه أبيض وأسود وأصفر وأحمر حسب اختلاف سن النحل أو الفصل الذي
أخذت منه العسل فيه شفاء للناس إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره
كما في سائر الأمراض إذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع أن التنكير فيه مشعر
بالتبعيض ويجوز كونه للتعظيم وعن قتادة أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد
سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك
فسقاه فشفاه فبرئ كأنما أنشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله تعالى
من أحوال النحل وعن ابن مسعود رضه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور
فعليكم بالشفائين العسل والقرآن إن في ذلك الذي ذكر من أعاجيب آثار قدرته تعالى
لآية عظيمة لقوم يتفكرون فإن من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة
والأفعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق
المهندسين إلا بآلات رفيعة وأدوات أنيقة وأنظار دقيقة جزم قطعا بأن له
خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم لما ذكر سبحانه
من عجائب أحوال ما ذكر من الماء والنبات والأنعام والنحل أشار إلى بعض عجائب
أحوال البشر من أول عمره إلى آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب
العمر في أربع الأولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب
والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير
وهي سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما تقتضيه مشيته المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة
أطفالا وشبانا وشيوخا ومنكم من يرد قبل توفيه أي يعاد إلى أرذل العمر أخسه

أو بعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى أفبالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمة الله
تعالى الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها
إلى الأصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام أو لإيهام الاختصاص مبالغة أو لرعاية
الفواصل والالتفات إلى الغيبة للإيذان باستيجاب حالهم للإعراض عنهم وصرف الخطاب
إلى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه ويعبدون من دون الله لعله عطف على يكفرون
داخل تحت التوبيخ أي يكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه ما لا يملك لهم رزقا
من السموات والأرض شيئا إن جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه
أي ما لا يقدر على أن يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا و
إن جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات والأرض صفة
لرزقا أي كائنا منهما ويجوز كونه تأكيدا للايملك أي لا يملك رزقا ما شيئا من الملك
أي يملكوه إذ لا استطاعة لهم رأسا لأنها موات لا حراك بها ولا يستطيعون
فالضمير للآلهة ويجوز أن يكون للكفرة على معنى أنهم مع كونهم أحياء متصرفين في
الأمور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فلا تضربوا لله الأمثال
التفات إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهي أي لا تشركوا به
والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد إلى النهي عن الإشراك به تعالى في شأن من
الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح
وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم
مثلا أصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم
الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل من أن يملك لهم
من أقطار السموات والأرض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة
الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الأزواج والأولاد إن الله يعلم
تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه أي أنه تعالى يعلم كنه ما تأتون وأنه
في غاية العظم والقبح وأنتم لا تعلمون ذلك وإلا لما فعلتموه أو أنه تعالى
يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم وقفوا في موقف الامتثال لما
ورد عليكم من الأمر والنهي ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم كيف يضرب

الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي الردى و
الضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال ضرب الله مثلا
اي ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين
ما اشركوا به وتعالى علوا كبيرا بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جليا عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة
له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد
بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبد الله سبحانه وقد ادرج فيه
ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والماذون الذين لهما
تصرف في الجملة وفي ابهام المثل اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة
ومن رزقناه من موصوفة معطوفة على عبدا اي رزقناه بطريق الملك
والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق من جنابه
الكبير المتعال منا رزقا حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا
تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا
رزقا حسنا فانفق وايثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر
للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي فهو ينفق منه سرا وجهرا اي حال السر
والجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول
انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة
والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين
بان يقال وحرا مالكا للاموال مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه
لتوخي تحقيق الحق بان الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان
مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان يرزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل
في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين
الحال بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك
بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين هل يستوون جمع الضمير للايذان بان المراد
بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان معينان

كل الاشياء اي يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة
الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء
الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون
وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التاتي الا كلمح البصر
او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة
وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيمة بعينه لان علمه مخصوص به غائب
عن اهلها فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم
من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم معه في
سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم
وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها
جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق من اراق وشذ زيادتها في
الواحد قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال
اي غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم
وليس فيه دلالة على تاخر الجعل المذكور عن الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا
لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء
آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء
وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس
فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة
جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة
التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوب لما مر من الايذان من اول الامر
بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن
لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه
وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقي الوحي او لان ادراكه اقدم من ادراك البصر
وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل الم يروا وقرئ بالتاء الى الطير جمع طائر
اي الم ينظروا اليها مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب

وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء منقادا للآخر يتصرف فيه كيف شاء كتسخير البحر والفلك والدواب للانسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف شاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة ما يمسكهن في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن الا الله عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في مسخرات او من الطير واما مستأنف ان في ذلك الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها خرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير لآيات ظاهرة لقوم يؤمنون اي من شأنهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به والله جعل لكم على ما مر وتقديم لكم على ما بعده من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده. وقوله تعالى من بيوتكم اي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتاكيد لما سبق من التشويق سكنا فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان تنتقل من مكانه اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط ومن اصوافها واوبارها واشعارها عطف على قوله تعالى من جلود والضمائر الاول للانعام على وجه التنويع اي وجعل لكم من اصواف الضأن واوبار الابل واشعار المعز اثاثا اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث

الابل

قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك اي نعبدهم او نطيعهم لعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه فالقوا اي شركاؤهم اليهم القول انكم لكاذبون فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله سبحانه من الشريك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا اي الذين اشركوا الى الله يومئذ السلم الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم اي ضاع وبطل ما كانوا يفترون من ان لله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا في انفسهم وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم اي زدناهم عذابا بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتهديد في كل امة شهيدا عليهم اي نبيا من انفسهم من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم وجئنا بك ايثار لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا على هؤلاء الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيمة ونزلنا عليك الكتاب الكامل في الكتابية الحقيق بان يخص به اسم الجنس

وهو اما استيناف او حال بتقدير قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملته ما اخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا عليهم عليهم السلام والتبيان كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من انصار وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك ان الله يأمر اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رض ان العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اي الاتيان بما امر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشانه وينهى عن الفحشاء الافراط

اي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا ينفد وان جم عدده وان طال امده وما عند الله من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية باق لا نفاد له اما الاخروية فظاهرة واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى ان ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على الثبات على الدين والالتفات لما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال ولنجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اي والله لنجزين الذين صبروا على اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات اجرهم مفعول ثان لنجزين اي لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون اي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بان نجزي الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التعبير بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما يترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات للدلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا يناسب عده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لاخراج بعض اعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها من عمل صالحا اي عملا صالحا اي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح

بخصوص دفعاً لتوهم اختصاص الاجر الموفور بهم وبعلمهم المذكور وقوله تعالى
من ذكر او انثى مبالغة في بيان شموله للكل وهو مؤمن قيده به اذ لا اعتداد
باعمال الكفرة في استحقاق الثواب او تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية
على نظمه في سلك الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح
فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا
فظاهر واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر
العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا
فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه ولنجزينهم
في الآخرة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون عما تفعل الصابرين فليس فيه شائبة
تكرار والجمع في الضمائر العائدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد
فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء
بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوعها في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق
الافتراق والتعاقب الملائم للافراد واو قد انتهى الامر الى ان مدار الجزاء المذكور
هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص
عن شوب الفساد فقيل فاذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته عبر بها
عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة
المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فاسأله عز جاره ان يعيذك من الشيطان الرجيم
من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همة بذلك
قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة
القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عم
فيما عدا القراءة من الاعمال الامر للندب وهذا مذهب الجمهور وعند عطاء
للوجوب وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضه
ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه

وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان
الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد
العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي واياما كان فلا بأس من زعموا
انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطائهم ليس نسبته عليه السلام
الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم
الاولين والآخرين لسان الذي يلحدون اليه اعجمي الالحاد الامالة من الحد القبر
اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة
فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول عن
الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان وهذا القرآن الكريم
لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن
معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي
اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن باذيال امثال هذه الخرافات الركيكة دليل
على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي لا يصدقون انها من عند الله
بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر
لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون
ذلك لسوء حالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر
بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد
اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من
عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى
من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي يكذب
بآيات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر اي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء
على الحقيقة لان حقيقة الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه
كذبا وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان
قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله لا يؤمنون

وقيل المعنى انما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لانه لا يترقب
عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن
ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بآيات الله
هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب آياته تعالى
والطعن فيها بامثال هذه الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب الساذج الذي هو عبارة
عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك
مدافعة لله سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبي عنه
معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون
في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله اي تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء كلام
لبيان حال من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأسا
ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه او هو خبر لهما معا
او النصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو
استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يعم بالقول كالاعتقاد
وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه
لا نفس الاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي نفعا وانما المجدي
مقارنته للكفر الواقع به اي الا من كفر باكراه او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه مطمئن بالايمان
لم تتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان
هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن كذلك بل شرح بالكفر صدرا اي اعتقده وطاب به
نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية
تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين
المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ
روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فاباه ابواه فربطوا سمية
بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها
وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه
فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى عليه وسلم كلا ان

رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت اي كفر اهلها بانعم الله اي
بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس
والمراد بالنعمة الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة
حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة فاذاقها الله اي اذاق اهلها
لباس الجوع والخوف شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي
للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة
عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع
استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء
اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال
الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت
اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة
بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة
واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر
والبشع الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومي اليه بان اوقع عليه
الاذاقة المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي
اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف
المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة
المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على
المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف بما كانوا يصنعون
فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور اسند ذلك الى اهل القرية
تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة
الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة ولقد جاءهم
من تتمة التمثيل جيء بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعمة لم يكن مزاحمة منهم لقضية
العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق ايضا اي ولقد جاء اهل تلك القرية
رسول منهم اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم

سوء عاقبة ما يأتون ويذرون منهم في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء
فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلعثم فأخذهم العذاب
المستأصل لشأفتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك وهم ظالمون اي حال التباسهم
بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه
بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم
في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله تعالى
حسبما ينبئ عنه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل
فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة او لمن سار سيرتهم كافة محاذية
لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة
فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف
من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي
رسول تحار في ادراك سمو رتبته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور
والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم فاذاقهم الله لباس الجوع
والخوف حيث اصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم اعن عليهم بسبع كسبع يوسف
ما اصابهم من جدب شديد وازمة حصت كل شيء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف
والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت
عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون
على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه
المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير في قوله تعالى
ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله
سبحانه فكلوا مما رزقكم الله متفرع على نتيجة التمثيل وصد لهم عما يؤدي الى مثل عاقبته
والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك
من اللتيا والتي اولا وآخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم
كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم

فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا
ان يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم
وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم
في التحريم ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اي بسبب جهالة او ملتبسين بها
ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم
الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اي من بعد ما عملوا والتصريح
به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم او دخلوا في
الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب
على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتأكيد الوعد واظهار كمال
العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان افاضة آثار الربوبية من المغفرة والرحمة
عليهم بتوسطه عليه السلام وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابراهيم كان امة
على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة
في امة جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل
التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات
باهرة لا تبقي ولا تذر وابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة
او لانه عليه السلام كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة
بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس
كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما
وايراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك
والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بان حقية دين الاسلام
وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه قانتا لله مطيعا له قائما بامره
حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك من المشركين
في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لرد ما ادعاه كفار قريش
في قولهم نحن على ملة ابينا ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود والمشركين بقولهم عزير ابن الله

في افترائهم وادعائهم انه عليه السلام كان على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا اذ به
يتشطر الابرار او التحريم والنسبة سابقا ولاحقا **شاكرا لانعمه** صفة ثالثة
لامه واتيانه بصيغة جمع القلة للايذان بانه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعمة
القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه
من الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل **اجتباه** للنبوة **وهداه**
الى صراط مستقيم موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة من الهداية
مجرد اهتدائه عليه السلام بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء
وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس
قاطبة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة
وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار
كمال الاعتناء بشانه وتفخيم مكانه عليه السلام **وانه في الآخرة لمن الصالحين**
اصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما سأله بقوله والحقني بالصالحين و
اجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم **ثم اوحينا اليك**
مع علو طبقتك وسمو رتبتك **ان اتبع ملة ابراهيم** الملة اسم لما شرعه الله تعالى
لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو
الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسبت الى من
يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا
قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي عليه السلام ولا تكاد توجد
مضافة الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع
دون آحادها والمراد بملته عليه السلام الاسلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط
المستقيم **حنيفا** حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة اتصاله به
عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة
والمأمور به الاتباع في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في
ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه عليه السلام

ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي امرك بدعوة الخلق اليه
واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر **وهو اعلم**
بالمهتدين اليه وذلك هو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى اعلم اسلك
في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال
بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلي
فما شرعه لك في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكمة فانه كاف في هداية المهتدين
وازالة عذر الضالين او ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن
واما حصول الهداية او الضلال والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم
بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه و
تقديم الضالين لما ان مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل
الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها واعراض
عن الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات
على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة الاسم
المنبئ عن الثبات وتكرير هو اعلم للتأكيد والاشعار بتباين حال المعلومين
ومآلهما من العقاب والثواب وبعد ما امره عليه السلام فيما يختص به من شأن
الدعوة بما امره به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه
فيما يعم الكل فقال **وان عاقبتم** اي ان اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب
للمحتمي ان اكلت فكل قليلا **فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** اي بمثل ما فعل بكم وقد
عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان
او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم
من غير تجاوز حين ما آل الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع
فان الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة
لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير
معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه
آباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم

طريق المحاجة والمناظرة وازيحت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة رضي الله تعالى عنه يوم احد قد مثّل به قال لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفّر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتم حث على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل **ولئن صبرتم** اي عن المعاقبة بالمثل **لهو** اي الصبر **خير** لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل **للصابرين** مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول انفسهم في جنس الصابرين دخولا اوليا ثم امر صلى الله عليه وسلم صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل **واصبر** اي على اصابك من جهتهم من فنون الآلام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية **وما صبرك الا بالله** استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء من الاشياء الا بالله اي بذكره والاستغراق في مراقبة شؤونه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته على الصلوة والسلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه او الا بمشيته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط **ولا تحزن عليهم** اي على الكافرين بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم الكريم **ولا تك في ضيق** بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل اي لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اي في امر ضيق **مما يمكرون**

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عينا وجنسا لا شخصا لم تكن اضافته من قبيل ما في زيد المعارك او حاتم طي وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحانه ثم نزل منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح اي واسع الجري ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث الاضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى **ليلا** لافادة قلة زمان الاسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء دلالته على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عليه السلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين **من المسجد الحرام** اختلف في مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل

دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به
او لان الحرم كله مسجد فانه روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلوة والسلام
كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام
ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عليه السلام لتمنعه خشية ان يكذبه القوم قال عم
وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل يا معشر كعب بن لوي بن غالب هلم
فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به
وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على
ذلك قال اني اصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف
بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته
لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها
وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك
اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر هذه والله
العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قاتلهم الله انى يؤفكون واختلف
في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس رضه والحسن انه كان
قبل البعثة واختلف ايضا انه كان في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه
كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي
اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضي الله عنها
انها قالت ما فقد جسد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه
وعن معوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما يدل عليه
التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والانكار
وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش واحالوه ولا استحالة فيه
فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا
وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم
مع معاوقة حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول

ليحيم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف
بن لهراسف القى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك
عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل بعد
قتل داود عليه السلام جالوت كثيرة بعد ما نهبت
اموالكم وبنين بعد ما سبيت اولادكم وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم من قبل او
من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون
للذهاب الى العدو كالعبيد والمعيز اعمالكم سواء كانت لازمة لانكم
او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان يكون
الاعمال حسنة في انفسها او ان فعلتم الاحسان احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها
اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتي او فعلتم
الاساءة فلها اذ عليها وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد
ولا اسات اليه وتلاها وعد عقوبة
المرة الاخرة ليسوءوا وجوهكم متعلق بفعل محذوف لدلالة ما سبق عليه
اي بعثناهم ليسوءوا ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا اثار المساءة والكآبة
بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان
الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة علي رضي الله عنه
لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ لنسوأن بالنون الخفيفة وليسوءن
واللام في قوله عز وجل عطف على ليسوءوا متعلق بما تعلق
هو به كما دخلوه اول مرة اي في اول مرة وليتبروا اي يهلكوا ما علوا ما غلبوه
واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا فظيعا لا يوصف بان سلط الله
عز وجل عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه
جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه
دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني
فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا
فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال

يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فابدا باذن الله تعالى
قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدا بعد المرة الاخرة
ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي وان عدتم اي ما كنتم فيه
من الفساد مرة اخرى عدنا اي عقوبتكم ولقد عادوا وانا عاد الله سبحانه
عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة
ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطونه
الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي
محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير
وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذمالهم
بذلك واشعارا بعلة الحكم ان هذا القرآن الذي آتيناكه يهدي
اي الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كداب الكتاب الذي آتيناه موسى
للتي للطريق التي هي اقوم اي اقوم الطرائق واسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد
وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لما دلالة والخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد
المذكور بل للايذان بالغني عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية
التي هي من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي اليها من يتمسك به
لا لتحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين ح
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بما في تضاعيفه من الاحكام والشرائع وقرئ بالتخفيف
التي شرعت فيه ان لهم اي بان لهم بمقابلة تلك الاعمال اجرا كبيرا بحسب الذات
وبحسب التضعيف عشر مرات فصاعدا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة واحكامها
المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر
ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به ولمراعاة التناسب بين اعمالهم
وجزائها الذي انبأ عنه قوله عز وجل اعتدنا لهم عذابا اليما وهو عذاب
جهنم اي اعتدنا لهم فيما كفروا به وانكروا وجوده من الآخرة عذابا اليما وهو ابلغ
في الزجر لان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع وافجع والجملة معطوفة
على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به

في السبل وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة
الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على ان ليس للعبد في تحصيل الرزق
تاثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم
الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين اعني محو آية الليل وجعل آية النهار
مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدار العلم المذكور اي لتعلموا
بتفاوت الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما او
حركاتهما واوضاعهما وسائر احوالهما عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي
لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي الحساب المتعلق بما في ضمنها من
الاوقات اي الاشهر والليالي والايام وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة
ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظم الحساب وانما الذي تعلق به العد طائفة
منها متعلقة في ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية
تحققها وتحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل
طائفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث وجود تلك
الطائفة للعد ووقوعها بعدتها اي نفسها من غير ان يعتبر في ذلك تحصيل شيء معين
وتحقيقه ما مر في سورة يونس من ان الحساب احصاء ماله كمية منفصلة بتكرير امثاله
من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل
كما اشير اليه آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرير امثاله من غير ان يتحصل منه شيء كذلك
ولان السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليها العدد
وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة
وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي
في تحصيل المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما
وجودا وعلما على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب ما في تضاعيف
السنين من الاوقات او لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب
تفصيلا او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه حسبما ذكرنا
من الحساب المعتبر فيه ذلك بمنزلة البسيط من المركب او لان العلم المتعلق بالاول

اقتضى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتنان والله سبحانه اعلم
وكل شيء تفتقرون اليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار
آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى
اي بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه هاديا للتي هي اقوم ظهورا بينا
وكل انسان الزمناه طائره اي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له
كانه طار اليه من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له في القسمة الازلية الواقعة
حسب استعداده في العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا **في عنقه** تصويرا لشدة
اللزوم وكمال الارتباط اي الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة
او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون **ونخرج له** بنون العظمة
وقد قرئ بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير لله عز وجل وللمفعول والضمير للطائر
كانه قرئ يخرج من الخروج **يوم القيامة** والبعث للحساب **كتابا** مسطورا فيه ما ذكر من عمله
نقيرا او قطميرا او هو مفعول لنخرج على القراءتين الاوليين او حال من المفعول المحذوف
الراجع الى الطائر وعلى الاخريين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر **يلقاه**
اي يلقى الانسان او يلقاه الانسان **منشورا** وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثاني
حال منه وقرئ يلقاه من التلقية كذا اي يلقى الانسان اياه قال الحسن بسطت لك
صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك
فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت
صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة **اقرأ كتابك** اي
قائلين ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا وقيل المراد
بالكتاب النفس المنتقشة بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا
يحدث منه في جوهر روحه امر مخصوص الا انه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن
مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت
قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت
نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على النفس لوح

خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة آمرنا وامرنا من
الافعال والتفعيل وقد جعلتا من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يلائم
مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فان مؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة
الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافرة ابطرتهم وحملتهم على الفسق حملا حقيقيا بان تعتريهم
بالادة **وكم اهلكنا** اي وكثيرا ما اهلكنا **من القرون** بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان
تخترم فيها القوم وهي عشرون او ثلثون او اربعون او ثمانون او مائة وقد ايد ذلك
بانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة او مائة وعشرون
من بعد نوح من بعد زمنه عليه السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت
احوالهم في القرآن العظيم ومن لم تقص وعدم نظم قومه عليه السلام في تلك القرون
المهلكة لظهور امرهم على ان ذكره عليه السلام رمز الى ذكرهم **وكفى بربك** اي كفى ربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم
متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث
يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من قسمتهم
ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو
لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه **من كان يريد** باعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد
عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعمال الآخرة
فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر
للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة **العاجلة** فقط من غير ان يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه
الاستمرار المستفاد من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه
والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى
ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد الحيوة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب بقوله تعالى **عجلنا له فيها** اي في تلك العاجلة
لا في الحيوة واستمرارها من جرى ما عجل له فالانسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن يرد
ثواب الدنيا نؤته منها **ما نشاء** اي ما نشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد **لمن نريد** تعجيل
ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول

المنبئ عن الكثرة وقوله لمن نشاء على ان الضمير له سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا
بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة
والارادة لما ان الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب
الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما يترآى من قوله تعالى من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل
لجميع اماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق القول فيه
في سورة هود بفضل الله تعالى ثم جعلنا له مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من اصناف
العذاب يصليها يدخلها وهو حال من الضمير المجرور او من جهنم او استيناف مذموما
مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤن المسلمين
ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال ان السورة
مكية سوى آيات معينة ومن اراد الآخرة الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم وسعى لها سعيها
اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهى لا التقرب
بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا
لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر
في حيز الصلة فاولئك اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة وما في
ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى
ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي اولئك الجامعون
لما مر من الخصال الجميلة اعني ارادة الآخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم
مشكورا مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي
دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي
كل واحد من الفريقين الاخير المريد للخير الحقيقي والاول الساعي فقط نمد اي نزيد مرة
بعد مرة بحيث يكون الآنف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما
من العطايا العاجلة وما اعد للآخر من العطايا الآجلة المنوط بها المشكورية
السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما
يلحق عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء

عن تافيف والديه ونهرهما ولو عوبر الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المرام فلا تقل
لهما اي لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع اف وهو صوت ينبئ عن تضجر
او اسم فعل وهو اتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون اي
لا تتضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر
ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشانه فقيل
ولا تنهرهما اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات
وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما ذا كرم او هو وصف له بوصف
صاحبه اي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب
ويستدعيه النزول على المروة مثل ان يقول يا ابتاه ويا اماه لا كما قال ابراهيم
اذ قال لابيه يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء و
سوء الادب ودأب الدعاء وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين
فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما
شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما
اذا ماتا وتقوم بخدمة اوداّئهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من
ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه واخفض لهما جناح الذل عبارة عن
الانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكانه قيل
واخفض لهما جناحك الذليل او جعل لذله جناحا كما جعل لبيد في قوله
وغداة ريح قد كشفت وقرة ... اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للقرة زماما و
للشمال يدا تشبيها له بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة عليها
واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام من الرحمة
من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر
خلق الله تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة
الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والاخروية التي من جملتها الهداية
الى الاسلام فلا ينافي ذلك كفرهما كما ربياني الكاف في محل النصب على انه نعت
لمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما لي او مثل رحمتهما لي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون

لهما الرحمة والتربية معاً وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني **صغيرا** ويجوز ان يكون الكاف للتعليل اي لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً ثم ضيق الامر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ماله من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وروي ان شيخا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا ينفق علي من ماله فنزل جبرئيل عليه السلام وقال ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنه ابياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها فانشدها الشيخ فقال

غذوتك مولودا ومنتك يافعا ❊ تعل بما اجني عليك وتنهل ❊ اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت ❊ لسقمك الا باكيا اتململ ❊ كاني انا المطروق دونك بالذي ❊ طرقت به دوني وعيني تهمل ❊ فلما بلغت السن والغاية التي ❊ اليها مدى ما كنت فيك اؤمل ❊ جعلت جزائي غلظة وفظاظة ❊ كانك انت المنعم المتفضل ❊ فليتك اذ لم ترع حق ابوتي ❊ فعلت كما الجار المجاور يفعل ❊

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك **ربكم اعلم بما في نفوسكم** من البر والعقوق **ان تكونوا صالحين** قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد **فانه** تعالى **كان للاوابين** اي الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر **غفورا** لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويدخل فيه الجاني على ابويه دخولا اوليا **وآت ذا القربى**

كل البسط الا المصلحتك **انه كان بعباده خبيرا بصيرا** تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او ان يراد انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله **ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق** اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك **نحن نرزقهم واياكم** لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بابطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشعار باصالتهم في افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير ان ينتقص مما رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا الى رزقكم **ان قتلهم كان خطئا كبيرا** تعليل آخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم والخطأ الذنب والاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا او بفتحها وحذف الهمزة وبكسرها كذلك **ولا تقربوا الزنا** بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما **انه كان فاحشة** فعلة ظاهر القبح متجاوزة عن الحد **وساء سبيلا** اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله عنه انه قال عليه السلام

بأكم والزنى فإن فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة فأما التي
في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر وأما التي في الآخرة فسخط الله
وسوء الحساب والخلود في النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بأن عصمها
بالإسلام أو بالعهد إلا بالحق إلا بإحدى ثلث كفر بعد إيمان وزنا بعد إحصان
وقتل نفس معصومة عمدا والاستثناء مفرغ أي لا تقتلوها بسبب من الأسباب
إلا بسبب الحق أو ملتبسين أو ملتبسة بشيء من الأشياء ويجوز أن يكون نعتا
لمصدر محذوف أي لا تقتلوها قتلا ما إلا قتلا ملتبسا بالحق ومن قتل مظلوما
بغير حق يوجب قتله أو يبيحه للقاتل حتى أنه لا يعتبر إباحته لغير القاتل فإن من عليه القصاص
إذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيده قول الولي أنا أمرته بذلك ما لم يكن الأمر
ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلي أمره من الوارث أو السلطان عند عدم الوارث سلطانا
تسلطا واستيلاء على القاتل بالمؤاخذة بالقصاص أو بالدية حسبما تقتضيه جنايته أو حجة غالبة
فلا يسرف في القتل أي لا يسرف الولي في أمر القتل بأن يتجاوز الحد المشروع بأن يزيد
عليه المثلة أو بأن يقتل غير القاتل من أقاربه أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله
أهل الجاهلية أو بأن يقتل القاتل في مادة الدية وقرئ بصيغة النفي مبالغة في أو في
معنى النهي إنه كان منصورا تعليل للنهي والضمير للولي على معنى أنه تعالى نصره بأن أوجب
القصاص والدية وأمر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يسرف ولا
يخرج من دائرة أمره الناصر أو للمقتول ظلما على معنى أنه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف
وليه في شأنه أو للذي يقتله الولي ظلما وإسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد
أن الضمير في لا يسرف للقاتل الأول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضمير في
التعليل عائد إلى الولي أو المقتول فالمراد بالإسراف ح إسراف القاتل على نفسه
بتعريضها للهلاك العاجل والآجل لا الإسراف أو التجاوز للحد في القتل أي لا يسرف
على نفسه في شأن القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن أفضى
ذلك إليه وللتوسل إلى الاستثناء بقوله تعالى إلا بالتي هي أحسن أي إلا بالخصلة
والطريقة التي هي أحسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ أشده

أي لن تخرق الأرض بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء ولن تبلغ
الجبال التي هي بعض أجزاء الأرض طولا حتى يمكن لك أن تتكبر عليها إذ التكبر إنما يكون
بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع رأسه
ومشيه على صدور قدميه كل ذلك إشارة إلى ما علم في تضاعيف ذكر
الأوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين كان سيئه الذي نهي عنه وهي اثنتا
عشرة خصلة عند ربك مكروها مبغضا غير مرضي أو غير مراد بالإرادة
الأولية لا غير مراد مطلقا لقيام الأدلة القاطعة على أن جميع الأشياء واقعة
بإرادته سبحانه وهو تتمة لتعليل الأمور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة
مع أن البعض من الكبائر للإيذان بأن مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب
الانتهاء عن ذلك وتوجيه الإشارة إلى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها
إليه ابتداء لما أن البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه
إشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وإنما لم يصرح بذلك إيذانا بالغنى عنه
وقيل الإضافة بيانية كما في آية الليل وآية النهار وقرئ سيئة على أنه خبر كان
وذلك إشارة إلى ما نهي عنه من الأمور المذكورة ومكروها بدل من سيئة
أو صفة لها محمولة على المعنى فإنه بمعنى سيئا وقرئ به أو مجرى على موصوف مذكر
أي أمرا مكروها أو مجرى مجرى الأسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا
من المستكن في كان أو في الظرف على أنه صفة سيئة وقرئ سيئاته وقرئ
شأنه ذلك أي الذي تقدم من التكاليف المفصلة مما أوحى إليك ربك أي بعض منه
أو من جنسه من الحكمة التي هي علم الشرائع أو معرفة الحق لذاته والعمل به أو من الأحكام
المحكمة التي لا يتطرق إليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رض أن هذه الآيات
الثماني عشرة كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله إلها آخر
قال تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التورية
ومن إما متعلقة بأوحى على أنها تبعيضية أو ابتدائية وإما بمحذوف وقع حالا من
الموصول أو من ضميره المحذوف في الصلة أي كائنا من الحكمة وإما بدل من الموصول
بإعادة الجار ولا تجعل مع الله الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره

ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر التنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه علومه وحكمه وان كان فيها اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشراك اولا حيث قيل فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته في العقبى فقيل فتلقى في جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جري على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة يأخذها آخذ بكفه فيطرحها في التنور أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا خطاب للقائلين بان الملائكة بنات الله سبحانه والاصفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور اي افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته اخسها وادناها كما في قوله سبحانه ألكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد النكير وتأكيده واشير بذكر الملائكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي اخص صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث تجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق بالانوثة التي هي اخس اوصاف الحيوان فيا لها من ضلالة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا القرآن على وجه من التقرير في مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا ما فيه ويتنبهوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكي للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان

او مشمول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوا على كنهه ويعرفوا انه من عند الله تعالى وقرا صمما وثقلا مانعا من استماعه اللائق به وهي تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال اثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان حالهم هذا اقبح من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حال من قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى لا يكاد يلائم المقام واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده ولوا على ادبارهم اي هربوا ونفروا نفورا او ولوا نافرين نحن اعلم بما يستمعون به ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والتكذيب وبالقرآن يروى انه كان يقوم عن يمينه عليه السلام رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لا ان العلم يستفاد هناك من احد وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم او الاول ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجي وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اي ذوو نجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل اي متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون للحد اي يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم ان تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما تتبعون باللغو والهزء الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة يتنفس اي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال

اي مشكوك بالسحر والساحر المجنون فضلوا في جميع ذلك عن منهاج المحاجة فلا يستطيعون
سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه
احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
ما لا يخفى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد و
الاستنكار للبعث بعد ما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم
من التنافي كان استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات
ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام
وإذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه
لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار
وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت
وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير
الهمزة في قولهم ائنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد
كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى
أفلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب
كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم
عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم
ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر
وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه او
الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتبكيتا لما استبعدوه كونوا حجارة
او حديدا او خلقا آخر مما يكبر في صدوركم اي يعظم عندكم عن قبول الحياة
لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة فسيقولون
من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا
للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم
القادر العظيم الذي فطركم اول مرة من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه
وكنتم ترابا ما شم رائحة الحياة اليس الذي يقدر على ذلك بقادر على ان يعيد العظام البالية

الى ربهم وما لك امورهم الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته
ويخافون عذابه كدأب سائر العباد فاين هم من كشف الضر فضلا عن الالهية
ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل
عليهم السلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام
مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم
حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من الملائكة
والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد
بالقرية القرية الكافرة اي ما من قرية من قرى الكفار الا نحن مهلكوها اي مخربوها
البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة
لذلك وفي صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس فيه من الدلالة على
التحقق والتقرر وانما قيل قبل يوم القيمة لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى
الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اي معذبوا
اهلها على الاسناد المجازي الا نحن مهلكوها لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا
الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الاخروية ايضا حسبما
ينبئ عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة كيف لا
وكثير من القرى العاتية العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة كان ذلك
الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب في الكتاب اي اللوح المحفوظ مسطورا
مكتوبا لم يغادر منه شيء الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته المضروب
له وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت
في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة ويهلك المدينة
بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما
خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمرو الداني في
كتاب الفتن انه روي عن وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة من الخراب حتى
تخرب ارمينية وارمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة
ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية

على يد رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الابلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه العمري من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده السباق ولا السياق **وما منعنا ان نرسل بالآيات** اي الآيات التي اقترحتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك **الا ان كذب بها الاولون** استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما منعنا ارسالها شيء من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها وان كان بمشيئته المبنية على الحكم البالغة لا لمنع مانع عن ذلك من التكذيب او غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستئصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك في العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافيا لارسال ما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستدعي للاستئصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبات هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوقع من ايمان بعض اعقابهم عبر عن ذلك لمنافاته بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالى لتأييده عليه السلام بالمعجزات وهو السر في ايثار الارسال على الايتاء لما فيه من الاشعار بتداعي الآيات الى النزول لولا ان تمسكها يد التقدير واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان بان مدار

تسامعت به قريش فاستسخروا منه وبما رآه عليه السلام انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي باعلامهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وانت خبير بانه يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة وان يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا ما رآه عليه السلام في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في ان تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس **واذ قلنا للملائكة** تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ليعلم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر اي واذكر وقت قولنا لهم **اسجدوا لآدم** تحية وتكريما له لما انه من الفضائل المستوجبة لذلك **فسجدوا** له من غير تلعثم امتثالا بالامر واداء لحقه عليه السلام **الا ابليس** وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود **قال** اي عندما وبخ بقوله عز سلطانه يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة الحجر **أأسجد** وانا مخلوق من العنصر العالي **لمن خلقت طينا** نصب على نزع الخافض اي من طين او حال من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او من نفس الموصول اي أأسجد له واصله طين والتعبير عنه عليه السلام بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة **قال** اي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على الاستنظار المتفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون

أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل لها من الإعراب وهذا مفعول أول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه أي أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأن أمرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ وحذف حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار أي أخبرني أهذا من كرمته علي وقيل معنى أرأيتك أتأملت كأن المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه لئن أخرتن إلى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله لأحتنكن ذريته أي لأستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا أو لأقودنهم حيث ما شئت أو لأستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها إذا جعلت في حنكها الأسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين وإنما علم تسني ذلك المطلب تلقيا من جهة الملائكة عليهم السلام أو استنباطا من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو توسما من خلقه إلا قليلا منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى قال اذهب أي امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم أي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا أي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة أي وفر وهو نصب على أنه مصدر مؤكد لما في قوله فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو للفعل المقدر أو حال موطئة لقوله موفورا واستفزز أي استخف من استطعت منهم أن تستفزه بصوتك بدعائك إلى الفساد وأجلب عليهم أي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك أي بأعوانك وأنصارك من راكب وراجل من أهل العبث والفساد وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة إن له خيلا ورجالا من الجن والإنس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل إبليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل إبليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على أنه فعل بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه مثل حدث وحذث وندس وندس ونظائرهما أي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك

فإنه متناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته إذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الأرض ولم نغرقهم الماء وأنت خبير بأن الأول هو الأنسب بالتكريم إذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات أي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والإدراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم من عدا الملائكة عليهم السلام تفضيلا عظيما فحق عليهم أن يشكروا نعم الله ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد ممن له أدنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملأ الأعلى الذين هم العقول المحضة وإنما استثني جنس الملائكة من هذا التفضيل لأن علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على أفضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فإن المراد بيان التفضيل في أمر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن أن يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه إن قيل أي حاجة إلى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضل عليه فإن استثناء الملائكة عليهم السلام من تفضيل جميع أفراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض أفراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه البتة إذ ليس من الأفراد الفجرة للبشر أحد يفضل على أحد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه أصلا بل هم أدنى من كل دني حسبما ينبئ عنه قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا وقوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا يوم ندعوا نصب على المفعولية بإضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعو بقلب الألف واوا على لغة من يقول في أفعى أفعو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى وأسروا النجوى أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فإنها ليست إلا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديرها كما في يدعى كل أناس من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت أحوالهم في الآخرة

بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم
في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير
يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل الامام جمع ام
كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عليه السلام وتشريف
الحسنين رضي الله تعالى عنهما والستر على اولاد الزنا فمن اوتي يومئذ من اولئك
المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه ابانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه
وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه
ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شأن جليل او اشعارا بان قراءتهم لكتبهم تكون على وجه
الانفراد كما في حال الايتاء وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم
اي اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المزبور يقرؤن كتابهم
الذي اوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات
ولا يظلمون اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة
فتيلا اي قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شيء فان
الفتيل مثل في القلة والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين في هذه
الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل اعمى فاقد البصيرة لا يهتدي
الى رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها
والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعناه فيه من العقول والقوى فيما خلقن له
من العلوم والمعارف الحقة فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم ندعو اعمى
كذلك اي لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني
وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا
ولذلك قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما واضل سبيلا اي من الاعمى لزوال
الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله
بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان
مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة
الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين

والتحديد المذكور بيان لمبدائه ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق
وقوله تعالى وقرآن الفجر اي صلوة الفجر نصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء قاله
الزجاج وانما سميت قرآنا لانه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية
ولكن لا دلالة له على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر
بالقراءة في صلوة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز
ان يكون وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة الفجر ان قرآن الفجر اظهر في
مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام به كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار
او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخو الموت
او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالآية على تفسير الدلوك
بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر ومن الليل
قيل هو نصب على الاغراء اي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغري به حرفا ولا يجدي
كون معناها التبعيض فان واو مع لم يثبت اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح
بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل فتهجد به اي ازل وألق الهجود
اي النوم فان صيغة التفعل تجيء للازالة كالتحرج والتحنث والتأثم ونظائرها والضمير
المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله تعالى ومن الليل
اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في وقيل منصوب بتهجد اي تهجد بالقرآن
بعض الليل على طريقة واياي فارهبون نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة
خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه في تأخير ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم
وقتها على وقتها او تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له صلى الله عليه وسلم
في الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فانه عليه السلام مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير
ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير تنفل
او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبادة زائدة واما على الحالية
من الضمير الراجع الى القرآن اي حال كونها صلوة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل
من وجعل الضمير المجرور للبعض اي فصل في ذلك البعض نافلة لك عسى ان يبعثك ربك

الذی یبلغک الیه کالک اللایق بک من بعد الموت الاکبر لا انبعثت من النوم
الذی هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة **مَقَامًا** نصب علی الظرفیة علی اضمار فیقیمک
او تضمین البعث معنی الاقامة اذ لا بد من ان یکون العامل فی مثل هذه الظروف فعلا فیه
معنی الاستقرار ویجوز ان یکون حالا بتقدیر مضاف ای یبعثک ذا مقام **مَحْمُودًا**
عندک وعند جمیع الخلق وفیه تهوین لمشقة قیام اللیل وروی ابو هریرة رضی الله عنه
ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذی اشفع فیه لامتی وعن
ابن عباس رضی الله عنهما مقاما یحمدک فیه الاولون والآخرون وتشرف فیه علی جمیع
الخلائق تسأل فتعطی وتشفع فتشفع لیس احد الا تحت لوائک وعن حذیفة رضی الله تعالی عنه
یجمع الناس فی صعید واحد فلا تتکلم فیه نفس فاول مدعو محمد صلی الله علیه وسلم
فیقول لبیک وسعدیک والشر لیس الیک والمهدی من هدیت وعبدک بین یدیک
وبک والیک لا ملجأ ولا منجی منک الا الیک تبارکت وتعالیت سبحانک رب البیت
وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي ای القبر **مُدْخَلَ صِدْقٍ** ای ادخالا مرضیا **وَأَخْرِجْنِي** ای منه عند البعث
مُخْرَجَ صِدْقٍ ای اخراجا مرضیا ملقی بالکرامة فهو تلقین للدعاء بما وعده من البعث
المقرون بالاقامة المعهودة للکرامة فوقها وقیل المراد ادخال المدینة والاخراج من مکة
وتغییر ترتیب الوجود لکون الادخال هو المقصود وقیل ادخاله علیه السلام مکة ظاهرا
علیها واخراجه منها آمنا من المشرکین وقیل ادخاله الغار واخراجه منه سالما
وقیل ادخاله فیما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤدیا حقه وقیل ادخاله
فی کل ما یلابسه من مکان او امر واخراجه منه وقری مدخل ومخرج بالفتح علی معنی
ادخلنی فادخل دخولا واخرجنی فاخرج خروجا کقوله وعضة دهر یا ابن مروان لم تدع
من المال الا مسحت او مجلف ای لم تدع فلم تبق **وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا**
حجة تنصرنی علی من خالفنی او ملکا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له علی الکفر فاجیبت
دعوته علیه السلام بقوله عز وعلا والله یعصمک من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون
لیظهره علی الدین کله لیستخلفنهم فی الارض **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ** ای الاسلام والوحی
الراسخ **وَزَهَقَ الْبَاطِلُ** ای ذهب وهلک الشرک والکفر وتسویلات الشیطان من زهق روحه
اذا خرج **إِنَّ الْبَاطِلَ** کائنا ما کان **كَانَ زَهُوقًا** ای شأنه ان یکون مضمحلا غیر ثابت

ذلک لرکاکة عقولهم فان الحکمة الانسانیة ان یعلم من الخیر ما تسعه الطاقة البشریة
بل ما ینیط به المعاش والمعاد وذلک بالاضافة الی ما لا نهایة له من معلوماته سبحانه قلیل
یراد به خیر کثیر فی نفسه او بالنسبة الی الانسان او هو من الابداعیات الکائنة بمحض الامر
التکوینی من غیر تحصل من مادة وتولد من اصل کاعضاء الجسد حتی یمکن تعریفه
ببعض مبادیه ومآله انه من عالم الامر او من عالم الخلق وفیه تنبیه علی انه مما لا یحیط
بکنهه دائرة ادراک البشر وانما الممکن هذا القدر الاجمالی المندرج تحت ما استثنی بقوله تعالی
وما اوتیتم من العلم الا قلیلا ای الا علما قلیلا تستفیدونه من طرق الحواس فان تعقل
المعارف النظریة انما هو من احساس الجزئیات ولذلک قیل من فقد حسا فقد
فقد علما ولعل اکثر الاشیاء لا یدرکه الحس ولا شیئا من احواله التی یدور علیها
معرفة ذاته واما جعل ما ذکر علی السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا
بحدوثه ای کائن بتکوینه حادث باحداثه بالامر التکوینی فمع عدم ملایمته لحال السائلین
یساعده التعرض لبیان قلة علمهم فان ما سألوا عنه مما یعلمه علمهم حینئذ وقد اخبر عنه وقیل المراد
بالروح خلق عظیم روحانی اعظم من الملک وقیل جبریل علیه السلام وقیل القرآن ومعنی
من امر ربی من وحیه وکلامه لا من کلام البشر **وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**
من القرآن الذی هو شفاء ورحمة للمؤمنین ومنبع للعلوم التی اوتیتموها وشبابک علیه حین
کادوا یفتنونک عنه ولولاه لکدت ترکن الیهم شیئا قلیلا وانما عبر عنه بالموصول
تفخیما لشأنه ووصفا له بما فی حیز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبانه لیس
من قبیل کلام المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء
الشرط وبذلک حسن حذف مفعول المشیئة والمراد من الذهاب به المحو عن المصاحف
والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود رضی الله عنهما ان اول ما تفقدون
من دینکم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة ولیصلین قوم ولا دین لهم وان
هذا القرآن تصبحون یوما وما فیکم منه شیء فقال رجل کیف ذلک وقد اثبتناه
فی مصاحفنا نعلمه ابناءنا ابناءهم فقال یسری علیه لیلا فیصبح الناس منه
فقراء ترفع المصاحف وینزع ما فی القلوب **ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ** ای بالقرآن **عَلَيْنَا وَكِيلًا**
من یتوکل علینا استرداده مسطورا محفوظا **إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ** فانها ان نالتک

لعلها تسترده عليك فيجوز ان يكون الاستثناء منقطعاً بمعنى ولكن رحمة من
ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتناناً بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيباً
في المحافظة على اداء حقه وتحذيراً من ان لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام
بشكره وهو اجل النعم واعظمها **ان فضله كان عليك كبيراً** كارساله وانزال
الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك **قل** للذين لا يعرفون جلالة
قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شأنه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر
لئن اجتمعت الانس والجن اي اتفقوا **على ان يأتوا بمثل هذا القرآن** المنعوت بما لا يدركه
العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين
بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا لان غيرهما قادر على المعارضة
لا يأتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازاً عن ان يتوهم
ان له مثلاً معيناً وايذاناً بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا يأتون بكلام مماثل له
فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان وهو
جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولا هي لكان
جواباً له بغير جزم لكون الشرط ماضياً كما في قول زهير وان اتاه خليل يوم مسئلة
يقول لا غائب مالي ولا حرم وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن
مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد
او من المجموع بان يتألبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار
قيل **ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله
وهو عطف على مقدر اي لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيراً للبعض ولو كان الخ
وقد حذف المعطوف عليه حذفاً مطرداً لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان
بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة مدور ما في ان
ولو الوصليتين من التأكيد كما حرر في موضعه ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي
لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلاً
عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ
لكون الآية تقريراً لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً كما قيل لكن لما انه

يستتبعون به حيث من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه
ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه حاسماً لمواد شبههم ملجئاً
الى الايمان يكسون الامر ويجعلونه مانعاً منه **قل** لهم اولاً من قبلنا تبييناً للحكمة وتحقيقاً للحق
المزيح للريب **لو كان** اي لو وجد واستقر **في الارض** بدل البشر **ملائكة يمشون
مطمئنين** قارين فيها من غير ان يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم
لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع
والتلقي منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي
منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها مبنى التكوين و
التشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين
بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب
ويلقوا الى جانب وقوله ملكاً يحتمل ان يكون حالاً من رسولاً وان يكون موصوفاً به
وكذلك بشراً في قوله تعالى ابعث الله بشراً رسولاً والاول اولى **قل** لهم ثانياً من
جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما يقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا
اليه رأساً **كفى بالله** وحده **شهيداً** على اني اديت ما علي من مواجب الرسالة
اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه عم
رسولاً باظهار المعجزة على وفق دعواه كما اخير لا يساعده قوله تعالى **بيني وبينكم** وما بعده
من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقاً للمفارقة وابانة للمباينة وشهيداً اما حال
او تمييز **انه كان بعباده** من الرسل والمرسل اليهم **خبيراً بصيراً** محيطاً بظواهر احوالهم
وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهديد للكفار **ومن يهد الله** كلام مبتدأ يفصل ما اشار اليه الكلام السابق
من مجازاة العباد اشارة اجمالية اي من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى
فهو المهتدي اليه والى ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي الى كل مطلوب
ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين **فلن تجد لهم**
او ترجيح الجماعة اعتباراً للمعنى [illegible] اوثر في مقابلة الافراد نظراً الى اللفظ تلويحاً
بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال

اولياء من دونه من دون الله تعالى اى انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية او الاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذي يستوجبونه على ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع انقسام الاحاد الى الاحاد ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر يوم القيمة على وجوههم حال من الضمير المنصوب اى كائنين عليها يسحبون عليها كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم او مشيا فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا حال من الضمير المجرور في الحال السابقة وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه مأويهم جهنم اما حال او استيناف وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اى كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اى ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اى بسبب انهم كفروا بآياتنا العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدا وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدا ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من غير لفظه او لمبعوثون بعثا جديدا واما حال اى مخلوقين مستأنفين اولم يروا اى الم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف على اولم يروا

بنشر قوله تعالى ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد للدلالة على كثرة نجومه لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وتقع من الحوادث والواقعات قل آمنوا به او لا تؤمنوا للذين كفروا فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اى العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل او رأوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اى القرآن عليهم يخرون للاذقان سجدا اى يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ ح تحقق الخرور عليها وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به احسن ايمانا من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من المثقلة واللام فارقة اى ان الشان هذا ويخرون للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم امر الله تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم اى القرآن سماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين

حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه
وما مزيدة لتأكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم
وكان اصل الكلام ايا ما تدعو فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع اسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين
وكونهما من الحسنى لدلالتهما على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلاتك اي
بقراءة صلاتك بحيث تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها
اي بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك اي بين الجهر والمخافتة
على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا قصدا فان خير الامور اوساطها والتعبير عن ذلك
بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب
وروي ان ابا بكر رض كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رض كان يجهر بها
ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع
قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ
بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى انها
منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى
وبنو مليح كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة ولم يكن له ولي من الذل ناصر ومانع منه
والقدرة التامة على الايجاد وما يتوقف عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمه
او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه
والتمجيد واجتهد في الطاعة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور في ذلك روي انه عليه السلام
كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والله سبحانه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اي الكتاب الكامل الغني
عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به

وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او
بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الآية وهو الانسب بقوله تعالى
كبرت كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه
الى ما لا يكاد يليق بكبريائه وجبروته والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا
وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا
والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت
باسكان الباء مع اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم صفة للكلمة
مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها واسناد الخروج اليها مع ان الخارج هو الهواء
المتكيف بكيفية الصوت لملابسته لها ان يقولون ما يقولون في ذلك الشأن الا كذبا
لا قولا الا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضمير ان لهم ولآبائهم مثل حاله
عليه السلام في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم
بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تأسفا على مفارقتهم
وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له عليه السلام على الحذر والاشفاق من ذلك
فلعلك باخع اي مهلك نفسك على آثارهم غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط
محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا فالعامل باخع
لمجيئه على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه اسفا
مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي متأسفا عليهم
ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين
الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم
انا جعلنا ما على الارض استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا
جعلنا ما عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا
او معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا زينة مفعول ثان للجعل
ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام في لها متعلق

زينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها ليتمتع بها الناظرون من المكلفين
وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرهما لعذاب
الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على
وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحيوة الدنيا بل
اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون
تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا
اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا فنجازيهم بالثواب
والعقاب حسبما تبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين
حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على
ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن
خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته
كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما
موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدا مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا
من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان تكون الضمة في
ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا
على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة
وان تكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها
وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتامل في شانها
وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها
والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة
واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم
المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بان الغاية
الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى
ليبلوكم ايكم احسن عملا وانا لجاعلون فيما سياتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها
من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او

فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم اي ايقظناهم من
تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا
للفاعل بطريق الالتفات واياما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا
من الاظهار والتمييز او بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي
الذي يتعلق به الجزاء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما التي يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعا
فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة
الايام بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق
بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار والتمييز واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه
تحزبهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار والتمييز وينتظم شيء
من ذلك في سلك الغاية وانما الذي ترتب عليه تحزبهم الى مقدر تقديرا غير مصيب
ومفوض الى العلم الرباني وليس شيء منهما من الاحصاء في شيء بل بحمل النظم الكريم
على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على
السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد يكون
لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فات بها من المغرب وهو
المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم اي الحزبين اي الفريقين المختلفين
في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سياتي احصى اي اضبط لما لبثوا اي للبثهم امدا
اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى
بهم من حفظ ابدانهم واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر
البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك
الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سياتي على ما صدر عنهم
من التساؤل المؤدي اليها وهذا ادنى من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد
ان يعلم الخ حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على احد الوجوه حيث
حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت
اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى جعل ارادة العلم

عبارة عن الاختبار فاختبر واختر هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا
للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة باي في موقع
المفعول الثاني فقط ان جعل العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اي
ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى الخ وروى عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان احد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل
كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى
المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وهو مفعول لاحصى واللام والجار والمجرور حال منه
قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية
فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها
الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة
عبارة عما سبق من السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي
لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان فلا كون
فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية
ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان
الممتد بالذات وهو آن انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على احد
ولا تسمى احصاء كما عرفت بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها لزمانه
المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد
كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة
السابقة نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة
منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد
بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد
واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز ان يكون
موصولة حذف عائدها من الصلة اي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه
فيما قبل بسنين عددا فالامد بمعناه الوضعي على ما تحقق وقيل اللام مزيدة والموصول
مفعول وامدا نصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق

للاشعار بعلية وصف الربوبية لاباءهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما
سيحكى عنهم وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا
لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا
من التكلم وربطنا على قلوبهم اي قويناها حتى اقتحموا مضائق الصبر على هجر الاهل
والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف
وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد
بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا
على غير ميعاد فقال اكبرهم اني لاجد في نفسي شيئا ان ربي رب السموات والارض
نحن ايضا كذلك فقاموا جميعا فقالوا
ربنا رب السموات والارض
ادعوهم بالحق نحوا ما ويقضي بمقتضاها فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضي ربوبيته
لما فيهما اي اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم
على ترك عبادة الاصنام فحينئذ يكون ما سيأتي من قوله تعالى هؤلاء قومنا اتخذوا الخ منقطعا عما قبله
صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو لن نعبد ابدا من دونه الها معبودا آخر
لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين
حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية
وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا
اذا شططا اي قولا ذا شطط اي تجاوز عن الحد او قولا هو عين الشطط على انه
وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت
العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود
والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه الها
والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم هؤلاء هو مبتدا
وفي اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبره وفيه معنى الانكار لولا
يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اي هلا يأتون عليهم على الوهيتهم
او على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان بين بحجة ظاهرة الدلالة على ما ادعاهم وفيه تبكيت
لهم والقام حجر فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا

والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير
تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه في سورة هود (واذ اعتزلتموهم) اي فارقتموهم
في الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني (وما يعبدون الا الله) عطف على
الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اي واذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله
او وعبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم
مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية
على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه (فأووا) اي
التجئوا (الى الكهف) قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت كذا فافعل كذا وقيل هو
دليل على جوابه اي امركم من رحمته في الدارين (ويهيئ لكم) يسهل لكم (من امركم) الذي
انتم بصدده من الفرار بالدين (مرفقا) ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم
وكسر الفاء مصدر كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين لما مر مرارا من الايذان من
اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده (وترى الشمس) بيان لحالهم بعدما
اووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به
لكونه صادرا عن رأي صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ اوى الفتية
الى الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول عليه السلام
او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا
بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس (اذا طلعت تزاور) اي تتزاور
وتتنحى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء في الزاي وتزور كتحمر وتزوار
كتحمار وكلها من الزور وهو الميل (عن كهفهم) الذي اووا اليه
فالاضافة لادنى ملابسة (ذات اليمين) اي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل
الى قعره اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم (واذا غربت) اي
عند غروبها (تقرضهم) اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم (ذات الشمال) اي جهة
ذات شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه
على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى (وهم في فجوة منه) جملة حالية مبينة لكون
ذلك امرا بديعا اي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع

الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وابدال الهمزة ياء مع
التخفيف والتشديد (وكذلك بعثناهم) اي كما انمناهم وحفظنا اجسادهم
من البلى والتحلل الآية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم (ليتساءلوا بينهم) اي
ليسأل بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق
بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه
لسائر آثاره (قال قائل منهم) استئناف لبيان تساؤلهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا
(كم لبثتم) في منامكم لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة (قالوا)
اي بعضهم (لبثنا يوما او بعض يوم) قيل انما قالوه لانهم دخلوا الكهف غدوة وكان
انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض
يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب (قالوا) اي بعض آخر
منهم بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه (ربكم اعلم بما لبثتم) اي انتم لا تعلمون
مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة
حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون
جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف في الحكاية والخطاب
في المحكي يقتضي بان الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا قيل ثم قالوا ربنا
اعلم بما لبثنا (فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة) قالوه اعراضا عن التعمق
في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير
مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت
يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو وسكون
الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى
(فلينظر ايها) اي اهلها (ازكى) احل واطيب او اكثر وارخص (طعاما فليأتكم برزق منه)
اي من ذلك الازكى طعاما (وليتلطف) وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا
يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف (ولا يشعرن بكم احدا) من اهل المدينة
فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي على الاول
تأسيس وعلى الثاني تأكيد للامر بالتلطف (انهم) تعليل لما سبق من الامر والنهي

أي ليبالغ في عدم الإشعار لأنهم إن يظهروا عليكم أي يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للأهل المقدر في أيكم يرجموكم إن ثبتم على ما أنتم عليه أو يعيدوكم في ملتهم أي يصيروكم إليها ويدخلوكم فيها كرهاً من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى أو لتعودن في ملتنا وقيل كانوا أولاً على دينهم وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار الذي هو أشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الإعادة لأن الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي إليه وضمير الخطاب في المواضع الأربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فإن إمحاض النصح أدخل في القبول واهتمام الإنسان بشأن نفسه أكثر وأوفر ولن تفلحوا إذن أي إن دخلتم فيها ولو بالكره والإلجاء لن تفوزوا بخير أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى وكذلك أي وكما أنمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين أعثرنا أي أطلعنا الناس عليهم ليعلموا أي الذين أعثرناهم عليهم بما عاينوا من أحوالهم العجيبة أن وعد الله أي وعده بالبعث أو موعوده الذي هو البعث أو أن كل وعده أو كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولاً أولياً حق صادق لا خلف فيه أو ثابت لا مرد له لأن نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وأن الساعة أي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعاً للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فإن من شاهد أنه جل وعلا توفى نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنة وأكثر حافظاً أبدانها من التحلل والتفتت ثم أرسلها إليها لا يبقى له شائبة شك في أن وعده تعالى حق وأنه يبعث من في القبور فيرد عليهم أرواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب أعمالهم إذ يتنازعون ظرف لقوله أعثرنا قدم عليه الغاية إظهاراً لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على أن التنازع يحدث بعد الإعثار وليس كذلك أي أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه أمر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول ببعث الأرواح دون الأجساد وآخر يقول ببعثهما معاً قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلاً صالحاً مؤمناً وقد اختلف

ما شاع عن الحكاية مع كون الآخرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في للآثار والمعنى حينئذ وإذ قد وقفت على أن كلهم ليسوا على خطاء في ذلك فلا تجادلهم إلا جدالاً ظاهراً نطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فإن فيهم مصيباً فإن قيل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه أو احتمال وقوعه بناء على إصابة بعضهم كالمعنى لا تراجع إليهم في شأن الفتية ولا تصدق القول إلا بأن من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي ولا تقولن لشيء أي لأجل شيء تعزم عليه إني فاعل ذلك الشيء غداً أي فيما يستقبل من الزمان مطلقاً فيدخل فيه الغد دخولاً أولياً فإنه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه عليه السلام فقال ائتوني غداً أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من أن المدلول بالعبارة هو الغد وما بعده ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده أن ما بعده ليس بمعناه في مناط النهي فإن وسعة المجال دليل القدرة فلينا مل إلا أن يشاء الله استثناء مفرغ من النهي أي لا تقولن ذلك في حال من الأحوال إلا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو أن تقول إن شاء الله أو في وقت من الأوقات إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله لا مطلقاً بل مشيئته إذن فإن النسيان أيضاً بمشيئته ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاته الاستثناء وإعراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التأبيد كأنه قيل لا تقولنه أبداً كقوله تعالى وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله واذكر ربك بقولك إن شاء الله متداركاً له إذا نسيت إذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه إذ لو صح ذلك لما تقرر إقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الإثم وأما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون إلا متصلاً ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك ذلك على التدارك أو اذكر إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي

وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي
يوفقني لاقرب من هذا اى لشيء اقرب واظهر من نبأ اصحاب الكهف من
الآيات والدلائل الدالة على نبوتي رشدا اى ارشادا للناس ودلالة على
ذلك وقد فعل عم وعلا ذلك حيث آتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك
وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة
الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم احياء
مضروبا على آذانهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا وهي جملة مستأنفة
مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب
فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروي
عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية
والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلث سنين
فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على
الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف
في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع قل الله اعلم بما لبثوا اى بالزمان
الذي لبثوا له غيب السموات والارض اى ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما
واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع دل
بصيغة التعجب على ان شأن علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه
ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه
اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على
الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اى صار ذا بصر ثم نقل
الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في
كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء
مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم
امر ابصاره تعالى لما ان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض
من دونه تعالى من ولي يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك في حكمه في قضائه

اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق سرادقها اى فسطاطها شبه
ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها
دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء
كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا
بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته عن النبي
صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس
الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب
المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا
ان الذين آمنوا في محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير كانه قيل وللذين
آمنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مآلي الفريقين اى ان الذين
آمنوا بالحق الذي اوحي اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه
انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع
محذوف اى من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع
موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذي آمن وعمل الصالحات اولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار
استئناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض او خبر بعد خبر يحلون فيها
من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور
والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا خصت
الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق
اى مما رق من الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر
على ما هو شأن المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت اى الارائك مرتفقا
اى متكأ واضرب لهم اى للفريقين الكافر والمؤمن مثلا رجلين مفعولان لاضرب
اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اى اضرب للكافرين والمؤمنين
حيث احوالهما المستفادة مما ذكر آنفا من ان للاول في الآخرة كذا وللآخرين كذا

بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين
مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان
من بني اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه
يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا
وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبار فآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما
اخوان من بني مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاشد ومسلم هو ابو سلمه
عبد الله بن عبد الاشد زوج ام سلمه رضي الله عنها اولا جعلنا لاحدهما وهو الكافر
جنتين بستانين من اعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او
صفة لرجلين وحففناهما بنخل اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها
كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله
فيزيده الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا
لتكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة
والوضع الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرئ
بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين آتي اكله ولم تظلم لم تنقص من اكلها شيئا
كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا
بعض الاشجار يأتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض وفجرنا خلالهما فيما
بين كل من الجنتين نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ
بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي
على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر في تكميل
محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولولا ذلك لفهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها
مترتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع على السقي عادة وفيه ايماء الى ان
ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره
قال ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك
وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المؤمن وهو اي القائل

من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كأنه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور
واهلك امواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء
الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كأنه قيل فاصبح يندم
على ما انفق فيها اي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك
الآن من الجنة لانه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق في عمارتها كان مما
يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به
وكان يرى انه لا تنالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له
انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره
في مثل هذا الشيء السريع الزوال وهي اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية
ساقطة على عروشها اي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر
دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر
هلاك الباقي لانه حيث هلك وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى
واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها وغار ماؤها
ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا
كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه
ما اصابه قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له
وقرئ بالياء التحتانية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك
او الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وعلا ونهم مثليهم من دون الله فانه القادر
على ذلك وحده وما كان في نفسه منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه هنالك
في ذلك المقام وفي تلك الحال الولاية لله الحق اي النصرة له وحده لا يقدر عليها احد
فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن
ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو
ومعناها الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمنع منه
او لا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها
على ان قوله يا ليتني لم اشرك الخ كان عن اضطرار وجزع عما دهاه على اسلوب قوله تعالى

الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على انه صفة للولاية وبنصبه على
انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اى واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها
وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة
او بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل كماء استيناف لبيان المثل اي هي كماء
انزلناه من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به اي اشتبك
بسببه نبات الارض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء
في النبات حتى روي ورف فيقتضي الظاهر فاختلط بنبات الارض وايثار
ما عليه النظم الكريم عليه للمبالغة في الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه
فاصبح ذلك النبات الملتف اثر بهجته ورفيفها هشيما مهشوما مكسورا تذروه
الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء
بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم
هشيما تطيره الرياح كأن لم يغن بالامس وكان الله على كل شيء من الاشياء
التي من جملتها الانشاء والافناء مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة
الحيوة الدنيا بيان لشأن ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحيوة الدنيا كما قال الاخ
الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شأن نفسها بما مر من المثل وتقديم المال
على البنين مع كونهم اعز منه كما في الآية المحكية آنفا وقوله تعالى وامددناكم باموال
وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك
وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة وممد لكل احد من الآباء والبنين
في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة
ولان المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة
اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون
بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما
انها مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كأنها نفس الزينة والمعنى ان ما يتفاخرون

اما وضعها في ايدي اصحابها يمينا وشمالا واما في الميزان فترى المجرمين قاطبة فيدخل
فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا مشفقين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب
ويقولون عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا وقطميرا يا ويلتنا منادين لهلكتهم التي
هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه اي يا ويلتنا احضري
فهذا اوان حضورك مال هذا الكتاب اي اي شيء له وقوله تعالى لا يغادر صغيرة و
لا كبيرة الا احصاها اي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب
او استيناف مبني على سؤال نشأ من التعجب كأنه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل
لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا في الدنيا من السيئات او جزاء
ما عملوا حاضرا مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك احدا فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد
في عقابه المستحق فيكون اظهارا لمعدلة القلم الازلي واذ قلنا للملائكة اي اذكر وقت قولنا لهم
اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله فسجدوا جميعا امتثالا بالامر الا ابليس فانه
لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى كان من الجن كلام مستأنف مسوق مساق التعليل لما يفيده
استثناء اللعين من الساجدين كأنه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا ففسق عن
امر ربه اي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى
اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التربية لبيان كمال قبح ما فعله
والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين
عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في
ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى افتتخذونه الخ فان الهمزة للانكار والتعجب
والفاء للتعقيب اي أعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه وذريته اي اولاده
واتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه
في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين اولياء من دوني فتستبدلونهم
بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم اي والحال ان ابليس وذريته لكم عدو اي اعداء كما في قوله تعالى
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر
نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار وتشديده فان مضمونها
مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا بئس للظالمين اي الواضعين للشيء في غير موضعه

بدلا من الله سبحانه ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى ما اشهدتهم استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد والفسق والعداوة اي ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل خلقهم ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور حذرا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثاني الى الظالمين ويلتزم التفكيك بناء على عود المعنى اليه فان نفي اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصحح التولي حضور الولي خلق المتولى وحيث لا حضور لا مصحح للتولي قطعا واما نفي اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدارية الانكار المذكور في شيء على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولي الشاهد بناء على دلالته على كماله باعتبار ان له مدخلا في خلق المشهود في الجملة فهو مخل بتولي المشهود بناء على قصوره عن شهود خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور متمحضا في نفي الكمال المصحح للتولي عن الكل وهو المناط للانكار المذكور وما كنت متخذ المضلين اي متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء عضدا اعوانا في شأن الخلق او في شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على نفي كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته فيهم وانه بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم في شأنهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي

اي جعلنا فيها وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذن ابدا اي فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن جزاء الشرط وجواب عن سؤال النبي عليه الصلاة والسلام المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كانه قال عليه السلام ما لي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدأ وقوله تعالى الغفور خبره وقوله تعالى ذو الرحمة اي الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم اي لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدمة الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا البتة من دونه موئلا منجى او ملجأ يقال وأل اي نجا ووأل اليه اي لجأ اليه وتلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابهما وهي مبتدأ على تقدير المضاف اي واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم او مفعول مضمر يفسره لما ظلموا اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش ما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره

وجعلنا لمهلكهم اي لهلاكهم موعدا اي وقتا معينا لا محيد لهم عن ذلك
وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا
بتأخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اي اهلاكهم وبفتحهما وإذ قال موسى
نصب باضمار فعل اي اذكر وقت قوله عليه السلام لفتاه وهو يوشع بن نون
بن افرائيم بن يوسف عليه السلام سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان
يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة
موعدا تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح
من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان
ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله حتى ابلغ فان ذلك غاية
تستدعي ذا غاية يؤدي اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح مسيري حتى
ابلغ فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا
مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام بمعنى زال يزول
اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي
المشرق وقيل طنجة وقيل بحرا الكر والرس بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم
او امضي حقبا اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة
وكان منشأ هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها
بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فخطب خطبة بديعة
رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس قال انا فعتب الله تعالى
عليه اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام
وكان في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر
وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اي عبادك احب اليك
قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع
الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة
تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني
فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال

هل اتبعك على ان تعلمني استئذانا منه في اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا
اي علما ذا رشد ارشد به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني
ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز
كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم
من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق
الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام قال اي الخضر انك لن تستطيع معي صبرا نفي عنه
استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل
الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال
الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله
لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك قال موسى عليه السلام ستجدني ان شاء
الله صابرا معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان
لما في المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له
من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء وفيه دليل
على ان افعال العباد بمشيئة الله سبحانه قال فان اتبعتني اذن له في الاتباع بعد
اللتيا والتي والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى عليه السلام للصبر والطاعة فلا تسألني
عن شيء تشاهده من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض
حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه
فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع
وقرئ فلا تسألني بالنون المثقلة فانطلقا اي موسى والخضر عليهما السلام على
الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلام الى بني اسرائيل وقيل
[illegible] السفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة
استعمال الركوب في امثال هذه المواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز وجل لتركبوها
وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما اشرنا اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قيل
من ان في ركوبها معنى الدخول خرقها قيل خرقها بعدما لججوا اخذ فاسا فقلع

من ألواحها لوحين مما يلي الماء فعند ذلك قال موسى أخرقتها لتغرق أهلها
من الإغراق وقرئ بالتشديد من التغريق وليغرق أهلها من الثلاثي لقد جئت أتيت و
وفعلت شيئا إمرا أي عظيما هائلا من أمِر الأمر إذا عظم قيل الأصل أمِر فخفف
قال أي الخضر الداقل إنك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه
متضمن للإنكار على عدم الوفاء بوعده قال لا تؤاخذني بما نسيت بنسياني أو بالذي
نسيته أو بشيء نسيته وهو وصيته بأن لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الأفعال الخفية
الأسباب قبل بيانه أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري
من أن الأول كان من موسى نسيانا أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة
بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار وهو من معاريض الكلام
التي يتقى بها الكذب مع التوسل إلى الغرض أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني
بما تركت من وصيتك أول مرة ولا ترهقني أي لا تغشني ولا تحملني من أمري وهو اتباعه
إياه عسرا أي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة وقرئ
عسرا بضمتين فانطلقا الفاء فصيحة أي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى
إذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب برأسه
الحائط وقيل أضجعه فذبحه بالسكين قال أي موسى عليه السلام أقتلت نفسا زكية
طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس أي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص
نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان
لأنه الأقرب إلى الوقوع نظرا إلى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن
الخضر عليه السلام هاهنا من جملة الشرط وإبراز ما صدر عن موسى عليه السلام في معرض الجزاء المقصود إفادته
مع أن الحقيق بذلك إنما هو ما صدر عن الخضر عليه السلام من الخوارق البديعة لاستشراف النفس
إلى ورود خبرها لغرابتها ووقوعها في نفس الأمر وندرة وصول خبرها إلى الأذهان ولذلك روعيت
تلك النكتة في الشرطية الأولى لما أن صدور الخوارق منه عليه السلام خرج بوقوعه مرة مخرج العادة
فانصرفت النفس عن ترقبه إلى ترقب أحوال موسى عليه السلام هل يحافظ على مراعاة شرطه
بموجب وعده الأكيد عند مشاهدة خارق آخر أو يسارع إلى المناقشة كما في المرة
الأولى فكان المقصود إفادة ما صدر عنه عليه السلام فيحصل ما فصل ولله در شأن التنزيل

مع تحقق الغصب في حقهم أيضا ولأن في التأخير فصلا بين السفينة وضميرها مع
توهم رجوعه إلى الأقرب وأما الغلام الذي قتلته فكان أبواه مؤمنين لم يصرح بكفره
وبكونه إشعارا بعدم الحاجة إلى الذكر لظهوره فخشينا أن يرهقهما فخفنا أن يغشى
الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما
شرا وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر
ويعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وإنما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك
لأن الله سبحانه أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وقرئ فخاف ربك أي كره سبحانه
كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره ويجوز أن تكون القراءة المشهورة على
الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لأهب لك فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه
بأن يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إليهما
ما لا يخفى من الدلالة على إرادة وصول الخير إليهما زكاة طهارة من الذنوب والأخلاق
الردية وأقرب رحما أي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت
نبيا هدى الله تعالى على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل
أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء أيضا والنصب
على التمييز مثل زكاة وأما الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية
المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لإظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها
من اليتيمين وأبيهما الصالح قيل اسماهما أصرم وصريم واسم المقتول جيسور
وكان تحته كنز لهما من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل
والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وسائر حقوقهما وقيل كان
لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف
يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله
وقيل صحف فيها علم وكان أبوهما صالحا تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه
قيل كان بينهما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء فأراد ربك أي مالكك
ومدبر أمورك ففي إضافة الرب إلى ضمير موسى عليه السلام دون ضميرهما تنبيه له عليه السلام

على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن
المنافقة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اي حلمهما وكمال
رأيهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج
الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية رحمة من ربك مصدر في
موقع الحال اي مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة
الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة
من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا وما فعلته عن امري
اي عن رأيي واجتهادي تأكيدا لذلك ذلك اشارة الى العواقب
المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة تأويل ما لم تسطع
اي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرا من الامور التي رأيته
اي مآله وعاقبته فيكون انجاز التنبئة الموعودة او الى البيان نفسه فيكون التأويل
بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم وفي جبل الصلة عين ما مر تكرير للتكرير وتشديد
للعتاب اختلفوا في حيوة الخضر فقيل انه حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين
فلما دخل الظلمات اصاب الخضر حيا لما عاش بعد مائة عام وروي ان موسى عليه السلام
لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ويسألونك
عن ذي القرنين هم اليهود سألوه على وجه الامتحان او سأله قريش بتلقينهم و
صيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين
الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن
مرذبة من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن
الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن
عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل ان اسمه
مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن
النعمان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية
عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب سمي بن عمير بن افريقيس الحميري وانه
ملك بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال

كذا نسبه ابن العساكر المقدوني اليوناني المصري باني الاسكندرية الذي يؤرخ
بايامه الروم وكان متأخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان
هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس
الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم
ثم قال وانما نبهنا بهذا لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور في
القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان
عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا ووزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه كان نبيا واما
الثاني فقد كان كافرا وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان
اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذلك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من
بلاد الروم غربي دار السلطنة قسطنطنية المحمية لا زالت مشحونة بالشعائر الدينية
بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز واسمها
بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع
لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها ونهاية شوكة اهلها
وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول عن بعض المغازي السلطانية فعاينت
فيها من تعاجيب الآثار ما فيه عبرة لاولي الابصار قل لهم في الجواب سأتلو
عليكم اي سأذكر لكم منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ
مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهته عز وجل قيل سأتلو
او سأتلو في شأنه من جهته تعالى ذكرا اي قرآنا والسين للتأكيد والدلالة على
التحقق المناسب لمقام تأييده عليه السلام وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك
التلاوة البتة كما في قول من قال سأشكر عمرا ان تراخت منيتي ايادي لم تمنن
وان هي جلت لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه
الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه
عليه السلام عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام
ائتوني غدا اخبركم فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف
وقوله عز وجل انا مكنا له في الارض شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود

والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا
وقويا والمعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى
يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي
جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله
لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم
نمكنكم فيها اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكنا لهم في الارض ما لم نمكن لكم و
هكذا اذا كان التمكين مأخوذا من المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه في
سورة يوسف عليه السلام والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض
من حيث التدبير والرأي والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب
وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذللت له
طرقها **وآتيناه من كل شيء** اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة
بسلطانه **سببا** اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة
او آلة **فاتبع** بالقطع اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع **سببا** يوصله اليه ولعل قصد
بلوغ المغرب ابتداء المراعاة للحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول
فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني **حتى اذا بلغ مغرب الشمس** اي منتهى الارض
من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي
الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الاطوال على احد القولين **وجدها**
اي الشمس **تغرب في عين حمئة** اي ذات حمأة وهي الطين الاسود من حمئت البئر
اذا كثرت حمأتها وقرئ حامية اي حارة روي ان معاوية رضي الله عنه قرأ حامية وعنده
ابن عباس رضي الله عنهما فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ
قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في
ماء وطين وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما وليس بينهما منافاة
قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة من الهمزة
لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بما سمعه من
كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس قطعية في مدلولها

من الجنوب الى الشمال **حتى اذا بلغ بين السدين** بين الجبلين الذين سد
ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية وآذربيجان كما توهم
وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح
وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل اسماء ايضا
كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى فراق بيني وبينك **وجد من دونهما**
اي من ورائهما مجاوزا عنهما **قوما** امة من الناس **لا يكادون يفقهون قولا**
لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا
في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك سرية
من يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم
وعن قتادة انهم اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة
منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح
عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم
وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة و
يأجوج ومأجوج **قالوا** اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذي القرنين
كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب **يا ذا القرنين**
ان يأجوج ومأجوج قد ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل
يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة
وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة
يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب واضراس
كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم
اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف
والتأنيث **مفسدون في الارض** اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف
الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا
احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس ايضا **فهل نجعل لك خرجا** اي جعلا من
اموالنا والنزع العوض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد

كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكني بالادغام وقرئ بالفك اي ما مكنني فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب خير اي مما تريدون ان تبذلوه الي من الخرج فلا حاجة بي اليه فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبآلات لا بد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من مالهم او على عدم قبول خرجهم اجعل جواب الامر بينكم وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير يأجوج ومأجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم آتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرف في غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا الايتاء لا ينافي رد خراجهم لان المأمور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك الخير ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لان الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وقوله عز قائلا حتى اذا ساوى بين الصدفين اي آتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من التسوية وسووي على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا اي بالكير في الحديد المبني ففعلوا حتى اذا جعله اي المنفوخ فيه نارا اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل الفعلة للتنبيه على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ بالوصل اي جيئوني كأنه يستدعيهم الاعانة باليد عند الافراغ واسناد

لذكري وكلا في الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لها في الدنيا من الآيات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به في الآخرة افحسب الذين كفروا اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى ان يتخذوا عبادي من دوني من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي اولياء معبودين ينصرونهم من بأسي ما قيل انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخل عليها همزة الانكار ذما على ذم وقطعا لها عن المعطوف عليهما لفظا لا معنى للايذان باستقلاله المؤكد للذم يأباه ترك الاضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامي والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكرا من حيث انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة بحسب انهم ليحسن تفريعه عليها وايضا فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز صلته ان ساد مسد مفعوليه كما في قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة اي افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف اي افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة وقرئ افحسب الذين كفروا اي أفكافيهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى انكار الوقوع انا اعتدنا جهنم اي هيأناها للكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتداد

بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل **نزلا** اي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل اي الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء الى ان لهم وراء جهنم من العذاب ما هي انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رض بالمثوى **قل هل ننبئكم** الخطاب اثر الكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر وللايذان بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا **بالاخسرين اعمالا** نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غب بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم **الذين ضل سعيهم** في اقامة تلك الاعمال اي ضاع وبطل بالكلية **في الحيوة الدنيا** متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس رض وسعد بن ابي وقاص ومجاهد ويدخل في الاعمال ح ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهبانية الذين يحبسون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف لانه جواب للسؤال كانه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا على الذم على ان الجواب ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الآية يأباه ان صدره ليس منبئا عن خسران الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه ساكت عن انباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال رأسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر بقضية نون العظمة **وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا** الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي اي يحسبون انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها

لزيادة التقرير [illegible] كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم يجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة [illegible] عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما لا يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهي الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا **قل** لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى [illegible] لا ادعي الاحاطة بكلماته التامة [illegible] من تلك الكلمات [illegible] لا شريك له في الخلق ولا في سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك [illegible] الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى **فليعمل** لتحصيل تلك الطلبة العزيزة **عملا صالحا** في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات [illegible] اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير والاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي عن جندب بن زهير رض قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه السلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي انه عليه السلام قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الخ كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور

سورة مريم عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص بإمالة الهاء والياء وإظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وإمالة الياء
وتفخيمهما وبإخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف أن ما لا يكون من هذه
الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الأعجاز على الوقف
سواء جعلت أسماء للسور أو مسرودة على نمط التعديد وإن لزمها التقاء الساكنين لكونه
مغتفراً في باب الوقف قطعاً فحق هذه الفاتحة الكريمة أن يوقف عليها جميعاً على الأصل و
قرئ بإدغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فإن جعلت اسماً للسورة على ما عليه إطباق
الأكثر فمحله الرفع إما على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص أي مسمى به وإنما صحت
الإشارة إليه مع عدم جريان ذكره لأنه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر
المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان أو على أنه مبتدأ خبره **ذكر رحمة ربك**
أي المسمى به ذكر رحمة الخ فإن ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت
هي عليه جعلت كأنها نفس ذكرها والأول هو الأولى لأن ما يجعل عنواناً للموضوع حقه
أن يكون معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الإخبار بها
كما في الوجه الأول وإن جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح إليه أهل التحقيق فذكر الخ
خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه
الحروف المبسوطة مراداً به السورة ذكر رحمة الخ أو اسم إشارة أشير به إليه تنزيلاً
لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها أي هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف
خبره أي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير أي هذا المتلو
ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الأمر والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال
مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للإيذان بأن تنزيل السورة عليه عليه السلام تكميل له عليه السلام وقوله تعالى

بطريق الاختراع لا بواسطة الأسباب العادية أي ولداً من صلبي و
تأخيره عن الجار لإظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع
ما فيه من التشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مستشرفة إليه
فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولأن فيه نوع طول بما بعده من الوصف
فتأخيرهما عن الكل أو توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن ما ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف القوى
وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الأسباب العادية
واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك أن يكون هناك داع آخر
إلى الإقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم
كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره
هناك كما أن عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فإن الاكتفاء بما
ذكر في موطن عن ذكره في موطن آخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى **يرثني** صفة لولياً وقرئ هو
وما عطف عليه بالجزم جواباً للدعاء أي يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فإن الأنبياء
عليهم السلام لا يورثون المال قال عليه السلام نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة
وقيل يرثني الحبورة وكان عليه السلام حبراً **ويرث من آل يعقوب** يقال ورثه
وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول إليه أمرهم للقرابة أو الصحبة أو الموافقة
في الدين وكانت زوجة زكريا أخت أم مريم أي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن
إسحق بن إبراهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان أخو
عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا
قال الكلبي كان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الأحبار يومئذ
فأراد أن يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ ويرث وارث
آل يعقوب على أنه حال من المستكن في يرث وقرئ أو يرث آل يعقوب بالتصغير
لصغره أي أو ارثه عليه السلام لما يرثه في حالة صغره وقرئ وارث من آل يعقوب
على أنه فاعل يرثني على طريقة التجريد أي يرثني به وارث وقيل من للتبعيض إذ لم يكن
كل آل يعقوب عليه السلام أنبياء ولا علماء **واجعله رب رضيا** مرضيا عندك قولا وفعلا

وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه

يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى على إرادة القول أي قال تعالى يا زكريا

لكن لا بأن يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على أن يحكي له عليه السلام

هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية

وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد بإجابة

دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى إلى آخره

بل بعضا حسبما تقتضيه المشيئة الإلهية المبنية على الحكم البالغة فإن الأنبياء

عليهم السلام وإن كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات ألا يرى إلى

دعوة إبرهيم عم في حق أبيه وإلى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وسألته

أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا أن يهبه يحيى

نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الأول دون الثاني حيث قتل قبل موت أبيه

عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا إشكال حينئذ وفي

تعيين اسمه عليه السلام تأكيد للوعد وتشريف له عم وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه

قوله تعالى **لم نجعل له من قبل سميا** أي شريكا له في الاسم حيث لم يسم

أحد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عم فإن التسمية بالأسامي البديعة الممتازة

عن أسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل

والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فإن المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين

في الاسم قالوا لم يكن له عليه السلام مثل في أنه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط

وأنه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصورا ولا يكون هذا إجلالا له بعده

من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والأظهر أنه

اسم أعجمي وإن كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به

لأنه حيي به رحم أمه أو حيي دين الله تعالى بدعوته **قال** استئناف مبني على

السؤال كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال **رب** ناداه تعالى بالذات

مع وصول خطابه تعالى إليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد

في التبتل إليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم أن علمه تعالى

أو دخل في إفادة هذا المعنى على أن الواو للعطف وأما جعلها للحال فيخل بسداد

المعنى لأن مآله تقرر صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع أن المقصود بيان سهولته

عليه سبحانه مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى **وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا**

جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر إذ هو الواقع إثر

العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وإنما لم ينسب ذلك

إلى آدم عليه السلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بأن يقال وقد خلقت أباك

أو آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في إزالة الاستبعاد بقياس حال

ما بشر به على حاله عم لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على أن

كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه عليه السلام من العدم إذ لم تكن فطرته

البديعة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس

انطواء إجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان إبداعه عليه السلام على ذلك

الوجه إبداعا لكل أحد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عم على هذا النمط الساري

إلى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من

نسبة الخلق المذكور إليه وأدل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم

زكريا عم أظهر عنده وأجلى وكان حاله أولى بأن يكون معيارا لحال ما بشر به

نسب الخلق المذكور إليه كما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين في قوله تعالى ولقد

خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكأنه قيل وقد خلقتك من قبل

في تضاعيف خلق آدم ولم تك إذ ذاك شيئا أصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا

هذا وأما حمل الشيء على المعتد به أي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام

ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك **قال رب اجعل لي آية** أي علامة تدلني

على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد

البشارة وتحقيقها كما قيل فإن ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وإنما كان

ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو

أمر خفي لا يوقف عليه فأراد أن يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر

من حين حدوثها ولا يؤخره إلى أن تظهر ظهورا معتادا وقد مرت الإشارة في

تفسير سورة آل عمران اي ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة
برهة من الزمان لما روي ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلث
سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا عليه السلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك
دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عليه السلام وهي بنت عشر سنين او بنت ثلث
عشر سنة والجعل بداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها
وليس بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ
لكون آية مبتدا عند انحلال الجملة الى مبتدا وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد
ورود الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اي ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس
مع القدرة على الذكر والتسبيح ثلث ليال مع ايامهن للتصريح بها في سورة آل عمران
سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار
دون الاختيار اي تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك
شائبة بكم ولا خرس فخرج على قومه من المحراب اي من المصلى او من الغرفة وكانوا
من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغير اللون
فانكروه وقالوا مالك فاوحى اليهم اي اومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل
كتب على الارض وان في قوله تعالى ان سبحوا اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى
اي صلوا او بان صلوا بكرة وعشيا ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد
بهما صلوة الفجر وصلوة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح
شكرا ويأمر قومه بذلك يا يحيى استئناف طوي قبله جملة كثيرة مسارعة الى الانباء
بانجاز الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى خذ الكتاب اي التورية بقوة اي بجد واستظهار
بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الحكم النبوة
استنبأه وهو ابن ثلث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التورية والفقه في الدين
روي انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على
الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة
لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة

للجزرها قال اي الملك تقريرا للمقالة وتحقيقا لها كذلك اي الامر كما قلت
لك وقوله تعالى قال ربك لا استئناف مقرر له اي قال ربك الذي ارسلني اليك
هو اي ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا علي خاصة هين
وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى
ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام آية لهم
وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة
اي لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية لها والواو على الاول اعتراضية والالتفات
الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته
ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا محكيا قد تعلق به قضاؤنا
الازلي او قدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان
يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عليه السلام في درعها فدخلت
النفخة في جوفها قيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد
فوصل الريح اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر
وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلث ساعات
وقيل ساعة كما حملته وضعته وسنها ح ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد
حاضت حيضتين فانتبذت به اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا
الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي فانتبذت ملتبسة به
مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بتصوير الجبل
فاجاءها المخاض اي فالجأها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في
غيره الا في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد
في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق
والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف
اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك
ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها
قالت يا ليتني مت بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت

قبل هذا اي هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت
تعلم ما جرى بينها وبين جبرئيل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا
من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين
عند اشتداد الامر عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني
هذه التبنة ولم اكن شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا
اي شيئا تافها شانه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في
ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح
مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه
الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسأ كعصا منسيا اي لا يخطر ببال احد من الناس
وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا له بالسين فناداها اي جبرئيل عليه السلام
قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اي من مكان اسفل منها تحت الاكمة
وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم ان لا تحزني
اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها الجار قد جعل
ربك تحتك اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرت بالجري جرى وان امرت بالامساك
امسك سريا اي نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنهما ان جبرئيل عليه السلام
ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان
هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة
لا رأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله تعالى لها اذ ذاك رأسا
وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لبيان ظهور الخوارق و
المتبادر من النظم الكريم وقيل سريا اي سيدا نبيلا رفيع الشان جليلا وهو عيسى عليه السلام
فالتنوين والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرها لتشريفها وتاكيد التعليل وتكميل التسلية وهزي هز الشيء تحريكه الى الجهات المتقابلة
تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى اليك اي
الى جهتك والباء في قوله عز وعلا بجذع النخلة صلة للتاكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى
قال الفراء تقول العرب هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام او للالصاق الفعل بمدخولها

عطفا على الصلوة والزكوة والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله تعالى لفرط
تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى عليه السلام
والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان اثبات جنس
السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى
فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك اشارة الى من فصلت نعوته
الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك
المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس عيسى ابن مريم لا ما يصفه
النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث
جعله موصوفا باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على انه مصدر مؤكد لقال
اني عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى بن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة
للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان
ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فان القول والقول والقال في
معنى واحد الذي فيه يمترون اي يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر
والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ بتاء الخطاب ما كان لله اي ما صح وما استقام له
تعالى ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان شانه تعالى اذا قضى امرا
من الامور ان تتعلق به ارادته ويكون حينئذ بلا تاخير فمن هذا شانه كيف يتوهم ان
يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وان الله ربي وربكم
فاعبدوه من تمام كلام عيسى عليه السلام قيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت
القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولانه تعالى ربي
وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف
على الصلوة هذا صراط مستقيم اي الذي ذكرته من التوحيد لا يضل سالكه
والفاء في قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها
على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه السلام

مع كونها نصوصاً قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله فقد اختلفت اليهود والنصارى
بالتفريط والافراط او فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت
اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً
وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبّر عنهم
بالموصول ايذاناً بكفرهم جميعاً واشعاراً بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اي من
شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيمة او من وقت شهوده
او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم
الملئكة والانبياء عليهم السلام والسنتهم وآذانهم وايديهم وارجلهم وساير آرابهم
بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في
حق عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه
ان اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء اي يوم القيمة جدير بان
يتعجب منهما بعد ان كانوا في الدنيا صماً عمياً او تهديد بما سيسمعون ويبصرون
يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه
والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب لكن الظالمون
اليوم اي في الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية
ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم
وانذرهم يوم الحسرة اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسيء فعلى اساءته واما المحسن
فعلى قلة احسانه اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش
املح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار
خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحاً الى فرح واهل النار غماً الى غم واذ بدل من يوم
الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم
فكيف بالظرف وهم في غفلة اي عما يفعل بهم في الآخرة وهم لا يؤمنون وهما حالان
حالتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اي مستقرون في ذلك وهم
في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اي انذرهم غافلين غير

قال استيناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا قال
ابوه عندما سمع منه عليه السلام من النصايح الواجبة القبول فقيل قال مصراً
على عناده اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم اي اموض ومنصرف انت عنها
بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر
عن العاقل فضلاً عن ترغيب الغير عنها وقوله تعالى لئن لم تنته لارجمنك
تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير اي والله لئن لم تنته عما كنت عليه
من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني اي فاحذرني
واتركني مليا اي زماناً طويلاً او مليّاً بالذهاب مطيقاً به قال استيناف
كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة
اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي
اي استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل
قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى
للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحظور استدعاء المغفرة له
مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلاً ولا نقلاً واما الاستغفار له بعد موته
على الكفر فلا يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى الى انه عليه السلام
قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي
والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابرهيم
عليه السلام وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي الآية
انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله
تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى الا قول
ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن لا لان ذلك كان قبل ورود النهي
او لموعدة وعدها اياه كما قيل لان النهي انما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين الامر
وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين وان الوعد بالمحظور لا يرفع حظره بل لان
المراد بما يؤتسى به ما يجب الايتساء به حتماً لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى
لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني

فاستثناه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو اجابته لاستحالته وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يرد دفيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لوروده على نهج التأكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اي بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله واعتزلكم اي اتباعد عنكم وعن قومكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم يؤثر فيكم نصائحي وادعوا ربي اعبده وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السياق والسباق عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا اي خائبا ضائع السعي وفيه تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من اقرباء الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور ان الموهوب حينئذ اسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما شجرة الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شأن خطير وذوو عدد كثير هذا وقد روي انه عليه السلام لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر وكلا اي وكل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة

على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية ومن هدينا واجتبينا اي ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئناف مسوق لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين عن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر للمجانسة للياء وقرئ تتلى بالياء التحتانية لان التأنيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك فخلف من بعدهم خلف يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء اضاعوا الصلوة وقرئ الصلوات اي تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بني المشيد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اي شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء آثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في حق الكفرة فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول

ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هي او تلك جنات او مبتدأ خبره التي وعد وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفها اعلام لمعاني الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى العدن لذلك مجرى العدن او علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى التي وعد الرحمن عباده وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته والباء في قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر هو حال من العائد الى الجنات او من عباده اي وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب اي غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب الوعد اي وعدها اياهم بسبب ايمانهم بالغيب انه كان وعده اي موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي شابة يرجع اليها قيل مأتيا اي يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا اي مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اي فعله لا يسمعون فيها لغوا اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اي لا يسمعون لغوا الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشي تلك الجنة مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها

وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل اي من حالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا بحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلأن يبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل فوربك اقسامه باسمه عزت اسماؤه مضافا الى ضميره عليه السلام لتحقيق الامر بالاشعار بعلية وتفخيم شأنه عليه السلام ورفع منزلته لنحشرنهم لنجمعن القائلين بالسوق الى المحشر بعدما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه وآكده كأنه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاحوال والشياطين معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول

وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانة
بهم او لعجزهم من القيام لما اعتراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة
شاعت دينا من الاديان ايهم اشد على الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى
واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان
وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم فاعصاهم
واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به وايهم مبني
على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل و
بعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب
المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهامي
وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم
من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كان سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن
او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي هم اولى
بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء
الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كالبكي صيغة واعلالا وقرئ
بضم الصاد وان منكم التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل
خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم اي ما منكم
الا واردها اي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة
وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم
لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى
اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها
كان على ربك حتما مقضيا اي كان ورودهم واجبا اوجبه الله عز وجل
على ذاته وقضى انه لا بد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي
مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون الى الجنة وقرئ ننجي
بالتخفيف ونجي وينجي على البناء للمفعول وقرئ ثمه بفتح الثاء اي هناك ننجيهم ونذر الظالمين

واضعف جندا اي فئة وانصارا لا احسن مكانا كما توهموه وليس المراد ان له
جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك
ردا لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك
في الاندية والمحافل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستأنف سيق لبيان
حال المهتدين اثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر حسبما عرفته
كانه قيل من كان في الضلالة يمد الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه
بالحيوة ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به
ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات على تقديري الاستئناف والعطف
كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن
لقوله تعالى خير عند ربك اي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من
الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند الله تعالى
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه صلى الله عليه وسلم ثوابا اي عائدة
مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم
ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير اليه بقوله تعالى وخير مردا اي مرجعا
وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيد لها وفي التفضيل مع ان ما للكفرة
بمعزل من ان يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم افرأيت الذي كفر بآياتنا اي بآياتنا التي
من جملتها آيات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال
فتقاضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت
قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثمة مال وولد فاعطيك وفي رواية قال لا اكفر
حتى يميتك الله ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى اموت
وابعث فساوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجيب من حاله والايذان
بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين
الم تر وارأيت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجيب بان الاول يتعلق بنفس
المتعجب منه فيقال الم تر الى الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يتعلق بمثل المتعجب منه

استعمال رأيت شأن الذي صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ
شيئا وغابت عنه اشياء وكأنه ذهب عليه قوله عز وجل أرأيت الذي
يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أنظرت فرأيت
الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل من يشاهدها وقال مستهزئا بها
مصدرا الكلام باليمين الفاجرة والله لأوتين في الآخرة مالا وولدا اي انظر اليه
فتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم
وقد قيل ان أرأيت بمعنى أخبر والفاء على اصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب
حديث أولئك الذين قالوا اي الفريقين خير مقاما الآية وانت خبير بأن المشهور
استعمال أرأيت في معنى أخبرني بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه
من المعاني لا بطريق الأمر بالإخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كأسد جمع أسد او على انه
لغة فيه كالعُرب والعَرب وقوله تعالى أطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء واظهار لبطلانها
اثر ما اشير اليه بالتعجيب منها اي أقد بلغ من عظمة الشأن الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي
استأثر به العليم الخبير حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا واقسم عليه أم اتخذ عند الرحمن
عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا بأحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية
للإشعار بعلية الرحمة لإيتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان
وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما ان كلامه
مع خباب كان كذلك وقوله تعالى كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطئه سنكتب ما يقول
اي سنظهر انا كتبنا قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة
اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه
فان نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد فمبنى الأول تنزيل اظهار الشيء الخفي منزلة احداث الأمر المعدوم بجامع ان كلا منهما
اخراج من الكمون الى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على
رؤوس الأشهاد باحداثها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب
لعقوبته قطعا ونمد له من العذاب مدا مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد اي
نطول له من العذاب ما يستحقه او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه

في الإسلام والشفاعة على الأولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي ان يكون مصدرا
من المبني للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الأول استثناء متصل من لا يملكون
ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم
الا من استعد له بالتحلي بالإيمان والتقوى او من أمر بذلك من قولهم عهد الأمير الى فلان بكذا اذا أمره به فيكون
ترغيبا للناس في تحصيل الإيمان والتقوى المؤدي الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على
حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اي لا يكون الشفاعة الا شفاعة
من اتخذ العهد بالإسلام فيكون ترغيبا في الإسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع
على البدل او منصوب على الأصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه
وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية جناية عبدة الأصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى لقد جئتم شيئا إدا
رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب
المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والإد بالكسر والفتح
العظيم المنكر والإدة الشدة وأدني الأمر وآدني أثقلني وعظم علي اي فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر
قدره فان جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى تكاد السماوات صفة لإدا
او استئناف لبيان عظم شأنه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير يتفطرن منه اي يتشققن مرة
بعد اخرى من عظم ذلك الأمر وقرئ ينفطرن والأول أبلغ لأن التفعل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع
فعل ولأن اصل التفعل التكلف وتنشق الأرض اي وتكاد تنشق الأرض وتخر الجبال اي تسقط
وتتهدم وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال اي تهد هدا او مصدر من المبني للمفعول
مؤكد لتخر على غير الصدر لأنه بمعنى التهدم والخرور كأنه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول
منصوب على الحالية اي مهدودة او مفعول له اي لأنها تهد وهذا تقرير لكونه إدا والمعنى ان هول تلك
الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الأجرام العظام وتفتتت
من شدتها او ان فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم
وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام المتعلقة
بتكاد او مجرور باضمارها اي تكاد السماوات يتفطرن والأرض تنشق والجبال تخر لأن دعوا له سبحانه ولدا
وقيل اللام متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم

الفخامة اللائقة بالنخوة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة
بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات
بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع
ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض الآية لاصالتهما واستتباعهما
لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا
تأنيث الاعلى لتأكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى الاسماء الحسنى
سوق لتعظيم شأن المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي الى تربية المهابة
وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم
نحو الخشية المفضية الى التذكر والايمان **الرحمن** رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر
سورة البقرة ان المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب
ولذلك التزموا حذف المبتدأ ليكون في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه
صفة صريحة للموصول وما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي وحده مذهب
الكوفيين وايا ما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية السموات والارض للاشعار بان خلقهما
من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى
بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القرآن ايضا من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل
الرحمن علم القرآن او رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى **على العرش
استوى** وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شأنه ان يكون معلوم الثبوت للموضوع عند
المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا سترة به غني عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى
قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز
ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية
فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد
على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها وقوله تعالى
له ما في السموات وما في الارض وما بينهما سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما من الموجودات
الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب او اكثريا كالطير اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا
كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما **وما تحت الثرى** اي ما واراه التراب

ولا لهب وهي نار موسى وقالوا النار اربعة انواع نوع له نور واحراق وهي نار الدنيا
ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهي نار موسى عليه السلام
ونوع له احراق بلا نور وهي نار الجحيم وروي ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة **نودي**
اي نودي فقيل يا موسى **اني انا ربك** او عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ
بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وازاحة الشبهة روي انه لما نودي
يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع
كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء وقيل
لان سماع ما ليس من شأنه ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل
تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك
فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة **فاخلع نعليك** امر عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل
في التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر
الوادي بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ
قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى له عليه السلام
من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى **انك بالواد المقدس** تعليل لوجوب الخلع المأمور به وبيان
لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقدسها روي انه عليه السلام خلعهما و
القاهما وراء الوادي **طوى** بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا
وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي
او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرة بعد اخرى **وانا اخترتك** اي اصطفيتك
للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى **فاستمع** لترتيب
الامر او المأمور به على ما قبلها فان اختياره عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع والامر به واللام
في قوله تعالى **لما يوحى** متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية اي فاستمع للذي يوحى اليك
او للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من انه من باب التنازع واعمال الاول فلما يجب من اعادة
الضمير مع الثاني بل لان قوله تعالى **انني انا الله لا اله الا انا** بدل من ما يوحى ولا ريب في ان
اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى **فاعبدني** لترتيب المأمور به
على ما قبلها فان اختصاص الالوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل

أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادّعى إلى فلان أي انتسب إليه. وقوله تعالى **وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا** حال من فاعل قالوا أو دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها أي قالوا

أو دعوا للرحمن ولدا والحال أنه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لاستحالته ووضع

الرحمن موضع الضمير للإشعار بعلة الحكم بالتنبيه على أن كل ما سواه تعالى إما نعمة أو منعم عليه فكيف يتسنى

أن يجانس من هو مبدأ النعم ومولي أصولها وفروعها حتى يتوهم أن يتخذ ولدا وقد صرح به قوله عز وعلا **إن كل من في السموات والأرض** أي ما منهم أحد من الملائكة والثقلين **إلا آتي الرحمن عبدا** إلا وهو مملوك له

يأوي إليه بالعبودية والانقياد وقرئ آتٍ الرحمن على الأصل **لقد أحصاهم** أي حصرهم وأحاط بهم

بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته **وعدهم عدا** أي عد أشخاصهم

وأنفاسهم وأفعالهم وكل شيء عنده بمقدار **وكلهم آتيه يوم القيمة فردا** أي كل واحد منهم آت

إياه تعالى منفردا من الأتباع والأنصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على إتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة

المضارع لو قيل يأتيه فإذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فأنى يتوهم احتمال أن يتخذ شيئا منهم ولدا **إن الذين**

آمنوا وعملوا الصالحات والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن الموعود من آثارها وعن النبي عليه السلام إذا أحب الله

عبدا يقول لجبريل عليه السلام أحببته فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء أن الله أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له المحبة

في الأرض والسين لأن السورة مكية وكانوا إذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم أنجزه حين ربا

الإسلام أو لأن الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الأشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا

ولعل إفراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيمة من الكرامات السنية لما أن الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد

وتقاطع وتلاعن **فإنما يسرناه بلسانك** أي القرآن بأن أنزلناه على لغتك والباء بمعنى على أو على أصله لتضمن يسرنا معنى أنزلنا

أي يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل أمر ينساق إليه النظم الكريم كأنه قيل بعد إيجاء السورة الكريمة بلّغ هذا

المنزل أو بشر به وأنذر فإنما يسرناه بلسانك العربي المبين **لتبشر به المتقين** أي الصائرين إلى التقوى

وتنذر به قوما لدا لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الألد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى

وكم أهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله صلعم في ضمن وعيد الكفرة بالإهلاك وحث له عليه السلام على الإنذار أي

كثيرا أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى **هل تحس منهم من أحد** استئناف مقرر لمضمون ما قبله

أي هل تشعر بأحد منهم وترى **أو تسمع لهم ركزا** أي صوتا خفيا وأصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح

إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا ترى منهم أحدا ولا تسمع منهم ركزا

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الأنبياء المذكورين فيها

ما أنزلنا القرآن المشتمل على هاتيك [illegible] مع أنه لا دخل للإنزال في الشقاء

إلا لما أصلا مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل وقوله تعالى **إلا تذكرة** نصب على أنه مفعول له

لأنزلنا لكن لا من حيث إنه معلل بالشقاء على معنى ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه

إلا تذكرة الآية كقولك ما ضربتك للتأديب إلا إشفاقا فإنه يجب في أمثاله أن يكون

بين العلتين علاقة بالسببية والمسببية حتما كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك

بالسوء لتتأذى إلا لزجر الغير فإن التأديب في الأول مسبب على الإشفاق والتأذي في

الثاني سبب لزجر الغير وما نحن فيه ليس كذلك فإن الشقاء والتذكرة من التنافي ولعله إن يراد به

التعب في الجملة الجامع للتذكرة فالظاهر أن لا علاقة بينهما مما ذكر من السببية والمسببية و

إنما يتصور ذلك أن لو قيل مكان إلا تذكرة إلا تكثير الثواب فإن الأجر بقدر التعب ولا من

حيث إنه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه إلا قليل لوجوب المجانسة بين البدلين

وقد عرفت حالهما بل من حيث إنه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك

المستفاد من الاستثناء المنقطع كأنه قيل ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن

تذكرة وتجرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل **لمن يخشى** أي لمن من شأنه

أن يخشى الله عز وعلا ويتأثر بالإنذار لرقة قلبه ولين عريكته أو لمن علم الله تعالى أنه يخشى

بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لأنهم المنتفعون بها وقوله تعالى **تنزيلا** مصدر

مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله أي نزل تنزيلا أو لما يفيده الجملة الاستثنائية فإنها

متضمنة لأن يقال أنزلناه للتذكرة والأول هو الأنسب لما بعده من الالتفات أو منصوب

على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية أي يخشى تنزيلا من الله تعالى

وأنت خبير بأن تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود

نعم قد يعلق ذلك ببعض أجزائه المشتملة على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون

أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على أنه مفعول له

لأنزلنا إذ لا يعلل الشيء بنفسه ولا بنوعه بل على أنه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال

من الكاف في عليك أو من القرآن ولا مساغ له إلا بأن يكون قيد الإنزال بعد تقييده بالعلة

الأولى وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيلٌ على أنه خبر لمبتدأ محذوف **ممن خلق الأرض والسموات العلى**

متعلقة بتنزيلا أو بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من [illegible]

وأقم الصلاة لذكري خصت الصلاة بالذكر وأفردت بالأمر مع اندراجها في الأمر بالعبادة لفضلها وإنافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره، وذلك قوله تعالى لذكري أي لتذكرني فإن ذكري كما ينبغي لا يتحقق إلا في ضمن العبادة والصلاة أو لتذكرني فيها لاشتمالها على الأذكار أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لإخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر أو لتكون ذاكرا لي غير ناس وقيل لذكري إياها وأمري بها في الكتب أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وقيل لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلوات أو لذكر صلاتي لما روي أنه عليه السلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها إن الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري وقرئ للذكرى بألف التأنيث وللذكر بالتعريف والذكرى بمعنى التذكير وقوله تعالى إن الساعة آتية تعليل لوجوب العبادة وإقامة الصلاة أي كائنة لا محالة وإنما عبر عن ذلك بالإتيان تحقيقا لحصولها بإبرازها في معرض أمر محقق متوجه نحو المخاطبين أكاد أخفيها أي لا أظهرها بأن أقول آتية ولولا أن في الإخبار بذلك من اللطف وقطع الأعذار لما فعلت أو أكاد أظهرها بإتيانها من أخفاه إذا أظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى أظهره وقيل أخفيها من الأضداد بمعنى الإظهار والستر وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية وما بينهما اعتراض أو بأخفيها على المعنى الأخير وما مصدرية أي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الأمور المأمور بها وتخصيصه في معرض الغاية لإتيانها مع أنه لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر أو تقاعدا عنه بالمرة أو سعيا في تحصيل ما يضاده للإيذان بأن المراد بالذات من إتيانها هو الإثابة بالعبادة وأما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبأن المأمور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يجب على كل نفس أن تسعى في الامتثال بالأمر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الأمر في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا فإن الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضا لا إلى الحسن والأحسن فقط قد علق بالأخيرة لما ذكر من أن المقصود الأصلي

فإذا هي ثعبان مبين وإنما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى إما صفة لحية أو خبر ثان عند من يجوز كونه جملة قال استئناف كما سبق خذها ولا تخف عن ابن عباس رضي الله عنه انقلبت ثعبانا يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفر ولعله لما ملكه ما يعتري البشر عند مشاهدة الأهوال والمخاوف من النزع والنفار وفي عطف النهي على الأمر إشعار بأن عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الأولى مع كونه استئنافا مسوقا لتعليل الامتثال بالأمر والنهي فإن إعادتها إلى ما كانت عليه من موجبات أخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة بإظهار معجزة أخرى على يده عليه السلام وإيذان بكونها مسخرة له عليه السلام ليكون على طمأنينة من أمره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند المحاجة وتزعزع أي سنعيدها بعد الأخذ إلى حالتها الأولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف إلى حيث كان يدخل يده في فمها ويأخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض أي إلى سيرتها أو على أن أعاد منقول من عاده بمعنى عاد إليه أو على الظرفية أي سنعيدها في طريقتها أو على تقدير فعلها وإيقاعها حالا من المفعول أي سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها الأولى فتنتفع بها كما كانت تنتفع من قبل واضمم يدك إلى جناحك أمر عليه السلام بذلك بعد ما أخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت أي أدخلها تحت عضدك فإن جناحي الإنسان جنباه كما أن جناحي العسكر ناحيتاه مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لأنه يجنحهما أي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب الأمر وقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء أي كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لما أن الطباع تعافه وتنفر عنه روي أنه عليه السلام كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر آية أخرى أي معجزة أخرى غير العصا وانتصابها على الحالية أيضا من الضمير في تخرج على أنها بدل من الحال الأولى أو من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ أو دونك وقوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق إليه النظم

النظم الكريم كأنه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى
وصفة لآياتنا او نريك بذلك من آياتنا ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان
لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول اي ما كان من الآيات
الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعاً واما تعلقه بما دل عليه آية اي دللنا بها لنريك الخ
او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بالقدر من نحو خذ ونحوه كما قال بكل من ذلك
قائل فيؤدي الى اعراء آية العصا عن وصف الكبر فتدبر اذهب الى فرعون تخلص الى ما هو المقصود
من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذاناً باصالته اي اذهب اليه
بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه الى العبادة وحذره نقمتي وقوله تعالى انه طغى تعليل
للامر او لوجوب المأمور به اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي
هي دعوى الربوبية قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فاذا
قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعيناً بربه عز وجل رب اشرح لي
صدري ويسر لي امري لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله
ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وسأله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله
عليماً بشؤون الحق واحوال الخلق حليماً حمولاً يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد
والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وان يسهل عليه
مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق
الاسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب
الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولاً وتفسيرهما ثانياً وفي تقديمها وتكريرها
اظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له و
اختصاصهما به واحلل عقدة من لساني روي انه كان في لسانه عليه السلام رتة
من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته فنتفها
لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر
والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه ... فاحترقت يده فاجتهد
فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ
يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى

في كل فرد واحد من افرادها له افراد متجددة فصار علماً في ذلك حتى جعل معياراً لما في
معناه من سائر الاشياء فقيل هذا سار المرة ويترتب منها الكرة والتارة والدفعة
والمراد بها ههنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة
وقوله تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء
على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين الآية واما الايحاء بواسطة
الملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم واما الالهام كما في قوله تعالى واوحى ربك
الى النحل واما الاراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سيأتي من الامر بقذفه في التابوت
وقذفه في البحر ابهم اولاً تهويلاً له وتفخيماً لشأنه ثم فسر ليكون اوقع عند النفس وقيل معناه
ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحي وفيه
انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحي اذ لا تفخيم في شأنه في ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام
او بالاراءة في المنام وان في قوله تعالى ان اقذفيه في التابوت مفسرة لان الوحي من
باب القول او مصدرية حذف عنها الباء اي بان اقذفيه ومعنى القذف ههنا الوضع
واما في قوله تعالى فاقذفيه في اليم فالالقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى
فاذا خفت عليه فالقيه في اليم لا القذف بلا تابوت فليلقه اليم بالساحل لما كان
الالقاء الى الساحل امراً واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كأنه
ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضمائر كلها لموسى عليه السلام
والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وان كان هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالالقاء
بالذات ما فيه جعل التابوت تبعاً له في ذلك يأخذه عدو لي وعدو له جواب الامر
وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه
ولا تضره بل تؤدي الى المحبة فان الامر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر و
وقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفاً خفياً مندرجاً تحت قهر صوري
وقيل الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ
بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر حيث يجري ماؤه الى نهر فرعون لما روي
انها جعلت في التابوت قطناً ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه
الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فأتى به الى بركة في البستان وكان فرعون

جالسة مع آسية بنت مزاحم فأمرت فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجها
فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى **وألقيت عليك**
محبة مني كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية
بالفخامة الإضافية أي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك
من رآك ولذلك أحبك عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بألقيت أي أحببتك
ومن أحبه الله تعالى أحبته القلوب لا محالة وقوله تعالى **ولتصنع على عيني** متعلق بألقيت
معطوف على علة مضمرة أي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي
أو لمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من إلقاء المحبة والجملة مبتدأة أي ولتصنع على عيني فعلت
ذلك على علم لا دهري ولتصنع على صيغة الأمر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء
والنصب أي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري **إذ تمشي أختك** ظرف لتصنع على
أن المراد به وقت وقع فيه مشيها إلى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع إلى أمها
وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني إذ لا شفقة أعظم من شفقة
الأم وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من إذ أوحينا على أن المراد به زمان
متسع متباعد الأطراف وهو الأنسب بما سيأتي من قوله تعالى ونجيناك من الغم إلى آخره
فإن جميع ذلك من المنن الإلهية ولا تعلق لشيء منها بالصنع المذكور وأما كونه ظرفا لألقيت
كما جوز فربما يوهم أن إلقاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في أن سطوع آثارها ظهر
عند فتح التابوت **فتقول** أي لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عليه السلام
مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية
هل أدلكم على من يكفله أي يضمه إلى نفسه ويربيه وذلك إنما يكون بقبوله
ثديها يروى أنه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاما في النيل لا يرتضع ثدي امرأة
واضطروا إلى تتبع النساء فخرجت أخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت و
قالوا ما قالوا فجاءت بأمه فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى **فرجعناك إلى أمك** فصيحة معربة
عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها أي فقالوا دلينا عليها فجاءت بأمك فرجعناك إليها
كي تقر عينها بلقائك أي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك وإلا فزوال
الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فإن التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن

وبرغبة فيما رغبتماه فيه **أو يخشى** عقابه ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية
أي فقولا له قولا لينا راجيين أن يتذكر أو يخشى وكلمة أو لمنع الخلو أي باشرا الأمر
مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى
وسعه وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بحاله إلزام الحجة وقطع المعذرة **قالا ربنا**
إسناد القول إليهما مع أن القائل حقيقة هو موسى عليه السلام بطريق التغليب إيذانا بأن له
في كل قول وفعل وتبعية هرون عليه السلام له في كلها ثابتة ويجوز أن يكون هرون
قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى عليه السلام عند نزول الآية
كما في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فإن هذا الخطاب قد حكي لنا
بصيغة الجمع مع أن كلا من المخاطبين لم يخاطب إلا بطريق الانفراد ضرورة استحالة
اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب **إننا نخاف أن يفرط علينا**
أي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط إذا
تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من أفرطه
إذا حمله على العجلة أي نخاف أن يحمله حامل من الاستكبار أو الخوف على الملك
أو غيرهما على المعاجلة بالعقاب **أو أن يطغى** أي يزداد طغيانا إلى أن يقول
في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب وإظهار كلمة
أن مع سداد المعنى بدونه لإظهار كمال الاعتناء بالأمر والإشعار بتحقق الخوف
من كل منهما **قال** استئناف مبني على السؤال الناشئ من النظم الكريم وتعليل
إسناد الفعل إلى ضمير الغيبة للإشعار بانتقال الكلام من مساق إلى مساق آخر
فإن ما قبله من الأفعال الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف
ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى فإن ما قبله أيضا وارد على
بطريق التكلم الحكاية لرسول الله عليه السلام كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما إليه فقيل
قال **لا تخافا** ما توهمتما من الأمرين وقوله تعالى **إنني معكما** تعليل لموجب النهي
ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى
أسمع وأرى أي ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل في كل حال ما يليق بها
من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز أن لا يقدر شيء على معنى أنني حافظكما

سميعا بصيرا او الحافظ الناصر اذا كان كذلك فعدتم وبلغت النصرة غايتها
فأتياه امر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما امرا بالذهاب اليه
فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا انا رسولا ربك
امرا بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شانهما ويبني جوابه عليه وكذا
التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى فارسل معنا بني اسرائيل لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم
من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى
الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا تعذبهم اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب
فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر
ونقل الاحجار وغيرها من الامور الشاقة ويقتلون ذكور اولادهم عاما دون عام
ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء باية
دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم
معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة
ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الآية نوع طول كما ترى فتاخير ذلك
مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص
المؤمنين عن الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا قد جئناك باية من ربك تقرير
لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما
بالآية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار
اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتاكيد ما ذكر من التقرير والتعليل
وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك
قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى او لو جئتك بشيء مبين واما قوله تعالى فات باية
ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها اية من الآيات والسلام المستتبع
لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين على من اتبع الهدى بتصديق
ايات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى
انا قد اوحي الينا ان العذاب من جهة ربنا الدنيوي والاخروي على من كذب اي

حيث كشف عن حقيقته الحق حجابا مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى
ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سياتي من الالتفات الذي جعل
لكم الارض مهدا على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر
مبتدإ محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول
وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع اي جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم
وسلك لكم فيها سبلا اي حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري
تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها وانزل من السماء ماء
هو المطر فاخرجنا به اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما
التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه
لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشان تنقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة
كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها
وقوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق
ذات بهجة خلا ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا فحكاية عنه تعالى
وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر
مع انه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها
واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا
قوله تعالى شتى اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة للنبات لما انه في الاصل
مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع
بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى
ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علوفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق
بكونه طعاما لهم وقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول
اي اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لانتفاعكم بالذات
وبالواسطة آذنين في ذلك ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى
لآيات للتفخيم كما وكيفا اي لايات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته

وانعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما السلام لأولي النهى جمع نهية سمي
العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره
عن ذلك اي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية
ويقبله منه الفئة الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار انهم
المنتفعون بها منها خلقناكم اي في ضمن خلق ابيكم آدم عم منها فان كل فرد من افراد
البشر له حظ من خلقه عم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عم بل كانت
انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها
على الكل فكان خلقه عم منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة
من الاغذية المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم ليأخذ من
تربة المكان الذي يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة
وفيها نعيدكم بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار
المديد فيها ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب
على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم
من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الاصل اسم
للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر في
المرة ولقد اريناه حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عم وبين فرعون اثر حكاية
ما ذكره عم بخلاصة الداعية له الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم
لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة اليه عز وجل نظرا الى الحقيقة لا الى موسى
نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيم شأنها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة
والعناد اي وبالله لقد بصرنا فرعون او عرفناه آياتنا حين قال له موسى عليه السلام
ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما
من بدائع الامور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين في تفسير قوله تعالى اذهب
انت واخوك بآياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهياء
انهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك

عليه السلام من الكلام وأما اثباته اولا فامر مصحح يغني عن التصريح به كأنه قيل فاذا سمع
موسى عم عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة قال لهم بطريق النصيحة
لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته التي ستظهر على يدي سحرا كما فعل فرعون
اي يستأصلكم بسببه فيسحتكم بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ فيسحتكم من الثلاثي على لغة اهل الحجاز
والاسحات لغة بني تميم ونجد وقد خاب من افترى اي على الله كائنا من كان باي وجه كان
فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا او وقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا امثاله في
الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها فتنازعوا اي السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلام
كأن ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذي اريد منهم من مغالبته عم وتشاوروا وتناظروا
في كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول في ذلك بينهم واسروا النجوى اي من موسى عم
لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اي بطريق التناجي والاسرار
ان هذان لساحران الى آخره فانه تفسير له ونتيجة تنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم
بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ ان
بتشديد نون هذان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ ان
بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل
اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ
وخبر فيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير
وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران وهي قراءة واضحة
يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما اي ارض مصر بالاستيلاء عليها الذي اظهراه من قبل
ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما
واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه
دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عم ارسل معنا بني
اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء
عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج
بني اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان
المقالة منهم الاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا بد ان يكون الانذار

والتحرز باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم
والذهاب بهم الى الشام وهم آمنوا في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة
اسم لوجوه القوم واشرافهم لما انهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما
لا قرينة فيه وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء
فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب
فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس
واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات سحركم
ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفا اي مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين
وادخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم
حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا
اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة
من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلثين الفا
والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عم بما ذكر في قطر من اقطاره
وتنازعوا امرهم في قطر آخر منه ثم امروا بان يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر
الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما
لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة معنى من المصليات بعد تعين المكان الموعود
فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله
من الامرين اي قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون
من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب
انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا لهم
على بذل المجهود في المبالغة هذا هو اللائق بتجاوب اطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم
ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عم ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا
ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان
من السماء فله امر فيكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه ويحمل قولهم ان هذان لساحران
على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر

جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير وقرئ بالنصب على انه
مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او
بمعنى ذي سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس
حيث اتى اي حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشأن العصا
وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تعالى
فالقي السحرة سجدا كما سلف فصيحة معربة عن محذوف ينساق اليه النظم الكريم غنية عن
التصريح بها لعدم احتمال تردد موسى عم في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف
الموعود اي فالقى عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا
ان ذلك ليس من باب السحر وانما هي آية من آيات الله عز وجل روي ان رئيسهم قال
كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات
فاستدل بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عم
على صحة رسالته لا جرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وآمنوا واتوا بما هو غاية
الخضوع قيل لم يرفعوا رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار والثواب والعقاب
وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم
انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا
القول عنهم قالوا آمنا برب هرون وموسى استيناف كما مر غير مرة تأخير موسى عند
حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن
هرون واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان
فرعون ربى موسى عم في صغره فلو قدموا موسى لربما توهم اللعين وقومه من اول
الامر ان مرادهم فرعون قال آمنتم له اي فرعون للسحرة اي لموسى عم واللام
لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان آذن لكم اي من غير
ان آذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في
ذلك واقع بعده او متوقع انه اي موسى عم لكبيركم اي في فنكم واعلمكم به
واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او فعلكم شيئا دون شيء
فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوط بأذنه

فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتداً به وانهم من تلامذته عم فلا عبرة بما اظهره كالا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال **لاقطعن** اي فوالله لاقطعن **ايديكم وارجلكم من خلاف** اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو للعضو فانه المبتدئ من العارض ايضاً وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اي لاقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لامحالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لا لان ذلك انقطع من غيرها **ولاصلبنكم في جذوع النخل** اي عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زماناً مديداً تشبيهاً لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا هو اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقد قرئا بالتخفيف **ولتعلمن اينا** يريد به نفسه وموسى عم لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم والام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا اما لقصد توضيع موسى عم والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لارادة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عم حيث راوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضاً وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا برب هرون وموسى **اشد عذاباً وابقى** اي ادوم **قالوا** غير مكترثين بوعيده **لن نؤثرك** لن نختارك بالايمان والاتباع **على ما جاءنا** من الله تعالى على يد موسى عم **من البينات** من المعجزات الظاهرة فانّ ما ظهر بيده عم من العصا كان مشتملاً على معجزات جمة كما مرّ تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلالتها **والذي فطرنا** اي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخيره لان ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته تعالى مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك عليه ولا مساغ لكون المذكور جواباً له عند من يجوز تقديم الجواب ايضاً لان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى **فاقض** جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اي فاصنع **ما انت قاض** اي صانعه

او صفة اخرى لطريقاً والعائد محذوف وقرئ لاتخف جواباً للامر **ولاتخشى** عطف على لاتخف داخل في حكمه اي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون **فاتبعهم فرعون بجنوده** اي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم اي تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده اي ساقهم خلفهم واياً ما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذاناً بكمال مسارعة موسى عم الى الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده براً وبحراً روي ان موسى عم خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفاً فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عم بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقاً كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عم بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده **فغشيهم من اليم ما غشيهم** اي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لاسماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذي ورطهم للهلكة وبالباء الاخبار في قوله تعالى **واضل فرعون قومه** اي سلك بهم مسلكاً ادّاهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معاً حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تعالى **وما هدى** اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان

سوء الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يجوز
في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية على ما يختص بالديني منهما يأباه
مقام بيان سوقه لجنوده الى مساق الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة عن الايقاع
في البحر والانجاء منه مما يأباه العقل السليم يا بني اسرائيل حكاية لما خاطبهم تعالى
بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم
من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا
منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل من آبائهم اصالة
وبهم تبعا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى وما اعجلك الآية ضرورة استحالة حمله
على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اي وقلنا يا بني اسرائيل
قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم
سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ انجيتكم ونجيتكم
وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ
بالجر للجوار اي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من
مصر الى الشام اي اتيان موسى عليه السلام للمناجاة وانزال التوراة عليه ونسبة
المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه السلام نظرا الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها
اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث
نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور بالذات هو آدم عليه السلام
وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين و
السماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع
لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه
كلوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان اباحة ما ذكر لهم واتمام النعمة
عليهم من طيبات ما رزقناكم اي من لذائذه او حلالاته وقرئ رزقتكم
وفي البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم
ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره
والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبي

[...] بدلا منها ورد قوله كان [...] اي من مالك امركم على الاطلاق واخلفتم موعدي
[...] وعدكم اياي بالثبات على امري كما به الى ان ارجع من الميقات على اضافة المصدر
[...] مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام
[...] من حيث اضافته اليه عليه السلام اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها
[...] كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كأنه قيل انسيتم الوعد بطول العهد
[...] فاخلفتموه خطأ ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا
[...] فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود
[...] بعد الاربعين فمما لا يساعده السباق ولا السياق اصلا
[...] موعدك اي وعدنا اياك الثبات على ما امرتنا به واستاده على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر
[...] فاعله بامرنا ... بملكنا اي بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا
[...] لنا السامري ما سولته مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ
[...] بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا
[...] استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ من زينة القوم
[...] بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج
[...] من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج
[...] اي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها اي ومثل ذلك القذف
[...] السامري اي ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما القى
[...] عليهم وانما كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما سيأتي روي انه قال
[...] لهم انما تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها
[...] ما معنا ففعلوا اي السامري من تلك الحلي المذابة
[...] تأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
[...] التشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان
قوله تعالى [...] اي صوت عجل بدل منه [...] اي السامري ومن افتتن به
[...] ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي اي غفل عنه وذهب يطلبه تنزيه
[...] الطور [...] حكاية نتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة

ثم توجيه الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم
الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكورين للكل لا للعبدة فقط خلاف الظاهر
مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم اقتدائهم بتسويله مع كون
الاخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفة المعتذرين فانهم بعد ذلك اعظم جناية
واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة
الاخلاف الى انفسهم وهم براء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع
ان القاتل واحد منهم فانهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا بامر كنا نملكه بل تمكنت
الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال
فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده
النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى افلا يرون انكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين
والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه
واستحالته على احد وهو اتخاذه الها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي
الا يتفكرون فلا يعلمون الا يرجع اليهم اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد
عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب فالرؤية بصرية
فان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال
وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وركاكة
عقولهم وقوله تعالى ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف على لا يرجع داخل معه في حيز
الرؤية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم
ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه ولقد قال لهم هارون من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها
من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية
العقول اي وبالله لقد نصح لهم هارون ونبههم على كنه الامر من قبل رجوع موسى عليه السلام اليهم
وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كانه عليه السلام
اول ما ابصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال
يا قوم انما فتنتم به اي اوقعتم في الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر
المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذي تدعيه القوم لا الى قيده

موسى عليه السلام بجوده العظيمة تلحق بشانه ولا بمقامه بخلاف دعاء رؤيته ما لم يره عليه السلام فانها مما
يتبع بحسب ما يتفق وقد كان رأى ان جبريل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما رفع
الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف ان له
شأنا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول
وقرئ من اثر فرس الرسول اي من تربة موطئ فرس الملك الذي ارسل اليك
ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم
من الاسرار الالهية تاكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذ والقبضة
المرة من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة
والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع
ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها اي في الحلي المذابة فكان ما كان
وكذلك سولت لي نفسي اي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور
بعده ومحل ذلك في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف
والتقدير سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر
واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار
نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي ما فعلته
لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض
اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا لشيء آخر من البرهان العقلي او الالهام
الالهي فعند ذلك قال عليه السلام فاذهب اي من بين الناس وقوله تعالى فان لك
تعليل لموجب الامر وفي متعلقة بالاستقرار في لك اي ثابت لك في الحياة
في الحياة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف
المذكور لاعتماده على ما هو مبتدأ معنى لا بقوله تعالى ان تقول لا مساس لمكان ان
اي ثابت لك كائنا في الحياة اي مدة حياتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب
الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء
عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حم من ساعته حمى شديدة
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته

ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من
المعاملات وصار بين الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن الوحشي
النافر في البرية ويقال إن قومه باق فيهم تلك الحالة إلى اليوم وقرئ لا مساس
كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما
من مناسبة التضاد فإنه لما أنشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحياة الموات
عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التي هي من أسباب موت الأحياء
وإن لك موعدا أي في الآخرة لن تخلفه أي لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه
لك البتة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام والأظهر من أخلفت الموعد
أي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل وانظر إلى إلهك
الذي ظلت عليه عاكفا أي ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الأولى
تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام إليها لنحرقنه جواب قسم محذوف
أي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الإحراق وقيل بالمبرد على أنه مبالغة في
حرق إذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه أي لنذرينه
وقرئ بضم السين في اليم رمادا أو مبرودا كأنه هباء نسفا بحيث
لا يبقى منه عين ولا أثر ولقد فعل عم ذلك كله كما يشهد به الأمر بالنظر وإنما
لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين إنما إلهكم
الله استئناف مسوق لتحقيق الحق إثر إبطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه إلى الكل
أي إنما معبودكم المستحق للعبادة الله لا إله في الوجود لشيء من الأشياء
إلا هو وحده من غير أن يشاركه شيء من الأشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها
أحكام الألوهية وقرئ الله لا إله إلا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى وسع كل
شيء علما أي وسع علمه كل ما من شأنه أن يعلم بدل من الصلة كأنه قيل إنما إلهكم
الذي وسع كل شيء علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا أوليا وقرئ وسّع
بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لأنه على القراءة الأولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل
إلى التعدية إلى المفعولين صار الفاعل مفعولا أول كأنه قيل وسع علمه كل شيء وبه تم حديث
موسى عم المذكور لتقرير أمر من أنباء الأمم السالفة وذلك إشارة إلى اقتصاص حديث موسى

قارعة إلى أرام السائلين فيذرها الضمير إما للجبال باعتبار أجزائها السافلة
الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها أي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه
سطوح سائر أجزاء الأرض بعد نسف ما نتأ منها ونشز وإما للأرض المدلول عليها
بقرينة الحال لأنها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل قاعا صفصفا
لأن الجبال إذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر أجزاء الأرض فقد جعل
الكل سطحا واحدا والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الأرض وقيل
المستوي الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الأرض المستوية
الملساء كأن أجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب
أو هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا إما حال ثانية أو بدل من
المفعول الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها أي في مقار الجبال أو في الأرض على ما مر
من التفصيل عوجا بكسر العين أي اعوجاجا ما كأنه لغاية خفائه من قبيل
ما في المعاني أي لا تدركه إن تأملت بالمقاييس الهندسية ولا أمتا أي نتوا يسيرا
استئناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف أو حال أخرى أو صفة
لقاعا والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من طول ربما
يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم يومئذ أي يوم إذ نسفت الجبال على
إضافة اليوم إلى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى يتبعون الداعي وقيل
بدل من يوم القيمة وليس بذاك أي يتبع الناس داعي الله عز وجل إلى المحشر
وهو إسرافيل عم يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس
ويقول أيتها العظام النخرة والأوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي إلى العرض على الرحمن
فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه
وخشعت الأصوات للرحمن أي خفضت لهيبته فلا تسمع إلا همسا أي صوتا خفيا
ومنه الهميس لصوت أخفاف الإبل وقد فسر الهمس بخفق أقدامهم ونقلها إلى المحشر
يومئذ أي يوم إذ يقع ما ذكر من الأمور الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء
أحدا إلا من أذن له الرحمن أن يشفع له ورضي له قولا أي ورضي لأجله قول الشافع

في شأنه أو رضي لأجله وفي شأنه وأما من عداه فلا يكاد تنفعه وإن
فرض صدورها عن الشفعاء على معنى لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن
أن يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل إليه لما أن حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له أن
لا يملكها ولا تصدر عنه أصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند
الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى فلا إخبار عنها بمجرد عدم نفعها
للمشفوع له ربما يوهم إمكان صدورها عمن لم يؤذن له مع إخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم
وأما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الإذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد
وقوعها **يعلم ما بين أيديهم** أي ما تقدمهم من الأحوال وقيل من أمر الدنيا **وما خلفهم**
وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من أمر الآخرة **ولا يحيطون به علما** أي لا تحيط
علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته أي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها
العلم الشامل وقيل الضمير لأحد الموصولين أو لمجموعهما فإنهم لا يعلمون جميع ذلك
ولا تفصيل ما علموا منه **وعنت الوجوه للحي القيوم** أي ذلت وخضعت خضوع العناة
أي الأسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه
الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى **وقد خاب من حمل ظلما** قال ابن عباس رض
خسر من أشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لأجله عنت وجوههم
أو اعتراض كأنه قيل خابوا وخسروا أو حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية
عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى
ومن يعمل من الصالحات إلخ قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لقوله تعالى وعنت الوجوه
كما أنه كذلك على الوجه الأول أي ومن يعمل بعض الصالحات أو بعضا من الصالحات
على أحد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من أنباء ما قد سبق **وهو مؤمن** فإن
الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات **فلا يخاف ظلما** أي منع ثواب مستحق بموجب الوعد
ولا هضما ولا كسرا منه بنقص أو لا يخاف جزاء ظلم وهضم إذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم
حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي **وكذلك** عطف على كذلك نقص وذلك إشارة إلى
إنزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من أحوال القيمة
وأهوالها أي مثل ذلك الإنزال **أنزلناه** أي القرآن كله وإضماره من غير سبق ذكره

من وظائف الرجال **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ**
فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهي فإن اجتماع أسباب الراحة
فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد في الانتهاء
عما يؤدي إلى الخروج عنها والعدول عن التصريح بأن له عليه السلام فيها تنعما بفنون النعم
من المآكل والمشارب وتمتعا بأصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع أن
فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى إلى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش
والعري والضحو لتذكير تلك الأمور المنكرة والتنبيه على ما فيها من أنواع الشقوة التي
حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي إليها على أن الترغيب قد حصل بما سوغ له من
التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما نطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن
أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوي ذكره ههنا اكتفاء
بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى أن لا تجوع
فيها إلخ أن لا يصيبه شيء من الأمور الأربعة أصلا فإن الشبع والري والكسوة
والكن قد يحصل بعد عروض أضدادها بأعوان الطعام والشراب واللباس و
المسكن وليس الأمر فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة ومل إلى شيء من الأمور
المذكورة تمتع به من غير أن يصل إلى حد الضرورة ووجه أفراده عليه السلام بما ذكر
ما قرأنا وفصل الظمأ عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة
وكذلك حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالإشارة إلى أن
نفي كل واحد من تلك الأمور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظمأ لربما توهم أن نفيهما
نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير
بالتنبيه على أن النفي لكل واحد من الأمور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالأصالة لا أن نفي
بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين
وقرئ إنك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على أن لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بأن
المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في إفادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لأن
المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق
فيما في حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فإن اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه أن كل واحدة من المكسورة

والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا شك
ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابي او السلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها
فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من
وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لكن لا الجملة المأولة
بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة ضمنا فلم يلزم اجتماع حرفي
التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم حق مع
اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي
عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها
على المفتوحة بلا فصل قائمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها
حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا
فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظما خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت
له عليه السلام عدم الظما والضحو مطلقا كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت
له تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدري المحض ان المفيدة له كانه قيل ان لك فيها
عدم ظمائك على التحقيق فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسته او اسرها اليه
اما بدل من وسوس او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل فماذا
قال في وسوسته فقيل قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي شجرة من اكل منها
خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فأكلا
منها فبدت لهما سوءاتهما قال ابن عباس رضي الله عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى
ألبسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره
في سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذي
هو الخلود او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من
غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر
زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه اليه
بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي مزيد تشرفه عليه السلام

على ان مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول في قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك
كلام مستأنف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم
مثل ما اصاب القرون المهلكة اي ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة
الى الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاما اي لازما لهؤلاء
الكفرة بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تلويح بان ذلك التأخير لتشريفه عليه السلام
كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به
مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم واجل مسمى
عطف على كلمة اي ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تأخر
عذابهم اصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال
كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن
في كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التأكيد اي
لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كدأب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد
الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون اي واذا كان الامر على
ما ذكر من ان تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون
من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه
ويحمله على الصبر وسبح بحمد ربك ملتبسا اي صل وانت حامد لربك
الذي يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه ونزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق
بشأنه الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول
هو الاظهر المناسب لقوله تعالى قبل طلوع الشمس الخ فان توقيت التنزيه غير
معهود فالمراد صلوة الفجر وقبل غروبها يعني صلوتي الظهر والعصر
لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة لقوله تعالى قبل طلوع الشمس
وقيل صلوة العصر ومن آناء الليل اي من ساعاته جمع انى بالكسر والقصر
وآناء بالفتح والمد فسبح اي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم
الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة

اسبق لكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وأطراف النهار تكرير لصلوتي الفجر و
المغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس
كقول من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية
النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخر وجمعه باعتبار النصفين
او لان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى
متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى
ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اي
يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل
الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله تعالى ازواجا منهم اي اصنافا
من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او هو حال من
الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم
على انه بمعنى من التبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا
زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا به اي اعطينا او على تضمين معناه
او بالبدلية من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة
والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم
بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه
متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار بهجته حالا
اي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه
ورزق ربك اي ما ادخره لك في الآخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى
خير مما منحهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون
مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه وأبقى فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا
كما عليه زهرة الدنيا وأمر أهلك بالصلوة امر عليه السلام بان يأمر اهل بيته
او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة
على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر

سورة الانبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من
الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس
المشركون وهو الذي ينصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن
اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها
من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم
ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال المروعة
فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوؤهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من
المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم
ما في الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان كون المخلوق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم
رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تأكيدا للاضافة على ان الاصل اقترب
فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب
للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل مما يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه حسن
النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي
اسناد الاقتراب المبني على التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بان يعتبر
التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره
بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه
ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه
في الساعة السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان
او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه
من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه

عن كونه قريبا في نفسه ايضا فيصادح الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره بهنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما واما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شيء اخر

وهم في غفلة اي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء معرضون اي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل خبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر ومن في قوله تعالى من ربهم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع محدث بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى الا استمعوه استثناء مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى وهم يلعبون حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر وأسروا النجوى كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة من جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا بدل من واو اسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم

وقوله تعالى أهلكناها اي باهلاك اهلها العدم ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى أفهم يؤمنون لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين فالمعنى انه لم يؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات اهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ما آمنت على ان الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور وقوله عز وجل وما أرسلنا قبلك الا رجالا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم متضمن لرد ما قالوا والحث قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله تعالى عليهم اجمعين ولذلك قدم على جواب قولهم فليأتنا باية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما في تفسير قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذن منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم والحق ان ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى نوحي اليهم استئناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس متأهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام وغيرهما من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق

فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقية مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية
فالهم لا يفهمون انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم
فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى اليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء
وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى [فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون] تلوين
للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر
تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه المتصدي بالخطاب في امثال
تلك الحقائق الانيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم لا تعلمون
ما ذكر فاسألوا ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلوات
لتزول شبهتكم امروا بذلك لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون
المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم في امره عليه السلام ففيه من الدلالة على
كمال وضوح الامر وقوة شأن النبي صلى الله عليه وسلم [وما جعلناهم جسدا] بيان لكون
الرسل عليهم السلام اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم
في نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن والملائكة ونصبه على انه مفعول ثان للجعل
لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله
كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر في قوله تعالى وجعلنا آية
النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثير ايضا
وقيل بتقدير المضاف اي ذوي جسد وقوله تعالى [لا يأكلون الطعام] صفة له اي وما جعلناهم
جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه
لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة وفي ايثاره على ما جعلنا تنبيه على ان عدم
الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستأنف والمراد بالخلود
اما المكث المديد كما هو شأن الملائكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم
جسدا متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا اجسادا
مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقررة

[لاعبين] لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب
احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدأ الوجود
الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى
بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في
ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى [لو اردنا ان نتخذ لهوا] استئناف
مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب
[لاتخذناه من لدنا] اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجرام المرفوعة والاجرام
الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل
ارادتنا له لمنافاته للحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى [ان كنا فاعلين] جوابه محذوف
ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو
لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء التالي لانتفاء المقدم او لارادة اتخاذه فيكون بيانا
لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد
على النصارى ولا يخفى بعده [بل نقذف بالحق على الباطل] اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن
ارادته كأنه قيل لكنا لا نريده بل شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله
اللهو وتخصيص شأنه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سيأتي من الوعيد
[فيدمغه] اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل
القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذي هو كسر
الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح
تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم
[فاذا هو زاهق] اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة
على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكأنه زاهق من الاصل [ولكم الويل مما تصفون]
وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب
ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او
من ضميره في الخبر وما اما مصدرية او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل من اجل

من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل او بالذي او بالذي تصفونه
او بشيء تصفونه به من الولد او كائنا مما تصفونه تعالى به **وله من في السموات
والارض** استيناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل
وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا
وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما استقلالا
او استتباعا **ومن عنده** وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر
عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم
عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره **لا يستكبرون
عن عبادته** اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا **ولا يستحسرون** ولا يكلون
ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان
عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة
نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كان نفي الظلامية في قوله تعالى
وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة
في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاول
وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم كما في قوله تعالى
وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حال من الثانية **يسبحون الليل والنهار**
اي ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استيناف وقع جوابا
عما نشأ عما قبله كانه قيل ماذا يصنعون في عباداتهم او كيف يعبدون فقيل
يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى **لا يفترون** اي لا يتخلل
تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل آخر **أم اتخذوا آلهة** حكاية لجناية اخرى من
جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق
الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره
وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل
ما لا يليق بشأنه من الامور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة في ام المنقطعة
انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى **من الارض** متعلق باتخذوا او بمحذوف

او امته فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب انزل على امتي وهذا
كتاب انزل على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلثة والصحف فراجعوها و
انظروا هل في واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ففيه تبكيت لهم
متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او اطعام في
يوم ذي مسغبة يتيما وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى
بل اضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن و انتقال
من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان
الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل لاجل ذلك
معرضون اي مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه
من الغي والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما القي عليهم من البراهين
العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب تاكيدا
للسببية وقوله تعالى **وما ارسلنا من قبلك**
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون استيناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية
واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول وايا ما كان
فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا**
حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك
اثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة
بنات الله تعالى ونقل الواحدي ان قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وبني
خزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع
ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة
سبحانه اي تنزه بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح اي بعد او تسبيحه
على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى
بل عباد اضراب وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى
مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم
وقوله تعالى **لا يسبقونه بالقول** صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم

لا يسبقونه بالقول اي لا يقولون شيئا حتى يقوله تعالى او يامرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاسند السبق اليهم منسوبا اليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته اسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان من سبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فاني يتوهم صدوره عنهم

وهم بامره يعملون

بيان لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كانه قيل هم بامره يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير امره لا الى امر غيره

استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى

ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه تعالى

وهم من خشيته مع ذلك

عز وجل مشفقون مرتعدون واصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلى ينعكس الامر

ومن يقل منهم اي من الملائكة اذ الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم

اني اله من دونه متجاوزا اياه تعالى

فذلك نجزيه جهنم الذي فرض قوله فرض محال

بحيث لا يتوهم في حقهم ما توهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى

كذلك نجزي الظالمين مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اي لا جزاء انقص منه

اولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا

ان السموات والارض اي جماعتا السموات والارضين كما في قوله تعالى

الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات

واذا رآك الذين كفروا اي المشركون

ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي في سورة الانعام

أهذا الذي يذكر آلهتكم على ارادة القول اي ويقولون او قائلين ذلك اي يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم اي وقوله تعالى

وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه عليه السلام ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم احقاء بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدا وخبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تاكيد لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل والمعمول بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول

خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالانسان آدم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم تتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق الانسان خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام سارياالى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له ههنا وقوله تعالى

ساريكم آياتي فلا تستعجلون تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد اي ساريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها

ويقولون متى هذا الوعد اي وقت مجيء الساعة التي كانوا يوعدون واما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء

والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلب التعيين وقيل بطريق الالزام كما في سورة الملك
اي في وعدكم باتيانها والخطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين
الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان
قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فانه في
قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين
استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب
وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضي
لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في الافادة
انتفاء استمرار النفي بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قوله لو يحسن الي
لشكرته فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان لا لانتفاء استمرار الاحسان
ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى
مفعول يعلم وهو عبارة
عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها
ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب مع انكار الكفرة بذلك للايذان بانه
من الظهور بحيث لا حاجة له الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها
وجواب لو محذوف اي لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد
من الحين الذي يحيط بهم النار من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها
بانفسهم من جانب من جوانبهم
من جهة الغير في دفعها الخ لما فعلوا ما فعلوا
من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اي لو كان لهم
علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الخ استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمرار الى ذلك الوقت
كانه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال **بل تأتيهم** عطف على لا يكفون اي لا يكفونها
بل تأتيهم اي العدة او النار او الساعة
اي تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان
بالتذكير على ان الضمير للوعد او للحين وكذا الحال في قوله تعالى

وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء في الشريف تعريض بان المسلمين بسم
المتعينون للغلبة المعروفون بها
بعد ما بين من جهته تعالى غاية
هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعي عليهم جهلهم بذلك واعراضهم
عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي احوالهم
امر عليه السلام بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة **بالوحي** الصادق الناطق
باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال اي انما شأني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها
فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان برهاني لا عياني وقوله تعالى **ولا يسمع الصم الدعاء**
اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض قد امر عليه السلام بان يقول لهم توبيخا وتقريعا
وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى **اذا ما ينذرون** مع ان الصم
لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة
عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة
لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى
على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم
من الاسماع بنصب الصم والدعاء كانه قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء
ايضا على ان الفاعل هو عليه السلام وقرئ على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على اسماع الصم
وقوله تعالى **ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك** بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب
اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة
ادنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة
الشيء
ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن
عليها بالظلم وقوله تعالى **ونضع الموازين القسط** بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم
الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب
السوي والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الاعراف
وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة
التي كانوا يستعجلونها اي لجزائه او لاجل
اهله او فيه كما في قولك جئت لخمس خلون من الشهر **فلا تظلم نفس** من النفوس

حقا من حقوقها او شيئا من الظلم بل يوفي كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر

وان قاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين **وان كان** اي العمل المدلول عليه بوضع الموازين

اي مقدار حبة كائنة من خردل اي وان كان في غاية القلة والحقارة

فان حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة **اتينا بها** اي احضرناه

العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتانيث لاضافته الى الحبة وقرئ اتينا بها اي جازينا بها

من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب

وقرئ جئنا بها — اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا

نوع تفصيل

لما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين

واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء

بمضمونه والمراد بالفرقان هو التورية وكذا بالضياء والذكر اي وبالله لقد اتيناهما وحيا ساطعا

وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية

وذكرى يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون

لمغانم اثاره او ذكرى ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر

والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية

لا سيما التورية فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي افتتح الكلام سلسلة ... فيما يا تينا بآية

كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى

اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او

منصوب او مرفوع على المدح **بالغيب** حال من المفعول اي يخشون عذابه تعالى وهو غائب

عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتاثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه

وقيل من الفاعل — اي خائفون من اطوار الاعتبار وتقديم

الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان

بكونها معظم المخوفات والتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون من الكفرة

وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه **وهذا** اي القرآن الكريم اشير اليه

بهذا ايذانا بغاية وضوح امره — يتذكر به من تذكر وصف بالوصف الاخير للتورية ...

على اطعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما

مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل

فكسر الكل بفاس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفاس في عنقه وذلك قوله تعالى

اي الاصنام — فجعلهم جذاذا — اي الى ابرهيم عليه السلام

فجعلهم بالسنة فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسالونه عن الكاسر لان من شان

المعبود ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز الصنم عن

دفع ما يصيبهم وعجز الاضرار من كسرهم — اي حين رجعوا من عيدهم وراوا ما راوا

على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم

يشيروا اليها بهؤلاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى

استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على انها خبرها والمعنى

الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجرأته على الآلهة وهي حقيقة

بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم وتمادية في الاستهانة بها او بتعريض نفسه للهلكة

اي بعض منهم مجيبين للسائلين — اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها

قوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان

القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام يذكرهم

فلا حاجة الى المصحح — صفة اخرى لفتى اي يطلق عليه هذا الاسم

اي السائلون — اي بمراى منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان

مرتفع لا يكاد يخفى على احد — اي يحضرون عقوبته له وقيل يعلمهم يشهدون

بفعله او بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل البعض منهم مبهم او معهود — استئناف

مبني على سؤال نشا من حكاية قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به او لا فقيل قالوا

او صار اعلى حكاية لمخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على

ان اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غني عن البيان

اشار الى الذي لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذي هو الزامهم

الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التامل في شان آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب

حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه في ذلك الموضع فعلا بجعل الفاس ...

فى عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام
غاظته عليه السلام حين ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان
غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه
وقيل هو حكاية لما يعود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من
حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه عليه السلام قال فعله
كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تنبيها ارادة عليه السلام
تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادة الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام
لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على
اسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل ذلك بما لو قال لك امّى فيما
كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط ءانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته
كان قصدك تقريرا الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها له
فبمعزل من التحقيق لان خلاصة المعنى فى المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء
ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله فى السؤال لابتنائه على احتمال صدورها عن
غيرك مع استحالته عندك ولا ريب فى ان مراده عليه السلام من اسناد الكسر الى
الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم فى سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير
عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل فى احوال اصنامهم كما ينبئ عنه قوله تعالى
اى ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا اظهر وانا لم يعقل
ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضا
لان نتيجة السؤال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك
اولا حسبما نطق به قوله تعالى اى راجعوا عقولهم وتذكروا
ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان
يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا
اى قال بعضهم لبعض فيما بينهم اى بهذا السؤال لانه كان على
طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين
او انتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها اى انقلبوا الى

عنهم عليه فنبهم كالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ولذا
قوله تعالى وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله
وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه
خاصة دون غيرنا لا يخطر ببالهم غير عبادتنا قيل هو منصوب بمضمر
يفسره قوله تعالى اى وآتينا لوطا وقيل باذكر اى حكمة او نبوة او فصلا بين
الخصوم بالحق بما ينبغى علمه للانبياء عليهم السلام
اى للواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها
مقامه كما يؤذن به قوله تعالى فانه كالتعليل له
اى فى اهل رحمتنا او فى جنتنا الذين سبقت لهم منا الحسنى
اى اذكر نوحا اى خبره وقوله تعالى اى دعا الله تعالى على قومه بالهلاك
ظرف للمضاف المقدر اى اذكر نبأه الواقع وقت دعائه اى من قبل هؤلاء المذكورين
اى دعاءه الذى من جملته قوله انى مغلوب فانتصر
وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد نصرا
مستتبعا للانتقام والانجاء ولذلك قيل وحمله على
فانتصر بما ذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع
ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى
فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك فى الشر والفساد مما يوجب
الاهلاك قطعا اما عطف على نوحا معمول لعامله واما مضمر معطوف على ذلك
العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية
للحال الماضية لاستحضار صورتها اى اذكر خبرهما وقت حكمهما اى فى حق الزرع
او الكرم المتدلى عناقيده كما قيل وبدل الاشتمال منهما وقوله تعالى اى تفرقت
وانتشرت ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم
اى لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام
واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد
لمزيد الاعتناء بشأنه عطف على يحكمان فانه فى حكم الماضى وقرئ فافهمناها

والنقض بالحكومة اولا فيما روي انه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال احدهما ان غنم هذا
دخلت في حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فاخبراه بذلك
فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني
بالذي ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها
وصوفها والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء
ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فان
قول سليمان عليه السلام غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله ارى ان تدفع صريح في انه ليس
بطريق الوحي والا لبت القول بذلك ولما ناشده داود عليه السلام لاظهار ما عنده
بل وجب عليه اظهاره بدأ وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق ايضا
كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان رأي
سليمان عليه السلام استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين ورأي داود عليه السلام
قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه
ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي وقد راى انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت
واما سليمان عليه السلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث
من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان
يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن
القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الآبق ترادا وفي
قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه مع ان الحكم المبني على الاجتهاد
لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لان ذلك من خصائص شريعتنا على انه ورد
في الاخبار ان داود عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسألة
في شريعتنا فعند ابي حنيفة رحمه الله لا ضمان اذا لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعي يجب الضمان
ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عليه السلام
بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكما شرعيا اي وكل واحد منهما آتيناه حكما وعلما كثيرا
لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل على ان كل
مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله

بعد ذلك من حاجة اذ قال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع
راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها
فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فشرب منها
فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك
قوله تعالى فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا
مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله وذلك قوله تعالى
وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امرأته قالت في
نفسها هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وياكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت
ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت
الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تأتيه وتسأل عنه فارسل اليها ايوب ودعاها
فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة
قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال اتعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى علي
فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته
اي اثبتناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما
اثيب او لرحمتنا العابدين من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم
اي واذكرهم وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون
وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل
انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف اي
كل واحد من هؤلاء اي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والحادثة
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بذكرهم
اي في النبوة او في نعمة الآخرة اي الكاملين في الصلاح الكامل الذي
لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد اي
واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام اي مراغما لقومه لما برم
من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر
وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم فتابوا ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب

من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اي ان نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده انه قرئ مشددا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه اي نعامل معاملة من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده اي نعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى اي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل ان لا اله الا انت اي بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان والضمير الشان محذوف او بانه لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على ألطف وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين اي مثل ذلك الانجاء الكامل من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام نجي فلذلك اخفي الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اي واذكر خبره اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا اي وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين اي ...

من كل حدب اي نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول اي يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا الذي دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة الاعذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التي يعبدونها كما ينبئ عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الآية وقال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روي انه عليه السلام رد بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك في عموم كلمة ما كان الاول نصا في خصوص النص وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله لهم بطريق الدلالة بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله عليه السلام بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة تبين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تاكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور والا لوجب شركتهم للاصنام في المعبودين من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك

أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الأصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عليهم السلام وهذا هو الوجه في التوفيق بين الأخبار المذكورة وأما تعميم كلمة ما للعقلاء أيضاً وجعل ما سيأتي من قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى بياناً للتجوز أو التخصيص فمما لا يساعده السباق والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به ويهيج به النار من حصبه إذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفاً بالمصدر للمبالغة **أنتم لها واردون** استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وأن ورودهم لأجلها **لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها** لأنه تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في أن المراد بما يعبدون هي الأصنام لأن المراد إثبات نقيض ما يدعونه وهم إنما يدعون آلهية الأصنام لا آلهية الشياطين حتى يحتج بورودهم النار على عدم آلهيتهم وأما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة بإجراء الكلام على عمومه بعد بيان ما سيق النظم الكريم له بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الأول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لأنهم المعبود عندهم أجيب ببيان أن المعبودين هم الشياطين وأنهم داخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين **وكل** أي من العبدة والمعبودين **فيها خالدون** لا خلاص لهم عنها **لهم فيها زفير** أي أنين وتنفس شديد وهو مع كونه من أفعال العبدة أضيف إلى الكل للتغليب ويجوز أن يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس وكذا في قوله تعالى **وهم فيها لا يسمعون** أي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى** شروع في بيان حال المؤمنين إثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وإيراد الترغيب مع الترهيب أي سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي أحسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة أو سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الأظهر لا دخل في الحمل عليها لأن الأولين مع خفائهما ليسا من مقدمات الكليتين

في نفسه وجوده حقيقة لأنه تعالى ... مما بعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار أمنهم من الخسف والمسخ والاستئصال حسبما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم **قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد** أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد لأنه المقصود الأصلي من البعثة وأما ما عداه فمن الأحكام المتفرعة عليه فإنما الأولى لقصر الحكم على الشيء كقولك إنما يقوم زيد أي ما يقوم إلا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك إنما زيد قائم أي ليس له إلا صفة القيام **فهل أنتم مسلمون** أي مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون لها به تعالى والفاء للدلالة على أن ما قبلها موجب لما بعدها فإن فيه دلالة على أن صفة الوحدانية يصح أن يكون طريقها السمع **فإن تولوا** عن الإسلام ولم يلتفتوا إلى ما يوجبه من الوحي **فقل لهم آذنتكم** أي أعلمتكم ما أمرت به أو حربي لكم **على سواء** كائنين على سواء في الإعلام به لم أطوه عن أحد منكم أو مستوين به أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به أو في المعاداة أو إيذاناً على سواء وقيل أعلمتكم أني على سواء أي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير **وإن أدري** أي ما أدري **أقريب أم بعيد ما توعدون** من غلبة المسلمين وظهور الدين أو الحشر مع كونه آتياً لا محالة **إنه يعلم الجهر من القول ويعلم** أي ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود **ما تكتمون** من الإحن والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيراً وقطميراً **وإن أدري لعله فتنة لكم** أي ما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لكم لينظر كيف تعملون **ومتاع إلى حين** أي وتمتيع لكم إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم **قال رب احكم بالحق** حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرئ قل رب على صيغة الأمر أي اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عليه السلام حيث عذبوا ببدر أي تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وقرئ أحكم على صيغة التفضيل وربي أحكم من الأحكام مبتدأ وخبر **وربنا الرحمن** مبتدأ وخبر أي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى **المستعان** أي المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدأ وإضافة الرب فيما سبق إلى ضميره عليه السلام خاصة لما أن الدعاء من الوظائف الخاصة به عليه السلام كما أن إضافته هاهنا إلى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين أيضاً لما أن الاستعانة من الوظائف العامة لهم **على ما تصفون**

من الحال فإنهم كانوا يقولون إن الشوكة تكون لهم وإن راية الإسلام تخفق ثم تركد وإن
المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم إلى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة
رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير أحوالهم ونصر أولياءه عليهم فأصابهم يوم بدر
ما أصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم
في سلكهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيمة
وإن كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الأول على الوجه الذي عرفته في مطلع سورة النساء
ولفظ الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب
لعدم تناولها الإناث حقيقة إلا عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذي هو التجنب
عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الإيمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع
اندراجا أوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الإضافة إلى
ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيد إيجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا أي احذروا
عقوبة مالك أموركم ومربيكم وقوله تعالى إن زلزلة الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الأمر
بذكر بعض عقوباته الهائلة فإن ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته
من الأحوال والأهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته
وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والإزعاج العنيف بطريق التكرير بحيث تزيل الأشياء
من مقارها ويخرجها عن مراكزها وإضافتها إلى الساعة إما إضافة المصدر إلى فاعله على المجاز الحكمي كأنها هي
التي تزلزل الأشياء أو إضافته إلى الظرف إما بإجرائه مجرى المفعول به اتساعا أو بتقدير في كما في
قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها
عن الحسن أنها تكون يوم القيمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة
والشعبي أنها قبل طلوع الشمس من مغربها فإضافتها إلى الساعة لكونها من أشراطها وفي التعبير عنها

من الدم جامدة متكونة من المني ثم من مضغة أي قطعة من اللحم متكونة من العلقة
وهي في الأصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة أي مستبينة الخلق مصورة
وغير مخلقة أي لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولا
قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب
المبني على التدرج من المبادي البعيدة إلى القريبة أن يقدم غير المخلقة على المخلقة وإنما
أخرت عنها لأنها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة
وليس بذاك فإن في جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب
كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظم قدرته
تعالى وكسر لسورة استبعادهم لنبين لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا
أي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق و
الدقائق التي من جملتها سر البعث فإن من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي تأملا حقيقا
جزم جزما ضروريا بأن من قدر على خلق البشر أولا من تراب لم يشم رائحة الحياة قط
وإنشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد أخرى وتصريفه في أطوار الخلقة وتحويله
من حال إلى حال مع ما بين تلك الأطوار والأحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على
إعادته بل هو أهون في القياس نظرا إلى الفاعل والقابل وقرئ ليبين لكم بطريق الالتفات
وقوله تعالى ونقر في الأرحام استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظمه
وما عطف عليه في سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متمماته ومن مبادي التبيين
أيضا لما أن دلالة الأول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث
المبحوث عنه أجلى وأظهر أي ونحن نقر في الأرحام بعد ذلك ما نشاء أن نقره فيها إلى أجل
مسمى هو وقت الوضع وأدناه ستة أشهر وأقصاه سنتان وقيل أربع سنين
وفيه إشارة إلى أن بعض ما في الأرحام لا يشاء الله تعالى إقراره فيها بعد تكامل خلقه
فتسقط والتعرض للإسقاط لا يناسب المقام لأن الكلام فيما جرى عليه أطوار الخلق وهذا
صريح في أن المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا أو معيبا وأن ما فصل إنما هي الأطوار
المتواردة على المولود قبل الولادة وقرئ ونقر بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء
إذا صببته ثم نخرجكم أي من بطون أمهاتكم بعد إقراركم فيها عند تمام الأجل المسمى

طفلا نصب على الحال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ نخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة لنخرجكم معطوفة على اخرى لها مناسبة بها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا اشدكم وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فوجه عطفهما على نبين والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام هنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما او عليه يدور التكليف المؤدي الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الآثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وكأنها كانت شدة في غير شيء فبنيت على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اي علم كثير شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر

باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والنقلي ثاني عطفه حال اخرى من فاعل يجادل اي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هداية بعده مع تمكنه منها قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اي ثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي النار المحرقة ذلك اي ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت يداك اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدي والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين اي ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف الى طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اي دنيوي من الصحة والسعة اطمأن به اي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او ماله انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته

قال اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما
اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد رضه ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب
فتشاءم بالاسلام فاتى النبي عليه السلام فقال اقلني فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال
فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم فقدهما وضيعهما
بذهاب عصمة وحبوط عمله بالارتداد وقرئ وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع
على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدا
محذوف اي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون
الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله استيناف
مبين لعظم الخسران اي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى او لم يعبد
ان عبده اي جمادا ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك الدعاء هو
الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن الطريق
استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه
ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه
بطريق التسبب ايضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن
مبتداء وضره مبتداء ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتداء الاول وقوله تعالى
جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتداء الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا
وايراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والامعان في ذمه
اي يقول ذلك الكافر يوم القيمة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار
بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو
ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون
يدعو الثاني اعادة للاول لا تاكيدا له فقط بل و تمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده
اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تعالى
بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله
لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زايدة ومن مفعول يدعو
ويؤيده القراءة بغير لام اي يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل

مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التكذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما
... بوجه من كون تعالى شهيدا على جميع الاشياء التي من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد
بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية
بناء على انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره
تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه باكمل افعال المكلف في باب الطاعة ايذانا
بكونه في اقصى مراتب التسخر والتذلل لا السجود والطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت
كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار
فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
افرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول
سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس فانه مرتفع
بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة وكان
قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء وحذف خبره ثقة بدلالة خبر
قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة
وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة
وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعالى وكثير معطوفا على كثير الاول للايذان
بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليه
العذاب اي بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا اي حق عليه العذاب حقا
بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر ومن يهن الله فما له من مكرم
يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمي ان الله يفعل ما يشاء
من الاشياء التي من جملتها الاكرام والاهانة هذان خصمان ... بيان لطرفي الخصام
وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقي
وتحرير لمحله اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس خصمان اي فريقان
مختصمان وانما قيل اختصموا حملا على المعنى اي اختصموا في شأنه عز وجل وقيل في
دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية
ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الاخر وان لم

بينهما التخاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق
بالله واقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله منكم آمنا بمحمد
ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا
فنزلت فالذين كفروا تفصيل للفصل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيمة
قطعت لهم اي قدرت على مقادير جثتهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اي نيران
تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها يصب من فوق رؤسهم الحميم اي الماء الحار
الذي انتهت حرارته قال ابن عباس رض لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا
لاذابتها والجملة مستانفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به اي يذاب
من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد عطف على ما وتاخيره
عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تاثيرها في الباطن
اقدم من تاثيرها في الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم
للكفرة اي لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهي آلة القمع كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اي اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما روي انها تضربهم
بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا
اي من غم شديد من غمومها وهو بدل الاشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط
محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج اي ردوا الى اعاليها
اسفلها من غير ان يخرجوا منها على تقدير قول معطوف على اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا
اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك
بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان
سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة
بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة
على تحقق مضمون الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف
من الاحلاء بمعنى الالباس اي يحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المراة
اذا لبست حليها من في قوله تعالى من اساور اما للتبعيض اي بعض اساور وهي جمع اسورة
جمع سوار او للبيان لان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت للمفعول

ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعله غاية للاتيان ايذان
بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه في ايام معلومات
فان المراد بالذكر ما وقع عند
الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب
وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر
قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فانفجرت اي فاذكروا
اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه
اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب لمواساة الفقراء ومساواتهم اي الذي
اصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا
اي ليزيلوا وسخهم او ليحكموا بقص الشارب والاظفار ونتف
الابط والاستحداد عند الاحلال ما ينذرون من البر في حجهم وقيل
مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء طواف الركن الذي به تمام التحلل
فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع اي القديم فانه اول بيت
وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فعصمه الله عز وجل
واما الحجاج الثقفي فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما لا التسلط عليه اي الامر
ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله
اي احكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق
بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام اي
فالتعظيم خير له ثوابا اي في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره من
لتشريفه والاشعار بعلة الحكم وهي الازواج الثمانية على الاطلاق
قوله تعالى اي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على ان ما عبارة
عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر
بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان
عدم كونها من ذلك القبيل بحل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا
يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى

فاجتنبوا الرجس من الأوثان فإنه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات
الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الأنعام من دواعي التعاطي لا من
مبادي الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم أمر بالاجتناب عما هو أقصى الحرمات
كأنه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والأنعام ليست من الحرمات فإنها محللة لكم إلا ما يتلى عليكم آية
تحريمه فإنه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الأمور التي يجب الاجتناب عنها [illegible]
واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور وكأنه لما حث على تعظيم
الحرمات أتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوهما والافتراء
على الله تعالى بأنه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي أنه عليه السلام قال عدلت شهادة
الزور الإشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما أن الإفك
الذي هو القلب والصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول أهل الجاهلية
في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله مائلين عن كل
دين زائغ إلى الدين الحق مخلصين لله تعالى غير مشركين به أي شيئا من الأشياء فيدخل فيه
ذلك الأوثان دخولا أوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة مبتدأة مؤكدة
لما قبلها من الاجتناب من الإشراك وإظهار الاسم الجليل لإظهار كمال قبح الإشراك فكأنما خر
من السماء لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر فتخطفه الطير فإن الأهواء المردية توزع
أفكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وأصلهما
تختطفه أو تهوي به الريح أي تسقطه وتقذفه في مكان سحيق بعيد فإن الشيطان قد طوح به في
الضلالة وأو للتخيير كما في أو كصيب أو للتنويع ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى
ومن يشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا شبيها بإهلاك أحد الهالكين ذلك أي الأمر ذلك أو امتثلوا
ذلك ومن يعظم شعائر الله أي الهدايا فإنها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن
جعلناها لكم من شعائر الله وهو الأوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات
وأن يختارها حسانا سمانا غالية الأثمان روي أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل
لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وأن عمر رضي الله تعالى عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة
دينار فإنها من تقوى القلوب أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت
هذه المضافات والعائد إلى من أو فإن تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالإضافة

وتصديره بكلمة التحقيق لإبراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة إما للمبالغة أو للدلالة على
تكرر الدفع فإنها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة أي يبالغ في
دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه
أو يدفعها عنهم مرة بعد أخرى حسبما تجدد منهم القصد إلى الإضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى
كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى إن الله لا يحب كل خوان كفور
تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وإيذان بأن دفعهم بطريق القهر
والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض أي إن الله يبغض كل خوان في أمانة الله تعالى وهي أوامره
ونواهيه أو في جميع الأمانات التي هي معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان أنهم كذلك لا لتقييد
البغض بغاية الخيانة والكفر أو للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي أولا وإيراد معنى المبالغة
ثانيا أذن أي رخص وقرئ على البناء للفاعل أي أذن الله تعالى للذين يقاتلون أي يقاتلهم
المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فإن مقاتلة المشركين إياهم دالة على
مقاتلتهم إياهم دلالة نيرة وقرئ على صيغة المبني للفاعل أي يريدون أن يقاتلوا المشركين
فيما سيأتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف أظهر بأنهم ظلموا أي بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام بين
مضروب ومشجوج ويتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأنزلت
وهي أول آية نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية وإن الله على نصرهم لقدير
وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بأن المراد به ليس مجرد
تخليصهم من أيدي المشركين بل تغليبهم وإظهارهم عليهم والإخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على
سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين
وقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم في حيز الجر على أنه صفة للموصول الأول أو بيان له أو
بدل منه أو في محل النصب على المدح أو في محل الرفع بإضمار مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم
مكة المعظمة بغير حق متعلق بأخرجوا أي أخرجوا بغير ما يوجب إخراجهم وقوله تعالى إلا أن يقولوا ربنا الله
بدل من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجبا للإقرار والتمكين دون
الإخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثناء منقطع

لتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع
المشركين من اهل الملل وقرئ بالتخفيف صوامع للرهابنة وبيع للنصارى وصلوات
اي كنائس لليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرية فعربت ومساجد
للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اي ذكرا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها
دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل
في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام
ولينصرن الله من ينصره اي وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه ولقد
انجز الله عز سلطانه وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم
وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على كل ما يريده من مراداته
التي من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شيء ولا يدافعه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
وصف من الله عز وجل
للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض
واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضي الله عنه
هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه
دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة
العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رضي الله عنه
هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ولله عاقبة الامور
فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد الكريم باهلاك من نعاديه من
الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع
عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته
عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اي وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم
انك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين
اي رسلهم ممن ذكر وممن لم يذكر
وانما حذف لكمال ظهور المراد او لان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح الى آخره
وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول فيه والفعل لا لان قومه بنو اسرائيل ولم

من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى
لجاءهم العذاب ويكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبنية لبطلان الاستعجال
ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة
ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الآتي من بيانه فلا يكون في النظم الكريم تعرض لانكارهم الذي
دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفى في رد انكارهم
ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة وحمل اليوم
عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن ايام الآخرة الطويلة حقيقة او
المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان
المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال
لا الزمان المقارن له الا يرى الى قوله تعالى وكأين من قرية فانه كما سلف من قوله تعالى
فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء
المديد اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر
والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل امليت لها كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعدوا
من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال
حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة
لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء ثم اخذتها بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال والي المصير
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان
مآل امر المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري
لا استقلالا ولا شركة فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا
لكم نذير مبين انذركم انذارا بينا بما اوحي الي من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون
لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار
مع بيان حال المؤمنين بعده لما اشير اليه من ان مساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر
المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم
من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته
والذين سعوا في آياتنا معاجزين اي سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين

ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله من عاجزه وعجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كل
من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان
على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب الجحيم اي ملازموا النار
الموقدة وقيل اسم دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول
من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق
كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه عم
علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف
واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسول منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول
من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه
الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اي هيأ في نفسه ما يهواه
القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام
وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان
فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته
اي يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة
على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية
من موجبات احكام آياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شأنه ان يعلم
ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا او خطأ حكيم في كل ما يفعل والاظهار ههنا
ايضا لما ذكر مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة
فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى
كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس
اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى ففرح به المشركون حتى تابعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن
ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليهما السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية وهو
مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه
وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل والامنية قرائته

مستمرون فيها والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اي اصروا على ذلك واستمروا
فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدا وقوله تعالى لهم عذاب جملة اسمية من مبتدا
وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم خبر لاولئك الموصوفون وعذاب مرتفع على
الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا واولئك مع خبره على الوجهين
خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان
تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب الاعمال الصالحة
اياها وقوله تعالى مهين صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة
من وجوه شتى ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله اي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى
ثم قتلوا او ماتوا اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى
ليرزقنهم الله جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها
خبرا للمبتدا اضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى رزقا حسنا اما مفعول ثان على
انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم
الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن
متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروي ان بعض
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما
اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل
نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم وان الله لهو خير الرازقين
فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي
تقرير لما قبله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او
استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال
او مصدر ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنهما انما قيل يرضونه لانهم يرون فيها ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وان الله لعليم باحوالهم
واحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك

والجملة المتقرر بما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف ومن عاقب بمثل ما عوقب
اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية
للمشاكلة او لكونه سببا له به ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله على من بغى عليه
لا محالة ان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له
ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى
ولمن صبر وغفر ان ذلك اي ما ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور فان فيه حثا
بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك وتنبيها
على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده اشارة الى النصر
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى
بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي بسبب انه تعالى من شانه
وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتضادة
وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص عن الآخر او
بتحصيل احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر للمواد واوضحها وان الله سميع بكل المسموعات التي
من جملتها قول المعاقب بصير بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله ذلك اي الاتصاف
بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده
فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات
عالما بكل المعلومات او الثابت الهيته فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون
من دونه الها وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه عبارة عن الآلهة
وقرئ بالتاء على خطاب المشركين هو الباطل اي المعدوم في حد ذاته والباطل الوهية
وان الله هو العلي على جميع الاشياء الكبير من ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه
شأنا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير كما ينبئ عنه الرفع
في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال
للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله
لطيف يصل لطفه او علمه الى كل ما جل ودق خبير بما يليق من التدابير الظاهرة والباطنة

العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم وإذا تتلى عليهم آياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض
وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي بينات اي حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة
والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في
وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشر الذي
يقصدونه بظهور مخائله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى يكادون يسطون
بالذين يتلون عليهم آياتنا اي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لا باطيل اخذوها
تقليدا وهل جهالة اعظم واطم من ان يعبدوا ما لا يصح عبادته شيء ما اصلا من تقتضي ببطلانها
العقل والنقل ويضجرون لمن يهديهم الى الحق البين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا
وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين أفأنبئكم
اي اخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونهم من
الغوائل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه
على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة الفعلية استئنافا كالوجه الاول او حالا من النار باضمار قد
وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب مثل اي بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رائعة حقيقة
بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة واريد
بذلك ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله
ما اقول فقوله تعالى إن الذين تدعون من دون الله اما بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام
مثلا لله سبحانه في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بالياء التحتية مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى
الموصول على الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان
لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ولو اجتمعوا له اي لخلقه وجواب لو
محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اي لو لم يجتمعوا عليه
لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا او هما في موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال
وإن يسلبهم الذباب شيئا بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اي ان يأخذ الذباب
منهم شيئا لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه ولقد جعلوا غاية التجهيل في اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد
بايجاد كافة الموجودات تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه بل

او الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب كانه
يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل واضل من كل
ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء مناسبة
ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات عن آخرها عزيز غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لاذلها
العجزة عن اقلها ولعله تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه تعالى وبين
الانبياء عليهم السلام بالوحي ومن الناس وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين
الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعوهم
اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمهم شرائعه واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شيء
من الاشياء بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله عز وجل وهو
اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة وقولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله ونحو ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير عليم
بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع
الامور لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح في كل ما تأتون وما تذرون
كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح
غير متيقنين له واثقين باعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعي رحمه الله لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج
بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله اي لله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى
والنفس وعنه عليه السلام انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه
حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا
او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله هو اجتباكم اي هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه
تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشق عليكم
اي وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله
وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة
او لان اكثر العرب كانوا من ذريته عليه السلام فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة
وفي هذا اي القرآن والضمير لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين في
القرآن وان لم يكن منه عليه السلام كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك
وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيامة متعلق بسماكم

اما انها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث
لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لانهم
ان يقولوا انها زوجة له في الجملة واما ان كل زوجة ترث فهو غير مسلم واما ما قيل من انه
ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له
معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان
ويتجاوزون من جهة الحق او الخلق راعون اي قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ
لامانتهم والذين هم على صلواتهم يحافظون المفروضة عليهم يواظبون عليها ويؤدونها
في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير
لان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها
ولو قرنا في الذكر لربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة اولئك اشارة الى المؤمنين
باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم
منزلة المشار اليهم حسا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل و
الشرف اي اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون اي الاحقاء بان يسموا
وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الاموال والذخائر وكرائمها الذين يرثون
الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشأنها
ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة
فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان
منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها اي في الفردوس والتأنيث لانه اسم للجنة او
لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روي انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة
من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك
مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا يخرجون منها ابدا والجملة اما مستأنفة
مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام
لا يموتون ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الانسان شروع في بيان مبدأ خلق الانسان وتقلبه في
اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان حال بعض افراده السعداء واللام جواب قسم
والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان

في ضمن خلق آدم عم خلقاً اجمالياً حسبما تحققته في سورة الحج وغيرها او كونه مخلوقاً من سلالات
جعلت نطفاً بعد ادوار واطوار فبعيد السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه فان فعالة
اسم لما يفضل من الفعل فتارة تكون مقصودة منه كالخلاصة واخرى غير مقصودة منه كالقلامة والكناسة
والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن في قوله تعالى من طين
بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان يتعلق بسلالة
على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذي خلق
صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق ثم جعلناه اي الجنس باعتبار افراده المغايرة
لآدم عم او جعلنا نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان آدم عليه السلام
بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر او المسلول او الماء
اي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى
بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او لمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هي واحرزت
اي دماً جامداً بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء
اي القطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة اي غالبها ومعظمها او كلها
بان صلبناها وجعلناها عموداً للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة
المعهودة لحماً من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا كل عظم من تلك
العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه
على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس
وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فقط هي صورة البدن او الروح
او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رحمه الله على ان
من غصب بيضة فافرخت عنده ضمن البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتعالى
شأنه في علمه وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة
والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل من سمع ما
فصل من آثار قدرته عز وعلا او لاحظه ان يسارع الى التكلم به اجلالاً واعظاماً لشؤونه تعالى
بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست محضة
وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو اعني الخالقين خلقاً اي المقدرين تقديراً فحذف المميز

وقع حالاً منها اي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية اي تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله
فان الانبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تُنبت من الافعال وهو اما من الانبات
بمعنى النبات كما في قول زهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى اذا انبت البقل
او على تقدير تنبت زيتونها ملتبساً بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن
وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف
احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه وكونه
اداماً يصبغ فيه الخبز اي يغمس للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ
بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات
وقد بين انها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا
باحوالها على عظيم قدرة الله تعالى وسابغ رحمته ويشكروها ولا يكفروها وخص هذا الحيوان لما ان محل
العبرة فيه اظهر مما في النبات وقوله تعالى تفصيل لما فيها من وقع
العبرة ومما في بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او عن العلف
الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ تُسقيكم بالنون وبالتاء اي
تسقيكم الانعام غير ما ذكر من اصوافها
واشعارها ومنها تأكلون تنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها وعليها اي على الانعام
فان الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد
هي الابل خاصة لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر
قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن
اي في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين الفلك في ايقاع الحمل
عليها مبالغة في تحملها الحمل وهو الداعي الى تأخير ذكره من المنتفعين مع كونه من المنافع الحاصلة
منها من ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها شروع في بيان
اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم
بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيراً للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام
على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع
ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء

مضمونها اي وبالله لقد ارسلنا نوحا الى قومه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم
قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق
اي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود الا تعبدوا
الا الله وترك التقييد به للايذان بانها هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليس من
العبادة في شيء راسا وقوله تعالى استئناف مسوق لتعليل
العبادة المامور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على انه
فاعل او مبتدا خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في
العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه اي افلا تتقون ان يحل بكم عذابه الذي
يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم
وليس بذاك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع
واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اتعرفون ذلك اي مضمون قوله تعالى
ما لكم من اله غيره افلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاده
تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون
ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة ح في الكمية وفي الاول في الكيفية
وصف الملا بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم
في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اي قالوا لعوامهم اي في الجنس
والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية
وحطها عن منصب النبوة اي يريد ان يطلب الفضل عليكم
ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم ووصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه عليه الصلوة والسلام
واغراء لهم على معاداته عم وقوله تعالى بيان لعدم رسالة
البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام اي لو شاء الله تعالى
ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا
بطريق الانزال فمفعول المشية مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في
قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله

لآيات جليلة يستدل بها اولو الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار وان كنا لمبتلين
ان مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين ان النافية وضمير الشان محذوف اي وان
الشان كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات
عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر
اي من بعد اهلاكهم قرنا آخرين هم عاد حسبما روي عن ابن عباس رضه وعليه اكثر
المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح
وقيل هم ثمود جعلوا موضعا للارسال كما في قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة
ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بان من
ارسل اليهم لم ياتهم من غير مكانهم بل انما نشا فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى رسولا منهم
اي من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان في قوله تعالى مفسرة لارسلنا
لتضمنه معنى القول اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى ما لكم من اله غيره
تعليل للعبادة المامور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به اي عذابه الذي يستدعيه
ما انتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عليه السلام
حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق الذي نطق به حكاية ارسال الرسول
بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له على وجه الاجمال لا حكاية ما جرى بينه عم وبينهم
من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على السؤال كما ينبئ عنه
ما سياتي من حكاية سائر الامم اي وقال الاشراف من قومه في محل الرفع
على انه صفة للملا وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم في الكفر وتاخيره من قوله
لعطف قوله تعالى وما عطف عليه على الصلة الاولى اي كذبوا
بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث
وأترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد اي قالوا لاعقابهم مضلين
لهم اي في الصفات والاحوال وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة في
تهوين امره عم وتوهينه يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير
للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة
ما قبله عليه اي فيما ذكر من الاحوال والصفات اي ان امتثلتم باوامره

إنكم إذاً أي على تقدير الاتباع لخاسرون عقولكم ومغبونون في آرائكم
حيث أذللتم أنفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم إلى سعادة الدارين
خسراناً دون عبادة الأصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله أنى يؤفكون وإذاً وقع
بين اسم إن وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل إن الشرطية المصدرة
باللام الموطئة أي والله لئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون أيعدكم استئناف
لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بإنكار وقوع ما يدعوهم إلى الإيمان به واستبعاده أنكم
إذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت وكنتم تراباً وعظاماً
نخرة مجردة عن اللحوم والأعصاب أي كان بعض أجزائكم من اللحم ونظائره تراباً وبعضها عظاماً
وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية أو كان متقدموكم
تراباً صرفاً ومتأخروكم عظاماً وقوله تعالى أنكم تأكيد للأول لطول الفصل بينه
وبين خبره الذي هو قوله تعالى مخرجون أي من القبور أحياء كما كنتم وقيل أنكم مخرجون مبتدأ
وإذا متم خبره على معنى إخراجكم إذا متم ثم أخبر بالجملة عن أنكم وقيل رفع أنكم مخرجون بفعل
هو جزاء الشرط كأنه قيل إذا متم وقع إخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبراً عن أنكم والذي
تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الأول وقرئ أيعدكم إذا متم إلخ هيهات هيهات
تكرير لتأكيد البعد أي بعد الوقوع أو الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما في
هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لما ذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون
وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منوناً للتنكير وبالضم
منوناً على أنه جمع هيهة وغير منون تشبيهاً بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون
على لفظ الوقف وبإبدال التاء هاء إن هي إلا حياتنا الدنيا أصله إن الحياة إلا حياتنا فأقيم الضمير
مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذراً من التكرار وإشعاراً بإغنائها عن التصريح كما في
هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحياة
الدنيا الدالة على الجنس كانت إن النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى نموت ونحيا جملة مفسرة
لما ادعوه من أن الحياة هي الحياة الدنيا أي يموت بعضنا ويولد بعض إلى انقراض العصر
وما نحن بمبعوثين بعد الموت إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً أي ما هو فيما يدعيه
من إرساله وفيما يعدنا من أن الله تعالى يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما

ويلتفتون إلى جانب ولا يعوقهم التشوق لمصالح الخلق عن التبتل إلى جناب الحق وبعضها
في أسفل سافلين كأولئك الجهلة الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً وقومهما يعني
بني إسرائيل لنا عابدون أي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم قصدوا بذلك
التعريض بشأنهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير
البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل
نؤمن مؤكدة لإنكار الإيمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة
الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه
كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم وجهلهم بأن مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة
ما ذكر من النعوت العلية وإحراز الملكات السنية جبلة واكتساباً فكذبوهما أي فتموا
على تكذيبهما وأصروا واستكبروا استكباراً فكانوا من المهلكين بالغرق ببحر قلزم
ولقد آتينا أي بعد إهلاكهم وإنجاء بني إسرائيل من ملكتهم موسى الكتاب أي التوراة وحيث
كان إيتاؤه عليه السلام لإرشاد قومه إلى الحق كما هو شأن الكتب الإلهية جعلوا كأنهم أوتوه فقيل
لعلهم يهتدون أي إلى الطريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والأحكام وقيل أريد آتينا قوم موسى
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملئهم أي من آل فرعون
وملئهم ولا سبيل إلى عود الضمير إلى فرعون وقومه لظهور أن التوراة إنما نزلت بعد إغراقهم لبني إسرائيل
وأما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى
فمما لا سبيل إليه ضرورة أن ليس المراد بالقرون الأولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الأمم
المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص وجعلنا
ابن مريم وأمه آية وآية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية
أمر واحد نسب إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأنها
ولدته من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وتقديمه
عليه السلام [illegible] من أول الأمر بحيثية كونها آية فإن نسبته [illegible] ابن
النسب إلى الآباء ودلالته على أن لا أب له أي جعلنا ابن مريم وحده بأمه من غير أن يكون له أب وأمه
التي ولدته خاصة من غير مشاركة الأب آية وتقديمه لأصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن

تقديم امه في قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليها من الاحصان
والنفخ (وآويناهما الى ربوة) اي ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة
وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا على ما روي عن كعب وقيل دمشق
وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربى وقرئ بكسر الراء وضمها
ورباوة بالكسر والضم (ذات قرار) مستقر من ارض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها
وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها (ومعين) اي وماء معين ظاهر جار فعيل
من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو النفع لانه نفاع او
مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك
للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة
والتنزه بمنظره المونق (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات) حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها اثر حكاية ايواء عيسى عليه السلام
وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصائصه عم بل اباحة
الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به اي وصى كل رسول
بكل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة
الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات
وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عم وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا
وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي
رحمهم الله تعالى انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد
بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات
ما يستطاب ويستلذ من مباحات الماكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم
فالامر للترفيه (واعملوا صالحا) اي عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم (اني بما تعملون)
من الاعمال الظاهرة والباطنة (عليم) فاجازيكم عليه (وان هذه) استئناف داخل فيما خوطب
الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما امر به
كافة الرسل والامم وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد
وانتظامها بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة (امتكم) اي ملتكم وشريعتكم ايها الرسل

لنا من جنس الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة وقوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في
الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار
كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق
المسارعة كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية (وهم لها سابقون) اي اياها سابقون
واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا
وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق
او لاجلها سابقون الناس والاول هو الاولى (ولا نكلف نفسا الا وسعها) جملة مستأنفة سيقت للتحريض
على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدي الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج
عن حد الوسع والطاقة اي عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما في وسعها على
ان المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر عن
درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل
الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع
القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تعالى (ولدينا كتاب) الى آخره
تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب
والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التي يقرؤونها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى (ينطق بالحق) كقوله تعالى
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد
على ما هي عليه او اعمال السابقين والمقتصدين جميعا لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الآخرين
ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله بالحق متعلق بينطق اي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا
ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها
ويرتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى (وهم لا يظلمون) بيان لفضله تعالى وعدله
في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب او بزيادة
عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا
لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم

التي من جملتها اعمال المتصدقين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل يكتب
كل منها على مقدارها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا منها ليس بظلم
على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب اصل الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه
حتى يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب
حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكون التكليف ما في الوسع وكتب الاعمال على ما هي عليه مما يجب عليه
سبحانه حتى يعد تركها ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل
صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا اضراب عما قبله و
الضمير للكفرة لا للكل كما قبله اي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في القرآن
من ان لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤوس الاشهاد فيجزون بها كما
ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة
ولهم اعمال سيئة كثيرة من دون ذلك الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر
وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه
قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة
المذكورة وفيه انه لا مزية في وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطي للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية
عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره هم لها عاملون مستمرون عليها معتادون
فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها حتى اذا اخذنا مترفيهم اي متنعميهم وهم الذين امدهم
الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبتدأ لما بعدها من مضمون
الشرطية اي لا يزالون يعملون اعمالهم الى حيث اذا اخذنا رؤساءهم قيل هو القتل و
الاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب
والجيف والعظام المحرقة والاولاد والحق انه العذاب الاخروي اذ هو الذي يفاجؤون
عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده
جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد
بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان
وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روي انه عليه السلام

اي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه اصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه
واكثرهم للحق من حيث هو حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موقع
الاضمار كارهون لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا
الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة
الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل نسبة
الكراهة الى اكثرهم لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته
وعدم تفكره لا لكراهة للحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على
الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا ولو اتبع الحق اهواءهم استئناف مسوق لبيان ان اهواءهم
الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان ما كرهوه من الحق
الذي من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا لاهوائهم الباطلة لفسدت السموات والارض ومن فيهن
وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من
تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به عليه السلام
اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر ففيه انه لا يلائم فرض مجيئه به
وكذا ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن
الالهية مما لا احتمال له اصلا بل اتيناهم بذكرهم انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي
يقوم به العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد
بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك
اي بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال بما فعلوا ما فعلوا
النكوص فهم عن ذكرهم اي فخرهم وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك مما لا يوجب
الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء
لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من اتيانه ذكرهم لا لترتيب الاعراض
على الاتيان مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو اتيان ذكرهم
لا الاتيان مطلقا وفي اسناد الاتيان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره
عليه السلام تنويه شأن النبي صلى الله عليه وسلم وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل
وفي ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر

من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته للسلامة مخلصه
من جاريه هو الذي تقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شأنه واما التشريف
فانما يليق به تعالى لا بسائر رسول الله صلى الله عليه وسلم احد المشرفين وقيل المراد بالذكر
ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم والتذكير وذلك بانه وري كذكر
والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس في مثابة اعراضهم عن
شرفهم او عن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة انتقال من توبيخهم
بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل ام يزعمون انك تسألهم
على اداء الرسالة خرجا اي جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى فخراج ربك خير
اي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار اي لا تسألهم
ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تعليل الحكم وتشريفه عم ما لا يخفى والخرج بإزاء الدخل
يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض وقيل الخرج ما تبرعت به
والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج وفي النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ
خرجا فخرج وخراجا فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه
من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وعلا وازاح عللهم في هذه الآيات حيث حصر اقسام ما
يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم الحق وقلة فطنتهم وان الذين لا
يؤمنون بالآخرة وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا و
زعمهم ان لا حيوة الا الحيوة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي
من اقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله عن الصراط اي عن جنس الصراط لناكبون
لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول
ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط
ولو كان معوجا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدب للجوا لتمادوا
في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين يعمهون اي عامهين عن الهدى روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي

وهو يجير ولا يجار عليه اي يغيث احدا عليه اي لا يمنع احد منه بالنصر عليه
ان كنتم تعلمون اي شيئا ما او ذلك فاجيبوني على ما سبق سيقولون لله اي لله ملكوت
كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه قل فأنى تسحرون اي فمن اين تخدعون وتصرفون
عن الرشد مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك
بل اتيناهم بالحق الذي لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث وانهم لكاذبون
فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما يقوله النصارى والقائلون
ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وما كان معه من اله يشاركه في
الالوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم اذا لذهب كل اله بما خلق جواب
لمحاجتهم وجزاء لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يزعمون
لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم
التغالب والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض ولم يكن
بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد
جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات سبحان الله عما يصفون
اي يصفونه من ان يكون له انداد واولاد عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من
الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وايا ما كان فهو دليل اخر
على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى
فتعالى عما يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك
قل رب اما تريني اي ان كان لا بد من ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوي المستأصل
واما العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين
اي قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب
وكونه بحيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد للانكار عليهم اياه و
استعجالهم على طريقة الاستهزاء به وقيل اخبر به عم سبحانه وقيل لأن شؤم الكفرة قد
تحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروي
انه تعالى اخبر نبيه عم بان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء و
تكرار النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك

ما نعدهم من العذاب لقادرون ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون اولانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يحسن بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا مستأصلا لا يظهر على يديه عم لمكان الداعي اليه

وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضع للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له عليه السلام الى تفويض امره الى الله تعالى اي

وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الاسراع او الوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه

واعوذ بك رب ان يحضرون امر عليه السلام بان يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء اي اعوذ بك من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس او حال حلول الاجل كما روي عن عكرمة لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها

حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وفيما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشيطان ان يزله عليه السلام عن الحلم ويغريه على الانتقام لكن لا بمعنى انه العامل فيه لفظا والمعنى على انه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظا ومعنى اي يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اي احد كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له احوال الآخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة رب ارجعون اي ردني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك في نظائره

بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن اي الله عز وجل او الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيها من الدنيا بعد التنبيه على استحالة بقوله اخسؤوا فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك التي تدعون ان ترجعوا اليها تمييز لكم

استقصار المدة لبثهم فيها فاسأل العادين اي المتمكنين من العد فانا بما دهانا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم ايضا يقولون مانقول كأنهم الاتباع يستمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم قال اي الله تعالى او الملك وقرئ قل كما سبق تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون اي تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعلمتم بموجبه ولم تخلدوا اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة اي عابثين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث

عطف على انما اي فحسبتم انكم لا ترجعون لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة الذي يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدأ واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته فان كل ما عداه عبيده فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات الكائنات ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم والخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا صفة لازمة لاله كقوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على

ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه او اعتراض
بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله مثيبه
فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له على قدر ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اى ان الشان
وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح
هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى
حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح
عن الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام بقوله وقل رب
اغفر وارحم وانت خير الراحمين ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به
من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت
وعنه عم انه قال لقد انزلت على عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى
ختم العشر وروى ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها نجا وافلح

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدأ محذوف اى هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق
ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله انزلناها مع ما عطف عليه
صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات
واما كونها مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها
فيأباه ان مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لا ان في جملة ما اوحى الى النبي عم
سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة
ليست على تلك الصفات وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب
او على تقدير اقرأ ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزلناها النصب على
الوصفية وفرضناها اى اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الابداع

ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه مؤنة
بيان تأخر نزول الآية عن قوله تعالى واستشهدوا عليهن اربعة والا بعدم وجوب الحد
بالرمي بغير الزنا على ان فيه شبه المصادرة كانه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات
عما يرمين به من الزنا ثم لم يأتوا باربعة شهداء يشهدون عليهن بما رموهن به
وفي كلمة ثم اشعار بجواز تأخير الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز
عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لابد منه عند الاداء خلافا للشافعي
فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج
المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة لظهور كذبهم
وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك
عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز
وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا كذلك لخصوص الواقعة وشيوع
الرمي فيهن ولا تقبلوا لهم شهادة عطف على اجلدوا وداخل في حكمه تتمة له لما فيه
من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب
باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت
عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم
الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود
في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة من اهليته السابقة بل من اهلية
حدثت له بعد اسلامه فلا ينالها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعبأون
بسب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان
ذلك بمعزل من الاعتبار تعليل في مقابلة النص ... فالمعنى لا تقبلوا منهم
شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي ابدا اى مدة حياتهم وان تابوا
واصلحوا الا عرفت من انه تتمة للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم اى فاجمعوا لهم
الجلد والرد فيبقى كاصله واولئك هم الفاسقون كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين
لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر
والفساد اى اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه

كأنهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى إلا الذين
تابوا استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب لانه
عن موجب وقوله تعالى من بعد ذلك لتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك
الذنب العظيم الهائل واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي
والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف
تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كأنه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم
الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة
وقد علق الشافعي رحمه الله الاستثناء بالنهي فمحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير في
لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها والذين
يرمون ازواجهم بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا
بأن يكون هذا مخصصا للمخصصات بالاجنبيات ليلزم تعارض الآيات لانه قطعية فلا يثبت بها
الحد فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول بل بكونه ناسخا للعموم
ضرورة تراخي نزولها كما سيأتي فبقي الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ
لما بين في موضعه ان دليل النسخ غير معلل يشهدون بما رموهن به
من الزنا وقرئ بتأنيث الفعل إلا انفسهم بدل من شهداء او صفة لها على ان إلا
بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في
سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله تعالى فشهادة
احدهم اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى خبره اي فشهادتهم
المشروعة اربع شهادات متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ اربع
شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على انها خبر لمبتدأ محذوف اي فالواجب
شهادة احدهم واما مبتدأ محذوف الخبر اي فشهادة احدهم واجبة انه لمن الصادقين
اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها تأكيدا
اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن
وافرادها عنهن مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد
بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهي مبتدأ خبره ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين

وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هبط عليهم فخاض الناس في
حديثي فهلك من هلك وقوله تعالى عصبة منكم خبر ان اي جماعة وهي من العشرة
الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى
استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم من
اول الامر والضمير للافك لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور
كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم
وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم
اي من اولئك العصبة بقدر ما خاض فيه
اي عظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه منهم من العصبة وهو ابن ابي
فانه بدأ به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح
فانهما شاياه بالتصريح به فافراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج او الفريق او نحوهما له
عذاب عظيم اي في الآخرة او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم
وصار ابن ابي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح
مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم
من تهويل الخطب ما لا يخفى تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم
العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى
لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة
بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما
ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم
عن اساءته بانفسهم اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء
تقتلون انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح
والشنع والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضين ان كان
المراد بالايمان الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان

اذ انما يظهره المنافقون ايضا فاجابه له من حيث انهم كانوا يخبرون عن الطهارة
ما بيانه مدعاهم فالتوبيخ ح متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص
التخصيص باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك
الان والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به رأسا في غاية ما يكون من القباحة وانشاء
اي كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة
من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا **وقالوا** في ذلك الآن **هذا
افك مبين** اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق ام المؤمنين
حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما من تمام القول
المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب
ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة
شهداء يشهدون على ما قالوا **فاذ لم يأتوا** بهم وانما قيل **بالشهداء** لزيادة التقرير
اشارة الى التحضيض وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم في الفساد وبعد
منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون اي في حكمه وشرعه المؤسس على
الدلائل الظاهرة المتقنة الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون
لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما الكلام مسوق
من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا
خطاب للسامعين والمسمعين جميعا من فنون النعم التي
من جملتها الامهال للتوبة من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة
لمسكم عاجلا **فيما افضتم فيه** بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل
امره والاستهجان بذكره يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى
مستحقون التوبيخ والجلد **اذ تلقونه** بحذف احدى التائين ظرف للمس اي
لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين والتلقي والتلقف
والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ
بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه
وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه

لكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على ان عذاب من يباشرها الاشاعة ويتولاها
اشد واعظم ولكون الاعراض التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون تقريرا
لثبوت العذاب العظيم لهم وتعليلا له تكرير
المنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة **وان الله رؤف رحيم** عطف
على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية
للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد بيان اتصافه
تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة فيها على الدوام
والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما انه المراد بالمعطوف عليه
وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه
اي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تأتون وما تذرون من الافاعيل
التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها ايضا
ومن يتبع خطوات الشيطان وضع الظاهران موضع ضميرهما حيث لم يقل ومن يتبعها او ومن
يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير
علة للجزاء وصف موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دأبه المستمر
ان يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشاء ما افرط قبحه كالفاحشة و
المنكر ما ينكره الشرع وضميرانه للشيطان وقيل للشان على رأي من لا يوجب عود الضمير من الجملة
الجزائية الى اسم الشرط او على ان الاصل يأمره وقيل هو عائد الى من اي فان ذلك
المتبع يأمر الناس بهما لان شان الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال
والفساد الى رتبة الاضلال والافساد بما من جملته
ما بينت ابياتها والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود والمكفرة لها **ما زكا**
اي ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد اي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى
بيانية وفي قوله تعالى **من احد** زائدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى وفي
محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية لا الى نهاية
من يشاء من عباده بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم
مبالغ في سمع الاقوال التي من جملتها ما اظهروه من التوبة بجميع المعلومات

النى من جلتها نباتهم وفيه حث لهم على الاخلاص فى توبة واظهار الاسم الجليل للايذان
باستدعا الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعراض التذييلى
اى لا يحلف افتعال من الالية وقيل لا يقصر من الالو والاول هو الاظهر لنزوله
فى شان الصديق رضى الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه
لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرا ولا يتال اولوا
الفضل منكم فى الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضى الله تعالى عنه
فى المال اى على ان لا يؤتوا او قرئ بتاء الخطاب على الالتفات
صفات لموصوف واحد جئ بها بطريق
العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت هى
مقامها وحذف المفعول الثانى لغاية ظهوره اى على ان لا يؤتيهم شيئا ما فرط منهم
بالاغضاء عنه وقد قرئ الاخيران بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى
الا تحبون ان يغفر الله لكم اى بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم
مبالغ فى المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المواخذة وكثرة
ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم فى العفو ووعد كريم بمقابلته
كانه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روى انه صلى الله عليه وسلم قراها
على ابى بكر رضى الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح نفقته وقال والله
لا انزعها ابدا ان الذين يرمون المحصنات اى العفائف مما رمين به من الفاحشة
الغافلات عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شئ منها ولا من مقدماتها
اصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس فى المحصنات والسليمات الصدور
النقيات القلوب عن كل سوء المؤمنات اى المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به
من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تاخير المؤمنات
عما قبلها مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفى المعرب
عما ذكر لا المعنى الاسمى المصحح لاطلاق الاسم فى الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها
عائشة الصديقة رضى الله تعالى عنها والجمع باعتبار ان رميها رمى لسائر امهات المؤمنين
لاشتراك الكل فى العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

مما يقوله اهل الافك فى حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين
من الرجال والنساء اى مختصة ولائقة بهم لا ينبغى ان تقال فى حق غيرهم وكذا الخبيثون
من الفريقين احقاء بان يقال فى حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من
الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال فى شانهم طيبات الكلم اولئك
الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون فى حقهم فمآله تنزيه الصديقة ايضا وقيل
خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقى الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون
من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من
الفريقين اى مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات
الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث
اى لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم لهم مغفرة
عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب هو الجنة
اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمى العفائف عنه
شرع فى تفصيل الزواجر عما عسى يؤدى الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم
عليهن فى اوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين
ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التى هى سكنى كل احد فى ملكه والا فالآجر
والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء
حتى تستانسوا اى تستاذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام
من آنس الشئ اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يؤذن له او من الاستيناس
الذى هو خلاف الاستيحاش لان المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استانس
عند الاستيذان روى ان النبى صلى الله عليه وسلم ان التسليم
ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع اى الاستيذان
مع التسليم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم
اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما اصاب
الرجل مع امراته فى لحاف وروى ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم استاذن على امى
قال نعم قال ليس لها خادم غيرى استاذن عليها كلما دخلت قال عليه السلام اتحب ان تراها عريانة

قال لما قال عليه السلام فاستأذن متعلق بمضمر اي حرم عليكم
او قيل لكم هذا كي تذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه **فان لم تجدوا فيها احدا** اي من
يملك الاذن على ان ما لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه او احدا اصلا
على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على
ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه
النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلان
يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع على العورات اولى **فلا تدخلوها**
واصبروا **حتى يؤذن لكم** اي من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره
بقوله حتى يأتي من يأذن لكم او حتى تجدوا من يأذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض
الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب
مطلقا بل في تكرار الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى
اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان
الامر ممن يملك الاذن او لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرار الاستيذان كما في الوجه الاول
ولا تلحوا بالاصرار على الانتظار الى ان يأتي الاذن كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة
في قلوب الناس ويقدح في المروة اي قدح اي الرجوع اي اطهر مما لا يخلو عنه
اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة **والله بما تعملون**
عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه
اي بغير استيذان **بيوتا غير مسكونة** اي غير موضوعة لسكنى طائفة
مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذها مسكنا
كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه
قوله تعالى **فيها متاع لكم** فانه صفة للبيوت او استيناف جار مجرى التعليل
لعدم الجناح اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال
والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا بأس
بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام
الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم ويروى ان ابا بكر رضـ

في تكرير الخطاب بقوله تعالى **ايها المؤمنون** تأكيد للايجاب وايذان بان وصف
الايمان موجب للامتثال حتما وتوفية للمؤمنين تفوزون
بذلك بسعادة الدارين **وانكحوا الايامى منكم** بعد ما زجر تعالى عن السفاح ومبادئه القريبة والبعيدة
امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع
خير مزجرة عن ذلك وايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال
والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال فان تنكحي انكح وان تتايمي
وان كنت افتى منكم اتايم اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر
على ان الخطاب للاولياء والسادات
واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا
بان يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا
وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح
في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات
المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم
اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة او آجلة
وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه **ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**
ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب
او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح
يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله عليه السلام
اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء
الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح
واسبابها الى ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اي ليجتهد في
العفة وقمع الشهوة اي اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به
من المال **حتى يغنيهم الله من فضله** عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف بهم في استعفافهم

وتقوية لقلوبهم وإيذان بأن فضله تعالى أولى بالإعتاق وأدنى من الفضل

﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ بعد ما أمر بإنكاح صالحي المماليك الأحقاء بالإنكاح أمر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة أي الذين يطلبون المكاتبة ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ عبدا كان أو أمة وهي أن يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه إلي وتعتق ويقول المملوك قبلت أو نحو ذلك فإن أداه إليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق عنده والتحقيق أن المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالإيجاب والقبول ولا ريب في أن ذلك لا يصدر حقيقة إلا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة إلا الإتيان بأحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به إلا أن كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه إلا منوطا بتحقق الآخر ضرورة أن التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله إلا بالتزام البدل من طرف العبد كما أن عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه إلا بتملكه به من جانب المشتري لم يكن بد من تضمين أحدهما الآخر وتوقفه عليه فكما أن قول البائع بعت إنشاء لعقد البيع على معنى أنه إيقاع لما يتم من قبله أصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا إيقاعا متوقفا على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا إنشاء لعقد الكتابة أي إيقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل أصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا إيقاعا متوقفا على قبوله فإذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره ﴿فكاتبوهم﴾ والفاء لتضمنه معنى الشرط أو النصب على أنه مفعول لمضمر يفسره هذا والأمر فيه للندب لأن الكتابة عقد يتضمن الإرفاق فلا تجب كغيرها وتجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي لا تجوز إلا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه ﴿إن علمتم فيهم خيرا﴾ أي أمانة ورشدا وقدرة على أداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق وإطلاق العنان ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾

المغفرة والرحمة قيام العذر في حقهن فلا حال من يكرههن في استحقاق العقاب ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شئونها المستوجبة للإقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لإبراز كمال العناية بشأنه أي وبالله لقد أنزلنا إليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادي بيانها على أن إسناد التبيين إليها مجازي أو آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على أن مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة المفعول أي التي بينت وأوضحت في هذه السورة في معاني الأحكام والحدود وقد جوز أن يكون الأصل مبينا فيها الأحكام فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾ عطف على آيات أي وأنزلنا مثلا كائنا من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على ألسنة الأنبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضي الله تعالى عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الأمثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات ﴿وموعظة﴾ تتعظون بها وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب وهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات الواردة في شأن الآداب وإنما قيل ﴿للمتقين﴾ مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الإنزال لقوله تعالى أنزلنا إليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان أنهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من أنوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والأمثال والمواعظ فقوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾ إلى آخره حينئذ استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الإشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه وأما على الأول فلتحقيق أن بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد في السورة الكريمة بل ع

شاملا لكل ما يحتاج بيانه من الاحكام والشرايع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا
والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها
حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور
تنبيها على قوة التنوير وشدة التاثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر
باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات
والارض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من
الامور التي لها مدخل في ارشاد الناس بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يتعلق
ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسماني الذي لا مظهر
للنور الحسي سواه او على شمول البيان لاحوالها واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من
امر الا وقد بين من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان
كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان باهلها
كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون
وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى اياهما من العدم
الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفاء او على تزيين
السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنهما من الانوار وبالملائكة عليهم السلام
وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات والاشجار
او على تدبيره تعالى لامورهما وامور ما فيهما فمما لا يلايم المقام ولا يساعده حسن النظام
مثل نوره اي نوره الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين
كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا في
قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضه والحسن وزيد بن اسلم رحمهم الله
وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل ياباه مقام
بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر
في مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شأن القرآن الكريم واما الحق فالمعتبر في
مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة اي صفة نوره العجيبة
كمشكاة اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير

تضاعف عادة فان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له
واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع
فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك
الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة
اخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشان التنزيل الجليل
يهدي الله لنوره اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف
العظيم الشان واظهاره في مقام الاضمار لزيادة تقرره وتاكيد فخامته الذاتية بفخامة الاضافية
الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل من يشاء هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه
من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات
الايمان به وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وان تظاهر الاسباب
بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب ويضرب الله الامثال للناس في تضاعيف الهداية
حسبما تقتضي حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة
المحسوس وتصوير لاوابد المعاني بصورة المانوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين
بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال المسند اليه
تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق
الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا
ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس
دون من عداهم لمخالفته الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هدايته العامة
على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
واظهار الاسم الجليل لتاكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف
حال المحكوم به ذاتا وتعلقا في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرايع والاحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من
الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونه في
غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشير
الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت

مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الرجال وتصوير بعض
اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاستنارة وعدمه والمراد بالبيوت المساجد
كلها جميعا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هي المساجد التي بناها نبي
من انبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابرهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس
الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة
لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه
من قبيل العطف التفسيري وانما كان في التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق
بحال المأمور ان يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه كانه مستأذن
في ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى
وذكر في متعلقه بقوله تعالى وقوله تعالى تكرير لها للتأكيد والتذكير لما بينهما
من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط
واصل التسبيح التنزيه والتقديس يستعمل باللام وبدونها ايضا كما في قوله تعالى سبح
اسم ربك الاعلى والمراد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى
اي بالغدوات والعشايا على ان الغدو اما جمع غداة كقني جمع قناة
كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل
وهو العشي وهو شامل لاوقات ما عدا صلوة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد
نفس التنزيه على انه عبارة عما يقع منه في اثناء الصلوات واوقاتها لزيادة شرفه
وانافته على سائر افراده او عما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما
مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة
للاعمال والاشتغال بالاشتغال وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل
وقوله تعالى فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ
يسبح على البناء للمفعول باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية
الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل

كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى
الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا
بربهم اعمالهم كرماد الاية كسراب وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت
الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب
اي كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ
بقيعات بتاء ممدودة كديمات اما على انها جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت
فتحة العين فتولد منها الف يحسبه الظمآن ماء صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان
بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه
بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع والمقطع المؤيس حتى اذا جاءه
اي اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه لم يجده اي ما حسبه ماء وعلق به رجاءه
شيئا اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم
بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى
بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم
ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شان الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك
من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه
بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه
الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في
الآخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيئا كانه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيمة اعمالهم التي
كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا ووجد الله اي حكمه وقضاءه عند
المجيء وقيل عند العمل فوفاه اي اعطاهم وافيا كاملا حسابه اي حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها
فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضمير
الراجع الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد
منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان
قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات

عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون
عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب
مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية
يغتر بها المغترون بظلمات كائنة في بحر لجي اي عميق كثير الماء منسوب الى اللج
وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه يغشاه صفة اخرى للبحر اي
يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع
على انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف
والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور اي يغشاه امواج متراكمة بعضها على بعض
وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة لموج الثاني على احد الوجهين المذكورين اي من فوق ذلك الموج
سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كانها بلغت
السحاب ظلمات خبر مبتدا محذوف اي هي ظلمات بعضها فوق بعض اي متكاثفة
متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لقوة النور
لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده
وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها اذا اخرج اي من ابتلي
بها واضماره من غير ذكر لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة
من عينه لينظر اليها لم يكد يراها وهي اقرب شيء منه فضلا عن ان يراها
ومن لم يجعل الله له نورا اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة
كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة
بما في حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم اي ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره
الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به فما له من نور
فما له هداية ما من احد اصلا وقوله تعالى الم تر استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
للايذان بانه تعالى قد افاض عليه عليه السلام اعلى مراتب النور واجلاها وبين له من اسرار الملك
والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اي قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة في القوة
والرصانة بالوحي الصحيح والاستدلال الصحيح ان الله يسبح له اي ينزهه تعالى
على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشانه الجليل من نقص او خلل من في السموات والارض

وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها اظهر وجودا واقرب حملا
على التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون اي ما يفعلونه اعتراض مقرر
لمضمون ما قبله وما على الوجه الاول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات
من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى
الثاني اما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معا او عن تسبيح الطير فقط فالفعل على
حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط
وعلى الاولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل ان الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل
وفي صلوته وتسبيحه لكل اي قد علم الله تعالى صلوة كل واحد مما في السموات والارض
وتسبيحه فالاعتراض ح مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على ان يكون ما عبارة عما
تعلق به علمه تعالى من صلوته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له وافعاله الصادرة عنه
وهما داخلان فيها دخولا اوليا ولله ملك السموات والارض لا لغيره لانه الخالق
لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما الكل
بدءا واعادة وقوله تعالى والى الله اي اليه تعالى خاصة لا الى غيره المصير اي رجوع
بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى
في المبدا واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم
الم تر ان الله يزجي سحابا الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في
سوق شيء يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى ان السحاب
بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه بضم بعضها الى بعض
وقرئ يولف بغير همز ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى
الودق اي المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله اي من فتوقه حال
من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه
من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر
فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال جمع جبل وقيل
مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فان كل ما
علاك سماء من جبال اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة فيها وقوله تعالى

مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد اي مشبهة بالجبال في الكثرة واياما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان في الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح **فيصيب به** اي بما ينزل من البرد **من يشاء** اي يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله **ويصرفه عن من يشاء** اي يصرفه عنه فينجو من غائلته **يكاد سنا برقه** اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء على انه جمع برقة وهي مقدار من البرق كالغرفة وبضمهما للاتباع بضمة الباء **يذهب بالابصار** اي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفي اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تأثيره فيها كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء **يقلب الله الليل والنهار** بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه **ان في ذلك** اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته **لعبرة** لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته

ومتشابهه متأملا فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظم الجليل **انما كان قول المؤمنين** بالنصب على انه خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بان اذ لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اخرجت عنه الاضافة لكن قراءة الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى لمقتضى المقام لان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذن هو احق بالخبرية واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية بحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين **اذا دعوا الى الله ورسوله** اي الرسول عليه السلام **ليحكم بينهم** اي وبين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم **ان يقولوا سمعنا واطعنا** اي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا اخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين اي انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه من جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ما هو بخلافها في معرض القصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره مجازا على انه اذا دعوا اي ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم **واولئك** اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجليل **هم المفلحون** اي هم الفائزون بكل مطلب والناجون عن كل محذور **ومن يطع الله ورسوله** استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم اي ومن يطعهما كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن والاول هو الانسب بالمقام **ويتقه** باسكان القاف المبني على تشبيهه بكتف وقرئ

بكسر القاف والطاء وباسكان الطاء اي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه
فيما يستقبل فاولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء هم الفائزون
بالنعيم المقيم لا من عداهم حكاية لبعض آخر من اكاذيبهم مؤكدة بالايمان
الفاجرة وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب على انه مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز
النصب على انه حال من فاعل اقسموا اي اقسموا به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين
بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اي
جاهدين بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لاقسموا
اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن امرتهم
اي بالخروج الى الغزو لا عن ديارهم واموالهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا
بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى جواب لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم
وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر عليه السلام بردها حيث قيل قل
ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين لا تقسموا
اي على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى خبر مبتدا محذوف
والجملة تعليل للنهي اي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة
باللسان فقط من غير مواطاة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك
مشهور معروف لكل احد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على
الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدا او خبر او فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة
معروفة حقيقية لا نفاقية او طاعة معروفة امثل او لتكن طاعة معروفة او اطيعوا طاعة
معروفة مما لا يساعده المقام من الاعمال الظاهرة والباطنة التي
من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم من
الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة
تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدارشهرة امرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى
بذلك ووعيد لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي منها نفاقهم
كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما

بانهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كانه قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها
استخلافا اي استخلافا كائنا كاستخلافه من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما
ارسل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى فاتبعه الله نباتا حسنا على احد الوجهين
اي فنبت نباتا حسنا وعليه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع
من المال الا مسحت او مجلف اي فلم يبق الا مسحت الخ وليمكنن لهم دينهم
عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتاخيره عنه مع كونه اجل الرغائب
الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها
في الاستمالة ادخل وتمكين الدين ثبيتا ... وتقريره بحيث يستمرون على العمل باحكامه
ويرجعون اليه في كل ما ياتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء
مكانا لآخر يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض
ونظائره وكلمة في للايذان بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين
ورصانة احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات
والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين
على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم
في قبوله عند وروده ولان في توسيطها بينه وبين وصفه اعني قوله تعالى الذي ارتضى
لهم وتاخيره عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين
الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تاليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه
بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال اي من الاعداء
حيث كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا
الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما ياتي
علينا يوم نامن فيه فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في
الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية وانجز وعده واظهرهم
على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم
وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى
وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الموصول

الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان المقتضي
للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد يعبدونني لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي
يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا ومن كفر اي اتصف بالكفر بان ثبت
واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترهيب والترغيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل
التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل من كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة
والاول هو الانسب بالمقام بعد ذلك اي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب
العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها فاولئك البعداء
عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال هم الفاسقون الكاملون في الفسق و
الخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب
من التولي بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه
تهتدوا الخ ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه
من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر
فكانه قيل فآمنوا واعملوا صالحا واقيموا او فلا تكفروا واقيموا وعطفه على اطيعوا الله
مما لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا الرسول امرهم الله سبحانه بالذات بما امرهم به بواسطة
الرسول عليه السلام من طاعته التي هي طاعة الله تعالى في الحقيقة تاكيدا للامر السابق وتقريرا
لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية ايضا
اي واطيعوه في كل ما يامركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين
بالصلوة والزكوة على ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع اي واطيعوه في سائر ما يامركم به
وقوله تعالى لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع
الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلثة اي افعلوا ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة
راجين ان ترحموا لا تحسبن الذين كفروا لما بين حال من اطاعه عليه السلام
واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من
عصاه ومآل امره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلا للترغيب
والترهيب والخطاب اما لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول صلى الله عليه وسلم

صفة اخرى لثلث عورات واما على القراءة الثانية فهي مستأنفة لا غير اذ لو جعلت صفة
لثلث عورات وهي بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء في ثلث عورات
لا اثم في ترك الاستيذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما لا يخفى على السامع الا
بهذا الكلام لم يتسع ابرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم
ح معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استيناف ببيان
العذر المرخص في ترك الاستيذان وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل
على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وبين غيرها بكونها عورات بعضكم
على بعض اي بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك
اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شانه
[illegible] والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اي مثل ذلك التبيين
يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام اي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها
لا انه تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع انه مؤد الى
تخصيص الآيات بما ذكر ههنا والله عليم مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم حكيم
في جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
لما بين فيما مر انفا حكم الاطفال في انه لا جناح في ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات
الثلثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا
كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اي اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب
فليستأذنوا اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استأذن الذين من قبلهم في حيز
النصب على انه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم لا باعتبار بلوغهم
قبل بلوغهم كما قيل لان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان هؤلاء وزيادة ايضاحه
ولا يتسنى ذلك الا بالتشبيه باستيذان المعهودين عند السامع ولا ريب في ان بلوغهم
قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك في الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم

ذكرهم قبل ذكرهم اي فليستأذنوا الاستئذان كاستئذان المذكورين قبلهم بان
يستأذنوا في جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف
كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذي سبق والتكرير
للتأكيد والمبالغة في الامر بالاستئذان واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من
النساء اي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن فيه
فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء
فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او للوصف بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات
لزينة مما امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما
من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها
كله الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن بترك الوضع
خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ في سمع جميع ما يسمع فيسمع
ما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى
ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج كانت
هؤلاء الطوائف يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم اياهم وخوفا من
تأذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين اكيله وهو لا يشعر به
والاعرج يتفسح في مجلسه فيأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة
تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب
بهم الى بيوت ابائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة
فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون لذلك
وكذا كانوا يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء
الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان يأكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون
اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل في بيوت غيرهم فقيل
لهم ليس على الطوائف المعدودة ولا على انفسكم اي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال
من المؤمنين حرج ان تأكلوا اي تأكلوا انتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا
يأباه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوائف حتما من بيوتكم اي البيوت

هم المستأذنون فاذا استأذنوك لبعض شأنهم اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم
فأذن لمن شئت منهم لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله فان الاستئذان
وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم امر الدنيا على امر الآخرة ان الله غفور مبالغ في
مغفرة فرطات العباد رحيم مبالغ في افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعود
في ضمن الامر بالاستغفار لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم استئناف
مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشأنه اي لا تجعلوا دعوته عليه السلام
اياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا اي لا تقيسوا دعاءه عليه السلام اياكم على دعاء
بعضكم بعضا في حال من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه
بغير استئذان فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عليه السلام ربه كدعاء صغيركم
كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل ولا يلائمه
حينئذ ما قبله اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه عليه السلام مما يوجب امتثالهم باوامره عليه السلام
ومتابعتهم له في الورود والصدور اكمل ايجاب واما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض
لسخطه عليه السلام المؤدي الى ما يوجب هلاكهم من دعائه عليه السلام عليهم واما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام
كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل
يا رسول الله يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام
كما لا يناسبه قوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم الآية وعيد للمخالفين امره عليه السلام فيما ذكر
من الجمع المتوسط بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية
وقد للتحقيق كما ان رب التي تفيد التكثير حسبما ذكر في مطلع سورة الحجر اي يعلم الله الذين يخرجون
من الجماعة قليلا قليلا على خفية لواذا اي ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او
بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه من اتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير
يتسللون اي ملاوذين او على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي يلوذون
لواذا والفاء في قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره لترتيب الحذر او الامر به على ما قبلها
من علمه تعالى باحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة اي يخالفون امره ويتركون مقتضاه ويذهبون
سمتا خلاف سمته وعن لما تضمنه معنى الاعراض وحمله على معنى يصدون عن امره
دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف

والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الامر حقيقة او للرسول صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر
ان تصيبهم فتنة اي محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي في الاخرة وكلمة او
لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على
ان الامر للايجاب فان ترتيب العذاب على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب
وجوب الامتثال به حتما الا ان لله ما في السموات والارض من الموجودات باسرها خلقا وملكا
وتصرفا ايجادا واعداما بدءا واعادة قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع
التي من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق ويوم يرجعون اليه عطف على ما انتم
عليه اي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى
بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقرره لان العلم بوقت وقوع الشيء
مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه واكده وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور
بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات
وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل فينبئهم بما عملوا من الاعمال السيئة التي من جملتها مخالفة
الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في
قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الاية والله بكل شيء عليم لا يعزب عنه مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي تمت سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت
او معنوية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول
وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها
تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على
اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور

وتقديرا ابدع تقدير الهة لا يخلقون شيئا اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء
اصلا وهم يخلقون كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على ان يخلقوا شيئا
وهم يخلقون حيث يخلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى
ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين
العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون
على التصرف في ضر ما ليدفعوه عن انفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون
شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم في نفسه اول مراتب النفع
واقدمها والتنصيص على قوله تعالى ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اي لا يقدرون
على التصرف في شيء منها باماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو اهون
من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على
التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان
بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن الهتهم من الامور المذكورة
مفتقرون الى التصريح بذلك وقال الذين كفروا شروع في حكاية اباطيلهم
المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول عبارة عن غلاتهم في الكفر
والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم
وروي عن الكلبي ومقاتل ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة الباقين له
في ذلك وانما عبر عنهم بذلك لوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والايذان
بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اي ما هذا الا كذب مصروف
عن وجهه افتراه يريدون انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانه عليه اي على
اختلاقه قوم آخرون يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنها
بعبارته وقيل جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل
وقيل هو عابس وقد مر تفصيله في سورة النحل فقد جاءوا ظلما منصوب
بجاءوا فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته او بنزع الخافض اي
بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاءوا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث
جعلوا الحق البحت الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى

من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس
والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على
الحكم الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث
لا تناله عقول البشر ولا تفي بفهمه القوى والقدر وزورا اى كذبا كبيرا لا يبلغ غايته
حيث نسبوا اليه عليه السلام ما هو برئ منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انهما
امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الآخر او يحصل بسببه بل على ان الثاني هو
عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد تحقق ذلك المعنى فان
ما جاؤه من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايرا له في المفهوم واظهر منه
بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره وقالوا اساطير
الاولين بعد ما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا على زعمهم
كيفية الاعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهو ما سطره المتقدمون
من الخرافات اكتتبها اى كتبها لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها وهي على البناء
للمفعول لانه عليه السلام امي واصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير
فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه
وبني الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه فهي تملى عليه اى تلقى عليه تلك الاساطير
بعد اكتتابها او استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه عليه السلام كاسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب
اليه عليه السلام بكرة واصيلا اى دائما او خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون
الى مساكنهم انظر الى هذه الرتبة من الجراءة العظيمة فانهم انى يؤفكون قل لهم ردا عليهم
وتحقيقا للحق انزله الذي يعلم السر في السموات والارض وصفه تعالى باحاطة علمه
بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطواء ما انزله على اسرار مطوية عن عقول
البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى
اى ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث
الملفقة واساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء
من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الافهام
حيث اعجزكم بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة

اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية جناياتهم
الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى واعتدنا
لمن كذب بالساعة سعيرا اى اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شانها كيت وكيت
بسبب تكذيبهم بها على ما تشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل من كذب بها كائنا من كان
وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع
ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاءت به
الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اشير الى سببية
تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث
كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراءتهم على التكذيب بها
وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب من القول السابق
وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات
في الآخرة مسوق لبيان ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يحلي بطائل على طريقة قول من قال
عوجوا النعم نحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى واحجار والمعنى انهم
لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في
الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة
ليس الا بالمال وجعلوا خلوك عنه ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى اذا رأتهم الخ صفة للسعير
اى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اى لا تتقاربان
بحيث تكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز كان بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها
لا اليهم للايذان بان التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا
وما قوله تعالى من مكان بعيد اشارة بان بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج
عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي و
السدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا
اى صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه
هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حياة فترى
وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا

نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل صفة له **ضيقا** صفة لمكانا
مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة وهو السر في وصف
الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن عمر رض تضيق جهنم
عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي
بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم
اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء **مقرنين**
حال من مفعول القوا اي اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت
ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطانه
وفي ارجلهم الاصفاد **دعوا هنالك** اي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة
ثبورا اي يتمنون هلاكا وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك واوانك **لا تدعوا اليوم**
ثبورا واحدا على تقدير قول اما منصوب على انه حال من فاعل دعوا اي دعوه مقولا لهم
ذلك حقيقة بان تخاطبهم الملائكة لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون الى ما يدعونه
ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك
من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب اي دعوه حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك
واما مستانف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا يكون عند دعائهم
المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا مما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم
الملجئ لهم الى استدعاء الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد
وادعوا ثبورا كثيرا اي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته
في نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية
الكثيرة صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا
وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب
لتكرار الدعاء في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء
وتجدده لتعدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل
من ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب
انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها

وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام **ولكن متعتهم وآباءهم**
استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعي عليهم
سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة اي ما اضللناهم ولكنك متعتهم
وآباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها
حتى نسوا الذكر اي غفلوا عن ذكرك او عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك
فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية **وكانوا** اي في قضائك
المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة
قوما بورا هالكين على ان بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه
الواحد والجمع او جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى
فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب
وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على
تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون ايها الكفرة
بما تقولون اي في قولكم انهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا والباء ان كذبهم
في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذي
يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم آلهتهم وناصروهم واياما كان فالباء بمعنى في او مع صلة
للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اي كذبوكم بقولهم
سبحانك الآية **فما تستطيعون** اي ما تملكون **صرفا** اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه
كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في اموره
اي يحتال فيها وقيل توبة **ولا نصرا** اي فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة
غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه
لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب
وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اي ما يستطيع آلهتكم
ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتيب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه
ومن يظلم منكم ايها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد
واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد

عذابا كبيرا لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا

وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق

جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير الا وانهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبذلك فسر قوله تعالى لبعض رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول فتنة اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كأنه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا وانما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى اتصبرون فانه غاية للجعل المذكور ومن البين ان ليس ابتلاء كل احد من آحاد الناس منوطا بالصبر بل بما يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما وقع في مقابلته يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بأممهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد كريم للرسول عليه السلام بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلام بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم

وقال الذين لا يرجون لقاءنا

شروع في حكاية بعض احوالهم

ونعمد الى ما تحت ايديهم فابطلنا عليها بالافساد والتحريق وفرقناها كل ممزق بحيث لم يبق لها عين ولا اثر اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا اشتغال تشبيه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته تشبيه اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون يومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا خير مستقرا المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير الآية هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت احدى التائين كما في تلظى وقرئ بادغام التاء في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل ونزل الملائكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق سماء سماء وينزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة وتنزل وننزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل

الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة ومعنى

ظاهراً وباطناً بحيث لا زوال له أصلاً ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون لغيره أيضاً تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق أو بمحذوف على التبيين أو بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر وأياً ما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف أي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان أحواله وأهواله وإيراده تعالى بعنوان الرحمانية للإيذان بأن اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم والمعنى أن الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله المبالغ في الرحمة لعباده يوماً على الكافرين عسيراً شديداً لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل وأما للمؤمنين فيكون يسيراً بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها والمراد بالظالم إما عقبة بن أبي معيط على ما قيل أنه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه عليه السلام يوماً إلى ضيافته فأبى عليه السلام أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال إني لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر علياً رضي الله تعالى عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الأنصاري وطعن عليه السلام أبياً يوم أحد في المبارزة فرجع إلى مكة فمات وإما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولاً أولياً وقوله تعالى يقول حال من فاعل يعض وقوله تعالى يا ليتني إلخ يحكى به ويا إما لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه أو المنادى محذوف أي يا هؤلاء

من السماء ويجوز أن يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه أي هلا أنزل كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على أحد فإن الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى إعجازها وأما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء من أجزائه المقدرة بمقدار أقصر السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في أن ما يدور عليه فلك الإعجاز هو المطابقة لما يقتضيه الأحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتماً على أن فيه فوائد جمة قد أشير إلى بعض منها بقوله تعالى كذلك لنثبت به فؤادك فإنه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم أي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلاً مغايراً له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فإن فيه تيسير الحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الأحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على أنها منوطة بأسبابها الداعية إلى شرعها ابتداء أو تبديلها بالنسخ من أحوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الأخبار وغيرها متعلقة بأمور حادثة من الأقاويل والأفاعيل ومن قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها كالأجوبة الواقعة من الكفرة الداعية إلى حكايتها وإبطالها وبيان ما يؤول إليه حالهم في الآخرة على أنهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث أمروا بالإتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الأرض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكله وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم أي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلاً بديعاً لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بيناه بياناً فيه ترسل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلاً وقال مجاهد جعلنا بعضه في إثر بعض وقيل هو الأمر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلاً وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل شيئاً فشيئاً في عشرين أو في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ولا يأتونك بمثل من الأمثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة

عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا يأتونك بكلام عجيب هو
مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن إلا جئناك في مقابلته
اي بالجواب الحق الثابت الذي يحق عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال
كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق اسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى
وأحسن تفسيرا عطف على الحق اي جئناك بأحسن تفسير او على محل بالحق اي آتيناك الحق
واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على معنى انه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته
لا ان ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على
الحالية اي لا يأتونك بمثل الا حال اتياننا اياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة
على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عليه السلام ما لا يخفى وهذه العبارة ناطقة
ببطلان جميع الاسولة وبصحة جميع الاجوبة وباشارته منبئ عن بطلان السؤال الاخير
وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القرآن على التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات
الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عم من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل
عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عم عليها من مقارنة الملك والاستغناء
عن الاكل والشرب وعبارة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى
لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا
اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه وما هو
احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي انت عليه في الذات
والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله تعالى
من الحق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل دافعا لها ولا ريب في ان ما اتاه الله تعالى
من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد اتاه من اول الامر لا بمقابلة ما حكي
عنهم من الاقتراحات لاجل دفعها وابطالها الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم
اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين
وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي عنه عليه السلام يحشر الناس
يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث
على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم

او انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا
ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية
قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عم ابتلاهم
الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن
جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد
ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عم فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عم
فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم ورسوه اي دسوه في بئر وقرونا اي اهل اعصار وقيل
القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وقيل مائة وعشرون بين ذلك
اي بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها
بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور
وذلك المحسوب كثيرا لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في
شؤون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة
القصة بمثابة الامم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان
ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة اما
عن الامم التي لم يذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم
فرعون تكذيبهم الآيات والرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا و
انذرنا كل واحد من المذكورين ضربنا له الامثال اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم
عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل وكلا اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض
تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا لما انهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على
ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته
وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة ولقد اتوا جملة مستأنفة
مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها
بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد اتى قريش في متاجرهم الى الشام على القرية
التي امطرت مطر السوء اي اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت منها
الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المراد بقوله تعالى

مطر السوء وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في انبته الله نباتا
حسنا اي امطار السماء او على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء
افلم يكونوا يرونها توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لانكار نفي
استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها لا لانكار
استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها في الجملة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونها
من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية
مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا اضراب عما قبله من عدم
رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم
لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا انه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك
بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني عن ذلك
بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي
ولا يرون لنفس من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده
وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة
بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا او يتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على
الاتفاق واما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم
توقع النشور واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا هزؤا او به على معنى
قصر معاملتهم معك على اتخاذهم اياك هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما
هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في
قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا
محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزؤن بك قائلين اهذا الذي
والاشارة للاستحقار وايراد بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي
هو صفة علم مع كونهم في غاية الانكار لبعثه بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا
ابعث الله هذا رسولا او اهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ان مخففة من ان
وضمير الشأن محذوف اي انه كاد ليضلنا عن آلهتنا اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا

الخالصة تنوعها الطبائع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به
الجنة في قوله تعالى وظل ممدود فغير سديد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه الناس
على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعا
رفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف
مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكر وان كان في الحقيقة ظلا للافق
الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة ولان توجيه الرؤية اليه
مع ان المراد تقرير رؤيته عليه السلام لكيفية مد الظل للتنبيه على ان نظره عليه السلام
غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع بل مطمح انظاره معرفة شؤون الصانع
المجيد وقوله تعالى ولو شاء لجعله ساكنا جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من
اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة
والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون
مفعولها مضمون الجزاء اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول
والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لان ما مقابله الذي هو تغير حاله حسب
تغير الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا وحاصله انه
لا يعتريه اختلاف حال بان لا تنسخه الشمس واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة على
وضع واحد فمداره الغفول عما سيق له النظم الكريم ونطق به قوله تعالى من بيان كمال قدرته
القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط
الاسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة
على وجود المسببات لا لذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام
واحد على انها اعظم من ابقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة
والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهي اولى واحق بالايراد في معرض البيان وقوله تعالى
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا عطف على مد داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل
باحوالها المتغيرة على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطق به
الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن
التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية

من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي و
قوله تعالى ثم قبضناه عطف على مدّ داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في
بيان كون القبض والمد مرتبين دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة
على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعد ما انشاناه ممتدا
ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون له
تاثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبي عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن
احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى الينا للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى
كما ان حدوثه منه عز وجل قبضا يسيرا اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع الشمس
لتاويره معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين
بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض لعدم النير
وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس
وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق
فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير
او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون
قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشائها ووصفه باليسر على طريقة
قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو الذي
جعل لكم الليل لباسا بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع
احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان
حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم
وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك
ما لا مزيد عليه اي هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس
والنوم سباتا اي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا عن الافاعيل المختصة
بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع
احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها وجعل النهار نشورا اي زمان بعث من ذلك السبات

جهادا وعظم تنكيله او جاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا
جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة يجب الكلمة ليس فيه
زيد فائدة فانه بين في نفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية
وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج
دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج
بليغ الملوحة وقرئ ملح فلعله تخفيف مالح كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا
غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا كان كلا منهما
يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر و
تشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم
وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة في الفصل واختلاف
الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي
خلق من الماء بشرا هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام او جعله جزءا من مادة
البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة فجعله
نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا
يصاهر بهن كقوله تعالى وجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا في
القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله
قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى [illegible]
الذي شانه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس من شانه النفع
والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع
والضر وكان الكافر على ربه الذي ذكرت آثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان
بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له
عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل لهم ما اسألكم
عليه اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر من جهتكم
الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى

عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليهما فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثني منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شانهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتاكيده فان من انشا هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغاية جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح اي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تاكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل في الاول والمبتدا في الثاني روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدا والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى فاسال به اي بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة ولا لتعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء

وبجوز ان يكون ساءت بمعنى اخزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا احتمل التعليل من جهته تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والقتر منع الواجب وقرئ يقتروا بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء وكان بين ذلك اي ما ذكر من الاسراف والقتر قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة في التحريم الا بالحق اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها او لا يقتلونها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق ولا يزنون اي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعتهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها المؤودة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا ومن يفعل ذلك اي ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين يلق في الآخرة وقرئ يلقى اثاما وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقرئ يلق بالتشديد مجزوما وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ بالرفع على الاستئناف او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف له العذاب

بالنون ونصب العذاب ويخلد فيه في ذلك العذاب المضاعف مهانا ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة اولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال الثلثة باعتبار لفظه اي اولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدل لهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ومن تاب اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات فانه بما فعل يتوب الى الله اي يرجع اليه تعالى متابا اي متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع اليه تعالى او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهد الباطل شاركه فيه واذا مروا على طريق الاتفاق باللغو اي بما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم المنطوية على المواعظ والاحكام لم يخروا عليها صما وعميانا اي اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا لما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده اهله في طاعة الله عز وجل

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة آتية وادخل الجنة

سورة الشعراء مكية مائتان وست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وهو اظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وتلك في قوله تعالى تلك آيات الكتاب المبين اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما تحققته هناك وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة لعلك باخع نفسك اي قاتل واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك الا يكونوا مؤمنين اي لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى ان نشأ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اعني قوله تعالى ننزل عليهم من السماء آية اي ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر

فظلت أعناقهم لها خاضعين أي منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت
الأعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الأعناق
بصفات العقلاء أجريت مجراهم في الصيغة أيضاً كما في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين وقيل
أريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس أي فوج منهم وقرئ خاضعة
وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى **وما يأتيهم من ذكر من الرحمن**
محدث إلا كانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه
من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الحرص على إسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الأولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية
مجازاً متعلقة بيأتيهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وأياً ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه
وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فإن الإعراض
عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الإطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض
منفعتهم أشنع وأقبح أي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية أو من طائفة نازلة من القرآن
تذكرهم أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى لمقتضى رحمته الواسعة
مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة إلا جددوا إعراضاً عنه على وجه التكذيب و
الاستهزاء وإصراراً على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال
محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أي ما يأتيهم
من ذكر في حال من الأحوال إلا حال كونهم معرضين عنه **فقد كذبوا** أي كذبوا بالذكر
الذي يأتيهم تكذيباً صريحاً مقارناً للاستهزاء به ولم يكتفوا بالإعراض عنه حيث جعلوه تارة
سحراً وأخرى أساطير وأخرى شعراً والفاء في قوله تعالى **فسيأتيهم** لترتيب ما بعدها
على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره أي فسيأتيهم البتة من غير تخلف أصلاً
أنباء ما كانوا به يستهزئون عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الإعراض و
التكذيب للإيذان بأنهما كانا مقارنين للاستهزاء كما أشير إليه حسبما وقع في
قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون والأنباء ما سيحيق بهم من العقوبات

في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم وإسماعه مبدأ لإسماعهم مع ما فيه من مزيد
الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء به عن ياء المتكلم وقد جوز أن يكون
بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعاً إلى الله عز وجل **رب إني أخاف**
أن يكذبون من أول الأمر **ويضيق صدري ولا ينطلق لساني** معطوفان على أخاف
فأرسل إلى هارون أي جبريل عليه السلام ليكون معي وأتعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام
استدعاءه ذلك على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه السلام
من حبسة اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لأنها إذا اجتمعت
مست الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه إذا اعترته حبسة حتى لا تختل دعوته و
لا تنقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الأمر في شيء وإنما هو استدعاء
لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذر فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفاً على يكذبون
فيكونان من جملة ما خاف منه **ولهم علي ذنب** أي تبعة ذنب فحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه أو سمي باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنباً بحسب زعمهم
كما ينبئ عنه قوله تعالى لهم وهذا إشارة إلى قصة مبسوطة في غير موضع **فأخاف** أي إن
أتيتهم وحدي **أن يقتلون** بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا أيضاً
تعللاً وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى **قال كلا**
فاذهبا بآياتنا حكاية لإجابته تعالى إلى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم أخيه
المفهوم من توجيه الخطاب إليهما بطريق التغليب فإنه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع
كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت ومن استدعيته وفي قوله تعالى بآياتنا
رمز إلى أنها تدفع ما يخافه وقوله تعالى **إنا معكم مستمعون** تعليل للردع عن الخوف
ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى إنني معكما أسمع وأرى وحيث
كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر ههنا في المعية وقيل أجري مجرى الجماعة وبابها ما قبله
وما بعده من الضمير التثنية أي سامعون ما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي
شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد أولياءه ويظهرهم على أعدائهم مبالغة في
الوعد بالإعانة أو استعير الاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف

والاصوات وهو خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى
فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين لترتب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم
وليس هذا مجرد تاكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب
وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في
قوله تعالى **ان ارسل معنا بني اسرائيل** مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول
ومعنى ارسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما الى الشام **قال** اي فرعون لموسى عليه السلام
بعدما اتياه وقالا له ما امرا به يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة
حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا
نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك **الم نربك فينا**
في حجرنا ومنازلنا **وليدا** اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة **ولبثت فينا
من عمرك سنين** قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين واقام به عشر سنين ثم
عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل ذكر القبطي
وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله اعلم **وفعلت فعلتك التي فعلت**
يعني قتل القبطي بعد ما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه
من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ فِعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا
من القتل **وانت من الكافرين** اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي او انت
ممن تكفرهم الان وقد افترى عليه عليه السلام او جهل امره عم حيث كان يعايشهم بالتقية
والا فاين هو عم من مشاركتهم في الدين فالجملة حال من احدى التائين ويجوز ان يكون
حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيه او ممن يكفرون في دينهم حيث كانت لهم
آلهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل
هذه الجناية بدعا منه **قال** مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر
فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت
افتراء اي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد
تأديبه او الذاهبين عما يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى **ففررت منكم لما خفتكم** ان تصيبوني

اي لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا
ولذلك لم يقل لاسجننك **قال اولو جئتك بشيء مبين** اي اتفعل بي ذلك ولو جئتك
بشيء مبين اي موضح لصدق دعواي يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على
وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها
بالشيء للتهويل قالوا الواو في اولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اي جائيا
بشيء مبين وقد سلف مرارا انها للعطف وان كلمة لو ليست لانتفاء الشيء
في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها
عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية
بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من
الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او
انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء
متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر
الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة
لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطي
ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احوال المفروضة فتعلق الحكم
بابعدها منه ليظهر تحققه معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا تنافيه وتبعه
الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كأنك قلت فلان
جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالجمع
في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو للحال وتصدير المجيء
بما ذكر من كلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون
والمعنى اتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال مجيئي به **قال فأت به
ان كنت من الصادقين** اي فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشيء مبين موضح
لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه
فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر ثعبانيته لا انه شيء يشبهه والاشتقاق
الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اي فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف

وسورة طه ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الآية
الاولى وقال هل لك غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه
ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق اي مستقرين حوله
فهو ظرف وقع موقع الحال فائق في فن السحر يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن
ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال لامرهم او الى
مؤامرتهم ومشاورتهم بعدما كان مستقلا في الرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف
من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم ليغيرهم عن موسى عليه السلام
اخر امرهما وقيل احبسهما اي شرطا
يحشرون السحرة يأتوك اي الحاشرون بكل سحار عليم فائق في فن السحر وقرئ
بكل ساحر لما عينه موسى عم لقوله موعدكم يوم
الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون قيل لهم ذلك استبطاء لهم
في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه اي نتبعهم
في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عم وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة
وانما هو ان لا يتبعوا موسى عم لكنهم ساقوا الكلام مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في
المغالبة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اي اجرا لعظيما ان كنا نحن الغالبين
لا موسى عم لكم ذلك مع ذلك عندي
قيل قال لهم تكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهما
لغتان قال لهم موسى اي بعد ما قال له السحرة اما ان تلقي واما ان نكون اول
من القى ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم
ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم
وقالوا اي وقد قالوا عند الالقاء قالوا ذلك
لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى
عصاه فاذا هي تلقف اي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التائين
من تتلقف ما يأفكون ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم

ان معي ربي بالنصرة والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان
يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عليه السلام
ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عم بعصاه البحر فكان ما كان وروي ان مؤمنا
من آل فرعون كان بين يدي موسى عم فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد
غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى
القلزم او النيل
الفاء فصيحة اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك
فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في
شعابها كل سبط في شعب منها وازلفنا اي قربنا اي فرعون وقومه حتى
دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى
ان عبروا الى البر باطباقه عليهم اي في جميع ما فصل
مما صدر عن موسى عم وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما فعل فرعون وقومه
من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما في اسم الاشارة من معنى
البعد للتهويل امره والتنبيه على تفخيمه كتنكير الآية في قوله تعالى لآية اي آية آية وآية عظيمة
لا تكاد توصف موجبة لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شأن النبي صلى الله عليه وسلم
بشأن موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا
يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا
يحل بهم مثل ما حل باولئك او ان فيما فصل من القصة من حيث حكايته عم اياها على
ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لآية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي الصادق
موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عم وما كان اكثرهم اي اكثر
هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه السلام مؤمنين لا بان يقيسوا شأنه بشأن موسى
عليهما السلام وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين المهلكين ولا بان يتدبروا في حكايته عم
لقصتهم من غير ان يسمعها من احد مع كون كل من الطريقين مما يؤدي الى الايمان قطعا
ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين وما اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة كما هو رأي سيبويه
فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون

من المشركين بعد ما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى
ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الآية وايراد الجملة
الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز ان يجعل
كان بمعنى صار كما قيل في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم
مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار
بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الآية
وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين
الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الآية
العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم
من مطلع السورة الكريمة الى اخر القصص السبع بل الى اخر السورة الكريمة اقتضاء بينا
لا ريب فيه واما ما قيل من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى
وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل ومريم ابنة
ياموسى التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا البقرة
يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فمعزول من التحقيق
كيف لا وسياق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة
ابراهيم عليه السلام انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله
عليهم السلام كما ينفصح تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بايديهم
من الآيات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا
على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية
فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم وعدم المؤمنين
من جملتهم اولا واخراجهم مما اخرج عدم اشتراكهم لهم في شيء مما حكى عنهم
من الجنايات اصلا فما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر واتل عليهم عطف
على المضمر المقدر عاملا لاذ نادى اي واتل على المشركين نبأ ابرهيم اي خبره
العظيم الشأن حسبما اوحى اليك لتقف على ما ذكر من عدم ايمانهم بما يأتيهم من الآيات
باحد الطريقين اذ قال منصوب اما على الظرفية لنبأ اي نبأه وقت قوله

من معظم خصائصه تعالى كالاحياء بدءا واعادة وقد نيطت امور الآخرة جميعا
بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى والذي يميتني ثم يحيين
على ان الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه السلام للحيوة الابدية بمعزل من ان يكون غير مطبوع
عنده عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكره عليه السلام
هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم
وتلافيا لما عسى يندر منه عليه السلام من الصغاير وتنبيها لابيه وقومه على ان يتأملوا في
امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه السلام مع كونه
في طاعة الله وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك
بحال اولئك المغمورين في الكفر لا من فنون الخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلث اعني اني سقيم
بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لا من قبيل
الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام بعد هذه المقاولة الجارية
بينه وبين قومه اما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام واما الاوليان
فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان
في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا لان
اثرها يومئذ يتبين ولان في ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر
رب هب لي حكما بعد ما ذكر عليه السلام لهم فنون الالطاف الفائضة عليه من الله
عز وجل من مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد
وجلب المزيد والحكم الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق وقيل الحكم
... والحقني بالصالحين ... في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب
وصغائرها واجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين
واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى
اثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له ومثنية عليه او صادقا
من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو
النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم واجعلني من ورثة
جنة النعيم وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان
كالايح به تعليله بقوله تعالى انه كان من الضالين اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في سورة التوبة

وسوره حريم مما لا مزيد عليه ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض
الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبني على هضم
النفس منه عم او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين لعدم توفيقه
للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون اي الناس
كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه
بالضالين مما يخل بتهويل اليوم يوم لا ينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون جيء به
تأكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع مال
وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستأهلين
للشفاعة احدا الا من اتى الله بقلب سليم اي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط
نفع كل منهما بالايمان وفيه تأييد لكون استغفاره عم لابيه طلبا للهداية اي الايمان
لا استدعاء طلب مغفرة بعد موته كما فرع علمه عم بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة و
قيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من او بنوا من اتى الله
الاية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل يجعل من الاعتبار
كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع اي الا حال من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة
عن سلامة القلب كانه قيل الا سلامة قلب من اتى الله الاية وقيل المضاف المحذوف
ما دل عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى
من اتى الله الاية لان غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى
لكن سلامة قلبه تنفعه وازلفت الجنة للمتقين عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه
وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما ان
صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه
مقام التهويل والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها
من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها
وبرزت الجحيم للغاوين الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى اي جعلت
بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها
ولا يجدون عنها مصرفا وقيل لهم اينما كنتم في الدنيا تعبدون

بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه امر عبدتها
يوم القيامة من اعترافهم بخطائهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم
الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت
الجحيم وغشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب لآية اي آية عظيمة لا يقادر قدرها
موجبة على عبدة الاصنام كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم عم
ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب
بحكم الاشتراك فيما يوجبه او ان في ذكر نبأه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير ان تسمعه من احد
لآية عظيمة دالة على ان ما تتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان قطعا
وما كان اكثرهم مؤمنين اي اكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا
عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عم كما توهموا فمما لا سبيل اليه اصلا
لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عم الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك العظيمة التي
فعلوا به عم فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما امن له لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشام وقد
بيّنه الكلام في اخر قصة موسى عم وان ربك لهو العزيز الرحيم اي هو القادر على تعجيل
العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم
كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم
بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجتماع الكل على التوحيد واصول الشرائع التي
لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب
الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبردة واذ في قوله تعالى اذ قال لهم ظرف
للتكذيب على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما
ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عم الى انتهائها اخوهم اي نسيبهم
نوح الا تتقون الله حيث تعبدون غيره اني لكم رسول من جهته تعالى امين
مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى
وما اسألكم عليه اي على ما انا متصد له من الدعاء والنصح من اجر اصلا ان اجري
الا على رب العالمين والفاء في قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من تنزهه عم من طمع كما ان نظيرتها السابقة لترتبها على امانته والتكرير للتأكيد

والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا

وقرئ ان اجري بسكون الياء ای لاتقلون جاها

وما لا جمع الارذل على الصحيح فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل

جمع ارذل جمع رذل كالاكالب واكلب وكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد

او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة

رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع اخر وهذا من كمال سخافة عقولهم

وقصر انظارهم على حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظا و

الارذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وان النعيم هو نعيم الاخرة

والاشرف من فاز به والارذل من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب لما

اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اي ما وظيفتي الا اعتبار الظواهر

وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم

ای ما محاسبة اعمالهم والتفتيش عن كيفيتها البارزة والكامنة الا على ربي فانه

المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون اى بشيء من الاشياء او لو كنتم من

اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون وما انا بطارد

المؤمنين جواب لما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث

جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى كالعلة له اى ما انا الا

انذاركم رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا

من الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما على الا

انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الاخرين قالوا لئن لم تنته

يا نوح عما تقولون لتكونن من المرجومين من المشتومين او المرميين بالحجارة

قالوه قاتلهم الله تعالى في اواخر الامر وقوله تعالى

تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم

دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا اى احكم بيننا

بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح

ای من قصدهم او من شؤم اعمالهم فانجيناه ومن معه

او من ذوي السحر اى الرئة اى من الاناسي فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا

تأكيدا له اي في دعواك اي

بعد ما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه السلام حسبما فصل في سورة الاعراف

وسورة هود لها شرب اى نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت

وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها

كضرب وعقر

وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر

الى كلهم لما ان عاقرها انما عقرها برأيهم ولذلك عمهم العذاب فاصبحوا نادمين خوفا من حلول

العذاب لا توبة او عند معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة

فاخذهم العذاب اى العذاب الموعود ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين

في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء الى انه

لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن

منهم وانت خبير بان قريشا هم المشهورون بعدم ايمان اكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين

اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون

من العالمين اي اتأتون من بين اولاد آدم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتأتون

من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء مع كونهن اليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على

الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم

لاجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالى للبيان ان اريد بها جنس الاناث

وهو الظاهر وللتبعيض ان اريد بها العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا

يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متعدون متجاوزون الحد

في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر

الناس بل الحيوانات عن ان تنتهى ان تنتهي عما تنهانا عنه او عن

دعوى النبوة التي من جملة احكامها التعرض لها لتكونن من المخرجين اي من المنفيين

من قريتنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال

قالوا إني لعملكم من القالين أي من المبغضين غاية البغض كأنه يقلي الفؤاد والكبد لشدته وهو أبلغ من أن يقال إني لعملكم قال لدلالته على أنه من زمرة الراسخين في بغضه المشهورين في قلاه ولعله عليه السلام أراد إظهار الكراهة في مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه إلى الله تعالى قائلا

رب نجني وأهلي مما يعملون

أي من شؤم عملهم وغائلته

فنجيناه و

أهله أجمعين أي أهل بيته ومن اتبعه في الدين بإخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم إلا عجوزا هي امرأة لوط استثنيت من أهله فلا يضر كونها كافرة لأن لها شركة في الأهلية بحق التزوج في الغابرين أي مقدرا كونها من الباقين في العذاب لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم وقد أصابها الحجر في الطريق فأهلكها كما مر في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقي في القرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام

ثم دمرنا الآخرين

أهلكناهم أشد إهلاك وأفظعه

وأمطرنا عليهم مطرا

أي مطرا غير معهود وقيل أمطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فأهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف إليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين

وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين

الأيكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث إليهم شعيب عليه السلام وكان أجنبيا منهم ولذلك قيل إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ولم يقل أخوهم وقيل الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم وإنما كتبت ههنا وفي ص بغير ألف اتباعا للفظ اللافظ إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين

أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين

أي أتموه — أي حقوق الناس

بالتطفيف وزنوا أي الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو إن كان عربيا فإن كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والافعلال وقرئ بضم القاف

بالميزان السوي وهو إن كان عربيا فإن كان من القسط

ولا تبخسوا الناس أشياءهم

أولم يكن لهم آية الهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل من رب العالمين وعلى أن لهم متعلق بآية قدم على اسمه وخبره للاهتمام به أو بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله تعالى أن يعلمه علماء بني إسرائيل لما عرفت من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أي أن يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من أنزل عليه وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز أن يكون لهم آية جملة الشأن وأن يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الأعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الأعجميين وفي لفظ البعض إشارة إلى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان فقرأه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادات ما كانوا به مؤمنين مع انضمام إعجاز القراءة إلى إعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فإنه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد كذلك سلكناه أي مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه أي أدخلنا القرآن في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وأنه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الإخبار عن الغيب وقد انضم إليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها البشارة بإنزاله وبعثة من أنزل عليه بأوصافه فقوله تعالى لا يؤمنون به جملة مستأنفة مسوقة لبيان أنهم لا يتأثرون بأمثال تلك الأمور الداعية إلى الإيمان به بل يستمرون على ما هم عليه حتى يروا العذاب الأليم الملجئ إلى الإيمان به حين لا ينفعهم الإيمان فيأتيهم بغتة أي فجأة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون بإتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا على ما فات من الإيمان وتمنيا للإمهال لتلافي ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر والتكذيب وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موقع الإيضاح والتلخيص له أو في موضع الحال

اي سكنا فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب لمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتآخذ مبادي الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل ابن عباس رضه والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين **افبعذابنا يستعجلون** بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقولهم فأتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على احد او يغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل **افرأيت** لما كانت الرؤية من اقوى اسباب الاخبار بالشيء واشهرها شاع استعمال ارايت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ مسطاولين بطول الاعمار وطيب المعاش **ثم جاءهم ما كانوا يوعدون** من العذاب **ما اغنى عنهم** اي شيء او اي اغناء اغنى عنهم **ما كانوا يمتعون** اي كونهم ممتعين ذلك التمتع المديد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون به من متاع الحيوة الدنيا على انها موصولة حذف عائدها وايا ما كان فالاستفهام للانكار والنفي وقيل ما نافية اي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق لصورة الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل من من شانه الخطاب قد كلف ان يخبر بان تمتيعهم ماذا افادهم واي شيء اغنى عنهم فلم يقدر احد على ان يخبر بشيء من ذلك اصلا **وما اهلكنا من قرية** من القرى المهلكة **الا لها منذرون** قد انذروا اهلها الزاما للحجة **ذكرى** اي تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار كانه قيل مذكرون ذكرى او على انه مصدر مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون اي الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراضية وضمنها

على كلا التقديرين لما ان كلا منهم يلقيهم من الشيطان والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل ان يكون استئنافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كانه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون على التقدير الاول فقط على الثاني يحتمل الحالية من ضميرهم يلقون اي يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس والحال ان اكثر اقوالهم كاذبون فقد بر **والشعراء يتبعهم الغاوون** استئناف مسوق لابطال ما قالوا في حق القرآن العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله صلى الله عليه وسلم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لاحوالهم والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الافعال والاقوال والاحوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى [illegible] استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل والقال • وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال • وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال • يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة • ويتيهون في تيه المجون والوقاحة • دينهم تمزيق الاعراض المحمية • والقدح في الانساب الطاهرة السنية • والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الافراط والتفريط في المدح والهجاء **وانهم يقولون ما لا يفعلون** من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة • وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة • وحاز جميع الكمالات القدسية • وفاز بجملة الملكات الانسية • مستقرا على المنهاج القويم • مستمرا على الصراط المستقيم • ناطقا بكل امر رشيد • داعيا الى صراط العزيز الحميد • مؤيدا بمعجزات قاهرة • وآيات ظاهرة • مشحونة بفنون الحكم الباهرة • وصنوف المعارف الزاهرة • مستقلة بنظم رائق اعجز كل نطيق ماهر • وبكت كل منطيق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه عليه السلام عن ان يكون من الشعراء ان اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد

صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولا ريب في أن تعليل عدم كونه عم منهم بكون أتباعه عم
غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم
شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف
وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم
وقرئ الشعراء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها
لبعه بعضد إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا
استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد
والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون إليها
والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الأوقات هجو وقع ذلك
منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت
وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن أبي سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده
لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب
ينقلبون تهديد شديد ووعيد أكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم
وفي أي منقلب ينقلبون من الإبهام والتهويل وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما حين عهد إليه
وقرئ أي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من
عذاب الله تعالى وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد

السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

بالتفخيم وقرئ بالإمالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة
ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الأظهر الأشهر الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف
أي هذا طس أي مسمى به والإشارة إليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها

للإيذان بأنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الأمر وثقة بسنة الله تعالى فإنه
تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين لعلكم تصطلون رجاء أن تستدفئوا بها والصلاء
النار العظيمة فلما جاءها نودي أن بورك من جانب الطور معناه أي بورك على أن أن مفسرة
لما في النداء من معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة
المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف
لما أنه دعاء يخالف غيره في كثير من الأحكام من في النار ومن حولها أي من في مكان النار
وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة
ومن حول مكانها وقرئ تباركت الأرض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الوادي
وحواليه من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء عليهم السلام وكفاتهم
أحياء وأمواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة
الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضي له أمر عظيم ديني تنتشر بركاته في
أقطار الشام وهو تكليمه تعالى إياه عم واستنباؤه له وإظهار المعجزات على يده عليه السلام
وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عم من ذلك وإيذان بأن ذلك مريده ومكونه
رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون ومن أحكام تربيته تعالى
للعالمين يا موسى إنه أنا الله استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير إما
للشأن وأنا الله جملة مفسرة له وإما راجع إلى المتكلم وأنا خبره والله بيان له وقوله تعالى
العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما أريد إظهاره على يده من المعجزة أي أنا القوي القادر
على ما لا تناله الأوهام من الأمور العظام التي من جملتها أمر العصا واليد الفاعل كل ما
أفعله بحكمة بالغة وتدبير رصين وألق عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء
أي نودي أن بورك وأن ألق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى بتكرير حرف التفسير
كما تقول كتبت إليه أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن حج واعتمر والثاني قوله تعالى
فلما رآها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع
مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كأنه قيل فألقاها فانقلبت
حية تسعى فأبصرها فلما أبصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله تعالى كأنها جان أي حية خفيفة
سريعة الحركة جملة حالية إما من مفعول رأى مثل تهتز كما أشير إليه أو من ضمير تهتز على طريقة التداخل

وترى جانّ على لغة من جدّ فى الهرب من التقاء الساكنين ولّى مدبراً من الخوف
ولم يعقّب اى لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كرّ بعد الفرّ وانما اعتراه الرعب
لظنّه انّ ذلك لامر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اى من غيرى ثقة بى او
مطلقا لقوله تعالى انى لا يخاف لدىّ المرسلون فانه يدل على نفى الخوف عنهم مطلقا لكن لا فى
جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون فى مطالعة شئون الله عز وجل
لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما فى سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون لهم
عندى سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء استثناء منقطع
استدرك به ما عسى يختلج فى الخلد من نفى الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت منه
صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم وان صدر عنهم شئ من ذلك
فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع
من موسى عليه السلام من وكزه القبطى والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عليه السلام رب انى ظلمت نفسى
فاغفر لى فغفر له وادخل يدك فى جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كمّ لها وقيل الجيب
القميص لانه يجاب اى يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اى آفة كبرص ونحوه فى تسع آيات
فى جملتها او معها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس
والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عدّ العصا واليد من التسع ان يعدّ الاخيرين
واحدا ولا يعدّ الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب فى تسع آيات على انه استئناف
بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاول يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما
فاسقين تعليل للارسال اى خارجين عن الحدود فى الكفر والعدوان فلما جاءتهم آياتنا بان ظهرت آثارها
على يد موسى مبصرة بيّنة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها و
كانها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصّر من حيث انها تهدى والعمى لا تهتدى فضلا
عن الهداية او مبصرة كل من ينظر اليها ويتأمل فيها وقرئ مَبصَرة اى مكانا يكثر فيه التبصر
قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها اى كذبوا بها واستيقنتها انفسهم
الواو للحال اى وقد استيقنتها اى علمتها انفسهم علما يقينيا ظلما اى للآيات كقوله تعالى
بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها اى ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا
وقيل لانفسهم وليس بذلك وعلوا اى استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا

ويرده بعده من الحشر والتسخير فهم يوزعون اى يحبس اولهم على آخرهم اى يوقف
سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة و
يجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد فى العساكر وفيه اشعار بكمال سائسهم
الى السير وتخصيص حبس اوائلهم بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا
لان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم
بتسيير الريح فى الجو روى ان معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ فى مائة خمسة وعشرون للجن
وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها
ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى
فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسى
من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم
الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح
الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره
فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك لا يتكلم احد بشئ
الا القته الريح فى سمعك فيحكى انه مر بحرّاث فقال لقد اوتى آل داود ملكا عظيما فالقته
الريح فى اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه
ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتى آل داود حتى اذا اتوا على واد النمل حتى
التى يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هى غاية لما قبلها كالتى فى قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور فانها
اول الآية وهى ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى
اذا اتوا الخ وواد النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطائف على ما قاله كعب
وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان
من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشئ اذا انفده وبلغ آخره
ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادى اذ حينئذ يخافهم ما فى الارض لا عند سيرهم فى
الهواء وقوله تعالى قالت نملة جواب اذا كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت منهم
فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل لمرادها فتبعها فى الفرار فشبه ذلك بمخاطبة
العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هى قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل

يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى
فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل
وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء
تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلثة اميال
وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم
في الحقيقة للنمل عن التاخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عم وجنوده عن الحطم
كقولهم لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لقول من قال عدت له ارحل لا تقيمن
عندنا لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ
لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى وهم لا يشعرون حال من فاعل
يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت
بذلك الايذان بانها عارفة بشئون سليمان وسائر الانبياء عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم
والايذاء وقيل هو استيناف اي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك فتبسم
ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها او سرورا
بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعدها
من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها
روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عم الريح فوقفت لئلا
يذعرن حتى دخلن مساكنهن وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اي اجعلني ازع شكر نعمتك
عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح ياء
اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه
مستوجب للشكر وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين وتفقد الطير اي تعرف
احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين كانه قال
اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم لاح له انه غائب فاضرب عنه فاخذ يقول
اهو غائب لاعذبنه عذابا شديدا قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل
بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه

قائمة من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق
واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عم اما بالنسبة الى حالها
او الى عروش امثالها من الملوك وقد جوز ان لا يكون لسليمان عم ظاهر من ترغيبه عم في
الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته عم نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر
قومها حيث قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى
وزين لهم الشيطان اعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظائرها من اصناف الكفر والمعاصي
فصدهم بسبب ذلك فهم لا يهتدون اليه وقوله تعالى الا يسجدوا لله مفعول له اما للصد او
للتزيين على حذف اللام منه اي فصدهم لئلا يسجدوا له تعالى او زين لهم اعمالهم لئلا يسجدوا
او بدل على حاله من اعمالهم وما بينهما اعتراض اي زين لهم ان لا يسجدوا او قيل هو في موقع المفعول
ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ونظائره
وعلى هذا يحتمل ان يكون استينافا من جهة الله عز وجل او من سليمان ويوقف على لا يهتدون
ويكون امرا بالسجود على الوجوه المتقدمة ذما على تركه واياما كان فالسجود واجب وقرئ هلا
وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء
اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف
بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر اوصافه الموجبة لذلك لانه
ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما اودعه الله تعالى
في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض واشار بعطف قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون
على يخرج الى انه تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لان المراد
يظهر ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم او للتنبيه على تساويهما
بالنسبة الى العلم الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبء يعم
اشراق الكواكب واظهارها من افاقها بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات
النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج
في الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة
بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء
والارض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام

واعظمها وترى العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكى من الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء الى هنا ليس من اخلاقه من قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عم اورده بيانا لما هو عليه واظهارا للتصلب في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عم نحو قبول كلامه وصرف عنانه عن مؤاخذته عم ابا غودنا وتنحيه ولا تجانبنا قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فماذا فعل سليمان عم عند ذلك فقيل قال سننظر اي فيما ذكرته من النظر بمعنى التامل والسين للتاكيد اي سنتعرف بالتجربة البتة أصدقت أم كنت من الكاذبين كان مقتضى الظاهر ام كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب انيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون لها مصداق اصلا لاسيما بين يدي نبي عظيم الشأن لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ في الكذب والافك وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم استيناف مبين لكيفية النظر الذي وعده عم وقد قاله عم بعد ما كتب كتابه في ذلك المجلس او بعده وتخصيصه عم اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من امناء الجن الاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخائل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر اصلا ثم تول عنهم اي تنح الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر اي تأمل تعرف ماذا يرجعون اي ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمائر لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام قالت اي بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فالقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما طوى ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما امر به من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عم كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حوالیها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها يا ايها الملأ اني ألقي إلي كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم

فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء سليمان اي الرسول قال اي مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه وتوبيخ انه قرئ فلما جاؤا والاول اولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ويؤيده الافراد في قوله تعالى ارجع اليهم أتمدونن بمال وهو انكار لامدادهم اياه عم بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى فما آتاني الله اي مما آتيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه خير مما آتاكم اي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة بي الى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للانكار ولعله عم انما قال لهم تلك المقالة الى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق وغيرها كما اشير اليه لا انه عم خاطبهم بها اول ما جاؤه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ أتمدوني بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون اضراب عما ذكر من انكار الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي اهدوها اليه عم فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه على ان امدادهم عم بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع انه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس فيه المتنافسون اقبح والتوبيخ به ادخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا ارجع افرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل اي ارجع ايها الرسول اليهم اي الى بلقيس وقومها فلنأتينهم اي فوالله لنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبإ اذلة اي حال كونهم اذلة بعد ما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون اي اسارى مهانون حال اخرى مفيدة لكون اخراجهم بطريق الاسر لا بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم الخ قال يا ايها الملأ ايكم قاله عم لما دنى مجيء بلقيس اليه عم يروى انه لما رجعت رسلها اليها بما حكي

من خبر سليمان عم قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت
الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعوا اليه من دينك
ثم آذنت بالرحيل الى سليمان عم فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف
ويروى انها امرت فجعل عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر
من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عم
باستيثاقها من عرشها فاراد ان يريها بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء العجائب
على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عم ويختبر عقلها بان ينكر عرشها
فينظر اتعرفه ام لا وتقييد الاتيان بقوله تعالى قبل ان ياتوني مسلمين لان ذلك
ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عم
وليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات في اول مجيئها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذه
الا بغير رضاها قال عفريت اي مارد خبيث من الجن بيان له اذ يقال للرجل الخبيث
المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به اي بعرشها قبل ان تقوم
من مقامك اي من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك اما صيغة المضارع
او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به للحالة واوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية
اي انا آت به في تلك المدة البتة واني عليه اي على الاتيان به لقوي لا يثقل علي امين
لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين
القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتيهما على الاتيان به من كمال التباين او لاسقاط الاول
عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان
عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اجاب وقيل الخضر او جبريل او ملك ايده الله
عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عم وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب
الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود ومن ابتدائية
انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شيء
وارتداده انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن
بين هذا الوعد وانجازه مدة ما كما في وعد العفريت استغني عن التاكيد وطوى عند الحكاية
ذكر الاتيان به للايذان بانه امر متحقق غني عن الاخبار به وجيء بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة

لتزيد ما استعظاما لامر وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها
فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجمع له فطنة
الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان عم الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء
الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها
فلما رأته هو حاضر بين يديها كما يؤوب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله
حسبته لجة وكشفت عن ساقيها وتشمرت لئلا يبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس
ساقا وقدما خلا انها شعراء وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها و
استنكحها عم وامر الجن فبنوا لها سلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها
ثلثة ايام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن
ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ سأقيها حملا للمفرد على الجمع في سؤق واسؤق قال عم
حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه اي ما توهمته ماء صرح ممرد املس
من قوارير من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة ايضا رب اني ظلمت نفسي بما كنت
عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمان حيث ظننت انه يريد اغراقها في اللجة وهو بعيد
واسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى لله رب العالمين من الالتفات
الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق
العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ولقد
ارسلنا عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من
تقرير انه عم يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القرآن الكريم
الذي يلقاه عم واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا
وان في قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لما في الارسال من معنى القول او مصدرية حذف عنها
الباء وقرئ بضم النون اتباعا لها فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام
فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال عم للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد من نهاية
العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له عم يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت
من الصادقين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالعقوبة السيئة قبل الحسنة اي التوبة
فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا

دا لانحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون الله هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها لعلكم
ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول قالوا اطيرنا اصله تطيرنا والتطير التشائم
عبر عنه بذلك لما انهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر
بارحا تشائموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته
او من عمل العبد اى تشائمنا بك وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا
قحطوا او لم نزل في اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم قال طائركم اى سببكم الذي منه
ينالكم ما ينالكم من الشر عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى بل انتم قوم
تفتنون اى تختبرون بتعاقب السراء والضراء او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته
اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه
وكان في المدينة وهي الحجر تسعة رهط اى اشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا
لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة
الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورباب بن
مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف
وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون
في الارض اى المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه شيء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى
ولا يصلحون اى لا يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون شيئا من الاشياء قالوا استيناف
لبيان بعض ما فعلوا من الفساد اى قال بعضهم لبعض في اثناء المشاورة في امر صالح عليه السلام
وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام الخ تقاسموا بالله امر
مقول لقالوا او ماض وقع بدلا منه او حالا من فاعله باضمار قد وقوله تعالى لنبيتنه واهله
اى لنباغتن صالحا واهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء
الغيبة وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن لوليه اى لولي صالح وقرئ بالتاء
والياء كما قبله ما شهدنا مهلك اهله اى ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم
فضلا ان تولينا اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وانا لصادقون من تمام القول
او حال اى نقول ما نقول والحال انا صادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا
او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين

بان حمده تعالى على اهلاك كفرة قومه وسلامه على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش و
النجاة عن الاهلاك ولا يخفى بعده الله خير اما يشركون اى آلله الذي ذكرت شؤونه
العظيمة خير اما يشركونه من الاصنام ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى
وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما اشركوه به تعالى شائبة خير ما
حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ تشركون بالتاء
الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم
المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فانبتنا الخ فانه صريح في
ان التبكيت من قبله عز وعلا بالذات وحمله على انه حكاية منه عز وعلا لما امر به بعبارته كما في
قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه وام في
قوله تعالى امن خلق السموات والارض منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الاولى
للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اظهر منه لمزيد التأكيد
والتشديد واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الآتية والهمزة
لتقريرهم اى حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز
ولا يقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق به من منافعه
من اخس تلك المخلوقات وادناها بل بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره
محذوف مع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق في الاستفهام الاول خلا ان لا تشركون
ههنا والخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الآتية والمعنى بل امن خلق
جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق به في الاستفهام الاول خلا ان لا تشركون
ههنا تلك الحالة تطري العالم الجسماني ومبدأ منافع ما بينهما وانزل لكم اى لنفعكم على خطاب
الكفرة على القراءة الاولى لتشديد التبكيت والالزام اى انزل لاجلكم ومنفعتكم من السماء
ماء اى نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدائق اى بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط ذات
بهجة اى ذات حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم اى ما صح وما امكن لكم ان تنبتوا
شجرها فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خبر ام ما تشركون وقرئ امن بالتخفيف
على انه بدل من الله وتقديم صلتي الانزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر
والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فانبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان

بها انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح
والاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه
الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييده بقوله تعالى ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها او حالا
وتوحيد وصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم
النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها **ءاله مع الله** اي أإله آخر كائن مع الله الذي ذكر
بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا
تبكيت لهم بنفي الالوهية عما يشركونه به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد
تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار
انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه رأسا لا سيما بعد ملاحظة
انتفاء احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الآتية وقيل المراد نفي ان
يكون معه تعالى اله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك
النفي فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله بل على ان اشراكهم به تعالى في العبادة مما يؤذن بعدم مشاركته له تعالى
فيما ذكر من لوازم الالوهية كانه قيل أإله آخر مع الله في خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له
تعالى في العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تعالى
بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين الاولين
والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والاوفى بحق المقام لافادته
نفي وجود اله آخر معه تعالى رأسا لا نفي معيته في الخلق وفروعه فقط وقرئ أإلها بتوسيط
مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ أإلها باضمار فعل يناسب المقام مثل
اتدعون او اتشركون **بل هم قوم يعدلون** اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب
الى بيان سوء حالهم وحكاية لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية
والانحراف عن الاستقامة في كل امر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول
عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل
يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة **امن جعل الارض قرارا** ٦١ الخ بدل
من امن خلق السموات وكذا ما بعده من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد والاظهر

تدارك وتتابع علمهم في شأن الآخرة التي ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع
ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة
ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية
والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها
الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك
حيث قيل **بل هم في شك منها** اي في شك مريب من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في امر
لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التي ستقع فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد
وافظع من الشك حيث قيل **بل هم منها عمون** بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال
بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفني وقد فسره الحسن البصري باضمحل علمهم
وقيل كلتا الصيغتين على معناها الظاهر اي تكامل واستحكم او تم اسباب علمهم بان القيامة
كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون
في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك
وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اشد منه وافظع
من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم
على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم
فيكون وصفا لهم بالجهل مبالغة والاضرابان على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرأ
ابي فابدلت التاء دالا واسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك
وقرئ بل أدرك واصله افتعل وبل ادارك وبل أأدرك وبل آدرك بالتخفيف
والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله أادرك على الاستفهام وبلى ادرك
وبلى أأدرك وام تدارك وام ادرك فهي ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او
مضمن من ذلك فهو انكار ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه
التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في النفي
ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم
وقال الذين كفروا بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع
الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم

أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون اي لمخرج من القبور اذا كنا ترابا كما سبق
عنه مخرجون ولا مساغ لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها
لكفى في المنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج في هذه الحالة
فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار
بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام
الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتأكيد وتكرير الهمزة في أئنا للمبالغة والتشديد في الانكار
وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة
لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم
تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة
وقرئ انا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا اي الاخراج نحن وآباؤنا من قبل اي من
قبل وعد محمد وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث اخر قصد به المبعوث
والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التأكيد وقوله تعالى
إن هذا الا أساطير الأولين تقرير اثر تقرير
بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل
وحده وباليوم الآخر الذي تنكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار وفي
التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم
على الكفر والتكذيب ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم فان الله
يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهما لغتان مصدر ويجوز ان يكون المفتوح مخففا
من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تكن في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب
العاجل الموعود ان كنتم صادقين في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين
في الاخبار بذلك قل عسى ان يكون ردف لكم اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة
للتأكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى
باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر وعسى
ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا
بان الرمز بها الى ما كالتصريح ممن علاهم وعلى ذلك مجرى وعد الله تعالى ووعيده وانا ...

من طول البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب
ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم وله زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج
في وصفها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد
ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا
بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وسائر خلقها خلق الطير وروي
عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير الى انه
رجل والمشهور انها دابة وروي لا تخرج الا رأسها ورأسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ
السحاب وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب
وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلثة ايام والناس
ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال
من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلث خرجات
تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد
حرمة على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين
الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروي
بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك
القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى
وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو
حتى يضيء وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة
حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم انت يا فلان من اهل الجنة
وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قرع الصفا
بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال بئس الشعب شعب اجياد مرتين او ثلثا قيل ولم ذاك
يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتكلمهم
بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى
اي تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها او بجميع آياته التي

من جملتها تلك الآيات وقيل هي آية التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة والأول هو الحق
كما ستحيط به علماً وقرئ بأن الناس بالباء واضافة الآيات الى نون العظمة لأنها حكاية
منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لأنها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل
لاختصاصها به تعالى وأثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل
والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف أي بآيات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها
مع أنهم كانوا جاحدين بها للايذان بأنه كان من حقهم أن يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا
بنقيضه وقرئ ان الناس بالكسر على اضمار القول أو اجراء الكلام مجراه والكلام في الاضافة
كالذي سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها أو تكليمها ويرده الجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق في الدنيا والمراد
بالناس اما الكفرة على الاطلاق أو مشركو مكة وقد روي عن وهب أنها تخبر كل من تراه
أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به
نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة أيضاً منه لمعنى التكثير
ولا يخفى بعده **ويوم نحشر من كل أمة فوجاً** بيان اجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة
بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد
بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الأمر بالذكر الى الوقت
مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مراراً أي واذكر لهم
وقت حشرنا أي جمعنا من كل أمة من أمم الأنبياء عليهم السلام أو من أهل كل قرن من
القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لأن كل أمة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى
ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج أي فوجاً مكذبين بها **فهم يوزعون** أي يحبس
أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة
على كثرة عددهم وتباعد أطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أبو جهل والوليد بن
المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الأمم
بين أيديهم الى النار **حتى إذا جاؤوا** الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب
قال أي الله عز وجل موبخاً لهم على التكذيب والالتفات لتربية المهابة **أكذبتم بآياتي**
الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى **ولم تحيطوا بها علماً** جملة حالية مفيدة لزيادة

أي الأجرام العظام اذا حركت نحو سمت لا يكاد يتبين حركتها وعليه قول من قال
بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد أدمج فيه المشبه
تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون
الجبال كالعهن المنفوش وهذا أيضاً مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله
عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات
الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها
وتسوية الأرض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعي
وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع
الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية
وقد قالوا في تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي
في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلاً للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية
كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد هي النفخة الأولى والفزع هو الذي يستتبع
الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الأرض
أي فيختص أثرها بمن كان حياً عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الأمم وجوز أن يراد
بالاتيان داخرين رجوعهم الى أمره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في أن ذلك مما ينبغي أن
ينزه ساحة التنزيل عن أمثاله وأبعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع
التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي أريدت بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة
ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سراباً وترج الأرض
بأهلها رجاً فتكون كالسفينة الموثقة في البحر أو كالقنديل المعلق ترججه الأرواح فانه مما
لا ارتباط له بالمقام قطعاً والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب
ما سيأتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون **صنع الله** مصدر مؤكد لمضمون
ما قبله أي صنع الله ذلك صنعاً على أنه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه
جميعاً قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الأفاعيل وتهويل أمرها والايذان بأنها
ليست بطريق اخلال نظم العالم وافساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن يدعو اليها داعية

او يكون لمجرد عاجته بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة
المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي الابداع
على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى الذي اتقن كل شيء
اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما تفعلون
تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين
وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن او السوء وترتيب
اجزائها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق
ما نطق به التنزيل ليتحقق المجازاة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه وانه
خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير اليه باحاطة
علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اي من جاء منكم او من اولئك الذين
اتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار
دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس
الحسنة كلمة الشهادة وهم اي الذين جاؤوا بالحسنات من فزع اي عظيم
هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة
وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر
وعن الحسن رضي الله تعالى عنه حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج
حين يذبح الموت وينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار
خلود فلا موت يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور آمنون لا يعتريهم
ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي يعتري كل من
في السموات ومن في الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب
والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال
ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل
بالجار وبدونه كما في قوله تعالى افأمنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة
مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الاولى لا جميع
الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداه

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال
والتفصيل في اشباهه نتلو عليك اي ننزل بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز
ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلو اي نتلو
بعض نبائهما بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو او من مفعوله
او صفة لمصدره اي نتلو عليك بعض نبائهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او تلاوة ملتبسة بالحق
لقوم يؤمنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل
لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئناف جار مجرى التفسير
للمجمل الموعود وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده
اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان وجعل
اهلها شيعا اي فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد او يشيع بعضهم
بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويسخره فيه
من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه
الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يستضعف
طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف
وقوله تعالى يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له
يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما
فائدة القتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين اي الراسخين في الافساد
ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض اي نتفضل عليهم على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه
وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا الآية

لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبأ، او حال من يستضعف بتقدير
المبتدأ اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة
الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لما ان تعلق الارادة للمن تعلق استقبالي
على ان منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز اجراؤها
مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة
بذكر حالتهم السابقة المباينة لها ونجعلهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين بعد ان كانوا
اتباعا مسخرين لآخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون
وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم
عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه
ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى ونمكن لهم في الارض اي نسلطهم
على مصر والشام يتصرفون فيهما كيف ما يشاؤون واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا
يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم اي من اولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون
ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء
ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك
اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه فالقيه في اليم
في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة بالغرق ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك
عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهي عن الخوف
والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا
فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل
فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلام فقالت لها
لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها
ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني
وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون
فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا

عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون انها تقصه
وتعرف حاله او انها اخته وحرمنا عليه المراضع اي منعناه ان يرتضع من المرضعات
والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه اعني الثدي
من قبل اي من قبل قصها اثره فقالت عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء
فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي لاجلكم
وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه منها قال
انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها
فرعون بان تأتي بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فدفعه
اليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك
فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فقرره في يدها واجرى
عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها
بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله اي جميع ما وعده من رده وجعله
من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الامر كذلك فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها
بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون
ولما بلغ اشده اي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة
واستوى فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين
اي اعتدل قده او عقله آتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم
قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل فعلا يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالى
استنبأه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين
على احسانهم ودخل المدينة اي مصر من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس
من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها او لا يتوقعونه فيه قيل كان
وقت القيلولة وقيل بين العشاءين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته اي ممن
شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اي من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة
على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته اي سأله ان يغيثه بالاعانة كما ينبئ عنه تعديته بعلى

وقرئ استغاثه على الذي من عدوه فوكزه موسى اي فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي
فضرب به صدره فقتله واصله انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك
الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يكن مامورا بقتل الكفار او لانه كان مامورا بان فيما
بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان
لانه لم يكن مامورا وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين في استعظام ما
فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال
توسيطه بين كلامه عليه السلام لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة
ودعاء بخلاف الاول اي بقتله ذنبي ذلك
اي المبالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت علي
اما قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا
ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادى
معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه عليه السلام لم يستثن فابتلي به
مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك
فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة او الاخبار
اي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له
موسى انك لغوي مبين اي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد
موسى اي لموسى وللاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان
القبط كانوا اعداء لبني اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء اي الاسرائيلي
ظانا انه يبطش به حسبما يوهمه تسميته اياه غويا اي كان
من اخراها او جاء من آخرها يسعى اي يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور
صفة له لا متعلق بجاء فان تخصصه يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون
واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك
اي يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر اي من المدينة
اني لك من الناصحين اللام للبيان لان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج منها اي من المدينة
لحوق الطالبين خلصني منهم

قال شعيب عليه السلام هي عادة تمنع كل من يبرأن يتأنى فيستأذن بعد ذلك على سبيل التقبل
لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من
اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما في دار نبي من
انبياء الله تعالى عليهم الصلوة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عم ان يقبل الاجر
لاضطرار الفقير والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب انه عليه السلام رفع صوته
بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك اجر ولعله عم انما فعله ليكون ذريعة
الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر قالت احداهما وهي التي استدعته الى ابيها
وهي التي زوجها من موسى عليهما السلام اي لرعي الغنم والقيام بامرها
تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة
في ذلك جعل خبر ان اسما وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على انه امين مجرب
روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ما شاهدت منه
عليه السلام من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها
بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني اي تكون اجيرا لي
وتثيبني من اجرته كذا اذا اثبته كذا اياه فقوله تعالى على الاول ظرف وعلى الثاني
مفعول به على تقدير مضاف اي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري
ومملوكي غير ممدود واجرت ممدودا والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا
والمعنى على ان تاجرني نفسك وقوله تعالى ثماني حجج ظرف كالوجه الاول
في الخدمة والعمل اي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق
الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرأيه على موسى واستدعاء منه للعقد لا
انشاء وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة
في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك
يشق عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رأيك في مزاولته
في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عم بالاستثناء
التبرك به وتفويض امره الى توفيقه تعالى لا التعليق ... مشيته تعالى قال ذلك بيني وبينك
مبتدأ وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا

لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى
ايما الاجلين اى اكثرهما او اقصرهما قضيت اى وفيتكه باداء الخدمة فيه فلا عدوان علي
تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اى لا عدوان علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين
وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان في
اكثرهما رأسا للقصد الى التسوية بينهما في الانتفاء اى كما لا اطالب بالزيادة على العشر
لا اطالب بالزيادة على الثماني او ايما الاجلين قضيت فلا اثم علي يعني كما لا اثم
علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط وقرئ اى الاجلين ما قضيت
فما مزيدة لتأكيد القضاء كما انها في القراءة الاولى مزيدة لتأكيد ابهام اى وشياعها
وقرئ ايما بسكون الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث
استهلت مواطره والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل
شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عليهما السلام
تمام ما جرى بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان
لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض
لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا روي انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى
عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت عنده عصي الانبياء
عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت
الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع
مرات فعلم ان له شأنا وقيل اخذها جبريل عليه السلام بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه
حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تأتيه بعصا
فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما
فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ
فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها
اعتراضا وعن الكلبي رحمه الله الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه
ولما اصبح قال له شعيب صلوات الله وسلامه عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك
فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت ذات اليمين

اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى
اى سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف
بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا بهذا اى السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين
اى واقعا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرئ قال
بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر
بينهما فيميز صحيحها من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اى العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا
وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات
منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ
يكون بالياء التحتانية انه لا يفلح الظالمون اى لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور
وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري قاله اللعين بعدما جمع السحرة وتصدى
للمعارضة وكان من امرهم ما كان فاوقد لي يا هامان على الطين اى اصنع لي آجرا فاجعل لي
منه صرحا لعلي اطلع الى اله موسى اى قصرا رفيعا كأنه توهم انه لو كان لكان جسما
في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منه
اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد
بنفي العلم نفي المعلوم كما في قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض
فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها
فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ
الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم
ولذلك نادى هامان باسمه بياء في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض
بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء
وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو انسب بالمقام فاخذناه وجنوده
عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم في اليم قد مر
تفصيله وفيه من تفخيم شأن الآخذ وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين ما
لا يخفى كأنه تعالى اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في البحر ونظيره قوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه

فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اي صيرناهم في عهدهم ائمة يدعون الى النار الناس الى ما يؤدي اليها من الكفر والمعاصي اي قدوة يقتدي بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الا تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة ودعاة الى النار كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فالانسب ح ان يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم ويكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصادفة عن ذلك ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة ولعن اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملائكة عليهم السلام والمؤمنون خلفا عن سلف ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه قال ابن عباس رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيمة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها المؤديين الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الباقية على ممر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار كانه قيل ولقد آتينا موسى التورية على حين حاجة الى ايتائها بصائر للناس اي انوار القلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر وهدى اي هداية الى الشرائع والاحكام التي هي سبل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف اي ذا بصائر الخ وقيل على العلة اي اتيناه الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول

فلما رجع الى الرهط واخبرهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى انا بكل اي بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما وتاكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله تعالى عليهما وسلم وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الجليل فتامل ودع عنك ما قيل وقيل الاتري الى قوله تعالى قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اي مما نزل على موسى من التورية والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى اتبعه جواب للامر اي ان تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين اي في انهما سحران مختلفان وفي ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اي فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه عليه السلام على كمال الامن من امره كان امره لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذلك غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه فاعلم انما يتبعون اهواءهم الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك لاتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام انكاري للنفي اي لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفي الاضل لا لنفي المساوي كما مر في نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع في التشنيع والتضليل والا فمقارنته لهداية الله تعالى بينة الاستحالة ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ بالتخفيف اي انزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون بما فيه الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل ايتاء القرآن هم به يؤمنون وهم مؤمنو اهل الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر

من الحبشة وثمانية من الشام {وإذا يتلى} أي القرآن {عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا}
أي الحق الذي كنا نعرف حقيته وهو استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم وقوله تعالى
{إنا كنا من قبله مسلمين} أي من قبل نزوله مسلمين بيان لكون إيمانهم به أمرا متقادما عهده لما شاهدوا
ذكره في الكتب المتقدمة وأنهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن أو تلقيه {أولئك} الموصوفون
بما ذكر من النعوت {يؤتون أجرهم مرتين} مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن
{بما صبروا} بصبرهم وثباتهم على الإيمانين أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى
من هاجرهم من أهل دينهم ومن المشركين {ويدرءون بالحسنة السيئة} أي يدفعون بالطاعة
المعصية لقوله عليه السلام أتبع الحسنة السيئة تمحها {ومما رزقناهم ينفقون} في سبيل الخير
{وإذا سمعوا اللغو} من اللاغين {أعرضوا عنه} عن اللغو تكرما كقوله تعالى وإذا مروا باللغو
مروا كراما {وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم}
بطريق المتاركة والتوديع {لا نبتغي الجاهلين} لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم {إنك
لا تهدي} هداية موصلة إلى البغية لا محالة {من أحببت} من الناس لا تقدر على
أن تدخله في الإسلام وإن بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود
{ولكن الله يهدي من يشاء} أن يهديه فيدخل في الإسلام {وهو أعلم بالمهتدين}
بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله قال يا ابن أخي
قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال خرع عند الموت ولولا أن يكون عليك
وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من
شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم
وعبد مناف {وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا} نزلت في الحارث
بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم أنك
على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب وإنما نحن أكلة رأس أن
يتخطفونا من أرضنا فرد عليهم بقوله تعالى {أولم نمكن لهم حرما آمنا} أي ألم نعصمهم
ولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم آمنون
فيه {يجبى إليه} وقرئ تجبى أي يجمع ويحمل إليه {ثمرات كل شيء} من كل أوب والجملة صفة أخرى

أنه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس
أجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للأتباع أيضا
لأصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لأملأن جهنم منك
وممن تبعك منهم ومسارعتهم إلى الجواب مع كون السؤال للعبدة إما لتفطنهم أن
السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالإضلال وجزمهم بأن العبدة سيقولون
هؤلاء أضلونا وإما لأن العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء إنما قالوا ما قالوا
ردا لقولهم إلا أنه لم يحك قول العبدة إيجازا لظهوره {ربنا هؤلاء الذين أغوينا}
أي هم الذين أغويناهم فحذف الراجع إلى الموصول ومرادهم بالإشارة بيان أنهم
يقولون ما يقولون بمحضر منهم وأنهم غير قادرين على إنكاره ورده وقوله تعالى {أغويناهم
كما غوينا} هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له أي ما أكرهناهم على
الغي وإنما أغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والإلجاء فغووا
باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز أن يكون الذين صفة لاسم الإشارة
وأغويناهم الخبر {تبرأنا إليك} منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير
لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى {ما كانوا إيانا يعبدون} أي ما كانوا
يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى
تبرأنا أي تبرأنا من عبادتهم إيانا {وقيل ادعوا شركاءكم} أنها تنجيكم
أو تدفع عنكم {فدعوهم} لفرط الحيرة {فلم يستجيبوا لهم} ضرورة عدم قدرتهم
على الاستجابة والنصرة {ورأوا العذاب} قد غشيهم {لو أنهم كانوا يهتدون} لوجه من وجوه
الحيل يدفعون به العذاب أو إلى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمني أي تمنوا
لو أنهم كانوا مهتدين {ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين} عطف على الأول
سئلوا أولا عن إشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عنه
{فعميت عليهم الأنباء يومئذ} أي صارت كالعمي عليهم لا تهتدي إليهم وأصله فعموا عن
الأنباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على أن ما يحضر الذهن يفيض عليه
ويصل إليه من خارج فإذا أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره وتعدية الفعل
بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالأنباء إنما طلب منهم مما أجابوا به الرسل

او جميع الانبياء وهي داخله فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام يتوقفون العلم في ذلك المقام الهائل الي علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسئول فما ظنك بالضلال من الامم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء اي يخلقه ويختار اي ما يختاره من غير ايجاب عليه تعالى ولا منع له اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخير والصلاح سبحان الله اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم لعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقدهم وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله اي المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل ارأيتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص من الدلاص يقال درع دلاص اي ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله

وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين اي لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندي كانه يريد به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لانبائه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل هو علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني ورأيي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ له من جهته الله عز وجل على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في التورية وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ التورية ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى أعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كان قارون لما هدد وذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ان ذلك لم يكن مما يختص بهم او بعلك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج عليهم كائنا في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رئي فيه المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من المؤمنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وعن قتادة

انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه فى سبل الخير وقيل كان المتمنون
قوما كفارا انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتأكيد له وقال الذين اوتوا العلم
اي باحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها
على ان العلم باحوال النشأتين يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على
الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغي ويلكم
دعاء بالهلاك شاع استعماله فى الزجر عما لا يرتضى ثواب الله فى الآخرة خير
مما تمنونه لمن آمن وعمل صالحا فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى
ولا يلقاها اى هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة
او الايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة الا الصابرون اي على الطاعات
وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى
كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف
على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني اسرائيل
فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا من ذهب
مملوءة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق
قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون
ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة
فاحضرت فناشدها عليه السلام ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا
على ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب
ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال
يا بني اسرائيل ان الله تعالى بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم
مكانه ومن كان معي فليعتزله فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض
خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم
فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه السلام بالله تعالى وبالرحم
وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل
يتناجون بينهم انما دعا عليه موسى عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الكلام فيه كالذي مر فى نظائره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده
لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا احسب الناس الحسبان ونظائره لا تتعلق
بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء او انتفاء
شيء عن شيء بحيث يتحصل منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فى قوة ان يقال احسبوا انفسهم
متروكين بلا فتنة لمجرد ان يقولوا آمنا او ان يقال احسبوا تركهم غير مفتونين
لقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده و
تحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض شهوات النفس
ووظائف الطاعات وفنون المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق
والراسخ فى الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان
وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود فى النار روي انها نزلت فى
ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل
فى عمار قد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامراته يدعى الى باب
الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى احسب او بقوله تعالى
لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها
فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن
والمحن ما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا كما يدل عليه قوله تعالى وكاين من نبي
قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا
الآيات وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على راسه

فيفرق فرقتين مايعرفه ذلك عن دينه وينشط باشاط الكديد دون عظمه من لحم وعصب مايعرفه ذلك عن دينه **فليعلمن الله الذين صدقوا** اي في قولهم آمنا **وليعلمن الكاذبين** في ذلك والفاء لترتيب مابعدها على ماينفصح عنه ماقبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتوراي فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة لبياض الوجوه وسوادها **ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا** اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة ومافيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لايجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا انفسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده **ساء ما يحكمون** اي بئس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك **من كان يرجو لقاء الله** اي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا وعقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ماكان يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه **فان اجل الله** الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت الذي عينه تعالى لذلك **لآت** لامحالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والتصرم دائما فلابد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيان وقته موجب

...وفيما سبق لبيان جنايته من اضلوه واللام للتبليغ اي قالوا مخاطبين لهم **اتبعوا سبيلنا** اي اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا في طريقتنا **ولنحمل خطاياكم** اي ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين له على امرهم بالاتباع للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى **وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء** وقرئ من خطيئاتهم اي وماهم بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض او حال **انهم لكاذبون** حيث اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار مايلزم مدلوله كما في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين **وليحملن اثقالهم** بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر اي وبالله ليحملن اثقال انفسهم كاملة **واثقالا** اخر **مع اثقالهم** لما تسببوا له بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه شيء ما اصلا **وليسئلن يوم القيمة** سؤال تقريع وتبكيت **عما كانوا يفترون** اي يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما** شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان المؤمنين باذية الكفار تأكيدا للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله عليه السلام

وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة راي الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميز لما في التكرير من نوع بشاعة فاخذهم الطوفان اي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بشيء على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اي والحال انهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية فانجيناه اي نوحا عليه السلام واصحاب السفينة اي ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة والقصة آية للعالمين يتعظون بها وابراهيم نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه على الاول ظرف للارسال اي ارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى للارشاد للخلق الى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابراهيم اعبدوا الله اي وحده واتقوه ان تشركوا به شيئا ذلكم اي ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم اي مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ان كنتم تعلمون اي الخير والشر وتميزون احدهما من الآخر او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى انما تعبدون من دون الله اوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق اي انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك وتخلقون افكا اي وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب واللعب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه

وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اي اولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والايلام

فما كان جواب قومه بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى

الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره وليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى فانجاه الله من النار الفاء فصيحة اي فالقوه في النار فانجاه الله تعالى منها بان جعلها عليه عليه السلام بردا وسلاما حسبما بين في مواضع اخر وقد مر في سورة الانبياء بيان كيفية القائه فيها وانجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع اصلا ان في ذلك اي في انجائه منها لآيات بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون وعن الفوز بمغانم آثارها محرومون وقال اي ابراهيم عليه السلام مخاطبا لهم

انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا اي لتتوادوا وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف اي اوثانا آلهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف او بتأويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة مبالغة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرئ مودة منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئت بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم اي ليس الا في الحياة الدنيا وقد انصرمت احكامه حيث فعلتم ما فعلتم لاجل مودتكم لها انصارا ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم ثم يوم القيامة تنقلب الامور وتتبدل التوادد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم ببعض وهم العبدة

وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضا اي يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان
حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر ومأواكم النار اي هي منزلكم الذي تأوون اليه
ولا ترجعون منه ابدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار
التي القيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اي ما لاحد منكم من ناصر اصلا فآمن
له لوط اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان
منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا او على
ان يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهي التي لا يرتقي اليها الا همم الافراد الكمل ولوط هو ابن اخته
عليهما السلام وقال اني مهاجر اي من كوثى الى ربي اي حيث امرني به انه هو العزيز
الغالب على امره فيمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة
فلا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه
الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب
ولدا ونافلة حين أيس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب
اي جنس الكتاب ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا
باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه
آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين اي الكاملين في الصلاح ولوطا منصوب اما
بالعطف على نوحا او على ابرهيم والكلام في قوله تعالى اذ قال لقومه كالذي مر في قصة
ابرهيم انكم لتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح وقوله
ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين
على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس أئنكم
لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة حيث روي انهم كانوا
كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسآء بالاعراض عن الحرث واتيان ما
ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتأتون في ناديكم
اي تفعلون في مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها
مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخذف بالحصى
والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار

نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي فكل واحد
من المذكورين اخذنا بذنبه اي عاقبناه بجنايته لا ببعضه دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل
ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود
ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم
بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار
على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته
في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة
الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب
وعنكبوتات واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع وان اوهن البيوت لبيت
العنكبوت حيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا يعلمون
اي شيئا من الاشياء لجزموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل
بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين
دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم
وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة
وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم
ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ تدعون بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم
وتأكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين
فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر
القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت
وان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اي هذا المثل وامثاله نضربها
للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد
الا العالمون الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم

انه تلاهن فقال العالم من عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله
السموات والارض بالحق اى محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق
او ملتبسة بالحق الذى لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من
مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى
المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى ان فى ذلك لاية للمؤمنين دالة لهم
على ما ذكر من شؤونه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد
فى خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك اتل ما اوحى اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى
بقراءته وتذكرا لما فى تضاعيفه من المعانى وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه
من الاحكام ومحاسن الاداب ومكارم الاخلاق واقم الصلوة اى داوم على اقامتها
وحيث كانت الصلوة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره عليه السلام
باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه
قيل وصل بهم ان الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء
عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلى عن
معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى عنهم فى الصلوة منتهى ومزدجر
عن معاصى الله تعالى فمن لم يأمره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته
من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر
فصلوته وبال عليه وروى انس رضه ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام
حاله فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله ولذكر الله اكبر
اى وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما فى قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله
للايذان بان ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات
وقيل ولذكر الله تعالى عن الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فى الزجر عنهما
وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه
ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى
الا بالتى هى احسن اى بالخصلة التى هى احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم

حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج
الابهام كما فى قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب
على طريق الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا اجل مسمى قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه فى اللوح
لجاءهم العذاب المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالاجل يوم القيمة لما روى
انه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه بعذاب الاستيصال وان
يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم وفيه بعد ظاهر
لما انهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعى ولا كانوا يستعجلون به وليأتينهم جملة مستأنفة
مبينة لما اشير اليه فى الجملة السابقة من مجئ العذاب عند محل الاجل اى وبالله ليأتينهم
العذاب الذى عين لهم عند حلول الاجل بغتة اى فجاءة وهم لا يشعرون اى باتيانه
ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسؤلهم
فان ذلك اتيان برأيهم وشعورهم لا انه يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال
كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون
لما ان اتيان عذاب الاخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب
وان جهنم لمحيطة بالكافرين استيناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة
على ان ما استعجلوه عذاب الاخرة اى يستعجلونك بالعذاب والحال ان محل العذاب الذى
لا عذاب فوقه محيط بهم كانه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اى سيحيط بهم
وانما جئ بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها او تنزيلا لحال السبب منزلة
حال المسبب فان الكفر والمعاصى الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصى هى
فى الحقيقة لكنها ظهرت فى هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله فى سورة الاعراف
عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق واللام فى الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر
للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا يوم يغشاهم العذاب ظرف
لمضمر قد طوى ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كانه قيل يوم يغشاهم العذاب الذى
اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى به المقال وقيل ظرف
للاحاطة من فوقهم ومن تحت ارجلهم اى من جميع جهاتهم ويقول اى الله عز وجل

وبعضده القراءة بنون العظمة او بعض ملئكته بامره ذوقوا ما كنتم تعملون
اي جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال
بالعذاب يا عبادي الذين آمنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا
يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم
ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد انتم فيه ولم يتيسر لكم
اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتيسر لكم ذلك وعنه عم من فر بدينه من ارض الى ارض
ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما السلام والفاء
جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض
فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى
الاختصاص والاخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون جملة مستأنفة
جيء بها حثا على المسارعة في الامتثال بالامر اي كل نفس من النفوس واجدة
مرارة الموت وكربه راجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته
فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا اي علالي وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم
من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا اما باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض
او بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم تجري من تحتها
الانهار صفة لغرفا خالدين فيها اي في الغرف او الجنة نعم اجر العاملين
اي الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم
الذين صبروا اما صفة للعاملين او نصب على المدح اي صبروا على اذية المشركين وشدائد
المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولم يتوكلوا
فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف
نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت اي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها
او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها
واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب

سورة الروم وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم سبق الكلام فيه كالذي مر في امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم في ادنى الارض
اي ادنى ارض العرب منهم اذ هي الارض المعهودة عندهم وهي اطراف الشام او في ادنى
ارضهم من العرب على ان اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى
ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الاردن وفلسطين وقرئ
في اداني الارض وهم اي الروم من بعد غلبهم اي من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام
وهي لغة كالجلب والجلب سيغلبون اي سيغلبون فارس في بضع سنين روي ان
فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة
ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس
اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه لا يقرر الله اعينكم
فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف اللعين كذبت اجعل
بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر
ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده في
الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر
يوم بدر فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق
به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة
وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث اخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير
وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت على ريف الشام

ويغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم
فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين و
آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين
ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين
اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس
وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا
بمعنى اولا وآخرا ويومئذ اي يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم
يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم
من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله اظهار صدق
المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى انه ولّى
بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وفلّ كل منهما شوكة الآخر
وفي ذلك قوة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله
العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الانسب لقوله تعالى ينصر من يشاء
اي من يشاء ان ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فانه استئناف مقرر
لمضمون قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وهو العزيز المبالغ في العزة والغلبة
فلا يعجزه من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان الرحيم المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء
ان ينصره اي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر لما
ان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخيرة فلان المسلمين وان كانوا
مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة
لتقدمه في الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كأنه قيل
وعد الله وعدا لا يخلف الله وعده اي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة
الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف
مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان تكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كأنه قيل وعد الله
وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ما سبق من شؤونه تعالى

اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا
تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها
مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد
والتصرف في اكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجؤون الى واد لا نفع فيه
يخافون ان يتخطفهم الناس وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات
الواضحات فما كان الله ليظلمهم اي فكذبوهم فاهلكهم فما كان الله ليهلكهم
من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه
تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بان اجترؤوا على اقتراف ما يوجبه من المعاصي العظيمة
اي عملوا السيئات وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار
بعلة الحكم السوأى اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وافظعها التي هي العقوبة بالنار
فانها تأنيث الاسوأ كالحسنى تأنيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة
مبالغة كأنها نفس السوء وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ
على العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تعالى ان كذبوا بآيات الله علة
لما اشير اليه من تعذيبهم الدنيوي والاخروي اي لان كذبوا او بان كذبوا بآيات الله
المنزلة على رسله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة على ايديهم وقوله تعالى وكانوا بها
يستهزؤون عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة
المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل
وقد قيل وقيل اي ينشئهم بعد الموت بالبعث
الى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء
ويوم تقوم الساعة التي هي وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه يبلس المجرمون
اي يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فابلس اي سكت وايس من
ان يحتج وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا افحمه واسكته ولم يكن لهم
من شركائهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع
لوقوعها في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا وكانوا بشركائهم كافرين

اي بالبيهم ونتركهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه امرهم وصيغة الماضي الدالة على التحقق
وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك اذ ليس في الاخبار به فائدة يعتد بها
ويوم تقوم الساعة اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى يومئذ يتفرقون
تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق
المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم
افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم الى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله فريق في الجنة
وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب في قوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل ارض
ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور
يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين
واختلف فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن
قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع
السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم
اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار
من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة
قال الراوي فسألت ابا الدرداء رضي الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في
الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا
من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الجنة
الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها الآيات الناطقة بما فصل
ولقاء الآخرة صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء بامره وقوله تعالى
فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تعالى
وبلقاء الآخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون
بما فصل من القبائح في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه ابدا فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون

المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا ان في ذلك اي فيما ذكر من
خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من
معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد منزلته لآيات عظيمة لا يكتنه كنهها
كثيرة لا يعاد قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف تلك الافاعيل المبنية
على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس باية
فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن آياته بل هي مشتملة على آيات شتى ومن آياته الدالة
على ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من الجزاء خلق السموات والارض اما من حيث ان
القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا
قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما ينبئ عنه
قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف السنتكم
اي لغاتكم بان علم كل صنف لغته والهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله
فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه والوانكم ببياض الجلد
وسواده وتوسط فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع
التمايز بين الاشخاص حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية
لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه وانما نظم
هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقية
بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز
عن توهم كونه من تتمات خلقهم ان في ذلك اي فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف
الالسنة والالوان لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها للعالمين اي المتصفين
بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح
الآيات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة ومن آياته منامكم بالليل والنهار
لاستراحة القوى النفسانية وتقوية القوى الطبيعية وابتغاؤكم من فضله فيهما
فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول
في الاول والثاني في الثاني او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق

لسائر الآيات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين الاوليين بالاخريين
لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان في ذلك
لآيات لقوم يسمعون اي شأنهم ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث
يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى ومن آياته يريكم البرق
الفعل اما مقدر بان كما في قول من قال الا ايها الزاجري احضر الوغى اي ان احضر او منزل
منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وهو على حاله صفة
لمحذوف اي آية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت
واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها واخرى ابتغي فيها ومن آياته شيء
او سحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم ونصبهما
على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق يستلزم رؤيتهم اياه او للمذكور
نفسه على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او على تأويل الخوف والطمع بالاخافة
والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء
وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
فانها من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل عند استنباطها في استعمال اسبابها
وكيفية تكونها ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره اي باقامته لهما والتعبير عنها
بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والاسباب وليس المراد باقامتهما
انشاءهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض بل اقامتهما
بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على
ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما واستمرارهما
على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تعالى ما خلق الله السموات والارض الا بالحق
واجل مسمى حيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث
في الوجود واخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر ايضا فقيل ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء
اجل قيامهما مترتبا على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كانه قيل ومن آياته
قيام السموات والارض على هيئاتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم

والجمع باعتبار المعنى وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وافراد
على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على قاعدة مقابلة الجمع بالجمع فاقم وجهك للدين
تمثيل للاقبال على الدين والاستقامة والثبات عليه والاهتمام بترتيب اسبابه فان من
اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه اي
فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المامور
او من الدين فطرة الله الفطرة الخلقة وانتصابها على الاغراء اي الزموا او عليكم فطرة
فان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد في اقم لما ان الرسول صلى الله عليه وسلم
امام الامة فامره عليه السلام مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال
باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر اي فطر الله فطرة وقوله تعالى
التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله
الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او عن ملة الاسلام
من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها
وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه
قوله عليه السلام حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم
وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون
ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للامر
بلزوم فطرته تعالى او لوجوب الامتثال به اي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال
بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان وقيل
لا يقدر احد على ان يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة
بازالتها رأسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه
ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة
ان سلامة الفطرة متحققة في كل احد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها
وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك اشارة الى
الدين المامور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء او الى الفطرة
ان فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور او باعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه

ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه صدوداً
منيبين إليه حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أو في أقم لعمومه للأمة حسبما
أشير إليه وما بينهما اعتراض أي راجعين إليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى وقوله تعالى
واتقوه أي من مخالفة أمره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى وأقيموا الصلوة
ولا تكونوا من المشركين المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلاً
من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين بإعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما
يعبدونه على اختلاف أهوائهم وفائدة الإبدال التحذير عن الانتماء إلى حزب من أحزاب المشركين
ببيان أن الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به
وكانوا شيعاً أي فرقاً تشايع كل منها إمامها الذي أضلها كل حزب بما لديهم
من الدين المعوج المؤسس على الرأي الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون
ظناً منهم أنه حق وأنى له ذلك والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم
وكونهم شيعاً وقد جوز أن يكون فرحون صفة لكل على أن الخبر هو الظرف المقدم أعني من
الذين فرقوا ولا يخفى بعده وإذا مس الناس ضر أي شدة دعوا ربهم منيبين إليه
راجعين من دعاء غيره ثم إذا أذاقهم منه رحمة خلاصاً من تلك الشدة إذا فريق منهم
بربهم الذي كانوا دعوه منيبين إليه يشركون أي فاجأ فريق منهم الإشراك وتخصيص هذا
البعض ببعضهم لما أن بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد أي مقيم
على الطريق القصد أو متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ليكفروا بما آتيناهم
اللام فيه للعاقبة وقيل للأمر التهديدي كقوله تعالى فتمتعوا غير أنه التفت فيه للمبالغة وقرئ
وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على أن تمتعوا ماض والالتفات
إلى الغيبة في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم للإيذان بالإعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم
بطريق المباثة سلطاناً أي حجة واضحة وقيل ذا سلطان أي ملكاً معه برهان فهو يتكلم
تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق أو تكلم نطق بما كانوا به يشركون
بإشراكهم به تعالى أو بالأمر الذي بسببه يشركون وإذا أذقنا الناس رحمة أي نعمة من صحة وسعة
فرحوا بها بطراً وأشراً لا حمداً وشكراً وإن تصبهم سيئة شدة بما قدمت أيديهم بشؤم معاصيهم
إذا هم يقنطون فاجؤوا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون أولم يروا أي ألم ينظروا

حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم وإشعار بأن الانتقام من
الكفرة لأجلهم وقد يوقف على حقاً على أنه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية
الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من أحوال الرياح وأحكامها لإنذار
الكفرة وتحذيرهم عن الإخلال بمواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون
بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بإرسال الرياح كيلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك الأمم من
الانتقام الله الذي يرسل الرياح استئناف مسوق لبيان ما أجمل فيما سبق من
أحوال الرياح فتثير سحاباً فيبسطه متصلاً تارة في السماء في جوها كيف يشاء
سائراً أو واقفاً مطبقاً وغير مطبق من جانب دون جانب إلى غير ذلك ويجعله كسفاً
تارة أخرى أي قطعاً وقرئ بسكون السين على أنه مخفف جمع كسفة أو مصدر وصف به
فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فإذا أصاب به من يشاء من عباده أي بلادهم
وأراضيهم إذا هم يستبشرون فاجؤوا الاستبشار بمجيء الخصب وإن كانوا إن مخففة
من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف أي وإن الشأن كانوا من قبل أن ينزل
عليهم أي المطر من قبله تكرير للتأكيد والإيذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه
وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الإرسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون
وليس بواضح وأقرب من ذلك أن يكون الضمير للاستبشار بالإشارة الإجمالية تعالى
زبانيتها ببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة إذا الفجائية لمبلسين
خبر كانوا واللام فارقة أي آيسين فانظر إلى آثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات
والأشجار وأنواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ أثر بالتوحيد وقوله تعالى
كيف يحيي أي الله تعالى الأرض بعد موتها في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق
لانظر أي فانظر إلى إحيائه البديع للأرض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وأياً ما كان
فالمراد بالأمر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه
من أمر البعث وقرئ تحيي بالتاء على الإسناد إلى ضمير الرحمة إن ذلك العظيم الشأن
الذي ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على إحيائهم فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد
أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية
أي لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي مبالغ

في القدرة على جميع الأشياء التي من جملتها إحياؤهم لأن نسبة قدرته إلى الكل سواء
ولئن أرسلنا ريحا فرأوه أي الأثر المدلول عليه بالآثار أو النبات المعبر عنه بالآثار فإنه
اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته وقد جوز أن يكون الضمير للسحاب لأنه
إذا كان مصفرا لم يمطر واللام في ولئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط
والفاء في فرأوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم الساد مسد الجوابين أي
والله لئن أرسلنا ريحا حارة أو باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا
لظلوا من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم
بين طرفي الإفراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم أن يتوكلوا على الله تعالى
في كل حال ويلجؤوا إليه بالاستغفار إذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى
ويبادروا إلى الشكر بالطاعة إذا أصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وأن يصبروا على
بلائه إذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا نعماءه فعكسوا الأمر وأبوا ما يجديهم وأتوا ما يرديهم
فإنك لا تسمع الموتى لما أنهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين
تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على أنهم جامعون لخصلتي السوء
نبو أسماعهم عن الحق وإعراضهم عن الإصغاء إليه ولو كان فيهم إحداهما لكفاهم ذلك
فكيف وقد جمعوهما فإن الأصم المقبل إلى المتكلم ربما يفطن من أوضاعه وحركاته شيئا من
كلامه وإن لم يسمعه أصلا وأما إذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء
المفتوحة ورفع الصم وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود
الحقيقي من الإبصار أو لعمي قلوبهم وقرئ تهدي العمي إن تسمع أي ما تسمع إلا من يؤمن بآياتنا
فإن إيمانهم يدعوهم إلى التدبر فيها وتلقيها بالقبول أو الأمن يشارف الإيمان بها ويقبل عليها
إقبال الأعمى فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به من الحق
الله الذي خلقكم من ضعف
مبتدأ وخبر أي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله تعالى وخلق الإنسان
ضعيفا أي خلقكم من أصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك عند
بلوغكم الحلم أو تعلق بأبدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة إذا أخذ منكم
السن وقرئ بضم الضاد في الكل وهو أقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لأن المتقدم غير المتأخر

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم
أي ذي الحكمة لاشتماله عليها أو هو وصف له بصفة الله تعالى أو أصله الحكيم منزله
أو قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعا فاستكن في
الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا أعقدت اللبن فهو عقيد
أي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية من
الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة وقرئ بالرفع على أنهما خبران آخران لاسم الإشارة
أو لمبتدأ محذوف للمحسنين أي العاملين للحسنات فإن أريد بها مشاهيرها المعهودة
في الدين فقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان
لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وإن أريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لإظهار فضلها
وإنافتها على غيرها وتخصيص الوجه الأول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الأخير
بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون
الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مرهوب لحيازتهم قطري العلم والعمل وقد مر تمامه
من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن الناس محله الرفع على الابتداء
باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى من يشتري لهو الحديث موصولة
أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذي يشتري
أو فريق يشتري على أن مناط الإفادة والمقصود بالأصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة أو
الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله
وباليوم الآخر الآية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير

لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة
بمعنى من التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من
ذلك وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث
بها قريشا ويقول ان كان محمد عليه السلام يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث
رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة
من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله اى دينه الحق الموصل اليه تعالى
او عن قراءة كتابه الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اى ليثبت ويستمر على ضلاله
او ليزداد فيه بغير علم اى بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت
بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث
وهو دين الاسلام او القرآن اى ويتخذها هزوا مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع
عطفا على يشتري وقوله تعالى اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد
في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه
للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال
لهم عذاب مهين لما اتصفوا به من اهانتهم الحق باختيار الباطل عليه وترغيب الناس فيه
واذا تتلى عليه اى على المشتري افرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلثة الاول باعتبار
لفظه من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناها آياتنا التي هي آيات الكتاب الحكيم وهدى
ورحمة للمحسنين ولى اعرض عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا في التكبر كان لم يسمعها
حال من ضميره في ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشان وخففت
المثقلة اى مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من يسمعها لا يتصور منه
التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها على طريقة قول من قال
كانك لم تجزع على ابن طريف كان في اذنيه وقرا حال من ضمير لم يسمعها اى مشبها
حاله حال من في اذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز ان يكونا استينافين وقرئ
وقرئ في اذنيه بسكون الذال فبشره بعذاب اليم اى فاعلمه بان العذاب المفرط
في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان الياء وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه
كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم
تعليل للنهي او الانتهاء عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه الى آخر الكلام مستانف اعترضه
على نهج الاستطراد في اثناء وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى
حملته امه الى قوله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر وهنا حال من امه
اى ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اى تهن وهنا وقوله تعالى على وهن صفة
للمصدر اى كائنا على وهن اى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا يزال يتضاعف ضعفها
وقرئ وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وقوله تعالى
وفصاله في عامين اى فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي وعند
ابي حنيفة رحمهما الله هي ثلثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ وفصله ان اشكر لي
ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقها خاصة ولذلك
قال عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير
تعليل لجواب الامتثال بالامر اى الى الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك
من الشكر والكفر وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به اى بشركته له تعالى في استحقاق
العبادة علم فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا اى صحابا معروفا يرتضيه الشرع
ويقتضيه المروة واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم
اى مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم بما كنتم تعملون بان
اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى يا بني انها شروع في حكاية بقية وصايا لقمان
اثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتاكيده بالاعتراض انها ان تك
مثقال حبة من خردل اى ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر
كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتانيث لاضافة المثقال
الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة
فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اى فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر والقماءة
في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يات بها الله
اى يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير بكنهه او بعد ان امره بالتوحيد

الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال
علم الله تعالى وقدرته امره بالصلوة التي هي اكمل العبادات التكميل له من حيث
العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له يا بني اقم الصلوة تكميلا
لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من
الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى كل ما ذكر وما فيه من
معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في
الفضل من عزم الامور اي مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد
مزيتها مصدر اطلق على المفعول وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى
فاذا عزم الامر اي جدوا والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر
والنهي وايذان بان ما بعده ليس بمثابته ولا تصعر خدك للناس اي لا تمله ولا
تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب
البعير فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى
مثل علاه وعالاه واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع
الحال او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله
لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي او موجبه وتأخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر
خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك
بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام
سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضي الله تعالى عنهما كان
اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من
اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر
ان انكر الاصوات اي اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه واكده
مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير
عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما
ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان
حال صوت هذا الجنس من بين اصوات سائر الاجناس وقوله تعالى

تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون
دون البحر المحيط مع كونه اعظم منها واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه
الجارية واليها تصب الانهار العظام اولا ومنها ينصب الى البحر المحيط ثانيا
وايثار جمع القلة في الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف
بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر
فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما ما خلقكم ولا بعثكم الا
كنفس واحدة اي الا كخلقها وبعثها في سهولة التأتي اذ لا يشغله شأن
عن شأن لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما
يفصح عنه قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله
سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم البعض
فكذلك الخلق والبعث الم تر خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق اي
الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل اي يدخل كل واحد منهما في الآخرة بضيفه اليه فيتفاوت
بذلك حاله زيادة ونقصانا وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف
بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد في كل حين واما
تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في آثاره
وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجري اي بحسب حركته الخاصة
وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد
الايام جريا مستمرا الى اجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة
كما روي عن الحسن رحمه الله فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير
عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد
وعلى تقدير اختصاصه به عليه السلام يجوز ان يكون حالا من الشمس والقمر
فان جريانهما الى يوم القيمة من جملة ما في حيز رؤيته عليه السلام هذا

وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والاجل المسمى
عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة
حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين في الآخر
وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية
فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الرأس تزداد القوس التي هي فوق
الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان
يبلغ المدار الذي هو اقرب المدارات الى سمت الرأس وذلك عند
بلوغها الى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الرأس
فلا تزال القسي التي فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض
اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذي هو ابعد المدارات اليومية
عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدي وقوله تعالى
وان الله بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج الخ داخل معه في
حيز الرؤية على تقديري خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل
ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل
محيطا بجلائل اعماله ودقائقها ذلك اشارة الى ما تلي من الآيات الكريمة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى بان الله هو الحق اي بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجل
لكونها ناطقة بحقية التوحيد وان ما يدعون من دونه الباطل اي ولاجل
بيان بطلان الهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة
بينة لا ريب فيها وترى بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة على اختصاص
حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الالهية ما عداه
لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر
ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا وان الله هو
العلي الكبير اي وبيان انه تعالى هو المترفع عن كل شيء المتسلط عليه
فان ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به

بسم الله الرحمن الرحيم

الم اما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا
مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها واما مسرود على
نمط التعديد فلا محل له من الاعراب تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه
مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ محذوف اي المؤلف
من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى به تنزيل الكتاب
وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه
واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه
الاول وثان على الاخيرين وقيل خبر تنزيل الكتاب فقوله تعالى من رب العالمين
متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اي كائنا منه تعالى لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما
بعد الخبر والاوجه ح انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه
راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين
ويؤيده قوله تعالى ام يقولون افتراه فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب
العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه
وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية
ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل
بل هو الحق من ربك باضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام بعد اضافته فيما سبق
الى العالمين تشريفا له عليه السلام ثم ايد ذلك ببيان غايته حيث قيل لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان بيان غاية الشيء وحكمته
لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما
يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية

بإرسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث إليهم من رسول قبله عليه السلام
أي ما أتاهم من نذير من قبل إنذارك أو من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته
عليه السلام أي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم أو لرجاء اهتدائهم واعلم أن ما ذكر من
التأييد إنما يستتب على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ وأما على سائر
الوجوه فلا تأييد أصلا لأن قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الأول
وخبر ثالث على الوجهين الأخيرين وأيا ما كان فكونه من رب العالمين
حكم مقصود الإفادة لا قيد لحكم آخر فتدبر **الله الذي خلق السموات والأرض**
وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مر بيانه فيما سلف
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أي ما لكم إذا جاوزتم رضاه تعالى أحد
ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه أو ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي
يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على أن الشفيع عبارة عن الناصر مجازا
فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير **أفلا تتذكرون** أي ألا تسمعون هذه
المواعظ فلا تتذكرون بها فالإنكار على الأول متوجه إلى عدم السماع وعدم
التذكر معا وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع **يدبر الأمر**
من السماء إلى الأرض قيل يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة
آثارها وأحكامها إلى الأرض **ثم يعرج إليه** أي يثبت في علمه موجودا بالفعل
في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون أي في برهة من الزمان متطاولة والمراد
بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر
أمر الحوادث اليومية بإثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم يعرج إليه
في زمان هو كألف سنة مما تعدون فإن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة
وقيل يقضي قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الألف لألف آخر
وقيل يدبر أمر الدنيا جميعا إلى قيام الساعة ثم يعرج إليه الأمر كله عند قيامها
وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء إلى الأرض بالوحي ثم لا
يعرج إليه خالصا إلا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والأعمال الخلص

لا كما زعموا أن الموت من الأحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة
أي يقبض أرواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئا أو لا يترك منكم أحدا على أشد ما يكون
من الوجوه وأفظعها من ضرب وجوههم وأدبارهم **الذي وكل بكم**
أي بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم **ثم إلى ربكم ترجعون** بالبعث للحساب والجزاء
ولو ترى إذ المجرمون وهم القائلون أئذا ضللنا في الأرض الآية أو جنس المجرمين
وهم من جملتهم **ناكسوا رءوسهم عند ربهم** من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم التي
اقترفوها في الدنيا **ربنا** أي يقولون ربنا **أبصرنا وسمعنا** أي صرنا ممن يبصر ويسمع
وحصل لنا الاستعداد لإدراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا
وصما لا ندرك شيئا **فارجعنا** إلى الدنيا **نعمل عملا صالحا** حسبما تقتضيه تلك الآيات
وقوله تعالى **إنا موقنون** ادعاء منهم لصحة الأفئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات
والعمل بموجبها كما أن ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كأنهم قالوا وأيقنا وكنا
من قبل لا نعقل شيئا أصلا وإنما عدلوا إلى الجملة الاسمية المؤكدة إظهارا لثباتهم على
الإيقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الإجابة إلى ما سألوه
من الرجعة وأنى لهم ذلك ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما
يبصرونه ويسمعونه فإنهم حينئذ يشاهدون الكفرة على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة
بأن مصيرهم إلى النار لا محالة فالمعنى أبصرنا قبح أعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا
أن مردنا إلى النار وهو الأنسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى
وسمعنا منك تصديق رسلك وأنت خبير بأن تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون
بإظهار مدلول ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا بالإخبار بأنهم صادقون حتى يسمعوه
وقيل وسمعنا قول الرسل أي سمعناه سمع طاعة وإذعان ولا يقدر لترى مفعول
إذ المعنى لو تكون منك رؤية في ذلك الوقت أو يقدر ما ينبئ عنه صلة إذ والمضي فيها
وفي لو باعتبار أن الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف أي لرأيت
أمرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل أحد ممن يصح له كائنا من كان إذ المراد
بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها
براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الأمور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتأتى منه

الرؤية تنجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علق عموم الخطاب بالقصد الى بيان
ان حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة ولا تختص رؤيته راء
دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى
عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما ينفصح عنه الجواب المحذوف
لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها مقدر بقول معطوف على مقدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا الى آخره
اي ونقول لو شئنا اي لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطي كل نفس من النفوس
البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي دار
الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول مني اي سبقت كلمتي حيث قلت
لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول
لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم
نعطه الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث
صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم
اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه
الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى انما يؤمن
باياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم الذي
لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلي بافعال العباد عند حدوثها
لان المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة على
تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطها علمه تعالى ازلا بصرف
اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريدت هي من تلك
المشيئة لاستدرك بعدمها ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله
فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من
اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر
وايثاره فقد اشتبه عليه الشؤون والتفت في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق

اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب
الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذين يشاهدونه وهم في الحياة يرجعون يتوبون
عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم
ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان
حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع
غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة ولا يكشف
الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم وان كان
سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اي
من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم
واشد جرما من كل مجرم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة عبر عنها باسم الجنس
فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي هو القرآن كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى
انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك
من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقائك موسى الكتاب او من لقائك موسى عليه السلام وعنه عليه السلام
رأيت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه
اي الكتاب الذي آتيناه موسى هدى لبني اسرائيل وقيل لم يتعبد بما في التوراة ولد اسمعيل
وجعلنا منهم ائمة يهدون بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق
او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه بامرنا اياهم بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا اي
لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم
ائمة او هي ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق
الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا
اي لصبرهم وكانوا بآياتنا التي في تضاعيف الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر
والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناك هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك
الهداية ان ربك هو يفصل اي يقضي بينهم قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المؤمنين

والمشركين يوم القيمة فيميز بين الحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين
اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية
من قبيل فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول به او ما يعني التبيين
والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اي غفلوا ولم يفعل الهداية
لهم او ولم يتبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط
وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا ضميره تعالى
فيكون قوله تعالى كم اهلكنا استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم اي
يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ
يمشّون للتكثير ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية او في مساكنهم
لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة
وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك الارض زرعا تأكل منه اي من ذلك
الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل
بالياء وانفسهم كالحبوب التي تقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون اي الا ينظرون
فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ويقولون كان المسلمون
يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا
سمعوا يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اي النصر
او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين في ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل
تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح
يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر
وعن مجاهد والحسن رحمهما الله يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه
ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به كذا ايمانهم واستنظارهم
يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لا تستعجلوا
فكأني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على

سورة الأحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله في ندائه عليه السلام بالنبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى الثبات عليه والازدياد منه

لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة
كما عدي آلى بمن وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره
يقرب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها
الى السماء وقرئ اللاي وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التائين من تتظاهرون
وتظّاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهّرون من اظّهر بمعنى تظهّر وتظاهرون من ظاهر
بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياءكم جمع دعي وهو الذي
يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء كأنه
شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء ذلكم اشارة الى ما ذكر من الظهار
والادعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من سياق الكلام اي دعاؤكم بقولكم هذا ابني قولكم
بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذا هو بمعزل عن ان يستتبع
احكام البنوة كما زعمتم والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق
لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم وخصوهم
وقوله تعالى هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب
للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء
لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه فان لم تعلموا آباءهم
فتنسبوهم اليهم فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اي فادعوهم
بالاخوة الدينية والمولوية وليس عليكم جناح اي اثم فيما اخطأتم به اي فيما فعلتموه من ذلك
مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما
تعمدت قلوبكم بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه
عن المخطئ وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه
الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي في كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به
الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه
آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة
تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم

اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وأزواجه أمهاتهم اي منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء وأولو الأرحام اي ذوو القرابات بعضهم أولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزله وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اي كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التورية وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل وأخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا عظيم الشان او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشانه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ليسأل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا مقصودا كما ينبئ عنه تغير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اي ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم

اي تظنون به تعالى انواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنونا بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما زيدت في القوافي هنالك ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اي في ذلك الزمان الهائل او المكان الدحض ابتلي المؤمنون اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاي وإذ يقول المنافقون عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض اي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من اعلاء الدين والظفر إلا غرورا اي وعدا غرورا وقيل قولا باطلا القائل معتب بن قشير واضرابه رضوا به قال يعدنا محمد فتح كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فما هذا الا وعد غرور وإذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه يا أهل يثرب هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة او طابة كانهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صلى الله عليه وسلم ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها لا مقام لكم لا موضع اقامة لكم او لا اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم اي لا قيام او لا موضع قيام لكم فارجعوا اي الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا مقام لكم في دين محمد عليه السلام فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله ويستأذن فريق منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة

استيذانه عليه السلام في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستاذن او حال من فاعله او استيناف مبني على السؤال عن كيفية الاستيذان ان بيوتنا عورة اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فاذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد جوز ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اي اختلت وقد قرئ بها والاول انسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون اي ما يريدون بالاستيذان الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور من اقطارها اي من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة والفساد ثم سئلوا من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الايمان والطاعة لآتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لاتوها بالقصر اي لفعلوها وجاؤها وما تلبثوا بها بالفتنة اي ما لبثوا وما اخروها الا يسيرا ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللائق بالمقام هذا واما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشيء يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه آثر ذي اثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون في الدعاء الى الكفر والضلال ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فان بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله

واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اي لما شاهدوه حسبما وصفوا لهم قالوا هذا مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ كما في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة الى الخطب او البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو ما وعدنا الله ورسوله فان ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله اي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم اي ما راوه الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين اي المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول عليه السلام والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله تعالى عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وانس بن نضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقني اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني سن بكره اي في سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال لكومائه نحرتني الاعداء ان لم تنحري وقالوا له نفي بك حيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان شيئا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على احد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اي فبعضهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى

فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا او كان مستعارا الالتزام على ما سيأتي **ومنهم** اي وبعضهم او وبعض منهم **من ينتظر** اي قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال الى الموت شهيدا او بجواز ان يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التي هي افعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح واياما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها واخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية **وما بدلوا** عطف على صدقوا وفاعله فاعله اي وما بدلوا عهدهم وما غيروه **تبديلا** اي تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روي ان طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه عليه السلام في رواية جابر رضه من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضه من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين حكما **ليجزي الله الصادقين بصدقهم** متعلق بمضمر مستانف مسوق بطريق فذلكة لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا **ويعذب المنافقين** بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية **ان شاء** تعذيبهم **او يتوب عليهم**

وابن عباس رضي الله تعالى عنهم اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء اصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان رحمهم الله وروي عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلث طلقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي رضي الله عنه انها اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روي عن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فحينئذ يجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم **وان كنتن تردن الله** اي تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله عليه السلام عنده تعالى **والدار الآخرة** اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا **فان الله اعد للمحسنات منكن** بمقابلة احسانهن **اجرا عظيما** لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف السراح بالجميل **يا نساء النبي** تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه السلام لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام **من يأت منكن بفاحشة مبينة** بكبيرة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تأت بالفوقانية **يضاعف لها العذاب ضعفين** اي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة

على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن
نساء النبي صلى الله عليه وسلم بل يدعو اليه لمراعاة حقه ومن يقنت منكن وقرئ
بالياء اي ومن يدم بالطاعة لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين
مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة
وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى
واعتدنا لها في الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا كريما مرضيا
يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في
النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات
النساء في الفضل والشرف ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضا رسوله او ان
اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن فلا تخضعن بالقول عند مخاطبة الناس اي لا
تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض
اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع
عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض
القلب وقلن قولا معروفا بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث او
قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن امر من قر يقر من باب علم واصله
اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظلن او من قار يقار
اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر واصله اوقرن
ففعل به ما فعل بعدن من وعد او من قر يقر حذفت احدى رائي اقررن ونقلت
كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا تبرجن اي لا تتبخترن في مشيكن تبرج
الجاهلية الاولى اي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح
وقيل ما بين ادريس ونوح عليهم السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم عليه السلام
كانت المراة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال
زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل
الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسق في الاسلام ويؤيده قوله عم لابي الدرداء
ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة

اي اذكر وقت قولك للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه
تربيته ومراعاته وانعمت عليه بما وفقك الله فيه من فنون الاحسان التي من
جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما
صدر عنه عم من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام
وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد امسك عليك زوجك اي زينب
وذلك انه عم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم
عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن
لذلك فوقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد
ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا
ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال امسك عليك زوجك واتق الله في امرها
اضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها
او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه
ما تخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار
ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى
زيد منها وطرا بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء
الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد
الامر بتزوجها منه عم وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت
تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن
وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه
لكي لا يكون على المؤمنين حرج ضيق ومشقة في ازواج ادعيائهم اي حرج في
تزوجهن اذا قضوا منهن وطرا فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة
على ان حكمه عم وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي ما يريد تكوينه
من الامور او مأموره الحاصل بكن مفعولا مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له ضيق
اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم

سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفي
الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم السلام
حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عم مائة امرأة وثلثمائة
سرية ولسليمان عم ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا
اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد
للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا
او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل ما يأتون ويذرون
لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم
ولا يخشون احدا الا الله في وصفهم بقصر الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه
عليه السلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او
محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى
ما كان محمد ابا احد من رجالكم
اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده
من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عم ابا للطاهر والقاسم
وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجاله عم لا رجالهم
ولكن رسول الله
اي كان رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح
لهم وسبب لحياتهم الابدية وزيد واحد من رجالكم الذين لا ولادة بينهم وبينه عم
فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقرب والاختصاص وخاتم النبيين اي
كان آخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا
ولم يكن هو عم خاتم النبيين كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا
ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ
احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد
صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما
ومن جملته بيان الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم في شك وريب يا ايها الذين آمنوا

ولما وصفه عم بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل
الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الامر بالتبشير
حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم
كما تحققته وقوبل الداعي اليه تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد
منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية
ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق بان يكتفي
به عن كل ما سواه يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة بايام يتربصن فيها بانفسهن
تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه
وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به
قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء
بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات
للتنبيه على ان المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة
ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب
فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض
دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي اخرى غير مستحبة وسرحوهن اي
اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق
ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن يا ايها
النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن اي مهورهن فانها اجور
الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد وايا ما كان فتقييد الاحلال له
عم به ليس لتوقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل او المتعة
على تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له عم كتقييد احلال المملوكة
بكونها مسبية في قوله تعالى مما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق
بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك

ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عم خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء **وامرأة مؤمنة** بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي احللنا لك ايضا **ان وهبت نفسها للنبي** اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته عم استنكاحها كما نطق به قوله تعالى **ان اراد النبي ان يستنكحها** اي ان يتملك بضعها باي عبارة كانت بلا مهر فان ذلك جار منه عم مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رض لم يكن عنده عم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده عم في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به عم حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله **خالصة لك** اي خلص لك احلالها خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة او خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى **من دون المؤمنين** على الاول ان الاحلال المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثاني ان احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك خلوص لك وخصوص او هي اي تلك المرأة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى **قد علمنا ما فرضنا عليهم** اي على المؤمنين **في ازواجهم** اي في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه السلام تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا

اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال اتيتك ان يصيح الديك وانما يقال اتيتك صياح الديك وقوله تعالى **الى طعام** متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغي ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى **غير ناظرين اناه** اي غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا عند من يجوزه او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام اي ادرك **ولكن اذا دعيتم فادخلوا** استدراك من النهي عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه **فاذا طعمتم فانتشروا** فتفرقوا ولا تمكثوا لانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته عم باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم **ولا مستأنسين لحديث** اي لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او لا تمكثوا مستأنسين **ان ذلكم** اي الاستيناس الذي كنتم تفعلونه من قبل **كان يؤذي النبي** لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واخلاله بالاشتغال بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه **فيستحيي منكم** اي من اخراجكم لقوله تعالى **والله لا يستحيي من الحق** فانه يستدعي ان يكون المستحيي منه امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم وما ذاك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها **واذا سألتموهن** الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته عم **متاعا** اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره **فاسألوهن** اي المتاع **من وراء حجاب** اي ستر روي ان عمر رض قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رض فكره النبي ذلك فنزلت **ذلكم** اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستيناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع

من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية
وما كان لكم وما صح وما استقام لكم أن تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته
فعلا يكرهه ويتأذى به ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا اي من بعد وفاته او فراقه
إن ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عم ونكاح ازواجه من بعده وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد كان عند الله عظيما اي ذنبا عظيما و
خطبا هائلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشان رسوله صلى الله عليه وسلم
وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال إن تبدوا شيئا
مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فإن الله كان بكل شيء عليما
فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان
على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في
آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن استئناف لبيان
من لا يجب الاحتجاب عنه روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء
والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر
العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله تعالى واله آبائك
ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات
وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن
اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت أيمانهن من العبيد والاماء وقيل من
الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله في كل ما تأتين وما تذرن لا سيما
فيما امرتن به ونهيتن عنه إن الله كان على كل شيء شهيدا لا تخفى عليه خافية ولا تتفاوت
في علمه الاحوال إن الله وملائكته وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل إن
واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على
رأي البصريين يصلون على النبي قيل الصلوة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار
وعن ابن عباس رضي الله عنهما اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه
ايضا وعنه يصلون يتبركون وقال ابو العالية صلوة الله تعالى عليه ثناؤه عليه
عند الملائكة وصلوتهم دعاؤهم له فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى مجازي

والمرجفون في المدينة من المرجفين عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين
وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك
من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة
لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك
على ذلك ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء
ومفارقة جوار الرسول عليه السلام اعظم ما يصيبهم فيها اي في المدينة إلا قليلا
زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم
او الحال على ان الاستثناء وارد عليه ايضا على رأي من يجوزه كما قرئ في قوله تعالى
غير ناظرين اناه ولا يسبق الى انتصابه عن قوله تعالى أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا
لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك
في الامم الماضية سنة وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا في توهين
امرهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا اصلا لابتنائها على اساس
الحكمة التي يدور عليها فلك التشريع يسألك الناس عن الساعة اي عن وقت قيامها كان المشركون
يسألونه عليه السلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لان الله تعالى عمى
وقتها في التورية وسائر الكتب قل إنما علمها عند الله لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا
وقوله تعالى وما يدريك خطاب مستقل له عم غير داخل تحت الامر مسوق لبيان انها مع كونها
غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها اي لا يعلمك
شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت قريب
وانتصابه على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم
او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار
للتهويل وزيادة التقرير وتأكيد استقلال الجملة كما اشير اليه إن الله لعن الكافرين على الاطلاق
اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والآجلة وأعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة
الاتقاد وتفاسونها في الآخرة خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا
يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل
لنصيرا او قيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كاللحم يشوى في النار

ويطمع في العذر فيدور به الغليان من جهة إلى جهة أو من حال إلى حال ويطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تَقَلَّبُ بحذف إحدى التاءين من تتقلب ونقلب بإسناد الفعل إلى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب بإسناده إلى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما أنها أكرم الأعضاء ففيه مزيد تفظيع للأمر وتهويل للخطب ويجوز أن تكون عبارة عن كل الجسد وقوله تعالى يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فلا نبتلى بهذا العذاب أو حال من ضمير وجوههم أو من نفسها أو هو العامل في يوم وقالوا عطف على يقولون والعدول إلى صيغة الماضي للإشعار بأن قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين ألقوهم في تلك الورطة وإن علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار وإلا فهم في مقام التحقير والإهانة فأضلونا السبيلا بما زينوا لنا الأباطيل والألف للإطلاق كما في وأطعنا الرسولا ربنا آتهم ضعفين من العذاب أي مثلي العذاب الذي آتيتناه لأنهم ضلوا وأضلوا والعنهم لعنا كبيرا أي شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة في الجؤار واستدعاء الإجابة يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس فبرأه الله مما قالوا أي فأظهر براءته عليه السلام مما قالوا في حقه أي من مضمونه ومؤداه الذي هو الأمر المعيب وذلك أن قارون أغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بأن دفع إليها مالا عظيما فأظهر الله تعالى نزاهته عليه السلام عن ذلك بأن أقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عليه السلام لما خرج معه إلى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء

وأتين بما أمرناهن به كقوله تعالى أتينا طائعين وخانها الإنسان حيث لم يأت بما أمر به إنه كان ظلوما جهولا وقيل إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما وقال إني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالأمانة العقل أو التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الإنسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتأمل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستئناف وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض أي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فكأنه قيل له جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما أفاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع أفراده به تعالى على ما بين في فاتحة الكتاب ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الإنسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شأنه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع أفراده به تعالى وقوله تعالى وله الحمد في الآخرة بيان لاختصاص الحمد الأخروي به تعالى إثر بيان اختصاص الدنيوي به على أن الجار متعلق إما بنفس الحمد أو بما تعلق به الخبر من الاستقرار وإطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه

ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التصريح كما اكتفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل لعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي احكم امور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة الخبير ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفاين والاموات ونحوها وما يخرج منها كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد ونون العظمة وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم للحامدين على ما ذكر من نعمه الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وربي لتأتينكم تأكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم على تأويل الساعة باليوم او الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الخ امداد للتأكيد وتشديد له اثر تشديد وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان المستشهد به كلما كان اجل واعلى كانت الشهادة اكد واقوى

بغرورهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه عليه السلام وانه من العظائم الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ان نشأ الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به اي افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جناياتهم نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا اي قطعا من السماء كما اسقطنا على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين ان في ذلك اي فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر لآية واضحة لكل عبد منيب شانه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما او في الوحي المذكور انزجر عن تعاطي القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا اي آتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم السلام اي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن وتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان اخاه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد لها تمكن عندها فضل تمكن يا جبال اوبي معه من التأويب اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته

كما خلق الكلام في الشجرة او بان تمثل له ذلك وقرئ أوبي من الاوب اي ارجعي معه
في التسبيح كما رجع فيه وكان كلما سبح يسمع من الجبال ما يسبح به تسبيحه له عليه السلام
وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها
والطير باصواتها وهو بدل من اتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطير
بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه تسخيرها له فلا حاجة
الى اضمار سخرنا كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية
وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على
لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه
والاول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى
المذعنين لحكمه اشعار بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته
غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه تعالى وكمال كبرياء سلطانه
ما لا يخفى على اولي الالباب والنا له الحديد اي جعلناه في نفسه كالشمع يصرفه في يده
كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى قوته التي
اتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية ان اعمل سابغات واسعات
وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الصافية وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت
قبل صفائح قالوا كان عليه السلام حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس
ما تقولون في داود فيثنون عليه فبعث الله تعالى له ملكا في صورة ادمي فسأله على عادته
فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال
فعند ذلك سأل ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل
كان يبيع الدرع الاربع اي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تجعلها
دقاقا ولا غلاظا ورد بان دروعه عليه السلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه الانة الحديد وقيل
قدر في السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقي
فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا الخطاب له عليه السلام حسب عموم التكليف
ولاهله اني بما تعملون بصير تعليل للامر او لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح
اي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح

تبينوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة
ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بيت المقدس لاربع
مضين من ملكه لقد كان لسبإ بيان لاخبار بعض الكافرين بنعمة الله تعالى اثر بيان احوال
الشاكرين لها اي لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف
على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخراج لها بين بين في مسكنهم
وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم وهو باليمن يقال له
مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث ليال اية دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة
على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي بالاحسان والمسيء
معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام جنتان بدل من اية
او خبر لمبتدأ محذوف اي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب والمراد بهما
جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة
من تلك الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين
مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم
على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء
بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به
اي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور
لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كان اطيب البلاد هواء واخصبها
وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل
مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من موذيات الهوام شيء فاعرضوا عن الشكر
بعد اتيانه الايات الداعية لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم
بنعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم اي سيل الامر العرم اي الصعب
من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم
جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء
الذي يجعل سدا وقيل هو السد الرصين الذي بنتها الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر
والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيها خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم

وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذي يقال له الخلد
سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرئ
العرم بسكون الراء وهما لغتان وكان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلى الله عليهما وسلم
وبدلناهم بجنتيهم اي اذهبنا جنتيهم واتيناهم بدلهما جنتين ذواتي اكل خمط
اي ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض
والمر من كل شيء وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش
لا ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل شجر ذي شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وبتخفيف اكل واثل
وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقيل شجر
يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على جنتين قيل وصف السدر
بالقلة لان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح ان
السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمر عفص
لا يؤكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد بها هنا هو الثاني حتما وقال قتادة كان شجرهم
خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم
ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد
للاشعار ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور
وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له اي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء اخر او ذلك
التبديل جزيناهم لا غيره بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة حيث رغبوا عنها ووضعوا مكانها
ضدها او بسبب كفرهم بالرسل وهل نجازي الا الكفور اي وما نجازي هذا الجزاء الا
المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ يجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرئ يجازى
على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيان لما اوتوا
من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها حكاية لما اوتوا من النعم البادية في مسايرهم
ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا
لعاقبتهم وانما لم يذكر النعمتين جميعا لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان

اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة
والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم
بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ
وتغلب وغيرهم وسبا يجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان
قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضرموت والعدنانية
شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم
الى عدنان والله تعالى اعلم ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم لايات عظيمة لكل صبار
شكور اي شانه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم
وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي حقق عليهم ظنه
او وجده صادقا وقرئ بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق بظن ظنه ويجوز تعدية
الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد
بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما
والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني
آدم حين شاهد آدم عم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزما
وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه اي اهل سبا او الناس الا فريقا من المؤمنين الا
فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا
فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان اي تسلط
واستيلاء بالوسوسة والاستغواء قوله تعالى الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو
منها في شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اي وما كان تسلطه عليهم
الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه
الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله
والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل شيء حفيظ
اي محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان قل اي للمشركين اظهارا لبطلان
ما هم عليه وتبكيتا لهم ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول

تخفيفا لطول الموصول بصفته والثاني قيام صفته اعني قوله تعالى من دون الله
مقامه وليس بمفعول اي جعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يكون
لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم
ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال
لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض
اي في امر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة
والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر
سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم اي لآلهتهم فيهما
من شرك اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اي لله تعالى منهم من آلهتهم
من ظهير يعينه في تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا توجد رأسا
كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى
الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تنفع الشفاعة في حال من
الاحوال الا كائنة لمن اذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من
المستاهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم
فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق
واما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها
لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة
بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستاهلين لها في حال من الاحوال
الا كائنة لمن اذن له اي لاجله وفي شانه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من
غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن
لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة
هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين
على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له
مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم

في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا
وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفي الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمجاء
فيكون وصف الميعاد بذلك للتحقيق وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه اي من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان
كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته
في كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة ولو ترى اذ الظالمون
المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اي في موقف المحاسبة
يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتحاورون ويتراجعون القول بدل من يرجع الخ
يقول الذين استضعفوا اي يقول الاتباع للذين استكبروا في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال
لولا انتم لكنا مؤمنين اي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا استيناف مبني على السؤال كانه قيل
فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد
اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكار لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين
انهم هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر اي بل صدنا
مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او
جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار
بالتنوين ونصب الظرفين اي صدنا مكركم في الليل والنهار على ان التنوين
عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار
بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية
اي بل صدنا كرور الاغواء في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف
باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية اي بل تكرون الاغواء كر الليل
والنهار اي كرا دائبا وقوله تعالى اذ تأمروننا ظرف للكر اي بل مكركم الدائم وقت
امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر
كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعل

نعمة من الله تعالى واتى بمثله وانما امروا آخر مقارنة لا ديهم داعية الى الامتثال به
من الترغيب والترهيب وغير ذلك وأسروا الندامة لما رأوا العذاب
اى اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن
الآخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا
الاغلال فى اعناق الذين كفروا اى فى اعناقهم والاظهار فى موقع الاضمار
للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون
اى لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملون او الا بما كانوا يعملون على نزع الجار وما ارسلنا
فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به و
المنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر
بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا
بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة فى حقه
عليه السلام وكادوه بنحو ما كادوه عليه السلام وقاسوا امور الآخرة الموهومة او
المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات
الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهم اياها وعلى ذلك الرأى الركيك
بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين اما بناء
على انتفاء العذاب الاخروى رأسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم فى الدنيا فلا يهينهم
فى الآخرة على تقدير وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق
الذى عليه يدور امر التكوين ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يبسطه له
على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به
من البسط والقدر فربما يوسع على العاصى ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما
يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى
يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس
على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ ويقدر
بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط

على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول للذين ظلموا عطف على نقول للملائكة
لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيمة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكى وهذا
حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال
للملائكة اى يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين
ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون يكون من الاحوال و
الاهوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات بيان لبعض آخر
من كفرانهم اى اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم آياتنا الناطقة بحقيقة
التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير
ان يكون هناك دين الهى واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية
منهم مبالغة فى تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا يعنون القرآن
الكريم الا افك اى كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له فى الواقع مفترى باسناده الى الله تعالى
وقال الذين كفروا للحق اى لامر النبوة او الاسلام او القرآن على ان العطف
لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثانى نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر
ولا تأمل فيه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر
الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لما من المسارعة
الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب
يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك كما فى قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به
مستمسكون وقرئ يدرّسونها ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا
وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ
وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم
من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم
اى ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك

عشر ما آتيناهم من البينات والهدى فكذبوا رسلي عطف على
كذب الذين من قبلهم بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا
عبدنا الآية فكيف كان نكير اي انكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك
قل انما اعظكم بواحدة اي ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل
عليه قوله تعالى ان تقوموا لله على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدأ محذوف
اي هي ان تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او تنتصبوا للامر خالصا
لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة والتقليد مثنى وفرادى اي متفرقين اثنين اثنين
وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام وفي
تقديم مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمئنان ثم تتفكروا في امره صلى الله عليه وسلم
وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيته وقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة استئناف
مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا الامر العظيم الذي
تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند
مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته
وبرهانه واذ قد علمتم انه عليه السلام ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا
وانزههم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات البشرية وجب
ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال
ويجوز ان يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة
وقد جوز ان تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون
ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد هو عذاب الآخرة فانه عليه السلام
مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اي اي شيء سألتكم من اجر
على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا
ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما اسألكم
عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسألكم عليه
اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه
عليه السلام قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد

سورة الفاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه
من فطر وهو الشق وقيل الشق طولا كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة
لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه
وهو قليل في المشتق جاعل الملائكة الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا
كما قبله وقوله تعالى رسلا منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة بالاتفاق
واما على الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل
اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل
المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لانه باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى
الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام
فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة
اي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم
رسالته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه ايضا
حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييرا واما على
تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين
اولي اجنحة صفة لرسلا واولوا اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا
ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع
صفات لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم
من مراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد

وخلقا اجنحة كل منهم ثلثة وخلقا اخر لكل منهم اربعة اجنحة ويزيد في اي صنف من
الملائكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون اجسادهم وبآخرين منها
يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم
حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل
ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سأله عليهما السلام ان يترائى له
في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج عم
في ليلة مقمرة فاتاه جبريل صلوات الله عليهما في صورته فغشي عليه عليه السلام
ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال
سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام
فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها
بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل
حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير **يزيد في الخلق ما يشاء** استئناف
مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة في عدد الاجنحة وموذن بان
ذلك من احكام مشيئته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلي
ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما شاء ان يزيده بموجب مشيئته
ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن
فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى
ان الله على كل شيء قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته
تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاء ايجابا بينا
ما يفتح الله للناس من رحمة عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس الخزائن
التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام
اي اي شيء يفتح الله من خزائن رحمته اية رحمة كانت من نعمة وصحة وامن

وقوله تعالى ... تقرير لعداوته وتحذير من
طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون
الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا
عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب المخلد من حيث
لا يحتسبون **الذين كفروا لهم** بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم
عذاب شديد لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه **والذين آمنوا وعملوا الصالحات**
لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان **مغفرة**
عظيمة **واجر كبير** لا غاية لهما ... اما تقرير لما سبق من
التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين
والفاء لانكار ترتب ما بعدها على ما قبلها اي ابعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له
الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى
لا يكون عاقبتهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى **فان الله يضل** الخ
تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اي فانه تعالى يضل ... اي يضله
لاستحسانه واستجابة الضلال وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين
... ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه
من نهيه عليه السلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا اهلا لذلك
بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي ابعد كون حالهم كما ذكر يتحسر عليهم فحذف
لما دل عليه قوله تعالى ... دلالة بينة واما تمهيد لصرفه عليه السلام
عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم
عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي ابعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل
الشيطان فراه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه و
تتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من
يشاء الخ عليه انه من شاء الله تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم
من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات اما مفعول له
اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم

او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه
حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر
لا يتقدم عليه صلته وانما حال كأن كلها صارت حسرات وقوله تعالى والله عليم بما يصنعون
اي بما يصنعون من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما
انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة والله الذي ارسل الرياح مبتدأ وخبر وقرئ
الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا
لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك
الخاصية ولذلك اسند اليها او للدلالة على استمرار الاثارة فسقناه الى بلد ميت
وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما
تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اي بعد يبسها وايراد
الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن
اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين
البعث الذي شبه به بقوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية
والكاف في حيز الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات
في صحة المقدورية وسهولة التأتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول
دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه
اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام
كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من
الذين آمنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها
فلله العزة جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة اي فليطلبها منه
لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى
موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى
اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به

شبه كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله و
المراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق
وفيما لحق لان الخطاب لكل احد يتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط مواخر شواق للماء بجريها
مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلق بمواخر
وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون اي ولتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة احدهما ونقص الآخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الآخر
وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد
حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد آثاره وقد اشير اليه
بقوله تعالى كل يجري اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة
حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا لاجل مسمى قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم
القيمة كما روي عن الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما في
فلكيهما والاجل المسمى عن منتهى دورتيهما ومدته للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر
تفصيله في سورة لقمان ذلكم اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد
للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم الشأن الذي
ابدع هذه الصنائع البديعة قوله تعالى الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى
لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما
مبتدأ في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده تعالى
بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو تمثيل في
القلة والحقارة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف
عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شأنه السماع ولو سمعوا على الفرض والتقدير
ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من انهم متبرؤون منكم ومما تدعون لهم
فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم
لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر

بمثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر
المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها
الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر او خطب مهم وتعريف
الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب
وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق
الانسان ضعيفا اي المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات
المستوجب للحمد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة او
بعالم آخر غير ما تعرفونه اي ما ذكر من الاذهاب بكم والاتيان باخرين
متعذر ولا متعسر ولا تزر وازرة اي لا تحمل نفس آثمة وزر اخرى اثم نفس اخرى
بل انما تحمل كل منهما وزرها واما قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي
المضلين انما يحملون اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلاهما
اوزارهم ليس فيها من اوزار غيرهم شي اي نفس اثقلتها الاوزار
الى حملها ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شي لم تجب لحمل شي منه ولو كان اي المدعو المفهوم
من الدعوة ذا قربى ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا نفي للتحمل اختيارا
والاول نفي له اجبارا استيناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اي
انما تنذر بهذه الانذارات اي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه
او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غائب عنهم اي راعوها
كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع انذارك وتحذيرك
هولاء من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اي تطهر من اوضار
الاوزار والمعاصي بالتاثر من هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها
كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ ومن ازكى فانما يزكي وهو اعتراض
مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من معظم مبادي التزكي والى الله المصير لا الى احد غيره
استقلالا او اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء اي
الكافر والمؤمن اي لا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور
لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اي ولا الثواب ولا العقاب

على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى
القرآن وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص
حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته
والعمل بما فيه واستتباعهما لما ياتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على
حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب
في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان
حقيتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما
يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها
باطل قطعا لان التلاوة مشروعة على ليس الاحكام لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث
انه كلام القرآن واما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر
كيفما اتفق من غير قصد اليهما
وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب الطاعة
وهو خبر ان وقوله تعالى لن تبور اي لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة للتجارة
جيء بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق
بفان والاخبار برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى
متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى
ليوفيهم اجورهم على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه
ما عد من افعالهم المرضية اي فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل يرجون على ان اللام
للعاقبة انه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اي غفور لفرطاتهم
شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو وانفقوا
وهو القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض
وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق مصدقا لما بين يديه اي احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية
حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام
محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة
لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه

على ان العمدة هي الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اي قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتحققه وقيل اورثناه من الامم السالفة اي اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير سيرتهم او الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله عليهم الصلوات او ليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الاية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به وهو المرجا لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيء ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عم اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روي ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وعلا لا ينال الا بتوفيقه جنات عدن يدخلونها اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا خبره يدخلونها وعلى الاول هو مستانف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الاخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريض على السعي في ادراك شاو السابقين وقرئ يحلون من حليت المراة فهي حالية اساور

اخبروني من شركائكم اروني اي جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الاية وقرئ على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف او الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقريب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا استيناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما اي ما امسكهما من احد من بعده بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جنايتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير واي نذير اشرف الرسل عليهم السلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم ومكر السيء وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا او وقفة خفيفة وقرئ مكرا سيئا ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب

ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد انتفائهما

[illegible] استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الامم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة واطول اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى [illegible] اي ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض اعتراض مقرر لما يتهم مما قبله من استيصال الامم السالفة وقوله تعالى [illegible] عليما قديرا اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك ولو يواخذ الله الناس جميعا بما كسبوا من السيئات كما فعل باولئك ما ترك على ظهرها اي على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل ومن غيرهم ايضا من شوم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما ويعضد الاول قوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر

[illegible] فان الله كان بعباده بصيرا

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسين بالرفع والنصب

كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هولاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى جهته

[illegible]

اما تتمة للتمثيل وتكميل له اي تكميل اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الادلة والآيات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشا وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك ان اباجهل حلف لئن راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو عليه السلام يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تعالى بصره وسواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم بيان لشانهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما حقق في سورة البقرة وقوله تعالى لا يؤمنون استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء او حال مؤكدة له او بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتاثر منه فقيل انما تنذر

ى انذارا يستتبع الاثر اتبع الذكر اى القرآن بالتأمل فيه او الوعظ ولم يصر
على اتباع خطوات الشيطان وخشي الرحمن بالغيب اى خاف عقابه وهو غائب عنه
على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم
قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم فبشره بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر قدره
والفاء لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية انا نحن نحيي الموتى
بيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطواء اجماليا
اى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان
فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب ما قدموا اى ما اسلفوا من الاعمال الصالحة
وغيرها وآثارهم التي ابقوها من الحسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس
وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه
البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي
الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها
وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين الى المساجد ولعل
المراد انها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم وكل شيء
من الاشياء كائنا ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم الشأن مظهر لجميع
الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع واضرب لهم
مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها
كما في قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط واخرى في
ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى
وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اى بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال
فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار
على تكذيب الرسل اى طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب
واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى
الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف

[...] ذكرتم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اى تطيرتم
او توعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين همزتين وبفتح ان بمعنى أتطيرتم
لان ذكرتم وان ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم
حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما تقتضيه الشرطية
من كون التذكير سببا للشؤم او مصححا للتوعد اى ليس الامر كذلك بل انتم قوم
عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او في الظلم والعدوان ولذلك
توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى
هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن
بنبي غيره احد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل
عليهم السلام اظهر دينه قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
مجيئه ساعيا كانه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين
تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم
واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون تكرير للتأكيد
وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي و
الاهتداء الى خير الدنيا والدين وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد
بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم
ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه
قوله تعالى واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ
من دونه آلهة انكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تعالى ان يردن الرحمن
بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا اى لا تنفعني شيئا من النفع ولا ينقذون
من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة
لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردني
بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا اى يجعلني موردا للضر اني اذا اى اذا اتخذت
من دونه آلهة لفي ضلال مبين فان ايثار ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر

بالحق المعتقد الذي لا تأثير لغيره ولا خير الا خيره ضلال مبين لا يخفى على احد
ممن له تمييز في الجملة إني آمنت بربكم خطاب للرسل بطريق التلوين
قيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه
فقال ذلك وانما اكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضافة
الرب الى ضميرهم رمزا لزيادة التقرير واظهار الاختصاص والاعتداد بهم
كانه قال بربكم الذي ارسلكم او الذي تدعوننا الى الايمان به فاسمعون اي اسمعوا
ايماني واشهدوا لي به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا
للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم رمزا لزيادة
التقرير واظهارا للاختصاص في الاقتداء بهم كانه قال لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان
ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل لا تأيس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك
لما قتلوه اكراما له بدخولها كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة
قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق وقيل معناه البشرى
بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له
لظهوره وللمبالغة في المسارعة الى بيانه والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من حكاية حاله ومقاله كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه
والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى
فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية
حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال انما تمنى علم قومه
بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا
على سنن الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على
خطأ عظيم في امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ
من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت
على الاصل والباء متعلقة بغفر اي باي شيء غفر لي ربي يريد به تفخيم شأن المهاجرة
عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه
من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم

او لا يشعرون بها فلا يشكرونها سبحان الذي خلق الأزواج كلها استئناف مسوق
لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على الآلاء المذكورة واستعظام ما ذكر
في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته واسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة
للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان
علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه
والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح
اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح
سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه
وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن
جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما
العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل و
قيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء ففيه مبالغة
من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به
تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق
مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين ان يقولوه
ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع
مما تنبت الارض بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها
ومن انفسهم اي خلق الازواج من انفسهم اي الذكر والانثى ومما لا يعلمون اي والازواج
مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها او لما لم يتعلق بذلك
شيء من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج
قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به من وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه
وآية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر كما مر في قوله تعالى نسلخ منه النهار جملة مبينة
لكيفية كونه آية اي نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين
الحيوان وجلده من الاتصال واللام على الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب
من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلام

مفاجاة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض **والشمس تجري**
لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره
او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة
قال والشمس حيرى لها في الجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر
لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا
تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع
جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون لها
فانها متحركة دائما وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس **ذلك** اشارة الى جريها
من مضى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اي ذلك
الجري البديع المنطوي على الحكم الرائقة التي تحار في فهمها العقول والافهام **تقدير**
العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور **العليم** المحيط علمه بكل معلوم **والقمر قدرناه**
بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اي قدرنا له **منازل**
وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطان
البطين الثريا الدبران الهقعة الذراع النثرة الطرف الجبهة
الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزباني الاكليل القلب الشولة
النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة
في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في اخر منازله وهو الذي يكون
قبل الاجتماع دق واستقوس **حتى عاد كالعرجون** كالشمراخ المعوج فعلون
من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون
وتعيش الحيوان او في الآثار والمنافع او في المكان بان تنزل في منزله او في سلطانه
فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها
ولا الليل سابق النهار اي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما
النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان
الادراك لانه الملائم لسرعة سيره **وكل** اي وكلهم على ان التنوين عوض عن

اعراضهم عنها او ما تأتيهم آية منها في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها **واذا قيل**
لهم انفقوا مما رزقكم الله اي اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع
الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما
احسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية
اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين
فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره **قال الذين كفروا** بالصانع عز وجل
وهم زنادقة كانوا بمكة **للذين آمنوا** تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشية
الله تعالى **انطعم** حسبما تعظوننا به **من لو يشاء الله اطعمه** اي على زعمكم وعن ابن عباس
كان بمكة زنادقة اذا امروا بالتصدق على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله و
نطعمه نحن وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم
التي زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون انه تعالى لما لم يشا اطعامهم
وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده
باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك **ان انتم الا**
في ضلال مبين حيث تأمروننا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز ان يكون جوابا لهم
من جهته تعالى او حكاية لجواب المؤمنين **ويقولون متى هذا الوعد ان**
كنتم صادقين اي فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم الآيات الوعيد بنبائها ومعنى القرب
في هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد **ما ينظرون** جواب
من جهته تعالى اي ما ينتظرون **الا صيحة واحدة** هي النفخة الاولى **تأخذهم** مفاجاة **وهم**
يخصمون اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخائلها
كقوله تعالى فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علاماتها
ولا يزعموا انها لا تأتيهم واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت في
الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء
على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين
اذا كان الثاني مدغما وان لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا

في شيء من امورهم ان كانوا فيها بين اهليهم
او الى نوافي خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا ونفخ في الصور
اي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة
على تحقق وقوعها فاذا هم من الاجداث اي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم
مالك امرهم على الاطلاق ينسلون يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار
لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين قالوا اي في ابتداء بعثهم من القبور يا ويلنا
احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا وقرئ من بعثنا
من هبّ من نومه اذا انتبه وقرئ من هبّنا بمعنى اهبّنا وقيل اصله من هبّ بنا
فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير وقيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط
عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها
طعم النوم فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما
وابي بن كعب وقتادة رحمه الله ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين
فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيمة ما شاهدوا
دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب
يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا
ومن هبّنا من الهبّة والمصدر والمرقد اما مصدر اي من رقادنا او اسم
مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
جملة من مبتدإ وخبر وما موصولة محذوفة العائد او مصدرية وهو جواب
من قبل الملائكة او المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا
لهم عليه وتنبيها على ان الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون
الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل
فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من
كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به
انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر مبتدإ محذوف
او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق ان كانت

من الدعاء كالاشتواء بمعنى الاستواء والاجتمال اذا شوى وجمل لنفسه وقيل بمعنى
يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادّع عليّ ما شئت
بمعنى تمنّه عليّ وقال الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم فيكون الافتعال
بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف
كما ذكره الكواشي وقوله تعالى سلام على التقدير الاول بدل من ما يدعون او خبر لمبتدإ
محذوف وقولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر
هو صفة له كانه قيل ولهم سلام او ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا من جهة
رب رحيم اي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك او بدونها مبالغة في
تعظيمهم قال ابن عباس رضي الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب
العالمين واما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجملة
كما يقال لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار
والمجرور لبيان من له ذلك اي ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا
حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم والاوجه ان
ينتصب على الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر اي لهم سلام اي
تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا مؤكدا
لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما يقال لهم
من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره
من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا
وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وامتازوا اليوم عطف
اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن لا على ان المقصود
عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه
عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال
اولئك ووصف ثوابهم كما في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكان
تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق
اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشان وفوزهم بنعيم مقيم

يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم ايها المجرمون الى مصيركم
وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار
يكون فيه لايُرى ولايَرى واما ما قيل من ان المعنى فليمتازوا وانعزلوا عن السواد
لان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى يقتضي ترتيب الامر المذكور
عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب
منزلة الواقع لا يجدي نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب
نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحال منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من
النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما فصل بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة
الاعتبار بالكلية يكون التصدي لاضمار شيء يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن
الجزالة بالمرة الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما قال لهم
بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى
اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا ما كلفهم الله
تعالى على السنة الرسل عليهم السلام من الاوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم
لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الاية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان
انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق
المأخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بني آدم واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم
من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة ما غيره والمراد
بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة
التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اِعهد بكسر الهمزة و
اَعهِد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واحّد بالادغام وهي لغة بني تميم
انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء
عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا وان في الموضعين مفسرة
للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر او مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم
في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الامر لما ان حق التخلية التقدم
على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى هذا صراط مستقيم فانه اشارة الى عبادته تعالى

جنا بانهم المستحقة عنه لما لفعلنا ولكنا لم نشأ جريا على سنن الرحمة والحكمة
الداعيتين الى امهالهم ومن نعمره اي نطل عمره ننكسه في الخلق اي نقلبه فيه
ونخلقه على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وتنتقص
بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف
الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي ونكّسه من
الانكاس افلا يعقلون اي ايرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما
ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء
لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال لما كانوا يقولونه في حقه عليه السلام
من انه شاعر وما يقوله شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن
ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على
منوال الوزن والقافية مبني على خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل
الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة
الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن اين اشتبه عليهم الشئون واختلط
بهم الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون وما ينبغي له وما يصح الشعر ولا يتأتى له لو طلبه
اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط
ليكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله عليه السلام انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب وقوله عم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في
له للقرآن اي وما ينبغي للقرآن ان يكون شعرا ان هو اي ما القرآن الا ذكر
اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين
وقرآن مبين اي كتاب سماوي بين كونه كذلك او فارق بين الحق والباطل يقرأ
في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه
وبين ما قالوا لينذر اي القرآن او الرسول عم ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر
من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار من كان حيا اي عاقلا متأملا
فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به

لانه المنتفع به ويحق القول اي يجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر
وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن آثار الحيوة واحكامها التي هي المعرفة
اموات في الحقيقة اولم يروا الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة
مستتبعة للمعطوف اي الم يتفكروا او الم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة
انا خلقنا لهم اي لاجلهم وانتفاعهم مما عملت ايدينا اي مما تولينا احداثه بالذات وذكر
الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء
انعاما مفعول لخلقنا وتأخيره عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقديم عليهما لما مر
مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس
مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئا عن كون
المؤخر امرا نافعا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم
والثاني المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولان في
تأخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى فهم لها مالكون الآيات اثبت
اي فملكناها اياهم واثبات الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها
واللام متعلقة بمالكون مقوية لعمله اي فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال
مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون
من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال اصبحت لا احمل
السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى
وذللناها لهم تأسيسا للنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اي صيرناها منقادة لهم
بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى
فمنها ركوبهم الخ فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم
اي مركوبهم اي معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب
وقرئ ركوبهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ
ركوبهم اي ذو ركوبهم ومنها يأكلون اي وبعض منها يأكلون لحمه ولهم فيها اي في
الانعام بكلا قسميها منافع اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف
والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران ومشارب من اللبن جمع مشرب وهذا

على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتعجيب كأنه قيل أولم ير ولم يعلم انا
خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجأ خصومتنا في امر يشهد بصحته
وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على
تكراره في الخصومة واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش
منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة
تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله تعالى
يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه
واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا
بعدما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل
معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز
منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف
على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من تتمات شواهد صحة
البعث فقوله تعالى وضرب لنا مثلا معطوف حينئذ على الجملة المنفية
داخل في حيز الانكار والتعجيب واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية
والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا اي اورد في شأننا قصة عجيبة
في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي انكار احياء
العظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل و
انكرها اشد الانكار وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق
وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفي الكل على العموم وقوله تعالى ونسي خلقه
اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف
على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او
بدونه وقوله تعالى قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من حكاية ضربه المثل كأنه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال
من يحيي العظام منكرا له اشد النكير مؤكدا له وهي رميم اي بالية اشد
البلى بعيدة من الحيوة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى

العظام فانه امر عجیب فی نفس الامر حقیق لغرابته وبعده من العقول
بان یعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانکار ووقوع المنکر
لکونه کالانشاء بل اهون منه فی قیاس العقل وعلی الثانی هو احیاؤه
تعالی لها فانه امر عجیب فی زعمه قد استبعده وعده من قبیل المستحیل
وانکره اشد الانکار مع انه فی نفس الامر اقرب شیء من الوقوع لما سبق
من کونه مثل الانشاء او اهون منه واما علی الثالث فلا فرق بین ان
یکون المثل هو الانکار او المنکر وعدم تانیث الرمیم مع وقوعه خبرا
لمؤنث لانه اسم لما بلی من العظام غیر صفة کالرفات وقد تمسک
بظاهر الآیة الکریمة من اثبت للعظم حیوة وبنی علیه الحکم بنجاسة عظم
المیتة واما اصحابنا فلا یقولون بحیاته کالشعر ویقولون المراد باحیاء
العظام ردها الی ما کانت علیه من الغضاضة والرطوبة فی بدن حی حساس
قل تبکیتا له بتذکیر ما نسیه من فطرته الدالة علی حقیقة الحال وارشاد
الی طریقة الاستشهاد بها یحییها الذی انشاها اول مرة فان قدرته
کما هی لاستحالة التغیر فیها والمادة علی حالها وهو بکل خلق علیم
مبالغ فی العلم بتفاصیل کیفیات الخلق والایجاد انشاء واعادة
محیط بجمیع الاجزاء المتفتتة المتبددة لکل شخص من الاشخاص اصولها
وفروعها واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع
والافتراق فیعید کلا من ذلک علی النمط السابق مع القوی التی کانت
قبل والجملة اعتراض تذییلی مقرر لمضمون الجواب او معطوفة علی الصلة
والعدول الی الجملة الاسمیة للتنبیه علی ان علمه تعالی بما ذکر امر مستمر
لیس کانشائه للمنشآت وقوله تعالی الذی جعل لکم من الشجر
الاخضر نارا بدل من الموصول الاول وعدم الاکتفاء بعطف صلته
علی صلته للتاکید وتفاوتهما فی کیفیة الدلالة ای خلق لاجلکم و
منفعتکم منه نارا علی ان الجعل ابداعی والجاران متعلقان به قدما علی
مفعوله الصریح مع تاخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشویق

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحیم

والصافات صفا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائکة الفاعلات
للصفوف علی ان المراد ایقاع نفس الفعل من غیر قصد الی المفعول او الصافات
انفسها ای الناظمات لها فی سلک الصفوف بقیامها فی مقاماتها
المعلومة حسبما ینطق به قوله تعالی وما منا الا له مقام معلوم وعلی هذین
المعنیین مدار قوله تعالی وانا لنحن الصافون وقیل الصافات اقدامها فی
الصلوة وقیل اجنحتها فی الهواء فالزاجرات زجرا ای الفاعلات للزجر
او الزاجرات لما نیط بها زجره من الاجرام العلویة والسفلیة وغیرها علی وجه
یلیق بالمزجور ومن جملة ذلک زجر العباد عن المعاصی وزجر الشیاطین عن الوسوسة
والاغواء وعن استراق السمع کما سیأتی وصفا وزجرا مصدران مؤکدان
لما قبلهما ای صفا بدیعا وزجرا بلیغا واما ذکرا فی قوله تعالی فالتالیات ذکرا
فمفعول التالیات ای التالیات ذکرا عظیما من آیات الله تعالی
وکتبه المنزلة علی الانبیاء علیهم السلام وغیرها من التسبیح والتقدیس والتحمید
والتمجید وقیل هو ایضا مصدر مؤکد لما قبله فان التلاوة من باب الذکر ثم ان
الصفات ان اجریت علی الکل فعطفها بالفاء للدلالة علی ترتبها فی الفضل اما
بکون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او علی العکس وان اجریت کل
واحدة منهن علی طوائف معینة فهو للدلالة علی ترتب الموصوفات
فی مراتب الفضل بمعنی ان طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات
افضل والتالیات ابهر فضلا او علی العکس وقیل المراد بالمذکورات
نفوس العلماء العمال الصافات انفسها فی صفوف الجماعات واقدامها فی الصلوات

الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه واحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في مواطن الحروب كأنهم بنيان مرصوص او طوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف والدلالة على ترتب الصفات في الفضل او ترتب موصوفاتها فيه كالذي سلف واما الدلالة على الترتيب في الوجود يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والغزاة فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاء والذال

إن إلهكم لواحد جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو توحيد بما هو المألوف في كلامهم من التأكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى

رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر لمبتدأ محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغربهما

إنا زينا السماء الدنيا

والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم وإذا رأوا آية اي معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا إن هذا اي ما نراه من الآية الباهرة إلا سحر مبين ظاهر سحريته أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى أإنا لمبعوثون اي نبعث لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو مع ما قبلها خطوبا لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث لتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في أإنا للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية فقط

أوآباؤنا الاولون رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه اي وآباؤنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا وايا ما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ او آباؤنا قل نعم تبكيتا لهم وانتم داخرون في قوله تعالى لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه فإنما هي زجرة واحدة هي اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي الخ او لا تستصعبوه فانما هي الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية فإذا هم قائمون من مراقدهم احياء ينظرون يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا اي المبعوثون وصيغة الماضي

الدالة على التحقق والتقرر كلم بلنا اي بل كنا اعظم منهم هذا او ان حضورهم
وقوله تعالى هذا يوم الدين تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف
اي اليوم الذي نجازي فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا
انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا
بما بعده ايضا وقوله تعالى هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة
جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل
القضاء او الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا خطاب
من الله عز وجل للملائكة او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف
وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اي اشباههم ونظراءهم من العصاة
عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا
ثلثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم
وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم
وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الاية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به
لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط الجحيم
اي عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم في
الموقف كان الملائكة عليهم السلام سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم
فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى انهم مسئولون ايذانا من اول الامر
بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتاخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن
لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به
قوله عز وجل ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اي
لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتاخير هذا السؤال الى ذلك الوقت
لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء منها بالكلية
فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا وتاثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام
بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم

او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى على سرر يحتمل الحالية
والخبرية فقوله تعالى متقابلين حال من المستكن فيه او في مكرمون وقوله تعالى يطاف
عليهم اما استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس انسهم او حال من الضمير في
متقابلين او من احد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون بكاس باناء فيه خمر او بخمر فان
الكاس يطلق على نفس الخمر كما في قول من قال وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها
من معين متعلق بمضمر هو صفة لكاس اي كائنة من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري
على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به
الخمر وهو للماء لانها تجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء
لذة للشاربين صفتان ايضا لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة كانها نفس اللذة
او لانها تانيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى
من خشية الحدثان يريد به النوم لا فيها غول اي غائلة كما في خمور الدنيا من غاله اذا
افسده واهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب
فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله وتبال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله
افرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لانه من معظم مفاسد الخمر
كانه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار
او عربدة او لغو او تاثيم ولا هم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاء من انزف الشارب
اذا نفد عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف بضم الزاء فيهما
وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم
عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين كانهن بيض مكنون شبهن ببيض
النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة
فان ذلك احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف
اي يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال
وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض
يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة
الماضي للتاكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم في تضاعيف محاورتهم

أي كان لي في الدنيا قرين مصاحب يقول لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الإيمان
والتصديق بالبعث أئنك لمن المصدقين أي بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق
والأول هو الأوفق لقوله تعالى أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون أي لمبعوثون
ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء أو لمسوسون مقهورون من دانه إذا ساسه ومنه الحديث
العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى
بعض إخوانه فقال أين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه
فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله
لا أعطيك شيئا فيكون التوبيخ لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتأكيد إنكار
الجزاء المبني على إنكار البعث قال أي ذلك القائل بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا
هل أنتم مطلعون أي إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما
حكاه وقيل القائل هو الله تعالى أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار
لأريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم قيل إن في الجنة كوى ينظر
منها أهلها إلى أهل النار فاطلع عليهم فرآه أي قرينه في سواء الجحيم أي في وسطها و
قرئ فأطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فأطلع وفأطلع
على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان وأطلع بمعنى واحد والمعنى
هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطلع أنا أيضا وعرض عليهم الاطلاع فقبلوا وأعرضه
فاطلع هو بعد ذلك وإن جعل الاطلاع متعديا فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعه
اطلاعهم كما هو دين الجلساء فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا
للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون إياي فوضع المتصل موضع
المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه إذا ما خشوا من محدث الدهر معظما
أو شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي قال أي القائل مخاطبا
لقرينه تالله إن كدت لتردين أي لتهلكني بالإغواء وقرئ لتغوين و
إن فيه معنى التعجب وإن هي المخففة من إن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف و
اللام فارقة أي تالله إن الشأن كدت لترديني ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة
لكنت من المحضرين أي من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأضرابك

ولقد أرسلنا فيهم منذرين أي أنبياء أولي عدد كثير وذوي شأن خطير بينوا
لهم بطلان ما هم عليه وأنذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لإبراز كمال
الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا إلى الإنذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب إما
للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان
المعنى أنهم أهلكوا إهلاكا فظيعا استثنى عنهم المخلصين بقوله تعالى ولقد نادانا
نوح نوع تفصيل لما أجمل فيما قبل من بيان أحوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم
متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما أشير إليه بقوله تعالى فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم إلياس
ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين أخلصهم الله تعالى ووفقهم للإيمان كما أشير إليه
بالاستثناء كقوم يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غني
عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما في قوله تعالى فلنعم المجيبون أي وبالله
لقد دعانا نوح حين يئس من إيمان قومه بعد ما دعاهم إليه أحقابا ودهورا فلم يزدهم
دعاؤه إلا فرارا ونفورا فأجبناه أحسن الإجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف
ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه وأهله
من الكرب العظيم أي من الغرق وقيل من أذية قومه وجعلنا ذريته
هم الباقين فحسب حيث أهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على
الأرض من الكافرين ديارا وقد روي أنه مات كل من كان معه في السفينة
غير أبنائه وأزواجهم أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة قال قتادة
رضي الله عنه الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة أولاد سام
وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان
من المشرق إلى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه
في الآخرين من الأمم سلام على نوح أي هذا الكلام بعينه وهو وارد على
الحكاية كقولك قرأت سورة أنزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له
على الدوام أمة بعد أمة وقيل ثمة قول مقدر أي فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا

وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه
التحية واستمرارها ابدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى
انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعله به عليه السلام من التكرمة السنية
من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم
العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان [illegible]
وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر
من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له عليه السلام وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل
والشرف والكاف متعلقة بما بعدها اي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين
في الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه
من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما
ما لا يخفى ثم اغرقنا الآخرين اي المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان
من شيعته اي ممن شايعه في اصول الدين لابرهيم وان اختلفت فروع
شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي او اكثري وعن ابن عباس رضي
من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة
المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح
وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر
او متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة بقلب سليم اي من آفات القلوب
او من العلائق خالص لله عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له
كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم اي اي شيء تعبدون ائفكا آلهة
دون الله تريدون اي اتريدون آلهة من دون الله افكا اي للافك
فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم
بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون
افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على انها افك في نفسها

وقال اني ذاهب الى ربي اي مهاجر الى حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي
وهو الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادته تعالى سيهدين اي الى ما فيه صلاح
ديني او الى مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء
على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان
يهديني سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين
اي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد
لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة في
قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا ولقوله تعالى فبشرناه بغلام
حليم فانه صريح في ان المبشر به عين ما استوهبه عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات
ثلث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم يعادل حلمه
عليه السلام حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله
من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده
غير ابرهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعد اعدل شاهد بذلك والفاء في
قوله تعالى فلما بلغ معه السعي فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة
الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخر بعد البشارة كما
في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه وفي قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده اي فوهبناه له
فنشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف
ينبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا يتقدمه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا
كانه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق
والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ
ثلث عشرة سنة قال اي ابرهيم عليه السلام يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك اي ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتأويله وقيل انه رأى
ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح
ارتأى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان
فمن ثمة سمي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى ومن ثمة سمي

يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل انه
الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف
بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذي وهب اثر
المهاجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم
انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل عليه السلام والآخر ابوه عبد الله فان
عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تعالى له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه
عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك
سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة
حتى احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة اسحق كانت
مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روي انه صلى الله عليه وسلم
سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن
اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه عليه الصلوة والسلام قال يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روي من ان يعقوب
كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ اني بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى
من الرأي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى
فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم ليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب
المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا تري بضم التاء وكسر الراء وفتحها
مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار اولا على
القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا باتصاله
الى الفعل او حذفا دفعة او افعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول
وتسمية المأمور به امرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر
متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدني ان شاء الله من الصابرين
على الذبح او على قضاء الله تعالى فلما اسلما اي استسلما لامر الله تعالى وانقادا
وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ
بهن جميعا واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له وعشانا سلم من ان

واذ انجيناكم من آل فرعون وقيل من الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا
ومشقة وهديناهما الصراط المستقيم الموصل الى الحق والصواب
بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام وتركنا عليهما في الآخرين سلام
على موسى وهرون اي ابقينا فيما بين الامم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء
الجليل انا كذلك الجزاء الكامل نجزي المحسنين الذين هما من جملتهم
لاجزاء قاصرا عنه انهما من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين
هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسى عليه السلام بعث بعده وقيل
ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ايليس وقرئ الياس
بحذف الهمزة اذ قال لقومه الا تتقون اي عذاب الله تعالى
اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك
من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك وقيل كان من ذهب طوله عشرون
ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن و
جعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة و
السدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اي
اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين اي وتتركون عبادته
وقد اشير الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى الله ربكم
ورب آبائكم الاولين بالنصب على البدلية من احسن الخالقين و
قرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم لتأكيد انكار
تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان اعراض آبائهم ايضا فكذبوه فانهم بسبب
تكذيبهم ذلك لمحضرون اي العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرينة او لان
الاحضار المطلق مخصوص بالشر الا عباد الله المخلصين استثناء
من ضمير محضرون وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين هو لغة في
الياس كسيناء في سينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين
والخبيبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمهلبين وقرئ بالاضافة
آل ياسين لانها في المصحف مفصولة فيكون ياسين ابا الياس

انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين مر تفسيره وان لوطا لمن
المرسلين اذ نجيناه اي اذكر وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا في الغا[برين]
اي الباقين في العذاب او الماضين الهالكين ثم دمرنا الآخرين فان في ذلك
شواهد على حقية امره وكونه من جملة المرسلين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم
على منازلهم في متاجركم الى الشام وتمرون بدون آثار هلاكهم فان سدوم في طريق
الشام مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها
وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون
اتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم
الى الفلك المشحون المملو فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من
من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه عليه السلام لما وعد
قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت
فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء
فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه
او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان
من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه
كان كثير الصلوة في الرخاء للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه
حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء
فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر
او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس
ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي
ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل اربعون يوما
وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه
بعيد الوقت الذي التقم فيه روي عطاء انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت
اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه

ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة وهو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين
والاصطفاء اخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام
ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول اي لكاذبون
في قولهم اصطفى لا تعسف بعيد ما لكم كيف تحكمون بهذا الحكم الذي
تقضي ببطلانه بديهة العقول افلا تذكرون بحذف احدى التائين من
تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي لا تلاحظون ذلك
فلا تتذكرون بطلانه فانه مركوز في عقل كل ذكي وغبي ام لكم سلطان مبين
اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت
الوجود اصلا اي بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته تعالى
ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد
من سند نقلي فأتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان كنتم صادقين
فيها وفي هذه الآيات من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم و
الاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم
مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم
عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم وتحكى جناياتهم لآخرين
والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد لكن من خبث من الجن ومرد وكان
شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم
بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم فيما بين الخلق ان يبلغوا
منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم هذا اعادة عن قولهم الملائكة بنات الله
وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
اي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة
ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به
المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون
انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله

حكما مؤكدا او قيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان
فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقاويل
وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش
الملائكة بنات الله فقال ابو بكر صديق رضي الله عنه فمن امهاتهم تبكيتا لهم فقالوا
سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة
حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذا الاقاويل يجوز
ان يكون الضمير في انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى
يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى او شركاء في استحقاق
العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله سبحان الله عما يصفون
حكاية تنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك
بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين شهادة
منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبريهم منه بحكم
اندراجهم في زمرة المخلصين على ابلغ وجه واكده على انه استثناء منقطع
من واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون لقولهم
ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم
براء من ذلك الوصف وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين
تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم
والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما
تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان بتبروهم عنهم
وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم
ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته
اي افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم بفاتنين على
الله تعالى بافساد عباده واضلالهم الا من هو صال الجحيم منهم اي داخلها لعلمه تعالى
بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم

رب العزة عما يصفون تنزيه لله تعالى سبحانه عن كل ما يصفه المشركون
به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر
من الامور التي من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة
الاستيما في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية
المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى حضرته عليه السلام
اولا والى العزة ثانيا كانه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك و
مالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء
التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى
وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما
ذكر وتنويه بشانهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع
المآرب وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه تعالى
بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية
وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التي من جملتها افاضته عليهم من فنون
الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى
من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار
بان ما وعده عز من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية
تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا في
فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين
بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى
للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد عن علي رضي الله تعالى عنه من احب ان يكتال
بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه
مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر او اقرأ الا فتحا كما قر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صادٍ بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي او رمزا الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة خبر المبتدأ محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرأ او امرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى والقرآن ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة واما ما كان ففي التكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدي والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المامور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالاعظام اي اقسم بالقرآن او بصاد وبه انه لمعجز او لواجب العمل به او لحقيق بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه بشأن المسمى

ويسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور **ان امشوا** اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا **واصبروا على آلهتكم** اي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اي اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ يمشون ان اصبروا **ان هذا لشيء يراد** تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال امرها لشيء يراد اي من جهته عليه السلام امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله من رأيه بوساطة ابي طالب رضه وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر شيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل احد فتأمل في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل **ما سمعنا بهذا** الذي يقوله **في الملة الآخرة** اي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة او في الملة التي ادركنا عليها آباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك اقبح كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور **ان هذا** اي ما هذا **الا اختلاق** اي كذب اختلقه **أأنزل عليه الذكر** اي القرآن **من بيننا** ونحن رؤساء الناس واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال ذلك من المقالات الباطلة

وليس سببه ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي
بل هم في شك من ذكري اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن
النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيته وليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون
بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا عذاب
اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان
ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا
عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
بل اعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا
ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين
لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء
لكل من يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عم
من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما
ترشيح لما سبق اي بل الهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور
الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى
فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ما ذكر من الملك
فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا
امر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية
وراءه والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب
الحوادث السفلية وقيل ابوابها جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما
من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون و
لا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم
على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك
القول العظيم وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما

تصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان في الاستهزاء كانهم يدعون ذلك بكمال الرغبة
والابتهال اصبر على ما يقولون من امثال هذه المقالات الباطلة واذكر لهم عبدنا داود
اي قصته تهوينا لامر المعصية في اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترءوا عليه من المعاصي
فانه عم مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما الم بصغيرة نزل عن منزلته
ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب ووجد منه
ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونوحه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الاراذل
من تحل في سبيل المرتكبين لاكبر الكبائر المصرين على اعظم المعاصي او تذكر قصته عم وصن نفسك
ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة ذا الايد
اي ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد وآد بمعنى واياد كل شيء ما يتقوى به انه اواب
رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على ان المراد القوة في الدين
فانه عم كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه استئناف
مسوق لتعليل قوته في الدين واوابيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وايثارها
على اللام لما اشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال له عم لم يكن بطريق تفويض
التصرف الكلي فيها اليه عم كتسخير الريح وغيرها لسليمان عم بل بطريق التبعية له عليه السلام
والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو اقرب بالنسبة لما في
سورة الانبياء يسبحن اي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له او يخلق الله تعالى
فيها الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال ووضع
مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال او استئناف مبين لكيفية التسخير
بالعشي والاشراق اي وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو
شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق
وعن ام هانئ رض انه عم صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن
ابن عباس رض عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح والطير فسبحت وذلك حشرها
والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية كل له اواب استئناف مقرر
لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير اي كل واحد من الجبال والطير لاجل
تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع

لأنه رجع إلى فعله رجوعا بعد رجوع وأما لأن الأواب هو التواب الكثير الرجوع إلى الله تعالى
ومن دأبه إكثار الذكر وإدامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وعلا أي كل من داود والجبال
والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود
وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم وقيل ادعى رجل
على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحى إليه في المنام أن اقتل المدعى عليه فتأخر فأعيد الوحي
في اليقظة فأعلمه الرجل فقال إن الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت أبا هذا غيلة
فقتله فقال الناس إن أذنب أحد ذنبا أظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته في القلوب
وآتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم وإتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل
كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب أي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام
الملخص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل
والعطف والاستئناف والإضمار والإظهار والحذف والتكرار ونحوها وإنما سمي به
أما بعد لأنه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب
القصد الذي ليس فيه إيجاز مخل ولا إطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر
ولا هذر وهل أتاك نبأ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق إلى استماع ما في حيزه
للإيذان بأنه من الأنباء البديعة التي حقها أن تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في
الأصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجمع كالضيف ومعنى خصمان تعالى إذ تسوروا
المحراب أي تصعدوا سوره ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه إذا علا
سنامه وتذراه إذا علا ذروته وإذ متعلقة بمحذوف أي نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا أو
بالنبأ على أن المراد به الواقع في عهد داود عم وأن إسناد الإتيان إليه على حذف
مضاف أي قصة نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا بأتى لأن إتيانه الرسول
صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى إذ دخلوا على داود بدل مما قبله أو ظرف
لتسوروا ففزع منهم روي أنه تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين قيل جبرئيل
وميكائيل عليهما السلام فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس
فتسورا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم
لأنهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفي غير يوم الحكومة والقضاء

يقال له أوريا فمال قلبه إليها فسأله أن يطلقها فاستحيى أن يرده ففعل فتزوجها وهي
أم سليمان عليهما السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين أمته غير مخل
بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته
وقد كان الأنصار في صدر الإسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير
خلا أنه عم لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له
أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل له عنها
فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه أن يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على
ما امتحن به وقيل لم يكن أوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام
فآثره عم أهلها وكان ذنبه عم أن خطب على خطبة أخيه المسلم هذا وأما ما يذكر
من أنه عم دخل ذات يوم محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور
فبينما كذلك إذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها
لابن له صغير فطارت فامتد إليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فأبصر امرأة
جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب
إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه
على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله
على يديه أو يستشهد ففتح الله تعالى على يديه وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى
قتل وأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فإفك
مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع وويل
لمن ابتدعه وأشاعه وتبا لمن اخترعه وأذاعه ولذلك قال علي رضي الله عنه
من حدث بحديث داود عم على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين
وذلك حد الفرية على الأنبياء صلوات الله عليهم هذا وقد قيل إن قوما
قصدوا أن يقتلوه عم فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده
أقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم فهم بأن ينتقم منهم فظن أن
ذلك ابتلاء له من الله تعالى عز وجل فاستغفر ربه مما هم به فأناب فغفرنا له
ذلك أي ما استغفر عنه وروي أنه عم بقي ساجدا أربعين يوما وليلة

ودعا الانف فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له
عندنا لزلفى لقربة وكرامة بعد المغفرة وحسن مآب حسن مرجع في الجنة
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اما حكاية لما خوطب به عليه السلام مبينة لزلفاه
عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين له
يا داود انا اي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان
قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت
قبلها لم تتغير قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له
حتما ولا تتبع الهوى اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا
فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على
النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله
التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله
تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان
بكمال شناعة الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من خبر ومبتدأ وقعت خبرا لان
او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار بما نسوا بسبب
نسيانهم وقوله تعالى يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت
العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه
اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا من افراده
او ظرف لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة
عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ
عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب
نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستأنف مقرر لما قبله
من امر البعث والحساب والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع
الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا
على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز

قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة
وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض
المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقق
مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت
عدي تعديته وحب الخير مفعوله كأنه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي ووضعته موضعه
والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه السلام ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام
الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيمة وقرئ اني عن ذكر ربي متعلق بقوله
احببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض اي انبت حب الخير عن
ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت اي غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها بتواري المخبأة
بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل
اي بظلامه ردوها علي من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه
ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كأن سائلا قال فماذا
قال سليمان فقيل قال ردوها فتأمل والفاء في قوله تعالى فطفق فصيحة مفصحة عن جملة
قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اي فردوها عليه فاخذ
يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته
اي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذاك
وقرئ بالسؤوق على همز الواو لضمتها كما في أدؤر وقرئ بالسؤق تنزيلا لضمة السين
منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد من الجمع لامن الالباس
ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اظهر ما قيل في فتنته
عليه السلام ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس
يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت
بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل
ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغدوه في السحاب فما شعر به الا ان القي
على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من
الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها

وكان له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فأعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء إلا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف وإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لأنه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا وسجود الصورة بغير علمه لا يضره بدل من أناب وتفسير له

أي ما صدر عني من الزلة

لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فإنه عليه السلام لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما أو لا ينبغي لأحد أن يسلبه مني بعد هذه السلبة أو لا يصح لأحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال على إرادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين جريا على سنن الأنبياء عليهم السلام والصالحين وكون ذلك أدخل في الإجابة وقرئ بفتح الياء

تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالأخيرة فقط فإن المغفرة أيضا من أحكام وصف الوهابية قطعا أي فذللناها لطاعته إجابة لدعوته فعاد أمره عليه السلام إلى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح بيان لتسخيرها له أي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد

والأول أقرب لفظا وهذا أنسب معنى فإن الحاجة إلى هذا الأمر لا تمس إلا بعد الصحة فإن امرأته رحمة بنت أفرائيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برئ ليضربنها مائة ضربة فأمره الله تعالى بأخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنه قبضة من الشجر وقال فاضرب به أي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فإن البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من الآلة إما بأطرافها قائمة أو بأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب إنا وجدناه صابرا فيما أصابه في النفس والأهل والمال وليس في شكواه إلى الله تعالى إخلال بذلك فإنه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على أنه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان عليه اللعنة يوسوس إلى قومه بأنه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان ويروى أنه عليه السلام قال في مناجاته إلهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل إلا ومعي يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع أو عريان فكشف الله تعالى عنه نعم العبد أي أيوب إنه أواب تعليل لمدحه أي رجاع إلى الله تعالى واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا إما على أن إبراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له وإسحق عطف على عبدنا وإما على أن عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع أولي الأيدي والأبصار أولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين أو أولي الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالأيدي عن الأعمال لأن أكثرها تباشر بها وبالأبصار عن المعارف لأنها أقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين أنهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ أولي الأيد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ أولي الأيادي على جمع الجمع إنا أخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل أي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيم الشأن كما ينبئ عنه التنكير

وقوله تعالى ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اى تذكر للدار الآخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسبب تذكرهم اياها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم فى كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك الا فى الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم فى اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم والاطلاق الدار للاشعار بانها الدار فى الحقيقة وان الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى اى بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم فى الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم فى الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات فى جمع ميت وميت واذكر اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما فى قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو علم على الوزنين علم اعجمى دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى من بنى اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلوة وكل اى وكلهم من الاخيار اى المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر اى شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذى هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء الانبياء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب شروع فى بيان اجرهم الجزيل فى الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل فى العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التى هى الغاية القاصية من الكمال

ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استيناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا لها فى الاستسخار منهم ام زاغت عنهم الابصار متصل باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل زاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى ام زاغت متصل بقوله تعالى ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم فى النار اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوز ان تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بالضم ان ذلك الذى حكى من احوالهم لحق لابد من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم اهل النار خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفى الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين انما انا منذر من جهته تعالى انذركم عذابه وما من اله فى الوجود الا الله الواحد الذى لا يقبل الشركة والكثرة اصلا القهار لكل شئ سواه رب السموات والارض وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها العزيز الذى لا يغلب فى امر من اموره الغفار المبالغ فى المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفى هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفى القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتقوية مقام الانذار حقة قل هو اى ما انذرتكم به من انى منذر من جهته تعالى وانه تعالى واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر نبأ عظيم لان المقول له جليل الشأن خطير لا بد من الاعتناء به اعراضا واتماما ...

من الصفات الجليلة والاظهر انه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا كما يشهد به
آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد وقتادة نبأ عظيم
وارد من جهته تعالى وقوله تعالى انتم عنه معرضون استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم به
ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال
الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبأ وقوله تعالى ما كان لي من علم
بالملأ الأعلى الخ استئناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ
من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة
فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر انبائه
ايضا كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى
اذ يختصمون متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم
والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم و
تقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من
الاقوال فقط بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة عليهم السلام واستكبار ابليس
وكفره حسبما نطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه ايضا لا محالة وقوله تعالى
ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا
لثبوت علمه عليه السلام وتعيينا لسببه الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته
الآن ومن البين عدم ملابسته عليه السلام بشيء من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق
الوحي حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل
مصب الفائدة والمقصود اخباره ما هو داع الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى
انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه عليه السلام بقصة الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير
عائد الى الحال المقدر او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الاعلى او ما يوحى الي
ما يوحى من الامور الغيبية التي من جملتها حالهم الا لانما انا نذير مبين من جهته تعالى
فان كونه عليه السلام كذلك من دواعي الوحي اليه ومن موجباته حتما واما ان القائم مقام الفاعل
هو الجار والمجرور او هو انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الي الا للانذار
او ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطراب التكلف

امر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر
الخلافة في الارض وانه له خواص ليست لغيره قال فاخرج منها الفاء لترتيب
الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل
اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط
من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين
كيفية وسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها
وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض
وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى فانك رجيم تعليل للامر
بالخروج اي مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان
يرجم بالشهب وان عليك لعنتي اي ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة
مع اطلاقها في قوله تعالى وان عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة و
الثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون عليه بلعنة الله وابعاده من الرحمة
الى يوم الدين اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها
ليست جزاء لجنايته بل هي انموذج مما سيلقاه مستمرة الى ذلك اليوم لكن لا على
انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ من الوان
العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل الا يرى
الى قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن
بعضهم بعضا قال رب فانظرني اي امهلني واخرني والفاء متعلقة بمحذوف
ينسحب عليه الكلام اي اذ جعلتني رجيما فامهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون
اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم و
يأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث
قال فانك من المنظرين وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله
لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل واضح على انه اخبار
بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وان
استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل

فان ذلك معلوم من اضافته اليوم الى الدين اي انك من حلة الدين اخرت اجالهم
الى احد ما تقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم الذي قدره تعالى وعينه
لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤل
فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور
كما في قول من قال فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه
لربط ماله تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط
الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد تركت في سورة الاعراف كما
ترك الندآء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ماذكر ههنا وفي
سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لابد ان يكون له مقام
يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه
لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك
الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز
واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج
الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله تعالى
الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه
قوله تعالى فبما اغويتني وقوله تعالى رب بما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه اثر
من اثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته فال الاقسام
بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالاخر
اي فاقسم بعزتك اي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم
وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين
على صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا قلوبهم او اعمالهم لله تعالى اي الله واجل
برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ
ونصب الثاني على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فالحق قسمي على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض
الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به او فانا الحق او فقولي الحق وقوله تعالى لاملان الى آخره

شيء من الاشياء الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا اي قربى
خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق
بين احد من رسله على احد الوجهين اي بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة
فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني وقيل
ضمير بينهم للفريقين جميعا من الدين الذي اختلفوا فيه
بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك ادخال الموحدين
الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذي يستدعيه سياق النظم الكريم وامّا
ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير
ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تعالى ان الله تعالى يحكم بينهم اي بين العبدة والمعبودين فيما هم
يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التعسف
بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها
الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذلك ما بين فريقي الموحدين والمشركين
في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم القيمة وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل
من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك عزيد مزية وقرئ ما نعبدكم
الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم اتباعا للباء
اي لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب
اي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب
وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن
في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى
الى اخره استيناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله وعيسى ابنه
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج
فيه استحالة ما قيل اندراجا اوليا اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا اي لان يتخذ
اي من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلقه ان يتخذه اذ لا موجود سواه
الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين

ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخِذ والمتخَذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى
يمكن اتخاذه ولدا فاذا فرضنا اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير
حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي تقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها
لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادته وقوعه انتفاءه اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا
لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد في شيء اصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب
في ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكانه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا
لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على انه متحقق عند عدمها
بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى سبحانه تقرير لما ذكر
من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتاكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اي تنزه بالذات
عن ذلك تنزهه الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبحه تسبيحا
لائقا به على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحا حقيقا بشانه و
قوله تعالى **هو الله الواحد القهار** استيناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات
اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات
الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة
بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقتضي تنزهه تعالى عما قالوا اقتضاء ظاهرا وكذا
وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء
ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف
يتصور ان يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى **خلق السموات والارض بالحق**
تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده تعالى بما ذكر من الصفات الجليلة اي خلقهما وما
بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى
يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما
فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اي يغشي كل واحد منهما الآخر
كانه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله
كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد **وسخر**
الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى **كل يجري لاجل مسمى**

اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد اي جعله خائل مال من قولهم
فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اي جعله
يختال ويفتخر **نسي ما كان يدعو اليه** اي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق
الى كشفه **من قبل** اي من قبل التخويل او نسي ربه الذي كان يدعو ويتضرع اليه اما بناء على
ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد
واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا من ان يعرفه من هو
كما مر في قوله تعالى عما ارضعت **وجعل لله اندادا** شركاء في العبادة **ليضل** الناس
بذلك **عن سبيله** الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليزداد ضلالا او يثبت عليه
والا فاصل الضلال غير متاخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا
قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما اضلال وضلال
واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا **قل** تهديدا لذلك الضال
المضل وبيانا لحاله وماله **تمتع بكفرك قليلا** اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا
انك من اصحاب النار اي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة
التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول ما امرت به
من الايمان والطاعة فمن حقك ان تامر بتركه لتذوق عقوبته **امن هو قانت**
آناء الليل الخ من تمام الكلام المامور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة
بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له تاكيدا للتهديد وتهكما به اانت احسن حالا ومآلا
ام من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على اداء وظائف العبادات في
ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدابك حال كونه
ساجدا وقائما اي جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في
معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر **يحذر الآخرة** حال اخرى **ويرجو**
رحمة ربه فينجو لذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط
واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب

الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل امن هو قانت اى أاحوه
افضل امن هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على
شرف العلم والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقائق الاحوال فيعملون بموجب
علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون ما ذكر او يعلمون فيعملون بمقتضى جهلهم
وضلالهم كدابك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين في اعلى معارج الخير
وكون الآخرين في اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من
منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اى كما لا يستوي العالمون و
الجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب
كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من
القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال
عقولهم كما في قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي
واحجار اى انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوائب
الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين
آمنوا اتقوا ربكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة و
اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم هم كما يصرح به اى قل لهم قولي هذا بعينه وفيه
تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فان نقل عين امر الله تعالى
ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى للذين احسنوا تعليل للامر او لوجوب الامتثال به
وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان
وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى
في هذه الدنيا متعلق باحسنوا اى عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص
وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله عليه السلام
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اى حسنة عظيمة
لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها
في الظرف فالمراد بها الصحة والعافية وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على التقوى

والرحمة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت اى البالغ اقصى غاية
الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت
والعظموت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد به هو الشيطان ان يعبدوها
بدل الاشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها
وانابوا الى الله واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على
ألسنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك فبشر عباد
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب والانابة
باعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار
اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون
الافضل فالافضل اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على
الابتداء خبره ما بعده من الموصول اى اولئك المنعوتون بالمحاسن الجليلة الذين هداهم الله
للدين الحق واولئك هم اولو الالباب اى هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة
الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية
تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار
بيان لاحوال اضداد المذكورين على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم
عبدة الطاغوت ومتبعو خطواته كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليهم كلمة العذاب
فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى
لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين واصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب
فانت تنقذه على انها شرطية دخل عليها الهمزة للانكار [illegible] ثم الفاء لعطفها على جملة
مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونيهما معا اى أأنت
مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء
لتأكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد
الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار
وان اجتهاده عليه السلام في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء

وقوله تعالى افانت لا محله مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين
ما حذف منها وتشديد الانكار تنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل
النار وتصوير الاجتهاد في دعائه الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كانه قيل
اولا افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه منه ثم شدد الانكار فقيل افانت تنقذ من
في النار وفيه تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غير وحيث كان المراد من
في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك
عنهم بقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى
يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا
فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية ومعنى ان لهم درجات
عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اي لهم علالي
بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل المبنية المؤسسة على الارض في
الرصانة والاحكام تجري من تحتها اي من تحت تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو
والسفل وعد الله مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف فانه وعد اي وعد لا يخلف
الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء استئناف وارد
لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع
ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزبرجها كما في نظائر قوله تعالى
انما مثل الحيوة الدنيا الآية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية
من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار
قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الارض فهو
من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع فسلكه فادخله
ونظمه ينابيع في الارض اي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها
فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الجار اي
في ينابيع ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته
من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة ثم يهيج اي يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته

فالاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا انقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع
وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال
اقشعر جلده ووقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد
اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم
بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وقوارع آيات وعيده اصابتهم
هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء
ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال
عند ذكره تعالى ذلك اي الكتاب الذي شرح احواله هدى الله يهدي به من يشاء
ان يهديه لصرف مقدوره الى الاهتداء بتأمله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية و
دلائل كونه من عند الله تعالى ومن يضلل اي يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته الى مبادئها
واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعيده ووعده اصلا او ومن يخذله
فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء اثر
هداه تعالى يهدي بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اي ومن لم يؤثر فيه لطفه
لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط افمن يتقي بوجهه الخ
استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالي المهتدي والضال والكلام في الهمزة
والفاء وحذف الخبر الذي مر في نظيريه والتقدير اكل الناس سواء فمن شأنه ان يتقي
نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد
يوم القيمة لكون يده التي بها كان يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو آمن
لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل وقيل
للظالمين عطف على يتقي اي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق
والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم
والاشعار بعلة الامر في قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وبال ما كنتم تكسبونه في
الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من قبلهم استئناف مسوق
لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من الاخروي

العذاب الاخروي اي كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة فاتاهم العذاب
المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم
اتيان الشر منها فاذاقهم الله الخزي اي الذل والصغار في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف
والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر
لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اي لو كان من شانهم ان يعلموا شيئا لعلموا
ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل يحتاج اليه الناظر في
امور دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرانا عربيا حال مؤكدة من هذا على
ان مدار التاكيد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج
لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل المراد
بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى ضرب الله مثلا
رجلا فيه شركاء متشاكسون اراد المثل من الامثال القرانية بعد بيان ان الحكمة
في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل هنا تطبيق
حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب
ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة
في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيانه انه في الاصل كذلك تماما
والجملة في حيز النصب على انه وصف لرجلا او الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به
على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقوده اليه
مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه
ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه ورجلا اي وجعل للموحد مثلا
سلما اي خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما بفتح السين وكسرها
مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا اي خلص نعتت بها مبالغة او حذف
منها ذو وقرئ سالما وسالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر لما يجري عليه
من الضر والنفع هل يستويان مثلا انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه
واكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما
او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والاخر في اسفل سافلين

واستغفار وان جلح في الثاني بالنظر الى الطف اكرم الاكرمين من استكثار
الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن
في الاول بناء على ان تخصيص الاسوء بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة
استلزام تكفير الاسوء لتكفير السيء لكن لما لم يكن ذلك في الحسن كان الاحسن نظمهما في
سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني
دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة اليس الله بكاف عبده
انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر
احد على ان يتفوه بعدمها ويتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله
صلى الله عليه وسلم او الجنس المنتظم له عم انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرا عباده
وفسر بالانبياء عليهم السلام وكذا قراءة من قرا بكافي عباده على الاضافة ويكافي
عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافاة
بمعنى المجازاة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عم عما قالت له قريش انا نخاف
ان يخبلك الهتنا ويصيبك مضرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن
شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك
بعض الهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه اي الاوثان التي اتخذوها
الهة من دونه تعالى والجملة استيناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تعالى
وعصمته له عم وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد يهديه الى خير ما ومن يهد الله
فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا
معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع
ولا ينازع ذي انتقام ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
لوضوح الدليل وسنوح السبيل قل تبكيتا لهم افرايتم ما تدعون من دون الله ان
ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي بعد ما تحققتم ان خالق العالم العلوي
والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان الهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر
او ارادني برحمة اي او ان ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني

وقرئ كاشفاتٌ ضرَّه وممسكاتٌ رحمتَه بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته
وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عم للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة
الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اي في جميع اموري من
اصابة الخير ودفع الشر روي انه عليه السلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك
عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه
تحت ملكوته تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها من العداوة
التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان
مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار
والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأييده
ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته عم وقد اخزاهم الله تعالى يوم بدر
ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم هو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب
للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد بالحق حال من الفاعل او المفعول
فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها
اذ وبال ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم
على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها
اي يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا
كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن
وقرئ قُضي على البناء للمفعول ورفع الموت ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند
التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع
بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس
ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل و
التمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس
وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك
والارسال لآيات لقوم يتفكرون دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته

الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير و
الموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا
جزاء سيئات اعمالهم او جزاء ما كسبوا وتسميتها سيئات لانها في مقابلة سيئاتهم
وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض
اي افرطوا في الظلم والعتو سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب
اولئك والسين للتأكيد وقد اصابهم اي اصابه حيث قحطوا سبع سنين وقتل
صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اي فائتين اولم يعلموا اي قالوا ذلك ولم يعلموا
او اغفلوا ولم يعلموا ان الله يبسط الرزق اي يبسطه لمن يشاء ان يبسطه له ويقدر
من غير ان يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم
سبعا ان في ذلك لآيات الذي ذكر لقوم يؤمنون دالة على ان الحوادث كلها من الله عز وجل
اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي
افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما
عرف القرآن الكريم لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا
ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبغيره بما
يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه
التعليل بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة
وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين
للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن
المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير
لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما روي من اسباب
النزول لا يدل على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب
حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء اكرم الكاملين غير مسلم فكيف
فيما هو في كلامين واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى

وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون
اوليس المدعي ان الاية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب
لتغنى عن الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
اي القرآن او الماموربه دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون
المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم
العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركوا وتتاهبوا له ان تقول نفس اي كراهة
ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسلك ربما
يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف
بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي
بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك
على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري في جنب الله اي جانبه اي في حقه وطاعته وعليه
قول من قال اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى وعين ترقرق وهو كناية
فيها مبالغة وقيل في ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى
والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بدين
الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله
هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى
العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو
للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال تحسرا او تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى
بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه
قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتاخيره
المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة
وهو لا يمنع تاثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت
وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتانيث ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله
بان وصفوه بما لا يليق بشانه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما
يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفى فيها بالضمير عن الواو على ان الروية بصرية

وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه
وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من
الشركاء ونفخ في الصور يعني النفخة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض اي خروا امواتا
او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد
وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع
فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال
من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم
واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع
ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك
اضيف الاسم الجليل الى ضمير الارض او بنور خلقه فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك
اضيف الى الاسم الجليل ووضع الكتاب للحساب والجزاء من وضع المحاسب
كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس
عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة
والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون
بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاءه
وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى
جهنم زمرا الى تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة
افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة
والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاؤها
فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها
تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم وقرئ نذر منكم يتلون عليكم آيات ربكم
وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف
قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى
قد اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس لاملان جهنم منك

ومن تبعك منهم أجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم
إلا تكذبون قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أي مقدرا خلودكم فيها وإبهام القائل لتهويل
المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا أي
فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الإشعار بأن كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في
أن دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فإنها إنما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه
في سورة الم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة مساق إعزاز وتشريف للإسراع بهم إلى دار
الكرامة وقيل سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت
مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقرئ بالتشديد وجواب إذا محذوف
للدلالة على أن لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارة كأنه قيل حتى إذا جاؤوها وقد فتحت
أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والآلام طبتم طهرتم من دنس المعاصي أو طبتم
بما أتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين كان ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
بالبعث والثواب وأورثنا الأرض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وإيراثها تمليكها
مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء أي يتبوأ
كل واحد منا في أي مكان أراده من جنته الواسعة على أن فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم
أجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش أي حوله ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف
يسبحون بحمد ربهم أي ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى والمعنى ذاكرين له
بوصفي جلاله وإكرامه تلذذا به وفيه إشعار بأن أقصى درجات العليين وأعلى لذاتهم هو الاستغراق في شئونه
وقضي بينهم بالحق أي بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم
وقيل الحمد لله رب العالمين أي على ما قضى بيننا بالحق وأنزل كلا منا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون
ممن قضي بينهم والملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع
الله تعالى رجاءه يوم القيامة وأعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها أنه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

بتفخيم الألف وتسكين الميم وقرئ بإمالة الألف وبإخراجها بين بين وفتح الميم
لالتقاء الساكنين أو نصبها بإضمار اقرأ أو نحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث

لا تفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن خلقا من الملائكة يقال له
إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى وقد مرق رأسه
من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث أن الله
أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل
خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع
ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين
مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم
بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا
وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ربنا على إرادة القول أي يقولون ربنا على أنه بيان لاستغفارهم
أو حال وسعت كل شيء رحمة وعلما أي وسعت رحمتك وعلمك فأزيل عن أصله للإغراق
في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات ههنا
والفاء في قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك أي للذين علمت منهم التوبة واتباع
سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه
وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد ربنا وأدخلهم عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة
في الجؤار جنات عدن التي وعدتهم أي وعدتهم إياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من آبائهم
وأزواجهم وذرياتهم أي صلاحا مصححا لدخول الجنة في الجملة وإن كان دون صلاح أصولهم
وهو عطف على الضمير الأول أي وأدخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم
أو على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل إذ لا يبقى ح للعطف وجه بل بناء على الوعد
الخاص بهم بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم بأن يكونوا على درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير
يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبي أين أمي أين ولدي أين زوجي فيقال إنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول
إني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة وسبق الوعد بالإدخال والإلحاق لا يستدعي
حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبني قول من قال فائدة الاستغفار
زيادة الكرامة والثواب والأول هو الأولى لأن الدعاء بالإدخال فيه صريح وفي الثاني ضمني
وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالإفراد إنك أنت العزيز أي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور
أي الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الأمور التي من جملتها إنجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها

وقهم السيئات اي العقوبات لان جزاء السيئة سيئة او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع او بالكفار في الدنيا فمعنى قوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها او الى الوقاية وما فيه من معنى البعد طاهرا من الاشعار ببعد درجة الى الى هو الفوز العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع ان الذين كفروا شروع في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون اي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي ابغضوها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤوس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتأبون قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها واقتداء بجلائكم المضلين واستحبابا لارائهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لاتساع الظروف وقيل لمصدر آخر مقدر اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول الوجه وقيل كلا المقتين في الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدري الفعلين المذكورين اي اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد او للفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحيوة حتما كأنه قيل امتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حيوتين اثنتين على طريقة قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ قيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على ان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحيائين الاحياء الاول

لرسالته وتبليغ احكامه اليهم اي الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عم او الروح لانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث تحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة او مستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ اي ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي انه يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عذاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تعالى اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة

في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل
الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى لكن فان كون ذلك
اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يتوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع
مجيئا فيكون تعليلا للانذار وانذرهم يوم الآزفة اي القيمة سميت بها لازوفها وهو القرب
غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة وهي مشارفة اهل النار دخولها
وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله كلا اذا بلغت
التراقي اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع من اماكنها فتلتصق بحلوقهم
فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على
المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال
العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال
مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم اي قريب مشفق
ولا شفيع يطاع اي ولا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله
على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة
الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر كالعافية
وما تخفي الصدور من الضمائر والاسرار والجملة خبر اخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من
خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي
بشيء الا وهو حق وعدل والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد
تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار
قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على
ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد
وثمود واضرابهم كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بالفصل مع
ان حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه
وقرئ اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع المحصنة والمدائن المتينة وقيل

وان يك مسرف كذاب احتجاج آخر ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه
الله تعالى الى البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله
واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الثاني وهو ما كف على المعنى الاول لتليين شكيمتهم
وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني اسرائيل في الارض اي ارض مصر لا يقاومكم
احد في هذا الوقت فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا من اخذه وعذابه اي فلا تفسدوا امركم
ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما انسب ما يسرهم من الملك
والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء بأس الله تعالى
تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه
في حق نفسه ليتأثروا بنصحه قال فرعون بعد ما سمع نصحه ما اريكم اي ما اشير عليكم الا ما ارى
واستصوبه من قتله وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد اي الصواب او لا اعلمكم
الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف
الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة
من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع
او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات على منظور فيه الى فعل وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مخاطبا لقومه
في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني
وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود
اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط
وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى
وما ربك بظلام للعباد لان المنفي فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية ويا قوم
اني اخاف عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي
ويوم التناد يوم القيمة لانه ينادي فيه بعضهم للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور
او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما حكي في سورة الاعراف وقرئ بالتشديد وهو
ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا
زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعون الى مكانهم

في بعض او سمعوا صوتاً فاقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم
التناد اي منصرفين عن الموقف الى النار او فارين منها حسبما نقل آنفاً ما لكم
من الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له
من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام
على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد وقيل سبطه
يوسف بن ابرهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات
الواضحة فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله
من بعده رسولاً ضماً الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزماً بان لا يبعث
بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضاً
بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف في عصيانه
مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد
الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار
معناه كانه قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون
اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في المجادلة اتاهم صفة سلطان كبر مقتاً عند الله
وعند الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره
باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطبع الفظيع
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف
والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالكبر والتجبر لانه منبعهما
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً اي بناء مكشوفاً عالياً من صرح الشيء اذا ظهر
لعلي ابلغ الاسباب اي الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها
تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى بالنصب على جواب الترجي وقرئ
بالرفع عطفاً على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصداً في موضع عال ليرصد منه
احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها
ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء
يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء

وذلك لارواحهم كما روي ابن مسعود رضي الله عنه ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على
النار بكرة وعشياً الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم
واما للتأبيد هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب
اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد
من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب
واذ يتحاجون في النار اي واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين
استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعاً اتباعاً كخدم في جمع خادم او ذوي تبع
اي اتباع على اضمار المضاف او تبعاً على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا
نصيباً من النار بالدفع او بالحمل ونصيباً منصوب بمضمر دل عليه مغنون اي دافعون عنا
نصيباً او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيباً او نصب على المصدر
كشيئاً في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً فانه في موقع غنى فكذلك
نصيباً قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا
عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لان اسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه
ولا يجوز جعله حالاً من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف
المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديداً لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد
وقضى بينهم قضاء متقناً لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين
جميعاً لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم لخزنة جهنم اي للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم
موضع الضمير للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان تكون جهنم ابعد دركات النار
وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة
لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً اي مقدار يوم او في يوم ما من الايام
على انه ظرف لا معيار شيئاً من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف
قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأساً او تخفيف قدر
كثير منه في زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت
امانيهم قالوا اي الخزنة اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات اي الم تنبهوا على هذا ولم تك
تأتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي

في قوله تعالى الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا الآية
ذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة
اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء
ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى **قالوا فادعوا** فصيحة كما في قول من قال
فقد جئنا خراسانا اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك
مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان
ان سببه من قبلهم كما تفصح عنه الفاء ربما يوهم ان الاذن في حيز الامكان وانهم لو
اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا باجرهم بالدعاء اطماعهم في الاجابة بل اقناطهم منها
واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به في قولهم **وما دعاء الكافرين الا في ضلال** اي ضياع وبطلان
وقوله تعالى **انا لننصر رسلنا والذين آمنوا** الخ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى
لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي تقتضيه الحكمة وهو
ان شأننا المستمر انا ننصر رسلنا واتباعهم **في الحيوة الدنيا** بالحجة والظفر والانتقام لهم
من الكفرة بالاستيصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في
ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر
ويوم يقوم الاشهاد اي يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند
جمع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب
بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ
لا تنفع بالتاء **ولهم اللعنة** اي البعد عن الرحمة **ولهم سوء الدار** اي جهنم
ما يهتدي به من المعجزات والصحف والشرائع **واورثنا بني اسرائيل الكتاب** وتركنا عليهم من
بعده التورية **هدى وذكرى** هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا **لاولي الالباب** لذوي العقول
السليمة العاملين بما في تضاعيفه **فاصبر** على ما نالك من اذية المشركين **ان وعد الله**
اي وعده الذي ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم
المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك او جميع مواعيده التي
من جملتها ذلك **حق** لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون
واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى في بعض الاحايين فانه تعالى

وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنها لانعدم بالكلية **هو الحي** المتفرد بالحيوة الذاتية
الحقيقية **لا اله الا هو** اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وافعاله **فادعوه** فاعبدوه
خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى **مخلصين له الدين** اي الطاعة من الشرك الجلي والخفي **الحمد لله رب**
العالمين اي قائلين ذلك **من البينات** والآيات او من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها
فان الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والانفسية **وامرت ان اسلم**
لرب العالمين اي بان انقاد له واخلص له ديني
اي في ضمن خلق آدم عليه السلام منه حسبما تحققته مرارا اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا
من نطفة اي مني اي اطفالا والافراد لارادة الجنس او
لارادة كل واحد من افراده **ثم لتبلغوا اشدكم** علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى
له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في
القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى **ثم لتكونوا شيوخا** ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ
شيخا كقوله تعالى طفلا **ومنكم من يتوفى من قبل** اي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد
او قبله ايضا متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا وهو وقت
الموت او يوم القيمة يفعل ذلك ولكي تعقلوا ما في ذلك
من فنون الحكم والعبر **هو الذي يحيي** الاموات **ويميت** الاحياء او الذي يفعل الاحياء والاماتة
فاذا قضى امرا اي اراد امرا من الامور **فانما يقول له كن فيكون** من غير توقف على شيء
من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها
وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومأمور والفاء
الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه
تعجيب من احوالهم الشنيعة
وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب
والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون
في آيات الله الخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود
هو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آيات الله تعالى
الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي

إلى الإقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى الذين كذبوا
بالكتاب أي بكل القرآن أو بجنس الكتب السماوية فإن تكذيبه تكذيب لها في محل الجر
على أنه بدل من الموصول الأول أو في محل النصب أو الرفع على الذم وإنما وصل الموصول الثاني
بالتكذيب دون المجادلة لأن المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي
للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها
وبما أرسلنا به رسلنا من سائر الكتب أو مطلق الوحي والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا
من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته إذ الأغلال في أعناقهم ظرف ليعلمون إذ المعنى
على الاستقبال والتعبير بلفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الأغلال والجار في نية التأخير
وقيل مبتدأ وحذف خبره لدلالة خبر الأول عليه وقيل قوله تعالى يسحبون بحذف العائد
أي يسحبون بها وهو على الأولين حال من المستكن في الظرف وقيل استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون
في الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية
على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لأن قوله تعالى الأغلال في أعناقهم في معنى
أعناقهم في الأغلال أو إضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون أي يحرقون
من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أي ملئ والمراد
بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينقلون من باب إلى باب ثم قيل لهم
أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا أي يقال لهم ويقولون
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل أن تقرن بهم
آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا أي بل تبين لنا
أنا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك
حسبته شيئا فلم يكن كذلك أي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون
إلى شيء ينفعهم في الآخرة أو كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا
ذلكم الإضلال بما كنتم تفرحون في الأرض أي تبطرون وتتكبرون بغير الحق
وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والأشر والالتفات
للمبالغة في التوبيخ ادخلوا أبواب جهنم أي أبوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها

وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم أن ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه إلا عدم الإغناء
فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وإن كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك
وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما أبهم وأجمل من عدم الإغناء وكذا الكلام شبيه
الفاء وبناها على أن التفسير بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال والثالثة لمجرد التعقيب
وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لأن مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم أنهم كفروا
فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على
آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لأن النافع هو الإيمان الاختياري
سنة الله التي قد خلت في عباده أي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من المصادر المؤكدة
وخسر هنالك الكافرون أي وقت رؤيتهم البأس على أنه اسم مكان استعير للزمان كما سلف آنفا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له

بسم الله الرحمن الرحيم

حم إن جعل اسما للسورة فهو إما خبر لمبتدأ محذوف وهو الأظهر لما مر مرارا
أو مبتدأ خبره تنزيل وهو على الأول خبر بعد خبر لمبتدأ محذوف إن جعل مسرودا
على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الإضافية أو خبر آخر أو تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجه
الأول بدل منه أو خبر آخر أو خبر لمحذوف ونسبة التنزيل إلى الرحمن الرحيم للإيذان بأنه مدار
للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين فصلت آياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في أساليب مختلفة
ومعان متغايرة من أحكام وقصص ومواعظ وأمثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت أي
فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الأساليب والمعاني من قولك
فصل من البلد فصولا قرآنا عربيا نصب على المدح أو الحال من فصلت أو من كتاب لتخصصه بالصفة
أو من آياته لقوم يعلمون أي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لأهل العلم والنظر لأنهم المنتفعون به

واللام متعلقة بمحذوف بوصفه أخرى لقرآنا أي كائنا لقوم الخ أو تنزيل على أن من
الرحمن الرحيم ليست بصفة له أي بفصلت **بشيرا ونذيرا** صفتان أخريان لقرآنا أي بشيرا
لأهل الطاعة ونذيرا لأهل المعصية أو حالان من كتاب أو من آياته وقرئا بالرفع على
الوصفية لكتاب أو الخبرية لمحذوف **فأعرض أكثرهم** عن تدبره مع كونه على لغتهم
فهم لا يسمعون سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به **وقالوا** أي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عند دعوته إياهم إلى الإيمان والعمل بما في القرآن **قلوبنا في أكنة** أي أغطية متكاثفة
مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر أي صمم وأصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف **ومن بيننا**
وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدئ من
الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ أصلا وهذه
تمثيلات لنبو قلوبهم عن إدراك الحق وقبوله ومج أسماعهم له كأن بها صمما وامتناع
مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام **فاعمل** أي على دينك وقيل في إبطال أمرنا
إننا عاملون أي على ديننا وقيل في إبطال أمرك والأول هو الأظهر فإن قوله تعالى **قل إنما**
أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد تلقين للجواب عنه أي لست من جنس
مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الأعمال والأديان كما ينبئ عنه
قولكم فاعمل إننا عاملون بل إنما أنا بشر مثلكم مأمور بما أمرتم به حيث أخبرنا جميعا بالتوحيد
بخطاب جامع بيني وبينكم فإن الخطاب في إلهكم محكي منتظم للكل لأنه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما في
مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا أدعوكم إلى ما ينبو عنه العقول
والأسماع وإنما أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل و
شواهد النقل وقيل المعنى إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحي إلي دونكم فصحت
بالوحي إلي وأنا بشر نبوتي وإذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فتأمل في الفاء في قوله تعالى
فاستقيموا إليه لترتب ما بعدها على ما قبلها من إيحاء الوحدانية فإن ذلك موجب
لاستقامتهم إليه تعالى بالتوحيد والإخلاص في الأعمال **واستغفروه** مما كنتم عليه من سوء
العقيدة والعمل وقوله تعالى **وويل للمشركين** ترهيب وتنفير لهم عن الشرك إثر ترغيبهم
في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى **الذين لا يؤتون الزكاة** لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة

تمثيل لكمال تأثيرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أراده وتصوير
لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فإن الطوع منبئ عن ذلك
والكره موهم لخلافه وإنما قيل طائعين باعتبار كونهما في موضع الخطاب والجواب
كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى **فقضاهن سبع سموات** تفسير وتفصيل لتكوين السماء
المجمل المعبر عنه بالأمر وجوابه لا أنه فعل مترتب على تكوينها أي خلقهن خلقا إبداعيا
وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير إما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات
حال على الأول تمييز على الثاني **في يومين** في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار
زمان خلق الأرض وخلق ما فيها عند بيان تقديرها فكان خلق الكل في ستة أيام
حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل **وأوحى في كل سماء أمرها** عطف
على فقضاهن أي خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما
لا يعلمه إلا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحي عبارة عن التكوين كالأمر مقيد
بما قيد به المعطوف عليه من الوقت أو أوحى إلى أهل كل منها أوامره وكلفهم ما يليق بهم
من التكاليف فهو لمطلق الوحي ومطلق عن القيد المذكور وأيا ما كان فعلى ما ذكر من
التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء وإنما
الترتيب بين التقدير والإيجاد وأما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الأفعال
الثلاثة على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق
الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روي
أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث في الماء
اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة
فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات
وروي أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها
يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة
وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل
إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى

والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن رحمه الله من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الامر بالاتيان انشاؤها واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتأخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان يجعل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية اما على انه قاصر عن الاول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على انه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها اكمل وليس ما روي عن الحسن رضي الله عنه نصا في تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل رحمه الله ان خلق السماء متقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر بالاتيان حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كلمة ثم للتراخي

اي باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام واضيف العذاب الى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الضلالة على الهداية فاخذتهم صاعقة العذاب الهون اي داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع في بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم باعداء الله لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين ويرده ما سيأتي من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اي الى موقف الحساب اذ هناك يتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤوها اي حتى اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم

سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فى الدنيا من فنون الكفر
والمعاصى بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آثارا يعترفوا بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد
بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال به فى قوله تعالى قالوا انطقنا الله
الذى انطق كل شئ لوقوعها فى موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء
اى انطقنا الله الذى انطق كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا
من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذى انطق كل شئ وليس بذاك
لما فيه من ايهام الاضطرار فى الاخبار وقيل سألوها سؤال التعجب فالمعنى ليس نطقنا بعجب
من قدرة الله الذى انطق كل حى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان من قدر على
خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل
صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد
الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب
المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى
بطريق التوبيخ والتقريع تقرير لجواب الجلود اى ما كنتم تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم
الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح
عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
من القبائح المخفية فلا يظهرها فى الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان
شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لا بانها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن
ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلثة نفر ثقفيان وقرشى او قرشيان
وثقفى فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا
فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكى
حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن
معنى مجازى يعم معناه الحقيقى وما يجرى مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما فى قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده
ليتم التعميم بما حكى من الحال جميع اصناف الكفرة فتدبر وذلكم اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه
من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته فى الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى

اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى فى مواطن ثلثة عند الموت وفى القبر
وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه ان لا تخافوا ما تقدمون عليه
فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من
فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى
كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة
والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وقرئ لا تخافوا اى يقولون لا تخافوا على انه
حال من الملئكة او استيناف وابشروا اى سروا بالجنة التى كنتم توعدون
فى الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم فى احد المواطن الثلثة وقوله تعالى
نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا الخ من بشاراتهم فى الدنيا اى اعوانكم فى اموركم
نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال
المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتاييده لهم
بواسطة الملئكة عليهم السلام وفى الآخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين
يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادى والخصام ولكم فيها اى فى الآخرة
ما تشتهى انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون افتعال من
الدعاء بمعنى الطلب اى تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم فى الموضعين
خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره فى الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون
على ما تشتهى للايذان باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم
حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الاجور
كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اى الى توحيده تعالى وطاعته
عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام
وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى المؤذنين والحق ان
حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا
فيما بينه وبين ربه وقال اننى من المسلمين ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة
من قولهم هذا قول فلان اى مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرئ انى بنون واحدة
ولا تستوى الحسنة ولا السيئة جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد

اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم
بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والاحكام
ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن الى آخره
استيناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة حيث اعترضتك
من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان
الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من
قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم بيان لنتيجة الدفع المأمور به اي فاذا فعلت ذلك صار
عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي ما يلقى هذه الخصلة والسجية التي
هي مقابلة الاساءة بالاحسان [الا الذين صبروا] اي شأنهم الصبر وما يلقاها
الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو
الثواب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان موذيا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى
وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها تبعث على الشر وجعل
نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اي
وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من
شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك
وفي جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه
ومن آياته الدالة على شؤونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من
مخلوقاته مسخر لامره [لا تسجدوا للشمس ولا للقمر] لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره
مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل
حكم الانثى او الاناث او لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل
مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة
المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها

من كمال المناسبة للنداء من بعيد اي اولئك البعداء الموصوفون بما
ذكر من التصام عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة
التي يشاهدونها [ينادون من مكان بعيد] تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له
بمن ينادي من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ولقد آتينا
موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستانف مسوق لبيان ان الاختلاف في شأن الكتب
عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك اي وبالله لقد آتيناه التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها
ومكذب وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر
[ولولا كلمة سبقت من ربك] في حق امتك المكذبة وهي العدة بتأخير عذابهم وفصل
ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيمة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم
وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضي بينهم باستيصال المكذبين
كما فعل بمكذبي الامم السالفة وانهم اي كفار قومك لفي شك منه مريب
اي من القرآن وجعل الضمير الاول لليهود والثاني للتورية مما لا وجه له من عمل صالحا
بان آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اي فلنفسه يعمل او فنفعه لنفسه لا لغيره
ومن اساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله مبني على ان ترك اثابة المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله
وتنزيل التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه
سبحانه وتعالى وقد قرر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران
وسورة الانفال [اليه يرد علم الساعة] اي اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها
الا الله وما تخرج من ثمرات من اكمامها اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة
كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع وقد
قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال ان تكون
موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
وقوله تعالى الا بعلمه استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما يحدث شيء من
خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط

ويوم يناديهم اين شركائي اي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى اين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا اذناك اي اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا هو موحد لك او ما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين ومعنى اذناك اما ان هذا التوبيخ مسوق بتوبيخ اخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الان انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علم من نفوسهم فكانهم اعلموه او لان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون اي يعبدون من قبل اي غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر اي العسر والضيقة فيؤس قنوط فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان اليأس من رحمة الله تعالى لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة اي تقوم فيما سيأتي ولئن رجعت الى ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى اي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان نعم الاخرة كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهارها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم في سورة يونس ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض اي عن الشكر ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد

اشارة الى ما فيها وعلى الثاني الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اي مثل ما في هذه السورة من المعاني اوحي اليك في سائر السور والى من قبلك من الرسل في كتبهم على ان مناط المماثلة ما اشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد او مثل ايحائها اوحي اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الاية على ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحائها مشبها به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على ان ذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كانه قيل من يوحي فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له او مبتدأ كما في قراءة نوحي والعزيز وما بعده خبران له او العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجه الاول الاية استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تنفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الايات وادلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الارض حين اثرت في جهة الفوق فلان تؤثر في جهة التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها في معنى الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين

كما في قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة **ألا إن الله هو الغفور الرحيم** إذ ما من مخلوق إلا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الأول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب إليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز إلى أنه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة **والذين اتخذوا من دونه أولياء** شركاء وأندادا **الله حفيظ عليهم** رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها **وما أنت عليهم بوكيل** بموكل بهم أو بموكول إليه أمرهم وإنما وظيفتك الإنذار **وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا** ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآنا عربيا مفعول لأوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك قرآنا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل إشارة إلى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحفيظ عليهم وإنما أنت نذير فحسب فالكاف مفعول به لأوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي بين **لتنذر أم القرى** أي أهلها وهي مكة **ومن حولها** من العرب **وتنذر يوم الجمع** أي يوم القيمة لأنه يجمع فيه الخلائق قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الأرواح والأشباح وقيل الأعمال والعمال والإنذار يتعدى إلى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الأول وأول مفعولي الثاني للتهويل وإيهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على أن فاعله ضمير القرآن **لا ريب فيه** اعتراض مقرر لما قبله **فريق في الجنة وفريق في السعير** أي بعد جمعهم في الموقف فإنهم يجمعون فيه أولا ثم يفترقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم أي وتنذر يوم جمعهم متفرقين أي مشارفين للتفرق أو متفرقين في داري الثواب والعقاب **ولو شاء الله لجعلهم** أي في الدنيا **أمة واحدة** مهتدين أو ضالين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضه في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى **ولكن يدخل من يشاء في رحمته** أنه تعالى يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولا ريب في أن مشيئته تعالى لكل من الإدخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف

والخطاب لأمته عليه الصلوة والسلام أي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولي العزائم من مشاهير الأنبياء عليهم الصلوة والسلام وأمرهم به أمرا مؤكدا على أن تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة إليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شأن موسى عليه السلام والنصارى في حق عيسى عم وإلا فما من نبي إلا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الإسلام وما لا يختلف باختلاف الأمم وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام كما ينبئ عنه التوصية فإنها معربة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بإيحائه إليه عليه الصلوة والسلام إما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك أوحينا الآية أو ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبرهيم حنيفا وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته إليه عليه الصلوة والسلام بالذي لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وإيثار الإيحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الإيحاء من التصريح برسالته عم القامع لإنكار الكفرة والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الاعتناء بإيحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عم للمسارعة إلى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب إليه عليه الصلوة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلوة والسلام **أن أقيموا الدين** أي دين الإسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته والإيمان بكتبه ورسله ويوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمر له ومحل أن أقيموا إما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من إبهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو إقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما أنه مع إفضائه إلى خروجه عن حيز الإيحاء إلى النبي عليه الصلوة والسلام مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى **ولا تتفرقوا فيه** للأنبياء المذكورين عليهم الصلوة والسلام وتوجيه النهي إلى أممهم تمحل ظاهر مع أن الأظهر أنه متوجه إلى أمته عم وأنهم المتفرقون كما ستحيط به

جبرا اي لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة
حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا وقوله تعالى كبر على المشركين شروع في بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع
من الدين القويم اي عظم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض عبادة
الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب
وقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان
منهم من يجيب الى الدعوة اي الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه
وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب اي
يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا شروع في بيان
احوال اهل الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اي وما تفرقوا في الدين الذي دعوا
اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا في رسول الله
صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم او العلم بمبعثه عليه الصلاة والسلام
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في حال من الاحوال
او في وقت من الاوقات الا حال مجيء العلم او الا وقت مجيء العلم بغيا بينهم وحمية
وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك شبهة ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير
العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيمة لقضي بينهم لاوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب
جناياتهم لذلك قطعا وان الذين اورثوا الكتاب الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن
اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا اي وان المشركين الذين اورثوا
القرآن من بعدهم من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفي شك منه من القرآن مريب موقع
في القلق او في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته
كدأب اهل الكتاب هذا واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا للامم الانبياء عليهم السلام وان
المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة
الانبياء عليهم السلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي
بينهم كذا ما قيل من ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله تعالى اهل
الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى

تزد له في حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد بأعماله
حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها نؤته منها اي شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده
ويبتغيه وما له في الآخرة من نصيب اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة
الاسراء ام لهم شركاء اي بل ألهم شركاء من الشياطين والكفرة للتقرير والتقريع
شرعوا لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا
وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع
اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن
الضلالة لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأخير الجزاء او العدة
بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين
وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل
وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة
ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للقصد الى ان سوء حالهم غير مختص
برؤية راء دون راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم
اي ووباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض
والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات مستقرون في اطيب بقاعها
وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه من فنون المستلذات
حاصل لهم عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاؤن ذلك اشارة
الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه
هو الفضل الكبير الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير هو الذي
يبشر الله عباده اي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما في قوله تعالى
أهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من ابشر قل لا اسألكم عليه روي انه اجتمع المشركون
في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون ان محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت اي لا اطلب
منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة في القربى اي الا ان تودوني لقرابتي
منكم او تودوا اهل قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم

المودة في القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة
والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من
قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وعن النبي
صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع
صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة
وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة
والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة اي يكتسب اي حسنة كانت
فتتناول مودة ذوي القربى تناولا اوليا وعن السدي انها المرادة وقيل
نزلت في الصديق رضي الله تعالى عنه ومودته فيهم نزد له فيها اي في الحسنة حسنا
بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله وقرئ حسنى ان الله غفور لمن اذنب
شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون
افترى على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان الهمزة للانكار التوبيخي كأنه قيل
ايتمالكون ان ينسبوا مثله عم وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو
اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى [illegible] استشهاد على بطلان ما قالوا
ببيان انه عم لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون
القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي عم بل يشاء عدم
صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكأنه قيل لو كان افتراء عليه تعالى
لشاء عدم صدوره عنك وان يشاء ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى
من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي
حينا فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك من المختوم
على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد
الافتراء من مثله عم وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم
وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله
الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم
على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته

كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة ان يشأ يسكن
الريح التي تجريها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهرها فيبقين ثوابت على ظهر البحر اي
غير جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من امر السفن اللاتي تجري تارة وتركد
اخرى على حسب مشيئته تعالى لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى
لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر
في آيات الله تعالى والتفكر في الآية او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر
او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يرسلها
فيغرقن بعصفها وايقاع الايباق عليهن مع انه حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه
على العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا
وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف [illegible]
عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما في قوله تعالى ولنجعله آية
للناس وقوله تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف
وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او ان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم
ما لهم من محيص اي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء
مما ترغبون وتتنافسون فيه فمتاع الحيوة الدنيا اي فهو متاع تتمتعون به مدة حياتكم
وما عند الله من ثواب الآخرة خير ذاتا لخلوص نفعه وابقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى
[illegible] لا على غيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا
لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخلت جوابها
الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله تعالى عنه انه تصدق ابو بكر رضي الله تعالى عنه بماله كله
فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من هذا الجنس
[illegible] مع ما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح بالنصب او
الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب
لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الاثم الشرك والذين
استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الايمان فاستجابوا له [illegible] اي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا

ويجمعوا عليه وكان توافيل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا اوتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر مهمات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرم محمود وعن المتغلب لعوراء اللئام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا فوضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى وقوله تعالى [illegible] بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادي هو الذي فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من نزلت به فمن عفا واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شان الموعود وخروجه عن الحد المعهود انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمعتدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاتبة او المعاقبة [illegible] يبدؤونهم بالاضرار او يعتدون في الانتقام ويبغون في الارض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى ان ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا يؤدي العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب اي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد اي رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الفعلين

وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدا وروي ان اليهود قالت للنبي عليه الصلوة والسلام الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه الصلوة والسلام لم ينظر موسى عم الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية انه علي متعال عن صفات المخلوقين لا يتاتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجري افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اي مثل ذلك الايحاء البديع [illegible] هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حياة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليهما السلام ارساله اليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب اي اي شيء هو ولا الايمان اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عم له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اي الروح الذي اوحيناه اليك [illegible] هدايته وهو الذي يعرف اخبياؤه نحو الاهتداء به وقوله تعالى وانك لتهدي تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور اي وانك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرئ لتهدي اي ليهديك الله وقرئ لتدعو [illegible] بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه تعالى بقوله [illegible] في الارض لتفخيم شانه وتقرير استقامته وتاكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب [illegible] الامور اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره وفيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسمية
كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم بالجر
على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم
على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تاكيد مضمون الجملة القسمية
اي البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من
طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة
جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التاكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب
عنها قوله تعالى فانها المحتاجة الى التحقيق والتاكيد لكونها منبئة عن الاعتناء
بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرانا عربيا لكي تفهموه
وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة
بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية
اي في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب
بالكسر اي عندنا رفيع القدر بين الكتب شريف ذو حكمة بالغة
او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من
الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها
داخلة في حكمها ففي الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان
بانه من علو الشان بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو
بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به كما انه كاف فيما من حيث
اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر اولى منه بالاقسام به واما مستانفة
مقررة لعلو شانه الذي انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم

متصل بقوله تعالى ولئن سالتهم الخ اي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم
بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته على الواحد
الحق في جميع الجهات وقرئ جزءا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفر
مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون اتخذ مما يخلق بنات
ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق
الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجب
من شانهم وقوله تعالى واصفاكم بالبنين اما عطف على اتخذ داخل في حكم الانكار
والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى الخطاب
لتاكيد الالزام وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم
افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع
ظهور استحالته وامتناعه اما كان لكم شيء من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم
على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين
واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما
من الحقارة والفخامة الخ استئناف مقرر
لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به
اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيبا
منها اي اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس
الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا اي صار اسود في الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملو
من الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر
ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له اومن ينشأ في الحلية تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن
منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا اي او جعلوا من شانه ان يربى في الزينة وهو
عاجز عن ان يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها
بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين
لتذكير ما في ام المنقطعة من الانكار وتاكيده والعطف للتغاير العنواني اي او اتخذ
من هذه الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر من القصور في الخصام اي الجدال الذي

لا يكاد يخلو عنه الانسان في العادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافته غير لا يمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه بمعنى النفي وقرئ ينشأ وينشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره علاه و اعلاه وعالاه

بيان لتضمن كفرهم

المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله عز وجل انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ اُنُثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اي احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ اشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وأأشهدوا بالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه في ديوان اعمالهم ويسألون عنها يوم القيمة وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهي قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة وقرئ يساءلون من المساءلة للمبالغة

بيان لفن آخر من كفرهم اي لو شاء الرحمن عدم عبادتنا للملائكة بمشيئة الارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احديهما ان عبادتهم له بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا في الثانية حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا او السخط في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اي بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة من علم يستند الى سند ما ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كأنه لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل

من قبل القرآن او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا

من حكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وسائر مبادي المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمة ربك اي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى

استيناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى ان حقارة شانه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا رأوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة اي متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقوفا كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج اي جعلنا لهم معارج من فضة اي مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اي يعلون السطوح والعلالي ولبيوتهم اي وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اي على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا اي زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا اي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شيء يتمتع به في الحيوة الدنيا وفي معناه ما قرئ

وإن كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على أن إن هي المخففة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على أنها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها أي للذي هو متاع كما في قوله تعالى تماما على الذي أحسن والآخرة بما فيها من فنون النعيم التي يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا ومن يعش يتعام ويعرض عن ذكر الرحمن وهو القرآن وإضافته إلى اسم الرحمن للإيذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح أي يعم يقال عشي يعشى إذا كان في بصره آفة وعشا يعشو إذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على إسناده إلى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه أن يرفع يقيض وإنهم أي الشياطين الذين قيض لكل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو ليصدونهم أي قرناءهم فلذا جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أفرد الضمائر السابقة اعتبار لفظها عن السبيل المستبين الذي يدعو إليه القرآن ويحسبون أي العاشون أنهم أي الشياطين مهتدون إلى السبيل المستقيم وإلا لما اتبعوهم أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون لأن اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدأ أو من فاعله أو منهما لاشتمالها على ضميريهما أي وإنهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون أنهم مهتدون إليه وصيغة المضارع في الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى حتى إذا جاءنا فإن حتى وإن كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما أن تكون غاية لأمر ممتد كما مر وإفراد الضمير في جاء وما بعده لأن المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الأمر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى إذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين أي بعد المشرق والمغرب أي تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق فثني وأضيف البعد إليهما

أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي أي من تحت قصري أو أمري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو إما عاطفة لهذه الأنهار على ملك مصر فتجري حال منها أو الحال فهذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجري خبر للمبتدأ أفلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه أم أنا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين أي الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصا له في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك وأم إما منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال إثر ما عدد أسباب فضله ومبادي خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أني أنا خير وهذه حاله من هذا الوجه وإما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فإن إبصارهم لما ذكر من أسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أي فهلا ألقي إليه مقاليد الملك إن كان صادقا لما أنهم كانوا إذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب وأسورة جمع سوار وقرئ أساور جمع أسورة وقرئ أساورة جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرئ كذلك وقرئ ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى أو جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم فأطاعوه فيما أمرهم به إنهم كانوا قوما فاسقين فلذلك أسرعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوي فلما آسفونا أي أغضبونا بالإفراط في العناد منقول من أسف إذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو إما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين واللام على أنه جمع سليف أي فريق قد سلف كرغف أو سالف كصبر أو سلف كأسد وقرئ سلفا بإبدال ضمة اللام

او على انه جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين اي عظة لهم او قصة
عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا
اي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال أهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم
فقال عليه الصلوة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب
الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان
هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا
وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى اذا قومك منه اي من ذلك المثل يصدون
اي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ يصدون اي من اجل ذلك المثل
يصدون عن الحق اي يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض اي يزدادون فيه
وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب
بمعنى المفاجاة حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه
تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء اي ظاهر ان عيسى خير من
آلهتنا فحيث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم ان ما نقل
عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه عليه السلام سكت عند ذلك
الى ان نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع ابهامه
لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلوة والسلام عنه من شائبة الافحام من اول الامر
خلاف الواقع كيف لا وقد روي ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة
صدر عنه من اول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي بقوله عليه الصلوة والسلام
ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل وانما لم يخص عموم هذا الحكم بآلهتهم حين
سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء
لأن اخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه
عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية
من دون الله تعالى ثم بين عليه السلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك
ان الملائكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت

فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تعالى
بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع اي التوحيد
والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عم او استئناف من
جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اي من بين من
بعث اليهم من اليهود والنصارى من المختلفين هو يوم القيامة
هل ينظرون اي ما ينتظر الناس الا الساعة ان تأتيهم اي الا اتيان الساعة اي فجاءة
لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك
قوله تعالى المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في امور الدنيوية يومئذ
يوم اذ تأتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور
كونها اسبابا للعذاب فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها
بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول
متصل وعلى الثاني منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية
لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم
صفة للمنادى او نصب على المدح وكانوا مسلمين اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة
لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي
منادٍ يا عبادي فيرفع الخلائق رؤوسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس
اهل الاديان الباطلة رؤوسهم نساؤكم المؤمنات تسرون
سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون
اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به
بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع
الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم الكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها
اي في الجنة من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهي اي تستلذ وتقر
بمشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة
مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف مبتدأ وخبر وقرئ ورثتموها
بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة شبهت جزاء العمل بالميراث

لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتداء وصفة والموصول مع صلته خبره
وقيل بوصفه للجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بالمحذوف
لا باورثتموها كما في الاولين لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع
والاصناف لا بحسب الافراد فقط منها تاكلون اي بعضها تاكلون في كل نوبة واما الباقي
فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار ابدا
موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها
ان المجرمين اي الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المؤمنين
بالآيات في عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون هو الخبر وفي متعلقة به لا يفتر عنهم
اي لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف
وهم فيه اي في العذاب وقرئ فيها اي في النار مبلسون آيسون من النجاة
وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا يا مالك خازن النار
بذلك
وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه
ليقض علينا ربك اي ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك
ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمنٍّ للموت لفرط الشدة
قال انكم ماكثون اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بموت
ولا بغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة
وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب
توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال
ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق كارهون لا يقبلونه وينفرون منه
واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا
كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة
وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار
فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام
صورة فهي لانكار الواقع واستقباحه اي ابرموا مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم او فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة

وقرئ تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة انا انزلناه
اي الكتاب المبين الذي هو القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة
ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبرئيل
على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة
كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لان نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية
والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل
الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله عليه الصلوة والسلام
وقيل يزيد في ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استيناف
مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب
وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا انزلناه اعتراض وقيل جواب ثان بغير عطف
فيها يفرق كل امر حكيم استيناف كما قبله فان كونها مفرق الامور الحكيمة او الملتبسة
بالحكمة الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى
لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر
حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة
وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر
فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرئيل وكذا الزلازل والخسف و
الصواعق ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب
الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرّق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل
اي يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص

أي أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الإضافية
بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالاً من كل أو من أمر لتخصصه بالوصف أو من ضميره في
حكيم وقد جوز أن يراد به مقابل النهي ويجعل مصدراً مؤكداً ليفرق لاتحاد الأمر والفرق
في المعنى أو لفعل المضمر لما أن الفرق به أو حالاً من أحد ضميري أنزلناه أي آمرين أو مأموراً
إنا كنا مرسلين بدل من إنا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف
وقوله تعالى **رحمة من ربك** غاية للإرسال متأخرة عنه على أن المراد بها الرحمة الواصلة إلى العباد
وباعث متقدم عليه على أن المراد مبدؤها أي إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال
الرسل بالكتب إلى العباد لأجل إفاضة رحمتنا عليهم أو لاقتضاء رحمتنا السابقة إرسالهم
ووضع الرب موضع الضمير للإيذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها وإضافته
إلى ضميره عليه السلام لتشريفه أو تعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمراً على أن قوله تعالى رحمة مفعول للإرسال
كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له أي يفرق فيها كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن
عادتنا إرسال رحمتنا ولا ريب فإن كلاً من قسمة الأرزاق وغيرها والأوامر الصادرة عنه تعالى
من باب الرحمة فإن الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع أي تلك رحمة
وقوله تعالى **إنه هو السميع العليم** تحقيق لربوبيته تعالى وأنها لا تحق إلا لمن هذه نعوته
رب السموات والأرض وما بينهما بدل من ربك أو بيان أو نعت وقرئ بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف
على إضمار مبتدأ **إن كنتم موقنين** أي إن كنتم من أهل الإيقان في العلوم أو إن كنتم
موقنين في إقراركم بأنه تعالى رب السموات والأرض وما بينهما إذا سئلتم من خلقها
فقلتم الله علمتم أن الأمر كما قلنا أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك **لا إله إلا هو**
جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض **يحيي ويميت**
مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى **ربكم ورب آبائكم الأولين** بإضمار مبتدأ أو بدل من
رب السموات على قراءة الرفع أو بيان أو نعت له وقيل فاعل يميت وفي يحيي ضمير راجع
إلى رب السموات وقرئ بالجر بدلاً من رب السموات على قراءة الجر **بل هم في شك يلعبون** رد لما ذكر من
شؤونه تعالى غير موقنين في إقرارهم لا يقولون ما يقولون عن جد وإذعان
بل مخلوط بهزء ولعب والفاء في قوله تعالى **فارتقب** لترتيب الارتقاب أو الأمر به

والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى **وإني عذت بربي وربكم** أي التجأت إليه
وتوكلت عليه **أن ترجمون** من أن ترجموني أي تؤذوني ضرباً أو شتماً أو أن تقتلوني قيل لما
قال وأن لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بإدغام الذال في التاء **وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون**
أي وإن كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافاً لا علي ولا لي ولا
تتعرضوا إلي بشر وأذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم إلى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى
فاقطعوا أسباب الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن يأباه المقام
فدعا ربه بعد ما تموا على تكذيبه **أن هؤلاء** أي بأن هؤلاء **قوم مجرمون** وهو
تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي دعاء وقرئ بالكسر على
إضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم وقيل هو قوله تعالى
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين **فأسر بعبادي ليلاً** بإضمار القول إما بعد الفاء
أي فقال ربه أسر بعبادي وإما قبلها كأنه قيل قال إن كان الأمر كما تقول فأسر
بعبادي أي ببني إسرائيل فقد دبر الله تعالى أن تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى
إنكم متبعون أي يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم **واترك البحر رهواً** مفتوحاً
ذا فجوة واسعة أو ساكناً على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره
عن حاله ليدخله القبط **إنهم جند مغرقون** وقرئ أنهم بالفتح أي لأنهم
كثيراً تركوا بمصر **كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم** محافل مزينة ومنازل حسنة
أي تنعم **كانوا فيها فاكهين** متنعمين وقرئ فكهين **كذلك** الكاف في حيز النصب
وذلك إشارة إلى مصدر فعل يدل عليه تركوا أي مثل ذلك السلب سلبناهم إياها
وقيل مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع **وأورثناها قوماً آخرين**
على الخبرية أي الأمر كذلك فيكون أورثنا معطوفاً على تركوا وعلى الأول على
الفعل المقدر **فما بكت عليهم السماء والأرض** مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد
بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء
والأرض ومنه ما روي أن المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله
ومهابط رزقه وآثاره في الأرض وقيل تقديره أهل السماء والأرض **وما كانوا**
لما جاء وقت هلاكهم **منظرين** ممهلين إلى وقت آخر أو إلى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا

ولقد نجينا بني اسرائيل بما فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم من فرعون بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اي عذاب فرعون او حال من المهين اي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتمرده وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح عن كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا في الاسراف ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم اي عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون في بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جلية واختبار ظاهر لننظر كيف يعملون ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تمادي فرعون في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي تعقبها حيوة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حيوة القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه الصلوة والسلام والمؤمنين ان كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اي اهم خير في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند

اي اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة اي انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا به ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا ان الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها تمحل على تمحل وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله تعالى وفي خلقكم اي من نطفة

ثم من علقة متنقلة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة عطف على
المضاف دون المضاف اليه اى وفيما ينشره ويفرقه من دابة **آيات** بالرفع على
انه مبتدا وخبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرية بان
وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ آية بالتوحيد
وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم
وما يبث من دابة آيات **لقوم يوقنون** اى من شانهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه
بالجر على اضمار الجار المذكور في الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد
باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السماء عطف على اختلاف
اى من مطر وهو سبب الرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتي القدرة
والرحمة فاحيى به الارض بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات بعد موتها
وعرائها عن آثار الحيوة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح
من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتاخيره عن انزال المطر مع تقدمه
عليه في الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم
ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس
لمجرد كونه مبدأ الانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار
آيات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدا خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة
على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان والمجرور المقدم خبرها
بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر
في اختلاف والنصب في آيات وتنكير آيات في المواضع الثلثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف
الفواصل لاختلاف مراتب الآيات في الدقة والجلاء تلك آيات الله مبتدا وخبر وقوله تعالى
نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل او عطف بيان بالحق
حال من فاعل نتلوا ومن مفعوله اى نتلوها محقين او ملتبسة بالحق فباي حديث من الاحاديث
بعد الله وآياته اى بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه
او بعد حديث الله الذي هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل احسن الحديث
وهو المراد بآياته ايضا ومناط العطف التغاير العنواني يؤمنون بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء

في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم
الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم
الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير
للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها
فلا بد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى بالذات
وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ
ليجزى قوم اى ليجزى الجزاء قوما وقرئ لنجزى بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم
على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب اى التورية والحكم اى الحكمة
النظرية والعملية والفقه في الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم
والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله تعالى
من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم
من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي زمانهم وآتيناهم بينات من الامر
دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو العلم بمبعث النبي
صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره
اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب
زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اى عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك يقضي
بينهم يوم القيمة بالمواخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على
شريعة اى سنة وطريقة عظيمة الشان من الامر اى امر الدين فاتبعها باجراء احكامها في
نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اى آراء الجهلة
واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه السلام
ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين
بعضهم اولياء بعض لا يواليهم ولا يتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم والله ولي
المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية
هذا اى القرآن او اتباع الشريعة بصائر للناس فان ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع

بمنزلة البصائر في القلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون
من شأنهم الايقان بالامور ام حسب الذين اجترحوا السيئات استئناف مسوق لبيان
تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين حالي الظالمين والمتقين وام منقطعة
وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان
لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه
والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوي
الاحوال كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم
في الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من
الضمير في الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على ان السواء بمعنى المستوي و
محياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال
كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة
وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات واولئك في ذل الكفر والمعاصي
وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله تعالى والعذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد
انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق
والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج
وسواء حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الآية الكريمة وجوه اخر
من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على انه خبر
ومحياهم مبتدأ فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال واياما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم
في ضمن الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة في الانكار
والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه انكار لحسبان الافضلية والتوبيخ عليه
ابلغ وجه واكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله
السموات والارض استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما
بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار المظلوم
من الظالم وان لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت

فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين اي قوما عادتهم الاجرام واذا قيل
ان وعد الله اي ما وعده من الامور الآتية او وعده بذلك حق اي واقع لا محالة او مطابق
للواقع والساعة التي هي اشهر ما وعده لا ريب فيها اي في وقوعها وقرئ والساعة بالنصب
عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندري
ما الساعة اي اي شيء هي استغرابا لها ان نظن الا ظنا اي ما نفعل الا ظنا وقدر تحقيقه
في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي وقيل ما نعتقد الا ظنا اي لا علما وقيل ما نحن الا نظن
ظنا وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اي لامكانه فان
مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا
حياتنا الدنيا وبدا لهم اي ظهر لهم حينئذ سيئات ما عملوا على ما هي عليه من الصورة
المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها فان جزاء السيئة سيئة وحاق
بهم ما كانوا به يستهزئون من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم
في العذاب ترك المنسي كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم هذا اي كما تركتم عدته
ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم
من ناصرين اي ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بسبب انكم اتخذتم آيات
الله هزوا اي مهزوءا بها ولم ترفعوا لها رأسا وغرتكم الحياة الدنيا فحسبتم ان لا حياة سواها
فاليوم لا يخرجون منها اي من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان
باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار ولا هم يستعتبون
اي يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة رب السموات ورب
الارض رب العالمين فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان
بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء
في السموات والارض لظهور آثارها واحكامها فيهما واظهارهما في موقع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء وهو العزيز
الذي لا يغلب الحكيم في كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية
ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب. سورة الاحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي في مطلع السورة السابقة
ما خلقنا السموات والارض وما بينهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما
من المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم المفاعيل الا خلقا ملتبسا
بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من
مفعوله اي ما خلقناها في حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها بالحق
وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة
وانتهائها الى غاية جليلة ما لا يخفى واجل مسمى عطف على الحق بتقدير مضاف اي وبتقدير
اجل مسمى ينتهي اليه امور الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى
والذين كفروا عما انذروا معرضون فان ما انذروه يوم القيمة وما فيه من الطامة
التامة والاهوال العامة لا آخر اعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية
اي ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذي يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به
معرضون عنه وعن الاستعداد له قل ارايتم ما تدعون من دون الله توبيخا لهم وتبكيتا اخبروني ارايتم
ما تعبدون من الاصنام اروني ماذا خلقوا تاكيد لارايتم
من الارض بيان للابهام في ماذا ام لهم شرك اي شركة مع الله تعالى في السموات
اي في خلقها او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية
فان ما لا مدخل له في وجود شيء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك
الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ائتوني
بكتاب من قبل هذا تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلي
اي ائتوني بكتاب الهي كائن من قبل هذا الكتاب اي القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك

قل ما كنت بدعا من الرسل ... يوحى الي وما انا الا نذير مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارايتم ان كان اي ما يوحى الي
من القرآن من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال
باضمار قد من الضمير في الخبر وسطت بين اجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر
او عطف على كان كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه
في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه
عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما من عند الله تعالى
ام لا وكذا الحال في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان
الكل امور متحققة عندهم وانما ترددهم في ان تلك شهادة وايمان بما من عند الله تعالى ام لا
والمعنى اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان
من بني اسرائيل الواقفين على شؤون الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التوراة على مثله
اي مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد
وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين
وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تاديتها بعبارات اخر او على مثل ما
ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى فامن للدلالة
على انه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام
لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب
وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول
اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال
عليه الصلوة والسلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب
واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه
وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله
ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا
واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم
عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا

واتقصوه. قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص
ما سمعت رسول الله عليه الصلوة والسلام يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة
الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الاية وقيل الشاهد موسى عليه السلام
وشهادته ما في التورية من نعت النبي عليهما الصلوة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق
والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة
واجاب الكلبي بان الاية مدنية وان كانت السورة مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد
وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك
اعلم بني اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم
بقرينة قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد
وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا
ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية
لبعض آخر من اقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة
للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به عليه الصلوة والسلام من القرآن والدين خيرا ما
سبقونا اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء
وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية
وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الاخرة
بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله
بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار
وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان السورة مكية
لا بد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء ان الاية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف
دل عليه ما قبله وترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون
غير مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر
عنادهم وليس بذاك ومن قبله اي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى كتاب موسى
قيل والجملة حالية او مستأنفة واياما كان فهو رد لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا

قبل اسلامه يرده ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الاية
فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وكذبت الصديقة رضي الله عنها من قال
ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج
وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله اي يسالانه ان
يغيثه ويوفقه للايمان ويلك اي قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به
الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك آمن ان وعد الله حق اي البعث اضافه اليه تعالى
تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه في اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اي آمن بان وعد الله حق
فيقول ما هذا الذي تسميانه وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التي سطروها
في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة اولئك القائلون من هذه المقالات الباطلة الذين
حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس
وقد مر تفصيله في سورة الم السجدة انهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا
فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم
بطريق الاستيناف التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا
مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وايرادها
هنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اي اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون
بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الاخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية او استيناف
مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم
فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات
ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على السيف
اي قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اي
يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ اأذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام
التوبيخي اي اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان
وقد قرئ كذلك بما كنتم في الدنيا تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق
لذلك وبما كنتم تفسقون اي تخرجون من طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم

وتستعملكم المستدرين وقرئ تفسقون بكسر السين **واذكر** اي لكفار مكة **اخا عاد** اي هودا عم إذ أنذر قومه بدل الاشتمال منه اي وقت انذاره اياهم بالأحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة **وقد خلت النذر** اي الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اي من قبله ومن خلفه اي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه وبين قوله **ان لا تعبدوا الا الله** مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم في العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه عم انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من التكلف تقدير الاعلام لا بد في نسبة الخلو اليهم بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلة الخالي **قالوا أجئتنا لتأفكنا** اي لتصرفنا **عن آلهتنا** عن عبادتها **فأتنا بما تعدنا** من العذاب العظيم إن كنت من الصادقين في وعدك بنزوله بنا قال إنما العلم اي بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ذلك **عند الله** وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به في وقته المقدر له وأبلغكم ما أرسلت به من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ **ولكني أراكم قوما تجهلون** حيث تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته فلما رأوه والفاء فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا تمييزا او حالا او راجع الى ما استعجلوه بقولهم فأتنا بما تعدنا اي فأتاهم فلما رأوه سحابا يعرض في افق السماء **مستقبل اوديتهم** اي متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية ولذلك وقعا وصفين للنكرة في قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا اي قال هود عليه السلام وقد قرئ كذلك وقرئ قل هود عليهم اي ليس الامر كذلك بل هو **ما استعجلتم به** من العذاب **ريح** بدل من ما او خبر لمبتدأ محذوف **فيها عذاب أليم** صفة لريح وكذا قوله تعالى

وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن **فلما حضروه** اي القرآن عند تلاوته او الرسول عند تلاوته له على الالتفات والاول هو الاظهر **قالوا** اي قال بعضهم لبعض **انصتوا** اي اسكتوا لنسمعه **فلما قضي** اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه السلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عليه الصلوة والسلام **ولوا الى قومهم منذرين** مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلوة الفجر فاستمعوا القرآن وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلوته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال عليه الصلوة والسلام اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفرين ثيابا بيضا فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك **قالوا** اي عند رجوعهم الى قومهم يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام **مصدقا لما بين يديه** ارادوا به التوراة **يهدي الى الحق** من العقائد الصحيحة وإلى طريق مستقيم موصل اليه وهو الشرائع والاعمال الصالحة

ارادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى
بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما ودعوهم الى ذلك بعد بيان
حقيته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض
ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم
معد للكفرة واختلف في ان لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا
وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ايجاب للاجابة بطريق
الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غير
اكتفاء باحد الضميرين للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال
الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع الدائرة اي فليس بمعجز له تعالى
بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس له
من دونه اولياء بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه
وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الاحاد الى
الاحاد كما ان الجمع في قوله تعالى اولئك بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون
بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث
اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر
يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة
والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه
ولم يعي بخلقهن اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عييت
بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله تعالى بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ
عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتمال النفي الوارد في صدر الآية
على ان وما في حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه
بقوله تعالى بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان
على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله اليس
هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه
فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي

بسم الله الرحمن الرحيم

السببية المشعر بها في الموقعين كذلك يضرب الله اي مثل ذلك الضرب البديع
اي يبين للناس امثالهم اي احوال الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الامثال
وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الاخرين الحق وفوزهم وفلاحهم
والفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان
ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب
على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في
المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب
منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتاكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له
باشنع صوره وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق
فاسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ
بذلك فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون بعد ذلك منا او تفدون فداء والمعنى
التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي ره وعندنا منسوخ
قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم
من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب
اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند
وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رحمه الله لاحد الامور
الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين
حرب بان لا تبقى لهم شوكة وقيل الى ان ينزل عيسى عم واما عند ابي حنيفة ره
فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون
حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد
والمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى يضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين
شوكة وقيل اوزارها آثامها اي حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا
ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم اي الامر ذلك او افعلوا ذلك لانتقم منهم ببعض
اسباب الهلكة والاستئصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض فامركم بالقتال
وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم

ليبتليهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله
اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جاهدوا وقتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم
اي فلن يضيعها وقرئ تضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل
وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة
الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا
بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه
كانه كان ساكنه مذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه
فيعرفه كل شيء اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او
حددها لهم وافرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة استئناف
او حال باضمار قد او بدونه يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله اي دينه ورسوله
ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها او على
محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط
والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه
سماعا اي فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وقوله تعالى واضل اعمالهم عطف عليه
داخل معه في حيز الخبرية للموصول ذلك اي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال
بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر
الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط اعمالهم لاجل ذلك
التي لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها افلم يسيروا في الارض اي اقعدوا
في اماكنهم فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة
فان آثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استئناف مبني
على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم
ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه
ما يختص به وللكافرين اي لهؤلاء الكافرين السائرين سيرتهم امثالها
امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء امثال ما لاولئك واضعافه بل مثله
وانما جمع باعتبار مماثلة لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز

فورى عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين
المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل
من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة
فقطع امعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وامازت فروة رؤوسهم
فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون وافراد الضمير
باعتبار لفظة من كما ان جمعه فيما سيأتي باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا
خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رض ماذا قال آنفا اي ما الذي
قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم
انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشيء وائتنف وهو
ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الموصوفون
بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا واتبعوا اهواءهم
الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق الحق
زادهم هدى اي الله تعالى بالتوفيق والالهام وآتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم
جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اي القيمة وقوله تعالى ان تأتيهم بغتة
اي تباغتهم بغتة وهي المفاجأة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون
بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما
ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى
فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجأتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور الموجبة
للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها
رأسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لا محالة والاشراط
جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما
وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطائهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر
الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى
اي وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم

اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة
لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ
ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة
لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله
اى اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومدار الشقاوة هو الاشراك
والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك
وهو الذي ربما يصدر عنه عم من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل
كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشادا له عليه الصلوة والسلام
الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل وللمؤمنين والمؤمنات اى لذنوبهم بالدعاء لهم
والترغيب فيما يستدعى غفرانهم وفي اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف
متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم
في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم في الدنيا
فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثويكم في العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم
الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل
يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ويقول الذين آمنوا حرصا منهم على الجهاد
لولا نزلت سورة اى هلا نزلت سورة نؤمر فيها بالجهاد فاذا انزلت سورة محكمة
وذكر فيها القتال بطريق الامر به اى سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر
سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم ينسخ
وقرئ فاذا انزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى
ونصب القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض اى ضعف في الدين وقيل نفاق وهو
الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
اى تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت فاولى لهم
اى فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم
بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مشتق من الويل واصله اويل
فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طاعة وقول معروف كلام مستأنف

ولن يبرز ما في ضمائرهم والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اى بل احسب الذين في قلوبهم غل
وعداوة للمؤمنين ان لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم
وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو
نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات
الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم التي نسمهم بها وعن
انس رضي ما خفي على رسول الله صلى الله عم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم
ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة
واصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت
في المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة واما ما في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول
فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة تعريض
وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم
فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم
بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها
وقرئ ويبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا الناس
عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى بما شاهدوا نعته عم في التورية
وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر
لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم اى مكايدهم
التي نصبوها في ابطال دينه تعالى ومشاقة رسوله عم فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من
الغوائل ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن
والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في
اصحاب القليب فلا تهنوا اى لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اى ولا تدعوا الكفار

أي الصلح خورا فإن ذلك إعطاء الدنية وجوز أن يكون منصوبا بإضمار أن على
جواب النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد
وتراموه ومنه تراءوا الهلال فإن صيغة افتعل قد يراد بها صدور الفعل
عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على أحد الوجهين
وإنه لترتيب النهي على ما سبق من الأمر بالطاعة وقوله تعالى **وأنتم الأعلون** جملة حالية مقررة
لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى **والله معكم** فإن كونهم الأغلبين و
كونه عز وعلا ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا
توفيته تعالى لأجور الأعمال حسبما يوجبه قوله تعالى **ولن يتركم أعمالكم** أي ولن يضيعها
من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم فأفردته منه من الوتر
الذي هو الفرد وعبر عن ترك الإثابة في مقابلة الأعمال بالوتر الذي هو إضاعة شيء
معتد به من الأنفس والأموال مع أن الأعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة
إبرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الإثابة منزلة
إضاعة أعظم الحقوق وإتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم
إنما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد بها **وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم** أي ثواب
إيمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون **ولا يسألكم أموالكم**
بحيث يخل أداؤها بمعاشكم وإنما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها إلى فقرائكم
إن يسألكموها أي أموالكم **فيحفكم** أي يجهدكم بطلب الكل فإن الإحفاء والإلحاف المبالغة
وبلوغ الغاية يقال أحفى شاربه أي استأصله **تبخلوا** فلا تعطوا **ويخرج أضغانكم**
أي أحقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة أو للبخل لأنه سبب
الأضغان وقرئ تخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا إلى الأضغان **ها أنتم هؤلاء** أي أنتم
أيها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى **تدعون لتنفقوا في سبيل الله** استئناف
مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين أي ها أنتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم
وتحقير من شأنهم والإنفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما **فمنكم
من يبخل** أي ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة **ومن يبخل فإنما يبخل
عن نفسه** فإن كلا من نفع الإنفاق وضرر البخل عائد إليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه

سورة الفتح مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا فتحنا لك فتحا مبينا

أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيمانا إلى إيمانهم
ولله جنود السموات والأرض يدبر أمرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة
ويوقع بينهما السلم أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح **وكان الله عليما**
مبالغا في العلم بجميع الأمور **حكيما** في تقديره وتدبيره وقوله تعالى **ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود
السموات والأرض له تعالى من معنى التصرف والتدبير أي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين
ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة **ويكفر عنهم سيئاتهم** أي يغطيها ولا يظهرها
وتقديم الإدخال في الذكر على التكفير مع أن الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة إلى
بيان ما هو المطلب الأعلى **وكان ذلك** أي ما ذكر من الإدخال والتكفير **عند الله فوزا عظيما**
لا يقادر قدره لأنه منتهى ما يمتد إليه أعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال
من فوزا لأنه صفته في الأصل فلما قدم عليه صار حالا أي كائنا عند الله أي في علمه
وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله **ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات**
عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم
بالعذاب **الظانين بالله ظن السوء** أي ظن الأمر السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين
عليهم دائرة السوء أي يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة
السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه
ما يراد ذمه من كل شيء وأما المضموم فجار مجرى الشر **وغضب الله عليهم ولعنهم
وأعد لهم جهنم** عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في
الأخيرين مع أن حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للإيذان باستقلال كل منهما
في الوعيد وأصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض **وساءت مصيرا** أي جهنم
ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما إعادة لما سبق قالوا فائدتها
التنبيه على أن لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وأن المراد هاهنا جنود العذاب كما ينبئ عنه
التعرض لوصف العزة **إنا أرسلناك شاهدا** أي على أمتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم
شهيدا **ومبشرا** على الطاعة **ونذيرا** على المعصية **لتؤمنوا بالله ورسوله** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
ولأمته **وتعزروه** وتقووه بتقوية دينه ورسوله **وتوقروه** وتعظموه **وتسبحوه** وتنزهوه

او تصلوا له من التسبيح بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس رضي الله عنهما صلوة الفجر
وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه
بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرئ بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بزائين
وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك اي على قتال قريش تحت الشجرة
وقوله تعالى انما يبايعون الله خبر ان يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود
توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استيناف
مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول عليه السلام كعقده تعالى من غير تفاوت
بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون لله اي لاجله ولوجهه
فمن نكث فانما ينكث على نفسه اي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ
بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو وتوسل بذلك
الى تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها اي ومن وفى بعهده فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة
وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار
ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته
المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت
واحرم عليه السلام وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج
وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى
اليه عليه السلام بانهم سيعتلون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم
ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا
تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
بدل من سيقول او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند
اعتذارهم اليك باباطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى
وقضائه على شيء من النفع ان اراد بكم ضرا اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما
حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اي من يقدر
على شيء من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاي حاجة الى التخلف لاجل القيام

من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون
عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه الآية
سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي وصيغة المضارع
لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه عليه السلام
لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش
فرجع فبعث عثمان بن عفان فاخبرهم انه عليه السلام لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت
معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف
قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام
لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة
وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت دونه وان لا يفروا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة
وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على
يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى
بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له عليه السلام وقوله تعالى فانزل السكينة عليهم
عطف على رضي اي فانزل عليهم الطمأنينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم
واثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقيل بالصلح وقرئ
وآتاهم ومغانم كثيرة يأخذونها اي مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب لتشريفهم في
مقام الامتنان وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه
وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيمة تأخذونها في اوقاتها
المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه اي غنائم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر
وحلفائهم من بني اسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب
فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون آية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول
في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام
واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر اي ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف
او بما يتعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اي فعجل لكم هذه او كف ايدي الناس لتغتنموها

وسكون الى قالوا فهي على الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم بتلك الآية
صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون
عطف على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى وهي مغانم هوازن
في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة
ترغيبهم فيها وقوله تعالى قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة
الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله عليها واستولى و
اظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره
قد احاط الله بها اي وقضى الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله تعالى اياها بعد
اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه
فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته تعالى ذاتية
لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر
لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت
من قبل اي سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد لسنة الله
تبديلا اي تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اي في
داخلها ايدي كفار مكة وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد
وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله
بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء
بصيرا فيجازيكم بذلك او يجازيهم هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي بالنصب عطفا على
الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف اي ونحر الهدي
وبالرفع على وصد الهدي وقوله تعالى معكوفا حال من الهدي اي محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ
محله بدل اشتمال من الهدي او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا من ان يبلغ
مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض
الحديبية من الحرم وروي ان خيامه عليه السلام كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك
نحرت هداياه عليه السلام والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى ولولا رجال

واظهار بطلان ما كان باطلا او تسليط المسلمين على اهل سائر الاديان اذ ما من اهل دين
الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه
تعالى سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة
وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات
محمد رسول الله خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى رسول الله بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول
المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبينة
للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدأ خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد
ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في
الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء
رحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى
تراهم ركعا سجدا اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات
وهو على الاول خبر آخر او استئناف وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا
ورضا اما خبر آخر او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او استئناف مبني
على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك
فقيل يبتغون فضلا من الله سيماهم اي سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم
والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره في وجوههم
او في جباههم وقوله تعالى من اثر السجود حال من المستكن في الجار اي من التأثير الذي
تؤثره كثرة السجود وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عليه السلام لا تعلبوا صوركم اي
لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته الى الارض لتحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء
ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل
وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهما
يقال لهما ذو الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما في مواقعه منهما اشباه ثفنات
البعير قال قائلهم ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات وقيل
صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم

من طول ما صلوا بالليل قال عم من كثرت صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من
من اثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى مثلهم اى وصفهم العجيب الشان الجاري في الغرابة مجرى الامثال قوله تعالى في التورية
حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم الاول
كانه قيل ذلك مثلهم في التورية والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى كزرع
الخ تمثيل مستانف اى هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة
وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التورية وقرئ
شطأه بفتحات وقرئ شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة
ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار
وهي الاعانة وقرئ فأزره بالتخفيف وأزّره بالتشديد اى شدّ ازره وقواه فاستغلظ فصار
غليظا بعد ما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة
يعجب الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل للصحابة رضي الله عنهم
قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب
في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار
علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لما بعده من قوله تعالى وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في
الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن النبي عم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد رسول الله

سورة الحجرات ثمانية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير
يستدعي مزيد اعتنائهم بشانه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم
والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع من الاخلال به لا تقدموا اى لا تفعلوا التقديم

وبعض من وراء بعض فان مفاد من الابتداء وقد جوز ان يكون ثوا ابتداء النداء
من وراء الحجرة التي كانت عم فيها وكلمتها جمعت اجلاله عم وقيل ان الذي ناداه
عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند
النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون
اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج
اليهم اي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على
المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني
انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عم فانها مختصة بما هو غاية للشيء
في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى
فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم
لكان اى الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول
الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى
بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما
فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
اى فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه
مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه
فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم عم بقتالهم فنزلت وقيل بعث
اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع
وفي ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد
وقرئ فتثبتوا اى توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذارا ان تصيبوا قوما
بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم في حقهم
نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلثة يدور مع الدوام
واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من
قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى

ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة لما وبيخكم
تريدون ان يتبع عم رايكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد
والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق
تصديقا لقول الوليد وانه عم لم يطع رايهم واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على
ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عم لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار
الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلاف امر الايالة وانقلاب الرئيس مروسا
لان الطاعة في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان
امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عم لهم في ذلك فان المضارع المنفي قد يدل
على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظاير قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار
الذي يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية
المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به
بيانا لما فيه الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر
تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد
باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التي يفصح عنها قوله تعالى
في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء
كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في
كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت
الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر في وقت من الاوقات وقع العنت قطعا وان اريد به استمرار الطاعة
الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت
ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار امتناع
تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر
امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما والسلم ان الاحق
بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق للقياس المستمر لاعتبار الامتناع
واردا على الاستمرار حسب وروده كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع المفيدة للثاني على ان
اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر اجراء

ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض
النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام
الكثير لايجاب الاحتياط والتامل في كل ظن ظن حتى يعلم انه من اي قبيل فان من الظن
ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن
في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في
الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او للموجب بطريق الاستئناف
التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته من قلبه من الواو كانه يثم الاعمال
اي يكسرها ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس الذي فيه
من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى
وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال
للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات
المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي
لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عم عن الغيبة فقال ان تذكر
اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر
عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه
طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري واسناد الفعل
الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل
الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا للاكل وميتا واخراج تماثلهما مخرج امر بين
غني عن الاخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ
والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث
كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اي جبلتم على كراهته واتقوا الله في
ترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في
قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب
دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه عليه السلام
فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار
ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما
فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى من ادم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل
سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز ان يكون تاكيد النهي السابق
بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم
المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون
والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة
وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل
بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب ولا يعتزي احد الى غير ابائه
لا لتفاخروا بالاباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ
لتعارفوا على الادغام ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم
تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف التحقيقي
كانه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بان المفتوحة
على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم
لا انسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام
نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس
فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله و
فاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم
الاخرة التقوى ان الله عليم خبير بكم وباعمالكم قالت الاعراب
آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدب فاظهروا الشهادتين
وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك
كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه السلام ما فعلوا قل لم تؤمنوا
اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل لكم ذلك

من البعث للدلالة على استقصارهم لقدرته سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته
تعالى على ما هو اشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة او الشنيع من الاول
واعرق في كونه منكرا ءاذا متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل في اذا
مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اي احين نموت ونصير
ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبينه ح وقرئ
اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار ذلك اشارة الى محل النزاع
رجع بعيد اي عن الاوهام او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع
الذي هو الجواب فناصب الظرف ح ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا
ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى
انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم كيف
يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب
وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ
حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه بكليات
الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء او تاكيد لعلمه تعالى
بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب وانتقال من بيان شناعتهم
السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة
من غير تامل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت لما جاءهم
اي وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن او الاخبار بالبعث فهم في امر مريج اي مضطرب
لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر
واخرى كاهن افلم ينظروا اي اغفلوا او عموا فلم ينظروا الى السماء فوقهم حيث
يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اي رفعناها بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب
المرتبة على نظام بديع وما لها من فروج من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب
وخلل ولعل تاخير هذا لمراعاة الفواصل والارض مددناها اي بسطناها والقينا فيها
رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اي ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان
بان الفناء ما لارسال الارض بها وانبتنا فيها من كل زوج صنف بهيج

حسن تبصرة وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستيناف اى فعلنا ما فعلنا تبصيراً وتذكيراً لكل عبد منيب اى راجع الى ربه متفكر فى بدايع صنايعه وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اى كثير المنافع شروع فى بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده فانبتنا به اى بذلك الماء جنات كثيرة اى اشجاراً ذوات ثمار وحب الحصيد اى حب الزرع الذى شأنه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات والنخل عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات اى طوالاً او حوامل من اسبقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد اى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضميرها فى باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى رزقاً للعباد اى لنرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفى تعليله بذلك بعد تعليل انبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقاً مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتاً ارضاً جدبة لا نماء فيها اصلاً بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتاً لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شئ مخالف لها وفى التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الخ استيناف

بصيغة الماضى لانها لتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما فى قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذى نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او اما للملابسة كالتى فى قوله تعالى تنبت بالدهن اى ملتبسة بالحق اى بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التى كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اى الموت ما كنت منه تحيد اى تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعاً ونفخ فى الصور هى النفخة الثانية ذلك اى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد اى يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا للتهويل ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملاً اى معها ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وقوله تعالى لقد كنت فى غفلة من هذا محكى باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استيناف مبنى على سوال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت فى غفلة الخ والخطاب للكل بذلك لانه ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بالكسر اعتباراً لتانيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة باعتبار الشخص كما فى قول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور

فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب المغطي لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك
في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع
للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلثة وقال قرينه اي الشيطان المقيض
له هذا ما لدي عتيد اي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها
باغوائي واضلالي وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله
هذا مكتوب عندي عتيد حاضر وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان
جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف ألقيا في جهنم
كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار
او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان
فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او على ان
الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ ألقين
بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة
وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه
معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر
مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار وقوله
فالقياه تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له
وانما استؤنفت استيناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لانه جواب لمحذوف
دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته فانه منبئ عن سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال
هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف
على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه
ولكن كان هو بالذات في ضلال بعيد من الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير
قسر والجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
الاستيناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل
قال تعالى لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت
اليكم بالوعيد على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا

اي قوة كعاد واضرابها فنقبوا في البلاد اي فخرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في اقطارها وجالوا
في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث
والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقيل هي عاطفة على المعنى
كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا وقرئ بالتخفيف هل من محيص اي هل لهم من مخلص من امر الله
والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو فنقبوا اي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص او على
اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول وهو كلام مستأنف وارد لنفي
ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا في مسائرهم واسفارهم في بلاد
القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر
وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت
اقدامهم او اخفاف ابلهم ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة لذكرى
لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها
كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار
من غير تذكير او القى السمع اي الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف
على جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع
لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر
ذهنه فكانه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه عنها كمن لا قلب له
اصلا ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات في ستة ايام وما مسنا بذلك
مع كونه مما لا يفي به القوى والقدر من لغوب من اعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد
لجهلة اليهود في زعمهم انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت
واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون اي ما يقوله المشركون
في شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل
بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح
بحمد ربك اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها الاخبار
بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها

ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالمراد بما قبل الطلوع
صلوة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما جاء من الليل العشاءان والتهجد
وما يصلي بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع اي لما يوحى اليك من احوال القيامة
وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم يناد المناد اي اسرافيل او جبريل عليهما السلام فيقول
ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن
لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من مكان قريب بحيث يصل
نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم
وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البدء
يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي وهي النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة
والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج اي يوم يسمعون الصيحة
ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير ان
يشركنا في ذلك احد والينا المصير للجزاء في الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا
يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التائين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين
وتشقق على بناء المفعول من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع
وسوق علينا يسير اي هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسير به تعالى نحن اعلم بما يقولون
من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار
بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم ويستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء
فالحاملات وقرا اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا

في الاسحار كانهم اسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير
اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له
واطنابهم فيه وفي اموالهم حق اي نصيب واجب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله
واشفاقا على الناس للسائل والمحروم المستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا
فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اي دلائل واضحة على شانه تعالى على
التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج
للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع
متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بالوان النبات
وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب
منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم
وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له
نظير يدل دلالته على ما انفردت به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات
العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات
المتنوعة افلا تبصرون اي الا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة وفي السماء رزقكم
اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه
سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة
او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره فورب السماء والارض انه لحق
على ان الضمير لما وعلى الاول فالضمير لما ذكر من امر
الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة مثل ما انكم تنطقون اي كما انه
لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحال من
المستكن في لحق او على انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم
وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء
وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع
هل اتاك حديث ضيف ابراهيم تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة

كالنور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلثة
جبريل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة
الضيف حيث اضافهم ابرهيم عم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك المكرمين اي
المكرمين عند الله تعالى او عند ابرهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه
ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابرهيم
فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال ابرهيم سلام اي عليكم سلام عدل به
الى الرفع للابتداء لقصد الثبات والدوام حتى تكون تحيته عم احسن من تحيتهم
وقرئ مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عليهم السلام
للسلام الذي هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان اوضاعهم واشكالهم
خلاف ما عليه الناس والقرعم انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لا انه خاطبهم
جهرا او سالهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد عم
لمقدمات الضيافة فراغ الى اهله اي ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب
المضيف ان يبادره بالقرى ويبادر به حذرا من ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا والفاء
في قوله تعالى فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا
بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فذبح عجلا فحنذه
فجاء به فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد قال الا تأكلون انكار لعدم تعرضهم
للاكل فاوجس منهم خيفة اضمر في نفسه لتوهم انهم جاؤا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة
جاؤا للعذاب قالوا لا تخف قيل مسح جبريل عم العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه
فعرفهم وامن منهم وبشروه وفي سورة الصافات وبشرناه اي في صيحة من الصرير
ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان جعل اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني
فصكت وجهها اي لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت
باطراف اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد
قالوا كذلك مثل ذلك القول الكريم قال ربك وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى
لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة
روي ان جبريل عم قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة

تعليل للامر بالفرار اليه تعالى او لوجوب الامتثال به فان كونه عليه السلام منذرا منه
تعالى موجب عم ان يأمرهم بالفرار اليه وعليهم ان يمتثلوا به اي اني لكم من جهته تعالى منذر
بين كونه منذرا منه تعالى او مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفي امره تعالى
للرسول صلى الله عليه وسلم بان يأمرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بانه عليه السلام
ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب
وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر
بالفرار من نفسه كما يشير به قوله تعالى اني لكم منه اي من الجعل المنهي عنه نذير مبين
فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الفرار [illegible]
واقره غيره كانه قيل وفروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها آخر وفيه تأكيد
لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهي عن سبب ايجاب
الفرار منه كذلك اي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا
وقوله تعالى ما اتى الذين من قبلهم الخ تفسير له اي ما اتاهم من رسل الله تعالى الا قالوا في حقه
ساحر او مجنون والاستثناء انتصاب الكاف بأتى لامتناع عمل ما بعد ما النافية
فيما قبلها اتواصوا به انكار وتعجب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد
تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى
اتفقوا عليه وقوله تعالى بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر
تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه من الطغيان الشامل للكل
الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة
لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم فتول عنهم
فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء فما انت بملوم على التولي بعد
ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود وذكر اي افعل التذكير والموعظة
ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر فان الذكرى تنفع المؤمنين
اي الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون استئناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون
خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه السلام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ

ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى
خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع
كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو
غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه
تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث
على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه
واما بمعنى نهاية كمالية يفضي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من افعاله تعالى بل كلها جارية
على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى
التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام
واما ارادته تعالى الفعل فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة
عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد
المبادي وتآخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه
اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتي كما في قوله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن
والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم
فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف
ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه
على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون بيان لكون شانه تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون شان
السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم اي
ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم
من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر
الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت
للرزاق او لذو او خبر بعد خبر او خبر لمضمر وقرئ بالجر على انه وصف القوة على تأويل الاقتدار

وزوجناهم بحور عين وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته
بتأويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين
لما فيه من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن
فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى والذين آمنوا الخ كلام مستانف
مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل فهم الذين شاركتهم
ذريتهم في الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم عطف على آمنوا
وقيل اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر
عن رتبة ايمان الاباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان الكامل
اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ
واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرئ اتبعتهم الحقنا بهم ذريتهم
اي في الدرجة كما روي انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه
لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وما ألتناهم اي ما نقصنا الآباء بهذا الالحاق من عملهم من ثواب
عملهم من شيء بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنتقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم
اليهم منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ ألتناهم بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم
والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت
ووتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور
والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور
واخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى
بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم
ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم
او بسبب ايمان داني المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء
الحقناهم بهم كل امرئ بما كسب رهين قيل هو فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون
عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ
بما كسب راهن اي دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين
المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الاباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها

وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وزدناهم على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتاً فوقتاً ما يشتهون من فنون النعماء والوان الآلاء يتنازعون فيها كأساً اي يتعاطون هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع اي خمراً تسمية لها باسم محلها لا لغو فيها اي في شربها حيث لا يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تأثيم ولا يفعلون ما يوثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلاً ومسؤولاً لا انه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً قالوا اي المسؤولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة انا كنا قبل اي في الدنيا في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه اي نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله اني يؤفكون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اي بل يقولون ننتظر به نوائب الدهر

اي بقتله وهو القحط الذي اصابهم سبع سنين او وراء ذلك كما في قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عناداً او لا يعلمون شيئاً اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم فانك باعيننا اي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح بحمد ربك اي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبساً بحمده على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من اي مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضه معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اي وقت ادبارها من آخر الليل اي غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر وقرئ وادبار النجوم بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت عن النبي عم من قرأ سورة الطور كان حقاً على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وهي اثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هوياً بوزن قبول اذا غرب وهوياً بوزن دخول اذا علا وصعد واما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيك اذا احمر البسر وفي الاقسام بذلك على نزاهته عليه السلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة

وحسن الموقع بالغاية وراءه اما على الاولين فلان النجم شأنه ان يهتدي به
الساري الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة الى سواء السبيل
ما ضل صاحبكم اي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة وما غوى اي وما
اعتقد باطلا قط اي هو غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية
في شيء اصلا واما على الثالث فلانه تنويه بشأن القرآن كما اشير اليه في مطلع
سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه السلام ومدار
رشاده كأنه قيل والقرآن الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق
ما ضل عنها محمد عليه الصلوة والسلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده
بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة واحاطتهم
خبرا ببراءته عم مما نفي عنه بالكلية وباتصافه عم بغاية الهدى والرشاد
فان طول صحبتهم له عليه السلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك
حتما وتقييد القسم بوقت الهوي على الوجه الاخير ظ واما على الاولين فلان النجم
لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب
ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال
المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام
هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره يوم القيمة او على
انقضاض النجم الذي يرجم به وحمل النجم على النبات او حمل هويه على سقوطه على
الارض او ظهوره منها فمما لا يناسب المقام وما ينطق عن الهوى اي وما يصدر نطقه
بالقرآن عن الهوى ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار
النطق عنه كما مر مرارا ان هو اي ما الذي ينطق به من القرآن الا وحي من الله تعالى
وقوله تعالى يوحى صفة مؤكدة لوحي دافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي
علمه شديد القوى اي ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في
ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود
الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة

يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى
وعنده عم يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اي ما مال بصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة
مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر
برؤيتها ومكن منها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد
رأى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فأري من عجائب
الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات
والمفعول محذوف اي شيئا عظيما من آيات ربه وان يكون من مزيدة افرأيتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات
كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون
عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت
السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الاعز
كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن
الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول
فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن
تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك
كانت تمنى عندها اي تراق وقرئ ومناءة وهي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها
الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان تكون الاولية
والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة
وتلك الاصنام بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرأيتم الخ
والهمزة للانكار والفاء لتوجيه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى
المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى
اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته
واحكام قدرته ونفاذ امره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام
مع غاية حقارتها وقماءتها بنات الله تعالى وقيل المعنى افرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها

دونها شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخرو الى عن الحكم بل ما هي شي
من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السابقة وقيل المعنى
أظننتم ان هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم في الآخرة
وقيل أرأيتم الى هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول الحق
كما يشهد به قوله تعالى **ألكم الذكر وله الأنثى** شهادة بينة فانه توبيخ مبني
على التوبيخ الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم على جانبه تعالى بنسبتهم
الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة
حتى يتسنى بناء التوبيخ الثاني عليه وظاهر ان ليس في شيء من التقديرات المذكورة
من تلك النسبة عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها
عن العائد الى المفعول الاول لان الاصل اخبروني ان اللات والعزى ومناة ألكم الذكر
وله هن اي تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ
فمع ما فيه من التمحلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها يقتضي اقتصار
التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على
نسبة الولد اليه سبحانه **تلك** اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية **اذا قسمة**
ضيزى اي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو
الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت في
الوصف وقرئ ضئزى بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به
وقرئ ضيزى بالفتح على انه مصدر وصف به كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى
ان هي الضمير للاصنام اي ما الاصنام باعتبار الالوهية التي يدعونها **الا اسماء** محضة
ليس تحتها مما تنبئ هي عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله تعالى **سميتموها**
صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء
فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعله اسما
للمسمى وان قيست الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير ههنا المعنى الاول
من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة اسماء مجردة ليس لها
مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الآية

بحيث لا يرعوي عن الضلال ابدا ومن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك
في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وهو تعليل الامر بالاعراض وعدم الاعتناء بامرهم
باختصاص العلم باحوال الفريقين به تعالى رمز الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا
منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتي صريحا **ولله ما في السموات وما في الارض**
اي خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى
ليجزي متعلق بما دل عليه اعلم الى آخره وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له
تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم الا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى
ويحفظهما ليجزي **الذين اساءوا بما عملوا** اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه
بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا **ويجزي الذين احسنوا** اي اهتدوا **بالحسنى** اي
بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى
ولله ما في السموات وما في الارض كانه قيل خلق ما فيهما ليجزي الخ وقيل متعلق بضل واهتدى
على ان اللام للعاقبة اي هو اعلم بمن ضل ليؤول امره الى ان يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى
ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء
بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين **الذين يجتنبون كبائر الاثم** بدل من الموصول الثاني
وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان او نعت
او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد
بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك **والفواحش** وما فحش من الكبائر
خصوصا **الا اللمم** اي الا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هي النظرة
والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا
ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع **ان ربك واسع المغفرة**
حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان
اخراجه عن حكم المؤاخذة ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية
وقيل المعنى له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها
ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة
من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى **هو اعلم بكم** اي باحوالكم يعلمها

ذاتا لكم في ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام من الارض اى اجالنا
حسبما تحققه مرارا واذ انتم اجنة وقت كونكم اجنة في بطون امهاتكم على
اطوار مختلفة مترتبة لايخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم الذي
لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استيناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى
فلا تزكوا انفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة
باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اى اذا
كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من زكاء
العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصي جميعا
وهو استيناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة
ثم يقولون صلوتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الرياء
فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به
التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرايت الذي تولى اى
عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا اى شيئا قليلا او اعطاء قليلا واكدى اى قطع العطاء
من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا انزلت في الوليد
بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال لم تركت دين الاشياخ
وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد
واعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي لما انه كان يوافق
النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل في ابي جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم
في بعض الامور وكان يقول والله ما يأمر محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله تعالى واعطى قليلا
واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى الاخر
اى اعنده علم بالامور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيمة ام لم ينبأ بما في صحف
موسى وابراهيم الذي وفى اى وفر واتم ما ابتلى به من الكلمات او امر به او بالغ
في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى
انه اتاه جبريل عليه السلام حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد
ويروى انه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم

الا الله تعالى لكنه لا يكشفها وليس لها الان نفس كاشفة بتأخيرها الا الله تعالى فانه المؤخر لها
او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله تعالى كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من غير الله تعالى
كشف على ان كاشفة مصدر كالعاقبة افمن هذا الحديث اى القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء
مع كونه ابعد شيء من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فرطتم في شأنه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق
بالامم المذكورة وانتم سامدون اى لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع رأسه او
مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون
جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد
بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا
والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفي والانكار وارد على
نفي البكاء والسمود معا وعلى الوجه الاول قيد للنفي والانكار متوجه الى نفي البكاء ووجود السمود
والاول اوفى بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الامر او موجبه
على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال
الخضوع والخشوع اى واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي انزله واعبدوه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
آية فانشق القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة
بقيت وقال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء
عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيمة ويرده قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ
وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى
الاستمرار الاطراد والاستحكام اى وان يروا آية من آيات الله تعالى يعرضوا عن التأمل فيها

ليتعرفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مستمر مطرد دائم يأتي به محمد عليه السلام
على مر الزمان لا يكاد يختلف بخلاف سائر انواع السحر او قوي مستحكم لا يمكن ازالته
وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم
في العناد والمكابرة ويؤيده ما سيأتي قراءة وقرئ وان يُروا على البناء للمفعول
من الاراءة وكذبوا اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما اظهره الله تعالى
على يده من المعجزات واتبعوا اهواءهم التي زينها الشيطان لهم او وكذبوا الآية التي
هي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله تعالى وكل امر مستقر استيناف
مسوق لاقناطهم عما علقوا به امانيهم الفارغة من عدم استقرار امره عليه السلام حسبما قالوا
سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اي وكل امر من الامور مستقر اي منته الى غاية
يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيته
وعلو شأنه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به
وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره عليه السلام مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان
او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على انه مصدر
او اسم مكان او اسم زمان اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او ذو زمان
استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اي اقتربت الساعة وكل
امر مستقر ولقد جاءهم اي في القرآن قوله تعالى من الانباء اي انباء القرون الخالية او انباء الآخرة
متعلق بمحذوف وهو حال مما بعده اي وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء ما فيه مزدجر
اي ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه
في نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب
وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف
وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او موصوفة تخصصت بصفتها فما تغن
النذر نفي للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة
البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد

التهويل وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل
سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاري لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
استيناف ببيان ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت
في يوم نحس مستمر اي شؤمه او مستمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم
او مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب
والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كأنهم اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن
مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤسهم
فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تأنيثها في
قوله تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب
من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني
لما يحيق بهم في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي بالانذارات
والمواعظ التي سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب
للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع فقالوا ابشرا منا اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل
يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع له او واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وهو
صفة اخرى لبشرا وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما
يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء و
نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذا اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة
جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان
يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه
لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول االقي الذكر اي الكتاب والوحي
عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي ليس الامر كذلك
بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب
الاشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب
مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون البتة

عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع اصالح هو ام من كذبه
وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ
الاشر كقولهم حذر في حذر وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير
وقيل المراد بالغد يوم القيمة ويأباه قوله تعالى انا مرسلوا الناقة فانه استيناف سوق
لبيان مبادي الموعود حتما اي مخرجوها من الهضبة حسبما سالوا فتنة لهم اي امتحانا
فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم
مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه
في نوبته فنادوا صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على
تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها
او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر
الكلام فيه كالذي في صدر قصة عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل عليه السلام
فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر اي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة
لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء
اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط
بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر
في سحر وهي اخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا
اي انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالايمان
والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اي اخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين
ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي
انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب
حتى اخرجهم لوط فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر
الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة
غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار
وفي وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي
ونذر حكاية لما قيل لهم من جهته تعالى تشديدا للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

ما من رصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو منشؤه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق
الهمم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار الرحمة
الواسعة واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم قيل
خلق الانسان علمه البيان تعيينا للمتعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه
على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد
بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي
يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلث اخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف
لورودها على منهاج التعديد الشمس والقمر بحسبان اي تجريان بحساب مقدر في بروجهما و
منازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات
ويعلم السنون والحساب والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له
والشجر الذي له ساق يسجدان اي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد
من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال
قوة الارتباط المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى
ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كانه قيل الشمس والقمر يسجدان له واخلاء
الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما
من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال
العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله عز وجل والسماء رفعها اي خلقها
مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ احكامه وقضاياه ومتنزل اوامره ومحل ملائكته
وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء
ووضع الميزان اي شرع العدل وامر به بان وفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه
حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض وقيل فعل ذلك
ميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان
وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة
والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم
وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا في الميزان اي لئلا تطغوا فيه

على أن أن ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان
أو أي لا تطغوا على أنها مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية أي لا تعتدوا
ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول وأقيموا الوزن بالقسط
قوموا وزنكم بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط
بالقلب ولا تخسروا الميزان أي لا تنقصوه أمر أولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء
وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية
وتأكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها
خسر الميزان يخسره وبفتح السين أيضا على أن الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل
الفعل والأرض وضعها أي خفضها مدحوة على الماء للأنام أي خفضها مدحوة على الماء للأنام أي الخلق
قيل الانام كل ذي روح وقيل كل ما على ظهر الأرض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى
فيها فاكهة الخ استيناف مسوق لتقرير ما أفادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعة
لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن
أن يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية أي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به
والنخل ذات الاكمام هي أوعية الثمر جمع كم أو كل ما يكم أي يغطي من ليف وسعف وكفرى فانه
مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه والحب هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير
ذو العصف هو ورق الزرع وقيل التبن والريحان قيل هو الرزق أريد به اللب أي فيها ما يتلذذ به
من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له
عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب ذا العصف
والريحان أي وخلق الحب والريحان أو أخص ويجوز أن يكون أراد وذا الريحان فحذف المضاف
وأقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم
ثم خفف أو فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف أو للفرق بينه وبين الروحان وهو ماله روح
قال القرطبي فبأي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله
للانام وسينطق به قوله تعالى أيه الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل
من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ

شئونه المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج
كربا ويرفع قوما ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي
يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه
سنفرغ لكم أي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء شئون الخلق
المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى حينئذ الا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه
بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سأفرغ لك
أي سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه
وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم أي سنقصد اليكم أيها
الثقلان هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الأرض أو لرزانة آرائهما أو لأنهما مثقلان
بالتكليف فبأي آلاء ربكما التي من جملتها التنبيه على ما ستلقونه يوم القيمة للتحذير عما
يؤدي الى سوء الحساب تكذبان بأقوالكما وأعمالكما يا معشر الجن والانس هما الثقلان خوطبا
باسم جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشاقة
فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تفي بما كلفوه ان استطعتم أي ان قدرتم على
أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض أي أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن
أقطار سمواتي وأرضي فانفذوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابي لا تنفذون لا تقدرون على
النفوذ الا بسلطان أي بقوة وقهر وأنتم من ذلك بمعزل بعيد روي أن الملائكة
تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة
أحاطت به فبأي آلاء ربكما تكذبان أي من التنبيه والتحذير والمساهلة
والعفو مع كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل
المختلط بالدخان وقيل اللهب الأحمر وقيل اللهب الأخضر المنقطع من النار وقيل هو
الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ بكسر الشين من نار
متعلق بيرسل أو بمضمر هو صفة لشواظ أي كائن من نار والتنوين للتفخيم ونحاس أي
دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر
عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ ونحس جمع
أي تعذبان بالعذاب فلا تنتصران أي لا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان

فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي لطف اي نعمة فاذا انشقت
السماء اي انصدعت يوم القيامة فكانت وردة كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع
على ان كان تامة اي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال
ولان بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان خبر ثان لكانت
او نعت لوردة او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او
اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف
اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال فباي آلاء ربكما تكذبان
مع عظم شانها فيومئذ اي يوم تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف
ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه
ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان
المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسأل عن ذنبه انسي ولا جني فباي آلاء ربكما تكذبان
مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي اليه واما ما قيل مما
انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى
يعرف المجرمون بسيماهم استيناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه
وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام والجار والمجرور
هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان الماخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى
خذوه فغلوه ونحوه واخذ به اذا كان الماخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالاخذ
ومنه قوله تعالى لا تاخذ بلحيتي ولا براسي وقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك
اي يجمع بين نواصيهم واقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة
تارة تاخذ بالنواصي وتارة بالاقدام فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على ارادة القول اي يقال لهم ذلك بطريق
التوبيخ على ان الجملة اما استيناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية الاخذ بالنواصي
والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال لهم الخ او حال من اصحاب النواصي
والاقدام لان الالف واللام عوض من المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها

من الثواب فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان
مبتدا وخبر اي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان
اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
مدهامتان صفة لجنتان وتوسيط الاعتراض بينهما لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل
من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ اي خضراوان تضربان الى السواد
من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين
المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه فباي آلاء ربكما
تكذبان فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء والنضخ اكثر
من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان
عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما فان
ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة رحمه الله
من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فباي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى فيهن خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير
كالذي مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لان خير الذي بمعنى اخير لا يجمع
وقد قرئ على الاصل حسان اي حسان الخلق والخلق فباي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى حور بدل من الخيرات مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة
قصيرة وقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان الخيمة
من خيامهن درة مجوفة فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان كالذي مر من نظيره في جميع الوجوه فباي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى متكئين نصب على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس
او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب وقيل
هو ضرب من البسط او البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب
عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف
السحاب هيدبه وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم
بلد للجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى

من الاول وما بعده خبره او الثاني والجملة خبر للاول وقوله تعالى **في جنات النعيم** متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى **ثلة من الاولين** خبر مبتدا محذوف اي هم ثلة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام **وقليل من الآخرين** اي من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه السلام ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة لا تمنع اكثرية تابعي هؤلاء من تابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين في انفسهما لا تنافي اكثرية احدهما من الآخر وسيأتي ان الثلتين من هذه الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والآخرين هنا ايضا متقدموا هذه الامة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر **على سرر موضونة** حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو النسج **متكئين عليها متقابلين** حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب **يطوف عليهم** حال اخرى او استئناف **ولدان مخلدون** اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي ذلك عن علي رضي الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة **باكواب** آنية لا عرى لها ولا خراطيم **وأباريق** اي آنية ذات عرى وخراطيم **وكأس من معين** اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكأس لانها لا تسمى كأسا الا اذا كانت مملوة **لا يصدعون عنها** اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون اي لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم بعضا **ولا ينزفون** اي لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه **وفاكهة مما يتخيرون**

كما في رفرف على احد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد **فبأي آلاء ربكما تكذبان** وقوله تعالى **تبارك اسم ربك** تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من الآلاء الفائضة على الانام اي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الامور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال الاسم بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما **ذي الجلال والاكرام** وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اي اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق وقوعها لا محالة كأنها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كأنه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كأنه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال ما لا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى **ليس لوقعتها كاذبة** اي لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى او تكذب في نفيها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعاقبة اي ليس لاجل وقعتها وفي حقها كذب اصلا بل كل ما ورد في شأنها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى **خافضة رافعة** خبر مبتدا محذوف اي هي خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء

أي يختارونه ويأخذون خيره وأفضله **ولحم طير مما يشتهون** أي يتمنون وقرئ وحور
عين بالرفع عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أي وفيها أو لهم حور وقرئ
بالجر عطفاً على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور أو على
أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب
أي ويؤتون حوراً **كأمثال اللؤلؤ المكنون** صفة لحور أو حال **جزاء بما كانوا يعملون** مفعول له
أي يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم أو مصدر مؤكد أي يجزون جزاء **لا يسمعون فيها لغواً**
أي باطلاً **ولا تأثيماً** أي ولا نسبة إلى الإثم أي لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر **إلا قيلاً** أي قولاً **سلاماً سلاماً** بدل من قيلاً كقوله تعالى لا يسمعون
فيها لغواً إلا سلاماً أو صفته أو مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاماً
سلاماً والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاماً بعد سلام أو لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه
إلا سلام الآخر بدءاً أو رداً وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى **وأصحاب اليمين**
شروع في تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة إثر تفصيل شؤون السابقين
وهو مبتدأ وقوله تعالى **ما أصحاب اليمين** جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجب من حالهم
وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها إما الرفع على أنها خبر للمبتدأ أو معترضة لا محل لها والخبر
قوله تعالى **في سدر مخضود** وهو على الأول خبر ثان للمبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف والجملة
استئناف لبيان ما أبهم في قوله ما أصحاب اليمين من علو الشأن أي هم في سدر غير ذي شوك
لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكه أي قطع وقيل مخضود أي مثني
أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب **وطلح منضود** قد نضد
حمله من أسفله إلى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز أو أم غيلان وله أنوار
كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى
من العسل وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى
لها طلع نضيد فقيل أو نحولها قال أي القرآن لا يهاج ولا يحول وعن ابن عباس رضي الله عنه
نحوه **وظل ممدود** منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع
الشمس **وماء مسكوب** يسكب لهم أين شاؤوا وكيف ما أرادوا بلا تعب أو مصبوب
سائل يجري على الأرض في غير أخدود كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن

لبيان الشجر وتفسيره أي مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم ومن الثانية متعلقة
بمضمر هو وصف لشجر أي كائن من زقوم **فمالئون منها البطون** أي بطونكم من شدة
الجوع **فشاربون عليه** عقيب ذلك بلا ريث **من الحميم** أي من الماء الحار في الغاية وتأنيث
ضمير الشجر أولاً وتذكيره ثانياً باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ
للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى **فشاربون شرب الهيم** كالتفسير لما قبله على طريقة قوله
فكذبوا عبدنا أي لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم وهي الإبل التي
بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال
على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب
ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار
في أحشائهم ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملؤوا منه بطونهم وهو في غاية
الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم
فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو أيضاً مصدر وقرئ بالكسر على أنه
اسم المشروب **هذا** الذي ذكر من ألوان العذاب **نزلهم يوم الدين** أي يوم الجزاء فإذا كان
ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار و
اطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاي
تخفيفاً والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن
غير داخلة تحت القول وقوله تعالى **نحن خلقناكم فلولا تصدقون** تلوين للخطاب وتوجيه له
إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها أي فهلا
تصدقون بالخلق فإن ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق
في شيء وقيل بالبعث المستدل عليه بالإنشاء فإن من قدر عليه قدر على الإعادة
حتماً والأول هو الوجه كما ستحيط به خبراً **أفرأيتم ما تمنون** أي تقذفونه في الأرحام
من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها **أأنتم تخلقونه** أي
تقدرونه وتصورونه بشراً سوياً **أم نحن الخالقون** له من غير دخل شيء فيه وأم قيل
منقطعة لأن ما بعدها جملة فالمعنى بل نحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل
متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة

نحن قدرنا بينكم الموت اي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه
مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا وما نحن بمسبوقين اي انا قادرون
على ان نبدل امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم اشباهكم من الخلق
وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن رحمه الله
اي نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا
فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا احد فيهرب من الموت
او يغير وقته وعلى ان نبدل الى امثالكم حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير وعلى بمعنى اللام
وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشأة الاولى هي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
وقيل هي فطرة آدم عم من التراب فلولا تذكرون فهلا تذكرون ان من قدر عليها
قدر على النشأة الاخرى حتما فانه اقل صنعا لحصول المواد وتخصص الاجزاء وسبق
المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي وفي الخبر عجبا
كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة
الاخرة وهو يسعى لدار الغرور افرأيتم ما تحرثون اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه
ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف ام نحن الزارعون اي المنبتون لا انتم
والكلام في ام كما مر لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما متكسرا متفتتا قبل
انعقاده وهل يحب طعمهم في حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون تعجبون
من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال او تندمون على تعبكم فيه
وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف
الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون اي تندمون وقرئ فظلتم
بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ ائنا على الاستفهام والجملة على القراءتين
مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اي قائلين او تقولون انا
لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون
افرأيتم الماء الذي تشربون اي عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه
لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به ءانتم انزلتموه من المزن اي من السحاب واحده

فان قوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم الخ تبكيت مبني على تكذيبهم بالقرآن
فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته
تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب معايشهم كما ستقف
عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية اي فهلا اذا بلغت النفس اي الروح وقيل
نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول صاحبها
تنظرون الى ما هو فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون
من حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها
ولا ان تقدروا على دفع ادنى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا
او بملائكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى فلولا ان كنتم
غير مدينين اي غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر
الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما
وقوله تعالى ترجعونها اي النفس الى مقرها هو العامل في اذا والمحضض عليه بلولا الاولى
والثانية مكررة للتأكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير
مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها
الحلقوم ان كنتم صادقين في اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم
بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين الى شروع في
بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اي فاما ان كان الذي بين
حاله من السابقين من الازواج الثلثة عبر عنهم باجل اوصافهم فروح اي فله استراحة
وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لانها سبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة
وريحان ورزق وجنة نعيم اي ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق
اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين وقوله تعالى
فسلام لك من اصحاب اليمين اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما ينبئ عنه اللام
لا حكاية انشاء سلام بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم
للتشريف واما ان كان من المكذبين الضالين وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به

عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون وذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل اي فله نزل كائن من حميم يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اي ادخال في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة الكريمة لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين فسبح باسم ربك العظيم ترتب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقية ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الامور التي من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق عن النبي عم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ذهب وابعد فيهما وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء ايضا فان ما في السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر في آية الكرسي اريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقائص وهو المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى وتسبحوه واللام اما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له او للتعليل اي فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من شأنه التسبيح الاختياري ان يسبحه تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو العزيز القادر الغالب الذي لا يمانعه

فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال بالآخرة لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كأنه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شيء بل يبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع باعتبار معنى من كما ان افراد الضمير باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجميلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اي كل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله والله بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم

اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون
وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض
او حملا على تقدير مبتدا اي فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع وبالنصب يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب
باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم
الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل هداهم وبايمانهم كتبهم اي يسعى ايمانهم وعملهم
الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القران وعن ابن مسعود رضه
يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم
وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله ينطفي تارة ويلمع اخرى قال الحسن يستضيئون
على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر بقول هو حال
او استيناف اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة
هو الفوز العظيم الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون
والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان
المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء
مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون
بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في
المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم اي نستضيء منه واصله اتخاذ القبس
قيل طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين او من جهة الملائكة ارجعوا وراءكم اي الى الموقف
فالتمسوا نورا فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان
والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا اخر وقد علموا ان لا نور
وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم
فضرب بينهم بين الفريقين بسور اي حائط والباء زائدة له باب باطنه اي باطن
اي باطن السور او الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو
الطرف الذي يلي النار من قبله من جهته العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل يناديهم

في خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة الى الموصول الذي هو مبتدا وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه لعلو مرتبته مرارا وهو مبتدا ثان وقوله تعالى هم مبتدا ثالث
خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده
خبر لاولئك والجملة خبر للموصول اي اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء
المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل هم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا
في سبيل الله او هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله
والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيمة وقوله تعالى
لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدا
وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول والخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية
والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم
ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على
قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست
المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور الموعود وتمام ما للفريقين الاخيرين من بين تمام ما
من الاصل مع الاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل بدون الاضعاف واما على
الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي يقتضيه
جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدا وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم الى اخره
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة القبيحة
اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد بعدما بين حال الفريقين في الاخرة شرح حال الحياة الدنيا
التي اطمأن بها الفريق الثاني واشير الى انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء
فضلا عن الاطمئنان بها وانها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل
كمثل غيث اعجب الكفار اي الحراث نباته اي النبات الحاصل به ثم يهيج اي يجف بعد خضرته
ونضارته فتراه مصفرا بعدما رأيته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا
بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما
متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى الوصف

وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا بتقدير المضاف اي مثل الحيوة الدنيا كمثل
وبعد ما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها اشير الى فخامة
شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا
من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لانه من نتائج
الانهماك فيما فصل من احوال الحيوة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم
لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة
الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الآخرة فاما
اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اي سارعوا
مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم اي الى
موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا واذا كان
عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة
لتقدم التخلية على التحلية اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة
مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة
فضل الله يؤتيه من يشاء عطاءه تفضلا واحسانا من غير ايجاب والله
ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه
ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزروع والثمار ولا في انفسكم كمرض وآفة
الا في كتاب اي الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من قبل ان نبرأها اي نخلق
الانفس او المصائب او الارض ان ذلك اي اثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنائه
فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم
من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم اي اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر
يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه
بما هو آت وقرئ بما اتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بان فوات النعم
يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها
وقرئ بما اوتيتم والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر
والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من فرح

وآتينا استتباع الاجر فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم اي ما يخص بهم من الاجر وكثير منهم فاسقون
خارجون عن حد الاتباع وحمل الذين آمنوا على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ
والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام يا ايها الذين آمنوا اي بالرسل المتقدمة
اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي الاطلاق
ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين نصيبين
من رحمته لايمانكم بالرسول ولمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم
باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به
يوم القيمة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة
لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير
ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا
ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم وكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تعالى ان
لا يقدرون على شيء من فضل الله مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة في
حيز النصب على انها مفعول يعلم اي ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة
ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى وان الفضل بيد الله
عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة
وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر
بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلعم يؤتكم ما وعد من آمن
من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم
مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين
بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ لئلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها
بعد كسرة ما قبلها وقرئ ليلا بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا
هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي عم واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي عم

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين
اي تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك
وتحاولك اي تسائلك وتشتكي الى الله عطف على تجادلك اي تتضرع اليه تعالى وقيل حال
من فاعله اي تجادلك وهي متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة
الخزرجية ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك
الا قد حرمت علي فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت
يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه فتلهفت وشكت الى الله تعالى فنزلت وفي كلمة قد
اشعار بان الرسول عليه السلام والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها
كما يلوح به ما روي انه عليه السلام قال لها عند استفتائها ما عندي في امرك شيء وانها كانت
ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى
سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما
اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار
التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة
استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى
ومدافعته عليه السلام اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة
وقيل هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق
اي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات
التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الكمال الجليل في الموقعين

يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر
تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين
في حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في تلك
النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد وتخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا
لعذابهم وقوله تعالى احصاه الله ونسوه استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما
عن كيفية التنبئة او عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض متقضية
متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يفته منه شيء وقوله تعالى ونسوه حينئذ حال
من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور او قيل لم ينبئهم بذلك فقيل
احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه
مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قط
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وفي
قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينيا متاخما للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما
من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة
الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ
تكون بالتاء اعتبارا لتأنيث النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر اي
من مسارتهم على ان نجوى مضافة الى ثلاثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اي
من اهل نجوى ثلاثة او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة الا هو رابعهم اي الله عز وجل جاعلهم اربعة
من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة
ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية
نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم
بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها
الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى
بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء
ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم

بالتخفيف بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شيء عليم

لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء

نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم

اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب

للرسول صلى الله عليه وسلم والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم

وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى

عطف عليه داخل في حكمه اي بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول

وذكره عليه السلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم واستعظام

معصيتهم وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاؤك

حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول

وسلام على المرسلين اي فيما بينهم اي هلا يعذبنا الله

بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها وبئس المصير اي

جهنم في انديتكم وفي خلوتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية

الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا او فلا تناجوا بحذف احدى التائين وتناجوا

بالبر والتقوى اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم

وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تاتون وما تذرون

انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره فانه المزين لها و

الحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا خبر اخر اي انما هو ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم

اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين من الاشياء او شيئا من الضرر

الا باذن الله اي بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره

وضره اي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا

من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس متعلق بقيل وقرئ في

المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون

تنافسا في القرب منه عليه السلام وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال

وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون

بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها هم فيها خالدون

لا يخرجون منها ابدا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين

فيحلفون له اي لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا حيث كانوا

يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون

البالغون في الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي

علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند

الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اي استولى عليهم من حذت الابل اذا استوليت عليها

وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اي ملكهم فانساهم ذكر الله

بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح

اي جنوده واتباعه اي الموصوفون بالخسران الذي

لا غاية وراءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة

بحرفي التنبيه والتحقيق واظهار المضافين معا في موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير

الفصل من فنون التاكيد ما لا يخفى استئناف مسوق لتعليل ما قبله

من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على ان موادة من حاد الله

ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الاذلين

اي في جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والآخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار

عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك

استئناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث

جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل اي بالحجة والسيف وما يجري

مجراه او باحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون

وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه

عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى يوادون من حاد الله ورسوله

مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة اخرى له

اي قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة اعداء الله ورسوله

والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان
يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد ولو كانوا اي من حاد الله ورسوله
والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها آباءهم اي آباء الموادين
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام في
لو قدم على التفصيل مرارا اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم
واشدهم رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدا خبره كتب
في قلوبهم الايمان اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت
في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اي قواهم بروح
اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل النصر للايمان لحياة
القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم الخ بيان لآثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
اي ويدخلهم في الآخرة الآبدين وقوله
رضي الله عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى
ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى اولئك حزب الله تشريف لهم
ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة
النشأتين والكلام في تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر في مثلها عن النبي صلعم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر
سورة الحديد وقد كرر الموصول هنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال
كل من الفريقين بالتسبيح روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بني النضير
وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عم نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل
انتظار البعثة النبي صلى الله عم وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام
يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التورية لا ترد له راية فلما كان يوم احد

الضمير لما وتانيثه لتفسيره باللينة كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من غير ان تتعرضوا لها بشيء ما وقرئ
على اصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم او على انه جمع كرهن وقرئ قائما على اصوله ذهابا
الى لفظ ما فباذن الله فذاك اي قطعها وتركها بامر الله تعالى وليخزي الفاسقين اي وليذل اليهود
ويغيظهم اذن في قطعها وتركها لانهم اذا راوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم كيف احبوا
ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة
واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم
وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل
وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم اشد وقوله تعالى وما افاء الله الخ شروع في بيان
حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم
ونخيلهم من التخريب والقطع اي ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان حقيقا بان يكون
له عم وانما وقع في ايديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته
وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم اي من بني النضير
فما اوجفتم عليه اي فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا
ركاب هي ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب
الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة والمعنى
ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت
قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبي صلى الله عليه وسلم
فافتتحها صلحا من غير ان تجري بينهم مسايفة كانه قيل وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه
بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله اي سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على
من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي عم على هؤلاء تسليطا غير معتاد
من غير ان تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في اموالهم
والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة واخرى
على غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاءته عليه
عليه السلام من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير

ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشموله العقار ايضا فلله وللرسول و
لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفيء فقيل يسدس
لظاهر الآية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان
ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى
العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة
فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على
الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء يعيشون به دولة
بضم الدال وقرئ بفتحها وهي ما يدول للانسان اي يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة
بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم في المال وبالفتح في النصر اي كيلا
يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم
كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة
اسم ما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب
الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون
امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة اي كيلا يقع
دولة على ما فصل من المعاني وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكم من الفيء او من الامر
فخذوه فانه حل لكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه
فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفته عم ان الله شديد العقاب فيعاقب من يخالف امره
ونهيه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول صلى الله عليه وسلم
لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر
بفيء بني النضير فتعسف الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة
واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا من الله ورضوانا
اي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم
للفيء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شانهم ويؤكده
وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة اي ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله
او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واي نصرة

لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فليس بتلك المرتبة من اظهار الكفر لجواز
ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا الموافقة في الدين والله
يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد
تكذيبهم في الكل على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي
واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة
واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون
اي المنافقون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم
لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية على انها مصدر من المبني للمفعول
في صدورهم من الله اي رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا
يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى ذلك اي ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من
رهبة الله بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اي شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق
خشيته لا يقاتلونكم اي اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم جميعا اي
مجتمعين متفقين في موطن من المواطن الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء
جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار
وبامالة فتح الدال وجدر وجدر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد استئناف سيق لبيان
ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد
وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا
مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها ذلك بانهم اي ما ذكر من تشتت قلوبهم
بسبب انهم قوم لا يعقلون اي لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به
قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم
حسب تشتت طرقهم وتفرق فنونهم واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب
مما يوهن قواهم فمعزول عن السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف
تقديره مثلهم اي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بني قينقاع
على ما قيل انهم اخرجوا قبل بني النضير قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير

[illegible]

لو وقع مثل يوم اخره ذاقوا وبال امرهم اي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم
في الاخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك في الدنيا
والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال
المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدا المقدر مبين لحالهم
متضمن لحال اخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم اخرا وقد اجمل
في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين
ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل
مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المنافقين في اغرائهم
اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اي اغراه على الكفر
اغراء الآمر المأمور على المأمور به فلما كفر قال اني بريء منك وقرئ انا بريء منك ان اريد
بالانسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيمة كما ينبئ عنه قوله تعالى
اني اخاف الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس
يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء
منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله الاية فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان
واسمها انهما في النار وقرئ بالعكس والاول اوضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها
على انه خبر ان وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين اي الخلود في النار جزاء الظالمين على
الاطلاق دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي في كل ما تأتون وما تذرون
ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيمة عبر عنه بذلك لدنوه
او لان الدنيا كيوم والاخرة غده وتنكيره للتفخيم والتهويل كانه قيل لغد لا يعرف كنهه
لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل
كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد او الاول في اداء الواجبات
كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى
ان الله خبير بما تعملون اي من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي نسوا حقوقه تعالى
وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره ونواهيه حق رعايتها فانساهم
بسبب ذلك انفسهم اي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها

[illegible]

للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا في
سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله تعالى
تسرون اليهم بالمودة استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة
او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم اي والحال اني اعلم منكم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع
رسولي على ما تسرون فاي طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما
موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما يسرون
وما يعلنون ومن يفعله منكم اي الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب
ان يثقفوكم اي ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا
عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم
وودوا لو تكفرون اي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا
لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون
اليهم محاماة عليهم يوم القيمة بجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم استئناف لبيان عدم نفع الارحام
والاولاد يومئذ اي يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما
نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه
وقرئ يُفصَل ويُفصِّل مبنيا للمفعول ويُفصِّل ويَفصِل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل
ونفصّل بالنون والله بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت لكم اسوة حسنة اي خصلة حميدة حقيقة
بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى في ابراهيم والذين معه اي من اصحابه المؤمنين صفة ثانية
لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من
لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم انا برآء منكم جمع بريء كظريف
وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة
ومما تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد
بشأنكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دأبنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا
بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فينقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة
الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام
لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص

[illegible]

لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلاً اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتماً لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعاً هذا واما تعليل عدم كون استغفاره عم لابيه الكافر مما ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه فمعزول من السداد بالكلية لابتنائه على تناول النهي لاستغفاره عم له وانبائه عن كونه مؤتسى به لو لم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لما ان مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عم لابيه كان قبل ذلك قطعاً وان ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله في الجملة وتجويز ان يكون استغفاره عم له بعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربي لورودها على طريق التوكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائراً عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى وما املك لك من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اي استغفر لك وليس في طاقتي الا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه اظهاراً للعجز وتفويضاً للامر الى الله تعالى وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير الخ من تمام ما نقل عن ابرهيم عم ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل في جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب ربنا انك انت العزيز الغالب الذي لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار هذا واما جعل الابتهالات تلقيناً للمؤمنين من جهته تعالى وامراً لهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا عما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق

من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فاعقبتم وعقبتم بالتشديد وعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اي مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عم لما فرغ عن بيعة الرجال شرع في بيعة النساء على ان لا يشركن بالله شيئاً اي شيئاً من الاشياء او شيئاً من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن اريد به واد البنات وقرئ ولا يقتّلن بالتشديد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك في معروف اي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول صلعم لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة من الصلوة والزكوة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها واستغفر لهن الله زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ان الله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته عم لهن يومئذ فروي انه عم لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل عم يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن وروي انه عم بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رض والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما امره الله تعالى

وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا او يرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موضع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كما مر في نظيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا الى الآخر وروي انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التزام ان ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول او قبل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وليس بذلك كما سبق في

الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر اي هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه يريدون ليطفئوا نور الله اي يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي مبلغه الى غايته بنشره في الآفاق واعلائه وقرئ متم نوره بلا اضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم والجملة في حيز الحال على ما بين مرارا هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذي ارسل نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرئ تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف وقع جوابا عما قبله كانهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله وهو خبر في معنى الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال وكانه قد وقع فاخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد وتسميته وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة خير لكم على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة

بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة تحبونها وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدا خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدا محذوف وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر على الوجه المذكور وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص او على المصدر اي تنصرون نصرا او نفتح لكم فتحا او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اي يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا او بشرا او على تؤمنون فانه في معنى امنوا كانه قيل امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا ايها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا واجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله كي يطابقه قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد متشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به وكانوا اثني عشر رجلا فامنت طائفة من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم من نصر الدين وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا الذين امنوا على عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن قيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم يتلوا عليهم اياته مع كونه اميا

تسمية العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله اية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اي امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلوة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي خير لكم اي ادبت ربح منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اي الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يؤمر بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة لعلكم تفلحون كي تفوزوا بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي عليه السلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان تسبقوا اليه فما بقي معه عم الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال عم والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصود او لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقون

إذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بانّ واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اي والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلب والاظهار في موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم جنة اي وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والاتخاذ الجنة لابد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما ينبئ عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي فصدوا من اراد الدخول في الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اي ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا فاستمروا على ما كانوا عليه من الصدود والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول الناعي عليهم انهم اسوء الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصوري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الشر بانهم اي بسبب انهم

وانفقوا مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخائله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا أخرتني اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ فأتصدق وأكن من الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ واكون بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولي لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم كافر اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والا

بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن
مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك
فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان
خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم
فأحسن صوركم حيث براكم في احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر
الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة
صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته
في هذه النشأة واليه المصير في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا
فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في
السموات والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما
تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه
فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى
والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم
اي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا
فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد
استقلال الجملة قيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته
بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم ايها الكفرة
نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر
فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور
وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اي الم يأتكم خبر الذين
كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم
لا يقادر قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه
في الآخرة بانه بسبب ان الشأن كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة فقالوا
عطف على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم

يشغلونكم عن طاعة الله او يخاصمونكم في امور الدين او الدنيا فاحذروهم
الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا
فالمأمور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثاني اما الحذر عن البعض لان
منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو وان تعفوا
عن ذنوبهم القابلة للعفو بان يكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة
للتوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفائها وتمهيد عذرها فان الله
غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين ارادوا
الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا
لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الاولين قد فقهوا في الدين
ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون
وتدعون ويرقوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة
يوقعونكم في الاثم من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله تعالى
وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي في تدبير مصالحهم فاتقوا الله
ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره
وانفقوا مما رزقكم في الوجوه التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا
لانفسكم اي ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تأكيد للحث على امتثال
هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر
محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر اي يكن خيرا لانفسكم
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مرام ان تقرضوا الله بصرف
اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس
يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم ويغفر لكم
ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب والله شكور يعطي الجزيل
بمقابلة النزر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم
عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه خافية العزيز الحكيم البالغ في القدرة والحكمة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خصص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لامته ايضا لتشريفه عم واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عم اياهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كنداءهم فان ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المراة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلثة اقراء كوامل واتقوا الله ربكم في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتاكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن ولا يخرجن ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبداد منهن اما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان ياتين بفاحشة مبينة استثناء من الاول قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله اي حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلية الحكم في قوله تعالى فقد ظلم نفسه اي اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب

الحافظين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله من سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى من وجدكم اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن وتلجؤهن الى الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لهن فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن بعد ذلك على الارضاع واتمروا بينكم بمعروف اي تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بالجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع له اخرى اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكاين من قرية اي كثير من اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اي اعرضت بالعتو والتمرد والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اي لا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه

صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كانه قيل الذين آمنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى وعطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه الصلوة والسلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه ابدال قوله تعالى منه او لانه شرف للمنزل عليه وأما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذي العرش مكين او هو النبي صلى الله عليه وسلم الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل رسولا يتلو عليكم آيات الله القرآن مبينات حال منها اي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه السلام او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول او الله عز وعلا ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الآيات البينات يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى او من الضمير في خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض قالوا الجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه

كيف لا وان جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده بالتأييدات الالهية وبمدد وزيادة ظهراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما له عليه السلام اشد تأثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما وكان حقيقا بالتقديم كلاما ما اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور والملائكة مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك قيل اي بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين ظهير اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما ذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكري من افضلية المقدم فكانه قيل بعد ذلك ما ظهره صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اي يعطيه عليه السلام بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب والتعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه عليه السلام لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن النفس الكل على تغليب المخاطبين اي قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها ملائكة اي تلي امرها اي تعذيب اهلها وهم الزبانية غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء

على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اى امره على انه بدل اشتمال من الله او
فيما امرهم به على نزع الخافض اى لا يمتنعون من قبول الامر والتزامه ويفعلون ما يؤمرون
اى ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم مقول القول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه اى يقال لهم ذلك عند ادخال
الملائكة اياهم النار حسبما امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي
بعد ما نهيتم عنهما اشد النهي وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين
آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اى بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على
الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها
على طريقتها وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام
لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح موطنين انفسهم على ذلك
بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا عن على رضى الله عنه ان التوبة يجمعها ستة
اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال
الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية
وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصى وعن شهر بن حوشب ان لا يعود
ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اى توبة ترفو خروقك
في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز
ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة
في العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح
كالشكر والشكور اى ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا النصح انفسكم على انه مفعول له
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار
ورود صيغة الاطماع للجرى على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له
وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في اقامة وظائف العبادة
يوم لا يخزى الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي وفيه تعريض
بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم
وقيل هو مبتدا خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اى على الصراط وهو

سورة الملك وهي ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية و
كثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق
بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة
في ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما نسب
سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون
الخيرات والصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا
وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية
الكمال وابانتها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال
غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما في
حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل
اى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضة قدرته التصرف
الكلى في كل الامور وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عليه
يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة
مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى
الذي خلق الموت والحيوة شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان
ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة والموصول بدل
من الموصول الاول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا
صفة وجودية مضادة للحيوة واما ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الله تعالى
خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء الا مات

وتعلق الحيوة في صورته فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء
الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحيوة فمعنى خلقه
عنيتيه تقديره او ازالة الحيوة وايا ما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطاري
وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مدار تيهما لما ينطق به قوله تعالى
فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق
بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق اي
خلق موتكم وحياتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم
معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت
طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله
عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني
كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد
اثر ذي اثير وانما طريقها النظر التفكر في بدائع صنع الله تعالى والتدبر في آياته
المنصوبة في الانفس والآفاق وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على
يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك
التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه
كل يوم مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق
المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه
من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل
وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم
باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد
بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان
والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج
تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله

من انبياء بني اسرائيل كانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وقلنا ما نزل الله تعالى
عليه من آياته فكذبنا ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه
من الآيات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير ما نزل الله على احد من شيء من
الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اي ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم
آيات تنذروننا بما فيها الا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب
مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة في التكذيب وتماديا في
التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما واما
تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية
لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عباراتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة
اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام
واين هم من ذلك وقد جاء التعريض دون التوبيخ هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن
كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل
او مصدر مقدر بمضاف عام اي اهل نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفي الخطاب
في الجمعية ومن اعتبر الجمعية باحد الوجوه الثلثة على التقدير الاول ولم يخص العبارة
بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب
من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في
الدنيا او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل
للكفرة وقد حكوه للخزنة فتامل وكن على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا
ممن يسمع او يعقل لو كنا نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا في اصحاب السعير
اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير
كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها
حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم الذي هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله
ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد
بحذف الزوائد كما في قعدك الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحاقا
او لفعل مرتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا اي بعدوا سحقا اي بعدا

كأنه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف
أي لم يدع فلم يبق إلا مسحت أو على هذين الوجهين قوله تعالى وإنهما لبإمام مبين واللام
في قوله تعالى لأصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين
والداخلون في عدادهم بطريق التغليب إن الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخافون
عذابه غائباً عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بما خفي منهم وهو قلوبهم
لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وأجر كبير لا يقادر قدره وأسروا قولكم
أو اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر بالنسبة إلى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من
أسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي
صلى الله عليه وسلم فيوحى إليه عليه السلام فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد
فقيل لهم أسروا ذلك أو اجهروا به فإن الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للإيذان
بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع
المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية
فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة
إليه تعالى أو لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر إذ ما من شيء يجهر به إلا وهو أو مباديه
مضمر في القلب يتعلق به الإسرار غالباً فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على
تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى إنه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفي
صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة
ما لا غاية وراءه كأنه قيل إنه مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم
الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما تسرونه
وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى
إنه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها وقوله تعالى ألا يعلم
من خلق إنكار ونفي لعدم إحاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر أي ألا يعلم السر والجهر من
أوجد بموجب حكمته جميع الأشياء التي هما من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير
حال من فاعل يعلم مؤكدة للإنكار والنفي أي ألا يعلم ذلك والحال أنه المتوصل علمه
إلى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوباً والمعنى ألا يعلم الله من خلقه

إن الكافرون إلا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال
أي ما هم في زعمهم أنهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط أو أن
آلهتهم تحفظهم من بأس الله إلا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان
ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء
حالهم الإعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والإظهار في موقع الإضمار لذمهم بالكفر
وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه أي الله عز وجل
بإمساك المطر وسائر مباديه كالذي مر تفصيله خلا أن قوله تعالى بل لجوا في عتو
ونفور منبئ عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل إثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك
ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو أي عناد واستكبار وطغيان ونفور أي
شراد عن الحق وقوله تعالى أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى الخ مثل ضرب للمشرك
والموحد توضيحاً لحالهما وتحقيقاً لشأن مذهبهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم
وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم
في مسلك المحاجة إلى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فإن تقدم الهمزة عليها صورة إنما هو
لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالأمر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان
مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكباً والمكب الساقط على وجهه يقال كببته
فأكب على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب كما قشع الغمام أي صار ذا قشع
والمعنى أفمن يمشي وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه
واختلال قواه أهدى إلى المقصد الذي يؤمه أمن يمشي سوياً أي قائماً سالماً من الخبط
والعثار على صراط مستقيم مستوي الأجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية
محذوف لدلالة خبر الأولى عليه ولا حاجة إلى ذلك فإن الثانية معطوفة على الأولى
عطف المفرد على المفرد كقولك أزيد أفضل أم عمرو وقيل أريد بالمكب الأعمى وبالسوي
البصير وقيل من يمشي مكباً هو الذي يحشر على وجهه إلى النار ومن يمشي سوياً الذي
يحشر على قدميه إلى الجنة قل هو الذي أنشأكم إنشاء بديعاً وجعل لكم السمع
لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الأوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها والأبصار
لتنظروا بها إلى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل والأفئدة لتتفكروا بها

فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج
الإيمان والطاعة قليلا ما تشكرون أي باستعمالها فيما خلقت لأجله من
المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أي شكرا قليلا أو زمانا
قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذرأكم في الأرض أي
خلقكم وكثركم فيها لا غيره وإليه تحشرون للجزاء لا إلى غيره اشتراكا أو استقلالا فابنوا
أموركم على ذلك ويقولون من فرط عتوهم وعنادهم متى هذا الوعد أي
الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى وإليه تحشرون إن كنتم صادقين يخاطبون به النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الآيات
المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أي إن كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة
والحشر فبينوا وقته قل إنما العلم أي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره
كقوله تعالى قل إنما علمها عند ربي وإنما أنا نذير مبين أنذركم وقوع الموعود لا محالة
وأما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الإنذار والفاء في قوله تعالى فلما رأوه
فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم
الموعود فرأوه فلما رأوه إلى آخره كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده
الآية المعتد بهناك أمر واقع مرتب على ما قبله بالفاء وههنا أمر منزل منزلة الواقع
وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى زلفة حال من مفعول رأوه بتقدير
المضاف أي ذا زلفة وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي مزدلفا أو على أنه
مصدر نعت به مبالغة أو ظرف أي رأوه في مكان ذي زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا بأن غشيتها الكآبة ورهقتها القتر والذلة ووضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم
هذا الذي كنتم به تدعون أي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه إنكارا
واستهزاء على أنه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى أي تدعون
أن لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون وقد روي عن مجاهد أن الموعود عذاب يوم بدر
وهو بعيد قل أرأيتم أي أخبروني إن أهلكني الله أي أماتني والتعبير عنه بالإهلاك لما كانوا
يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ومن معي من المؤمنين أو رحمنا بتأخير آجالنا

والثواب وإعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى فلا تطع المكذبين
لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه السلام استجلابا لقلوبهم
وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم
أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك أو نهي عن مداهنتهم
ومداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره عليه السلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم
حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فإنه تعليل للنهي وللانتهاء وإنما عبر عنها بالطاعة
للمبالغة في الزجر والتنفير أي أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور فيدهنون
أي فهم يدهنون حينئذ أو فهم الآن يدهنون طمعا في إدهانك وقيل هو عطف على تدهن
داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب إدهانك ويأباه ما سيأتي من بناء ودادتهم
بالإدهان على أن إدهانهم أمر محقق لا يناسب إدخاله تحت التمني وأيا ما كان فالمعتبر
في جانبهم حقيقة الإدهان الذي هو إظهار الملاينة وإضمار خلافها وأما في جانبه عليه السلام
فالمعتبر بالنسبة إلى ودادتهم هو إظهار الملاينة فقط وأما إضمار خلافها فليس في حيز
الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وإنما اعتباره بالنسبة إليه عليه السلام وفي بعض
المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني المفهوم من ودوا وأن ما بعده حكاية
لودادتهم وقيل على أنه عطف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها
جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن
فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أي ودوا إدهانك
لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف
في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه
أدخل في الزجر مهين حقير الرأي والتدبير هماز عياب طعان مشاء بنميم مضرب
نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم فإن النميم والنميمة السعاية
مناع للخير أي بخيل أو مناع للناس من الخير الذي هو الإيمان والطاعة والإنفاق معتد
متجاوز في الظلم أثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة
بعد ذلك بعدما عد من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة
تقطع فتخلى معلقة في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معايبه

واقع فيها بالجملة قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا في قريش وليس من سنخهم
ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف
وعداده في زهرة أن كان ذا مال وبنين متعلق بقوله ولا تطع اي لا تطع من هذا مثالبه
لأن كان متمولا مستظهرا بالبنين او بقوله إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين
استيناف جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى
الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل
لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب باياتنا وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه
كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل فيه وقرئ أأن كان
على معنى الان كان ذا مال كذب بها او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ أن كان
بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لأن اطاعة الكافر
لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكي على
اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر
فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر
الكفرة انا بلوناهم اي اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون
صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان
ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل وما في اسفل الأكداس
وما اخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة
اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان
يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها
مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون اي لا يقولون ان شاء الله
وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان
قولك لأخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد او ولا يستثنون
حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها اي على الجنة
طائف بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدئ من جهته تعالى وهم نائمون

حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى
امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد
وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجبا من حكمهم واستبعادا له
وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل ام لكم كتاب من السماء فيه
تدرسون اي تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون اي ان ما تختارونه
وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز
ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على
نوح في العالمين وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا
اي عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التأكيد وقرئت بالنصب على الحال
والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم
الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة
اي ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين ان لكم لما تحكمون
جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان ام اقسمنا لكم سلهم تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اي سلهم
ايهم بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم اي قائم يتصدى لتصحيحه
ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فليأتوا بشركائهم
ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه في هذه الآيات
الكريمة على ان ليس لهم شيء يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد الذي لا يفلح من تشبث
بذيله وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة يوم يكشف
عن ساق اي يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك
واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به
الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقيل ساق الشيء
اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر
فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل او التعظيم

وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ
نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف الاعرابي دخل
في الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدر اي اذكر يوم الخ او مؤخر اي يوم
يكشف عن ساق الخ يكون من الاهوال وعظائم الاهوال ما لا يبلغه الوصف
ويدعون الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم
في ذلك فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود
فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رض تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل
لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي
فقارة واحدة خاشعة أبصارهم حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم
مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم تلحقهم وتغشاهم
ذلة شديدة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا والاخبار في موضع الحال
زيادة التحسر او لان المراد به الصلوة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف
وهم سالمون متمكنون منه اقوى تمكن اي فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكر
ثقة بظهوره فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي كله الي فاني اكفيكه امره اي
حسبك في الايقاع به والانتقام منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم
بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية اي اذا
كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب القرآن وتوكل علي في الانتقام منه
وقوله تعالى سنستدرجهم استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد
من الامر السابق اجمالا والضمير للجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يكذب
باعتبار لفظها اي سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة
وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم من زعموا انه
ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم وأملي لهم وامهلهم ليزدادوا اثما
وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ان كيدي متين لا يدفع بشيء
وتسمية ذلك كيدا لكونه في صورة الكيد أم تسألهم على الابلاغ والارشاد اجرا دنيويا
فهم لاجل ذلك من مغرم اي غرامة مالية مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك

وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبره على الوجه الذي عرفته محلها النصب على اسقاط
الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت
جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها
من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر كذبت ثمود وعاد
بالقارعة اي بالحالة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء
بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس
والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها
والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه
ما دراه عليه السلام بها احد كما في قوله تعالى وما ادراك ماهيه نار حامية ونظائره
خلا ان المبين هناك نفس المسؤول عنها وههنا حال من احوالها كما في قوله تعالى
وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك
ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظيم
شأنها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كأنه قيل وما ادراك ما الحاقة
كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بالواقعة المجاوزة
للحد وهي الصيحة او الرجفة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديد الصوت
لها صرصرة او شديدة البرد تحرق ببردها عاتية شديدة العصف كأنها عتت
على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى سخرها عليهم
الخ استئناف جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة
سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد
من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته
او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا
او على المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت
ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا
من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي
ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر

والمعلل ومطفي الجمر وقيل بكفيء الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا فيها
في مهابها او في تلك الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كأنهم اعجاز نخل اي اصول
نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية اي بقية او نفس باقية او بقاء
على انها مصدر كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله اي ومن تقدمه وقرئ
ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه والمؤتفكات اي
قرى قوم لوط اي اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات الخطاء التي من جملتها
تكذيب البعث والقيمة فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها حين نهوهم
عما كانوا يتعاطونه من القبائح فاخذهم اي الله عز وجل اخذة رابية اي
زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح من ربا الشيء اذا زاد انا لما طغى
الماء بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام
فيما اوحي اليه من الاحكام التي من جملتها احوال القيمة حملناكم في اصلاب آبائكم في الجارية
في سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء وحفظناكم الى انقضاء
ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة في فانها ليست بصلة
للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اي رفعناكم فوق الماء وحفظناكم
حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم
محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صوري لنجعلها اي الفعلة التي هي عبارة
عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على
كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها اي تحفظها والوعي
ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غير نفسك من وعاء وقرئ وتعيها
بسكون العين تشبيها له بكتف اذن واعية اي اذن من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه
بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها
وان من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان
عظم شأنها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره
للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى

فتمنيناه عندها وقد جوز ان يكون للحيوة الدنيا اي يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة
ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول
محذوف او استفهامية للانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار
هلك عني سلطانيه اي ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في
الدنيا او تسلطي على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها في العبادات
خذوه حكاية لما يقوله الله تعالى لسدنة خزنة النار فغلوه اي شدوه بالاغلال
ثم الجحيم صلوه اي لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق المعصية
حيث كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها اي طولها سبعون ذراعا
فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع حراكا
وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به
وثم للتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك في السلسلة
في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل بطريق الاستئناف التحقيقي ووصفه تعالى
بالعظيم للايذان بانه المستحق للعظمة فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات
ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل
من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل
وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين
بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم
ههنا حميم اي قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه و
يفرون منه ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل
لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطأ
المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المشركون
وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز ان يراد الذين يتخطون الحق
الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم اي فاقسم على ان لا مزيدة للتأكيد
واما حمله على نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به
بقوله تعالى بما تبصرون وما لا تبصرون كما مر في سورة الواقعة اي اقسم بالمشاهدات

والمغيبات وقيل الدنيا والاخرة وقيل الاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل انه اي القرآن لقول رسول كريم يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى وهو النبي او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون اي تؤمنون ايمانا قليلا او زمانا قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون ذلك تارة اخرى قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون على ان القلة بمعنى النفي اي لا تؤمنون ولا تتذكرون اصلا قيل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن الشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها يتوقف على تذكر احواله صلى الله عليه وسلم ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء فيهما تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اي بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين فما منكم ايها الناس من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام وانه اي القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين وانه لحق اليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث

لا تشغلهم بحال انفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل في التهويل وجمع الضمير لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استيناف يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدي من عذاب يومئذ اي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استيناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته اي عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه اي تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض من الثقلين او الخلائق ومن للتغليب جميعا ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير انها للنار المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم ترجم عنه الخبر الذي هو قوله تعالى لظى وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص او حال مؤكدة والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او ضمير القصة ولظى مبتدا ونزاعة خبره تدعو اي تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها من ادبر اي عن الحق وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكوته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق هلوعا الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى اذا مسه الشر اي الفقر والمرض ونحوهما جزوعا اي مبالغا في الجزع مكثرا منه واذا مسه الخير اي السعة والصحة منوعا مبالغا في المنع والامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها

عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء للمتصفين
بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لانباء نعوتهم عن
الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من
العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة
الناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه
لا يشغلهم عنها شاغل اي نصيب معين يستوجبونه
على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة والصدقات
الموظفة للسائل للذي يسأله والمحروم الذي لا يسأل فيظن انه غني فيحرم
اي باعمالهم حيث يتعبون انفسهم في الطاعات
البدنية والمالية طمعا في المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء
والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال
الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون
ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير مأمون
اعتراض مؤذن بانه لا ينبغي لاحد ان يأمن عذابه تعالى وان بالغ في الطاعة
سلف تفسيره في سورة المؤمنين فمن ابتغى اي طلب لنفسه وراء ذلك وراء ما ذكر من
الازواج والمملوكات المبتغون المعتدون لحدود الله تعالى
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشيء من حقوقها والذين هم
بشهاداتهم قائمون اي مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر
مع اندراجها في الامانات لابانة فضلها وقرئ لاماناتهم وبشهاداتهم على ارادة
الجنس اي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها
وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين
للدلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف
الصفات منزلة اختلاف الذوات كأنه قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم ايذانا بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل

منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى
ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون متعلق بنذير على الوجهين المذكورين
يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في
الجاهلية فان الاسلام يجبه ويؤخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى
الذي قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير
بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم اليه
بالايمان والطاعة صريح في ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد
بقوله تعالى ان اجل الله اي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر وانتم
على ما انتم عليه فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه
الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى
فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل
ان يأتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل الاطول تماما
لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير
الى الاجل المسمى فلا بد ان يكون المنفي عند مجيء الاجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور
ان يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى لو كنتم تعلمون اي لو كنتم
تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به اي نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا
له تعالى وهو اعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال
بعدما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد معهود وضاقت
عليه الحيل وعيت به العلل اي الى الايمان والطاعة
ليلا ونهارا اي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي الا فرارا مما
دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى زادتهم ايمانا
اي الى الايمان بسببه
اي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اي بالغوا
في التغطي بها كأنهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه
او لئلا يعرفهم فيدعوهم اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار

على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي وطاعتي استكبارا
شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا
اي دعوتهم تارة بعد تارة وكرة غب كرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة
وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد
او لتراخي بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعي
الدعاء او اريد بدعوتهم جاهرتهم او هو صفة لمصدر اي دعوتهم دعاء جهارا
اي مجاهرا به او مصدر في موقع الحال اي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة
عن الكفر والمعاصي انه كان غفارا للتائبين كانهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف
نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعدما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما
يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع
في قلوبهم واحب اليهم من العوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله
عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم
انهم ان آمنوا ان يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه يرسل
السماء عليكم مدرارا اي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او السحاب
ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات بساتين
ويجعل لكم انهارا جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا
انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى
الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم
على ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في
قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تاخر لكان صفة
اي اي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان
والطاعة وقد خلقكم اطوارا اي والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه
بالكلية وهي انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا
ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاكم خلقا آخر فان التقصير في توقير من هذه
شئونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل

مقامات اولئك قال المرتضى انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود
على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق
على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بالضم الواو ويغوثا ويعوقا
للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد اضلوا كثيرا اي الرؤسا خلقا كثيرا اي حال
او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين
الا ضلالا عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال
وبعد الواو النائبة عنه اي قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا
ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به
والمطلوب هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك
كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما سياتي من دعائه عليه السلام
مما خطيئاتهم اي من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتاكيد والتفخيم ومن
لم يرد زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئاتهم
اي بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر
فادخلوا نارا المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء
عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم
والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما
لتعظيمها وتهويلها او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار
فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم
آلهة من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم
وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الى آخره
اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من
الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التي عددها نوح واشار الى
استحقاقهم للاهلاك لاجلها لا انها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية
ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال الى آخر عن حكاية دعائه هذا او ديارا

من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديّارا او ديّور كقيّام وقيّوم اي احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار قد فعل به ما فعل باصل سيّد لا فعّال والا لكان دوّارا انك ان تذرهم عليها كلا او بعضا يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستيصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم واستقرا احوالهم قريبا من الف سنة

رب اغفر لي ولوالدي ابوه متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اي الا هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم بارادة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او بسبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن بسم الله الرحمن الرحيم وآياتها ثمان وعشرون

قل اوحي الي وقرئ أحي اصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وازن في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان استمع اي الوحي او القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم

كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماع القرآن فيحكى بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون اي كنا قبل هذا ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اي متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اي علمنا الآن ان لن نعجز الله كائنين في الارض اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن الذي هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف اي فهو لا يخاف بخسا اي نقصا في الجزاء ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تعالى ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به وانا منا المسلمون وما القاسطون الجائرون عن طريق الحق الذي هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحي الي ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة التي هي ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى اي ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه عذابا صعدا اي شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله عطف على قوله تعالى انه استمع اي واوحي الي ان المساجد مختصة بالله تعالى

وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اي لا تعبدوا فيها مع الله احدا غيره
وقيل المراد بالمسجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه
قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل مواضع السجود
على ان المراد نهي السجود لغير الله تعالى وقيل اعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع
المصدر الميمي وانه لما قام عبد الله من جملة الموحى اي واوحي الي ان الشان لما قام عبد الله اي النبي
صلى الله عليه وسلم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته و
للتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اي يعبده وذلك
قيامه لصلوة الفجر بنخلة كما مر تفصيله في الاحقاف كادوا اي الجن يكونون عليه لبدا
متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قرائته
واقتدا اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا
بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون
يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد
وقرئ لُبَدا جمع لُبدة وهي بمعنى اللبدة ولُبَّدا جمع لابد كساجد وسجد ولُبُدا بضمتين
جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه
فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا في العبادة
فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتي وقرئ قال
على انه حكاية لقوله عليه السلام للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى
قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا
فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا
ولن اجد من دونه ملتحدا ملتجأ وهذا بيان لعجزه عن شئون نفسه بعد بيان
عجزه عن شئون غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك
فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا
اي لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا ان فيه شرطية
ولا نافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه
ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته اي لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه

وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فبني على ذلك حسابه هذا واما
ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله
ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم الخ فمعزول عن السداد عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاء
وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه السلام
متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه شان فامر بان يترك
التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة وقد
فرقا اول ما اتاه جبريل عليهما السلام وبوادره ترعد فقال زملوني فحسب انه عرض له فبينا
هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل ويكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب
للملاطفة والتانيس كما في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه
وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه
وقيل المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما هو امر النبوة اي حمله والزمل الحمل وازدمله
اي احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام او للامر به فان تحمله عليه السلام
لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة قم الليل اي قم الى الصلوة وانتصاب
الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلوة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها
الا قليلا استثناء من الليل وقوله تعالى نصفه بدل من الليل الباقي بعد الثنيا
بدل الكل اي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان
الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام اكثره في كثرة الثواب
واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر او انقص منه

اي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الاولى قليلا اي نقصا
قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف او زد عليه اي زد القيام
على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه السلام بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر
وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق
بالاستثناء الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج
العاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي
هو نصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته
بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا
اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف
والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل
على البتات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه
وقيل الضميران للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك
الاقل او ازيد منه قليلا وقيل وقيل والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم
بما في كتابه الجليل ورتل القرآن في اثناء ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة
وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل
ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك اي سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى
قولا ثقيلا وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين
لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه عم مأمور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض
بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عم من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين
لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية
للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس
رضي الله عنهما كان اذا انزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها
رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا
ان ناشئة الليل اي ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض من نشأ
من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعاقبة

وحده لا يقدر على تقدير ساعاته احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدا وبناء يقدر
عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي علم
ان الشان لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات
ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة
عنكم في تركه فاقرءوا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من صلوة الليل
عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا
على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس
وقيل هي قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن في ليلة لم يحاجه
وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية علم ان سيكون
منكم مرضى استئناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف
وآخرون يضربون في الارض يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله
وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله
ولما كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص فاقرءوا ما تيسر منه
من غير تحمل المشاق واقيموا الصلوة اي المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة
وقيل هي زكوة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة المفروضة
جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به الانفاقات
في سبيل الخيرات او اداء الزكوة على احسن الوجه وبانفعها للفقراء
وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان مما ذكر وما لم يذكر
تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي يؤخرونه الى الوصية
عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تأكيد او فصل وان لم يقع بين
معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف
وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في كافة
احوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل
دفع الله تعالى عنه العسر في الدنيا والآخرة تمت السورة

سورة المدثر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي اول سورة نزلت روي عن جابر رضه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرا الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اي الذي دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفي حرف ابي المتدثر على الاصل قم اي من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر اي فافعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا وروي انه لما نزل قال رسول الله الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ما كان اي اي شيء حدث فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاولى من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه من الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فانه واجب

ان كان محمد صادقا فانا خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن الطمع الفارغ وقطع لرجائه اليائس وقوله تعالى انه كان لآياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة او الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد واستحقاقه له او بيان لعناده لآياته تعالى اي فكر ماذا يقول في شأن القرآن وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بها وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله ليصبأن قريش كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يؤثره عن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني ثم نظر اي في القرآن مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا

ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قطب في وجهه **وبسر** اتباع لعبس **ثم أدبر** عن الحق او عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم **واستكبر** عن اتباعه **فقال إن هذا إلا سحر يؤثر** اي يروى ويتعلم
والفاء للدلالة على انه لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث
وقوله تعالى **إن هذا إلا قول البشر** تأكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف **سأصليه سقر**
بدل من سأرهقه صعودا **وما أدراك ما سقر** اي اي شيء اعلمك ما سقر
على ان ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر لانه المفيد لما قصد افادته من
التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ اي اي شيء هو في وصفها لا مراد امر ان ما
قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى
لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد المبهم الذي لوح به وما ادراك
ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك اي لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك
بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة **لواحة للبشر** مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها
قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى
ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل
عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا او نقيبا من الملائكة يلون امرها ويتسلطون على
اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد
وتسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**
اي المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين
فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله
عز وجل وبالغضب له تعالى واشدهم بأسا عن النبي صلى الله عليه وسلم
لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم اعداء الله تعالى وعلى رقبته جبل
فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر
قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة ان يبطشوا برجل فقال ابو الاشد اسيد بن
كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم
اثنين فنزلت اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم **وما جعلنا عدتهم إلا فتنة**

لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر مبتدأ او يكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر **كل نفس بما كسبت رهينة** مرهونة عند الله بعملها والرهينة اسم
بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى
مفعول لا تدخله التاء **إلا أصحاب اليمين** فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من
اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة والاطفال وقيل
هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام
يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم **في جنات** لا يكتنه كنهها ولا يدرك
وصفها وهو خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كأنه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات
وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل في قوله تعالى **يتساءلون** وقيل ظرف للتساؤل
وليس المراد بتساؤلهم ان يسأل بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا و
مسؤولا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت
في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير
كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد
منهما الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني ويقتصر بها على الدلالة على الاول فقط فيذكر
للفعل حينئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فمعنى **عن المجرمين**
يتساءلون عن احوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى
ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اي يسألونهم
قائلين اي شيء ادخلكم فيها فتأمل ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون
قالوا لم نك من المصلين اي المجرمون مجيبين للسائلين الصلوات الواجبة
ولم نك نطعم المسكين على معنى نفي استمرار الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كما تقرر
مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة **وكنا
نخوض مع الخائضين** اي نشرع في الباطل مع الشارعين **وكنا نكذب بيوم الدين**
اي بيوم الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه
ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتأخر جنايتهم مع كونها اعظم

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

من الكل ستجيبهم بأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين وللبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم حتى أتانا اليقين [faded] اي الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين [faded] لو شفعوا لهم جميعا والفاء في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب الانكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتأخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى كأنهم حمر مستنفرة [faded] حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة اي من اسد فعولة من القسر وهو القصد والغلبة شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى [faded] قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه صحفا منشرة وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا [faded] ردع لهم عن تلك الارادة بل لا يخافون الآخرة [faded] فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة [faded] اي القرآن فمن شاء ذكره [faded] ان يذكره وحاز بسببه سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله تعالى ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد

ومع ذلك يشاء النار [faded] اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويعاقب بالثاني وأخر اي لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول فيثاب بالثاني وبما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر خلفه او وقفه او اوصى به او بالاول عمله واخره [faded] اي حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر منه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما في الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار كما في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة والتاء للمبالغة ومعنى بل الترقي اي ينبأ الانسان باعماله بل هو مع ذلك عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى ولو القى معاذيره اي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبأ اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبأ باعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان ينفلت منه فامر عليه الصلوة والسلام بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضي اليه الوحي ثم يعقبه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به [faded] اي بالقرآن لسانك عند القاء الوحي لتعجل به اي لتأخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك ان علينا جمعه في صدرك بحيث لا يذهب شيء من معانيه وقرآنه اي اثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه [faded] اي اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب الخ فاتبع قرآنه فكن مقفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه [faded] اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا ردع له صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وترغيب في الاناة واكد ذلك بقوله بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان

عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة
الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين
المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة تشاهد عليها نضرة النعيم على انه وجوه
مبتداء وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة في قوله تعالى الى ربها
ناظرة خبر ثان للمبتداء او نعت لناضرة والى ربها متعلقة بناظرة وصحة وقوع النكرة
مبتدا لان المقام مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كأنه
قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف
عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى
كونها ناظرة الى ربها انها تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما
سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه
نظرها الى غيره وقيل منتظرة وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى ووجوه يومئذ
باسرة شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها
فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة
اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده
ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي اي بلغت النفس اعالي
الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق
اي قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام
ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن
انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت
الساق بالساق والتوت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت وقيل هما
شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في اكفانه الى
ربك يومئذ المساق اي الى الله سبحانه وتعالى والى حكمه يساق لا الى غيره
فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول عليه الصلوة والسلام والقرآن الذي نزل
عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان
المذكور في قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع

فلا يخلون كفرانا وانما المواخذ عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين
من افراد الانسان الذي هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها
يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما في الذكر
كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية
ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في
وصفهم تفصيلا ما يحسن تقديمه تجاوب اطراف النظم الكريم وفي سلاسل للتناسب
شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان حال الكافرين و
ايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من اللوامة السنية والابرار
جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وقيل هو من بر خالقه اي اطاعه
وقيل هو من برئ وقيل من تمثل امره تعالى وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي
بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر يشربون من كأس هي الزجاجة اذا
كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية
او بيانية كان مزاجها اي ما تمزج به كافورا اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة
ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كأس وقوله تعالى عينا بدل من
كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها
رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين
بدل من محل كأس على تقدير مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص
وقوله تعالى يشرب بها عباد الله صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها
ممزوجة بها وقيل يضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة
ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشرب بها عباد الله وقيل الضمير للكأس والمعنى
يشربون العين بتلك الكأس يفجرونها تفجيرا اي يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم
اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى
يوفون بالنذر فكيف بما اوجبه الله تعالى ويخافون يوما كان شره عذابه مستطيرا
فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار
بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه

كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون
ذلك بطيب النفس او كائنين على حب الله تعالى او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب
لما بعده من قوله تعالى لوجه الله مسكينا ويتيما واسيرا اي اسيرا كافرا فانه صلى الله
عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن
فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال
غريمك اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو في موضع الحال من فاعل
يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل
للصدقة وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث
بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله
ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا
وهو تقرير وتأكيد لما قبله انا نخاف من ربنا يوما اي عذاب يوم عبوسا يعبس فيه
الوجوه او يشبه العبوس في الشدة والضرارة قمطريرا شديد العبوس فلذلك
نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة
الجزاء والشكور اي انا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما فوقاهم الله شر ذلك
اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار
وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على
مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة
بستانا يأكلون منه ما شاؤا وحريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم
في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله تعالى عنه لو نذرت على ولديك فنذر علي وفاطمة
رضي الله تعالى عنهما وفضة جارية لهما ان برءا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا
وما معهما شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلث اصوع
من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم
فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد
مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فآثروه

عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة
والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء
لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم
باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا
طهورا هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب
العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه من دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون
الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل
الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول اي يقال لهم ان
هذا الذي ذكر من فنون الكرامات كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم الحسنة وكان
سعيكم مشكورا مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا
اي مفرقا منجما لحكمة بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فاصبر لحكم ربك
بتأخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب
الاثم الداعي لك اليه او من الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان
في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي
على الوصفين مشعر بانه لهما فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر
لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق
والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو واذكر اسم ربك
بكرة واصيلا وداوم على ذكره في جميع الاوقات او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان
الاصيل يتناولهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعله صلوة المغرب والعشاء
وتقديم الظرف لان في صلوة الليل مزيد كلفة وخلوص وسبحه ليلا طويلا
وتهجد له قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون في لذاتها
الفانية ويذرون وراءهم اي امامهم لا يستعدون له او ينبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا
لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله
بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا
اسرهم اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم

تبديلاً بدلها في الريب وهو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او تبدلنا غيرهم ممن يطيع
كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية
ان هذه تذكرة اشارة الى السورة او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي
فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اي وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل
وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كافية
في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا
تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل
لمشيئة العبد الا في الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء
وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على
اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم
الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته بيان لاحكام مشيئته
المترتبة على علمه وحكمته اي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته
نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة والظالمين
وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اي متناهيا في الايلام
قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين
ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا والله اعلم

سورة المرسلات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا
فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسام من الله تعالى بطوائف
من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال
بالامر وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع

وجعلنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت شامخات طوالا شواهق ووصف جمع المذكر
بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كاجذع وجذوعات واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار
بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا فيها انهارا ومنابع ويل يومئذ للمكذبين
بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ
انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا او كرها ذي ثلاث
شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج
لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى
يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار
القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة
في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن
يساره ولذلك قيل تقف شعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ
الظل ولا يغني من اللهب اي غير مغن لهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي
كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر
وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور
وقيل اسم جمع كالحجارة كأنه جمالت صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب
الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات
جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده
والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا
يوم لا ينطقون فيه بشيء لما ان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة
طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون
بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي قص واقع يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن
واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب

هذا يوم الفصل بين الحق والباطل والمحق والمبطل جمعناكم خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اي مستقرون في فنون الترفه وانواع التنعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر اي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا وبما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك نجزي المحسنين اي في عقايدهم واعمالهم لا الجزاء العظيم الذي منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نالوا اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستانف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم اركعوا اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلوة او بالركوع لا يفعلون اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المواخذة فباي حديث بعده اي بعد القرآن الناطق باحاديث الدارين واخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين • والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عما فحذف منه الالف اما لان ما الاستفهامية وغيرها او قصد الخفة

الصريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى لم تدعوا اعمالهم به فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للوعد والوعيد للمبالغة في التاكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفي وقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الخ استيناف مسوق لتحقيق النبا المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا للارض اي ارسيناها بها كما يرسي البيت بالاوتاد وخلقناكم عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة انا جعلناه الخ او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة ان يقال قد جعلنا الى آخره ازواجا اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا اي موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفي الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوي الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل الذي يقع النوم فيه غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحيوة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت حيوة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة

عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له او نحو ذلك تمالا مناسبة
بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب لتحصيل المعايش والحوائج **وبنينا فوقكم**
سبعا شدادا اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر
العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق
وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه
التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن **وجعلنا**
سراجا وهاجا هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء
التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي
كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واياما كان
نفيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او معه او نحو ذلك
ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على
ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها
رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف
اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وايا
ما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى
اثنين وهو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن
انه عمدة فيه وهو على الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض
خليفة والوهاج المتلألئ من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج
والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات
بالبناء **وانزلنا من المعصرات** هي السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح
فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان
تحيض او الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال
حيث كان من المعصرات سواء اريد بها السحاب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه
من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذات الاعاصير ووجهه ان الرياح هي التي تنشئ
السحاب وتدر اخلافه فصلح ان تجعل مبدأ للانزال **ماء ثجاجا** اي منصبا بكثرة يقال

وفتحت السماء عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ فتحت
بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالى **فكانت ابوابا** اي كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة
نزولا غير معتاد حتى صارت كأن كلها ابواب او ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض
عيونا كأن كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو
الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء
وسيرت الجبال اي في الجو على هيئاتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اي تراها رأي العين ساكنة في اماكنها والحال
ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وان كانت في غاية
السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج
والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء
وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الارض
ويغير هيئاتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية
ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى **فكانت سرابا** اي فصارت بعد تسييرها
مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي غبارا منتشرا وهي
وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد
النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو
اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية **ان جهنم**
كانت مرصادا شروع في تفصيل احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم اثر بيان هوله
ووجه تقديم بيان حال الكفار غني عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه
كالمضمار اي كانت في حكم الله تعالى موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها **للطاغين** متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اي كائنا
للطاغين وقوله تعالى **مآبا** بدل منه اي مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه
لكونه نكرة ولو تأخرت لكان صفة له وقد جوز ان يتعلق بنفس مآبا على انه مرصاد

للمؤمنين ومآبا للكافرين وقيل المرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم
عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد
والمعنى انها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقرئ ان بالفتح على تعليل قيام
الساعة بانها مرصاد للطاغين **لابثين فيها** حال مقدرة من المستكن في للطاغين
وقرئ لبثين **احقابا** ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه
آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها
فليس فيه ما يدل على تناهي تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب ثمانون سنة
او سبعون الف سنة وقوله تعالى **لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما
وغساقا** جملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم
حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد
النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم **جزاء** اي جوزوا بذلك جزاء
وفاقا ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على انه
فعال من وفقه كذا اي لاقه **انهم كانوا لا يرجون حسابا** تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور
اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم **وكذبوا بآياتنا** الناطقة بذلك
كذابا اي تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال
من باب فعل شايع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب قال فصدقتها
وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا اي وكذبوا بآياتنا
يكذبون كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب
وقرئ كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية اي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون
الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا
كذبه **وكل شيء** من الاشياء التي من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره
احصيناه اي حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء **كتابا** مصدر مؤكد
لاحصيناه لان الاحصاء والكتبة من واد واحد ولفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا
في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى **فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا**
مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبئ على التشديد

منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له
الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موقع الاضمار
للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى **ذلك**
اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله الرفع على
الابتداء خبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين
غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال **اليوم الحق** اي الثابت المتحقق لا محالة
من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى **فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا**
فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعه شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه
اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور
لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك
بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اي سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء
والايصال كما في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا **انا انذرناكم** اي بما ذكر في
السورة من الآيات الناطقة بالبعث وما بعده من الدواهي او بها وبسائر القوارع الواردة
في القرآن **عذابا قريبا** هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة الى الكافر
وان رأوه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش
يوم بدر ويأباه قوله تعالى **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه** فانه اما بدل من عذابا او ظرف
لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او شر على
ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف او ينظر اي شيء قدمت يداه على
انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى
ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى تمنيه
ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم
ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر

حاله وقيل الكافر إبليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة

سورة النازعات مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا

فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الأرواح من الأجساد على الإطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وأرواح الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها أي يخرجونها من الأجساد من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها ويسبحون في إخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بأرواح الكفرة إلى النار وبأرواح المؤمنين إلى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يهيئوها لإدراك ما أعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم للإشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمات الأمور حقيق بأن يكون على حياله مناط الاستحقاق موصوفه للإجلال والإعظام بالإقسام من انضمام الأوصاف الأخر إليه والفاء في الأخيرين للدلالة على ترتيبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد أي إغراقا في النزع حيث تنزعها من أقاصي الأجساد قال ابن مسعود رضي الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافير وأصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى إذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا على المصدرية

أو إسقاط حرف الإنكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الأجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق المستمر ولعل توسيط قالوا بينهما للإيذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة أوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع أي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين إلى ما أنكروه من الردة في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك إذا كرة خاسرة أي ذات خسران أو خاسرة أصحابها أي إن صحت فنحن إذا خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى فإنما هي زجرة واحدة تعليل لمقدر يقتضيه إنكارهم لإحياء العظام النخرة التي عبروا عنها بالكرة فإن مداره لما كان استصعابهم إياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فإنما هي صيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كأنها عينها وقيل هي الراجفة أي الرادفة فإذا هم بالساهرة حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة أي فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا في جوفها وعلى الأول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقيل هي أرض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هي أرض يجددها الله عز وجل يوم القيمة وقيل هي اسم الأرض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض وقال الثوري الساهرة أرض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى هل أتاك حديث موسى كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل أتاك إن اعتبر هذا أول ما أتاه عليه السلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه السلام في استماع حديثه كأنه قيل هل أتاك حديثه أنا أخبرك به وإن اعتبر إتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الإيجاز في الاقتصار ليس قد أتاك حديثه وقوله تعالى إذ ناداه ربه بالواد المقدس ظرف للحديث لا للإتيان لاختلاف

طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى او المقدس اى ناداه نداءين او المقدس مرة بعد اخرى اذهب الى فرعون على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اى ناداه اذهب وقيل على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله ان اذهب لان فى النداء معنى القول على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اى ناداه اذهب وقيل هو على حذف انه طغى تعليل للامر او لوجوب الامتثال به فقل بعد ما اتيته هل لك رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التاءين من تتزكى اى تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه فتخشى اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته تعالى قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشى الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن اجترا على كل شر امر النبى صلى الله عليه وسلم بان يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفاء فى قوله تعالى فاراه الاية الكبرى فصيحة تعرب عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها فى السور الاخرى فانه عليه السلام ما اراه اياها عقيب هذا الامر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها عرفها وادعى سحريتها انما كان اراءة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه السلام بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة فى قوله تعالى ولقد اريناه اياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالاية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضى الله عنه فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها او هما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالاية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك باياتى باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الامور التى كل منها اية بينة لقوم يعقلون كما فصل فى سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عداها من الآيتين من الآيات

والجبال منصوب بمضمر يفسره ارساها اى اثبتها واثبت بها الارض ان تميد باهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت فى انفسها فضلا عن اثباتها الارض وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا لشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر المأكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميرى الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تاخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من انه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الاية وقد مر فى سورة حم السجدة ان قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان الاية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو يدل على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روى ان العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث فى الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى انه خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة والاقرب كما قيل تاويل هذه الاية بان يجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وغيرها لا الى نفسها وبحمل بعدية الدحو عنها على البعدية فى الذكر كما هو المعهود فى السنة العرب والعجم لا فى الوجود لما عرفت من ان انتفاعهم بما فى الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وليس ما روى عن الحسن رضى الله عنه نصا فى تأخر

دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى **متاعا لكم ولانعامكم** اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما ياكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر اي متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى **فاذا جاءت الطامة الكبرى** اي الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات اي تعلوها وتغلبها وهي القيامة والنفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع **يوم يتذكر الانسان ما سعى** قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب باعني كما قيل في تفسير الطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على رأي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان يكون ما مصدرية **وبرزت الجحيم** عطف على جاءت اي اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد **لمن يرى** كائنا من كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او على انه

على الوجه الثاني اي كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما ادخره في سؤالهم فانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية او ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام وانما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار ورد الاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كما ان قوله تعالى كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا ان التشبيه هناك في الاحوال الظاهرة من الزي والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كانه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستانفة لا محل لها من الاعراب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله تعالى من القبر والقيامة

سورة عبس اثنتان واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابي ربيعة الفهري وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال

يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله
عليه الصلوة والسلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه
وعبس وأعرض عنه فنزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول
إذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه
على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وأن جاءه علة لتولى وعبس
على اختلاف الرأيين أي لأن جاءه الأعمى والتعرض لعنوان عماه إما لتمهيد عذره في
الإقدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والإيذان باستحقاقه بالرفق
والرأفة وإما لزيادة الإنكار كأنه قيل تولى لكونه أعمى كما أن الالتفات
في قوله تعالى وما يدريك لذلك فإن المشافهة أدخل في تشديد العتاب
أي وأي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى لعله يزكى
دار ولبيان ما يلوح به ما قبله فإنه مع إشعاره بأن له شأنا منافيا للإعراض عنه
خارجا عن دراية الغير وإدرائه مؤذن بأنه تعالى يدريه ذلك أي لعله يتطهر
بما يقتبس منك من الأوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن
الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجي بالنسبة إليه عليه السلام للتنبيه على أن الإعراض عنه
عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف إذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك
لعلك ستندم على ما فعلت وفيه إشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم
التزكي والتذكر أصلا وقوله تعالى أو يذكر عطف على يزكى داخل معه في حكم
الترجي وقوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا
على يذكر أي أو يتذكر فتنفعه موعظتك إن لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في
لعله للكافر فالمعنى أنك طمعت في أن يتزكى أو يذكر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق و
لذلك توليت عن الأعمى وما يدريك أن ذلك مرجو الوقوع أما من استغنى
أي عن الإيمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن فأنت له
تصدى أي تتصدى وتتعرض بالإقبال عليه والاهتمام بإرشاده واستصلاحه
وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فإن الإقبال على المدبر ليس من شيم الكرام

من الأعضاء والأشكال أو فقدره أطوارا إلى أن تم خلقه وقوله تعالى ثم السبيل
يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر أي ثم سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم
وألهمه أن ينتكس أو يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل
باللام دون الإضافة للإشعار بعمومه ثم أماته فأقبره أي جعله ذا قبر يواري فيه
تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الأرض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان
يقال قبر الميت إذا دفنه وأقبره إذا أمر بدفنه أو مكن منه وعد الإماتة من النعم
لأنها وصلة في الجملة إلى الحيوة الأبدية والنعيم المقيم ثم إذا شاء أنشره أي إذا
شاء إنشاره أنشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي
تعليق الإنشار بمشيئته تعالى إيذان بأن وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرئ
نشره كلا ردع للإنسان عما هو عليه وقوله تعالى لما يقض ما أمره بيان لسبب
الردع أي لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام إلى هذه الغاية مع طول المدى و
امتداده ما أمره الله تعالى بأسره إذ لا يخلو أحد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن
مجاهد وقتادة ولا ريب في أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية جناية الإنسان وتحقيق
كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع
تقصير لا يخلو عنه أحد من أفراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم شيبتني
سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فالوجه أن يحمل عدم القضاء
على عموم النفي لا على نفي العموم إما على أن المحكوم عليه هو المستغني أو هو الجنس لكن لا
على الإطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراده وقد أسند
إلى الكل كما في قوله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار للإشباع في اللوم بحكم المجانسة
على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وإما على أن مصداقه
الكل من حيث هو كل بطريق رفع الإيجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع
أفراده ما أمره بل أخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون
النعماء الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه أحد أصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق
بما بعده أي حقا لم يعمل بما أمره به وقوله تعالى فلينظر الإنسان إلى طعامه شروع
في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أي فلينظر إلى طعامه

الذي عليه يدور امر معاشه كيف دبرنا وقوله تعالى **انا صببنا الماء** اي الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستيناف وقرئ انى بالامالة اي كيف صببنا الماء اي صببناه **صبا** عجيبا **ثم شققنا الارض** اي بالنبات **شقا** بديعا لايقا بما يشتهيها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيأة وحمل شقها على ما بالكراب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى **فانبتنا فيها حبا** فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار اصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تاكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى **وعنبا** عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يتقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض **وقضبا** اي رطبة سميت بمصدر قضبه اي قطعه مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع **وزيتونا ونخلا** الكلام فيهما وفي امثالهما كما في العنب **وحدائق غلبا** اي عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب **وفاكهة وابا** اي مرعى من اب اذا امه اي قصده كانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيأ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه **متاعا لكم ولانعامكم** اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم او لمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف

بالرجة الحاصلة لاني الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية **واذا العشار** جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم **عطلت** تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف **واذا الوحوش حشرت** اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد **واذا البحار سجرت** اي احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف **واذا النفوس زوجت** اي قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين **واذا الموؤدة** اي المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق ولحوق العار بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته **سئلت باي ذنب قتلت** توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقرئ سألت اي خاصمت او سألت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت لان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية **واذا الصحف نشرت** اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس
يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل
وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة
تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية
وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير
صحف الاعمال واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن
الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف
والقاف غير عزيز كالكافور والقافور واذا الجحيم سعرت اي اوقدت ايقادا
شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف
واذا الجنة ازلفت اي قربت من المتقين لقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد
قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا اي فيما بين النفختين وهن اول
السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية
لا بعثها للقصاص وست في الآخرة اي بعد النفخة الثانية علمت نفس ما احضرت
جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سياقها وسياق ما عطف عليها
من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى
انها تعلم ما تعلم في كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية
من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه
وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا
للحال والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها
كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة في
هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها
في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب و
المعاصي تتجسم هنالك وتتصور وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين
وقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا
قوله تعالى في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه

على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بضنين اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر
في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة
وما هو بقول شيطان رجيم
اي بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه كهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم
فيما يسلكونه في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين
وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين
تذهب ان هو ما هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى لمن شاء
منكم بدل من العالمين باعادة الجار وهو قوله تعالى ان يستقيم مفعول شاء اي لمن
شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون
بالتذكير وما تشاؤن اي الاستقامة مشيئة مستتبعة لها في وقت من الاوقات
الا ان يشاء الله اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة
فان مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله تعالى رب العالمين مالك الخلق ومربيهم اجمعين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء
بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في
ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت متفرقة
واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما
من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء
بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقيل ان مياه البحار الآن
راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا
للمفعول ومبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان
اي قلب ترابها واخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى

وسمام كتبان من البعث والبحث مع ما تضمن اليهما وقوله تعالى **علمت نفس ما قدمت واخرت** جواب اذا لكن لا على ان العلم تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد بها زمان واحد مبدا والنفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى ما قدمت واخرت ما سلف من عمل خير او شر واخر من سيئة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس ايضا ما قدم من معصية واخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من اموال النفقة وما اخر لورثته وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله وآخره ومعنى علمها بها علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر **يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم** اي اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والعواقيل الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدارا للاغترار حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى **الذي خلقك فسواك فعدلك** صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك بدا اقدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه **في اي صورة ما شاء ركبك** اي ركبك في اي صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان

الاجنس عنهم التطفيف وقوله تعالى **الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون** صفة كاشفة للمطففين شارعة بكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر من خبر الشرط الذي تضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع انه الشائع فيما بينهم يقتضي ان يكون معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدارا للذم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدي نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مالا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وكذا الحال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى يتعقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك تماما وقد جوز ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب والافراد والتعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى **واذا كالوهم او وزنوهم** للناس اي اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه **يخسرون** اي ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك ... وعساقلا اي جنيت لك وجعل البارز تاكيد للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ونقل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال

عند الاتزان لتمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون
في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية
المأخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون استيناف وارد لتهويل
ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضعه
موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له
من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك
الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها
اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد
اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون ليوم عظيم
لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من
يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا مشابها للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على
امثال هاتيك القبائح فكيف بمن تيقنه وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين
اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر المبتدأ
مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا
كما هو رأي الكوفيين ويؤيده الاخير من القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب
وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه
تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وامثاله
ما لا يخفى كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى
ان كتاب الفجار لفي سجين الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين
علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من
الثقلين منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس
والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم وحش وهو
مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب
من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين
وقوله تعالى وما ادراك ما سجين تهويل لامره اي هو بحيث لا يبلغه دراية احد

ويريده كل احد لنفسه وينفرد به على غيره اي يستبق به ومزاجه من تسنيم عطف على
ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اي ما يمزج به ذلك
الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية او تبعيضية او من نفعه على انها ابتدائية
والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم
من فوق وروي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب على المدح
ويجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون
فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة فالباء مزيدة او بمعنى من وقوله تعالى
ان الذين اجرموا الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة
في الدنيا كانوا من الذين آمنوا يضحكون اي يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب
وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا
اي كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى
أفي الله شك او لمراعاة الفواصل واذا مروا اي فقراء المؤمنين بهم بالمشركين وهم في
انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا يتغامزون اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم
واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين متلذذين بذكرهم بالسوء من مجالسهم
والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون
حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل معناهما واحد وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين و
فاكهين متفكهين وقيل معجبين وقيل مازحين واذا رأوهم اينما كانوا قالوا
ان هؤلاء لضالون اي نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم بطريق التأكيد
الى الضلال وما ارسلوا عليهم حافظين حال من واو قالوا اي قالوا
ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهته تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم
ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان
ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون ذلك
من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين
انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك
حلف ليفعلن لا بالعبارة كما في قولك حلف لافعلن

من الغواء أي من المعهودين وهو الأظهر وإن أمكن التعميم من الجانبين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم أذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان و الصغار بعد العزة والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقاً للمقابلة أي فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى على الأرائك ينظرون حال من فاعل يضحكون أي يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل بهم ذلك مراراً ويضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فإنه صريح في أن ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتماً والتثويب والإثابة المجازاة وقرئ بإدغام اللام في الثاء وعنه عليه السلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انشقت أي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة وأذنت لربها أي استمعت أي انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت إرادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليها للإشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى أتينا طائعين في الإنباء عن كون ما نسب إلى السماء والأرض من الانشقاق والمد وغيرهما جارياً على مقتضى الحكمة كما أشير إليه فيما سلف وحقت أي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد أن لم تكن كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على أن المدار خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الأمور فحق الجملة أن تكون اعتراضاً مقرراً لما قبلها لا معطوفة عليه

وترى الشمس تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنه ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت إلا بعد أن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس رضي الله عنه صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن رضي الله عنه هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله أعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب علماً فعلياً فبشرهم بعذاب أليم لأن علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتماً إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع إن جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل إن أريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى لهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع أو ممنون به عليهم استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها أو أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور واليوم الموعود أي يوم القيامة وشاهد ومشهود أي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للإبهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم

والشهود يوم القيمة وقيل عيسى عم وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الخ
وقيل امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة
وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا
وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل فيّ شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي
لم تدركني الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلوة والسلام
قتل اصحاب الاخدود قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول
والاصل لقتل كما في قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث
ولا صال وقيل تقديره لقد قتل واياما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة
على الجواب كأنه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اي كفار مكة ملعونون كما
لعن اصحاب الاخدود لما ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان
وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان
وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا
ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال
فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتّل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما
بناء ومعنى الخق والاخقوق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك
ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه
فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فقيل كانت الدابة اسدا
فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها
وكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس
للملك فابرأه فقال له من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام
فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام
فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به
الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست
بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي

ففي الاول هو مصدر البطش على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله
ان بطش ربك لشديد استيناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ايذانا بان
لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عم والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم
وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد
اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير
لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة
وهو الغفور لمن تاب وآمن الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش
الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على انه صفة لربك
المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة
وقرئ بالجر على انه لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد بحيث
لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى
هل اتاك حديث الجنود استيناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة
والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسلية صلى الله عم بالاشعار بانه سيصيب
قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه
والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب
والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون الله
تعالى وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى
بل الذين كفروا في تكذيب اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم اشد منهم في الكفر والطغيان
كأنه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم اشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب
العقاب فانهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم او قيل ليست جنايتهم
بمجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد
للقرآن الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى
مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم

[illegible marginal commentary]

من يأس الله تعالى بعد مرفوت المحاط المحيط وقوله تعالى **بل هو قرآن مجيد** رد لكونهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف على الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد **في لوح محفوظ** اي من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ وقرئ في لوح وهو الهواء اي ما فوق السماء السابعة التي هي اللوح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدكا بارحلنا ولم يتعرج والمراد بهنا الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى **وما ادراك ما الطارق** تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدا وادراك خبره والثانية خبر والطارق مبتدا حسبما بين في نظائره اي واي شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى **النجم الثاقب** خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشاء عما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب النجم في السماء السابعة

[illegible marginal commentary]

[illegible marginal commentary]

وجهان اخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا اي متمهلين في ايراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده به ويدل على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليم قلبه ما لا يخفى وعنه عليه السلام من قرأ سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى اي نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت **الذي خلق فسوى** صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اي خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتسنى معاشه وقوله تعالى **والذي قدر** اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا الحال فيما بعده اي قدر اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها **فهدى** اي فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا واختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرايت في كل منها ما تحار فيه العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل وروي ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات

[illegible marginal commentary]

ما يأكله من فمه حيث قيض الله تعالى له طائرا يقتات من ذلك فاذا رآه التمساح
يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته
قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا واما فنون هدايته سبحانه وتعالى للانسان
من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية فمما لا يحيط به
فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير والذي اخرج المرعى اي انبت ما ترعاه
الدواب غضا طريا يرف فجعله بعد ذلك غثاء احوى اي دريناً اسود وقيل احوى
حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى
سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته
العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين
وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين والسين اما للتأكيد واما لان المراد اقراء ما اوحي اليه
ح وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء
اي سنقرئك ما نوحي اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا
بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري ما الكتاب
وما القراءة ليكون ذلك آية اخرى لك مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات
البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي
والالف لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فاضلونا السبيلا وقوله تعالى
الا ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفعولات اي لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الاشياء
الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل
لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر
الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط آية
في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها
وقيل نفي النسيان رأسا فان القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان نسخ الشيء
بالكلية اذ هو المنفي رأسا لا ما قد ينسى ثم يذكر انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله
اي يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فينسي ما يشاء انساءه
ويبقي محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى
على الانسان الآية قال قطرب اي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية و
ليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق الى استماعه
والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها الرواة و
يتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة
التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهي القيمة من قوله تعالى يوم
يغشاهم العذاب الخ وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار و
قوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيرد من حديثها
ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى وجوه
يومئذ خاشعة الى قوله تعالى مبثوثة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهته عليه السلام ما اتاني حديثها ما هو
فقيل وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
لم يكن اتاه عليه السلام حديثها فاخبره عليه السلام عنها فقال وجوه يومئذ الخ فوجوه مبتدأ
ولا بأس بتنكيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة
خبران آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهي جر
السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط
في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي يومئذ
في نصب منها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا يجدي عليها في الآخرة وقوله تعالى
تصلى اي تدخل نارا حامية اي متناهية في الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو خبر
وما قبله صفات لوجوه وقد عرفت غير مرة ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب

الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلي النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متاوية في الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت وكذا ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استينافا مبينا التفاصيل احوالها **تسقى من عين آنية** اى متناهية في الحر كما في قوله تعالى وبين حميم آن **ليس لهم طعام الا من ضريع** بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك وهذا طعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين لآخرين **لا يسمن ولا يغني من جوع** اى ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استعداد الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روي انه تعالى

رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب ككتاب من كتب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى في الثانية **ثم ان علينا حسابهم** في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الترتيب الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته **وليال عشر** هي عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام **والشفع والوتر** اى الاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الرحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء **والليل اذا يسر** اى يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسري فيه من قولهم صلى المقام اى صلى فيه وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة وقرئ باثباتها على الاطلاق وبحذفها في الوقف خاصة وقرئ

ينكر بالتنوين كما قرئ والفجرِ والوترِ وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ اي التحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها امورا جليلة

حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها

امر معتدّ به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم

وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما في حقيقه او الى

الاقسام بها واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد

منزلته في الشرف والفضل اي هل فيما ذكر من الاشياء قسم اي مقسم به لِذِي حِجْرٍ

يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت

هذه الطريقة هضما للحق وايذانا بظهور الامر او هل في اقسامي بتلك الاشياء

اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه

يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى

وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان

قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبنّ كما ينبئ عنه قوله عز وجل

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ الخ فانه استشهاد بعلمه عليه السلام بما يدل عليه من

تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه عم في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى

الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الآية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون

كانه قيل الم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فيعذب هؤلاء

ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن

ارم بن سام بن نوح عم قوم هود عم سُمّوا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما

وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخيرة قال عماد الدين بن كثير

كل ما ورد في القرآن خبر عاد الاولى الا ما في سورة الاحقاف وقوله تعالى إِرَمَ

عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم

على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة

بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرئ إرْم بالسكون

على التخفيف كما قرئ بِوَرْقِكم ذَاتِ الْعِمَادِ صفة لارم اي ذات القدود الطوال

الايذان من اول الاعراب الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ اي واما هو اذا ما ابتلاه ربه فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ

حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ

ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة

في شيء بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى

خسرانهما وقرئ فقدّر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء

واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف كَلَّا ردع للانسان

عن مقالته المحكية وتكذيب له فيهما في كلتا الحالتين قال ابن عباس رض

المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض

القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب على قوله الاخير بعيد وقوله تعالى

بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله

والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة

لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار

معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل

على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم

فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون وَلَا تَحَاضُّونَ بحذف احدى

التائين من تتحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ اي على

اطعامه وقرئ تُحاضّون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ اي الميراث واصله وراث أَكْلًا لَمًّا

اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان

ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء كَلَّا ردع

لهم عن ذلك وقوله تعالى إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا الخ استئناف جيء به

بطريق الوعيد تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب

كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا

وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى إذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء وأياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية **وجاء ربك** أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثّل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من أحكام هيبته وسياسته وقيل جاء أمره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل **والملك صفا صفا** أي مصطفين أو ذوي صفوف فإنه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والإنس **وجيء يومئذ بجهنم** كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام مع سبعين ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا **يومئذ** بدل من إذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى **يتذكر الإنسان** أي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الأعمال تتجسم في النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة أو يتعظ وقوله تعالى **وأنى له الذكرى** اعتراض جيء به لتحقيق أنه ليس يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى لعدم وقوعه في أوانه وأنى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر أي ومن أين يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك مضاف محذوف أي وأنى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على أن تذكره ليس من التوبة في شيء فإنه عالم بأنها إنما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى **يقول يا ليتني قدمت لحياتي** وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لأجل حياتي هذه أو وقت حياتي في الدنيا أعمالا صالحة أنتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وإنما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الأعمال الصالحة وأما أن ذلك بمحض قدرته أو بخلق الله تعالى

سورة البلد

من وقت نفخ الروح إلى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا إذا وجعت كبده وأصله كبده إذا أصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وأصل كبده وقيل الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى **أيحسب** لبعضهم الذي كان عليه السلام يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة وأضرابه وقيل هو أبو الأشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعا ولا تزل قدماه أي أيظن هذا القوي المارد المتضعف للمؤمنين **أن لن يقدر عليه أحد** أن مخففة من أنّ واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف أي أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد **يقول أهلكت مالا لبدا** يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر **أيحسب أن لم يره أحد** حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه **ألم نجعل له عينين** يبصر بهما **ولسانا** يترجم به عن ضمائره **وشفتين** يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها **وهديناه النجدين** أي طريقي الخير والشر أو الثديين وأصل النجد المكان المرتفع **فلا اقتحم العقبة** أي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى **وما أدراك ما العقبة** أي أي شيء أعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة **فك رقبة** أي هو إعتاق رقبة **أو إطعام في يوم ذي مسغبة** أي مجاعة **يتيما ذا مقربة** أي قرابة **أو مسكينا ذا متربة** أي افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الأمور حسن دخول لا على الماضي فإنها لا تكاد تقع إلا مكررة إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب من النسب وترب إذا افتقر وقرئ فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم **ثم كان من الذين آمنوا** عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الإيمان ورفعة محله لاشتراط جميع الأعمال الصالحة به **وتواصوا بالصبر** عطف على آمنوا أي أوصى بعضهم بعضا

بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات
رحمة تعالى من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما
في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان ببعد درجتهم
في الشرف والفضل اي اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة اصحاب
الميمنة اي اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا على
الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة اي الشمال او الشؤم عليهم
نار مؤصدة مطبقة من اصدت الباب اذا اطبقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها اي ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة
ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار
وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها
وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اي جلى الشمس فانها
تتجلى عند انبساط النهار وكانه جلاها مع انها التي تبسطه او جلى الظلمة او الدنيا او
الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اي الشمس فيغطي ضوءها
او الآفاق او الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى
القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا في قولك اقسم بالله
حقيق ان يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا
والسماء وما بناها اي ومن بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه
قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها وجعلها مصدرية تخل بالنظم الكريم وكذا الكلام
في قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما
سواها اي انشأها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم

والبخل مع كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى
والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما
من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول باعطاء
الطاعة والثاني بالبخل بما امر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى وما يغني
عنه ماله اي ولا يغني او اي شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به اذا تردى اي هلك
تفعل من الردى الذي هو الهلاك او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى
في قعر جهنم ان علينا للهدى استئناف مقرر لما قبله اي ان علينا بموجب
قضائنا المبني على حكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق
الهدى وما يؤدي اليه من طريق الضلال وما يؤدي اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه
حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن هنا تبين ان
الهداية هي الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا
وان لنا للآخرة والاولى اي التصرف الكلي فيهما كيف نشاء فنفعل فيهما ما نشاء
من الافعال التي من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى
وقيل ان لنا كلها في الدنيا والآخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا فانذرتكم
نارا تلظى بحذف احدى التائين من تتلظى اي تتلهب وقرئ على الاصل
لا يصليها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما
وقد صرح به قوله تعالى الذي كذب وتولى اي كذب بالحق واعرض
عن الطاعة وسيجنبها اي سيبعد عنها الاتقى المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي
فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدي واما من دونه ممن يتقي
الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى
المذكور فلا يقدح في الحصر السابق الذي يؤتي ماله يعطيه ويصرفه في وجوه
البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة لا محل له
او في حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتي اي يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا
ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى استئناف مقرر
لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله تعالى اي ليس لاحد عنده نعمة من شأنها ان تجزى

وزكاة فيقصد بايتاء ما يؤتى مجازاتها وقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة والايات نزلت في حق ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة كان يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر رضي الله عنه ان بلالا يعذب في الله فعرف مراده عم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى ولسوف يرضى جواب قسم مضمر اي والله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضى وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلعم من قرا سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام والقي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اي جنس الليل اذا سجى اي سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ما ودعك ربك جواب القسم اي ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اي ما تركك وما قلى اي وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه

فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلب على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابرهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يجيء الى باب احدكم فيقول اتبعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسال عن الدين واما بنعمة ربك فحدث بشكرها واثن عليها واظهار اثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فاواك الله وهداك واغناك فمهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلث واقتد بالله واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرجت تحت الامر هداية عليه السلام للضلال وتعليمه الشرائع والاحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل يتيم

سورة الم نشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتاييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل

اي رسول الله صلى الله عم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج علقة فغسلها ثم
ملأه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسماني لما استظهر له عليه السلام
من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه
للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة
الجار والمجرور مع توسطه بين الفعل ومفعوله للايذان بان ثبوته من الظهور
بحيث لا يقدر احد على ان يجيب من اول الامر بان الشرح من منافعه عليه السلام
ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عم وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن
عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك عطف على
ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا
وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه
لما مر انفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه
نوع طول فتاخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اي حططنا عنك
عبائك الثقيل الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض
والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله
مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل
الاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه
ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعدان بلغ وبالغ وقرئ وحططنا
وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك بعنوان
النبوة واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان
والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملئكته وامر المؤمنين
بالصلوة عليه وسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبي الله والكلام في
العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى فان مع العسر يسرا تقرير لما قبله
ووعد كريم بتيسير كل عسير له عم وللمؤمنين كانه قيل خولناك ما خولناك من
جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة
ان مع العسر يسرا
استعارة بغاية سرعة مجيء اليسر كانه مقارن للعسر تكرير للتاكيد

سورة التين مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

...

فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة ثم عرف نفسه على نوع الكيفية من صفاتها
وافعالها تسنى له ان يترقى في معارج معرفة رب العزة من سلطانه ويطلع على
انه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا منه يفعل فيه ما يشاء ويحكم
ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملئكة الذين يستدل على شؤنهم بما ذكر من الارواح
والقوى المرتبة في العالم الانساني الذي هو نسخة للعالم الاكبر وانموذج منه وقوله تعالى
ثم رددناه اسفل سافلين اي جعلناه من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل
من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها
لكان في اعلى عليين وقيل رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان
محذوف اي رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين
وقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاول استثناء متصل من ضمير
رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى
فلهم اجر غير ممنون غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة
والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به
عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم
الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين
للرسول عم اي فاي شيء يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل
الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات لتشديد
التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى
ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا و
نقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فاي شيء
يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان
اليس الله باحكم الحاكمين اي اليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى
يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة
والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما
يستحقونه من العذاب عن النبي صلى الله عم انه كان اذا قراها يقول بلى وانا

على ذلك من الشاهدين وعنه عليه السلام من قرأ سورة والتين اعطاه الله تعالى
الخصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين
وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاظهر
ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه عليه السلام كما ينطق به حديث الزهري
المشهور وقوله تعالى متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرأ ملتبسا
باسمه تعالى اي مبتدئا به لتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية
بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله لتذكير اول النعماء الفائضة
عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة
وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر
الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اي الذي انشأ الخلق واستأثر به
او خلق كل شيء وقوله تعالى على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر
من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان
من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشانه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو
المامور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد تجريده
عن المفعول للابهام ثم التفسير روما للتفخيم فطرة وقوله تعالى اي دم جامد
لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده
بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر في
تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب

الشرطية الاولى وجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وارأيت في
الموضعين بمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله تعالى عن صلوته ان كان
ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى من عبادة الله تعالى او كان آمرا بالمعروف
والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب
للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله
من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى ارأيت الذي
ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب
من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب
هذا مرة والآخر اخرى فكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه
الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة
ردع للناهي اللعين وخسوء له واللام في قوله تعالى موطئة
للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لنسفعن بالناصية لناخذن
بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة
وقرئ لنسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد
عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية
وانما جاز ابدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب
وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازي وهما لصاحبها
وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ اي اهل ناديه
ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر
برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار
والزبانية الشرط الواحدة زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه
نسب الى الزبن ثم غير كامسي واصلها زباني فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد
ملائكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا ردع
بعد ردع وزجر اثر زجر لا تطعه اي دم على ما انت عليه من معاصاته واسجد

وواظب على سجودك وصلوتك غير مكترث به واقترب وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بنباهته المغنية عن التصريح به كانه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر فانه بيان اجمالي لشأنها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادرائها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزاله كله الى السماء الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي من ان ينزل في قرآن فالانسب ان يجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تحريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها

لكل من فرقتي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في وقت من الاوقات الا بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا بما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى ان اي الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى آخره حكاية لما كانوا يقولونه قبل بعثته عليه السلام من انهم لا ينفكون من دينهم الى حين بعثته ويعدون ان ينفكوا منه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الى آخره بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك عما انا فيه حتى يغنيني الله فيستغني فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتي على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكأنه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما هو رأي القائل فلا قائل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا

وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيمة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما فيهم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشأة بصور عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين في سورة الاعراف خالدين فيها حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اي اولئك البعداء المذكورون هم شر البرية اي الخليقة اي اعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرئ البريئة بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب اولئك المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار البرية وهو جمع خير كجيد وجياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين فيها ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء الموعود يكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة

سورة العاديات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اي تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو يستلزم الضبح كأنه قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فاورى اي فالتي تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة فالمغيرات اسناد الاغارة التي هي مباغتة العدو للنهب او القتل او الاسر اليها وهي حال اهلها ايذانا بانها العمدة في اغارتهم صبحا اي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اي فهيجن بذلك الوقت نقعا اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار فوسطن به اي توسطن بذلك الوقت او توسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اي لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بني كنانة سرية و
استعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطأ عليه عليه السلام
خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه و
سلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه
من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه
كانه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء في حق اربابها
ما ارجفوا انهم مبالغون في الكفران **وانه على ذلك** اي وان الانسان على كنوده
لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه **وانه لحب الخير** اي المال كما في قوله تعالى
ان ترك خيرا **لشديد** اي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه
يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل اي انه
لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف
القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق
حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا
وقوله تعالى **افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور** الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ فلا يعلم
حاله اذا بعث من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء
وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائهما للفاعل **وحصل** اي جمع محصلا او ميز
خيره من شره وقرئ حصل مبنيا للفاعل بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل
نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع
والابصار الآية بعد قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب
بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك **بهم** بذواتهم وصفاتهم واحوالهم
بتفاصيلها **يومئذ** يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور
لخبير اي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك
اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ

لغاية عمقها وبعد مهواها روي ان اهل النار يهوي فيها سبعين خريفا وقيل الهاوية
اسم للباب الاسفل منها وعبر عن المأوى بالام لان اهلها يأوون اليها كما يأوي
الولد الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى فام رأسه هاوية في قعر جهنم
لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى **وما ادراك ما هيه نار حامية**
فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي
ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه ان لا يدرج
لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة

سورة التكاثر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الهاكم التكاثر اي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي عن بني عبد
مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام
فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا فكثرهم بنو عبد
مناف فقال بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات
فكثرهم بنو سهم والمعنى الهاكم التكاثر بالاحياء **حتى زرتم المقابر** اي حتى اذا استوعبتم
عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة
القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان
يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم
مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فيكون زيارة
القبور عبارة عن الموت وقرئ الهاكم التكاثر بالاموال على الاستفهام التوبيخي
كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا
فان عاقبة ذلك وخيمة **سوف تعلمون** سوء مغبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته
ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او

عند الموت او في القبر والثاني عند النشور **كلا لو تعلمون علم اليقين** اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل **لترون الجحيم** جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما **ثم لترونها** تكرير له للتاكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة والثانية المشاهدة والمعاينة **عين اليقين** اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم** اي عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة **ان الانسان لفي خسر** اي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى **وتواصوا بالحق** الى آخره بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل **وتواصوا بالصبر** اي عن المعاصي التي تشتاق اليها

وكمال علمه وقدرته وعزة بيته وشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك من الارهاصات لما روي ان القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فلما رآه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر لا تكلمني فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله عليهم الطير فكان ما كان

وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين يستطعمان وقرئ ألم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى **ألم يجعل كيدهم** بيان اجمالي لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كأنه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها **في تضليل** في تضييع وابطال بأن دمرهم اشنع تدمير **وأرسل عليهم طيرا أبابيل** اي خرائق وجماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها **ترميهم بحجارة** صفة لطيرا وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تأنيثه باعتبار المعنى **من سجيل** من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم للديوان الذي كتب فيه اعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال **فجعلهم كعصف مأكول** كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير به اول حاله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

لإيلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لايلاف وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده انهما في مصحف أبي في سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء

احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن الحاوي للخير الدنيوي والديني والنعماء ثم قوله تعالى **فصل لربك وانحر** لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه الصلوة والسلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجب للمأمور به اي استيجاب اي فدم على الصلوة لربك الذي افاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص **إن شانئك** اي مبغضك كائنا من كان **هو الأبتر** الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل وايا ما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا أيها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتأتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ

من قريش فقام على رؤسهم فقرأ عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون اى فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اى ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهى ولا انا عابد ما عبدتم اى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اى لم تعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفى العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلوة والسلام لم يكن موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما فى ما اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذى لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اى لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وقيل الاوليان بمعنى الاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى ولى دين تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لى ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحال وان دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوزه الى الحصول لكم لانكم علقتموه بالمحال الذى هو عبادتى لآلهتكم او استلامى اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اى ولى دينى لا دينكم كما فى قوله تعالى لكم ما كسبتم وقيل المعنى انى نبى مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى كفافا ولا تدعونى الى الشرك وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعافى

سورة النصر اعطى من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

سورة الحطب مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت اى هلكت يدا ابى لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التبت على الهلاك واسناده الى يديه لما روى انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عليه السلام وتب اى وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزانى جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدى والثانى اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثانى اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل على بن ابى طالب وقرئ ابى لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اى لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اى شئ اغنى عنه على انها استفهامية فى معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسبه به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذى كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذى هو كيده فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم او عمله الذى ظن انه منه على شئ كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب ولده روى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخى حقا فانا افتدى منه نفسى بمالى وولدى فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد فى طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك

سورة الكافرون ... بسم الله الرحمن الرحيم

من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا **لا اعبد ما تعبدون** اى فيما
يستقبل لان لا لا تدخل غالباً الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل
الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة
آلهتكم **ولا انتم عابدون ما اعبد** اى ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة
الهى **ولا انا عابد ما عبدتم** اى وما كنت قط عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه اى لم تعهد
منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام **ولا انتم عابدون ما اعبد**
اى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفى العبادة
حالاً كما ان الاوليين لنفيها استقبالاً وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم
كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلوة والسلام
لم يكن حينئذ موسوماً بعبادة الله تعالى وايثار ما فى ما اعبد على من لان المراد هو الوصف
كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذى لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية
اى لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وقيل الاوليان بمعنى الاخيرتين
مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون و
قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثانياً تأكيد لمثله المذكور اولاً وقوله تعالى **لكم دينكم**
تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى
ولى دين تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الاشراك
مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لى ايضاً كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به
اما نيتكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى
لا يتجاوزه الى الحصول لكم لانكم علقتموه بالمحال الذى هو عبادتى لآلهتكم او استلامى اياها
ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد
الهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم
المسند قصر افراد حتماً ويجوز ان يكون هذا تقريراً لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اى
ولى دينى لا دينكم كما فى قوله تعالى لكم ما كسبتم وقيل المعنى انى نبى مبعوث اليكم
لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى كفافاً ولا تدعونى الى الشرك وقيل
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى
وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان
فاحتملوه ودفنوه وكان الامر كما اخبر به القرآن سيصلى بفتح الياء وقرئ بضمها
وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتاكيد الوعيد وتشديده اي سيدخل
لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة نارا ذات لهب اي نارا عظيمة
اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه
الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مامورا بالجمع
بين النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب
من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور
من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان تفصيلا
بما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر وامرأته عطف على المستكن
في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان
وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق
النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يطؤه كما يطؤ الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال
لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي توقد بينهم النائرة حمالة
الحطب بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية
اذ المراد انها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها
مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ
على الشتم حتما وقرئ بالرفع على انه خبر وامرأته مبتدأ وقرئ حمالة للحطب بالتنوين
نصبا ورفعا وقرئ مريئته بالتصغير للتحقير في جيدها حبل من مسد جملة من خبر مقدم
ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل
هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل
من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من اي ليف كان وقيل من لحاء شجر
باليمن وقد يكون من جلود الابل واوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها
تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها

سورة الاخلاص

دلائل التوحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام
سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل وهو فعل
بمعنى مفعول فان كل واحد من المفروق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق
من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب
عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب
المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق
بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير
بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى
واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ
ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب للعائذ في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها
من شر ما خلق اي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات
الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم ان الاستعاذة
ههنا من المضار البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة
ثم جعل عمومها مدارا لاضافة الرب الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة
الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة و
تفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض
منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى ومن شر غاسق تخصيص لبعض الشرور
بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه
ولان تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة

اي ومن شر ليل عظم ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء
يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب
ظلامه وغسق العين سيلان دموعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له لحدوثه
فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى
اي دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه
اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ
ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روي عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله
من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه
مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه
نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا في ذلك الوقت قيل هو
المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت
كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه
ومن شر النفاثات في العقد اي ومن شر النفوس او النساء السواحر
اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل
بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد
او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روي
ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما انه كان غلام من اليهود يخدم النبي عليه السلام
وكان عنده اسنان من مشطه عليه الصلوة والسلام فاعطاها اليهود فسحروه
عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته وهن النافثات
في العقد فدفنها في بئر اريس فمرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام
بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره فارسل عليه السلام عليا كرم الله وجهه
والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا الراعوفة وهي
الصخرة التي توضع في اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد عليه
احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاؤا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين

ويهذب نفسي الابية من دنس الطبايع والاخلاق ونور قلبي القاسي
بلوامع الاشراق ليستعد للعبور على سائر الانس ويتهيأ للحصول في حظاير
القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى وارشدني الى مسالك البر والتقى
واجعل اعز مرامي ابتغاء رضاك واشرف ايامي يوم القاك
يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرني مع
الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا